عدد التاسع – السنة الثال
رمضان ١٣٩٨ هـ سبتمبر ١٩٧٨ م
منار الإسلام

اسلامية . ثقافية . شهرية

تصدرها

وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف

دولة الإمارات العربية المتحدة

في غرة كل شهر عربي

مدير التحرير

سعيد عبد الله حارب

العدد التاسع

السنة الثالثة

رمضان ١٣٩٨ هـ

سبتمبر ١٩٧٨ م

اقرأ في هذا العدد

رمضان . أمجاد وذكريات :

يحتفل المسلمون في هذه الايام ، بحلول شهر رمضان المعظم وحول هذا الشهر المبارك وما فيه من أمجاد وذكريات وعن أحكام الصيام يتحدث الكتاب موضحين أهداف الصيام ومشروعيته .

●

● **العصر . في مرآة الاسلام :**

باب جديد ، نقدمه للقراء ويستعرض فيه الكاتب ، أحد المباحث العصرية في مجال الدراسات الاسلامية

● **الاسلام في بلغاريا :**

للاسلام وللمسلمين في بلغاريا ، قصة طويلة وكفاح مرير ضد الحملات الارهابية ، التي توجه ضد الدعوة الاسلامية من أعداء الدين والانسانية بهدف القضاء على المسلمين ومحو اسم الاسلام من تلك البلاد ولكن الله مع المؤمنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

تهنئة ودعاء

يشرق على الدنيا هلال رمضان . هلال خير ويمن وبركة ، يترقبه المسلمون ويسعد به المؤمنون فهو الشهر الحافل بالطاعة المبارك في الاصباح والامساء، تغفر فيه الذنوب وتصفد الشياطين وفيه يفوح المسك من خلوف فم الصائمين وتعطر لياليه بالراكمين الساجدين القارئين .

ووزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف ، بدولة الامارات العربية المتحدة ، يسعدها ويسرها أن تنتهز هذه الفرصة المباركة ، فترفع الى مقام صاحب السمو رئيس الدولة واخوانه الحكام والحكومة والى الشعب الكريم والى جميع المسلمين في سائر اقطار الارض تهنئة ميمونة مخلصة داعية الله سبحانه أن يوفق المسلمين للسير على منهاجه الذي ضمن السلامة في الدنيا والآخرة للمخلصين . كما نسأله تعالى أن يوفق المسئولين في كل ارض اسلامية ، الى ان يقدموا الاسلام في كل دوافعهم وغاياتهم وأن تتحد كلمتهم ، كما توحد إلههم وقرآنهم وقبلتهم وشرعتهم حتى يستعيد المسلمون مجدهم وتعلو في سماء العز رايتهم والله يتولى برحمته المخلصين وبعنايته المؤمنين الصادقين .
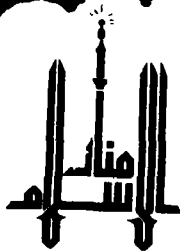
قد عاد يُشرق

مثلما تطل أشعة الشمس من بين الغيوم فتملأ الدنيا بهجة وضياء ·· يطل علينا شهر رمضان المبارك من بين شهور السنة ليمـــلأ النفوس صفاء وطهرا ·· وليزيل عنها ماران عليها خلال أيام السنة ·· فتخرج منه صافية نقية ·· تشكر لربها هذه النعمة التي اختص بها عباده الذين امنوا وكانوا يتقون ·

وشهر رمضان يختلف عن بقية الشهور ·· بطابعـــــه المميز في روحانيته ونقائه وتربيته العملية في تقويم النفس وتهذيبها ·

ولقد اختص الله سبحانه وتعالى بعض الايام بأفضلية دون بعض ، كما اختص بعض الاماكن كذلك ، ومن الايام التي اختص الله سبحانـــه وتعالى بالبركة والخير شهر رمضان . وهو شهر تتفتح فيه مغاليـــق النفوس،وتهفو فيه الارواح الى خالقها مستزيدة منه فضله ورحمته ·· راجعة اليه بالتوبة والخضوع ·

ولقد كان رمضان بأيامه ولياليه عالما يختلف عن بقية الايـــام والليالي على مر التاريخ ·· فهو فتح ونصر كانت بدايته ببـــدر الكبرى التي اهتزت لها أركان الضلال ، وتزلزلت الارض من تحت أقدام المشركين ·· فلم يفيقوا إلا بنصر الله المؤزر لعباده المخلصين ·· وأتم الله لدينـــه النصر على يد مصطفاه صلى الله عليه وسلم بفتح مكة ، الذي كان نقطة تحول في تاريخ البشريه ·· أشرق بعده نور الاسلام ساطعا على مشارف الارض ومغاربها ليخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ·

ولقد استمرت انتصارات رمضان المبارك ·· فكانـــت عين جالوت وحطين وغيرها من معارك الاسلام الفاصلة·وحين نذكر انتصارات رمضان لا ننسى الواجهة الاخرى من اشراق رمضان ·· ألا وهي التربية الروحية ·· التي كانت العدة المعنويه للانتصارات الاسلامية ··

فصيام رمضان ·· انما هو دعوة روحية للمسلم ·· بأن يرتفع عن حضيض الشهوة البطنيه ·· ودرس عملي بأن حياة المسلم ليست قائمة·· على ماديات هذه الارض بل يستطيع أن يعيش على ما يقوم به صُلبه ·· كما أن الصوم تطبيق عملي لكثير من مفاهيم الاسلام كالتكافل الاجتماعي ··· فهو يسوي بين الفقير والغني وانه لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى ·· ودعوة لذوي الاستطاعة والخير الوافر بأن يعينوا من هـــم دون ذلك ·· ان التكافل الاجتماعي في الاسلام ·· يتمثل في رمضان ·· بصورة جلية ·· لتلجم كل دعي مفتر قائل بأن الاسلام لا يسوي بين الناس أو كل ناعق بما لا يعلم ·· من دعاوي حفظها من الشرق أو الغرب ·· قد أوهمته بأن هناك عدلا أو تكافلا في غير ما شرعه الله ·· وفي رمضان ··

بالهُدى

تهذيب وترطيب للالسن والعقول ·· بابتعادها عن فاحش القول والعمل ·· وتدريب لها على ذكر الله حتى ينقضي رمضان وتبقى الالسن تردد ذكـر الله على كل حال ·· كما أمر عز وجل ·· وحين نمر على فضائل رمضان ·· لا ننسى الصبر وقوة التحمل ·· فهما أفضل ما يكونان في رمضان ·· فيها تحمل على الجوع والعطش ·· وصبر على طاعة الله ·· لان ما عند اللـه خير وأبقى ··

ورمضان شهر العلم ·· فيه نزل خير داعية للعلم ·· كتاب الله ·· الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ·· يدعونا الى الاستزادة وطلب العلم ·· مبتدئا أول ما نزل بقوله تعالى « اقرأ » ·· وهل هنـاك دين حض على العلم أو اهتم به كالاسلام ؟ ·· ولئن كنا نعيش في عصرنا الحاضر ·· في جهل مطبق فليس هذا خطأ الاسلام ·· بل الخطأ فيمـن حمل هذا الاسلام ثم لم يعطه حقه من الرعاية والاهتمام والعمل بما أمر اللـه ··

بعد كل هذا ·· فرمضان عالم آخر ـ كما ذكرنا ـ تعيش فيه النفوس فترة ترو ومراجعة ·· لتبدأ انطلاقة جديدة في عالـم مليء بالمتناقضات والمخالفات لما أمر الله به ·· فيا سعادة من أعطى رمضان حقه ·· فصام نهاره عن كل فاحش من القول أو الفعل ·· وامتنع عن كل مفطر من طعام أو كلام ثم دخل عليه ليله ·· فقامه وأحسن قيامه وخرج من رمضـان كيوم ولدته أمه نقيا صافيا فرحا بما أتم الله عليه من نعمة وفضـل ·· ليستقبل اشراقة العيد انسانا آخر ·· يستعد لاستقبال رمضان القادم ·· من وراء الغيـب ·

ونحن حين نستقبل رمضان ·· فانما نستعد له مثل من خرج مـن علة به ليقضي فترة يستعيد بها صحته وعافيته ·· نستقبل رمضـان ·· ولا ندري بأ يشيء نستقبله الا بحب خالقنا الذي فرضه علينا وحب نبينا صلى الله عليه وسلم الذي بينه لنا نستقبله ونحن نردد :

رمضـان هـل هلالـه	فاستبشـروا بقدومـه
و بصـومه و صلاتـه	و بذكـره و خشـوعه
فاضـت علينـا نفحـة	بالخيـر مـن ينبوعـه
قـد عـاد يشـرق بالهدى	يـا مرحبـا برجوعـه

مدير التحرير
سعيد عبد الله حارب

لفضيلة الاستاذ الشيخ : أبو الحسن علي الحسن الندوي

كل عام وأنتم بخير يا أحبتي أحييكم تحية من عند الله مباركة طيبة ، لقد صادف اقتراحكم هوى في نفسي ، وقد كنت أجد في نفسي رغبة ملحة في الكلام لست أدري لماذا ؟ وكأن سائقا يسوقني الى الحديث ولا ذنب لي في الموضوع الذي اخترتموه ·

لقد كان قدومي في السنة الثانية من الهجرة ، يختلف عن قدومي في القرون السابقة فقد كنت في سابق القرون شهرا من شهور السنة لا أمتاز عن زملائي بمهمة ولا رسالة ولا ركن من أركان الدين لقد كنت أحسد ـ أستغفر الله ـ أريد أن أقول أغبط رجب وذا القعدة وذا الحجة والمحرم لانها الاشهر الحرم وأغبط ذا الحجة بصفة خاصة لانه شهر الحج وكانت نفسي ، أصغر من أن أقلد شرفا عظيما واحتمل رسالة كريمة ، كالصوم ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ·
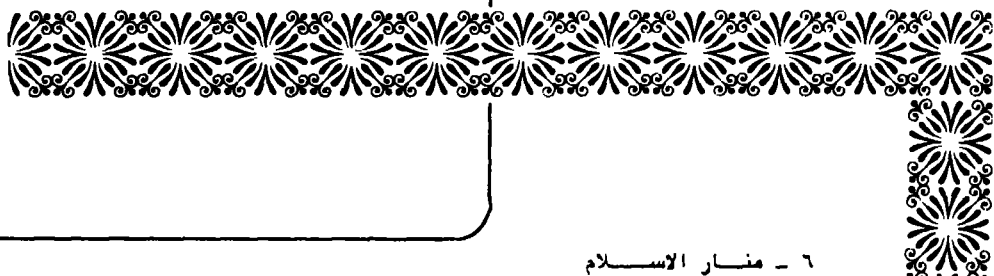
يتحدث عن نفسه

رئيس جماعة ندوة العلماء بالهنـد

اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان .. والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى

بدأ المسلمون ينتظرونني ويتطلعون الي من شعبان . ويستعدون لضيافتي . استقبلوا شعبان كمقدمةٍ جيشي ومبشر لقدومي . وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم من شعبان فخطب وقال « يا أيها الناس قد أظلكم شهر رمضان شهر عظيم ، شهر رمضان فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة في ما سواه . ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة في ما سواه وهو شهر الصبر.والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن » .

وصعد الناس الشرفات والمنازل يتراءون هلالي فلا ترى في المدينة بعد غروب الشمس ، الا من رفع بصره الى السماء يبحث عنه في الافق ويطمع أن يكون أول مبشر بقدومه .

لقد أراد الله أن لا أتأخر عنهم ولا ليلة فاذن لهلالي بالطلوع وغمرت الناس موجة من السرور من أقصى المدينة الى أقصاها وهتف الناس :

« هلال رشد وخير اللهم أهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى » .

ولقد كان سرور الناس بقدومي في فجر الاسلام - وانا شهر الصبر والجهاد - يفوق سروركم اليوم بطلوع هلال العيد .

لقد دب في المدينة دبيب حياة جديدة، ونشاط جديد . أكثر الناس من العبادة وقام الناس بعد العشاء يلتقون ويتنقلون مثنى وفرادى وجماعات ووحدانا يتلون القرآن ويقومون به في

ضان يتحدث عن نفسه

الليل حتى اذا كان آخر الليل وكاد الصباح يطلع تسحروا بما تيسر من العشاء الباقي والتمر والماء وخرجوا الى المساجد وصلوا الفجر ·

وهنا يتميزون عن الصائمين ، اليوم ان احدكم اذا قام في الليل قليلا ونوى الصوم رأى من حقه أن ينام في النهار ما شاء ، فقلما ترى في المدينة اليوم نشيطا يبكر الى متجره أو وظيفته ، لا ترى من الصامين الا نائما أو ناعسا، كان القيام في الليل مهما قل مقداره لا يعوض الا بالنوم الطويل الثقيل في النهار ، أما الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء على أثرهم فكانوا يجمعون بين قيام الليل ونشاط النهار ، وكانوا يجمعون في رمضان بين العبادة والكدح في الحياة ، وقد يجمعون بين الصوم والجهاد ، وكان رمضان لا يغير طبائع الاشياء ولا يحول النهار ليلا ولا يزيد الناس الا نشاطا وقوة ولا ينقطع في المدينة خير كان فيه الناس من قبل رمضان ، وكنت لا أرى في المدينة فرقا كبيرا في الاخلاق فقد صاموا عن الغيبة والفحش والرفث والفسوق منذ أسلموا،

وذلك صوم لا نهاية له ولا فطور منه فظلوا في صيامهم أعفة اللسان والنفس والبطن كما كانوا من أول امرهم الا أنهم ملكوا نفوسهم عند الغضب المباح حتى اذا سابّ أحدهم امرؤ أو قاتله قال اني امرؤ صائم ·

وحرصوا على البر والمساواة في رمضان فكانوا يبارون الريح في ذلك . وقد كان لهم اسوة حسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم . الذي اذا حل رمضان كان اجود بالخير من الريح المرسلة . وكانوا يتسابقون في اطعام الصائم واعتاق الرقاب واغاثة الملهوف واطعام الجائع . فكان الفقراء يترقبون حلولي لما يعلمون من كثرة البر والصدقات في ايامي ·

قضى الناس النهار في اعمالهم لا يغفلون عن الله . ولا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وحضور الجماعات ورجعوا في المساء وأقبلوا على الذكر والتلاوة فلا تدخل مسجدا الا وتسمع فيه دويا كدوي النحل ·

وغربت الشمس واذن المؤذن ورأيت سيد الاولين والآخرين يفطر بتمرة وماء ويشكر الله على ذلك لا يبلغه شكر المفطرين على انواع الطعام المتنوع والفواكه وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول

« ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله » ·

وأفطر الصحابة بتمرات وجرعة من الماء . كذلك . حمدوا الله وصلوا المغرب وتعشوا بما يسر الله لهم من غير اسراف ولا نهامة وشبع زائد ·

وهذا دأبه ودأبهم طول أيامي لا يتغيرون ولا يفترون ولا يسأمون ولا يضجرون بل يزدادون كل يوم نشاطا وحدة وحرصا على الخير والعبادة . وكان روحهم تتغذى بالصوم فهم في آخر الشهر اقوى وانشط منهم في اوله ·

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشاط دائم وعمل دائب في ايامي حتى اذا دخل العشر الاخير شد مئزره واحيا ليله وايقظ أهله واعتكف في المسجد ··

واذا قارنت بين الصائمين في العصر الاول والصائمين في العصور المتأخرة لم أر فرقا كبيرا في الاشكال والصور بل ربما كان المتأخرون اكثر نافلة وتلاوة من الاولين . ولكني أرى فرقا واضحا في الخشوع والاخلاص والايمان والاحتساب فلو وزنت ركعة من ركعاتهم لرجحت ركعات كثيرة اليوم وذلك برجحانهم في الايمان والاحتساب ·

والفرق الثاني الذي استطيع ان أحدده أن الصوم كان يخلف في نفوس الصائمين في العصر الاول آثارا طيبة خلقية ونفسية لا تفارقهم ويطبعها بطابعه . فاذا رجعت اليهم في القابل وجدتهم كما فارقتهم . عفة وتقوى وصدقا وكرم أخلاق ورقة نفوس . وحرصا على الطاعات وعزوفا عن الشهوات واقبالا الى الآخرة وزهدا في الدنيا ووجدتهم ازكى نفوسا وأصفى قلوبا من الاولى ·

وقضيت مدتي وأزف الرحيل فوجدتهم يودعونني كما يودعون أعز حبيب،لا تنقطع دموعهم ولا تسكن زفراتهم يتمنون على الله أن يجمع بيني وبينهم مرارا ولا يكون هذا آخر العهد بي ·

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الامين ، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فــان الدعوة إلى نزول المرأة للعمل في ميدان الرجال المؤدي إلى الاختلاط ســواء كان ذلك على جهة التصريح أو التلويح بحجة أن ذلك من مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة أمر خطير جدا له تبعاته الخطيرة وثمراته المرة وعواقبه الوخيمة ٠ رغــم مصادمتــه للنصوص الشــرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها والقيام بالاعمال التي تخصها فيه ٠

ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الإختلاط من المفاسد التي لا تحصــى ، فلينظر الى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيــم اختيارا أو اضطرارا ، بانصاف من نفسه وتجرد للحق عما عداه ، يجد التذمر علــى المستوى الفردي والجماعي والتحسر على انفلات المرأة من بيتها وتفكــك الاسر ، ويجد ذلك واضحا على لسان الكثير من الكتاب بل في جميع وســائل الاعلام، وما ذلك الا لان هذا هــدم للمجتمع وتقويض لبنائه ٠

والادلة الصحيحة الصريحة الدالـة على تحريم الخلوة بالاجنبية ، وتحريم النظر اليها ، وتحريم الوسائل الموصلة الى الوقوع فيما حرم الله ، أدلة كثيرة قاضية بتحريم الاختلاط ، لانـه يؤدي الى ما لا تحمد عقباه ٠

مملكة المرأة :

واخراج المرأة من بيتها الذي هــو مملكتها ومنطلقها الحيوي في هــذه الحياة ، اخراج لها عما تقتضيه فطرتها وطبيعتها التي جبلها الله عليها ٠

فالدعوة الى نزول المرأة في الميادين التي تخص الرجال ، امر خطير علــى المجتمع الاسلامي ومن أعظم آثــاره الاختلاط الذي يفتك بالمجتمع ويهــدم قيمه وأخلاقه ٠

لسماحه معالي الشيخ :

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية
والافتاء والدعوة والارشـاد
بالمملكة العربية السـعودية

ومعلوم أن الله تبارك وتعالى جعل للمرأة تركيبا خاصا يختلف تماما عن تركيب الرجل ، هيأها به للقيام بالاعمال التي في داخل بيتها والاعمال التي بين بنات جنسها ·

ومعنى هذا : ان اقتحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم ، يعتبر اخراجا لها عن تركيبها وطبيعتها ، وفي هذا جناية كبيـــرة على المرأة ، وقضـــــاء على معنويتها وتحطيم لشخصيتها ، ويتعدى ذلك الى أولاد الجيل من ذكور واناث ، لانهم يفقدون التربية والحنان والعطف، فالذي يقوم بهذا الدور وهو الام قـــد فصلت منه وعزلت تماما عن مملكتها ، التي لا يمكن أن تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة ، الا فيها وواقع المجتمعات التي تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول ·

نظام المجتمع الاسلامي :

والاسلام جعل لكل من الزوجيــــــن واجبات خاصة ، على كل واحد منهما أن يقوم بدوره ليكتمل بذلك بناء المجتمع في داخل البيت وفي خارجه ·

فالرجل يقوم بالنفقة والاكتســاب ، والمرأة تقوم بتربية الاولاد والعطــف والحنان والرضـــــاعة والحضانة ،

والاعمال التي تناسبها لتعليم الصغار ، وادارة مدارسهن والتطبيب والتمريض لهن . ونحو ذلك من الاعمال المختصة بالنساء · فترك واجبات البيت من قبل المراة يعتبر ضياعا للبيت بمن فيه· ويترتب عليه تفكك الاسرة حسيا ومعنويا . وعند ذلك يصبح المجتمع شكلا وصورة لا حقيقة ومعنى ·

قال الله جل وعلا « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ على النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّٰهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ ، وبِمَا أنفقوا من أموالهم » النساء . ٣٤ ·

فسنة الله في خلقه أن القوامة للرجل على المراة وللرجل فضل عليها كما دلت الاية الكريمة على ذلك · وامر الله سبحانه للمراة بقرارها في بيتها ونهيها عن التبرج معناه النهي عن الاختلاط وهو اجتماع الرجال بالنساء الاجنبيات في مكان واحد ، بحكم العمل او البيع او الشراء او النزهه او السفر او نحو ذلك . لان اقتحام المراة في هذا الميدان يودي بها الى الوقوع في المنهي عنه . وفي ذلك مخالفة لامر الله وتضييع لحقوق الله . المطلوب شرعا من المسلمة ان تقوم بها ·

الاختلاط ومصائبه :

والكتاب والسنه دلا على تحريم الاختلاط ، وتحريم جميع الوسائل المؤديه اليه . قال الله جل وعلا : « وَقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى . وأقِمْنَ الصلاة وآتِينَ الزكاة ، وأطِعْنَ الله ورَسُولَه انما يريد الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البيْتِ ويطَهِّرَكُمْ تطهيرًا . واذْكُرْنَ ما يُتلى في بيوتكن منْ آيات الله والحِكْمة أن الله كان لطيفا خبيرا » الاحزاب : ٣٣-٣٤ ، فامر الله أمهات المؤمنين - وجميع المسلمات والمؤمنات داخلات في ذلك - بالقرار في البيوت ، لما في ذلك من صيانتهن وابعادهن عن وسائل الفساد، لان الخروج لغير حاجة قد يفضي الى التبرج كما قد يفضي الى شرور أخرى، ثم أمرهن بالاعمال الصالحة التي تنهاهن عن الفحشاء والمنكر ، وذلك باقامتهن الصلاة وايتائهن الزكاة وطاعتهن لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم وجههن الى ما يعود عليهن بالنفع في الدنيا والآخرة . وذلك بأن يكن على اتصال دائم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة . اللذين فيهما ما يجلو صدأ القلوب ويطهرها من الارجاس والانجاس ويرشد الى الحق والصواب ·

وقال الله تعالى « يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرَفنَ فلا يُؤذَيْنَ وكان الله غفورا رحيما » الاحزاب : ٥٩ ، فامر الله نبيه عليه الصلاة والسلام وهو المبلغ عن ربه أن يقول لازواجه وبناته وعامة نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، وذلك يتضمن ستر باقي أجسامهن بالجلابيب وذلك اذا أردن الخروج لحاجة لئلا تحصل لهن الاذية من مرضى القلوب ، فاذا كان الامر بهذه المثابة ، فما بالك بنزولها الى ميدان الرجال واختلاطها معهم وابداء حاجتها اليهم بحكم الوظيفة ، والتنازل عن كثير من أنوثتها لتنزل في مستواهم وذهاب كثير من حيائها ليحصل بذلك الانسجام بين الجنسين المختلفين معنى وصورة·

وقال الله جل وعلا « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن » الخ الاية الكريمة : النور ٣٠ـ٣١ ٠

يامر الله نبيه عليه الصلاة والسلام ان يبلغ المؤمنين والمؤمنات ان يلتزموا بغض البصر وحفظ الفرج عن الزنا، ثم اوضح سبحانه ان هذا الامر ازكى لهم ٠ ومعلوم ان حفظ الفرج من الفاحشة انما يكون باجتناب وسائلها ولا شك ان اطلاق البصر واختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها من اعظم وسائل وقوع الفاحشة ٠ وهذان الامران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه وهو يعمل مع المرأة الاجنبية كزميلة او مشاركة في العمل له ٠ فاقتحامها هذا الميدان معه او اقتحامه الميدان معها لا شك انه من الامور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج والحصول على زكاة النفس وطهارتها ٠

وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وعدم ابداء الزينة الا ما ظهر منها ٠ وأمرهن الله باسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها لان الجيب محل الرأس والوجه ٠ فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج وعدم ابداء الزينة عند نزول المرأة ميدان الرجال واختلاطها معهم في الاعمال ٠ والاختلاط كفيل بالوقوع في هذه المحاذير ٠ وكيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها

وهي تسير مع الرجل الاجنبي جنبا الى جنب بحجة انها تشاركه في الاعمال او تساويه في جميع ما يقوم به ٠

والاسلام حرم جميع الوسائل والذرائع الموصلة الى الامور المحرمة ٠ وكذلك حرم الاسلام على النساء خضوعهن بالقول للرجال لكونه يفضي الى الطمع فيهن كما في قوله عز وجل « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض » الاحزاب ٠ ٣٢ . يعني مرض الشهوة ٠ فكيف يمكن التحفظ من ذلك مع الاختلاط ٠

المحظور واقع لا محالة :

ومن البدهي انها اذا نزلت الى ميدان الرجال لا بد أن تكلمهم وأن يكلموها ولا بد أن ترقق لهم الكلام وأن يرققوا لها الكلام . والشيطان من وراء

ذلك يزين ويحسن ويدعو الى الفاحشة حتى يقعوا فريسة له · والله حكيم عليم حيث أمر المرأة بالحجاب،وما ذاك الا لان الناس فيهم البر والفاجر والطاهر والعاهر فالحجاب يمنع ـ باذن الله ـ من الفتنة ويحجز دواعيها وتحصل به طهارة قلوب الرجال والنساء والبعد عن مظان التهمة . قال الله عز وجل « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » الاحزاب : ٥٣ · وخير حجاب المرأة بعد حجاب وجهها وجسمها باللباس هو بيتها ·

وحرم عليها الاسلام مخالطة الرجال الاجانب لئلا تعرض نفسها للفتنة بطريق مباشر أو غير مباشر · وأمرها بالقرار في البيت وعدم الخروج منه الا لحاجة مباحة مع لزوم الادب الشرعي وقد سمى الله مكث المرأة في بيتها قرارا وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانشراح لصدرها · فخروجها عن هذا القرار يفضي الى اضطراب نفسها وقلق قلبها وضيق صدرها وتعريضها لما لا تحمد عقباه ·

[illegible]

ونهى الاسلام عن الخلوة بالمرأة الاجنبية على الاطلاق الا مع ذي رحم محرم وعن السفر الا مع ذي رحم محرم سدا لذريعة الفساد وأغلاقا لباب الاثم وحسما لاسباب الشر وحماية للنوعين من مكايد الشيطان ولهذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ما نزلت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « اتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء » ·

وقد يتعلق بعض دعاة الاختلاط . ببعض ظواهر النصوص الشرعية . التي لا يدرك مغزاها ومرماها الا من نور الله قلبه . وتفقه في دين الله وضم الادلة الشرعية بعضها الى بعض . وكانت في تصوره وحدة لا يتجزأ بعضها عن بعض ،ومن ذلك خروج بعض النساء مع الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ·

والجواب عن ذلك أن خروجهن كان مع محارمهن . لمصالح كثيرة لا يترتب عليه ما يخشى عليهن منه من الفساد . لايمانهن وتقواهن. واشراف محارمهن عليهن . وعنايتهن بالحجاب بعد نزول آيته . بخلاف حال الكثير من نساء العصر . ومعلوم أن خروج المرأة من بيتها الى العمل يختلف تماما عن الحالة التي خرجن بها مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزو .فقياس هذه على تلك يعتبر قياسا مع الفارق ، وايضا فما الذي فهمه السلف الصالح حول هذا ـ وهم لا شك أدرى بمعاني النصوص من غيرهم وأقرب الى التطبيق العملي بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فما هو الذي نقل عنهم على مدار الزمن . هل وسعوا الدائرة كما ينادي دعاة الاختلاط . فنقلوا ما ورد في ذلك الى أن تعمل المرأة في كل ميدان من ميادين الحياة مع الرجال تزاحمهمويزاحمونها وتختلط معهم ويختلطون معها . أم انهم فهموا

ان تلك قضايا معينة لا تتعداهـــا الى غيرها ٠

واذا استعرضنا الفتوحات الاسلامية والغزوات على مدار التاريخ ، لم نجد هذه الظاهرة ، أما ما يدعى في هـــذا العصر من ادخالها كجندي يحمـــل السلاح ويقاتل كالرجل ، فهو لا يتعدى أن يكون وسيلة لافساد وتذويب أخـلاق الجيوش باسم الترفيه عن الجنود ، لان طبيعة الرجل اذا التقت مع طبيعة المرأة، كـــان منهما عند الخلوة ما يكون بين كل رجل وامرأة ، من الميل والانـــس والاستراحة الى الحديث والكلام ،وبعض الشيء يجر الى بعض ، واغلاق بـاب الفتنة أحكم وأحزم ، وأبعد من الندامة في المستقبل ٠

فالاسلام حريص جدا على جلــب المصالح ودرء المفاسد ، وغلق الابـواب المؤدية اليها ، ولاختلاط المرأة مـــع الرجل في ميدان العمل تاثير كبيـر في انحطاط الامة وفساد مجتمعها كما سبق لان المعروف تاريخيا عن الحضـــارات القديمة ، الرومانية واليونانية ونحوهما ان من أعظم اسباب الانحطاط والانهيار الواقع بها ، هو خروج المرأة مـــن ميدانها الخاص الى ميـــدان الرجال ومزاحمتهم ، مما أدى الى فساد أخلاق الرجال ، وتركهم لما يدفع بأمتهـــم الى الرقي المادي والمعنوي ، وانشـــغال المرأة خارج البيت يؤدي الى بطالة الرجل وخسران الامة انسجام الاسرة وانهيار صرحها ، وفساد أخلاق الاولاد ، ويؤدي الى الوقوع في مخالفة ما أخبر الله به في كتابه من قوامة الرجل على المراة ٠

وقد حرص الاسلام ان يبعد المراة عن جميع ما يخالف طبيعتها ، فمنعها مـن تولي الولاية العامة كرئاســـة الدولة والقضاء ، وجميع ما فيه مسؤوليـــات عامة ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، لن يفلـــح قوم وَلوّا امرهم امراة ، رواه البخاري في صحيحه ٠ ففتح الباب لها بان تنزل الى ميدان الرجال ، يعتبـــر مخالفا لما يريده الاسلام من سعادتهـــا واستقرارها ٠ فالاسلام يمنع تجنيـــد المراة في غير ميدانها الاصيل ٠ وقـــد ثبت من التجارب المختلفة وخاصة في المجتمع المختلط ان الرجـــل والمراة لا يتساويان فطريا ولا طبعيا ، فضلا عما ورد في الكتاب والسنة واضحا جليا في اختلاف الطبيعتين والواجبين ٠ والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف المنشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبيـن بالرجل، يجهلون او يتجاهلون الفوارق الاساسية بينهما ٠

لقد ذكرنا من الادلة الشرعية والواقع الملموس ، ما يدل على تحريم الاختلاط ، واشتراك المرأة في أعمال الرجال مما فيه كفاية ، ومقنع لطالب الحق ، ولكن نظرا الى ان بعض الناس قد يستفيدون من كلمات رجال الغرب والشرق ، أكثر مما يستفيدون من كلام الله وكـــلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكـــلام علماء المسلمين ، رأينا ان ننقل لهم ما يتضمن اعتراف رجال الغرب والشـــرق بمضار الاختلاط ومفاسده ، لعلهـــم يقتنعون بذلك ٠ ويعلمون أن ما جاء به دينهم العظيم من منع الاختلاط هـــو عين الكرامةوالصيانة للنساء وحمايتهن من وسائل الاضرار بهن والانتهـــاك لاعراضهن ٠

قالت الكاتبة الانجليزية الليدي كول .

ان الاختلاط يالفه الرجال . ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها . وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا . وههنا البلاء العظيم على المرأة . الى أن قالت علموهن الابتعاد عن الرجال أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد .

وقال شوبنهور الالماني

قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا . الذي دعا المرأة لمشاركة الرجل في علو مجده وباذخ رفعته . وسهل عليها التعالي في مطامعها الدنيئة حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها ودنيء آرائها .

وقال اللورد بيْرُون

لو تفكرت أيها المطالع . فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان . لوجدتها في حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة . ولرأيت معي وجوب اشغال المرأة بالاعمال المنزلية مع تحسن غذائها وملبسها فيه . وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير - ا. هـ .

وقال ساموئيل سمايلس الانجليزي :

ان النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل ، مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد ، فان نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ، لانه هاجم هيكل المنزل وقوض أركان الاسرة ، ومزق الروابط الاجتماعية ، فانه يسلب الزوجة من زوجها ، والاولاد من أقاربهم ، صار بنوع خاص لا نتيجة له الا تسفيل أخلاق المرأة ، اذ وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية ، مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها ، مع القيام بالاحتياجات البيتية . ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات . بحيث أصبحت المنازل غير المنازل وأضحت الاولاد تشب على عدم التربية . وتلقى في زوايا الاهمال . وأطفئت المحبة الزوجية . وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل ، وصارت زميلته في العمل والمشاق ، وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالبا التواضع الفكري والاخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة .

وقالت الدكتورة ايدايلين :

ان سبب الازمات العائلية في امريكا وسر كثرة الجرائم في المجتمع . هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الاسرة ، فزاد الدخل وانخفض مستوى الاخلاق ، ثم قالت ان التجارب ، أثبتت أن عودة المرأة الى البيت هو الطريقة الوحيدة لانقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه .

وقال أحد أعضاء الكونجرس الامريكي :

ان المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقا ، اذا بقيت في البيت الذي هو كيان الاسرة .

وقال عضو آحر

ان الله عندما منح المرأة ميزة انحاب
لاولاد . لم يطلب منها ان تتركهم لتعمل
ي الحارج . بل حمل مهمتها البقاء في
مزل لرعاية هؤلاء الاطفال .

وقال شوبنهور الالماني أيضا

اتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة
.ون رقيب . ثم قابلوني بعد عام لتروا
نتيحة . ولا تنسوا أنكم سترثون معي
فضيلة والعفة والادب . واذا مـــت
تولوا أحطأ أو أصاب كبد الحقيقة .

ذكر هذه النقول الدكتور مصطفـى
سني السباعي رحمه الله في كتابـــه
لراة بين الفقه والقانون .

ولو أردنا أن نستقصي ما قالـــــه
صفو الغرب في مضمار الاختلاط .
ذي هو نتيجة نزول المرأة الى ميـدان
مال الرجال لطال بنا المقال . ولكـن
إشارة المفيدة تكفي عن طول العبارة .

والخلاصة ان استقرار المرأة في بيتها
القيام بما يجب عليها من تدبيره .بعد
قيام بأمور دينها . هو الامر الـــذي
اسب طبيعتها وفطرتها وكيانها . وفيه
صلاحها وصـــــلاح المجتمع وصـــلاح
الناشئة . فان كان عندها فضل وقت ففي
الامكان تشغيلها في الميادين النسائيـة
كالتعليم للنساء والتطبيب والتمريـــض
لهن ونحو ذلك . مما يكون من الاعمال
النسائية . في ميادين النساء كمـــــا
سبقت الاشارة الى ذلك . وفيها شـغل
لهن شاغل وتعاون مع الرجال في أعمال
المجتمع وأسباب رقيه . كل في جهـة
اختصاصه . ولا ننسى هنا دور أمهات
المؤمنين رضي الله عنهن ومن سار في
سبيلهن . وما قمن به من تعليم للامـة
وتوجيه وارشاد . وتبليغ عن اللـــــه
سبحانه وعن رسوله صلى الله عليـه
وسلم . فجزاهن الله عن ذلك خيراً .
وأكثر في المسلمين اليوم امثالهن مع
الحجاب والصيانة والبعد عن مخالطـة
الرجال في ميدان أعمالهم .

والله المسئول أن يبصـــــر الجميع
بواجبهم . وان يعينهم على أدائـه على
الوجه الذي يرضيه . وان يقي الجميع
وسائل الفتنة وعوامل الفساد ومكايـد
الشيطان . انه جواد كريم وصلى اللـه
وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد
واله وصحبه .

حمة الله قريب من المحسنين » .
فان كنت من المحسنين فارحمني.وان
أكن من المحسنين . فقد قلت :«وكان
لمؤمنين رحيما » فارحمني.وان لم أكن
ن المؤمنين فانت أهل التقوى . وأهـل
لغفرة . فاغفر لي .

وان لم أكن مستحقا لشيء من ذلك،
فانا صاحب مصيبة . وقد قلت : «الذين
اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة وأولئك هـم المهتدون » .
اللهم فارحمني .

«وأن تصوموا خير لكم»

في الأوساط العلمية والطبية .. تتجلى بعض فوائد الصيام

ليس فقط في عالم الإنسان بل أيضًا في عالم الحيوان

تقول الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام اخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون» البقرة : ١٨٣ـ١٨٤

على اننا نرى انه من الاوفق في هذه الدراسة القصيرة ان نلتزم بزاوية محددة من زوايا هذا الموضوع الهام ، وان نتناول في هذه الزاوية الصيام من وجهة النظر العلمية ، وبما يتلاءم وحكمته في صلاح الابدان ، وتنظيم مئات العمليات الفسيولوجية ، وآلاف التفاعلات الكيميائية التي تنطلق في اجسامنا آناء الليل وأطراف النهار ، تاركين لغيرنا المجال في شرح فوائد الصيام من الناحية الدينية أو الروحية او النفسية ، او اي تخصص آخر يبرع فيه ذووه ، فيضيفون الى معارفنا عن الصوم ما فيه فائدة ديننا ودنيانا ٠

★ ● ★

في الاوساط العلمية والطبية تتجلى بعض فوائد الصيام ليس فقط على مستوى المسلمين الذين يصومون شهر رمضان ، وليس أيضا على مستوى كل البشر من مختلف الملل والنحل ، ولكن على مستوى الكائنات التي لا تدين بدين ولا تفكر بعقل ، بل ان أمرها بالتوقف أو الصوم عن الطعام يأتيها من خالقها

على هيئة نظام دقيق كامن في تكوينها العظيم . وهو تكوين فذ تحكمه نواميس هذا الكون البديع الذي أوحاه الله في السماوات والارض ٠٠ فكما أوحى الله في كل سماء أمرها . بدليل قوله تعالى « فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها » فصلت : ١٢ . وكما أوحى الله الى النحل آمره في قوله عز من قائل «وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ٠ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا » النحل : ٦٧ـ٦٨ . وكما أوحى الى الارض أن تتبع أوامره التي سيرها فيها « وأخرجت الارض اثقالها ٠ وقال الانسان مالها ٠ يومئذ تحدث اخبارها بأن ربك أوحى لها » الزلزلة : ٢ـ٥ ٠

كذلك أوحى الله الى كثير من الكائنات أن تصوم عن الطعام أو الشراب أو كليهما معا . لتتخطى أزمة طارئة . أو أمراضا عارضة . وهذا دليلنا على حكمة الصيام . ليس فقط في عالم الانسان . بل أيضا في عالم الحيوان ٠

ان الوحي هنا قد يتخذ معاني عدة وهو ـ كما رأينا في الآيات السابقة ـ يدل على انه قد يكون وحي نظام تقوم على أساسه الارض والسماوات كما تقوم عليه أيضا كل الكائنات . وهو ما يعرفه العلماء على انه قوانين أو نواميس راسخة من أجل صلاح الكون والحياة . فاذا أريد لنظام أن يقوم . أو

يزول . او يسير الى قدر معلوم . قال الله سبحانه وتعالى يوحي او يضع فيه العوامل او القوانين التي يتعامل معها العلماء فيكتشفون فيها بديع صنع الله « الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى » الاعلى ٢ـ٤ . واحيانا ما يتقابل العلماء مع ظواهر او افعال مثيرة عبر معهومة تقوم بها الكائنات الحية تلقائيا . وعندما لا يستطيع العقل البشري تحليلها . او معرفة الدوافع الكامنة وراءها . فانه لا يجد امامه شرحا بديلا الا ان يطلق عليها اسم « الغريزة » . والغريزة لفظ بديل عن جهلنا بما هو كائن او يكون . وهذه تظهر لنا في الحيوان اذا صام لفترة محدودة عن الطعام . فاذا جاء طعامه . عافه واشاح بوجهه . ولا يزال كذلك حتى يسترد صحته . او يبل من مرضه .

الصوم : في المرض والسفر :

مثل هذه الملاحظة العابرة في دنيا غير دنيا الانسان . توضح لنا معنى جزء عميق من الآية التي تشير الى جواز الافطار في حالة المرض أو السفر . ثم اذ بها تقول أيضا « وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » .. وجواز الصيام أثناء المرض مختوم بالقول الكريم « ان كنتم تعلمون » .. ومن هذا المنطلق ـ منطلق ان كنا نعلم ـ نستطيع أن نقدم حكمة الصيام كما نراها في المجالات العلمية والطبية ..

فالذين يعلمون شيئا من أحكام الجسم الحي ونواميسه ـ وهم جماعة العلماء والاطباء ـ يعرفون أن الامتناع عن الطعام لفترات محدودة يساعد على شفاء بعض الامراض ، وان شريعة الصيام التي كتبها الله على عباده من قديم الزمن هي خير وسيلة لضبط النفس والبدن .. في الصحة والمرض .

فكثير من الامراض ـ خاصة أمراض عصرنا الحديث ـ تنشأ من كثرة الطعام . وفي هذا المعنى يشير الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى ذلك في الحديث الشريف : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » .. وقوله « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » .. ذلك أن الطعام الزائد عن الحاجه يزيد من أعباء الجسم . ويحمله ما لا طاقة له به .

لا أحد يستطيع أن ينكر حاجة الجسم الى الراحة والاستجمام بعد فترات من العمل الشاقة . وكذلك يكون الامر مع جهازنا الهضمي ، اذ منه تنشأ معظم الامراض ، وهو أيضا في حاجة الى راحة واستجمام ، لان عملية الهضم من أشق العمليات الفسيولوجية التي تقوم بها المعدة والامعاء . والصيام خير وسيلة لاعطاء هذا الجهاز حقه . فان أعطيناه هذا الحق . أعطانا حقنا في الحياة دون آلام أو معاناة .

فوائد الصوم طبيا :

والحق ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان سباقا الى ذلك . ففي حديث شريف يقول « المعدة بيت الداء . والحمية راس الدواء » . ولقد شرع الحق تبارك وتعالى الصيام وكتبه علينا وعلى الذين من قبلنا لما فيه من حكم وفوائد وأحكام . فهو ركن من أركان العبادة ، كما أنه يقوي الارادة ،ويحول بيننا وبين العادات الضارة ، ويعلمنا الانضباط في كثير من أمور الحياة ، كما أنه يعطي لاجهزة الجسم حقها في الراحة ، حتى تستطيع أن تؤدي وظائفها على أكمل وجه .

ومما يؤيد ذلك من علومنا الحديثة، نذكر هده الحقيقة المثيرة التي توصل اليها دكتور يوري نيكولاييف مدير وحدة الصوم بمعهد علمالطب النفسي بموسكو ـ (لاحظ ان الصوم له وحدات علمية للبحث والدراسة) ـ . وفيها يذكر انه خلال تعامله ـ في غضون ثلاثين عاما ـ مع اكثر من عشرة الاف حالة صوم أو امتناع عن الطعام لفترات محددة (بأمر الطبيب أو تطوعا) . لاحظ ان اجهزة المناعة أو الدفاع الكائنة في الجسم كانت تنشط وتتحرك أثناء الصوم ، وتقضي على كثير من الامراض ٠

ومن قديم الزمن قال أبوقراط ـ أبو الطب ـ « ان كل انسان يمتلك في داخله طبيبا . وعلينا أن نساعد هذا الطبيب في عمله . وان تأكل وأنت مريض ، فأنت غالبا تغذي مرضك » ٠٠ وهو يقصد بذلك ان الامتناع عن الطعام ـ في بعض الامراض ـ يساعد على الشفاء . وأن الاكل يؤخره . ولقد اكتشف الانسان ـ من قديم الزمن ـ هده الحقيقة ـ ايضا عند كثير من الحيوانات . فهي بدورها تمتنع عن الطعام اذا مرضت . دون ان تستشير طبيبا . أو تستمع الى نصيحة . بل ان النصيحة تاتيها وحيا او الهاما من خالقها الذي تكفل بها . ويسر لها سبل حياتها . في الصحة والمرض ٠٠ ثم ياتي القول الفصل للانسان في ذلك «وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون»

والواقع ان الطعام ليس كله خيرا . بل تكمن فيه عوامل مرضنا وصحتنا وضعفنا وقوتنا . وتجدد خلايانا وشيخوختها . وكلما زاد الطعام عن حدوده . زادت العوامل الضارة على العوامل النافعة . الا اننا لا نستطيع ان نتناول هذا الامر هنا لضيق المجال . لكن يكفي ان نذكر ان الله سبحانه وتعالى أعلم بالعباد . وأدرى بما يجري في الاجسام.ومن اجل هذا شرع الصيام وفيه يرى اهل التخصص في علومالدين ما فيه من صلاح للانسان . في حين أن الطب النفسي يرى فيه فوائد اخرى . وكذلك يستخلص منه رجل العلم ما يؤكد احكام الدين . وهنا نستطيع أن نقول ان العلم والدين يلتقيان دائما . فلا دين بغير علم . ولا علم بغير دين !

في عالم الكائنات الدقيقة يلاحظ العلماء مثلا ملاحظة مثيرة . اذ كلما زاد الطعام تكاثرت هده المخلوقات سريعا وماتت ايضا سريعا . فمع كثرة الطعام . تنطلق السموم . فتوقف النشاط . وتؤدي الى الهبوط . وتسرع بالموت ٠

ونواميس الحياة هنا لا تفرق بين كائنصغير والخر عظيم . بل ان الكائنات جميعها ـ وكما يراها العلماء التجريبيون ـ تخضع لاحكام موحدة . ومن أجل هذا نرى أن الانسان الشره لا يعمر طويلا . هذا بعكس الانسان العفيف النحيف . ولا شك أن الاحصائيات البيولوجية تؤكد ذلك . فكثير من الكائنات الحية تمرت أسرع من خلال بطونها . ولكي نعصم البطون من شرورها . فلا بديل عن الصيام ٠

وهناك أدلة علمية كثيرة تؤيد ذلك، لكن يكفي أن نقدم هنا حالة واحدة . فها هو ذا دكتور س٠ م٠ ماكاي من جامعة كورنيل يثبت من خلال تجاربه التي استمرت سنين طويلة « أن الفئران النحيفة تدفن الفئران البدينة » !

وطبيعي أن ماكاي يقصد بذلك أن الفئران التي لا تاكل حتى تشبع ، أو تلك التي يجعلها تصوم عن الطعام والشراب لفترات أطول من رفاقها ، كانت تعيش أكثرمن فئران تأكل كل الوجبات التي تحتوي على كل ما لذ وطاب (فيأعين

تشير الأبحاث العلمية والطبية الى فوائد الصيام التي قررتها الأديان.. فهي ترى فيه راحة للجسم من معاناة الطعام

الفئران طبعا) ٠٠ وفي واحدة من هذه التجارب يتبين أن الفئران العادية ، أي التي كانت تعيش على هواها ، بدأت تدخل سني الشيخوخة أو الكهولة بعد حوالي ٩٦٠ يوما (أي حوالي ٢ر٦ سنة) ، في حين أن التي جعلها «تصوم» عن أطايب الطعام ، وتحصل فقط على ما يقيم أودها ، قد بدأت تهرم بعد أربع سنوات ٠٠ ولو ترجمنا ذلك في حالة الانسان ، لتبين لنا أن ذلك قد يطيل عمره ما بين مائة الى ١٥٠ عاما ٠٠ هذا ومما يذكر أن المعمرين من البشر يمكن أن يصلوا الى هذا العمر الطويل، لو أنهم كانوا معتدلين في طعامهم وشرابهم وفي كل شئون حياتهم ، وفي هذا المعنى أيضا يبرز حديث الرسول الكريم « خير الامور الوسط » ويقول الله جل شأنه « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » الاعراف ٣١ . ويقول . « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » الاسراء : ٢٩ . وهو في هذا يشير الى الاعتدال في كل أمر من أمرر الحياة ٠

هذا وتشير المراجع العلمية والطبية الى فوائد الصيام التي قررتها الاديان . وتؤكد هذه الفوائد عن طريق التجربة المقننة . والبحث العلمي الاصيل . فهي ترى في الصوم ـ كل فترة زمنية ـ فائدة لاراحة الجسم من معاناة الطعام، والعلماء يستندون في ذلك الى أن الانسان (وأيضا كل كائن حي) يحمل في جسمه عوامل حياته وفنائه ، وأن كثرة الطعام تسرع بالجسم الى الملل والشيخوخة والضعف والموت . ولهذا يطلق بعضهم على الصيام انه « الغذاء الامثل » ٠٠ ففيه يتخلص الجسم من السموم الناتجة من عمليات الهضم . صحيح ان هذه السموم لا تكاد تظهر أو تبين . لان تركيزاتها جد ضئيلة ٠٠ لكن اعطها عمرا . تعطي الكائن الحي مزيدا من الضعف والشيخوخة والموت . أو كما يعبر عن ذلك واحد من العلماء « نحن نموت كل يوم قليلا قليلا » ! ٠

والجسم الحي ـ كما أظهرت البحوث العلمية والطبية ـ يحمل في ثناياه أيضا النظم الكفيلة بالاشراف على موازين مدخراته من سوائل وطعام . فالجوع أثناء الصيام انما هو جوع وقتي . بمعنى أن فترة الجوع تتبعها فترة شبع ، والشبع لا يأتي من لا شيء ٠٠ صحيح أن الانسان (أو أي كائن حي آخر) لم يتناول ـ في فترة الصوم ـ طعاما ، لكن الخالق العظيم لم يترك المخلوقات هكذا لتموت جوعا بمجرد

عباب الطعام . بل هو ـ بحكمته الخالدة ـ قد قدر لكل أمر مقاديره . ودبر لكل نظام قوانينه .فكانت لاجسامنا مدخراتها المختزنة . فاذا احست « الهيئة » العصبية المسئولة عن موازين الماء والطعام والاملاح (وهي جزء من المخ موجود في قاعة ويسمى تحت مهاد المخ) أن الكائن الحي ممتنع (اراديا أو لا اراديا) عن تموين الجسم بما يحتاج اليه . سارع باعطاء الاوامر العصبية والكيميائية والهرمونية لتستخدم بعض مدخرات الجسم من دهون وسكريات وبروتينات . لتهب الكائن الحي طاقته . ومن اجل هذا نرى الانسان مثلا يصمد للعطش ما بين يومين الى خمسة (يتوقف هذا على صحته وعلى المناخ والمجهود ٠٠ الخ) وللجوع ربما اسبوعين وثلاثة . واحيانا أربعة ٠٠ وهذا طبعا من رحمة الله بالعباد . حتى لا يقعوا صرعى من أول طرقة من طرقات العطش أو الجوع ٠٠

والامتناع عن الطعام (كما هو الحال في الصوم) لفترة . ثم تناول الطعام بعد ذلك بحساب ومقدار . يدفع الخلايا لتجديد نفسها . فهي تهدم مثلا بعض مدخراتها القديمة . وتعوضها بمدخرات جديدة . وفي الهدم والبناء تجدد . والتجديد في صالح الحياة على اية حال ! ٠٠

والموضوع بعد ذلك طويل ومتشعب ومثير . وكنا نود تقديم المزيد لولا ضيق المجال . لكن فيما قدمنا الكفاية. يتبين لنا منه ان الصيام شريعة الله . لصلاح النفس . وضبط الحياة !

وقع بين يدي كتاب علمي يتحدث عن الصيام من تاليف دكتور الان كوت مع اخرين . وعنوان هذا الكتاب « الصوم ٠٠ الغذاء الامثل » وفيه يتساءل لماذا يصوم الناس ؟

ويقدم فوائد الصوم في سبع وعشرين نقطة . ويتعرض لكل نقطة بالشرح والتنقيح . ويذكر ضمن ما يذكر من هذه الفوائد ان الصوم يشعرك بأنك تبدو أصغر عمرا (بالنسبة لمن لا يصومون مع اخذنا في الاعتبار العوامل الاخرى) ويجعلك تحس أنك أكفأ ذهنيا، وانشط جسميا . وينظف جسدك من الادران، . ويخفض ضغط الدم . ويقلل نسبة الكوليسترول فيه . ويبعدك عن العادات الضارة (التدخين والمشروبات غير المرغوب فيها) . ويعطي للبدن فرصة ذهبية في مداواة ذاته . ويخفف التوتر والقلق . ويجعلك تنام أهدأ ، وتهضم الطعام أكفأ . وينظم عمل الامعاء . ويشعرك بالخفة والرشاقة ، ويجعل الفكر أنشط ، والحواس أكثر يقظة وحدّة . ويعلمك الانضباط في مواعيد الطعام . ويقوي ارادتك ، ويبعدك عن تعاطي الادوية التي لا لزوم لها . ويساعدك على الشفاء من بعض أمراضك ، ويبطيء عمليات الشيخوخة، ويدفعك للتالف مع المجتمع الذي تعيش فيه . ويقوي عقيدتك . وينقي روحك ، ويسوي نفسك ٠٠٠ الخ ٠

ويستطيع علماء الدين أيضا أن يسوقوا لنا من فوائد الصيام في مجال العقيدة عشرات النقاط .وكذلك قد يفعل علماء الطب النفسي والاجتماع ٠٠ الخ

هذه ـ اذن ـ لمحات سريعة نعرضها عليك في بداية شهر رمضان ٠٠ شهر القرآن ٠٠ شهر الصيام ٠٠ شهر صيانة الروح والنفس والبدن من كثير من الادران . وما أكثر الادران التي يعيش فيها الناس هذه الايام ٠ « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ٠

القرآن والعمل

لفضيلة الشيخ :
عبد الله كنون
رئيس رابطة علماء المغرب

تحت هذا العنوان كتب مؤلف كتيب : « هل يمكن الاعتقاد بالقرآن » فصلا استهله بما سماه بديهية وهو قوله : « ان كل ما يوجد على وجه الارض يعد من صنع يد الانسان وعقله ، كما هو معلوم »ونجد أنفسنا مضطرين لنقض بديهيته هذه ببديهية حقيقية لا يمارى فيها مؤمن ولا ملحد ، وهي أن من جملة الاشياء الموجودة على ظهر الارض الانسان نفسه ، فهل هو الذي صنع نفسه بيده وعقله ؟ ومتى كان ذلك ؟ وأين ؟ وكيف ؟

أسئلة نوجهها الى الفيلسوف « رحمانوف » منتظرين جوابه الذي يحل جميع المشاكل على الطريقة الشيوعية ·

واذا كان أول الدَّنِّ درديا كما يقول المثل ، فلا نتوقع أن نرى في هذا الفصل أحسن من هذه البداية السيئة ، وهكذا بعد أن يتساءل المؤلف عن موقف القرآن من العمل يقول :

« القرآن ينكر أن العمل هو العقاب الذي جازى الله به الانسان على خطاياه ثم يستدل بالآية ٥٦ من سورة الذاريات التي تقول : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وهذا كلام غامض يظهر أن المؤلف سمعه من أحد المبشرين المسيحيين أو قرأه في كتاب من كتبهم ولم يفهمه فنقله على ما سمعه ، وكيفما كان الامر فقد طبق عقيدة المسيحيين في الخطيئة الاولى أو الكبرى كما يسمونها ، على الاسلام وحيث أن المسيحيين يعتقدون أن صلب المسيح كان هو الكفارة عن هذه الخطيئة فقد ظن هو أن الاسلام جعل العبادة ، وهي « العمل » في نظر المؤلف عقابا للانسان على خطاياه ·

في خبط هذا . وما هي العلاقة بين العمل والعبادة حتى تجعل العبادة هي كل العمل ؟ ومن قال له ان العبادة في الاسلام هي عقاب للانسان على ما ارتكبه من الخطايا .

هنا نتبين أن المؤلف يهرف بما لا يعرف . فقد حمّل الاسلامَ على العقيدة المسيحية وهو براء منها بل هي من الاخطاء التي جاء الاسلام لتصحيحها يقول الله عز وجل في القرآن الكريم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » فضلا عن أن هذه الخطيئة لآدم قد غفرها الله لعبده منذ ادرك خطاه واستغفر ربه كما قال تعالى « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه . انه هو التواب الرحيم » البقرة ـ ٣٧

ثم ان العبادة ليست هي كل العمل، بل هي جزء قليل منه ومع ذلك فهي ليست عقابا وانما هي قربة من العبد له عز وجل وشكر له على نعمه التي لا تحصى واختصاص له بالعبودية التي يجب في شرع الاسلام ان لا تكون الا لله .

على أن العبادة في الآية الكريمة التي استشهد بها هذا المؤلف . انما هي توحيده عز وجل ومعرفته بصفاته العليا فالمحققون من المفسرين يقولون « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » أي الا ليوحدوني ويعرفوني .

فسقط كل ما هول به من كلام مدخول ملفق لا معنى له . لولا أن اخرجنا خباه وبينا زيفه .

بعد هذا يقول « ان من يأخذ بتعاليم القرآن . عليه أن لا يشتغل الا بعبادة الله . لكن كيف يمكن أن يعيش ؟ كيف يدبر المؤمن أمر معيشته ؟ الجواب حسب تعاليم الاسلام سهل جدا . وهو : « ان الله هو الرزاق » ان الاسلام وضع المؤمن أمام أحد أمرين . اما أن يشتغل بطلب الرزق ويكون حظه الحرمان في الآخرة . واما أن يقبل الحرمان في الدنيا ويكون جزاؤه الجنة في مملكة الله ويستشهد على قوله هذا بالآية الكريمة « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها . وما له في الآخرة من نصيب » الشورى ٢٠ .

وبما بيناه آنفا من أن المراد بالعبادة في قوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » هو معرفة الله تعالى وتوحيده . يبطل قوله هذا وما شيده عليه من ترهات لا حقيقة لها ، فان من يأخذ بتعاليم القرآن عليه أن يسهم بما فى استطاعته . في بناء مجتمع فاضل يقوم على العدالة الاجتماعية والاحسان في العمل ويمتنع هو كما يمنع غيره من المنكر والبغي وجميع الشرور . على حسب ما جاء في القرآن في آيات كثيرة من اكثرها دلالة على ذلك قوله تعالى « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي . يعظكم لعلكم تذكرون » النحل ٩٠ .
وليس عليه ان لا يشتغل الا بالعبادة كما زعم هذا المؤلف . كيف والقرآن يقول « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » الجمعة . ١٠ . فامر المؤمنين بمجرد انصرافهم من الصلاة أن ينتشروا في الارض طلبا للرزق . وذلك يكون بجميع أنواع العمل من صناعة وتجارة وفلاحة . وبالسفر والتنقل في البلاد جلبا وتصديرا لخيراتها ومنتجاتها على سبيل تبادل المنافع وتنمية الموارد، الى غير ذلك مما يدخل تحت هذه العبارة

القرآن يجعل أفضل

الفذة الجامعة : « فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » ولكن من أين للمؤلف أن يفهم سر البلاغة العربية والاعجاز في الاسلوب البياني للقرآن؟

طلب الرزق :

والمهم هو أن القرآن يحض على طلب الرزق ، ويأمر المؤمنين به أن ينصرفوا من الصلاة الى السعي في الارض لتدبير معيشتهم ، عكس ما ادعاه المؤلف من أنه انما يلزمهمبالعبادة ولا يدع لهم فرصة لطلب الرزق اعتمادا على أن الله عز وجل هو الرزاق ، فها هو ذا القرآن يكذبه ويعكس ما ادعاه ، فيجعل أفضل الوقت للعبادة وأكثره للعمل والسعي وتدبير المعيشة وذلك في يوم الجمعة وفي صلاتها المفروضة ، بل ان مما أبر به الاسلام على غيره من الاديان، وهو مما تدل عليه هذه الآية أنه لم يستثن حتى هذا اليوم الفاضل، أعني يوم الجمعة من طلب العمل فيه والسعي لتدبير المعيشة ، كما يستثني اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد . وانما أمر باقامة صلاته في الجماعة وهي لا تستغرق أكثر من نصف ساعة بما في ذلك شعائر صلاة الجمعة والخطبة قبل الصلاة ثم قال : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » فما أعظم الاسلام وأكثر تجاوبه مع مطالب الحياة ..

ومما يدخل في نطاق الحض على السعي في طلب الرزق قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من بات وانيا في طلب معيشة أهله ، بات مغفورا له » وبما سبق للمؤلف من أن الحديث ياتي في المرتبة الثانية بعد القرآن وانه المبين له ، يعلم أن قول المؤمنين ان الله هو الرزاق اعتمادا على تعاليم الاسلام ، ليس معناه ترك طلب الرزق ، ولكن الاعتقاد بأن ما يكسبه الانسان بعمله وكده هو من عطاء الله وفضله لانه رب العالمين وخالق الكون وما فيه ، وواهب القدرة على العمل ، فمرجع ذلك الى عقيدة الايمان والتوحيد التي هي جوهر الاسلام .

وقال عمر بن الخطاب وهو الذي انشأ الخلافة الاسلامية العظمى ،وليس هناك من يدعي اليوم أنه يفهم أمر الاسلام في هذا الصدد أكثر منه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ،وهو يقول : « اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » فطلب الرزق لا ينافي قول المؤمن : اللهم ارزقني ، وانما هو جمع بين الايمان والعمل وهذا لا يرقى اليه فهم الماديين المفتونين من أمثال المؤلف .

أما آية : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب » . فهي لم تنه عن حرث الدنيا وانما تلفت النظر الى أن العمل للدنيا يجب أن يكون مقرونا بالعمل للآخرة، فمن عمل لآخرته مع عمله لدنياه ، تطبيقا لتعاليم القرآن التي تحض على العمل لهما معا كما في الآية الاخرى :

وقت للعبادة وأكثره للعمل والسعي

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ،
تنس نصيبك من الدنيا » بارك الله
له وأعطاه من خير الدارين ومـــن
مر نظره على الدنيا ولم يعمل شيئا
ترته ، وأول عمل الآخرة الايمان ،
ه الله نتيجة عمله الدنيوي ولم يكن
في الآخرة حظ ولا نصيب ، فهي من
ب الحض على الجمع بين الايمـان
لعمل ، كالنصوص التي ذكرناها من
ن . وتعلق المؤلف بها كالتعلق بخيط
نكبـوت .

ويعود المؤلف الى الاسلام ، يخص
جاله بعد تعميم ، فيصفهـم بالخداع
خدير عقـــول الناس ، واختراع
اناشيد الدينية والدعوات ، لالهـاء
شعب ، وايهامه انه لا فائدة من العمل
ن الله هو مدبر الامور ، وكل شـيء
كتوب عنده في اللوح المحفوظ ، قائلاً :
ونحن نتساءل كيف يمكن للـه أن
تب في اللوح مسيرة الملايين من البشر
ذ بدء الخلق ؟ وما هو مقياس هذا
لوح السري ؟» ثم يعقب على ذلك
وله « ان جوا بالوعاظ المسلمين هو
ن الله وحده هو الذي يعرف سـر
ذه الامور » .

ونحن لا نجيب على ما يكيله لعلماء
دين الاسلامي من تهم وما يصفهم به
ن أوصاف نابية لا تصدر من رجـل
هذب ، لا ندري كيف انخرط في رجال
دبيلوماسية ، وهو بهذه الرعونـة

والسلوك المعوج ، ولكنا نرد عليـه
قوله : ان علمـــاء الدين الاسلامي
يوهمون الشعب انه لا فائدة من العمل»
فقد أثبتنا بالحجة القاطعة ان ذلـك
خلاف الحقيقة ، وان علماء هذا الدين
ما زالوا يحثون اتباعه على العمـل
والسعي اعتبارا بما جاء في كتاب الله
العزيز وسنة النبي صلى اللـه عليه
وسلم ، وتقدم بعض ذلك ، ومنه أيضا
قوله تعالى : « وقل اعملوا فسـيرى
الله عملكم ورسوله والمؤمنون » وقوله
صلى الله عليه وسلم : « لان يأخـذ
أحدكم حبله فيحتطب فيبيع فيأكل ، خير
له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »
وقول عمر بن الخطاب : اني لارى الرجل
فيعجبني . فأقول هل له حرفة فاذا قيل
لا ، سقط من عيني » والكلام في هـذا
الباب لا حصر له ..

وكون الله عز وجل هو مدبر جميع
الامور ، هو مما لا نزاع فيه عند جميع
المؤمنين الا الملاحدة الذين لا يؤمنـون
بشيء وهؤلاء لا يهموننا ما دامـت
الاكثرية الكاثرة من سكان المعمورة على
الايمان الراسخ والاعتقاد الجازم بأن
الله خالق الكون ومدبره ومصرف أموره
كما يشاء ويريد ، ومنذ كانت الدنيـا
وهي لا تخلو من طائفة من الجاحدين
والمنكرين لوجود الله وهم بمثابـة
الشذوذ الذي يثبت القاعدة والخارجين
على النظم والآداب العامة الذين ينبذهم

المجتمع ويتقيهم كما يتقي احـــدى الآفــات ·

ولما كان المؤلف لا يؤمن باللـــه ولا يعرفه فمن الطبيعي أن ينكر تصريفه للامور واثباته للمقادير في اللـــوح المحفوظ ·

ادراك ما خفي :

ثم اننا نقول للمؤلف : انْ كانـــت العقول الالكترونية وهي من صنـــع البشر تعد الملايين والبلايين من الاشياء وتضبطها ، فماذا يكون احصاء مسيرة الملايين من البشر بالنسبة الى خالـــق العقول البشرية وهو الله ·· ؟ امـــا مقياس هذا اللوح ، فانظر الى ســـعة الكون من الارض والسماء والكواكب والمجموعات الشمسية والمجـــرات وعظمتها التي يصفها العلمـــاء ، واستحضر عظمة خالقها وسعة قدرته . هل نستطيع أن ندركها وهي قريبة منا ؟ فكيف نستطيع أن ندرك ما خفي ؟

ولقد اصاب وعاظ المسلمين الذيـــن تندرت بهم ، فيما قلت انهم يجيبون به، من ان علم ذلك خاص بالله سبحانـــه وهو جواب مقتبس من الآية الكريمة « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر . وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبـــة في ظلماء الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » الانعام : ٥٩ ·

ويكرر المؤلف كلامه السابق في بلادة لا تحتمل ، عن القدرة والرزق والقسمة غير العادلة . ويقول : ان القرآن يأمر المستضعفين أن لا يشكوا حالهم ، ولا يحسدوا الاغنياء ، فقد جاء في القرآن الكريم : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم » طه : ٣١ ، ولو كان لهذا المؤلف ضمير حي لتقبل هـــذا النصح بأحسن التقبل ، فان هذه الحالة قائمة في كل المجتمعات ومنها الشيوعية وان خير ما تواجه به هو عدم التشوف الى الغير واطمئنان الانسان الى مـــا عنده . والا فان ما يسببه لنفســـه من انفعالات وما ينشأ عنده من الحسد لذلك الغير ، هو من الادواء التي يصعب علاجها ، وما زال الحكماء من قديم يوصون الانسان بأن ينظر الى منفوقه في العلم والفضل والى من تحتـــه في المال والجاه ، تفاديا لمثل هذه الحالة ، فالقرآن منهاج ديني اخلاقي تربـــوي لا يمكن أن يشذ عن هـــذه القاعدة ليكسب المؤمنين به طمانينة النفـــس وراحة البال ·

وقلت ان هذه الحالة لا يخلو منها حتى المجتمع الشيوعي وانا اعني ما أقول فهل يستطيـــع أن يثبـــت لي السيد (رحمانوف) ان لباس زوجه وحليهـــا هو ما تلبسه أي امرأة من عامةالشعب وتتحلى به ان كان لها حلي ؟

ويأتي المؤلف بعد ذلك بعبـــارة لا ندري من أين استقاها وهي قوله : « ان القرآن يحرم على المسلم العمل ويحـــل له التجارة » واذا كنا نتحداه أن ياتينا بنص قرآني أو اسلامي على العمـــوم بصدق قوله هذا ، فان في النصـــوص المتقدمة التي تحض على العمل وتطالب المسلم أن يسعى لكسب رزقه ، مـــا يكفي للرد عليه ، ثم نسأله : كيف أنشأ المسلمون حضارتهم التي استمدت منها الانسانية جمعاء ، وأسســـوا المدن ، وفتحوا اقطار العالم ، وحكموا الدنيـــا بالعدل والمساواة طوال عشرة قـــرون بل تزيد ؟ هل كان ذلك بالتجارة فقط ؟

أم بالعمل الذي يقول ان القرآن يحرمه عليهـــم ..

وهو يبني على ذلك فذلكة طويلة في الاشادة بالشيوعية التي يؤمن بأنهـــا هي المستقبل الزاهر للانسانية . ويقول « ان واجبنا هو الكفاح ضد هذهالتركة الخاملة بجميع الوسائل . لتســود الشيوعية في بلادنا اولا . وبعد ذلكفي البلاد التابعة لها . ثم في جميع بلدان العالم » .

واذا كان لهذا الكلام من خلفيـــة نستطلع منها ما يخفيه المؤلف فانهـــا المجابهة التي تلقاها الشيوعيـــة من الاسلام اولا واستعصاء تطويعالشعوب الاخـرى المبتلاة بســيطرة الحـزب الشيوعي ثانيا واما سيادة الشيوعيـة في العالم . فان بوارق اخفاقها في عقر دارها . وخفض جناحها للامبرياليـــة الغربية . مما يدل على أنها من اضغاث الاحــلام .

ويتمادى المؤلف في غروره فيقول « النصر على جميع عناصر الطبيعـــة يحطم صــرح الديانة . والمجتمـــع الشيوعي الذي ليس له أمل في اللـــه يصنع الطبيعة بوسائله العلميـة ، ان الفلاحين قد اخرجوا ٢٠ ضربا مـــن القمح من الانواع ٥٣ المعروفة ، ومربي الماشية قد استنتجوا ٤٠٠ صنف مـن جنس البقر و ٢٥٠ من الغنم و ١٥٠ من الخيل . ان هذه الانجازات تؤكـــد القوى الخلاقة للانسان ، وتنقض عناصر الكتب السماوية التي تحصر قـــدرة تغيير اجناس الحيـــوان والنبات في اللـــه » .

لا يخامرنا شك في أن المؤلف انمـا ولى أعماله بايمانه الاعمى بالشيوعية لا بمؤهلاته العلمية ، والا فكيف يعتقد أن تحسين نوع من أنـــواع النبات أو جنس من أجناس الحيوان بالتلقيـــح والتوليد هو تغيير للنـــوع والجنس ؟ وكيف يجهل أن ما فعله فلاحو الشيوعية ومربو الماشية في البلاد الشيوعية ،هو ما يفعله غيرهـــــم في بلاد أخرى ؟ فاستخراج أنواع جيدة من القمح هـــو مما يقع عندنا في المغرب ، ولا نحتاج أن نذهب الى بلد من بلاد أوربا وأمريكا ولكن أحدا عندنا حتى من الفلاحيـــن البسطاء لم يفهم ان ذلك تغيير لجنـــس القمح ، وتحسين نوع الماشية هو أيضا من هذا القبيل ، وكم يعـــرض منه في معارضنا الفلاحية الموسمية . ولكني أسأله هو هل حول البلاشفة الخيولالى أناسي ؟ الى رجال يفكرون ويعملون ؟ هل حولوا جنس البقر أو الغنـــم الى نساء يحملن بأطفال بشرية ، ويقدمـن عرضا في أحد المسارح ؟ هذا هـــو تغيير الجنـــس يا سيد (رحمانوف) فأين أنت منه ؟

عندنا كلمة حكيمة تقـــول : « في تلقيح الاجناس تحسين للنوع » وهـــي قديمة وقد جربها الفلاحون المسـلمون منذ قرون وخرجوا منها بنتائج مضمنة في كتبهم التي وضعوها في علـــم الفلاحة التي نقلت الى اللغات الاوربية واعتمدها العلماء في ابحاثهم ومـــا تزال مرجع المؤلفين منهم في هـــذا العلم . ومنها فلاحة ابن العوام وفلاحة ابي الخير وفلاحة ابن بصال وغيرها، ومع ما كان لاصحابها من علم ومقدرة في ميدان التجارب الفلاحية فـــان واحدا منهم لم يأخذ منه الغرور المأخذ الذي جعلك تقول ما تقدم من الكـــلام في جانب الالوهية وتتبـــاهى تباهي الأطفال بلعبهم الملونة ؟

واليـــك هذه الحكاية من تاريخنـــا العربي ، كتب أحد علماء مدينة فـــاس منذ ثلاثة قرون الى أحد علماء اقليـــم تافيلالت يسأله عن أنواع التمر التـــي تنبت في بلده ، فأرسل اليه حمل بعير من التمر كل حبة منه من نوع لا يشبه النوع الآخر ، وكتب اليه بهذه الآيـــة القرآنية : « وان تعدوا نعمة اللـــه لا تحصوها » ..

مدخل لدراسة نظرية المعرفة في الاسلام :
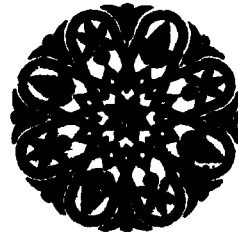
توجه الفلسفة النقدية الى العقل الانساني نقـــدا مؤداه أنه غير قادر على تحصيل المعرفة التامة اليقينية ، التي يصفها علماء الكـــلام في الاسلام بأنها اعتقاد جازمطابق للواقع لا يحتمل النقيـــض ·

ومهما يكن من أمر هذا النقد ، فالامر الذي لا شك فيه ايضا انه لا قبل « للانسان »بالاستمرار في حضيض الشك على أي وجه من الوجوه ·

وغاية ما تصل اليه الفلسفة النقدية للعقل هو أن العقل الانساني وأن كان يستحيل عليـــه تحصيل اليقين التام ما دامت الاحتمالات العقلية تتوارد عليه في كل قضية يظن أنه وصل فيهـــا الى حد الجزم.الا ان هذه الاحتمالات ليس مـــن شانها أن تمنعه من تحصيل « الظن » الذي هو ترجيح احد الطرفين على الآخر ، وفي بعـــض الحالات « غالب الظن » الذي هو ترجيح أحـــد الطرفين على الآخر مع طرح الطرف المرجـــوح واعتباره كأن لم يكن ·

وهذا هو مذهب الاكاديمية الجديـــدة في الفلسفة الحديثة التي تأخذ بمبدأ الاحتمـــال والترجيح ·

أما الشك وما دونه مما يهبط الى قـــاع الجهل المركب فهو مما يمكن للعقل البشـرى أن يتعالى عليه بجهود أيسر من تلك التي يبذلهـــا اليقينيون،وهي جهود جبارة في تقدير كل منصف تستنفذ من الطاقة ما كان يستحق أن يبذل لـــو انها تصل به حقا الى ما كان يظن انها تصل اليه من اليقيـــن ·

ان أصحاب اليقين هم الذين عرضوا قضية المعرفة للخطر ·

انهم يقذفون بالعقل من حالـــق اذ يصرون على قدرته على ما ليس يقدر عليـــه ·

انهم اشبه بسباح ماهر يصر علىأن طفله من نسبه لانه قادر على اجتيـــاز المحيط سباحة . فاذا هو يخسر طفلـــه كما يخسر قضيته في اجتياز المحيط ·

انهم في تقديري يفعلون فعل هامـــان اذ بنى صرحا يبدأ منه الصعود الىالله بينما الصعود الى الله يبدأ من نقطـــة هي اقرب الينا من حبل الوريد ·

الخروج من الشك :

واذا كان أصحاب المذاهب الفلسفية النقدية يصرون على أن الشك هو نقطة التوقف التي يصل اليها العقل ، كمـــا

وجدنا ذلك لدى اللاادريين من أتباع بيرون ، أو العنادية أو العندية من السوفسطائيين ، أو كما وجدنا ذلك في شك الغزالي وشك ديكارت ٠٠ . فنحن نرى أن الخروج من هذا الشك أيسر كثيرا مما احتمله ديكارت من محاولات يائسة لوضع الحقيقة الاولى التي لا يمكن الشك فيها وهي « وجود (الأنا المفكر) (١) في ضمان الله ٠٠ ، وهو أوسع كثيرا مما قدر للغزالي أن يحظى به من « النور » الذي قذفه الله في قلبه يعيد له به الثقة في العلم والاطمئنان الى اليقين ٠

ذلك هو ما نسميه (الضرورة العملية) ٠

تلك التي اعترف بها الشاكون انفسهم أولا ، كما اعترف بها اليقينيون، ثانيا ٠

وهي ما نزعم أن الاسلام اعتمد عليها في وضع بداية الطريق الى المعرفة ٠ ثالثا ٠

لقد أجمع طوائف المفكرين على أن الضرورة العملية هي نقطة الضوء التي ثقبت حجاب الشك المظلم لتدل على ما وراءه من امكانات اليقين ٠

يقول أحد مؤرخي الفلسفة : (هناك مسألة اخيرة يوضحها مذهب الشك أكثر من غيره من المذاهب ٠ وهي الفرق بين ادعاء صدق قضيته ادعاء نظريا والحكم بصدقها استنادا الى باعث عملي ٠٠ ان العوامل التي تدفعنا الى تصديق أية قضية انما يجب البحث عنها في حياتنا العملية) ٠

ويقول الفيلسوف الفرنسي ديكارت : (اننا متأكدون عمليا من صدق بعض القضايا ، لكنا غير متأكدين نظريا) ٠

ولقد كان ديكارت يرى أننا من الناحية النظرية غير قادرين على التفرقة بين المنضدة التي نجلس عليها الآن ، وبين المنضدة التي قد نراها ونحن نائمون ، ومع هذا فاننا نسلم بالاشياء الواقعية خارج الذهن (استجابة لمطالب الحياة العملية لا اقتناعا بأسلوب وحجج فلسفية) ٠

واذا كان هيوم قد تشكك في أمر العلية من الناحية العقلية النظرية فانه قد انتهى الى تبرير الاعتقاد بها من الناحية العملية ٠

يقول الفيلسوف الانجليزي هيوم على لسان احد شخصياته في محاوراته : (يبدو يقينا ان الانسان وان يكن في اهتياج مزاجه عقب تفكير عنيف في العديد من نقائض العقل ٠٠ قد ينبذ نبذا تاما كل اعتقاد ورأي ، فانه ليستحيل عليه البقاء في هذا الشك المطبق ، بل يستحيل عليه أن يصرح به في سلوكه لبضع ساعات ٠٠ فالموضوعات الخارجية تضغط عليه ، والعواطف تلح ٠٠ فيتبدد تأمله الفلسفي الحزين ، بل لن يكون في مقدور أقصى عنف في مزاجه الخاص أن يبقى وقتا ما على مظهر الشك البائس) ٠٠ ثم يقول : (وأيا كان المدى الذي يدفع اليه اي شخص مبادئه التأملية في الشك فانني أرى أنه يتحتم عليه ان يفعل ويعيش ويتحدث مثلما يفعل غيره من الناس ، وليس ملزما أن يدلي بسبب لسلوكه هذا ، اللهم الا الضرورة المطلقة التي يخضع لها في قيامه بهذه الاعمال) ٠

ويقول أيضا (الا ان الطبيعة قد هيأتنا لان نحكم كما هيأتنا لنتنفس ونحس) ٠٠

ويقول الفيلسوف الالماني عمانويل كانت (‥ يمكن ان نستعين بالاحتمال المقارب للحق وبالعقل السليم بطريقة نافعة ومشروعة . خارجة عن موضوع الميتافزيقا بحسب المبادىء المطلقة التي تستمد سلطتها دائما من ارتباطها بالناحية العملية) ٠

وانه بصفة عامة لمن المستبعد تماما ان يكون شك اللاادريين شكا متساوي الطرفين ٠ اذ ان مثل هذا الشك لا يمكن معه ممارسة الحياة العملية ٠

ولا شك ان اللاادريين كانوا يمارسون حياتهم العملية فلا بد انهم كانوا يأخذون بمبدأ الارجحية ٠

ومن هنا كان التجريبيون في الفلسفة الاوربية الحديثة على اختلاف مذاهبهم يحسبون المعرفة الترجيحية ويعترفون بها ٠

ولقد ادرك علماء الكلام في الاسلام ان النظر في امور الدنيا

(١) نعلم وجوبه باضطرار ٠

(٢) ولا يتوقف لمجرد وقوع التشبه في طريق الناظر ٠

(٣) ويلتمس فيه غالب الظن ٠

وهم على هذا الاساس يوجبون على الانسان ان يتخذ سلوكا معينا ، ويعممون ذلك في التكاليف الدنيوية والدينية ٠

يقول القاضي عبد الجبار من المعتزلة (وانما تعلق اكثر التكاليف دينا ودنيا بالظنون لتعذر ان يصل المرء الى العلم بالواقعات في المستقبل . فاقيم الظن مقامه . فوجب تمكين المكلف من الامارات ٠

‥ ثم لا يكون عمله عملا بالظن . والا فمتى حصل غالب الظن في حصول نفع او ضرر علم احدنا بعقله حسن الاقدام . ووجوب التحرز ٠

وبعد : فهذه هي الضرورة العملية تنقشع امامها سحابات الشك بصفة عامة ٠

وهي ايضا من شانها ان تتخطى الشك وتتجاوزه في الطريق الذي يسلكه الانسان لمعرفة الله ٠

---

١ ـ يشير الكاتب بذلك الى قول ديكارت المشهور (انا افكر اذن فانا موجود) المجلة

في الصحيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ، ولكن ينزعه بقبض العلماء » ٠ فتبقى ناس جهال ، يستفتون فيفتون برأيهم ، فيضلون ويضلون ٠

وقال علي الرضا : أعظم الرزايا موت العلماء ٠

القضاء الشرعي في دول

•• تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية •• في كل المجتمعات ، هو أمنية كل انسان ، لحماية نفسه وأسرته ومجتمعه والدول التي طبقت تلك الاحكام تعيش في أمن وسلام واطمئنان وما ذلك الا لان أحكام الله عادلة ، وهدفها تحقيق العدالة والمساواة وغايتها انصاف المظلومين ورد الحقوق لاصحابها •

والقضاء بشريعة الله وحكمه ، هو العدل في صورته الكاملة أو صورته المثلى • وهو العدل الذي يفتقده الناس ، والذي يؤدي افتقادهم اياه الى فساد في حياتهم • واضطراب في أمورهم • يؤخرهم ويعوقهم ويمنعهم من أن يظفروا بالسعادة والطمأنينة وأن يحققوا الرفاهية والرخاء •

والحكم بقضاء الله ، ليس غايته اقامة الحدود من رجم وقطع وتشريد ، بل هو الى جانب ذلك اشاعة للطمأنينة في النفوس وفي القلوب • ويوم أن كان يحكم بكتاب الله كان الرجل يخرج من بيته ويسير آلاف الاميال لا يخشى الا الله والذئب •

فلا خوف ولا رهبة من شيء ، لان الكل يخاف من الله ويخشى قضاءه •

والقضاء هو فرض كفاية على علماء المسلمين ، لان أمر الناس لا يستقيم بدونه ، فكان واجبا على الكفاية كالجهاد • وهو أمر لازم لقيام الامم ولسعادتها وحياتها • حياة طيبة ، ولنصرة المظلوم وقمع الظالم وقطع الخصومات وأداء الحقوق الى مستحقيها ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وللضرب على أيدي العابثين والظالمين •

اعـــداد :
• موســـى شـــرف
• عبد العـــال أبو سليمة
• عبـد الفتاح ســعيد
• تصوير : سيد المغربي

★ غلاء المهور · والزواج من أجنبيات أكثر مشكلات القضاء في دولة الامارت ·

الشيخ محمد محمـــود سيدنا ومعـه ممثل النيابة

والدولة الاسلامية منذ نشاتها - ومع اختلاف عصورها - انما عزت بحكم الله وبعدل قضائها وسمو قضاتها ومتانة قانونها الذي تحكم به ٠

ودولة الامارات العربية المتحدة منذ نشاتها اهتمت في قضائها ، بالحكم بشريعة الله ، وأقامت القضاء الشرعي في محاكمها وكرست كل جهد لدعم هذا القضاء ، حتى يؤدي رسالته على أكمل وجه ٠

وفي هذا العدد كانت لنا جولة في ساحات القضاء الشرعي بدولة الامارات العربية المتحدة ، لنظهر للمسلمين في كافة انحاء العالم كيف يتسم القضاء الشرعي بالعدل ، وكيف يتم الفصل بين المتخاصمين وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية ٠

وفي بداية رحلتنا داخل اروقة القضاء الشرعي في دولة الامارات العربية المتحدة كان لنا لقاء مع فضيلة الشيخ احمد عبد العزيز المبارك رئيس القضاء الشرعي الذي شرح لنا خطوات القضاء الشرعي في الدولةوبين اهدافه واجراءاته وقال ان القضايا فيما مضى كانت تحال الى المحاكم المدنية الا ما ندر من قضايا الاوقاف والانكحة فكانت تحال الى القاضي الشرعي الوحيد في ذلك الوقت ٠

القضاء في ابوظبي :

وعن القضاء الشرعي في ابوظبي قال فضيلته ان عدد المحاكم الشرعية في الامارة خمسة محاكم وعدد القضاة حاليا ١٤ قاضيا وخطتنا تستهدف تعزيزهم بخمسة آخرين كما ان عدد موظفي الدائرة يزيد على مائة موظف وهم من بلاد اسلامية وعربية متعددة ونعمل حاليا على ايجاد الكوادر الوطنية في شتى مجالات القضاء الشرعي كدوائر التحقيق ، والدوائر الفنية ، والخبراء ٠

وقال فضيلة الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك : ان محاكم القضاء الشرعي تنهي سنويا أكثر من ٣٠ ألف معاملة بمتوسط ٢٥٠٠ معاملة شهريا ما بين قضية وتوثيق ومعاملات أخرى ، وقد نظرت محاكمنا في العام الماضي حوالي ٤٢٤ قضية جنائية وحوالي ١٣٦ قضية استئنافية فضلا عن العديد من القضايا الحقوقية وقضايا الاسرة والفتاوي ٠

وكانت القضايا الجنائية قد أحيلت الينا في ربيع الثاني من عام ١٣٩٧ هـ وخاصة القضايا المتعلقة بالقتل والاغتصاب والسرقة وذلك بأمر من سمو رئيس الدولة ٠

واستطرد فضيلة رئيس القضاء الشرعي قائلا : ان لدى محاكم أبوظبي الشرعية عدة دوائر قضائية منها دائرة لقضايا أحكام الاسرة وأخرى للقضايا الجنائية وثالثة للقضايا الحقوقية ورابعة للقضايا الاستئنافية وهناك دائرة للبحث العلمي كما أن لدينا قسما للتوثيقات بجميع أنواعها كالتوكيلات والاثباتات الزوجية والطلاق والهبات والوصايا ٠٠ الخ والى جانب ذلك هناك قسم للتنفيذ مهمته تنفيذ كل الاحكام الصادرة عن المحاكم الشرعية ومتابعة التنفيذ ٠

وبعد هذا العرض الواضح أكد لنا فضيلته ان مجتمع دولة الامارات متجاوب مع أحكام الشريعة الاسلامية وما ذلك الا لانها تضمن العدالة والامن للجميع بل انني استطيع ان اؤكد ان العدالة في الشريعة مكفولة عن القانون المدني ·

ورد فضيلة رئيس القضاء على اولئك الذين يهاجمون حكم الشريعة بقطع يد السارق فقال

انهم غير مصيبين لاننا نرى اناسا يقتلون شعوبا باسرها واطفالا ونساء لا ذنب لهم ولا احد يتحرك ضدهم كما ان الطبيب قد يرى في اي شخص عضوا فاسدا من اعضائه فيقطعه فهل يلام الطبيب على ذلك وهذا اصلاح فرد واحد فكيف باصلاح المجتمع كله·

وعن اهم القضايا في المجال الشرعي قال فضيلة الشيخ احمد عبد العزيز المبارك ان هناك قضايا هامة مثل الرشوة وما ينتج عن ذلك من فساد للمجتمع . ثم الحرابة وغيرها من القضايا الاخلاقية ·

والذي يشغل بالنا في الحقيقة هو الامور الزوجية وما يقع فيها من تنافر بين الزوجين والطلاق . والذي يؤسفني أنه في اليوم الواحد يقع الطلاق من سبعة او ثمانية اشخاص بالرغم من ارشادنا لهم واننا نرجو الا يطلق احد الا في المحكمة لاننا سنطلب منهم حينئذ التاني وكم من شخص طلق زوجته ثم تأسف على ما اصابه من فراق زوجته وتشريد أسرته ، وندم على ذلك ندما شديدا ·· ولكن بعد فوات الاوان ·

واننا نأمل ان تجد هذه الدعوة تجاوبا من الاهالي،ونرجو من المرشدين والخطباء والوعاظ حث الناس على التاني في الحلف بالطلاق لانه كما ورد في الحديث الشريف « أبغض الحلال عند الله الطلاق » ومن فضل الله على هذه الامة ان جعل للانسان تأنيب زوجته بالكلام أولا ثم بالهجر ثم بالضرب اليسير واخيرا بالطلاق مرة واحدة اذ ان له مراجعتها متى شاء قبل أن تخرج من العدة ·
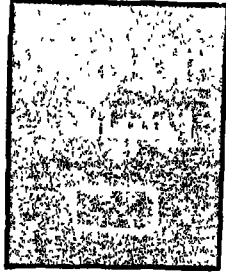
وتطرق فضيلة رئيس القضاء الشرعي الى موضوع الزواج من اجنبيات وقال :

اننا نقترح على وزارة الخارجية الا تسمح لاي شخص من اهالي البلاد بالزواج من أجنبية الا بعد اطلاع السفارة على بيان بحقيقة أحواله من حيث السن والمال وكذلك معرفة أحوال الزوجة،وذلك تفاديا لما يحدث من مشكلات بعد الزواج وبمعنى أصح ضرورة تحقيق مبدأ الكفاءة بين الزوجين وهي مطلوبة شرعا ·

سماحة فضيلة الشيخ احمد عبد العزيز المبارك · رئيس القضاء الشرعي

فضيلة الشيخ احمد علي ابو بكر نائب رئيس القضاء الشرعي

فضيلة الشيخ أحمد اسماعيل البيلي مستشار البحث العلمي برئاسة القضاء الشرعي ·

فضيلة الشيخ أحمد علي ابوبكر وفضيلة الشيخ البكري البيلي في حوار مع مندوب المجلة لشرح أهداف القضاء الشرعي ·
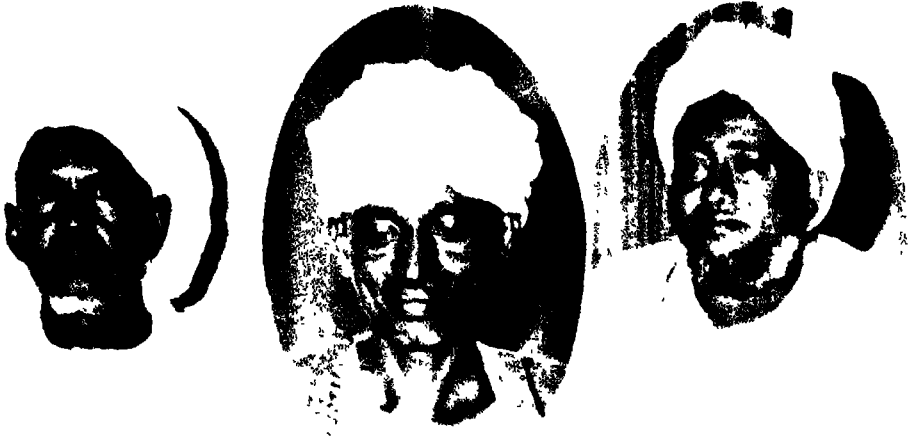
فضيلة الشيخ عثمان علي حسن القاضي الشرعي برئاسة القضاء الشرعي

فضيله الشيخ البكري محمد اسماعيل البيلي القاضي برئاسة القضاء الشرعي ·

فضيلة الشيخ بيه بن سالك
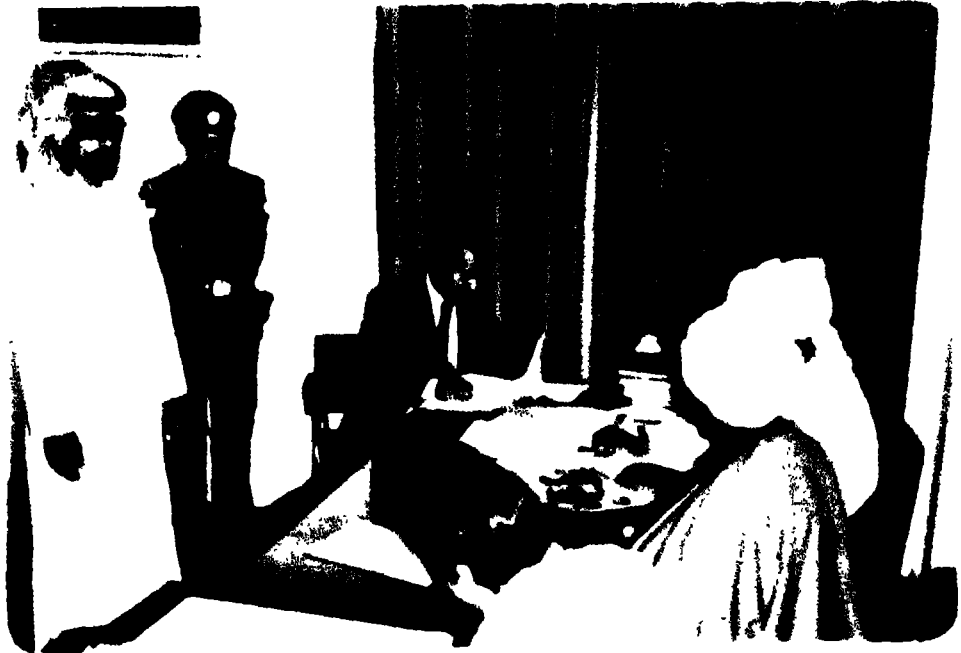
فضيلة الشيخ بيه بن سالك وفضيلة الشيخ مجذوب علي عيسى وممثل النيابة الاستاذ خالد عبد الرزاق يتداولون في بعض القضايا ·

ونلتقي بعد ذلك بفضيلة الشيخ احمد ابو بكر نائب رئيس القضاء لكـــي يوضح اجراءات التقاضي في المحاكـم الشرعية ويقول ان القضـــاء الشرعي يكفل لكل من يتقدم اليه العدالة ، كمـا ان نظام التقاضي هو نفس المتبـــع في القضاء المدني وبعد تحقيق الشـــرطة والنيابة تحول للمحاكم الشرعيـــة ، قضايا القتل والسرقة والاغتصاب والزنا واللواط والقضايا الاخلاقية وبعـد ان يعرض وكيل النيابة القضـــية نعرض الاتهام على المتهم وان كان هناك اقـرار عومل باقراره وان انكر نطلب مـــن النيابة ادلة على الاتهام ·

ووضح لنا فضيلته الفرق في الاحكام بين القضاء الشرعي والقضاء المدنـــي قائـــلا ·

في قضايا الزنا مثلا القانون المدني يقول ان الاتصال بانثى برضـــاها لا يعتبر جريمة،اما الشريعة فتعتبر ذلـك جريمة ، والمحاكم الجنائية في كثيـر من البلاد العربية تعتبر الزنا مســـألة شخصية،بمعنى ان المرأة المتزوجة اذا زنت وتنازل زوجها عن الشكوى يقبل التنازل وتشطب الدعوى ، امـــا شريعتنا فتعتبر الزنا مسألة تتعلق بحق الله تعالى والحق العام وليس مسـألة شخصية ·

وبالنسبة لموضوع السرقة فالقانون المدني يعتبر أخذ أي مال بغير حق سرقة أما الشريعة الاسلامية فلها ضـــوابط وتعريفات خاصـــة للسرقة · واشار فضيلة الشيخ أبو بكر الى أن البـــلاد لم تكن تعرف المحاكـــم المدنية وانما وجدت هذه المحاكـــم مع الاستعمار وللنظر في قضايا الاجانب ، أما أهالي البلاد فكانت قضاياهـــم تعرض على محاكم الاعراف ـ محاكـــم القبائل ـ والتي كانت تضم أشخاصا لهم مكانتهم في القبيلة وهذه المحاكم تصدر أحكامها بقدر الاجتهاد ووفقا للتقاليد الســائدة حينئذ وغالبا ما تنتهي هذه القضـــايا بالصلح ·

وبعد لقائنا مع فضيلة رئيس القضاء ونائبه دخلنا الى احدى قاعات المحكمة وكانت المحكمة منعقدة برياسة الشـيخ البكري محمد اسماعيل البيلي وكانت القضية خاصة بسارق سرق بعـــض زجاجات خمر من أحد الفنادق ودارت المناقشات والمرافعات حول هذه القضية وهل يعتبر الخمر مالا مقومـــا او غير مقوم ؟ وتؤجل الجلسة لاتمام المرافعات

ونسأل فضيلة الشيخ البكري البيلي عن اهم القضايا التي شغلته فيقول لنا :

انها قضية نزاع حول طفلة وهـل تضم الى ابيها او امها ؟ وكل يطلب ضمها اليه واتضح لنا ان الاب تاجـر مخدرات اما الام فهي سيئة السلوك · والطفلة عمرها خمس سنوات وليـــس لها اي اقارب ، والمدينة ليست فيها دور رعاية من انشـــاء الدولة وشغلتنا القضية ولم نجد الا ارتكاب اخـــف الضررين وحكمنا بضم الطفلة الى الاب على أساس أنه رجل ومهما كان فهـــو اقدر على العناية بطفلته ولو بضـــع ساعات ·

وهناك قضية اخرى شغلتنا كثيـرا

الا وهي قضية اغتصاب اتهم فيها شخص باغتصاب اربع بنات عمر كبراهن ١١ سنة ولم تثبت عليه التهمة وعززناه بالسجن ١١ سنة كما جلد ·

وقد نظرت المحكمة الابتدائية برئاسة الشيخ عثمان علي حسن القضية رقم ··· المتهم فيها ··· بسرقة بعض الادوات المنزلية من ··· وقد تم ضبط بعض المسروقات في منزله وحكمت المحكمة بقطع يد السارق تنفيذا لامر الله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » ·

حيثيات الحكم

ان المبلغ تجاوز النصاب والمتهم اعترف بالسرقة والمال المسروق له قيمة وسرق من داخل المنزل ·

قضية رقم ١٦٤٠/١٩٧٧ خاصة··

وحكمت المحكمة الشرعية برئاسة القاضي محجوب علي عيسى بالحبس سنة ونصف . والطرد من البلاد واسقاط الجنسية المؤقتة الممنوحة للجاني . والذي كان ضابطا للعلاقات العامة باحدى الدوائر الحكومية وتسلم بهذه الصفة ثلاث شقق حكومية من دائرة الاسكان لتسليمها لاصحابها المخصصة لهم ، ولكن بدلا من ذلك قام بتأجير هذه الشقق لآخرين،مدعيا ملكية الشقق وقد قبض الايجارات لهذه الشقق مقدما وتم القبض عليه بتهمة الخيانة والاستيلاء على مال الدوله عن طريق الخداع · ومخالفته للقانون كموظف عام ·وقد قدم للمحاكمة وحكمت المحكمة عليه بالحكم السابق وقد راعت المحكمه في حكمها ظروف المتهم العائلية التي يعيشها رغم ان الجريمة في حد ذاتها كبيره وخطيره ·

اما القضية رقم ٢٠٥/٧٧ والمتهم فيها ··· بالاغتصاب والسرقة ··· التعدي المنزلي · وقد اعترف المتهم امام وكيل النيابة وقد ادين المتهم وطبقت عليه الشريعة الاسلامية · وحكمت المحكمة حضوريا على المتهم بما ياتي

اولا مائة جلدة وسجنه لمدة عام وذلك لارتكابه جريمة الزنا وهو غير محصن على ان يتم تنفيذ الجلد في مكان عام ·

وقد نفذ فعلا الحكم في ساحة سوق ابوظبي المركزي بحضور مندوب المحكمة الشرعية ·

ثانيا سجنه لمدة ثماني سنوات · لارتكابه جريمة السرقة والكسر المنزلي ·

ثالثا العقوبة المقررة عليه بهذا الحكم ومجموعها تسع سنوات ·

رابعا طرده من البلاد بعد انتهاء

فضيلة الشيخ مجذوب علي عيسى وهو يصدر قرار لمحكمة في بعض القضايا المنظورة وفقا لاحكـــام الشريعة الاسلامية ٠

فضيلة الشيخ محمد محمــــود سيدنا وفضيلة الشيخ مجــذوب علي عيسى ومعهما ممثل النيابة

. ان صدر الحكم العادل بادانته يبدي اله وحزنه على ما
ن اخطاء « وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون»

شيخ ابو بكر البيلــــي يفصل في بعض القضايا المدنية وفقا للشريعة الاسلامية الغراء ٠

فترة العقوبة المقررة عليه بهذا الحكم والاحكام الاخرى ٠

ولم يقم عليه حد السرقة لكيلا يجمع على الجاني حدان ٠

وفي مدينة العين وبعد أن حضرنا جانبا من جلسات المحكمة الشرعية حدثنا فضيلة الشيخ أبوزيد الشربيني الافندي وفضيلة الشيخ محمد عبدالسلام زهران القاضيان الشرعيان فأكدا لنا التجاء المواطنين الى القضاء الشرعي في قضايا الاحوال الشخصية والولاية على النفس والمال والقضايا الجنائية المتعلقة بالآداب العامة والقتل بأنواعه٠

وقالا ان في مدينة العين محكمتين شرعيتين تنظر كل منهما يوميا حوالي خمس أو ست قضايا ٠

وعن أهم القضايا ومشكلات البيئة قالا ان في مقدمة ذلك غلاء المهور والزواج من أجنبيات ٠ وأكد لنا القاضيان ان الاحكام الشرعية تنفذ فور صدورها ٠٠

المحكمة الشرعية بدبي

وفي محكمة دبي الشرعية كان لقاؤنا مع فضيلة الشيخ ابراهيم علي عبد الرحمن الذي ذكر أن المحكمة هنا قديمة ٠ وتعتبر أقدم محكمة شرعية في منطقة الخليج ٠

وكانت تفصل في جميع المنازعات التي تعرض عليها في هذه المنطقة واكتسبت بهذا ثقة المتقاضين أمامها ٠

ثم أوضح سيادته أن المحكمة تعرض عليها القضايا الجنائية أو الجزائية ٠ وتمر هذه القضايا بنفس المراحل التي تمر بها القضايا المدنية ٠

وأحكام المحكمة الشرعية في دبي نهائية وغير قابلة للطعن ٠٠ ومن ثم لا تحتاج الى تصديق وأحكامها نافذة المفعول من تاريخ صدورها وليس هناك محكمة استئنافية يمكن للمتقاضي أن يرجع اليها ٠

والقضايا التي تنظر أمامها ٠ ٠ ٠ القضايا الاخلاقية بجميع أنواعها ٠ وقضايا الاحوال الشخصية والمحكمة تعرض عليها دائما القضايا التي تمثل الخلافات البسيطة وتشكل هذه القضايا نسبة ٧٠٪ من القضايا المنظورة ويتم التصالح فيها أمام المحكمة ٠٠ وليس لها سجل خاص ٠ لانها تأخذ الكثير من الوقت في حين أن القاضي بطريقته الخاصة يحاول التغلب على هذه المشاكل بمحاولة اقناع الطرفين المتنازعين ٠ وارضاء كل منهما دون حيف أو ظلم ٠ ويخرج الطرفان وهما في غاية الاقتناع بالحكم ٠٠

ومتوسط عدد القضايا المنظورة في اليوم الواحد حوالي ٢٥ قضية بما فيها القضايا الخلافية البسيطة والتي تنتهي عادة بالتصالح والتراضي بين الطرفين ٠

والقضايا الجنائية التي تم الحكم فيها عام ١٩٧٧ م بلغت ٢٤١ قضية ٠ والقضايا الحقوقية بلغت ٣٦٧ قضية ، وقضايا الاعلامات الشرعية فيالوراثات وغيرها كقضايا اقامة الوصي ٠٠ وكفالة اليتيم والقيم ٠٠ بلغت ١٢١ قضية ثم هناك الاشهادات الشرعية ويقصد بالاشهادات تثبيت وتسجيل الهبا تـوالوصايا ٠٠ وعددها ١٢٥ ، هذا عدا التوكيلات التجارية العامة والخاصة وهي كثيرة ٠

حضرنا بعض جلسات المحكمة
ثم توجهنا الى الشارقة ··
ل المحكمة الشرعية في امارة
، التقينا بعدد من أصحاب
الذين أجمعوا على اطمئنانهم
القضاء الشرعي واجراءاته ·
ز فرصة استراحة بين الجلسات
مع فضيلة القاضي الشيخ
بن حمد بن سلطان ويوضح لنا
الشارقة اربع محاكم شرعية في
شارقة وفي الذيد وكلبا
ان ، وفيها اربعة قضاة ·
ل فضيلة القاضي عن احقية
الشرعي بالتقديم والاعتداد عن
المدني فيجيبنا قائلا
اء الشرعي ، يعتمد على الكتاب
، ولا دخل للاهواء او الاغراض
هوات فيه · ولا فرق امامه بين
و كبير وحاكم او محكوم ، بينما
المدني تشريع بشري تتحكم
هواء والحاجات ، فيستحيل ان
ا يتخالف واهدافه وغاياته ، ثم
ورنا نظافة وعدالة مقننة ، فانه
عليه القصور الانساني وهو
للنقد ، في جميع حالاته وعدم
على المستقبل وما يطرأ على
لانسان من تغير ·
نقد ان المقارنة بين القضاءين
ردة على الاطلاق ·

ستطرد فضيلة القاضي قائلا
القضاء الشرعي ليس على ما
ه كثير من الباحثين ، مقتصر
طع اليد او رجم الزاني ونحو ذلك
حدود ، وانما القضاء الشرعي

شامل لجميع حاجات الانسان ، في جميع ظروفه وحالاته ، مع اختلاف بيئاته في الحال والمستقبل ، ولا شك أن هناك مع الاسف قصورا من جانب الباحثين في التقنين والتشريع ، حيث لم يصدر منهم تبسيط لاساليبواجراءات الشرعية التطبيقية فجعلوا الساحة خالية من هذه المعطيات ، مما اضطر كثيرا من الشعوب الى اللجوء الى القضاء المدني او القانوني ، حيث أن القانون قد صنف وبوب ونشر على مستوى الشعوب ، وأرجو حسب ما اشعر به من التحركات الاسلامية الجديدة ، ان يتجه العلماء الباحثونالى ابراز هذه الفوائد الشرعية التي لا تزال مغمورة في كتب الفقهاء · ومن تلك الارهاصات ما يتحدث به اليوم من تقنين الشريعة الاسلامية في مصر ، امام شيخ الازهر ، راجيا أن تثمر هذه الجهود وتتجه جميع الشعوب الاسلامية الى تطبيق الشريعة ، على وجه أوسع مما هي عليه الآن ·

وسألنا فضيلة الشيخ ابراهيم بن حمد بن سلطان عن القضاء الشرعي في الشارقة ؟ فقال انه يسير على ضوء لائحة قانونية ، صدرت من قبل صاحب السمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الاعلى للاتحاد حاكم الشارقة ، حدد فيها صلاحيات واختصاصات المحاكم الشرعية والمحاكم المدنية ·· وفي الوقت الحاضر ينحصر عمل المحاكم الشرعية في الاحوال الشخصية ويستثنى من ذلك اذا طلب أحد المترافعين في قضية مدنية او حقوقية حكم الشرع · ولو كانت

▲ فضيلة الشيخ ابراهيم علـــــي عبد الرحمن القاضــــي الشرعي بدبي وهو يفصل في بعـــــض القضايا الشرعية ٠

معثل النيابة في دبي أمام المحكمة وهو يعرض عليها وجهة نظـــر النيابة في القضية المنظورة أمـام القاضي ٠ ▼

قصية حقوقية كالقتل او السرقـــة او الرنا او الشرب فانه ينفذ فيها حكـــم النسرع لو رفعت الينا ٠

وعن القضايا الصعبة التي يواجهها القاضي قال فضيلته

ليست هناك قضـــايا معينة صعبة ، وانما صعوبة القضية ، تكون في قضايا بطرب امام القضاء المدني وفتلت بحثا، ثم احيلت الينا ، فعندئذ يصعب البت فيها حيث تظهر فيها ثغرات وادلة قد لا تكون قوية في بادىء الامر ، ولكـن بعد اعادة بحثها من جديد ، تحتـاج الى وقت ودراسة للبت فيها ٠

وامام فضيلة الشيخ فرحات علـــي حلوه القاضي الشرعي بمحكمة الشارقة كانت هناك قضية ميراث ، وبعد الحكم فيها حدثنا فضيلته قائلا اننا ننظـــر القضايا ، التي يتقدم بها الينا اصحابها مباشرة مثل قضايا الاحوال الشخصية من زواج ونفقة وطلب الطاعة والحضانة ويتبعها ضم الاولاد عند بلوغ السن ٠ وهناك قضايا الطلاق والخلع والعـدة واثبات الوفاة وحصر التركات وتوزيعها على الورثة واقامة الاوصياء علـــى القصر والنظر في قضاياهم المالية الى جانب قضايا الوقف والوصية والهبـة كما أننا ننظر في القضايا المحولـــة الينا من رئاسة دوائر العدل أو سـمو الحاكم مثل قضايا القتل والســـكر والمنازعات العقارية ٠

وقال فضيلة القاضي ان من حـــق المتخاصمين اقامة وكيل عنهم أو اختيار محام،أو الدفاع واقامة الحجة بأنفسهم

وأشار فضيلته الى أن القضايا تقل في شهر رمضان المعظم وفي موسم الحج وقال ان القضايا الشرعية لا خيار فيها فكلها تنظر امام المحكمة الشرعية ٠

ثم اتجهنا الى أم القيوين وهنـــاك علمنا أن المحكمة الشرعية بأم القيوين أنشـــئت عام ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م وافتتح لها فرع في فلج المعلا ٠ لتسهيل امور الناس والتيسير عليهم وذلك عام ١٩٧٥ ٠

وتتبع المحكمة الشرعية دائرة العدل بامارة أم القيوين وتنظر المحكمة جميع القضايا التي تحول اليها وتحكم فيهـا وفقا للشريعة الاسلامية ٠

وفي لقاء لنا مع فضيلة القاضـــي الشيخ سليمان قاســم قاضي محكمة ام القيوين اوضح لنا ان المحكمة تنظر جميع القضايا التي تحول اليها عـــن طريق الشخص نفسه مثـــل التوكيلات العامة ٠ والقضـــايا الحقوقية تاتي للمحكمة عادة من جهتين

الاول الشرطة وهي ما يتعلـــق بالجنح والحقوق بين الأفراد ٠

والثاني عن طريق البلدية وهـــي ما يتعلق بالعقارات والمواريث وذلكفي حالة النزاع بين الورثة على شـــيء مختلف عليه والجهة التي تحيل القضايا هي التي تعرف اختصاص المحكمـــة ٠ فتحيل اليها القضايا التي تكون مـــن

اختصاصها ·

ويتراوح عدد القضايا بمحكمة أم القيوين الشرعية بين أربعمائة وخمسمائة في العام ·

ويستطرد فضيلته فيقول :

واذا ما نظرنا الى القضايا الاخلاقية التي انتشرت في المجتمعات الاسلامية· نجد أن خطر هذه القضايا كبير · وله تأثير فعال على المجتمعات الاسلامية وكثير من الدول أحست بضررها على الاخلاق والمجتمع بصفة عامة وأدركت أن العقوبات المالية غير رادعة فأخذت الطريق الوحيد لاستئصال بؤرة الفساد والانحلال في المجتمع الاسلامي وهو ضرورة العودة لاحكام الشريعة الاسلامية وتطبيقها تطبيقا عادلا · حتى نحمي هذا المجتمع من الانحراف والانحلال وهو العلاج الوحيد لوضع حد لهذه الاخلاقيات المنحرفة ·

ولو نظرنا الى المجتمع الاسلامي والحكومة الاسلامية لوجدنا أنه من المفيد تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ·· في جميع الاحوال · ثم ان العقوبات في الشريعة الاسلامية عادلة وفيها اصلاح حتى للجاني نفسه فهي تقصد تقويم الجاني واصلاح المجتمع والارتقاء بأخلاقياته واشاعة الامن والطمأنينة بين أفراد الاسرة داخل المجتمع الاسلامي ·

ثم أردف فضيلة القاضي قائلا ·

واضرب مثلا بالخمر · وهي معروفة انها ام الكبائر والحكومات الاسلامية تبذل قصارى جهدها في الحد من انتشارها بكل الوسائل · ويمنع دخولها للبلاد وتحريم استعمالها واحالة القضايا الى المحاكم المدنية او شبهها ·

فلو اعلنت الحكومة ان جميع القضايا المترتبة على شرب الخمر · تحال للمحاكم الشرعية وينفذ فيها حكم الله فان الافراد سيقلعون عنها تلقائيا · · وخاصة ان جميع الافراد عندهم قناعة تامة بعدالة الشريعة الاسلامية حتى ولو كان الحكم ضدهم ··وصدق الله العظيم « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ·

وفي بداية جولتنا بمحاكم رأس الخيمة التقينا بالاخ القاضي الاستاذ خالد السفاريني مستشار سمو الحاكم الذي عاصر القضاء منذ بداية تنظيمه عام ١٩٧١ . وقد حدثنا عن القضاء فقال « حتى عام ١٩٧١ لم تكن هنا سوى محكمة شرعية واحدة . تنظر في جميع القضايا والمنازعات . ولم تكن عندها اية سجلات او ملفات او تنظيمات ادارية او مكتبية من اي نوع ، وبدانا من الصفر تنفيذ رغبات سمو الحاكم في انشاء النظم القضائية الحديثة فأقمنا المحكمة المدنية . ثم شاركنا في تنظيم المحاكم الشرعية واعداد ملفات وسجلات ودفاتر ايصالات لاعمالها . وبعد ذلك دعمناها بانشاء محكمة الاستئناف المدنية . ثم محكمة الاستئناف الشرعية. ومنذ انشاء هذه المحاكم في عام ١٩٧١ والتعاون بيننا وبين محاكم الامارات

الاخرى في التبادل والتنفيذ وغيرهما من مجالات التعاون القضائية قائم ..

د

ا

ونلتقي في نفس المكان بالقاضي المدني الاستاذ فلاح الماضي الذي يحدثنا عن تجربة حديثة له تؤكد ان هذا المجتمع (رغم الطغيان المادي في عالمنا الحديث) لا زال مسلحا بقيم الخير والفضيلة النابعة والمتوارثة عن حضارتنا الاسلامية فقال

« من القضايا التي حركت مشاعري وزادت من ايماني بقدرة هذه الامة على استعادة امجادها قضية حادث سيارة اصيب فيها احد الاشخاص باصابة جعلتني احكم له بتعويض قدره ثمانية الاف درهم وكنت اتوقع عصب الجاني (المتهم) كما هي العادة . وبعد ان انتهيت من النطق بالحكم تقدم مني الجاني بادب جم وطلب مني رفع التعويض من ثمانية الى عشرة الاف درهم طوعا واختيارا وعن طيب خاطر»

ومثل اخر ايضا يؤكد هذا الايمان وهو ان احد الاشخاص كان يحرك سيارته الى الخلف في وقت مبكر من الصباح فصدم سيارة اخرى صدمة عنيفة اصابتها باضرار جسيمة . ولم يرد احد اثناء الحادث وكان في مقدوره الانصراف دون ضجة . ولكن قيمه واخلاقه منعته من ذلك فنزل من سيارته وبوازع من ضميره شرع قلمه وكتب قصاصة من الورق لصاحب السيارة المصدومة اخبره فيها بانه صدم سيارته عن غير قصد وانه على استعداد لتحمل كافة تكاليف اصلاحها ، ثم ذيل القصاصة باسمه وعنوانه وتوقيعه » .

وهذه نماذج من السلوك الانساني الذي يدل على قوة التاثير الروحي لشريعة الاسلام السمحة في خلق وسلوك المؤمنين الصادقين من المسلمين وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول « الخير في وفي امتي الى يوم القيامة » .

وفي المحكمة الشرعية براس الخيمة التقينا بفضيلة القاضي الشرعي الشيخ احمد حسن درويش الذي بدا حديثه بالاسف لعدم تطبيق الشريعة الاسلامية ، في معظم المجتمعات الاسلامية ، مما يمد اعداء الاسلام من الملاحدة واللادينيين والعلمانيين بمزيد من القوة في افتراءاتهم على الشريعة الاسلامية . وادعائهم عليها بعدم الشمول لمتطلبات العصر ومقاييسه . ويقول .

« لو ان هؤلاء كلفوا انفسهم قليلا من عناء البحث والدراسة لتاريخ انتصار المسلمين على اعتى القوى العالمية خلال قرونهم الاولى (الروم والفرس وغيرهما) لآمنوا بان المسلمين دائما ينتصرون ، ما تمسكوا بدينهم وقيمهم وايمانهم وانهم لم يضعفوا ويضمحلوا الا بعد ان ضعف ايمانهم وانصرفوا عن دينهم وقرآنهم ، ولهذا فنحن نرجو ان يعود المسلمون في كافة مشارق الارض الى كتابهم وسنتهم حتى ينصرهم الله على أعداء الانسانية

فضيلة الشيخ ابو زيد الشربيني الافندي قاضي محكمة العين الشرعية ·· وهو يفصل في بعض القضايا الهامة المعروضة على المحكمة · وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية ·

فضيلة الشيخ ابراهيم بن حمد ابن سلطان القاضي السعودي بمحكمة الشارقة الشرعية الذي أوضح كثيرا من الملابسات حول مفهوم القضاء في الاسلام ··

فضيلة سليمان قاسم الفيفـــي القاضـــي السعودي لام القيوين وفلج المعلا .

هذا الكاتب اختار باب محكمـة العين فاحتله بالته الكاتبة لتكون خدماته في متناول المتقاضـــين

القضاء الشرعي

وعن المحاكم الشرعية في رأس الخيمة يقول فضيلته :

« ان الناس هنا يحترمون عقيدتهم ، ولا يقبلون حكما غير مستمد من أحكام الله وشريعته . الا انه مع تكاثر الناس وتوافد المهاجرين من غير العرب ومن جنسيات كثيرة . فقد أصدر سمو الحاكم الشيخ صقر بن محمد القاسمي عضو المجلس الاعلى حاكم راس الخيمة قانون انشاء وتنظيم المحاكم (المدنية والشرعية) في عام ١٩٧١ ونحن هنا نرفع لواء الحق والعدل طبقا لشريعة الله وحكمه مدعومين من ايمان سمو الحاكم الشيخ صقر الذي لا يسمح في اي تهاون يضر بشريعة الله » .

٤٠٠ درهم ثمنا لحياة عامل والقاتل مهندس :

ومن القضايا التي نظرتها وتنظرها محاكم راس الخيمة يحدثنا القاضي الشرعي الشيخ احمد درويش عن هذه القضية

« في احدى الشركات .. قام أحد العمال بسرقة أربعمائة درهم من زميل له .. ولجأ المجني عليه الى رئيسه في العمل . وهو من نفس جنسيته .فقام بالتحقيق مع العامل السارق الذي انكر في البداية ثم عاد واعترف بالسرقة وتعهد بدفع قيمة المبلغ الذي سرقه لصاحبه . ومرت أسابيع وهو يماطل في الدفع ويراوغ ويتهرب حتى استاء منه المهندس . وفي يوم من الايام اصطحب المهندس أربعة من العمال وذهب الى العامل في غرفته وصار يهدده . بينما امسك أحد العمال بشاكوش لارهابه وبينما كان المهندس ممسكا برقبة العامل ضغط عليها ضغطا شديدا حتى اجهز عليه . ثم تركوا جثته في الغرفة حتى يحل الظلام . وبعد المغرب نقلوه في سيارة الى خارج المدينة وعلى بعد حوالي ٤٠ قدما من بئر خربة قاموا بحرق جثته وتركوها وانصرفوا .

لقد أراد الله أن يكشف المجرمين فاعمى بصيرتهم عن البئر الخربة التي لو القوا فيها بالجثة لما اكتشف امرها أحد واكتشفت الجثة وظل رجال الشرطة يتتبعون خيوط الجريمة . حتى قبضوا على جميع المتهمين الذين اعترفوا بالجريمة فماذا كان حكم الشرع فيهم؟

لقد ثبت للمحكمة أن الذين شاركوا في القتل هم المهندس واثنان من العمال وهؤلاء حكم على كل منهم بالسجن اثني عشر عاما مع دفع دية القتيل . أما العاملان اللذان شاركا في حمل الجثة واحراقها فقد نال كل منهم ثلاث سنوات . كما حكمنا بالسجن لمدة ثلاث سنوات على سائق السيارة التي حملت الجثة . وبعد مضي عام على سجنه برأته محكمة الاستئناف . اما الدية فان المهندس القاتل قد تحمل (بناء على رغبته) بمصاريف حضور والد القتيل من بلده وعودته . كما قام بدفع الدية الشرعية له) .

كما اتيحت لنا فرصة حضور محاكمة السائق الباكستاني سليم خان عن حادث صدم سيارة أدى الى تدهورها ووفاة احد ركابها وهو المرحوم سيف صحى سيف

سائق سعيد هلال حباب . وقد
ة على المتهم الذي اتضح
ل رخصة قيادة وادعى انه
بكيا وانه كان خلال الحادث
ارة فانفجرت احدى عجلاتها
ى وقوع الحادث . وبعد
اكمة صدر الحكم في نفس
التي
تهم شهرين اعتبارا من
ه وتغريمه أربعة الاف درهم
ية القتيل وقدرها ٢٤ الف
٦١٤٠ درهما قيمة اصلاح
جني عليها + ٥٠٠ درهم
انة السائق + ٢٠٦٥
رسوم المحاكمة . وبذلك
ع المبالغ المحكوم بها على
٣٧ دراهم .
ضيتان منظورتان امام المحاكم
راس الخيمة . الاولى
دى جلساتها وهي تدور حول
دس فيها القاتل السم
شراب العصير ليتخلص من
عمل اضافي ذو طبيعة
افس عليها الصديقان . وقد
اعترف المتهم اما م النيابة بارتكابه الحادث رغم حداثة سنه . ثم عاد وأنكر امام المحاكمة . وقد قام بمرافعة النيابة خلال الجلسة التي حضرناها الرائد احمد الشرهان نيابة عن وكيل النيابة الذي أصيب بمرض مفاجيء نتيجة الارهاق صباح يوم نظر القضية . وقد ادعى أمام المحكمة انه اعترف تحت الضغط فواجهه الرائد الشرهان بحقائق دامغة وردت على لسانه وشهود بوقائع لا يمكن الادعاء بها او انكارها.

ونترك محاكم رأس الخيمة ونحن اكثر ايمانا بأن أحكام الشريعة الاسلامية بحزمها وحسمها هي خير علاج للجريمة في المجتمعات الانسانية . والدليل على ذلك ان مجتمعاتنا على بداوتها وتخلفها الذي فرض عليها لقرون طويلة تقل فيها الجريمة بنسبة يجل الوصف عنها اذا ما قورنت بالمجتمعات الاخرى التي تدعي الحضارة والرقي . وتطبق فيها القوانين الوضعية المدنية وقد سلبتها الجريمة كل عوامل الاستقرار والطمأنينة .

رسالة نيامي

مــــن :

محمد حسن
أحمد البشـــير
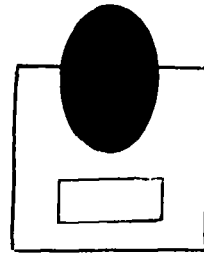
[illegible]
الايام والتي يدور حولها لغط كثير في الشرق والغرب وذلك بتنظيمها لندوة « الحريات وحقوق الانسان » في نظر الاسلام» التي عقدت في نيامي وتهيئتها لعدد من قادة الفكر الاسلامي للقاء في عاصمة جمهورية النيجر واتاحة الفرصة لهم للتعرف على منطقة غالية ومغمورة من ديار الاسلام في غرب افريقيا ٠٠
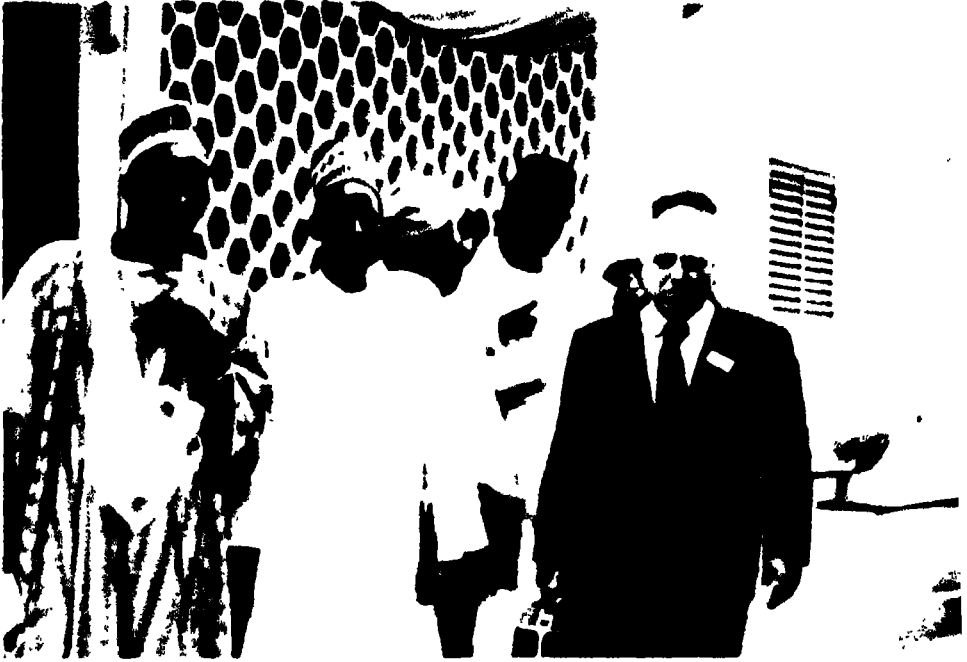
▲ اعضاء الوفود خارج قاعة المؤتمر ويرى على اليمين دكتور ن
الجمال مدير الدائـــرة الثقافية للمؤتمر الاسلامي · ب

بعض اعضاء الوفود خارج قاعة
المؤتمر · ▼

رسالة نيامي

وعلى مدى ثلاثة أيام متواصلةاجتمع مندوبو كل من النيجر . موريتانيا،المغرب امارات العربية المتحدة ، السودان ، السعودية ، مصر ، تونس ، السنغال ، تركيا ، باكستان ، وماليزيا ·· حيث طرحت بحوث عديدة تناولت الحقوق التي منحها الاسلام للفرد والجماعة والحاكم والمحكومين وواجبات الفرد تجاه الجماعة وحقوق الفرد على الجماعة ، كل بحث يتناول احدى هذه القضايا بالتفصيل ، وبعد كل بحث كان يدور نقاش وتعليقات هادئة وساخنة أحيانا ··

افتتح الندوة وزير العدل النيجري السيد محمدو معلم أوامي بكلمة رحب فيها بالمؤتمرين وعبر عن سروره لانعقاد الحلقة على أرض النيجر واجتماع مندوبي العالم الاسلامي باقطاره المختلفة مما يدل على وحدة العالم الاسلامي · وتلاه سيد ظفر الاسلام الامين المساعد للمنظمة الذي أوضح الغرض من انعقاد مثل هذه الندوة وخطة الامانة العامة في عقدها في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي وشكر حكومة النيجر لاعدادها واستضافتها لهذه الحلقة الدراسية وهي الثالثة من سلسلة الحلقات التيتنظمها الامانة العامة حيث انعقدت الاولى في دكا ببنغلاديش عن الموارد البشرية والطبيعية في العالم الاسلامي والثانية ببنغازي بليبيا وكانت عن المصارف الاسلامية ··

البحوث :

ومن البحوث الجيدة التي قدمت في الحلقة،بحث الدكتور معروف الدواليبي الذي أوضح بايجاز وشمول حقوق الانسان ومكانته في الاسلام منجوانب متعددة ، فقد جعل الله الانسان خليفه له في الارض مسئولا عن عمارتها واصلاحها ، وحريات الانسان الاساسية في الاسلام من أعظم أركان الكرامة الانسانية وخاصة حرية الكلمة ووجوب المجاهره بها والجهاد من اجلها ودفع العدوان عنها ··

فالانسان كريم عند الله سبحانه وتعالى « ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» الاسراء ٧٠ ، فلا تمايز بين انسان وآخر بسبب العرق أو الجنس « لا فضل لعربي على عجمي ولا لابيض على اسود الا بالتقوى » والاسرة الانسانية واحده « الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه أنفعهم لعياله » ·

كما دعا الاسلام للتعارف والتعاون بين الشعوب « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن اكرمكم عند الله اتقاكم » ١٣ · الحجرات ، كما أمر الاسلام حرية الانسان في عقيدته « لا اكراه في الدين » البقرة ٢٥٦ ،وحرم أيضا العدوان على مال الانسان وعلى دمه «ان دماءكم واموالكم عليكم حرام» وحصن البيت حماية لخصوصيات الانسان « لا تدخلوا بيوت غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على أهلها » النور ٢٧ ، وأقر الاسلام التكافل بين ابناء المجتمع « والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »

المعارج ٢٤ـ٢٥ . واوجب العلم على كل مسلم ومسلمة « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقوله تعالى « ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » الرحمن ٣٣ اي سلطان العلم . كما فرض الاسلام الحجر الصحي في حالات الامراض المعدية حماية للصحة العامة « اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليها واذا وقع وانتم بارض فلا تخرجوا منها » .

وبذلك يكون الاسلام قد سبق المنظمات العالمية باربعة عشر قرنا في اعلان هذه الحقوق بل في ايجابها والتي تنشد الحاجة اليها في عالمنا المعاصر من اجل سلام الانسان وسعادته ولذلك اقام الاسلام دعوته من اجل خير الانسان « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ال عمران ١٠٤ .

خصائص حقوق الإنسان ومميزاتها :

واستطرد الدكتور الدواليبي قائلا ان حقوق الانسان في الاسلام تتميز على حقوق الانسان في المواثيق الدولية بمميزات اساسية

الميزة الاولى :

انها اوامر لا وصايا . بل هي اوامر تشريعية مقرونة بنصوص تشريعية لضمان تنفيذها وما منحته تلك النصوص لرجال السلطة والقضاء من حق تقرير العقوبة اللازمة كلما انتهكت هذه الحقوق . وهو ما لم تصل اليه بعد نصوص الاعلان العالمي لحقوق الانسان

والميزة الثانية :

دعوته لوحدة الاسرة البشرية واعلانه « بان خير بني الانسان عند الله هو اكثرهم نفعا لهذه الاسرة من غير تمييز » « الخلق كلهم عيال الله » وسيادة روح السلام . « يا أيها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة » البقرة ٢٠٨ .

الميزة الثالثة :

ايجاب حرية كلمة الخير وحمايتها وهذا ما قامت عليه في الاصل منظمة الامم المتحدة ـ بعد حرب عالمية ضارية ـ في حدود النصائح والوصايا ولم تضع له حتى الآن ضامنا تشريعيا لحمايته . في حين أوجب الاسلام القتال من اجل ضمان هذا المبدأ . وفي وجوب حماية حرية كلمة الخير . وأعلن الجهاد من أجلها فقط عندما نمنع من تأديتها بالحكمة والموعظة الحسنة . في الوقت الذي حرم فيه القتال من أجل الاكراه في الدين .

والاسلام دعا اولا للحوار السلمي والقول الحسن واتخذ منها اسلوبا في دعوته ما لم يمنع منها . وخطط للحوار بالبدء بنقاط الوفاق لا بنقاط الخلاف . وقال لمخالفيه « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » ال عمران ٦٤ . وقال « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن » العنكبوت . ٢٦ .

وبعد هذه الكلمة الضافية دار حوار طويل حول تفسير د. الدواليبي لكلمة

بعض اعضاء الوفود خارج قاعة المؤتمر ٠

الوفد الموريتاني ويرى منـدوب ماليزيا على اليمين ٠

دكتور مصطفى لطفي عضو الوفد التركي ·

مندوب الوفد التركي يلقي كلمته وعلى يساره المندوب التونسـي ·

سلطان في الآية «لا تنفذون الا بسلطان» وردد اكثر من متحدث بانها تعني احوال الآخرة لا الدنيا كما يشير السياق واللحاق ، وانه تحد متعلق بمستحيل ٠

وذكر الدكتور زكريا البري ـ مصر ـ ان الانسان لم ينفذ بعد من أقطار السموات والارض ٠

وتحدث الاستاذ صالح أقودجان ـ تركيا ـ فذكر أن الحاكم العادل غير المسلم قد يكون أفضل من الحاكم المسلم الظالم . وأثار موقف الاسلام من الرق وكيف نظم الاسلام علاقة العبد بسيده . ورفع الضيم والظلم الذي كان يقع بالارقاء ٠

ورد الاستاذ قاسم البيهقي ـ النيجر ـ بأن المسلمين لا يجوز لهم الخضوع لحاكم غير مسلم الا اذا غلبوا على أمرهم ٠

وعقب الاستاذ نوح عبد الرحمن ـ النيجر ـ بانه لا يوجد رق في الاسلام ففي القرآن لا نجد نصا واحدا يقر استرقاق الانسان لاخيه الانسان والناس عبيد لله فقط ٠٠ ورد الشيخ محمد الامين طالب ـ موريتانيا ـ بأن الاسلام لم يحرم الرق ولكن حدد موردا واحدا له وهو الكفر والمعاملة بالمثل هي لحماية المسلمين « فاما منا بعد واما فداء » محمد : ٤ ، وأعداء المسلمين يسترقونهم فكيف لا نسترق أسرى المشركين ٠

المرأة في الاسلام :

وأثار موقف الاسلام من المرأة نقاشا مستفيضا وذكر الدكتور الدواليبي أن الاصل هو مساواتها بالرجل في الحقيقة الانسانية وان نصيبها في الميراث استثناء الى جانب أن هناك حالات يساوي نصيب المرأة نصيب الرجل في الميراث ٠

أما الدكتور زكريا البري فقد قال بانه لا ينكر تغير بعض الاحكام بتغير الازمان غير أن هناك ثوابت ومتغيرات فلا سبيل الى مساواة الرجل بالمرأة في الميراث الى جانب أن القوامة للرجل « الرجال قوامون على النساء » النساء ٣٤ « وللرجال عليهن درجة » البقرة : ٢٢٨ ٠

وضع الاقليات في الاسلام .

وتناول الدكتور مصطفى لطفي ـ تركيا ـ وضع الاقليات في الاسلام وقارن بين معاملة الدول المسلمة للاقليات غير المسلمة ووضع المسلمين كاقليات في انحاء العالم المختلفة وما يلاقونه من حيف وظلم . وذكر ان كثيرا من المستشرقين تدهشهم عبارة اهل الذمة. لان معناها أن امنهم ومصالحهم في ذمة المسلمين . ولا يوجد تعبير ادق من ذلك في انصاف أهل الذمة في الاسلام ٠

وتساءل مندوب ماليزيا الشيخ ابوبكر ٠٠ لماذا نجد الاقليات غير الاسلامية متقدمة في مجالات التعليم والتجارة بينما نجد الاقليات المسلمة متخلفة تعليميا واقتصاديا في مجتمعات الدول غير الاسلامية ٠٠ وعزا الدكتور عبد المنعم ابو الفضل ـ السعودية ـ هذه الظاهرة للسند الذي تجده الاقليات غير المسلمة من المنظمات الدولية وهذا

ما بعض المسلمين .

وعقب قسم البيهقي - النيجر - بان هذا الوضع نتج بسبب غزو البلاد الاسلامية عسكريا وثقافيا في القرن الماضي .

واشار الدكتور ابو الفضل الى الخبرات الفنية التي يستعان بها في العالم الاسلامي ووجوب ان تكون هذه الخبرات مسلمة اذا تساوت كفاءتهم بالخبراء الاجانب وذلك لتفادي تأثير الاجانب الضار على المجتمعات الاسلامية .

وتحدث الدكتور الحسيني هاشم - مصر - عن المصطلحات الاسلامية التي يجب ان تكون مستمرة ولا تتأثر بثقافات الشرق والغرب .

ثم تحدث الدكتور مصطفى عبد الواحد - السعودية - وذكر أن اوروبا تحدث حقوق الانسان ونظرية الحاكم خادم الامة من الاسلام ومن الموسف ان يقف الاسلام الان موقف الدفاع بتهمة اهدار حقوق الانسان واضاف ان محاربة الاسلام هي محاربة لحقوق الانسان .

دور الاعلام

وتحدث الاستاذ محمد مهدي محرر الصفحة الدينية بجريدة الاهرام المصرية عن دور الاعلام في ابراز حقوق الانسان في الاسلام . وكيف اقر الاسلام حق النقد والاعتراض وحق ابداء الراي والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ودعا الى وضع خطة اعلامية وتقديمها للعالم الذي يبحث عن السعادة . ولا يعرف الطريق اليها . بينما وضع الاسلام منهاجا متكاملا قبل اربعة عشر قرنا لتحقيق هذه السعادة « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

والقى الاستاذ عبيد راشد العقروبي مندوب دولة الامارات بحثا عن حقوق الانسان في المجتمع المسلم فاشار الى ان الاسلام ساوى بين الحاكم والمحكوم (حادثة امير اء واخطأ عمر) وانصف الاقليات فقد رد ابوعبيدة حرية اهل الشام عندما لم يستطع حمايتهم . واضاف ان الاسلام امر بالوفاء بالعهد « ان العهد كان مسئولا » الاسراء ٣٤ فالرسول صلى الله عليه وسلم اقر الصحابيين الذين عاهدا قريشا بعدم قتالها يوم بدر . والرسول رد ابا جندل وفاءا لصلح الحديبية .. وانصاف عمر للقبطي من ابن عمرو بن العاص والي مصر وقولته المشهورة « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » وان تنحية شريعة الله من الحكم هي التي اصابت الامة الاسلامية بالضعف والوهن والانحلال .

وكان اخر المتحدثين مندوب السودان الدكتور محمد عثمان صالح الذي وصف ما تردد في الندوة بانه تكرار لما يعرفه علماء المسلمين وعاشتهم عن العدل والمساواة في الاسلام . وتساءل هل حقوق الاسلام التي اقرها الاسلام منذ فجر ابلاجه مطبقة الآن في العالم الاسلامي وما هو السبيل الى حمل الدول الاسلامية لتطبيق شريعة الله

وفد النيجر في الحلقـــة يتوسطه مندوب الامارات الاستاذ عبيد آلعقروبي ٠

وزير العدلالنيجري السيد محمود معلم اوامي يفتتح الحلقة ٠

وفد النيجر في الحلقة ·

الوفد السعودي في الحلقة ويرى دكتور الدواليبي ودكتور عبد المنعم ابو الفضل ·

التي تعدل بين الناس وتنحية القوانين الوضعية التي تظلم الناس . ونبه الى ظاهرة تبني الكنيسة للقطاء والايتام في المجتمعات الاسلامية وقيامها بتنصيرهم .

التوصيات :

وبعد هذا الحوار المثمر الذي دار بين المشتركين في الحلقة أصدرت الحلقة احدى عشرة توصية تضمنت ما يلي :

أولا : تكوين لجنة تتبع منظمة المؤتمر الاسلامي لتتولى وضع وثيقة اسلامية تشرح حقوق الانسان وحرياته في الاسلام وتبين ما كان من تطبيقات باهرة في عصور الاسلام الاولى ،وتقدم هذه الوثيقة للدول الاسلامية للنظر فيها واقرارها . ثم تقدم بعد ذلك الى هيئة الامم المتحدة نموذجا اسلاميا يعبر عن تكريم الله للانسان ورعاية الاسلام لحقوقه وحرياته . . وأن الاسلام اعلان الهي لحقوق الانسان الفردية والجماعية مدنية أو اقتصادية أو سياسية وضمان لحرية العقيدة والعبادة والفكر والرأي وأن هذه الحقوق هي واجبات على الفرد نفسه يتولى المطالبة بها والدفاع عنها . وواجبات على المجتمع يجب عليه الوفاء بها .

ثانيا : تشكيل لجنة اسلامية دائمة تتبع منظمة المؤتمر اسلامي لتساهم في رعاية حقوق الانسان بقدر ما تملك الدول الاسلامية .. كما تدعو الحلقة جميع الدول الاسلامية الى الالتزام التام بما قرره الاسلام من حقوق الانسان وحريته ..

ثالثا : تنوه الحلقة بالسماحة الاسلامية في معاملة الاقليات غير المسلمة في الدول الاسلامية . وتدعو الحلقة الدول غير المسلمة الى معاملة المسلمين بمثل ما يعامل المسلمون غيرهم .

رابعا : تتجه الحلقة الى الضمير العالمي وتناديه بانه قد طال الامد على تشريد الشعب الفلسطيني ومحاولة ابادته من قبل الكيان الصهيوني ومن يؤيدونه .

خامسا : ترى الحلقة أن التفرقة العنصرية في افريقيا الجنوبية والتي تؤيدها بعض الدول الكبرى أمر لا يتفق مع المبادىء الاسلامية التي تقرر الاخوة الاسلامية المشتركة .

سادسا : تستنكر الحلقة ما تقوم به بعض الدول والهيئات من استغلال حالة الفقر والجهل والمرض وذلك بتبني الاطفال وهم صغار وتقديم المعونة المادية لهم لقاء تربيتهم على غير عقائدهم وتناشد الدول الاسلامية أن تتصدى لهذه المحاولات وتقديم المعونات الاقتصادية والثقافية لهذه المجتمعات .

سابعا : تؤكد الحلقة أن الاسلام هو الذي قرر مساواة المرأة بالرجل في الحقيقة الانسانية ،وهو الذي كرمها وقدرها وأعطاها من الحقوق ما لم تنل من قبل ، وتبين أن التفرقة بين الرجل والمرأة في الميراث انما نشأت عن طبيعة الاعباء المالية التي يتحملها كل منهما في شريعة الاسلام .

ثامنا : تحث الحلقة المسلمين بصفه عامه وعلماؤهم وقادتهم بصفة خاصة للتصدي للدفاع عن حقوق الانســـان وتذكر شهداءهم بكل خير وتدعو الى التأسي بهم ·

تاسعا : تدين الحلقة الاســـلوب الرخيص الذي تجنح اليه بعض الصحف للانتشار كما تدين استغلال المرأة في الدعايه التجاريه في وسائل الاعـــلام المقروءة والمسموعة ·

عاشرا : تحث الحلقه جميع الدول الاسلاميه على العمل على محو الاميه وتوفير التعليم الاساسي والمجـــاني للجميع ·

حادي عشر : تدعو الامانه العامـه للموتمر الاسلامي انتهاز فرصه الحج السنوي واصدار بيان مكتوب ومسموع في ايام منى يشتمل على توصيات حقوق الانسان وحرياته . كما اعربت الحلقـه عن شكرها وامتنانها لرئيس وحكومه وشعب النيجر للجهود التي بذلوهـــا لانجاح اعمال الحلقه وكذلك شـكرها للامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي التي بادرت بتنظيم الحلقة بالتعاون مع حكومة جمهورية النيجر ·

واخيـــرا :

فهذه التوصيات التي خرجت بهـــا الحلقة مبادىء جميلة جمال الاســـلام الذي انبثقت منه . ولكن ما هو حظها من التنفيذ ؟ فاعضاء الحلقة معظمهـم رجال فكـــر وليسو رجال ســـلطة . والتوصيات سترفع لمجلـــس وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي قـــد يوجل بعض بنودها كي ينظر فيه ملوك ورؤساء العالم الاسلامي في اجتماعهم القادم الذي لا يدري احد متى سيكون!!

انها الفجوة بين المثال والواقـــع . وبين النظرية والتطبيق ··ويبقى انعقاد الحلقة وتوصياتها التي اصدرتها بعد كل هذا تظاهرة اسلامية في الاطراف العربية من وطن الاسلام وتعبيرا عـــن الصحوه التي تنتظم العالـــم الاسلامي الان على الصعيدين الرسمي والشعبي والتي نرجو ان تؤتي ثمارها قريبا ·

للاستاذ : المهدي مسعود عبد الله

رمضـــان أشـــرق عاطر الانسام ... بالنـــور في قدسـية وســـــلام
رمضـــان كيما من رحيقك يرتـوي ... صـــاد وينهل من نميـــرك ظامي
وبيـــل مشتاق اليك جوانحـــــا ... لـــم تستسـغ بســـواك أي أورام
لم تالف الجوع الشـــديد حياتهـــا ... ولديك قـــد الفته دون ســـأم
شـــهر الهدى فانفح بفيضك انفسا ... تاقت الى ريـــاك طول العـــام
كالبلســم الشافي تجيء فمرحبـا ... بك بلســم الارواح والاجســام
بك مرحبـــا شهر العبادة والتقى ... في كل آونـــة مـــدى الاعـــوام

★ ★ ★

يـــا مرفا جعـــل الالــــه لنا بـه ... في الديـــن والدنيا أجـــل مقـام
ليثيبنـــا بالصـــوم خيـر مثوبـة ... ويحفنـــا بجلائـــل الاكـــرام
شـــهر الهدى أشرق كعهدك حافلا ... بالذكريـــات وأســـعد الايـــا
اشـــرق فطهر بالصـــيام نفوسنا ... من لوثـــة الشـــيطان والآثـــا
واســــكب من الايمان بين قلوبنـا ... نـــورا يبدد داجـــي الاوهــ
واسرد على الاسماع مجمل ما حوت ... ايـــات ربك من ســـنا الالهـــ
من معجـــزات خارقات أيــــدت ... جنـــد الهـــدى في روعة وتساه
وافض بذكر أجـــل يـــوم آزرت ... رســـل السماء به قـــوى الاسا
لما اســـتجاب اللـــه جل جلالـــه ... لنـــداء أكـــرم مرسل وامـــ
حين التقى الجمعان واحتدم الوغى ... في بـــدر بين النـــور والاظـــ
اذ أيـــد الرحمن خيـــر عبـــاده ... فأطـــاح جند اللـــه بالاصـــ
وعلا هنـــاك لواء خيـــر شـــريعة ... بالنصـــر تلو النصـــر والاقـ
وتتابعـــت غزوات أكـــرم مرســـل ... تزجي الهـــدى وتبـــث خير نظ
حتى أقام اللـــــه صرح ديانـــــة ... ظلـــت مكللـــة بكـــل و

للاستاذ : محمود محمد ابراهيم

رمضان شهر النور والقرآن … رمضان شهر البر والاحسان
بالفرحة الكبرى أهل هلاله … متالقا في حسنه الفتان
فصيامه روح وراحة أنفس … وطهارة للروح والابدان
هو صحة وسلامة ووقاية … هو نعمة عظمى من الرحمن
فيه مساواة وفيه رحمة … وتجنب للاثم والعدوان
يمحو الرذيلة بالفضيلة والهدى … متساميا بمشاعر الوجدان
هو اية لذوي البصائر والنهى … ودليل حق ساطع البرهان
ولحكمة فرض الاله صيامه … قصدا الى التقويم لا الحرمان
وبليله نجد القيام عبادة … وتقربا للواحد الديان
بعبادة سن النبي بها لنا … دنيا ودينا ثابت الاركان
وبليلة القدر البشائر والمنى … فيها تنزل محكم القرآن
فيها التجلي للاله على الالى … صاموا وقاموا الليل في رمضان
وملائك الرحمن تنزل أرضنا … تدعو لنا بالصفح والغفران
ثم الزكاة تراحم وتكافل … تصفو النفوس بها من الاضغان
هي طهرة للصائمين تقيهمو … في عيد فطرهمو من الادران
يتقبل المولى الكريم صيامهم … عفوا عن الزلات والنسيان
للمسلمين به جحافل ومعارك … في صد أهل الشرك والطغيان
من يوم أن قاموا بأول غزوة … كانت بداية عزة الانسان
بذلوا النفوس بيوم بدر عندما … خاضوا الوغى لحماية الايمان
وبفتح مكة توجوا بجهادهم … نصرا أطاح بدولة الاوثان
يا أمة الايمان هذا شهركم … يزهو على الدنيا مدى الازمان
فيه جهاد نفوسنا وعدونا … جمع الشمائل كلها في آن
فاسعوا لنصرة دينكم ونبيكم … كونوا جنود الحق في الميدان

الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة

(٢)

بقلم الدكتور :
محمد البهي
وزير الاوقاف وشئون الازهر بمصر
« سابقا »

وتخلف القيم الانسانية معناه طغيان الاقتصاد ، أو سيادة الاتجاه المادي في حياة الناس ، وعلاقاتهم ، وتعامل بعضهم مع بعض ، وايثار الجانب البدني والمتعة المادية في حياتهم على المعاني الانسانية ، التي تحفظ لهم مستواهم الانساني • فالمراة مثلا تؤثر شهوة البدن على العفة فتباشر الزنا في غير حرج •• والصديق يؤثر الاتصال بزوجة صديقه على الوفاء له في علاقته معه •• والحاكم يؤثر قبول المال كرشوة لمساندة الراشي في غير حق له ، على العدل في ذاته واحقاق الحق لصاحبه •• والوصي على اليتيم أو على الضعيف يؤثر اكل امواله بالباطل على الرحمة به •• والاخ يؤثر أكل ميراث أخته على معاونتها ومساعدتها على الزواج بمن ترغب فيه،

كيف واجه ... مظاهر حرية

فيعطلها عن الزواج حتى تتنازل عن الميراث ، كلا أو بعضا •• والتاجر يطفف الكيل والميزان عندما يستلم ويبخسه عندما يسلم ، طمعا في ربح أكبر ، ويؤثر ذلك على العدل في البيع والشراء ، وعلى الرحمة بالضعيف صاحب الحاجة •• والمؤتمن على اداء الخدمات ، والموظف لتيسيرها يؤثر تعويق أدائها لمن يستحقها من اجل الحصول على منفعة مادية ، على احقاق الحق في ذاته • وهكذا ••

الاسلام بنظرته الى مظاهر تحرر المرأة المسلمة المعاصرة ، قد واجه بها من قبل : ما يعد شبيها لما تمارسه المرأة الغربية الآن · فمـــا تمارسه المرأة الغربية الآن من حرية شخصية يعطـــي الدليل على تخلف القيم الانسانية في حياتها ، وحياة الاســرة ، وحياة المجتمع الغربي كله · فالعفة ·· والحياء ·· والكرامة الانسانية ·· والامانة ·· والوفـاء ·· وأمثالها من القيم لم يعد لها وجود في الســلوك ، والمعاملات ، وفي الروابط بين الافراد ، وبالاخص بين الذكر والانثى فيها ·

الإسلام عصر المادية و الجاهلية

المرأة .. تخريب للقيم الإنسانية

فالمعاني الانسانية هنا من . العفـة ·· والوفاء ·· والعدل ··والمعاونة ·· والرحمة ·· واحقاق الحق ·· وامثالها تتخلف في حياة الماديين ، او في حياة من طغى عليهم شان الاقتصـــاد في حياتهم فعبدوه والهوه من دون الله ، أو اشركوه معه ·

وطغيان المادية او الجاهلية هـــو طغيان الانانية لدى الافراد في التعامل والترابط · وسيادة القيم الانسانية هي

وعند النظرة الى الآخرين · والاسلام مثلا لم يجعل هدف الزوجية · المشاركة في الاقتصاد ·· ·· المشاركة في نفقات الزوجين ··المشاركة في أعباء الاسرة، كما يدفع الى ذلك الاتجاه المـــادي في حياة الناس · بل جعل هدف الزوجية : معاني انسانية . السكن ·· والمودة ·· والرحمة « ومن أياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الروم : ٢١ ·

وعصر ما قبل الرسالة المحمدية كان يسمى بالعصر الجاهلي · أي عصر الطغيان الاقتصادي على النفوس ، وهو طغيان الانانية والمصالح الفردية على القيم الانسانية ، عند معاملة فرد لفرد ، وعند علاقة فرد بفرد ، ولم يسم هذا العصر بالجاهلية : لتفشي الامية ، أو تفشي البدائية فيه ·

فمجتمع شبه الجزيرة العربية ، أو مجتمع مكة الموطن الاول للدعوة الاسلامية ، لم يكن الا جزءا من المجتمع العالمي ، في ذلك الوقت ، ذلك المجتمع الذيكان يتمثل في الامبراطوريتين : الفارسية ـ والرومانية · وقد كانت للفرس حضارة ، وللرومان حضارة ، وللعرب كذلك حضارة · ولكنها كانت حضارة مادية ، أي قائمة على كيان مادي في التشييد والتعمير ، وازدهار الاقتصاد ، والتنوع في وسائل الحروب ·· الخ · ولم تكن حضارة انسانية ، غلبت عليها القيم الانسانية ، وسادت فيها هذه القيم على العلاقات والروابط بين الناس ·

فالاسلام برسالته واجه بالامس مجتمعا بشريا ، كيانه : المادية ، والحضارة المادية ، التي طغى فيها الاقتصاد على كل شيء ·· طغى فيها على القيم الانسانية ·· طغى فيها الجانب المادي والمتعة المادية على الروابط الانسانية بين الناس ·والمجتمع المادي ، وكذلك الحضارة المادية لها مظاهر معينة توجد في كل وقت وفي كل جيل ، عندما يسيطر طغيان الاقتصاد على النفوس فيه ·

١ ـ فقد واجه الاسلام برسالته قتل الاولاد خشية الفقر · أي واجه اناسا يؤثرون وضعا اقتصاديا معينا في معيشتهم ، على رعايتهم لولد ربما تكرههم رعايته على النزول عن وضعهم الى وضع أدنى منه في الحياة · وقد واجه طغيان معنى الاقتصاد على القيم الانسانية ·

والعصر الذي تعيش فيه المرأة الآن هو عصر مادي أو جاهلي يرفع من قيمة الاقتصاد في مواجهة القيم الانسانية الى درجة الطغيان به ، ويربط بين الاقتصاد في مستواه قوة وضعفا ، وقيمة الانسان · بحيث أصبح الانسان يقيم بما يملك من هذا الاقتصاد ، وليس بما يملك من طاقات بشرية وكفاءات تعبر عن المستوى الانساني ·

والعصر المادي اذ يغلبقيمة الاقتصاد ويتخذها أساسا للفصل في الامور ، يضع المرأة وجها لوجه أمام المنافع المادية وما يمكن أن يعود عليها منها وما لا يمكن أن يعود ، ان سلكت هي مسلكا معينا ·· ويجعل عندها القيم الانسانية العليا مثلا : أمورا لا تحصل من ورائها على نفع مادي ·

والمرأة الغربية المعاصرة اذ تبيح لنفسها أن تجهض الجنين قبل تكامل نموه ، خشية الفقر ، تساوق المرأة على عهد الجاهلية والمادية وقبل الرسالة من قتل الاولاد للسبب نفسه · والقرآن اذ ذاك يطلب من المؤمنين برسالته : أن يتركوا هذه العادة ، في قوله تعالى « ولا تقتلوا أولادكم ، خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطأ كبيرا » الاسراء : ٣١ ·

وباجهاضها للجنين تؤثر المرأة المعاصرة الهدف المادي ، وهو التخفيف من التكلفة في المعيشة ، على القيم الانسانية ، وهي رعاية ولد يولد حتى يستقل بأمر نفسه في الحياة ·

وقد تلجأ الى تركه للتبني من غيرها بعد ولادته ، كما تنقل صحيفة أسبوعية كبرى في لندن قصة Douglas Dawes وزوجته ، تحــت عنوان : « والدان يؤثران سيارتهما على طفل جديد لهما » وجاء في هذه القصة أن هــذا الزوج وزوجته Sosan كان عليهما أن يختارا بين طفلتهما المولودة حديثا في المستشفى ، وبين سيارة كلفتهما ثلاثة آلاف واربعمائـــة من الجنيهات · اذ انهما لا يمكنهما الاحتفاظ بالاثنتين معا واختارا السيارة ·

والزوج يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاما يحكي سبب ذلك ويقول : نحــن لدينا صعوبات مالية · وقد تحدثنا عن حلول كثيرة · واستقر بنا الامر على أن نترك البنت في المستشـفى بعد ولادتها للتبني ، لانه اذا لم نسلمها للتبني يتعين علينا أن نبيع السيارة · وأسرتنا الآن تتكون مني ومن زوجتي ، وأولاد ثلاثة يبلغون على التــوالي : الخامســة ، والرابعة ، والثانية · ثم يستطرد في تبرير تصرفه ، فيقول : بعض النـــاس يهملون أولادهم · ولا نريد ذلك لاولادنا ·· كما لا نستطيع أن نعطي الطفـــل الجديد كل ما يجب أن يكون لديه .زيادة على الثلاثة الذين يعيشون معنا · وهذه الطفلة المولودة حديثا يمكن أن تجــد عند غيرنا : ما هو افضل مما عندنا ·

أما زوجته فتقول في تبرير تصرفها بالاشتراك مع زوجها انني أعتقـد أن ما فعلته كان هو الصواب · وانا قدمت الآن من المستشفى الى المنزل . وتركت طفلتي هناك · وبالصدفة ألقيت عليهـا نظرة · وهي بنت صـغيرة محبوبة · ولكني لا أرغب في أن أراها ثانيـة · وما أفكر فيه هو أن تكون سعيدة في أسرة أخرى · وقد حملت ست مـرات في ست سنوات · وفي كل مرة يبدو لنا أننا نستطيع الحصول على قليل مــن المال أكثر مما نحصل عليه ، كي نعمل به شيئا · ولكن واقع الامر هو أننــا نسعى باستمرار الى موازنة الدخل مع النفقات · فنحن تقريبا : ندفـــع ·· وندفـــع ·

وزوجها يحصل على ثمانين جنيهـا في الاسبوع · ولم يزل يدفع قســط سيارته التي اشتراها جديدة سنة ١٩٧٤ ويقول انا أعلم أن بعض النـــاس يتصورون : أني أفكر في نفسي فقط · ولكن بعد ما قصصت هذه القصة على مجموعة من العاملين معي أبدوا تفهما للوضـع » ·

فان ترك الوالدان طفلتهما للتبنــي الآن ، فالتبني وسيلة للتخلص مــن الولد ومن العناية به · والفرق بينه وبين التخلص منه بالقتل هو الفرق بين جو البداوة فيما مضى وجو الحضــارة الآن · وعلى أية حال فالقائم فعلا هو ايثار المنفعة المادية على الانسان ، أو ايثار الذات على الآخرين بعدهــا · وتلك أخص ظاهرة تميز الماديـــة في طغيانها ·

واذ تبيح المرأة المعاصرة لنفسها حق منع الحمل عن طريق تناول الحبــوب الخـاصة بمنعه ·· وحق اجهاض (١) الولد وهو في بطنها قبل ولادته ·· وحق تركه للتبني بعد ولادته فانها تفكـر في ذاتها وحدها ، أو تفكر في المنفعة أو في الضرر الذى يعود عليها بســبب الولد ، ايا كان وضعه · وهي بأيـة واحدة من هذه الوسائل تقع تحت تأثير طغيان المادية · التي واجهها الاسـلام برسالته . عندما حرم قتل الاولاد خشية تركه للتبني بعد ولادته : فانها تفكر في الفقر · ويواجه مثل هذه الوسائل اليوم

بنفس الموقف ، وهو تحريمها • فالغاية من جميع هذه الوسائل واحدة ، وهي ايثار الذات على غيرها ، وان اختلفت صورها •

والمرأة الغربية تبيح لنفسها اليوم أيضا : التجربة قبل الزواج » • وهي معاشرة الرجل معاشرة جنسية في علاقة تسميها الصداقة ، وقد تسميها الخطوبة • ومدتها تطول أو تقصر • وغالبا ما ينتهي أمرها الى الفرقة وانصراف كل منهما الى البحث عن علاقة جديدة بآخر ، أو بأخرى •

واذا كانت المرأة الغربية المعاصرة تقبل على معاشرة الرجل معاشرة جنسية ، في غير زواج بينهما ، على أمل أن تكون زوجة له يوما ما ، فان اقبالها على ذلك من غير شك ، ينطوي أيضا على استخفافها بالقيم الانسانية• فهي لا تحفل بعفة المرأة ، ولا بكرامتها ، ولا بحيائها عندما تعاشر أجنبيا عنها في غير علاقة زوجية علنية وصحيحة ، وقد يتكرر هذا الاجنبي : اليوم ، وغدا•

و « التجربة قبل الزواج » اليوم تساوق بالامس نكاح المتعة الذي أبيح ثم حرم على أول عهد الرسالة • فكل منهما مؤقت •• وكل منهما يستهدف المتعة الجنسية وحدها •• أي لا يستهدف النسل •• وكل منهما لا يثبت به ميراث بين الطرفين •• وكل منهما لا يحصر العدد •• وكل منهما يجيز ادخال بنت الاخ أو بنت الاخت على من هي في التجربة قبل الزواج ، أو على من هي في نكاح المتعة ، عند اذنها •

نكاح المتعة :

والاسلام في تحريمه نكاح المتعة ينظر الى أنه ظاهرة من ظواهر طغيان المادية هذا الطغيان الذي يمثل الانانية ، وضعف اعتبار القيم الانسانية •

وفي تحريمه يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة ، وعن لحوم الحمر الاهلية ، يوم خيبر » • ويروي كذلك الترمذي بسنده عن ابن عباس قوله : « انما كانت المتعة في أول الاسلام • كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة ، فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه مقيم ، تخدمه • حتى نزلت : «الا على أزواجهم ، أو ما ملكت ايمانهم» فكل فرج سوى هذين فهو حرام • فهذا صريح في انه لم يقل بحلها مطلقا • بل في صدر الاسلام » (٢) •

وهذا الذي يواجهه الاسلام اليوم من « زواج التجربة » ولا يختلف عما واجهه بالامس في الجاهلية من نكاح المتعة : مظهر كذلك من مظاهر الطغيان المادي او الاقتصادي . وبالتالي مظهر من مظاهر التخلف في القيم الانسانية . الذي جاءت دعوة الاسلام لابعاده عن الحياة الانسانية •

واذا كان الاسلام يحرم ما كان على عهد الجاهلية من نكاح المتعة . فانه يحرم بالقطع ما يشبهه وما على شاكلته اليوم من نكاح « الصداقة » او « زواج التجربة » • ومن الاسف انه في بعض مجتمعاتنا الاسلامية تروج الدعوة لزواج التجربة بين الشبان والشابات مع انه كان من اسباب رواجها في المجتمعات الغربية المعاصرة : منع الطلاق في الزواج الكاثوليكي ، وتعقيد في الزواج البروتستنتي عن طريق الاجراءات القضائية التي تلازمه بينما الاسلام جعل للرجل حق الطلاق وللمراة حق الخلع . كوسيلة لرفع الضرر عن أي من الزوج او الزوجة

نكاح المتعة ظاهرة من ظواهر طغيان المادية

بسبب عقد الزواج ·

والمرأة الغربية المعاصرة تبيح لنفسها الدخول فيما يسمى «بتبادل الزوجات، أو الصديقات» · فتصحب المرأة زوجها ، أو صديقها الى النادي الخاص بذلك ، أو الى أحد الاجتماعات الخاصة في منزل من المنازل · وبعد الاقتراع الذي يحدد المرأة لرجل غير زوجها أو صديقها في هذه الليلة ، تتم المعاشرة الجنسية بين الاثنين · وربما تجمع الحجرة الواحدة عند المعاشرة : الزوجة مع غير زوجها ·· والزوج مع غير زوجته ·

وقد يكون تبادل الزوجات ضمن ما يسمى « بالزواج الجماعي » كما هو منتشر اليوم في السويد · وهو أن يسكن خمسة من الشبان مثلا مع زوجاتهم في منزل واحد · ويتبادلون الزوجات فيما بينهم في المسكن والاقامة على معنى · أن كل واحد من الخمسة له الحرية في معاشرة أية زوجة من زوجاتهم ، معاشرة جنسية · والاولاد التي تأتي نتيجة هذا الزواج الجماعي ينسب ما تأتي به كل زوجة الى زوجها ، وان لم يكن في واقع الامر منه · وفي هذا الزواج الجماعي قد يزيد عدد الزوجات على أربع للزوج الواحد ·· كما يزيد عدد الازواج للزوجة الواحدة على عدد غير محدود · ومع ذلك لا تطارد المرأة الغربية المعاصرة هذا النوع من الزواج ، كما تطارد المرأة المسلمة تعدد الزوجات لزوج واحد · بل ان المرأة الغربية تعده مظهرا حضاريا ، رغم أن الاولاد الناتجة عنه قد تكون من سفاح ·

ومن الغريب أن يتندر المستشرقون ، وبعض الكتاب الغربيين على رخصة تعدد الزوجات في الاسلام عند الحاجة ـ ويتبعهم بعض الكتاب في المجتمعات الاسلامية المعاصرة ـ ولا يشهرون بالزواج الجماعي ، وتبادل الزوجات أو الصديقات ، على العموم·

ومن الغريب أيضا : انه في أية دولة غربية لا يعاقب القانون الآن على ممارسة هذا النوع الفاجر من الفحشاء · اذ يعتبره صادرا عن ارادة حرة للرجل والمرأة معا · والزنا يعتبر أمرا يخص الشخص ، ولا شأن للمجتمع به · بينما الاسلام يعتبره جريمة اجتماعية · ومن هنا كانت دعوته نفرا من المؤمنين عند تنفيذ العقوبة عليه ، كشهود ، على نحو ما جاء في قول الله تعالى : « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » النور : ٢

وان دل تبادل الزوجات او الخدينات في زواج جماعي ، أو في اجتماع خاص لهذا الغرض ، على شيء : فانه يدل على طغيان المادية ، وايثار الناحية المادية في المتعة وخلافها ، على القيم الانسانية ·فكرامة المرأة ·· وعفتها·· وحياؤها مثلا : أدنى من المتعة المادية والعامل المادي في العلاقات ·

والاسلام من أجل رسالته الانسانية في رفع شأن القيم العليا في حياة الانسان في مواجهة الطغيان المادي في الجاهلية ، عندما واجه « نكاح الشغار » : حرمه والغى اعتباره كلية ·

وبتحريمه رد للمرأة كرامتها وحـــال دون امتهانها ، فقد كان هذا الضـــرب من النكاح يقوم على أن يزوج الرجل : ابنته او اخته لرجل آخر في مقابل أن يزوجه هذا الآخر : ابنته أو أختـــــه كذلك ، بدون مهر ، اكتفاء بأن كل واحد منهما أحل للآخر الاستمتاع ببضع من في ولايته من البنت ، أو الاخت · فيكاد يكون صورة من صور تبادل الزوجات ، أو تبادل المتعة بالمرأة · فيرمي بالمرأة ليستمتع بها دون هدف آخر · وبذلـك تجرد من اعتبارها الانساني · اذ طالما أصبحت « موضوعا » يلقى به بين يدي الرجل ، لم تكن هي الانسان الـــــذي يشارك الرجل في اعتباره ، وفي البناء ·· ولم تكن هى الانســـان كذلك الذى يسعى اليه الرجل ويحفظ له حرماته ·

والمرأة الغربية المعاصرة تبيح لنفسها ان تلقح صناعيا من رجل آخر ، تعرفه، أو لا تعرفه ، كما يباح لها ان تعاشـــر رجلا اجنبيا تنجب منه ولدا ، في غيـــر زواج ، تختاره من بين عديدين يتقدمون لها عن طريق الاعلان في بعض المجلات·

فعن طريق المعاشرة الجنسية غيـــر الشرعية تحكـــي مجلة المانية قصـــة امرأة تطلب أن تكون اما من رجل ليس زوجا لها ويظل أجنبيا عنها فتقول ·

« ماكي بلوم Macky Blum وتبلغ الخامسة والعشرين من العمر ، وليس لها صديق دائم ، وتعمل بائعـــة بأحد المحلات التجارية في امســتردام بهولندا ، تريد ان تصبح أما لطفل لا يعرف له أب ، حتى يكون لها وحدها · فاختـــــارت ثلاثة من أصدقائهـــــا ، وعاشرتهم معاشرة جنسية في ثـــلاث ليال متتالية ، بعد ان اقترعت بينهـــم على الطريقة الروسية · وبذلك يضيع ماء النسب بين الثلاثة ، وتنفـــرد هي وحدها بعد ذلك بالولد : و « ماكــي » لا تؤمن بالزواج كنظام للاســـرة في الحياة · وتقول : انه يوجد بعـــض الارتباطات الزوجية في غاية التعاسـة والشقاء ، وتمدح طريقة اسرائيل في حياة الكيبوتز

وهي حياة ينشأ فيها الطفل ولا يعـرف أما على حدة ·· هي حياة أشبـــــه بحياة الزواج الجماعي ، كما لا يعرف فيها أبا على حدة أيضا · وأرادت أن تكون أما لطفل ، بعد أن اجهضت نفسها قبل ذلك بسنتين ، وتملكها شعور عميق بالحزن ، على اجهاض طفل تعتبـــره قطعة منها · وهي تسعى الآن لان تكون أما ، وربما لترضي ضميرها ·

« ومن رأيها : أنه ليس بلازم أن يكون للطفل أب معين يمد اليه يد الحنـــان ، فأصدقاؤها الثلاثة رغم أن أي واحـــد منهم غير ملتزم أمامها بالتزام خـاص ، يستطيع كل واحد منهم أن يقوم بـدور الحبيب للطفل » ·

وما تبيحه المرأة الغربية المعاصـــرة الآن لنفسها من انجاب طفل من أجنبي تختاره ، اما مباشرة واما عن طريــق التلقيح الصناعي ، قد سلك بالمرأة في العصر الجاهلـــــي على عهد الرسالة الاسلامية : طريقه · وواجه الاسلام اذ ذاك ما يسمى بنكاح الاستبضاع · وهو أن يرسل الرجل زوجته اذا طهرت مـن الحيض الى رجل آخر تستبضعه · أي تطلب منه أن يباضعها · والمباضعـــة هي الجماع · ويعتزلها الزوج حتـى يتبين حملها · فان تبين أصـــابها اذا رغب · والباعث على ذلــك هو نجابة الولد واختيار السلالة البشرية التـــي يؤثرها على غيرها · كما يختار الانسان سلالة الحيوان فيوفر لانثى الحيـــوان عنده فحولة معروفة بالقوة وبالاصالة

في النوع ، وكما يختار سلالة النبات مما يجنبه الامراض والضعف المتوارث

وعندما واجهه الاسلام وقت ذاك العاه وحرمه · لانه يقوم على اعتبار المراة طبيعة حيوانية فقط ، ليس لها احساس الانسان ولا كرامته · وعن طريقه ينزل بها الرجل مجال «التجربة» كما يستخدم الحيوان في انتخاب السلالة والحقل في استنبات النوع الافضل من النبات · وطغيان الاتجاه المادي بهذه الظاهرة امر واضح · فالمراة الآن بدن ووعاء فقط لما يلقى فيه من مخلفات الرجل · على انه بالاضافة الى هذه النظرة المادية المحضة للمراة فان معاشرتها لرجل آخر ليس زوجا لها معاشرة جنسية هي صورة من صور الزنا ، مهما اكد الزوج رضاه بما تم · ورضاه لا ينفي تعلق حق المجتمع ـ في نظرة الاسلام ـ مما رضي به · وهو حق يتصل بالانساب ، وتوفير الكرامة والاعتبار الانساني لكل فرد فيه ·

التلقيح الصناعي :

والتلقيح الصناعي نوع آخر من الزنا · لان حرمة الزنا لا تعود الى المتعة الجنسية وحدها ، التي قد لا توجد عند الزانية اذا احترفت الزنا · وانما أيضا الى امتهان حرمة الانسان· فنقل مني رجل اجنبي الى رحم امراة عن طريق صناعي لانجاب ولد : فيه مساس قوي بكرامة المراة ، وكرامة الرجل ، وكرامة الزوج ان وجد · اذ افترض عندئذ : ان كل واحد منهم تركيب عضوي فقط ·

واذ يواجه الاسلام اليوم ظاهرة التلقيح الصناعي التي تباشرها المراة الغربية المعاصرة في عصر ما يسمى بالثورة الجنسية أو عصر تحرير المرأة فانه يواجه مادية طاغية ، لا تقيم وزنا لاية قيمة انسانية · ولذا لا يستنكرها الاسلام فحسب ، بل ينذر المجتمع الذي تسود فيه بالزوال : « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » الاسراء : ١٦ ·

والمرأة الغربية المعاصرة تبيح لنفسها ـ بالاضافة الى ما تقدم ـ دخول صناعة البغاء ، والمشاركة في رواجها بسبل عديدة · فالبغاء اصبح صناعة راسمالية تكسب فيه المراة عن طريق عرضها · فرءوس الاموال الكبيرة تشيد الفنادق والمعارض تقيم فيها المحترفات بالبغاء ، كما تعرض في واجهاتها ابدان النساء عارية ، مع الاجور التي تدفع لهن · وتقام هذه الفنادق في مواقع مختارة ، تعرف بالتردد عليها كمواقع للهو والتسلية او في مواقع كنقاط اتصال على الحدود بين دولة واخرى ·

وهناك صور اخرى من البغاء تختفي في المساكن الخاصة ، او في اماكن التدليك ، او في السفريات على البواخر او الاقامة في الفنادق والبنسيونات ·

ورواج البغاء ظاهرة من ظواهر طغيان المادية · ذلك الطغيان الذي لا يقيم وزنا للقيم الانسانية في علاقة الناس بعضهم ببعض · بل يحفل فحسب بالمادة وحدها ·· يحفل بالمتعة المادية ·· وبالمنفعة المادية ·· ويعنى بالابدان والاجساد ، دون النفوس والارواح · وقد كان رائجا على عهد الجاهلية قبل

بعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام .
ووقف منه الاسلام موقف التحريـــم والالعاء · لا لانه زنا فقط · ولكن لانـه مع ذلك امتهان لآدمية المرأة وكرامتها · فهي عن طريق الاحتراف به تتجــــر بعرضها . وتعرضه للمساومة عليه · فصلا عن انه يدفع الشباب الى خطـــر الانحراف والانغماس في الرذيلة ·

وقد كانت البغايا في الجاهليـــــة ينصبن رايات على ابوابهن تكون علما ودليلا على وجود البغاء حتى لا يتحرج قاصد اليهن من الدخول عليهن ·

فالمرأة العربية المعاصرة تسعى اذن بما تسميه « تحرير المرأة » الى الوقوع تماما تحت طغيان المادية . وتستبـــدل انسانيتها بمظاهر تسميها مظاهـــــر الحرية · وهـــي في الواقع مظاهر تخريب القيم الانسانية في حياتها ·

ان حركة تحرير المرأة في الغـــرب والشرق الشيوعي . على السواء هـــي انطلاق لترك نفسها في غير ارادة منها. تحت تصرف الرجل يفعل بها ما يشاء ·· وفي هذا الغاء لشخصيتها وامتهان لكرامتها ··

« للبحث صـــلة »

بين المشاهدة البصرية والحساب الفلكي

بقلم الاســـتاذ :
محمد نعيم عكاشـــة
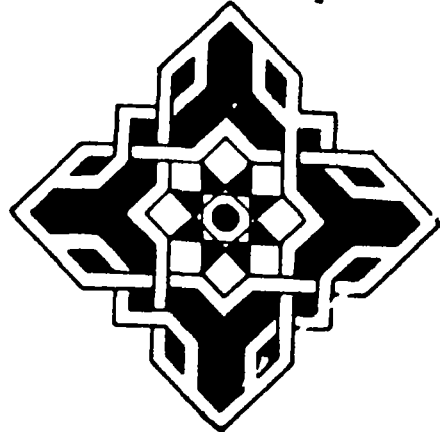
★ رؤية رمضان .. وعدم الاعتبار باختلاف المطالع

★ ميلاد القمر ..والعوامل التي تؤثر على الرؤية .

الفرق بين الحسابين الفلكي الاجتماعي .والفلكي الهلالي

استدار الزمان وأطل علينا شهر رمضان الذي شرفه الله وعظمه ، وأعلى فيه منزلة الانسانية حيث أنقذها من ظلمات الجهل وهداها الى سبيل الرشاد .. وقد ذكر شهر رمضان صراحة في القرآن دون بقية الشهور . واختصه الحق تبارك وتعالى بالصيام الذي فرضه على عباده .. يقول سبحانه : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه »البقرة ١٨٥

ويدل الحديث الشريف : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين » .

على أن الصيام يبدأ برؤية الهلال على الافق . أو باكمال شهر شبعان ثلاثين يوما ثم الصيام ، وقد صام الرسول صلى الله عليه وسلم تسعة رمضانات أكثرها غير تام ، وكان لا يأمر بالصيام الا بعد رؤية الهلال على التحقيق أو شهادة واحد عدل . فصامه مرة بشهادة ابن عمر ، ومرة بشهادة اعرابي ، واكتفى بمجرد الاخبار . فان لم ير الهلال ولم يشهد به أحد أتم شعبان ثلاثين يوما ثم صام . وأمر الناس أن يصوموا بشهادة واحد ويفطروا بشهادة شخصين ..

ومما يخالف ظاهر الحديث التعويل على الحساب الفلكي مطلقا في اثبات الشهر كما تفعل بعض الدول الاسلامية لانه يصيب ويخطيء وفريضة الصيام لا تحتمل الوقوع في خطأ ـ ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ـ فضلا عن كون الرؤية مدعاة للاطمئنان

القلبي . حيث تتحرك مشاعر المسلمين في وقت واحد بحثا وراء هلال رمضان وترقبا لظهوره . فان تأكدت رؤيته هنا أو هناك أصبح المسلمون صائمين، وان لم ير في أي بلد اسلامي . أكملوا شعبان ثلاثين يوما ثم صاموا ..

[illegible]

اما ما يحدث من اختلاف في ظروف الرؤية . وبدء الصيام في بلد اسلامي متقدما عن البلد الآخر بيوم أو يومين احيانا . فهي ظاهرة يستوجب اختفاؤها من حياة المسلمين . وذلك باتفاق جميع الحكومات والهيئات الشرعية على الاخذ بمطلع البلد الاسلامي الذي يثبت فيه الهلال . متى كان واقعا على خط جغرافي واحد .

ويرى الجمهور الاعظم من العلماء ان اختلاف مطالع القمر غير مقيد شرعا لان الشارع وان كان قد اناط وجوب الصوم والافطار برؤية الهلال الا انه لم يرد الرؤية من كل مكلف فليست رؤية المكلف للهلال شرطا بوجوب الصوم عليه باجماع الفقهاء . اذ بين المسلمين من هو أعمى أو ضعيف البصر او من لا تتيسر له الرؤية لاي سبب . والجميع مكلفون بالصوم اجماعا . حديث الرسول « صوموا لرؤيته . وافطروا لرؤيته » الخطاب فيه عام للمكلفين . والامة كلها . ولم يذكر فاعل الرؤية . مما يدل على أنه يكتفي فيكون قصد الشارع اذن اذا رؤي الهلال وثبتت الرؤية شرعا وعلم المسلمون بثبوتها. وجب عليهم الصوم شرعا . ومن ثم كان رأي الجمهور هو الارجح باعتباره أقرب الى تحقيق مشاعر الوحدة بين المسلمين .

وذكر ابن عابدين في رسالته . « تنبيه الغافل والوسنان » :

« انه لا عبرة باختلاف المطالع الا عند الامام الشافعي . وهذا ما لم يحكم به حاكم يرى عدم اعتبار اختلاف المطالع . فان حكم به حاكم يرى ذلك يلزم الجميع العمل بحكمه . لان اليوم الذي حكم ببدء الصوم فيه يصير من رمضان بمقتضى الحكم ـ حكى ذلك العلامة ابن حجر العسقلاني الفقيه الشافعي .

فتكون المذاهب الاربعة متفقة على عدم اعتبار اختلاف المطالع اذا حكم بذلك حاكم يراه .. غير أنه يجب لكل البلاد الاسلامية التي يعمها حكم ثبوت الهلال ان تشترك معا في جزء من ليله الرؤية وان قل .

كما أوصى مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .. حيث ان الرؤية هي الاصل في معرفة دخول أي شهر قمري كما يدل عليه الحديث الشريف « صوموا لرؤيته . وافطروا لرؤيته » .

فالرؤية هي الاساس . لكن لا يعتمد عليها اذا تمكنت فيها التهم تمكنا قويا .. ولا عبرة باختلاف المطالع وان تباعدت الاقاليم حتى اذا كانت مشتركة في جزء من ليل الرؤية ولو بقليل ..

الحسابان الفلكي والشرعي والفرق بينهما :

واذا نظرنا الى الحساب الفلكي المعمول به في التقاويم الرسمية وغيرها نجده يختلف عن الحساب الشرعي لاعتماده في تعيين أول الشهر

العربي على اجتماع الشمس والقمر ـ أي عندما يقع القمر بين الارض والشمس (١) ـ فاذا وقع الاجتماع كانت أول ليلة يغرب فيها القمر بعد غروب الشمس هي أول الشهر ، ولو استحالت الرؤية ·· بينما يعتمد الحساب الشرعي على القطع بالرؤية أو امكانها على الاقل ·· ومن الثابت أنه قد يتفق الحسابان معا على يوم واحد يكون أول الشهر فيما اذا غرب القمر قبل الشمس . أو معها في حساب الاجتماع فيؤجل الشهر عندهم الى الليلة التالية فيصادف استيفاء نور القمر للرؤية ، وقد يتقدم أول الشهر بالحساب الفلكي الاجتماعي على أوله بالحساب الفلكي الهلالي بيوم في أكثر الاحيان أو بيومين في النادر ··

[illegible] فلكيا :

كما يرى الفلكيون ان الشهر القمري يبدأ بلحظة مولد الهلال . وهي اللحظة التي يكون فيها الشمس والقمر في ناحية واحدة من الارض وعلى استقامة واحده . ومن الممكن حسابيا تحديد هذا الوقت مقدما وهناك ثلاث حالات لمولد الهلال

الاولى ان يكون تحت الافق وتستحيل رؤيته ·

الثانية ان يكون فوق الارض وقبل غروب الشمس غير انه يغرب قبل غروب الشمس فتستحيل الرؤية ولا تعتبر شرعا لو رؤي ·

الثالثة وهي التي يولد فيها الهلال ويكون فوق الافق وقبل غروب الشمس ويغرب ايضا بعد غروب الشمس وهي الحالة الوحيده التي قد يتيسر ان يرى الهلال فيها بالعين المجردة .والتي كثيرا ما يحدث الخلاف في شانها .

نظرا لتفاوت فترة بقاء الهلال بعد غروب الشمس طولا وقصرا . واختلاف ظروف الرؤية من مكان الى آخر من حيث صفاء الجو . او وجود غيوم · وقدرة الرائي البصرية والاعتداد بها ·

والحالات التي يمكن معها رؤية الهلال بالعين المجرده ··

★ اذا كان عمره لا يقل عن ٢٤ ساعة ·

★ ان لا تقل المسافة بينه وبين الشمس عن ٢٠ درجة ·

★ اذا استمرت فترة تكونه على الافق بعد غروب الشمس ٣٠ دقيقةعلى الاقل ·

وتتاثر هذه الارقام قليلا بالزيادة والنقصان لاعتبارات فلكية ولاختلاف درجة صفاء الطقس ·

اما العوامل الاساسية التي تؤثر في الروية من الناحية الفلكية فهي

★ الشفق الذي يرى الهلال خلاله ومقداره ·

★ التغير في ضوء القمر كلما بعد عن الشمس ·

★ شفافية الجو وصفاؤه ·

★ حساسية العين ·

ورغم ما تبذله الهيئات الشرعية في البلاد العربية من محاولات لتحديد اوائل الشهور العربية الا ان الاختلاف

ما زال قائما حتى الآن . وما زالت كل من الجزائر وتونس وتركيا وغيرها تعتمد اعتمادا كليا على الحساب الفلكي في الاحكام الشرعية واهمال الرؤية كليا .

وفي نظري ان انهاء هذا الاختلاف وما يصاحبه من تباين في الآراء ٠٠ لا يكون الا باتخاذ مكة المكرمة مركزا للقياس الزمني . حيث تتوسط جميع البلدان الاسلامية ٠ فصلا عن وجود الكعبة المشرفة قبلة المسلمين (٢) فيها وحبذا لو استتبع ذلك اقامة المرصد الاسلامي الذي طالما سمعنا عنه ولم يخرج بعد الى حيز التنفيذ على احد الجبال العالية السامقة في زمام مكة المكرمة .

الهدي النبوي في استقبال رمضان :

وتبقى لنا بعد ذلك وقفة قصيرة ٠ ٠ للتعرف على الهدي النبوي في استقبال شهر رمضان ، ومظاهر الترحيب به ٠

فقد ورد ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان أول ما يبدأ به شهر رمضان ، هو ان يبشر أصحابه بقدومه اذاعة لفضله وحثا عليه . كما اقر به أحمد والنسائي عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان ٠ يقول .

« لقد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب الله عليكم صيامه ،تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين . فيه ليلة خير من ألف شهر » ٠

٠٠ وفي خطبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال .

« ٠٠ ايها الناس ٠٠

قد اقبل عليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة . وهو شهر دعيتم فيه الى ضيافة الله ٠٠ انفاسكم فيه تسبيح ٠٠ ونومكم فيه عبادة ٠٠ وعملكم فيه مقبول ٠٠ ودعاؤكم فيه مستجاب ٠٠ فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه»

اللهم قد كنا في ترقب وحنين الى افضل الشهور لديك . واكرمها عليك ، ان تجعل دخوله على المسلمين في مشارق الارض ومغاربها بالخير واليمن والبركات ٠٠ وان تهيء لهم من أمرهم رشدا ٠٠ يا اكرم مقصود ويا خير مسئول ٠

١ ـ الاجتماع الذي يعول عليه الفلكيون هو وقوع القمر والشمس والارض في خط واحد بحيث يتوسط القمر الارض والشمس فيرى القمر والشمس مجتمعين عند الغروب ، مع مكث القمر . الهلال الوليد » مسافة في الافق بعد الغروب ـ حسابيا ـ وان لم تمكن رؤيته ، ويترتب على هذا الاعتبار الفلكي أمر مهم وهو عدم وضوح الرؤية ـ للهلال ـ في بلاد المشرق لدقة الهلال ـ الجزء المضيء من القمر ـ بينما يكون فارق الزمن الذي يصل الى ست ساعات الى ثمانية بين اقصى المشرق واقصى المغرب عاملا من عوامل زيادة حجم الجزء المضيء من القمر فيرى بوضوح في البلاد الغربية بدرجة تثبت وجوده بعد الغروب « المجلة » ٠

٢ ـ استقبال الكعبة فريضة مكانية بامر الله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » فليكن توسطها الجغرافي عاملا اسلاميا على اتخاذ وسطيتها الروحية سبيلا الى توحيد الرؤية لاوائل الشهور العربية « المجلة » ٠

أساليب الدعوة الإسلامية

« ٤ »

للدكتور
ابراهيم أبو الخشب

اشتهر ابراهيم بن ادهم ، بنمط من الدعوة الى الله سبحانه وتعالى لم يشركه فيه غيره من الناس وليس ذلك لروعة منطقه ، وفصاحة ألفاظه ، وبلاغة أسلوبه ، وجودة تراكيبه ، وحسن تصويره ، ونصاعة بيانه ، وانما كان ذلك لتلك اللباقة التي وهبها الله اياه ، والتي كانت تساعده على أن يصل الى أعراف الضمائر فيلومها والى شغاف القلوب فيخاطبها ، والى مفاتيح الافئدة فيضع يده عليها ، وتلك موهبة يخص الله بها أولئك الذين يتحدثون الى الناس بأرواحهم لا بأشباحهم ، وبأفئدتهم لا بألسنتهم

وقد جاء اليه رجل اسرف على نفسه. وتجاوز حدوده مع الله سبحانه وتعالى واساء ادبه عليه جل جلاله . ورغب [illegible] ان يعظه بما يطهره من ذنبه ويكبح جماحه عن الطغيان ويبغض اليه مفارقة العصيان . وكان مما وجهه اليه من النصح قوله له . يا هذا .

ان اردت أن تتمرد على مولاك بانتهاك حرماته واساءة الادب معه . والتهاون في تكاليفه التي أوجبها عليك فلا تأكل من رزقه فقال له وكيف لي ذلك وكل ما في الكون على رحابته

وسعته من فيضه الذي افاضه . وبره الذي وهبه . وخيره الذي منحه وعطائه الذي يجود به . وانا ان مالت بي الريح الى جهة او مشت بي قدماي الى مكان او امتدت يدي الى ثمرة . او وصلت الى فمي لقمة من الزاد . فان ذلك كله فضله الذي لا ينكر . وعطائه [illegible] يجحد . وبذله الذي لا [illegible]

فقال له اليس [illegible]
يلاحقك بالمعروف [illegible]
ويغمرك [illegible]
بك رحمته ثم تتعام[illegible]

العبد الآبق من سيده . العاق لـــــه المسيء الادب معه . الجاحد لفضـله المتمرد عليه . دون خجل ولا حياء . فقال عظني بأخرى يا ابن ادهم فقـــال لـــــه

اذا اردت ان تعصيه فاخرج من ملكه الى ملك غيره فان من النذالة بمكان ان تسيء الى سيد الدار التي تؤويك ° والمكان الذي يضمك والبيت الذي مكن لك فيه . فقال عظني يا ابن ادهـــــم بثالثة . فقال له

اذا اردت انتعصيهفتخفى عنه حتى لا يراك فقال له وكيف لي بذلك وهو الذي يعلم السر واخفى . ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ° فقـــال له امـــا تستحي من التطاول عليه والاســـــاءه اليه وهو يراك من حيث لا تراه . فقـــال عظني برابعة يا ابن ادهم . فقال

اذا اردت ان تعصيه فاستحضر من يدافع عنك يوم القيامة وينكر امامه في هذا الموقف الرهيب انك قد اقترفـــــت معصية او ارتكبت منكرا . فقال . وانى لي ذلك وجلدي سيشهد علي بما فعلت « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينـــــا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء» فصلت ٢١ . وفي الآية الاخرى «يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون » النور ٢٤ .

فقال له ابن ادهم والله لا ادري كيف يعصي ربه هذا الذي يمد يده اليه وهو لا يمل عطاءه له ولا يدفع رحمته عنه مبارد لطفه به ويرزقه ويأويه ويصلـــــه فيه أبوا.. براه على ما به من تمرد عليه الجحيم ، وتعل. لا يباغته بسخطـــــه أو ليلة خير من ألف شهر مع ذلك كلـــه لا .. وفي خطبة الرسول عليه . وهكذا وسلامه عليه قال .. .. .. على هذا

الاسلوب ، وظل الرجل يصغر في نظر نفسه ويشعر كأنما تريـــــد الارض أن تبتلعه ، أو أن السماء تريد أن تنطبق عليه . ولما أحاطت به المخاوف واشتد عليه الهلع والفزع والخوف والجزع . وجعلت هذه المحاورة تفتح عليـــــه أبواب جهنم فيشعر كأن نيرانها تلـف حوله وتتسابق اليه . هنالك قـــــال حسبي يا ابن أدهم . فاني أشعر أن ساعتي قد حانت . وان أجلي قـــــد انتهى . وأني ملاق حسابيه °

ولم يكن هذا الكلام الذي صدر عن ابن ادهم يشتمل على صناعة في الالفاظ او المعاني . وانما هو الفطرة تنطلـــق والسجية تسترسل والطبع يتدفق والقلب والروح تحلقان . والشـــعور يخاطـب الشعور وبهذا كله وصلت الموعظة الى مداها . وانتهت الى نهايتها التي حدثتنا عنها هذه القصة الطريفة °

وقد كان هذا هو اســــلوب الوعظ والنصح والدعوة الى حظيرة الايمان . لاولئك المستهترين او المتغافليـــــن او السادرين في غلوائهم . من ابن أدهـــم وغيره من اولئك الطراز من اخوانـــه . الزهاد والوعاظ من امثال ابن السماك او الحسن البصري . وتزخر كتب الادب والتراجم بتلك المواقف التي كانـــــوا يقفونها من الناس . يدعونهم الى البر ويوجهونهم الى الخير أو ينفرونهـــــم من التمرد على الله . واعلان معصيته او المخالفة لامره ° واســــاءة الادب عليـــه °

والداعية الاســــــلامي حين يكون استعداده وكفايتـــــه حفظ المسائل او الاحاطة بالاحكام ومعرفـــــة الحلال

والحرام من غير ان تكون له تلك الشخصية التي تستطيع ان تبدع في التاثير وتاسر بالقول . وتقود القلوب من ازمتها والافئدة والارواح والعقول والافكار لا يصح ان تتعرض لهذه المهمة ولا ان تواجه تلك المواقف . ولا نرى في نفسها انها تدعو الى سبيل الله بالتي هي احسن وكانما الاية الكريمة وهي تقول فيما ترسم سبيله محدودة المثلى والطريقة القويمة لما يجب ان ياخذ به نفسه هذا الذي يريد يكون له شرف هذه الوظيفة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . كانت تطوى في ثناياها الدي عجز الفلاسفة مما من شانه ان يكون نقوسا للداعي او توجيها . لتصير عيونه صيحة في الضمائر وصرخة في القلوب وهتافا في الافئدة وهلعا للنفوس وفرعا للارواح لان كلمة الحكمة يحوي تحتها اللباقة والذوق والكياسة والحذق والمنطق والعقل والفطنة والذكاء واختيار الصحاب والمكان . والالفاظ والحروف . وكل ما من شانه ان يكون حكمة بالغة وتصرفا رشيدا وعملا ناجحا . وسياسة يمليها العقل وتفرضها التفكير السليم الذي يضع الاشياء في مواضعها والامور في نصابها حتى لا يقول قائل ان الداعي جانبه التوفيق او لم يصادفه الارشاد او انه ضل طريق الصواب لان الحكمة لا تكون الا من حكيم ولا تصدر الا عن لبيب . وكل هذه معان لا بد منها للداعي الذي يعلو عليه المجتمع كل هذه الامال .

اما الموعظة الحسنة فان حسنها لا ينحصر في استحسان الناس لها واعجابهم بها لاشتمالها على النصوص المسلمة والادلة القاطعة والحجج الدامغة وانما يكون كذلك في انها لا ينفر منها عقل او يأباها طبع وربما كان هذا النفور او الاباء لما تضمنته من الترهيب او التنديد التي تجعل الاسماع تملها او تمجها والنبي صلى الله عليه وسلم كان دائما ابدا في مثل هذه المواقف ينصح بقوله « فقاربوا وسددوا » وكان يقول ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق » .

وسلوكه صلى الله عليه وسلم مع اصحابه ومعاملته لهم كانت لونا من الوان الرفق الذي لا نظير له . ونوعا من الحكمة التي لا تعلو عليها حكمة . فما نصح انسانا وبعده منه ولا وعظ رجلا وباعد بينه وبين رحمة الله . ولا وجه قولا على سبيل التشنيع او الفضيحة وانما كان يشيع الآمال في النفوس . والرجاء في القلوب ويجعل الافئدة كانما تصافح رحمة الله أو تعانقها وهكذا كانت حياته سجلا حافلا بالآمال التي كان المسلمون يترقبونها كلما غدا اليهم أو جلس معهم .

فتح مكة

قضى على الوثنية والشرك
وأضاء العالم بنور التوحيد

ـتاذ : محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

وذات يوم تحركت هذه الاحقاد في
ـس « بني بكر » فهجمت على قبيلة
خزاعة » حلفاء المصطفى صلوات الله
ـلامه عليـــــه . وأمدت « قريش »
فاءها بالخيل والسلاح . واشـــترك
ـهم في القتال سرا عكرمة بن ابي جهل
ـد قواد « قريش » ، وحويطب بـــن
ـ العزى ، وسهيل بن عمرو ، اللذين
ـا صلح « الحديبية » مع الرســـول
ـه الصلاة والسلام نيابة عن«قريش»
ـتغاثت « خزاعة » بالرسول الكريـــم
ـسلوا اليه وفدا على رأسه عمرو بن
ـلم ، وكان المصطفى عـ[illegible]ـات اللـــه
ـلامه عليه يعلم أن « قر[illegible] [illegible] قـــد

بدأت بعد عودة جيش المسلمين منموقعة
« مؤتة » تسخر سرا بشروط صـــلح
« الحديبية » ، وتحرض أعداء الاسلام
على معاداة الرسول صلى الله عليـه
وسلم والمسلمين . وتساند كل من يتحرش
بهـــم .

والى جانب ذلك فالرسول الكريـــم
يعلم أن « قريشا » رأس العرب ، و«مكة»
مثابة الناس ، ولا يمكن ان تخضـــع
العرب الا اذا خضعت « قريش » ، ولا
تنقاد البلاد بسهولة حتى تنقاد « مكة »
فقد قال له يوما أحد زعماء « الطائف »
عندما ذهب اليهم ليدعوهم الى نبـذ
عبادة الاو[illegible] [illegible] الدخول في الاســـلام :

في أواخر السنة الثامنة من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كان قد مر على صلح « الحديبية » سنتان ، وكان من بين شروط هذا الصلح « وأن من أحب أن يدخل في عهد محمد دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فيه » .

وبمقتضى هذا الشرط دخلت قبيلة « خزاعة » في حلف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت قبيلة « بني بكر » في حلف مع « قريش » ، وكانت القبيلتان تسكنان أحياء من « مكة »وضواحيها وبينهما عداوات وخصومات قديمة .

نت رسول الله حقا لآمن بك قومك»
ن هذه حجة غير مقنعة ، لان عدم
قومه انما كان عنادا للحق .
، « قريشا » قد اجتمع لها من
، القوة ما جعلها تحتل أقوى
في « الجزيرة العربية » كلها ،
قيامها على البيت الحرام وهذا
اما الى الكفر والعناد والتمسك
ة العرب . بيد أن تيار التقدم
لامي كان لا بد وأن يبلغ أمره
مكة » معقل الوثنية . وموطن
العرب جحودا وأشدهم عنادا .
ذا عندما تلقى المصطفى صلوات
وسلامه عليه نبأ ما حدث من عمرو

ابن سالم قال : « نصرت يا عمرو بن سالم » .

مبعوث قريش :

وقدر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن « قريشا » ستدرك سوء ما صنعت . وأنها سترسل اليه من يقوم باصلاح ما أفسده الغدر بينها وبينه . فقال لاصحابه : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد في العقد ويزيد في المدة » .

وحدث ما تنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد انزعجت «قريش» حينما علمت بوفد « خزاعة » الذيذهب

الى « المدينة » . فاجتمعوا وتشـــاوروا فيما يصنعون . فالمسلمون الآن فيهـــم خالد بن الوليد . وعمرو بن العاص . والمئات من القبائل التي اعتنقت الاسلام واذا لم يفكروا في حل سريع فستصبح « مكة » بعد أيام احدى المدن الاسلامية .

ولم يكن أمام « قريش » الا التماس عفو المصطفى صلوات الله وســـلامه عليه . والطمع في كريم خصـــاله . اذا أرادوا أن يجددوا العهد بينهم وبينه . واستقر رأيهم على أن يرسلوا أبـــا سفيان مفوضـــا من قبلهم لزيـــارة « المدينة » لحل الخلاف الذي نشـــأ بينهما سلميا . ولابقاء صلح «الحديبية» نافذ المفعول . وليمد في مدته لاكثر من عشر سنوات ان أمكن .

ولقد كانت هذه المهمة شاقة على نفس ابي سفيان . احس معها بطعم المرارة . اذ كيف يعض من شأن نفسه ويترجـى الرسول صلى الله عليه وسلم . وهـــو الذي ناصبه العداء عشـــرين عاما . ولكنه لم يسعه الا القبول تحت اصرار القرشيين . وفضلا عن ذلك فـــــــان بـ « المدينة » ابنته ام حبيبة التي لـــم يرها منذ فترة طويلة . ولعلها تتوق الى رؤيته كما يتوق هو الى رؤيتها . على الرغم من زواجها من المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

ووصل أبوسفيان الى « المدينـــة » وقصد أول ما قصد منزل بنته أمحبيبة وعندمـــــا أراد الجلوس على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم طوته عنه قائلة انه لا يجوز بالمشركين من أمثالك الجلوس عليه . فخرج من عندها حزينا مصدوما . ولما أراد مقابلة الرســـول الكريم أعرض عنه . كما أعرض عنه أبوبكر الصديق . وعمر بن الخطاب . وغيرهما من الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ـ فعاد بخفـــي حنين دون ان يظفر من المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بوعـــــد باستمرار المسالمة . ولكنه ظفر في المسجد بعهد الجوار حتى يصل الى « مكة » بدون أن يتعرض له احد . وعندما اراد ابوسفيان ان يبذل جهدا اكبر لم يمكنه أحد من ذلك . فعاد الى قومه . وحينما قـص عليهم ما حدث أدركوا انه قد فشل في المهمة التي ذهب من اجلها . وانه قـد اخفق في سفارته .

وفي العاشر من رمضان من الســنة الثامنة من الهجرة غادر رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم « المدينة » علـى رأس جيش مكون من عشرة آلاف مقاتل وهو أكبر جيش اسلامي دفع بــــه الى الميدان حتى ذلك الوقت . ومجهــــز تجهيزا ممتازا . وعلى أمرته قواد ذوو خبرة ودراية بالحــــروب . وكان في مؤخرة هذا الجيش عدد قليل من النساء من بينهن السيدة زينب وأم سلمة . من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

وسار المسلمون وهم صائمون ،حتى اذا بلغوا « الكديد » ـ مكان على طريق مكة ـ كان الصوم قد أجهدهم واشتد بهم العطش . فقال البعض للرســـول الكريم : ان الناس قد اشتد عليهـــم الصوم ، وانما ينظرون كيف فعلت . فدعا بماء فشرب وهـــــو على ناقة، والمسلمون ينظرون ، يعلمهم انه قـــد أفطر . فافطر المسلمون .

وما أن بلغوا « الجحفة » حتى لقيهم العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم مهاجرا بأولاده ،وكان حتى ذلك الوقت لا يزال مقيما بـ «مكة» متوليا سقاية الحجيج . ويقال بأنه قد

ـــم سرا . فبعث العباس بأهله الى المدينة » ورجع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان هذا اللقاء بين الرسول الكريم وعمه صدفة مباركة، حقن بها المولى تبارك وتعالى دماء المسلمين والقرشيين وبسر الامور . وذلل بها الصعاب في طريق الفتح . على ما كان يحب ويرجو المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

وواصل الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون السير حتى بلغوا مر الظهران على بعد ثلاثين كيلومترا شرقي مكة » . فنزلوا فيه وضربوا خيامهم واعلن الظن ان الرسول صلى الله عليه وسلم . أراد أن يستاجر بعض الوقت عن الوصول الى مكة » املا في ان يقدم أهلها عليه ويستأمنوه ويدخلوا في الاسلام. فلا يدخل مكة » عنوة . فيقتل الاهل ويستباح الحرم .

وحينما حان اظلام امر الرسول عليه الصلاة والسلام اصحابه فاوقدوا ... فوق التلال الشمالية لم ير احد ... من قبل ويقال انهم اوقدوا عشرة آلاف شعلة ليبينوا للقرشيين كثرة الجند فقد يدخل الرعب في قلوبهم فياتون خاضعين مختارين ولا يفكرون في المقاومة . وبذلك يتم الفتح ... وتظل مكة حراما كما كانت وكما ينبغي لها ان تكون .

...

حسن العباس بن عبد المطلب على أمر مكة من وصول المسلمين اليهم. فحتما ستكون هناك خسائر كبيرة في الارواح اذا لم يستامنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا امر لم يكن ليرتضيه العباس لابن اخيه . فراود الامل نفسه في ان يهديه الله عز وجل لشيء يمنع به الكارثة التي ستحل بهم . فركب دابة الرسول صلى الله عليه وسلم واتجه الى « مكة » ليخبر « قريشا » بالجيش الضخم السائر في الصحراء . والقاطع الفيافي في طريقه اليهم قاصدا من ذلك التاثير في معنويات القرشيين . فيستسلموا بدون قتال .

واثناء سيره وانشغال تفكيره اذا به يسمع حديثا لابي سفيان مع صاحبين له فنادى عليه العباس وطلب منه ان يركب معه حتى ياتيا رسول الله ويستامنه له . فوافق ابوسفيان على الفور . فهذه فرصة مواتية ما كانت لتتهيأ له على هذا النحو باي شكل من الاشكال فاردفه العباس وراءه ورد صاحبيه الى « مكة » .

وفي الصباح جيء بابي سفيان الى مجلس المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . وبمسمع من المهاجرين والانصار دار حوار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي سفيان انتهى باسلامه . فطلب العباس من الرسول الكريم ان يجعل لابي سفيان شيئا لانه يحب الفخر . فاعلن الرسول صلى الله عليه أن من دخل دار ابي سفيان فهو امن . ومن اغلق عليه بابه فهو امن . ومن دخل المسجد فهو آمن .

ولم يمنع اسلام ابي سفيان المصطفى صلوات الله وسلامه من أن يتخذ لدخول « مكة » كل ما لديه من أهبة وحذر . وان يحتاط لكل صغيرة وكبيرة قد تقف في سبيله . لذلك امر عليه الصلاة والسلام أن يحجز أبوسفيان

بمضيق الوادي عند مدخل الجبل الى « مكة » حتى تمر عليه جنود المسلمين، ميراها ويحدث بها قومه ·

ومرت الكتائب على ابي سفيان فما راعه منها الا الكتيبة الخضـــراء يحيط فيها بالرسول صلى الله عليــه وسلم المهاجرون والانصار وقد حملوا رماحهم الطويله ولا ترى الا عيونهم من سابغات الدروع فسال عن هــذه الكتيبــه . فاجابه العبـــاس انهــم المهاجرون والانصار · فقال وهو ماخوذ مبهور يا عباس . ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا ابا الفضل لقــد اصبح ملك ابن اخيك العداه عظيما ·· فاخبره العباس بانها النبوة وليســت الملــك ·

وعاد ابوسفيان الى « مكة » مذعورا وهو يشعر بان من ورائه اعصـــارا مدمرا . اذا انطلق اجتاح « قريشـا » وقضى عليها القضاء المبرم ·

وشاهد أهل « مكة » الجيـــش الاسلامي يقترب منهــم . ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد استقر رأيهم علــى شيء . فاجتمعوا بسادتهم ينتظرون منهم الرأي الاخير . فاذا بصوت أبي سفيان يرتفع مجلجلا بأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه . قد أتاهم بما لا قبل لهم به . وانه من الخير لهم أن يستسلموا بدون قتال . ثم أعلن أن من دخل دار أبي سفيان فهو امن،فرد عليه المجتمعون بقولهم : قاتلك الله . وما تغني عنــا دارك ؟ ·· فاكمل : ومن أغلق عليــه بابه فهو أمن . ومن دخل المسجد فهو امن ·· فتفرقوا مذعورين الى بيوتهم والى المسجد ·

دخول مكـــة :

أمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بتطويق « مكة » والدخول اليها من اربع جهات مختلفة . فقاد خالد بــن الوليد قبائل البدو المتحالفة من جنوبي « مكـــــة » وسار من العرب الانصار بقيادة سعد بن عبادة . وتقدم من الشرق جماعة اخرى من البدو بقيادة الزبيــر ابن العوام . ودخل من الشمال المهاجرون بقيادة ابي عبيدة بن الجراح . وســار المصطفى صلوات الله وسلامه عليــه وكبار الصحابة خلف هؤلاء في حراسة كتيبة من الرماحة في دروعهم الخضراء وكان الرسول صلى الله عليه وســلم قد ارتدى برده وفوقها درعه . وعلى راسه خودة قد لفت فوقها عمامتــه السوداء . والى جانبه سيف وامتطى راحلته « القصواء » . وحمل العلــم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ·

وكانت أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام الى القواد صريحـــة في الا يقاتلوا الا في حالة الضرورة القصوى، حتى يتم الفتح سلميا وبدون قتال ·

وسارت الكتائب في نظـــام تام . ودلفت ببطء صوب المسالك المؤدية الى البلد الحرام . ولم تلق أي مقاومة في بادىء الامر . وبدا وكأن النصر الذي كان يرجوه الرسول صلى اللــه عليه وسلم دون أن تراق قطرة من الدمـاء على وشك أن يتم ·

بيد انه كان في « قريش » قـــوا مساعير حرب ونفوس متعطشة للدماء من امثال عكرمـــة بن ابي جهل وصفوان بن امية . وسهيل بن عمرو كبر عليهم ان تسلم « مكـــــة » دون مقاومة . فهبوا للدفاع عنها . وكان من سوء طالعهم ان اصطدموا بقوات خالد ابن الوليد . فما كادوا يمطرون فرقة نبالهم . حتى انهال عليهم بفرسانه

ـسقط منهم ثلاثة عشر قتيلا . ولـــم
يخسر المسلمون سوى شهيدين . حتى
جاء امر الرسول صلى الله عليه وسلم
بوقف القتال .

وفي صبيحة يوم الجمعة الموافـق
لليوم العشرين من رمضان تم الاستيلاء
على جميع اطراف مكة ، وضواحيها.
ودخل الرسول عليه الصلاة والسـلام
بلباس الاحرام وركب على راحلتـــه
وخفض راسه تواضعا للمولى تبـــارك
وتعالى لدرجة ان اسفل لحيته لمس واسطة
الرحل وانطلق الى الكعبة على ناقته
القصواء فطاف بها سبعة اشواط
واستلم الحجر الاسود برمح كان في
يد واحد مفاتيح البيت وصـلى
ركعتين شكرا لله عز وجل على مـا
اولاه من نصر ثم امر فاخرجـــت
الاصنام الثلاثمائة والستون من جـوف
الكعبة ومن فوقها وحطمت صنما صنما
وكان المصطفى صلوات الله وسلامـــه
عليه كلما طعن صنما برمحه وقـــع
في الجهة المقابلة فيقول عليه الصلاة
والسلام وقل جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا .

وخرج القرشيون وراوا المســـلمين
وهم يحطمون الاصنام حتى اخر صنم
ويطاونها باقدامهم فتاثروا بما فعلـه
المسلمون فعادوا الى بيوتهم فهدموا
الاصنام التي فيها بعدما ظهر لهم هوانها
وسلبت ثم الرسول صلى الله عليـــه
وسلم في ساعة واحدة ما نادى به منذ
واحد وعشرين عاما .

ثم دعا الرسول عليه الصلاة والسلام
عثمان بن طلحة الشيباني سادن الكعبة
وصاحب مفاتيحها واعاد اليه مفاتيح
الكعبة قائلا خذوها يا بني طلحـة
تالدة خالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ».

وعين عمه العباس على « زمزم » لسقاية
الحجـــاج .

ووقف المصطفى صلوات الله وسلامه
عليه في تواضعه الذي كان عليه يـوم
ان وضع على ظهره فرث جزور وهـــو
ساجد في عهد الاضطهاد الاول .وقف
وفي يده رمح من رماح يهود ، بنـــي
قينقاع ، وحوله عشـــــرد الاف من
اصحابه في دروعهم واسلحتهم ثـم
قال يا معشر قريش ماذا تقولون؟
.. وماذا تظنون اني فاعل بكم ؟ »
قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم .
فقال اقول لكم كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم . يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين . اذهبوا فانتـم
الطلقاء » .

ترى .. هل كان اهل « مكـــة »
يطمعون في مثل هذا التسامح . لو ان
الذي فتح مكة ، كان قائدا مـــن
القـــواد .

اعتقد لو اننا تصفحنا التاريخ مـن
اوله الى اخره لما وجدنا قائدا واحـدا
وقف من اعدائه مثل هذا الموقف الكريم
النبيل بل ليس في التاريخ كله موقف
بلغ من الســماحة والسمو . مثل مـا
بلغه هذا الموقف ولا صوره وصلت
الى اقصى درجات الرفعة . مثل مـــا
وصلت اليه هذه الصوره .

ان من المستحيل ان يوجد في الناس
اجمعين انسان بلغ الكمال الانســـاني
الذي بلغه المصطفى صلوات اللهوسلامه
عليه . فهو رحمة من المولى تباركوتعالى
ارسلها لعباده . لينقذهم من الغـــي
والضلالة . ويهديهم الى الصــــراط
المســـتقيم .

اليس من بين هؤلاء الناس الواقفين
امامه من وقفوا في وجه الدعـــوة
الاسلامية وحاربوهـــــا وعذبوه هو

واصحابه .

اليس من بين هولاء الناس الواقفين امامه من ائتمروا به ليقتلوه ليلـــة ان خرج مهاجرا من « مكة » الى « المدينة » .

اليس من بين هؤلاء الناس الواقفين امامه . من قاتلوه في موقعة « بدر » وفي موقعة . « احد » .

أليس من بين هؤلاء الناس الواقفين امامه . من حاصروه في غزوة الاحزاب املا في تحطيم الدعوه الاسلاميـــــة والقضاء عليها .

لقد نظر اليهم صلى الله عليه وسلم جميعا . وقد ملكه الله زمامهم والامر منهم بما يريد فلم يفكر في الانتقـــام منهم . ولكنه نظر اليهم نظرة ملؤهــــــا الحنان والعطف والرحمة . وقال لهم « اذهبوا فانتم الطلقاء » . فضـــرب بذلك مثلا كريما في سمو النفس والعفو عند المقدرة .

وقد كان من اثر هذه السياســـــــة الرشيدة الحكيمة ان كسب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قلوب أهــل « مكة » . فاقبل على الاسلام فتيـــان « قريش » وشيوخها ونساؤها . ولـــم يحجم عنه الا البعض من الذين اكــل الحقد قلوبهم . وملأ البغض نفوسهم . ثم لم يلبثوا طويلا حتى دخلوا في دين الله عز وجل الذي شرح صدورهــــم للاســـلام .

وبعد ان استتب الامن بوجه عام احد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل السرايا الى القبائل المجاورة لـ « مكة » يدعوها الى الدخول في الاسلام . ونبذ عبادة الاوثان وتحطيم الاصنام . فهدمت « العزى » بجهة « نخلة » بين « مكة » و « الطائف » . و « مناة » صنم « الاوس » و « الخزرج » . وكان مقاما على جبل بالقرب من البحر الإحمر . و « سواع » صنم هذيل . على ثلاثة اميـــال من « مكة » . وبذلك ذهبت هيبة الاوثـــان من النفوس وانمحــــــــى سلطانها واستضاء العالم بنور التوحيد الوضا[illegible]

وهكذا قضى الاسلام على الوثنيـ[illegible] والشرك بالله عز وجل في اغلـــــــب اراضي « الجزيرة العربية » . وانشا لـ[illegible] تشـــريعات جديدة كانت أساس الخيـ[illegible] والبركـــــة .

أخذ الناس يبايعون الرســـول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح . فكان ممن أسلموا في هذا اليوم معاوية بن أبـــي سفيان . وأبو قحافة والد أبي بكـــر الصديق . وقد سر الرسول عليه الصلاة والسلام باسلامه سرورا عظيما .

وعندما تمت بيعة الرجال بايعـــه النساء . وكن يبايعن الرسول الكريم على أن لا يشركن باللـــــه شيئا . و[illegible] يسرقن . ولا يزنين . ولا يقتلن أولادهـ[illegible] ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهــ[illegible] وأرجلهن . ولا يعصين الرسول صـلـ[illegible] الله عليه وسلم في معروف .

وقد ناقشت هند زوجة أبي ســـفيا[illegible] شروط بيعة النساء مع المصطفى صلوا[illegible] الله وسلامه عليه . مناقشة تدل علـ[illegible] المكانة التي كانت تتمتع بها المرأة [illegible] ذاك في المحيط العربي . فعندما قــ[illegible] الرسول عليه الصلاة والسلام : « [illegible] تشركن بالله شيئا » قالت هند : وا[illegible] لئن أخذت علينا ما لا تاخذه على الرجا[illegible] لاعطيناك اياه . ولما قال الرسول صـ[illegible] الله عليه وسلم : « ولا تسرقن » قالت[illegible] وان كنت قد أصبت من مال أبي سفـ[illegible] الهنة والهنة . فقال أبوسفيان : أمـ[illegible] ما مضى فانت منه في حل . وعندما [illegible]

الرسول عليه الصلاة والسلام : « ولا تزنين » قالت هند : وهل تزني الحرة · ولما قال صلوات الله وسلامه عليه : « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبـــارا · فضحك عمر بن الخطاب ، وعندما قال صلى الله عليه وسلم : « ولا تاتيـــن ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن » قالت : والله ان اتيان البهتان لقبيح ، وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق· ولما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: « ولا تعصينني في معروف » قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريـــد أن نعصيك في معروف ·

ان فتح « مكة » لم يكن خاتمة للصراع بين المسلمين و « قريش » وحدهمـا ، بل كان وسيلة لاتساع نطاق الاسـلام وانتشاره داخل « الجزيرة العربيـة » وخارجها ·

لقد قضى فتح « مكة » على الوثنية والشرك ، وعلى نظم الجاهلية وعاداتها وتقاليدها ، وأبدلها بدين التوحيـد ، وانشا لها نظما جديدة ·

وهكذا فتحت « مكة » ابوابها لدعوة الاسلام . فانهدم حصن الشرك العتيد ، وانهار ذلك السد المنيع الذي وقف في وجه الدعوة الاسلامية منذ أن قامت ·

ومنذ ذلك اليوم صارت « مكة » وبها كعبة الاسلام ، قبلة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ،وستظل كذلك ان شاء المولى تبارك وتعالى الى ان يرث اللـه عز وجل الارض ومن عليها ويقضي أمرا كان مفعولا ·

حجاب الغفلة :

قال بعض الزهاد : ما علمـــت أن أحدا سمع بالجنة والنار ، تاتي عليـه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة ، أو قراءة أو احسان ·

فقال له رجل : اني أكثر البكاء ·

فقال : انك ان تضحك وأنت مقـر بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مـدل بعملك ، وان المدل لا يصعد عمله فوق رأسه · فقال الرجل : أوصني ؟ فقـال له : دع الدنيا لاهلها ، كما تركوا الآخرة لاهلها ، وكن في الدنيا كالنحلـة · ان أكلت ، أكلت طيبا ، وان طعمت طعمت طيبا ، وان سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه ·

المدرسون والمدارس في

المعلم في النظام

يقول الرسول

بقلم الاستاذ :
عدنان سعد الديـن
مسئول قسم المناهج والكتب المدرسية
بوزارة التربية والتعليم والشباب
أبوظبي

مكانة المعلـم :

يمثل المعلم ركنا أساسيا في النظام الاسلامي للتعليم ، وقد تبوأ مكانا ساميا في المجتمع الاسلامي منذ وقت مبكر . واحتل مقاما كبيرا في الاوساط الرسمية والشعبية ، وورد في كتب الاحاديث الشريفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ذات مرة فرأى جماعتين، احداهما تتعبد والاخرى تتعلم ، فاتجه الرسول الى الذين كانوا يتعلمون وجلس معهم وقال : انما بعثت معلما ، وفي مناسبة أخرى ربط الرسول صلاح المجتمع بصلاح فئتين من فئات المجتمع فقال : « صنفان من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس ،العلماء والامراء » ،فاذا لم يكن العلماء هم المعلمين فمن يكونون ؟

اختيار المعلم :

بحث المربون المسلمون ورجال الفكر موضوع المدرسين ، ورأوا ان هذه المهمة لا ينبغي ان يضطلع بها الا النخبة من ابناء المجتمع . وذلك لخطورتها والآثار المترتبة عليها في اصلاح الامة وتوجيهها ، واشترطوا لمن يعمل في حقل التاديب والتوجيه شروطا لا يستطيعها او يقدر عليها الا اصحاب الهمم العالية والعزائم القوية . من ذلك

١ ـ ان يستكمل المعلم عدته واختصاصاته ، ويشهد له بذلك افاضل أساتذته وكبار عصره أو بلدته على الاقل .

٢ ـ وجوب التفرغ للتعليم دون

لنظام الاسلامى للتعليم

لهدى احتل مقاما كبيرا في الأوساط الرسمية والشعبية

الله عليه وسلم : إنما بعثت معلما

رك المعلم في عمله الشريف عملا
ر . الا اذا كان المعلم ممن ينزه نفسه
، اخذ أموال الاوقاف ، فيحتاج عندئذ
، القيام ببعض المهن الشريفة ليقوم
د نفسه واصلاح أهله .

٣ ـ أن يستعلم عن أسماء طلبته
اضري درسه ، وأنسابهم ومواطنهم
حوالهم لما في ذلك من تقوية الصلات
هم والتعرف على أحوالهم ، دون أن
يز تلميذا على آخر فالجميع عنده
سواء .

٤ ـ أن يصون مجالس درسه عن
غط ومن يرفع صوته . ولا يدعي علم
لا يعلم .

٥ ـ أن يكون مهذبا ، مستمسكا
نه . متحليا بالخلق الاسلامي .
سك نفسه عند الغضب . يرفق
لميذه . ويعاملهم معاملته لابنائه .
ويشترط الغزالي للمعلمين شروطا
تتلخص في وجوب رحمة المعلم بالمتعلم،
وعدم تقاضيه أي اجر على عمله ،
وتنبيهه لتلاميذه أن الغرض من العلم
هو التقرب من الله سبحانه ، وتقويمه
لاعوجاج المتعلم بأسلوب حكيم . وأن لا
ينفر المعلم تلميذه من المعلمين الآخرين
وأن يقتصر مع الطلاب في تعليمهم قدر
ما يستوعبون . وأن يكون عاملا بعلمه.
وأن يقرب الطلاب من اهل الورع
وأصحاب التقوى .

وقد كره المربون للمدرسين كما
كره هؤلاء لانفسهم أن يتقاضوا أجرا
على عملهم . ليكون عملهم لله خالصا.
وعندما انشئت المدرسة النظامية ،
وحددت رواتب للعاملين فيها ، اجتمع
علماء ما وراء النهر في بغداد وقالوا:
« كان يشتغل بالعلم أرباب الهمم العلية
والانفس الزكية الذين يقصدون العلم
لشرفه والكمال به ، واذا صار عليه

اجر تداني اليه الاخساء وارباب الكسل فيكون ذلك سببا لمهانته وضعفه » .

غير أن هذه النظرة المثالية لم تثبت امام تطور المجتمع وتغيير الظروف ، فانتشرت المرتبات في جميع انحاء العالم الاسلامي ، وان ظل عدد من العلماء والزهاد على الاقتداء بالسلف الصالح في توجيه النشء وتعليمهم ابتغاء مرضاة الله .

المسجد والمدرسة :

يرتبط تاريخ التربية الاسلامية بالمسجد ارتباطا قويا ، فقد قامت حلقات الدراسة في المسجد منذ نشأته ، واستمرت كذلك قرونا ، . فالمسجد بدا واستمر مكانا للعبادة ومعهدا للعلم ودارا للقضاء ، وقد كان مسجد قباء أول مسجد في الاسلام ، وكانت تعقد فيه حلقات العلم ، ثم ازداد عدد المساجد مع مضي الزمن زيادة كبيرة في العالم الاسلامي حتى ذكر اليعقوبي أن عدد المساجد في بغداد وحدها في القرن الثالث الهجري قد بلغ ثلاثين الف مسجد .

أشهر الجوامع التي قامت فيها حلقات العلم :

١ ـ جامع عمرو بن العاص : سجل المقريزي في خططه نشاطا علميا كبيرا لشتى فروع المعرفة فيه ، وكان من اشهر أصحاب الحلقات في هذا الجامع الامام الشافعي رضي الله عنه .

٢ ـ جامع دمشق الاموي بناه الوليد بن عبد الملك ، وانفق على بنائه خراج الدولة سبع سنين ، وكان مركزا هاما من مراكز الثقافة في العالم الاسلامي .

٣ ـ جامع المنصور . تكلف بناؤه فيما يرويه ياقوت ١٨ مليون دينار في عهد المنصور ، ثم جدد في عهد الرشيد وكان محل أنظار العلماء وطلاب العلم، جلس فيه الكسائي وكان يدرس عليه الفراء والاحمر وغيرهما ، كما جلس فيه أبوالعتاهية وأملى شعره .

المدرسة الابتدائية :

اقيم الكتاب بجانب المسجد،وخصص لتعليم القرآن والقراءة والكتابة وشيء من علوم العربية والرياضة ، وكان الكتاب بمثابة المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر ، وكان من الكثرة بحيث عد ابن حوقل ثلاثمائة كتاب في مدينة واحدة من مدن صقلية ، كما كان من الاتساع أحيانا بحيث يضم الكتاب الواحد مئات وألوفا من الطلاب، ومما يذكر في تاريخ ابي القاسم البلخي انه كان له كتاب يتعلم فيه ثلاثة آلاف تلميذ ، وكان هذا الكتاب فسيحا بحيث يحتاج أبو القاسم أن يركب دابة ليتردد بين طلابه ، وليشرف على شؤونهم .

نشوء المدارس المتقدمة :

ثم قامت المدرسة بجانب الكتاب والمسجد ، وكانت الدراسة فيها تشبه ما عليه المدارس الثانوية والعالية في عصرنا الحاضر ، وكان التعليم فيها مجانا لمختلف الفئات ، كما كانت الدراسة فيها داخلية ، فالدراسة الداخلية للغرباء الذين لا تساعدهم احوالهم المادية ، وكانت هذه المدارس تحتوي على مسجد وقاعات للدرس وغرف للنوم ومكتبة للمطالعة ومطابخ وحمامات ، وبعضها كان يحتوي على

ملاعب للرياضة في الهواء الطلق . وقد بلغت هذه المدارس درجة من الرقـــي كالتي وصفها ابن جبير في القرن السابع الهجري فقال : المدرسة النورية (١)في دمشق من احسن مدارس الدنيا مظهرا، وهي قصر من القصور الانيقة التي تحار الابصار في حسنه وفي بهائه .

انتشار المدارس في العالـــم الاسلامي :

عمت المدارس جميع انحاء العالـــم الاسلامي . وطبقت شهرتهـــا الآفاق . وكان من اشهر هذه المدارس بيت الحكمة في بغداد التي انشاها هارون الرشيد . وبلغت مجدها في عصر المامون .وكانت اشبه ما تكون بالجامعة في ايامنـــــا . يجتمع فيها طلاب العلم . فيطالعـــون ويبحثون ويترجمون . ومن المـــدارس الشهيرة كذلك المدرسة النظامية التـــي انشاها الوزير السلجوقي نظام الملك، درس فيها مشاهير علماء المســـلمين فيما بين القرن الخامس والتاســـــع الهجري . وقد بلغ عدد طلابها ستة الاف طالب . اما المدرسة المستنصريـــــة في بغداد فانها تعتبر من اعظم مـــــدارس العالم الاسلامي يومئذ.جعل لها الخليفة المستنصر ايوانا لكل مذهب من المذاهب الاربعة . وعين لكل مذهب استاذا يقوم بتعليم عدد من الطلاب بالمجان . وعيـــن لكل استاذ مرتبا شهريا . ولكل طالب في الشهر دينارا . وكانت المدرسة تـــزود باللحم والخبز والغذاء كل يوم .ويذكر ابن الفرات انه كان بالمستنصرية مكتبة كبيرة تحوي مختلـــف الكتـــــب في شتى العلوم . رتبت بحيث يسهل على كل طالب الاطلاع على ما يريد . وزودت بالحبر والورق لمنفعة القراء والناسخين وكان بداخلها حمام ومستشفى جعـــل له طبيب خاص يعود المرضى من الطلاب في كل يوم . كما جعل المستنصر في هذه المدرسة معهدا لتدريس الطب والصيدلة والى جانب هذا المعهد مستشفى ليطبق الطلاب علومهم النظرية على المرضـــى فيـــه .

وصف ابن جبير مدارس بغداد فقال. « جميعها تفوق اجمل القصور » .

مدارس القاهرة ودمشق :

وكانت مدارس القاهرة ودمشق من اعظم المدارس في العالم الاسلامي في العصور الاسلامية التي ازدهر فيهـــا التعليم . يذكـــر المقريزي حوالي ٦٣ مدرسة في القاهرة . بقي الكثير منها حتى القرن التاسع الهجري . وكان اغلب
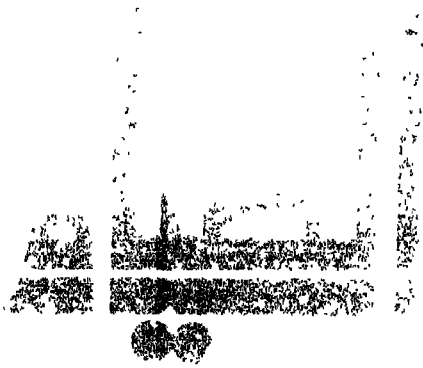
هذه المدارس آية من آيات الفن الاسلامي أنفقت في بنائهـــا الاموال الطائلة ، وحبست عليها الاوقاف الهائلـــة . وأجريت الرواتب السخية لمدرسيهــا وطلابها وموظفيها . وكان عدد مـن الطلاب يسكن في المدارس التي يمكـن تشبيهها بالكليات الداخلية في أحـدث جامعات العالم المعاصر مثل كمبـــردج واكسفورد · واشهر هـــذه المدارس السلطان حسن ومدرسة جده السلطان المنصور قلاوون ثم مدارس الاشـــرف وبرقوق والعوري بالقاهرة ·

وفي دمشق وحدها كان للقران الكريم والحديث الشريف ٢٧ مدرسة . وللفقه الحنفي اثنتان وخمسون مدرسة .وللفقه الشافعي ثلاث وستون . وللمالكي أربع مدارس . وللحنبلي احدى عشـــرة مدرسة . عدا عن مدارس الطـــب والرباطات والزوايا والجوامع . وكلها مدارس يتعلم فيها الطلاب ·

وفي الوقت الدي بلغ فيه التعليم هدا الشأو . وعندما كان المأمون يملـــي شروطه على الروم بعد انتصاره عليهم ليسمحوا بترجمة ما في خزائنهم مـن الكتب الى العربية عن طريق بعثـــات علمية يبعث بها لهذا الغرض . فيهذا الوقت كانت أوربا تعيش في جهل وأمية متفشية ، ولم يكـــن مأوى للعلم الا أديرة الرهبـــان ، ليتعلم فيها رجـــال الكهنوت دون الآخرين ·

١ ـ نسبة الى السلطان نور الدين محمـــود عليه رحمة الله ·

« للبحث صـــلة »

من أحكام

اعــداد :
الشيخ هلال مصيلحي

اخي المسلم بظلك شهر رضان وهو شهر مبارك ، اذ يتولى الله بكرمه ثواب الصائمين فيه فيدخلهم الجنة من باب الريان ويشفع فيهم الصيام والقرآن .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الصائمون [illegible]

[illegible] ولو [illegible]

عليهم فيكون [illegible]

[illegible]

الصوم تهذيب للسلوك

الصوم « هو الامساك عن المفطرات كلها من طلوع الفجـــر الى غـــروب الشمس مع نية خالصة تمحض هـــذا الامساك لهذه الشعيرة » .

وهو العبادة التي اختص الله سبحانه وتعالى بها فلم يرد في التاريخ الموثوق به ان عابدا من عباد الباطل تقـــرب الى معبوده بصوم أبدا .ولكن الله الحق هو الذي فرض على المؤمنين الصـــوم كما فرض على الامم السابقة ولذلـــك يقول الله عز وجل في الحديث القدسي « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانـــه لي وانا أجزي به » ويلزم الاســــلام المسلمين فيه بسلوك معين حتى يتعودوا ضبط النفس وصفاء القلب وطهـــارة الجوارح (فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فـــان شاتمه أحد أو قاتله فليقل اني صائـــم رواه أحمد ومسلم والنسائي .

ويتجلى هذا السلوك في ضـــبط اللسان والجوارح عن مزاولة ما جرت به العادة الانسانية عند الغضب مـــن فحش في القول وصياح هادر كالرعد وسفه مستحكم متسلط ثم يطيب الرسول عليه الصلاة والسلام فم الصائم ولا ينبغي للفم المطيب أن يخرج الا طيبـــا ويبشر الصائم الملتزم بالخلق الاسلامي بفرحتين فيقول « والذي نفس محمـــد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عنـــد الله يوم القيامـــــة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما ، اذا أفطـــر فرح بفطره ،واذا لقي ربه فرح بصومه»

حكم الصوم :

وصوم رمضان فرض عين بالكتـــاب والسنة واجماع الامة فالله سبحانـــه وتعالى يقول « يا ايهـــا الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » البقرة ١٨٣ ويقول . « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » البقرة ١٨٥

واما السنة فالاحاديـــث فيها كثيرة ولكن الفرصة جاءت من قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (بني الاسلام على خمس شهادة الا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيـــت » ومن حديث اخر رواه طلحة بن عبيد الله (ان رجلا سال النبي صلى الله عليـــه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عمـــا فرض الله علي من الصيام فقال شهر رمضان . فقال هل علي غيره قال لا الا ان تطوع) .

والامة كلها من لدن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم . اجمعت علـــى فرضية صيامه . ولا ينكر ذلك الا كافر مرتد واول ما فرض الصـــوم كان في اليوم الثاني من شعبان . من الســـنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة .

وصوم رمضان خمس الاسلام ولذلك نجد كثيرا من الاحاديث المرغبة فيــه والحاثة عليه وكثيرا من الاحاديـــث المنفرة من فطره . فقـد روى ابوسعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صـــام رمضان . وعرف حدوده . وتحفظ مما كان ينبغي ان يتحفظ منه كفر ما قبله » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثـــة عليهن أسس الاسلام . من ترك واحدة فهو بها كافر حلال الدم . شهادة الا اله الا الله . والصلاة المكتوبة . وصـــوم رمضـــان » .

ولشهر رمضان مبدأ ونهاية . فيثبت أوله برؤية الهلال ولو من واحد عدل . والا فباكمال عدة شعبان ثلاثين يوما . ودليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيتـــه وافطروا لرؤيته . فان غم عليكم . فاكملوا عـدة شعبان ثلاثين يوما » ودليل ثبوته بخبر الواحد العدل . الحديـــث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهمـــا قال « تراءى الناس الهلال . فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايتــه . فصام وأمر الناس بصيامه » .

واما نهاية رمضان . فتكون برؤيـة هلال شوال . ويشهـــد بهذه الرؤية شاهدان ذوا عدل . او باكمال رمضـان ثلاثين يوما .

وقال ابوثور ورجحه الشـــوكاني . انه يجوز الاكتفاء في النهاية بخبـــر الواحد . ما دمنا قد قبلنا شهادتـــه . واخذنا بها في مبدا العبـــادة . ولا تعتبر الروية في كل قرية او مدينـــة وحدها بل الاصح في ذلك كما في فتح العلام شرح بلوغ المـــرام (الاقرب لزوم اهل بلد الروية وما يتصل بها من الجهات التي علي سمتها) .

ومن راى الهلال وحده ولم يصدقه الناس . عليه ان يصوم وحـــده . لان الرويه حصلت له يقينا . وليس للصوم الا ركنان فقط بهما يتحقق الاول

الامساك عن المفطر من طلوع الفجر الى غروب الشمس ودليل ذلك قول الله تعالى « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسـود من الفجر » البقره ١٨٧ . ومن قبل ذلك اباح المفطرات كلها ومنها ما يكون بين الرجل واهله حيث يقول تعالى « فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم » .

الركن الثاني للصوم

هو النية لان الصوم قد يكون عـادة وقد يكون عبادة وقد يكون للاستشـفاء فلا بد من نية تمحضه للعبادة وهو وان كان امتناعا الا انـــه عمل والاعمال بالنيات . ووقت النية قبل الفجر في كل ليلة من ليالي رمضان عند من اعتبـر كل يوم فيه عبادة مستقلة ومن جعلـه كله عبادة واحدة اكتفى فيه بنية واحدة في أوله كركعات الصلاة ودليل النية ما روته حفصة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيـام له » ولست في حاجة الى القول بـان النية محلها القلب ولسنا مطالبيـــن بالتلفظ بها اذ هي القصد وهو معنـى يحل في القلب ويدل عليها العمل ايضا كالسحور ومن قصد ونوى ولم يتسحر

فهو ناو كذلك ·

والصيام فرض على كل مسلم بالـغ عاقل صحيح مقيم وبالنسبة للمرأة لا بد ان تكون مع الشروط السابقة طاهـرة من الحيض والنفاس · ومع ان الصيام غير واجب ولا يفترض على الصبي ، الا اننا نطلب من وليه ان يامره بالصوم ليعتاده من صغره ما دام مستطيعـا قادرا عليه ·

ويجب ان نعلم ان الحائض والنفساء يجب الفطر عليهما . ويحرم عليهما الصيام وان فعلتاه يقع باطلا . وعليهما قضاء ما فاتهما ، فقد روت عائشة رضي الله عنها قالت « كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » ·

اما الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه فهؤلاء جميعا يرخص لهم في الفطر وعليهم ان يطعموا عن كل يوم مسكينا لان الصوم يشق عليهم ويرهقهم طول العام وقدر العلماء الفدية بمكاييل مختلفة الا اننا نفضل ان يكون اطعام المسكين من متوسط ما يطعم منه ذوو الاعذار على حسب حالتهم الاجتماعية والاقتصادية·

واما الحبلى والمرضع اذا خافتا على انفسهما او اولادهما رخص لهما بالفطر ثم اخذ مالك بالاثر الذي رواه عن نافع عن ابن عمر حينما سئل عن المـرأة الحامل اذا خافت على ولدها فقـال تفطر وتطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من حنطة · وبما جاء في الحديث (ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع الصوم) اما الاحناف فقالوا ان الحامل والمرضع تقضيان فقط ولا اطعام عليهما · واما الشافعي واحمد فقد قالا ان خافتا على الولد فقط وافطرتا فعليهما القضـاء

مبدأ ونهاية فيثبت أوله برؤية الهلال ولو من واحد عدل .. وإلا فبإكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا

والفدية وان خافتا على انفسهما فقـط او على انفسهما وعلى الولد فعليهمـا القضاء لا غير ·

اما المسافر والمريـض الذي يرجى برؤه فيباح لهما الفطر ويجب عليهمـا القضاء « فمن كان منكم مريضـا او على سفر فعدة من ايام اخر » البقرة ١٨٤ ·

والمقصود بالمرض المرض الشـديد الذي يضاعفه الصوم او يؤخر الشفاء منه . والمسافر والمريض اذا صاما صح صومهما . اذ قال حمزة الاسلمي وهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله اجد مني قـوة على الصوم في السفر فهل علي جناح ؟ فقال هي رخصة من الله تعالى فمن اخذ بها فحسن . ومن احب ان يصوم فـلا جناح عليه » رواه مسلم ·

وخلاصة الامر في ذلك ان من وجـد من هذين المعذورين قوة فصام فان ذلك حسن .ومن وجد ضعفا فافطر فان ذلك

حسن ايضا . وهذا راي الشافعي ومالك وابي حنيفة وقال احمد الفطر افضل . وعمر بن عبد العزيز قال ما يفيد ترجيح الراي الاول اذ قال افضلهما ايسرهما .

فاذا بدأ السفر من الليل واختار الفطر فهو جائز . وان بدأ السفر من النهار وهو صائم فان الجمهور لا يجيز الفطر وعليه ان يمسك ولكن احمد اجاز ذلك .

ويجب أن يكون معلوما أن السفر المبيح للفطر هو السفر الذي تقصر فيه الصلاة .

والسحور في الصوم مستحب باجماع الامة . ولا اثم علي من تركه ، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول (تسحروا فان في السحور بركة) وبركته أنه يقوي الصائم على عبادته وليس لازما أن يكون السحور نوعا معينا أو طعاما كثيرا فتتحقق البركة ولو بجرعة ماء . ووقت السحور من منتصف الليل الى طلوع الفجر اذ روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة قلت كم كان قدر ما بينهما قال خمسين آية»

وللمتسحر أن ياكل ويشرب حتى يستيقن طلوع الفجر . ولا يعمل بالشك لان القرآن يقول « حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر » وابن عباس رضي الله عنهما ساله رجل قائلا اني اتسحر فاذا شككت امسكت فقال ابن عباس « كل ما شككت حتى لا تشك » .

ويستحب تعجيل الفطر متى تحقق من غروب الشمس فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » رواه البخاري .

وينبغي أن يكون على تمرات وترا فان لم يجد فعلى الماء . وهذه الصفة من الفطور بالتمر او الماء والتعجل بهما اذا كان الطعام غير موجود . فاذا كان موجودا فانه يبدأ به فقد روى الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا قدم العشاء فابدأوا به قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم » وليعلم الصائم ان له دعوة لا ترد كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والماثور في هذا الدعاء ان يقول «اللهم اني اسألك ـ برحمتك التي وسعت كل شيء ـ ان تغفر لي » أو يقول « ذهب الظما وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله تعالى » . وليكن الصائم من الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والامام العادل والمظلوم » .

وعلى المسلم ان يتجنب اثناء صيامه كل الاعمال التي تحطم صومه وتحوله الى جوع وعطش فقط فعليه الا يلغو ولا يرفث وعليه ان يدع قول الزور والعمل به . وعلى المسلم الصائم ان يستعمل السواك ما امكن ذلك في أول النهار او في آخره . وعليه ان يكون جوادا تاسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم . وعليه ان يجعل رمضان موسم القرآن ليلا ونهارا . وعليه أن يجتهد في العبادة .وخصوصا فيالعشر الاواخر من رمضان ولا يظن أن الصوم جفاف من كل متع الحياة . فان الصائم له ان يستحم وان يكتحل وان يقطر في عينيه فان ذلك ليس منفذا مفتوحا لوصول الطعام الى الجوف . وكان انس يكتحل وهو صائم . والحقنة في العرق أو تحت الجلد لا تبطل الصوم . وان كانت مقوية او معذية . والمضمضة

والاستنشاق لا يبطلان الصوم ، بل هما مباحان فيه . الا أنه تكره المبالغة فيهما خشية ان يمر منهما شيء الى الحلق . فاذا سبق الماء الى جوفه في اغتسال أو مضمضة ، فان مالكا وأبا حنيفة يقولان بافطار من فعل ذلك. وخالفهما آخرون فقالوا لو تمضمض أو استنشق في الطهارة ، فسبق الماء الى حلقه من غير قصد لا يفطر ولا شيء عليه ، أرأيت لو طارت ذبابة فاقتحمت حلقه وسبقت اليه وابتلعها مرغما أكان يفطر فالماء غير المقصود كذلك ولا بأس بشم الروائح الطيبة ولا بما لا يمكن الاحتراز عنه كغبار الدقيق وغبار الطريق وبلع الريق .

ويبطل الصوم . الاكل والشرب عمدا فان أكل الصائم أو شرب ناسيا فلا شيء عليه ، اذ روى الجماعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نسي فاكل أو شرب فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه » وبهذا أخذ أكثر العلماء وعلى رأسهم الشافعي وأحمد والثوري وآخرون وفي الواقع ان هذا العمل داخل في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم المشهور حيث يقول « ان الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

ويبطله أيضا القيء عمدا أما من قاء غير عامد فلا شيء عليه ، ودليل ذلك ما رواه أبو داود وأحمد والترمذي وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء عمدا فليقض»وروى الثقاة الاجماع على ذلك .

ومن مبطلات الصوم الحيضوالنفاس في أي جزء من أجزاء اليوم ويبطله أيضا تغيير النية من الصيام الى الفطر وان لم يتناول مفطرا ، واما اذا أكل أو شرب أو جامع ظانا أن الشمس قد غربت ، أو أن الفجر لم يطلع ، ثم ظهر أن الشمس لم تغرب أو أن الفجر قد طلع ، ففي هذا الامر خلاف بين العلماء فمنهم من قال عليه القضاء ، ومنهم من قال ان الصوم صحيح،واستدل هؤلاء بآية « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما » الاحزاب : ٥ واحذر أن تظن أن القائلين بصحة الصوم في المسألة ممن لا يعبأ بهم في مجال العلم بالاحكام بل هم من علية القوم،ولا تطيل في الاستدلال لهم ، فلقد تغير الزمان والتمس الناس تافه الاعذار وأخشى أن يتخذوا ذلك ذريعة لفساد كبير .

وأما ما يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة ، فهو الجماع عند الجمهور ونعني بالجماع الايلاج بشرط أن يكون الصائم المجامع ذاكرا لصومه ، مختارا غير مكره ، ناويا للصيام ، فان فقد شرطا من هذه الشروط فليس عليه كفارة .

ودليل ذلك « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هلكت يا رسول الله — قال وما أهلكك؟ قال وقعت على امرأتي في رمضان فقال هل تجد ما تعتق رقبة ؟ قال لا . قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال لا . قال فهل تجد ما تطعم به ستين مسكينا ؟ قال لا .

قال ثم جلس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر فقال تصدق بهذا قال فهل على افقر منا يا رسول الله ؟ فما بين لابتيها أهل بيت احوج اليه منا — فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال اذهب فاطعمه أهلك » .

والمرأة كالرجل في وجوب القضاء

والكفارة عند الجمهور أما الشافعي ، فانه يقول لا كفارة على المرأة بأي حال وعليها القضاء فقط . ولقد سئل أحمد عمن أتى أهله في رمضان هل عليها كفارة . فقال ما سمعنا أن على امرأة كفارة .

والكفارة التي تطلب في الوطء نهار رمضان على حسب الترتيب الذي ذكر في الحديث الذي ذكرناه وبعض المذاهب الاسلامية كالاحناف والمالكية لا يفرقون بين الجماع والفطر المتعمد فيوجبون فيهما القضاء والكفارة .

فلقد روى مالك وابن جريج عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة « أن رجلا أفطر في رمضان فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفر بعتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو اطعام ستين مسكينا » رواه مسلم أيضا .

فثبت من ذلك الحديث عند هذين الامامين الجليلين أن الفطر العامد يوجب القضاء والكفارة معا اذ أن المفطر انتهك حرمة الشهر مساويا لمن انتهكه بحرمة الجماع وفي ذلك تشديد على المفطرين وحرج شديد على من ينتهكون الشهر الكريم . واحذر أخي المسلم أن يكون صومك تأجيلا للوجبات والشهوات والملذات بل اجعل صومك في قلبك وروحك ونفسك وزهدا في الحياة فليس كثيرا أن تزهد في المتع شهرا من عامك كله يستريح فيه جسمك وأعضاء هضمك وتطلعات غرائزك والله يعينك ويتولاك .

هذا .. هو الصوم أخي المسلم بينا بعض أحكامه واشرنا الى بعضها الآخر ونسأل الله هدايتك الى الرشد وتوفيقك للقصد واعانك بعونه على الاستجابة الكاملة المخلصة لامره .

اعداد : التحريـــر
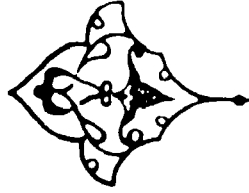
بلاغة أعرابي :

قال الرشيد لاعرابي : بم بلغ منكم هشام هذه المنزلة ؟

قال : لحلمه عن سفيهنا وحمله عن ضعيفنا وعفوه عن مسيئنا ..

لا منان اذا وهـــب ، ولا حقود اذا غضب ، صلب الجنان عذب اللســـان سمح البنان ..

ســـجع :

كان من عادة الكاتب الســـجع ..

طلب الامير من كاتبه أن يستدعي عامله ابن عجاج ليتباحث معه بعض الامور..

فكتب اليه يقول : « احضر يا ابن عجاج ومعك ألف من الدجاج » فجعل ابـــن عجاج يبحث عن الدجاج ليتمه ألفـــا ويقول : « ما أهلكني الا السجع » .

وطلب الامير عزل قاضي مدينة قم. فارسل كاتبه اليه « أيها القاضي بقم قد عزلناك فقم .. » .

عـــدل :

كتب عمر بن الخطاب الى عامله أبي موسى الاشعري :

« سو بين الناس في وجهك وعدلـك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

البياض . والحداد :

في الاندلس كان بنو أمية يلبســـون البياض في الحـــداد وقد استخـــدم الحصري ذلك في نعي شبابه ..

اذا كان البياض لبـاس حزن
بأندلس وذاك من الصـــواب
فها انا قد لبست بياض شيبي
لاني قد حزنت على شـــبابي

اليمين واليسار :

ركب القاضي الفاضل فرسه يقصـــد السفر ، فقال له العماد الاصفهاني :

« سر فلا كبا بك الفرس » .

ورد القاضي الفاضل :

« دام علاء العماد » .

ويلاحظ أن ما قاله العماد الاصفهاني والقاضي الفاضل ، يمكن قراءته مـــن اليمين ومن اليسار أيضا .

قول حق :

قال يحيى بن حيان :

« الشريـــف اذا تقوى تواضـــع والوضيع اذا تقوى تكابر » .

لقد اشتدت حماسة العلماء المخلصين الى الذود عن اسلامهم من امانة البيان والتبليغ وتلاشت آراء استشراقية

الاستعراب و الاستغراب حركة ثقافية عنيفة تناولت وتتناول بالدراسة والتصنيف ، فروعا عديدة من الثقافة الاسلامية من جانبين متعاكسين وهي حركة اصطنعت ـ في الغالب ـ العلمية والموضوعية في أطرها العامة وقوالبها التقليدية ، وذلك لتجذب اليها نفوسا مريضة وافهاما بدائية ٠

فهي حركة ثقافية لانها تتجه في عملها ، الى البحث في النواحي العقائدية والفكرية والاجتماعية والادبية وهي عنيفة لان حملاتها المسعورة على الاسلام ومصادره وهجماتها العدائية ، بلغت من الشدة حد المهاترة حينا والاقتناع حينا اخر ٠

وهي ذات جانبين متعاكسين حيث يستوي فيها الغربيون وبعض المسلمين، فاما الغربيون فقد تتلمذوا على العربية ليدسوا في الاسلام ، ما هو منه براء فهم (المستعربون) وأعمالهم ودراساتهم تاخذ طابع (الاستعراب) ، وأما المسلمون أو بعضهم الذين تتلمذوا على الغربيين من مستعمرين ومستشرقين وغيرهم ، ليروجوا آراء واتجاهات لهؤلاء وأولئك أخذت مظهرا اسلاميا بينما هي في حقيقتها أجنبية غريبة عنه فهؤلاء هم (المستغربون)

ضد التحديات بما تحملوه

الى غير رجعة

بقلم الاستاذ :
نذير حمدان

ودراساتهم تأخذ طابع (الاستغراب) وكلا الاتجاهين مشبوه ويجب النظر فيما يدعو اليه بحذر ·

واذا كانت عالمية الاسلام مثلا قد اجتذبت اليها طائفة من المستعمرين المعتدلين (١) فان ميزات أخرى كحفظ الله للقرآن وصفاء العقيدة الاسلامية وبساطتها دفعت بطائفة أخرى الى الاسلام (٢) ، كما دفعت طائفة ثالثة(٣) وهي الاكثر عددا والاعظم أثرا ـ الى محاولات استشراقية عدائية ضد الاسلام والمسلمين ·

ويصمد الاسلام لهذه الحركة أيما صمود ، وتشتد حماسة العلماء المخلصين الى الذود عن اسلامهم ضد التحديات بما تحملوه من أمانة البيان والتبليغ وتلاشت اراء استشراقية الى غير رجعة ، وخفقت أصوات استغرابية بعد عنفوانها بينما لا تزال فئة من المستعربين والمستغربين تكتب عن الاسلام على جهالة وتتحدث عن أصوله ومزاياه حديثا يتظاهر بالوفاء والحق حينا ولكنه يكيل التهم وينشر الشبهات ويبث الطعون في كل الاحيان ·

موازنة لا بد منها :

ولقد حدثت في التاريخ الاسلامي حركة ثقافية قريبة الشبه من هذه الحركة حين اتصل المسلمون ، بالثقافات المجاورة ولكنها كانت تشبهها (شكلا) في بعض نواحيها وتختلف عنها (مضمونا واثرا) فالمسلمون ـ وهم حملة الرسالة الاسلامية ـ قد اتوا ليخلصوا البشر من عبادة العباد الى عبادة الله الخالق وكانت فتوحاتهم عطاء فكريا وعقديا واخلاقيا قبل ان يقبسوا من الآخرين علومهم وعاداتهم . وكان الفرس والروم والهنود من الشرق والاوربيون في

الغرب يعمدون الى طرح ثقافاتهم الوثنية او البشرية لتحل محلها ثقافة القرآن والحديث وان لغاتهم الوطنية يجب ان تفسح ارحب مكان للعربية لغة الدين والدنيا .

وقد بالغ بعض المفكرين المسلمين من امثال : احمد امين في مدى تأثر المسلمين بالثقافات المختلفة حتى ليخرج الدارس من كتابه ضحى الاسلام الجزء الاول – وقد خصصه كله للثقافات المختلفة – التي امتزجت بالاسلام والمسلمين ان هذه الثقافات تغلغلت في حياة المسلمين الفكرية والمعاشية ، ولم تترك مرفقا من مرافق وجودهم المادي والمعنوي حتى كان ذاتيتهم تمزقت بين حضارة فارسية ويونانية او توزعت بين حضاره هندية واخرى سريانية واضحى من العسير جدا ان نتلمس شخصية الاسلام بابعادها المتميزة ، وذاتيته من ركام – لا حد له – من الثقافات .

يقول احمد امين « فكان من هذا (الامتزاج) كله حركة عنيفة لم تدع نوعا من المذاهب والاديان واللغات والآداب يعيش وحده بل لم تدع جزءا من الاجزاء الا مزجته باجزاء أخرى حتى صعب على الباحث ان يرد الاشياء الى اصولها ولم تكن هذه العملية كعملية مزج الزيت بالماء يعود كل عنصر ملتئما مع نوعه مفارقا لغيره . ولكنه كامتزاج السكر بالماء او نفحات الازهار بالهواء تمتزج فتبقى ابدا وتتلاقى فلا تفترق ابدا وكذلك كانت الثقافات التقت في هذا العصر فكان اول تلاق وصارت على توالي العصور اشد تلاقيا واكثر امتزاجا . وكان للاسلام اثر كبير في هذا الامتزاج فان من اسلم من الامم الاخرى – واعني الخاصة – يرى انه لا يكمل دينه ولا يقوى ايمانه الا اذا قرا القرآن ودرسه ..

ومن اجل هذا لا تكاد ترى في هذا العصر ثقافة مدنية او دينية عاشت وحدها في عزلة عما حولها بل كان كل مؤثرا متأثرا » .

ومما لا ريب فيه ان اتجاها كهذا الاتجاه من مفكر يدرس مراحل الاسلام وحضارته يعد صورة مهذبة الى حد كبير للحملات التي شنها بعض المستشرقين من ان الاسلام لا صلة له بالحضارة وان تعاليمه لا تمت الى « التمدن » بوشيجة . وان حركة التغريب والترجمة ونفوذ الاساليب الحضارية مادية ومعنوية استطاعت ان تقوم بعمل « احتواء الاسلام » وربما تفرغه من اصالته وبساطته وحيويته .

ولكن هل تجرد الاسلام من مثاليته حين يواجه ثقافات متنوعة ؟ وهل يمكن لزحف بعض التيارات الفكرية والعقائدية الدخيلة على الاسلام ان توهن من قوته على مدى الايام وبين المسلمين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ واين جهود العلماء من اصل عربي او غير عربي – في عرض الاسلام وفي حمايته من ايدي العابثين ؟

صحيح ان اقبال نفر من الناس على الاسلام رغبة في كسب مادي او وصولا الى مركز هام في الدولة الاسلامية كان له صداه السيء في سير الحضارة الاسلامية ولكن لم يكن اتجاها عاما ابدا

وصحيح أن قلة من العلماء العرب تعصبوا للعربية حينا وأقل منهم من غير العرب حملوا رواسب أديانهم ومعتقداتهم ولكن حتى هذه القلة لم تتعثر معظمها في فهم الاسلام والالتزام به والدعوة اليه .

وصحيح أن جمهرة كبيرة من العلماء أقبلوا على الافادة من الثقافات

المختلفة ولكنهم لم ينسوا أبدا أنهم حملة الاسلام وأصحاب الرسالة التي تدفعهم الى الاقتباس منها بالقدر المناسب · ولهذا لا بد ان نوضح حقيقتين

اولاهما ان جهود المسلمين واستعانتهم بالعلوم المتنوعة والثقافات المتعددة كان هدفها ان تكون خادمة للاسلام في ذيوعه ومعالم عامة لترد على شبهات المفترين ولم تكن مقصودة بذاتها بدليل ان المسلمين لم ياخذوا من هذه الثقافات الا ما يناسب عقيدتهم ولا من العلوم الا ما ينسجم مع دينهم ·

ثانيتهما ان اندفاع المسلمين غير العرب الى العربية لانها لغة الدين وتعمقهم فيها لانها بيان القران الكريم وتفرغهم ـ احيانا ـ للبحث والتاليف في علوم الاسلام كان الهدف الاول هو التقرب الى الله علما وعملا ودعوة · وهذه الظاهرة لا تزال موجوده في البلاد الاسلامية الشاسعة كما لا يزال العلماء المسلمون في اقطار الدنيا يقدمون لغاتهم الوطنية ليصلوا قومهم بالاسلام كما انهم يبحثون في العربية ابحاثا فيها جدة ورصانة ·

« ومن هنا فقد ورثت الحضارة الاسلامية مختلف منجزات الحضارات البشرية السابقة عليها في مصر والهند والصين واليونان وبذلك قامت لاول مرة حضارة ذات مضمون مدني متقدم في اطار عقدي على أساس التكافل الاجتماعي والاخوة الانسانية » (٤) · وهذا ما نلاحظه في المقدمات التي يضعها المؤلفون المسلمون مهما بلغت في العلوم الكونية كالطب والهندسة والفلك وغيرها . وقوة المسلمين عقيدة وسلطانا مكن لعقيدتهم ولغتهم ومدها في الارض وجعلها الغالبة على العقائد واللغات ·

واذا كان بعد الثقافة الاسلامية الانساني وعمقها العالمي أحد الأسباب البعيدة والموضوعية التي حملت بعض الاوربيين الى الدراسات الاستشراقية المتنوعة فان هذا المنطلق يبدو جليا اذا علمنا أن هؤلاء الاوربيين استطاعوا أن يضعوا أيديهم على منابع ووسائل الثقافة الاسلامية التي اتسعت مجالاتها في الزمان والمكان والمعارف ·

ولا شك أن قوة الاسلام وتنوع وخصوبة ثقافاته كان وما يزال ميدان تنافس دولي واسع النطاق دفع شرقي العالم وغربيه للاستزادة من الدراسات الاسلامية وما يتصل بها . وفي اقبال العالم حديثا على الاسلام والاوربيين خاصه والمستشرقين بصورة أخص اقبالا متناميا جانب من هذا البعد الانساني والعمق العالمي في الاسلام مما يجعله رسالة خالدة الى ما شاء الله وهو جدير أن يشعر المسلمين بمسئولياتهم تجاه دينهم التزاما ودعوة وتقنينا ·

أو ليس صمود الاسلام وتمكنه في الارض أمام الهجمات الفكريةوالعسكريه المتلاحقة مثار دهشة هؤلاء المفكرين الاوربيين واعجاب بعضهم به . او لم يكن اجتياح الاسلام واستقراره سطحا وعمقا باعثا للاهتمام بهذا الدين وبمن حملوه رغم التشوهات والشبهات التي أثارها الاجانب في كثير من الاحيان ؟

ان هذه الاهتمامات ظهرت بأجلى صورها في الدراسات الاستشراقية والاستعرابية ·

فمن خلال الجهود العالمية في الاسلام لا بد ان نوضح أمورا عديدة ·

أ ـ اتصل اليونان قديما ومن قبل ظهور الرسالات السماوية الكبرى عن طريق علمائهم بحضارة الشرق القديمة ووفد قسم منهم الى مصر وبابل لينهلوا من علومهما · ويفيدوا من حضاراتهما فكان هؤلاء (طليعة المستشرقين) وفي استنتاج بعض المفكرين أن كلمة (الشرق) لها دلالة واسعة ممتدة عبر التاريخ ، فهي عبارة عن اصطلاح سياسي ـ جغرافي ـ تاريخي ـ يشير الى النزاع بين الفرس واليونان في القديم وبين الاسلام والمسيحية في القرون الوسطى والى الاصطدام بين الدولة العثمانية والدول الاوربية في العصور الحديثة كما يتضمن شعورا بالفروق في العقلية والثقافة والحضارة بين شعوب أوربا من جهة وشعوب أسيا وافريقيا من جهة ثانية(٥)

ب ـ وتابع الاوربيون دراساتهم العربية الاسلامية وحدها أو مع الامم الشرقية الاخرى كاليابان والصين والهند عن طريق الاندلس وصقلية والحروب الصليبية بجهود فردية حينا أو ببعثات حكومية ومؤسسات حينا اخر ، الى أن أخذت حركة الاستشراق طابعا علميا في القرنين السادس عشر والسابع عشر واتخذت لذلك برامج مكثفة لاهداف تبشيرية واستعمارية واقتصادية ، وقد اتجه الراي العام في فرنسا (مثلا) في القرنين السادس عشر والسابع عشر بكل حماسة الى أخبار الصين وحضارتها اكثر من غيرها من بلاد الشرق ، وكان المبشرون قد تسللوا الى تلك البلاد واخذوا ينشرون الكتب عنها وفي هذه الفترة لا نجد الا القليل من المستشرقين الذين انقطعوا الى دراسة العربية والشئون الاسلامية (٦) ·

ج ـ والصورة العامة ان يترافق الاستشراق والاستعراب معا فاذا قدم الاوربي دراسات عن الشرق عامة أو عن الشرق العربي الاسلامي خاصة فهو (مستشرق) واذا كان ممن تفرغ للعلوم الاسلامية والعربية وشعوبها فهو (مستعرب) وقد يطلق عليه اسم (مستشرق) تجاوزا ويتبين مما مضى أن الاستشراق جهود العربيين الفكرية في القضايا الشرقية ومنها العربية الاسلامية،وان الاستعراب هو الجانب العربي والاسلامي من الدراسات الغربية وليس من الدقة الاصطلاحية التعميم والخلط بينهما،وان كان هذا ضيع معظم الكتاب الذين يتناولون البحوث الاسلامية لدى العربيين ·

« ومهما كان الامر فان كلمة (استشراق) ما زالت شائعة يشمل مفهومها هذه الدراسات لانها في الواقع دراسات نشأت معا وهي متشابكة بعضها ببعض وقد تطورت كلها مع التوسع الاستعماري وغيره من الدوافع العربية » (٧) ·

وبدهي أن نعرف أن الاعمال الاستشراقية متقدمة زمنا على الدراسات الاستعرابية وان كان الاستعراب أرحب مجالا وأخصب انتاجا وأغزر مادة ·

١ ـ فمن المستشرقين الذين كرسوا انتاجهم للشرق وحده نذكر منهم ما يلي (٨)

أ ـ وستر جارد (١٨١٥ ـ ١٨٧٨) من السويد ودرس الهندية في باريس واكسفورد وغيرهما وسمي استاذا لها في جامعة (كوبنهاجن) عام ١٨٤٥ وساح في بلاد فارس والهند فأكمل

مجموعة المخطوطـــات التي اقتناها (راسك) وجدد نسخ الكتابات المسمارية الفارسية وأضاف اليهـــا فكانت ذات شأن عظيم في ابحاثها المستجدة وقــد عاون على تفسيرها بما كتب فيها . ومن اثاره معجم الافعـــال السنسكريتية (١٨٤١) والكتابات المسمارية من أهل الطبقة الثانية (١٨٤٥ ـ ٥٤) ومـــن حملة ما نشره في علم اللعات الفارسية والهنديـــــة كتاب (الزاندا فستا ـ وبونديش) ·

ب ـ دافيد كوفمان (١٨٥٢ ـ ١٨٩٩) المجري وقد تخرج من جامعة (برسلاو) وعين مدرسا في المعهد العلمي اليهودي في بودابست عام ١٨٧٧ معني باصول الدين اليهودي وعلومه وتاريخه ووقف مكتبته الثمينة على مجمع العلـــــوم المجـــري ·

ج ـ وبـــــي (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) الامريكي تثقف ثقافة علميه عاليه ثم مال الى اللغات الشرقيه والف في اصول اللغة السنسكريتيه وعين في جامعه (بيل) استاذا لها وقد صنف كتاب قواعد اللغـــه السنسكريتيه في ٤٨٠ صفحة ·

د ـ لروا (المولود ١٩١١) البلجيكي استاذ في جامعة بروكسل وهو معنـــي بالدراسات الهندية والايرانية وضليـــع في اللغات الهندية والاوردية ·

هـ ـ سيمون ليفي (المتوفى عـــام ١٨٨٢) الايطالي . وقد تعلم اللغـــات الســامية واشتهر بتضلعه في فقهها وقد نشر معجمه الشهير في الهروغليفية والعبرية والقبطية في ستة مجلدات عام ١٥٧٦ ·

و ـ يانسكي النمساوي استاذ اللغة التركية في جامعة فينا . ومن اثـــاره الحان شعبية تركية وكتاب قواعـــــد اللغة التركية (١٩٦٠) ومعجم المانـــي تركي (١٩٦١) ·

ز ـ لوفتوس (١٦١٩ ـ ١٦٩٥) الانكليزي . وتخرج من كلية (ترينتي) في دبلن وجامعة اكسفورد وعين عضوا في مجلس العموم الايرلندي . ومـــن ثم عضوا في مجلس العموم البريطاني . ومن اثاره عاون في نشر التـــوراة (١٦٥٥ ـ ١٦٥٧) ونشر العهد الجديد من الحبشية . ونقل الكثير من اللغتين الارمنية واليونانية ·

هؤلاء المستشرقون وأمثالهم لم تتصل دراساتهم بالثقافة الاسلامية مباشـــرة ولكنهـــم ارادوا أن يمهـــدوا لحركة الاستشراق أو الاستعراب بما يقدمونه من هوامش وحواشي وتعليقات وتعقيبات أو بما يشيرون اليه من ارتباطات فكرية ومقدمات لا بد منها لمراحل هامة لـــدى المستشرقين والمستغربين ، ولذلك فــلا بد أن نتوقف عند هذه الدراسات التـــي تهدف الى أبعاد مقصودة لنوضـــــح أبرزها فيما يلي :

١ ـ ان هذه الدراسات والبحـــوث المتنوعة ليست تمهيـــدا للمستعربين الذين سياتون فيما بعد وحسب ولكنهـــا تضعهم امام بدايات وافكار قد تساهم في انتقال شبهات حول الاسلام بالمظهر العلمي البراق ·

٢ ـ بعث التاريخ واللغات المحليـــة او الاقليمية . وربما الديانات . وذلـــك لاشغال المسلمين في اقطارهم عن الاسلام وتراثه ولغته ·

٣ ـ ابراز صلات (موهومة) بيـــن مصادر الاسلام كالقران الكريم .والسنة النبوية . وبين الكتب السماوية السابقة من حيث الاشتقاق اللغوي والقيـــــم والمبادىء العقائدية ·

٤ ـ ايجاد قناعات (باطلة) بنسبة الاسلام الى شخصية الرسول عليـــه الصلاة والسلام . وانه ينظر بعضـــهم

احد عباقرة العالم احيانا . وتجريده من صفة النبوة والاتصال بالوحي .

٥ ـ اهتزاز الصورة المشرقة للاسلام في نظر المسلمين وعدم قدرته على الاخذ بايديهم الى التقدم الحضاري السليم . وبخاصة تلك الفئة التي تضع انفسها في موضع القيادة الفكرية .

٦ ـ ان اختصاص بعض المستشرقين بامة واحدة او بجانب من حضارتها وتوزيع الاعباء الثقافية على اختصاصات عديدة ودابهم المتواصل في البحث لا يدل على ظاهرة التعمق في الدراسة بقدر ما تدل على مدى العمالة للفكر الاستعماري او التبشيري .

هذه الابعاد المقصودة وغيرها يمكن فهمها بشكل اوضح اذا تعرفنا الى المواضيع والقضايا التي كانت ميدان دراساتهم وجهودهم . وهي مواضيع مرتبطة بالكشف عن الحضارات القديمة والاديان السماوية التي سبقت مجيء الاسلام سواء كان ذلك عن طريق التنقيب عن الآثار المادية أو الدراسات العلمية النظرية . وكذلك فقد تحدثوا عن اللغات السامية والبيئات التي لها صلة الجوار والتعامل مع المسلمين من قريب او بعيد ودفعهم هذا الى الالمام بعدد من اللغات القديمة والحديثة . كما دفعهم الى الرحلات العلمية الطويلة الشاقة وبذل الاموال الوفيرة للوصول الى اهدافهم المرسومة . وهذا الاتجاه البحثي لم يقتصر على الدراسات القديمة للاسلام والمسلمين وحسب وانما تجاوزه الى الكشف عن ثقافات العالمين العربي والاسلامي في العصر الحديث لغايات اقتصادية واستعمارية ودعائية .

فمن المواضيع التي عالجها المستشرقون بحوث عن السومريين والفينيقيين والبابليين والمصريين القدامى وسكان اليمن والجزيرة العربية وبلاد الهند والصين ..

أ ـ فقد فك (٩) (جروتجند) رموز الكتابة البابلية عام (١٨٠٢) وكشف عن أثر البابليين في تقدم الطب والرياضيات والجغرافية . وعن ابداعهم في علم الفلك . وتدوينهم اقدم القوانين وهي مجموعة (حمورابي) التي عثر عليها بين انقاض مدينة السويس عام (١٩٠٢) .

ب ـ وفي مصر اهتدى علماء حملة نابليون على مصر عام (١٧٩٨ ـ الى هياكل الاقصر والكرنك . وصنفوا كتابا في وصف مصر (١٨٠٩ ـ ١٨١٣) تم قرأ (شمبوليون) حجر رشيد عام (١٨٢٤) فحل رموز الكتابة الهيرغليفية والف اجرومية ومعجما لها (١٨٢٢) فوضع بذلك اساس علم الآثار المصرية .

ج ـ كما كشف (شيفر) الفرنسي عن ابجدية راقية في (اوغاريث) وهو اسم القصر الملكي في راس شمرة قرب مدينة اللاذقية عام (١٩٣٢ ـ ١٩٦١) وكان لذلك صداه الواسع في الكشف عن حضارة الشرق عامة .

د ـ وصف (ينبهر) الدانمركي وتبعه اخرون اللغة اليمنية وما تعبر به من حضارة قبل الاسلام .

ولقد اصبحت هذه الجهود العالمية المتلاحقة ـ والتي ما زال بعضها مستمرا حتى ايامنا هذه ـ تنحومنحى علميا انسانيا في بعض الاحيان اكثر من أي وقت مضى . بيد أن الدوافع العدائية للاسلام وللعربية . والابعاد المقصودة والمرسومة أحيانا والتي رمى اليها

المستشرقين بأمة واحدة أو بجانب من حضارتها ودأبهم المتواصل في البحث لا يدل على ظاهرة التعمق بقدر ما يدل على مدى العمالة للفكر الاستعماري

المتفرغون للمشرقيات ظهرت على نطاق واسع في اعمال وجهود العلماء الذين جمعوا بين الاستشراق والاستعراب معا وأوحوا ان معارفهم وانتاجهم تأخذ طابع الشمول والموسوعية . كما أشعروا الباحث العربي بما يتمتع به هؤلاء الغربيون من روح البحث والاستقصاء والعمق ومن هؤلاء

١ ـ بوستل (١٥٠٥ ـ ١٥٨١) الفرنسي تعلم اللاتينية واليونانية والايطالية والاسبانية . ومن اللغات الشرقية العبرية والكلدانية والسريانية والارمنية والحبشية والعربية والتركية، وبرع في بعضها فالحقه فرانسوا الاول بسفارته في تركية . ثم صنف كتابا في أبجديات اثنتي عشرة لغة منها :العربية والعبرية والكلدانية عام (١٥٣٨) واهداه الى اساقفة فينا . والف كتاب قواعد اللغة العربية بالحرف العربي بنفس العام ٠ وتخرج على يده نفر من طلائع المستشرقين . ومن مؤلفاته توافق القرآن والانجيل عام (١٥٤٣) واللغة العربية والفينيقية عام (١٥٥٣)٠

٢ ـ اتيا لوبيتري (١٨٤٩ـ١٩٢٠) الايطالي الذي سمي استاذا للدراسات الشرقية ولا سيما الفارسية . ومعظم تاليفه عنها . ومن اثاره فهرس المخطوطات الفارسية عام (١٩١٢) وفي اللغة العربية عنترة ملك وشاعر عام (١٨٩٩) والادب العربي عام (١٩٠٣) ٠

٣ ـ وليم بدويل (١٥٦١ ـ ١٦٢٢) الانكليزي الذي تخرج من جامعةكمبردج وعين استاذ العربية في اكسفورد وعاون على ترجمة التوراة عام (١٦٠٤) وقد اشتهر بانه رائد الدراسات الشرقية ولا سيما العربية في بريطانيا . وواضع اسس تدريسها . لانها على حد قوله لغة الدين والسياسة والمعاملة من الجزائر الى الصين . ولكنه اساء فهم الاسلام بتعصبه عليه تعصبا ذميما . ومن اثاره (التي يبدو فيها تعصبه وعداؤه) محمد ٠ وهو افتراء سخيف على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وفهرس القران باللغة التركية مع تعداد التفاسير عام (١٦١٥) ٠

٤ ـ رودولف برونو (١٨٥٨ـ١٩١٧) الامريكي وهو من أصل الماني تخرج بالعربية من المانيا وعين استاذا للغات السامية في جامعة (برنستون) عام (١٩١٠) واشتهر في العلوم الآشورية واشرف على حفريات حوران (منطقة في جنوب سورية) وآثاره كثيرةمنها ٠ كتاب الخوارج عام (١٨٨٤) والمجلد الحادي والعشرين من كتاب الاغاني عام (١٨٨٨) ووضع كشفا مرتبا للرموز البسيطة والمركبة وما تفيده في اللغتين الآشورية والبابلية ٠

٥ ـ توريزج (١٨٠٧ ـ ١٨٧٧) السويدي الذي تخرج من جامعة(لوند) دكتورا في الفلسفة عام (١٨٣٣) ومجازا بالادب العربي (١٨٣٥) ثم قصد باريس حيث أتقن العربية . ولما رجع الى السويد سمي استاذا للغات

السامية في جامعة (لوند) ومن آثاره: « خريدة العرائب وفريدة العجائب » لسراج الدين الوردي في خمسة اجزاء « وفتوح الفرنج لبلاد المسلمين » نقلا عن ابن خلدون . « والانيس المطرب في اخبار المغرب » لابن ابي زرع القاسمي عام (١٨٤٣)ووضع فهارس المخطوطات العربية والفارسية والتركية في جامعة (اوبسالة) .

وهكذا حاول هؤلاء المستشرقون وأمثالهم التطاول على الاسلام وتصيد أوهى الاسباب للنيل منه بوسائل صنفوها لانفسهم يمكن أن يكون كثير منها موضع نقاش وجدل . ليجعلوا من الاسلام مرحلة تاريخية حينا ومفاهيم مشوهة حينا آخر . كما توهموا أن يجعلوا الاسلام جمله وتفصيلا امتدادا أو تحويرا لرسالات سماوية سابقه بأساليب أبعد ما تكون عن المنهجية التي أعلنوا عنها وأوهموا القارىء العربي انهم يلتزمونها . على الرغم من اعتراف المعتدلين المسلمين منهم بأن الاسلام هو الدين الاوحد الذي سيساهم في انقاذ البشريه من ماديتها الطاغيه ليبوىء حضارة الاسلام مكانها المرموق . وأن الجزيرة العربيه كانت منطقة شبه منعزلة عن ثقافات العالم المجاورة حين بزغ فجر الاسلام متميزا بخصائصه مستقلا عن أي تيار فكري أو عقائدي ، مهيمنا على كل كتاب سماوي أنزله الله :

١ ـ يقول الله تعالى دلالة على استقلال الرسالة الاسلامية عن النقل والمؤثرات الاخرى « وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين . ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين » القصص : ٤٥،٤٤ .

ب ـ ويقول معقبا على قصة يوسف عليه السلام :

« ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » يوسف : ١٠٢ .

وأن الاسلام بمنابعه الصافية وأصوله المتناسقه تنبثق من ذاتية .. وأن اطراء بعض المستشرقين في جانب الاسلام وانتاجهم مؤلفات اسلامية لا يشفع لهم في تطاولهم على الاسلام بقدر ما تعبر عن استجرار القارىء العربي المسلم الى اتخاذ ارائهم حقائق لا يداخلها شك ولا ارتياب .

١ ـ منهم الدكتورة لوراهيتشا فاليري الايطاليه .

٢ ـ منهم الفرنسي اتيين دينه الفرنسي وتسمى بناصر الدين وليوبولد فاييس النمساوي الذي اشتهر بمحمد اسد وعبد الله كوليام الانكليزي .

٣ ـ منهم جولد تسيهر المجري وهو تسما الالماني . وبلاشيير الفرنسي .

٤ ـ عالمية الاسلام انور الجندي .

٥ ـ من المقال الاول الدكتور محمد كامل عياد في مجلة المجمع العلمي العربي ج ١ كانون ثاني ١٩٦٥ وما بعده ومن خطأ هذا الاستنتاج انه يفرغ الاسلام من مضمونه الخالد .

٦ ـ تابع المقال السابق للدكتور عياد .

٧ ـ الكاتب السابق من مقال اخر .

٨ ـ من كتاب المستشرقون نجيب العقيقي . وقد نوعنا الامثلة على امتداد فترة طويلة لنشير الى تعدد الامم التي شاركت في الحركة الاستشراقية .

٩ ـ من كتاب المستشرقون نجيب العقيقي .

تعرفنا عليه ، ورأينا أحواله العلمية ـ الى أي حـــد ـ يتوقع الدارس توفر العلـم وازدهاره في الجوانب كافة ٠٠ حيث الجو مهيأ للانبات لكل من يعيـــش في هـــذا المجتمع ، يتمتعون بخيـــره ويأوون الى ظلـــه ٠ ولذلك ازدهرت جميع العلوم حتـــى توفر لغير المســـلمين ممن يعيش في هذا المجتمـــع أن يظهر منهم العلماء ٠

٤

بقلم الدكتور :

عبد الرحمن علي الحجي

الاستاذ بجامعة الامارات العربيه المتحدة

ومن العالم الاسلامي انتقلت هـــذه العلوم الى العرب وغيره . فكانت نهضة تلك المناطق في العلوم . وفي بعـــض القضايا الاجتماعية . ولو أنها انتفعت من هذه الاخيرة ببعض الجوانب وفي حدود ٠

وفي الميادين التي انتعشت بصـــورة رئيسية في الغرب ـ حين وصلها هذا العلم من العالم الاسلامي ـ كانت العلوم البحتة التي استمر الاعتماد عليها في الغرب على ما نقل اليـــه من العالم الاسلامي قرونا طويلة ، فكان منهـــا الطب والصيدلة والكيمياء والاحيـــاء والنبات والزراعة والصناعات الطبيعية والهندسة والعمارات والبحـث العلمي والرياضيات والفلك والجعرافية والبحرية والادب والفلسفة . فـــان هذه العلوم ـ وغيرهـــا ـ مما تديـــــن بـــه اوربا للعالم الاسلامي . ليس للنظريات المبتكرة فيها بل كذلك لوجود العلم ذاته كما نود به بعض العلماء العربيين (١)٠

طور المسلمون العلوم المختلفـــة والدراسات المتنوعة في الميادين كافة . سواء بالابداع والابتكار او بالاضافة والتصحيح والاتساع والتنوع والتطبيق ٠٠ وكان الاهتمام بالعلوم ونموها مبكرا

أضواء على الحضارة

في العالم الاسلامي . وحين يتوفر هذا الجو تزدهر العلوم بصورةطبيعية وعلى العلوم الاسلامية كان اعتماد الغرب الوحيد في تقدمه العلمي .

الاصالة العلمية :

حث الاسلام على العلم واوجد الجو المناسب لنموه في كل اتجاه نافع ، فلا يالو المسلم جهدا في ذلك ، ويصور الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المعنى المتناهي والاهتمام البالغ للعمل العلمي واي عمل اخر نافع حين يقول : « ان قامت الساعة وبيد احدكم فسيلة واستطاع الا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك اجر » .

والاشارة هنا الى النظرة والفكرة التي يدعو اليها الحديث الشريف ، فهو يشير الى العمل المستمر ، لا الى نوع خاص منه ، وهذا الحديث الشريف واسع المعنى ، فسيح الآفاق ، له مدلول ضخم ويقدم اشارة لنظرة الاسلام الكريمة ، وتساميه بالانسان الى مرتفع خصب فريد ، ولا غرابة فهو دين الله الخالد وشرعه النير وهداه الخير للانسان .

لقد وجد العلم ـ بكثير في ميادينه ـ مبكرا عند المسلمين لان عقيدتهم تقوم عليه ، وتتبنى وتنشيء دوافعه وتغرسه اصالة وابتداء ، كما مر الحديث الشريف ، عن ذلك ووجد علماء أعلام في وقت مبكر ، في الجبر والرياضيات والكيمياء حتى قبل الترجمة عن الامم الاخرى ، وابطلوا ما كان في العلوم من خرافات وجعلوها علوما حقا ، تقوم على التجربة والاختبار والدراسة ، ولدينا مئات الكتب المترجمة الى اللاتينية وغيرها ، منذ وقت مبكر تشير الى وجود

الوقت الحاضر ، وان هذه الكتب المترجمة كانت معتمد الدراسات الاوربية وجامعاتها الى قرون متأخرة حتى الثامن عشر أو بعده ، وكما أقبل أهل الغرب على ترجمة الكتب الاسلامية ، كذلك قدم طلاب العلم الى الجامعات الاسلامية لا سيما في الاندلس ، الجناح الغربي للعالم الاسلامي .

الاخلاق في الحضارة الاسلامية :

مما امتازت به الحضارة الاسلامية أنها «حضارة أخلاق» واعتمدتها أساسا في كل الامور لا تحيد عنها وبها تلتزم في جميع الظروف ، فكانت الاخلاق المحور الذي تدور حوله كل المصالح والتصرفات ، فالاخلاق عندها التزام عقيدي وهي أولا ، وبهذا الاسلوب تبنى الحياة ، فالاخلاق الفاضلة هي قوام الخير والعدل والبناء والعمران والتقدم لان واجب الانسان اعمار الحياة بالخير وذلك منهج بالاسلام معلوم .

والمجتمع الاسلامي يعشق عمل الخير من حيث هو وفي كل اطار ، لا ينفك عنه ويغدوا ديدنه ، بل ان هذه الصفات هي جزء من عقيدته يتحدث عنها ويسعى وراءها ، وجاء في ذلك قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس اهله فان اصبت اهله فهو اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله » (٢) .

واصبح حب الخير جزءا من خلق المسلم ، والحال سواء في الامور الجليلة أو القليلة ، بل كان الاهتمام بالامور التي قد لا ينتبه لها الناس ، ذلك مثل ازالة الاذى من الطريق في

« الايمان بضع وسبعون او بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله . وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان » (٣) .

وحدود هذه النوعية من الاخلاق في الاسلام رحبة فسيحة . تجاوزت حدود الفرد وعلاقاته الخاصة . وهي الاخلاق الاجتماعية ولكنها من النوع الرفيع حيث يقوم الانسان بهذه الامور ويمارس هذه الاخلاقية دون معرفة بمن سينتفعون بفضله . فعدت صفة لازمة للعلم ـ لاي حد ـ ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى بل لقد علم الاسلام المسلم ان يستمر في عمل الخير ما استطاع حتى لما بعد الوفاة . وهذا يتمثل ـ فيما يعرف في الاسلام ـ بالوقف او الاحباس (٤) وهو قاعدة مهمة في التشريعات الاجتماعية . لان المسلم يوقف مالا ومصدرا للنفع على المسلمين . وعلى المجتمع الاسلامي في حياته او بعدها . وهو لا يعرف من هم الذين سينتفعون بفضلها ونفعها سار لاجيال لم يكن لها في الحياةوجود فيوم أوقف المسلم مشروعه او ماله . وهذا امر تنفرد به الحضارة الاسلامية عموما نوعا ودرجة باي صورة وجد في حضارة اخرى فهو سطحي ومحدود (٥) .

بين الحضارة الاسلامية والجاهليات :

أما الحضارة الغربية وبشكل اوسع الحضارة المعاصرة . فتتسم بانها لا تلتزم بمثل هذا النوع والمستوى من الاخلاق . ولا تدين به . فالمصلحة لديها أولا ـ من طرفها ـ من غير مبالاة بالطرف الآخر . الا فيحدود المصلحة والكلام هنا يدور حول وجهة هذه الحضارة الحالية وخصائصها ، ولا يتعلق بما أحرزته من تقدم مادي كبير ، لكن هذا التقدم المادي بدون هذه الاخلاق الانسانية الرفيعة ، ينقلب أداة أذى وارهاق واتعاب للآخرين فهو لا يدور عن فرد بعينه لكن نلحظ الوجهة العامة .

ولهذا المبدا الذي تتسم به الحضارة الحالية ، وهو المصلحة أولا ،والاخلاق وغيرها من المثل ، ليست الا توابع تدور في فلك المصلحة ، شواهد كثيرة نراها واضحة في تعاملنا معها،فنقض العهود والمخادعة وعدم الوضوح والامتهان لحقوق الاخرين امر معهود وشواهده معروفة . وما فلسطين وقضية كشمير والفلبين وغيرها في العالم الاسلامي . الا جنايات وخطايا تدمغ هذه الحضارة الحديثة وتدينها وتصور الكثير في حقائقها . وتفصح عن طبيعتها وتنبيء عن مقوماتها يراد عليهامأساة هيروشيما ونجازاكي ـ المدينتين اليابانيتين اللتين دمرتا في الحرب العالمية الثانية يومي ٦ . ٩ اب « اغسطس » على التوالي ـ والاضطهاد العنصري والفكري الذي يشهده هذا القرن العشرين قمة الحضارة الحديثة .

غدت هذه الحضارة الحالية مسرحا لكثير من الفلسفات الشاذة والافكار المنحرفة التي هونت طريق الخطيئة واغرت به . وجعلته امرا مالوفا لا لوم على الانسان في ممارسته ولا يملك الدارس الواعي المتفحص غير الدهشة حول شيوع مثل هذه النظريات او الوجهات . ثم كيف قلدها الآخرون على الطريقة الببغاوية . بل كانت لهم موضع اعجاب وافتنان . ويمكن ان يمثل هنا بالعديد من آراء فرويد النمساوي صاحب الدراسات النفسية المتعلقة

بالعقل الباطن والتفسير الجنسي للسلوك الانساني . وعلى الرغم مما في هذا التفسير من خطأ البعد عن الواقع ـ لانها أحكام قامت على دراسة الشواذ، فعمت نتائجها على الاسوياء ـ فقد كان لها ولما عداها من النظريات والوجهات تاثير في المجتمعات الغربية وغيرها . عمقت تلك الصفة المصلحية والسلوك الملتوي المقنع في الحضارة الحالية وبلغ حب المصلحة فيها حدا أغفلت معه حقوق الآخرين واستباحتها، والمثل التالي يوضح لنا هذا الاتجاه .

ذلك ان أحد الجنود الانكليز الذين حاربوا الافارقة في بلادهم حين تمكن من احد المواطنين هم بذبحه فعضه الافريقي مدافعا عن نفسه التي ازهقتها سكينة الجندي الانكليزي المتدين ! فما كان من هذا الجندي ـ حين ذهب الى أصحابه بعد الذبح ـ الا أن سخر من الافريقي بقوله : انظروا كم هو متوحش يعضني وأنا أذبحه ! ! ؟ ؟

امتازت الحضارة الاسلامية بالالتزام بخلقية رفيعة ، وارتبطت بقيم فاضلة حافظت عليها دوما ، والامثلة على ذلك كثيرة متكررة لان هذه الارضية التي لا تنبت الا هذه المثل والشواهد .

ولك أن تعجب لروعة ما جرى لصلح الحديبية ، في السنة السادسة للهجرة، حين ذهب نحو ١٤٠٠ مسلم من المهاجرين والانصار ، بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المدينة المنورة الى مكة المكرمة لزيارة البيت الحرام وأداء العمرة ، فردت قريش المسلمين عن ذلك وكادت أن تقوم الحرب بايع المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . رغم انهم لم يأتوا لحرب . وما كانوا مستعدين لها. حيث جاءوا بثياب الاحرام . ثم انتهى الامر بعقد معاهدة كان من بنودها « على انه من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم . ومن جاء قريشا ممن مع محمد صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه » (٦) . وقبل توقيع المعاهدة القى أبوجندل بن سهيل ابن عمرو نفسه ـ بقيوده ـ امام المسلمين وكان قد هرب من دار أبيه مقيدا منتهزا فرصة غياب أبيه الذي تولى رئاسة وفد قريش في هذه المفاوضة ولما لم يوافق سهيل على اخذ المسلمين له أعادوه اليه . وأخذ يضربه ويركله أمام المسلمين . وهو يستنجد بهم ان ينقذوه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا . وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وانا لا نغدر بهم » فعاد ابوجندل الى مكة ليلقى الافتتان . لكنه كان ينظر بنفس المؤمن الى المستقبل في تحقيق بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد تحققت . عندما فر ابو بصير ـ بعد صلح الحديبية ـ من مكة الى المدينة وطالبت به قريش . رده اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قائلا له كلاما قريبا مما قال لابي جندل . وحين رجع ابو بصير عائدا الى المدينة . بعد أن قتل أحد اثنين اخذاه الى مكة ـ رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبوله ولم يأخذ الغنيمة التي معه . حتى جعل الله له ولاخوانه مخرجا بما كونوا من جماعة تدين بدين الاسلام وتلتزم به وتقطع الطريق على تجارةقريش وانضم اليهم أبوجندل متسللا . لكن قريش نقضت العهد ولم تلتزم به .

الفرق كبير جدا بين هذا الالتزام

الذي يقوم على العقيدة . وبين الآخرين الذين لا يملكونها . فما الذي يوقف الانسان أو الجماعة اذا لم تكن لهم عقيدة يعودون اليها في تصرفاتهم ويبنون عليها حياتهم . لا سيما حين تعن مصلحة أو تلوح فائدة . والامثلة في الالتزام في كل ميدان يمتلىء بها التاريخ الاسلامي في صفحاته النقية الساطعة . وفي ذلك أمثلة فريدة يندر أو ينعدم وجودها في التاريخ . وقد لا تكون في ذلك غرابة فهذه الاحداث الاسلامية من صنع الاسلام وشريعته الذي أوحاه الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الشريعة السمحاء التي أدت بمن لم يتيسر لهم الاطلاع عليه نظريا . أن يروا ذلك ماثلا مصورا في

تاريخ المسلمين خلال عصورهم الذي انار الاسلام بها حياتهم في كل ميدان .

وحسب هذه النظرة الاسلامية الرفيعة . فان كل شيء يطاوع الاخلاق كما رسمها الاسلام ـ التي تقوم على تقوى الله تعالى وطاعته . وكل ما في حياة الانسان ينصاع لهذا الاتجاه . عن طواعية ورغبة ذاتية وحرص اصيل وفي هذا الاطار تصب الطاقة وتسير الامكانية .

وليس في هذا الفهم مكان لـ « الفن للفن » او « الادب للادب » وما على شاكلته . لان هذا يعني ويقود الى كيفية اعتباطية وبعد عن الالتزام . ومع احتلاف نوعية الالتزام كذلك . اذا وجد لدى الآخرين . كل شيء يعدو في طاعة الاسلام ويسير في ركابه لبناء حياة الانسان وجعلها مضيئة بشرع الله . منتعشة منسجمة على هذا الكوكب تملأها بالخير وترعاها بالمحبة وتضيؤها بالنور وتحتضنها بالدفء وترعاها بالحنان وتقيمها على الاخوة وتحييها بالحق وبالعشق للخير .

الصبغة الاسلامية :

الاسلام بمثابة الواحة للانسان في هذه الحياة وهو فضل من الله ونعمة عليه . لكن الجهل بهذا الدين هو الآفة في ابعاد الناس عنها . ان حقائق الاسلام ساطعة وجاذبيته ذاتية فهو « صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون » البقرة ١٣٨ .

يسير الاسلام بنفسه ويجد طريقه الى القلوب بالحقائق الناصعة الوحيدة التي تنسجم مع الانسان وتلائم فطرته . « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » الروم . ٣٠ .

فكانت نعمة الاسلام كبرى نعم الله تعالى على هذا الانسان الذي خلقه وصوره وهيأ له ما في الكون ولم يتركه ضالا تائها بل هداه لأقوم السبل التي تصلح حاله فاتم نعمته تعالى عليه « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » المائدة : ٣ .

الاسلام دعوة موجهة للناس كافة من كل لون وجنس ومكان . الكل امامه سواء والاسلام دعوة الله تعالى التي هي الصورة الاخيرة لدين الله سبحانه على هذه الارض . والانبياء كلهم اخوة قادوا موكبا واحدا أوحاه الله الى انبيائه الكرام صلى الله عليهم وسلم فكانوا على دين الله القدير أمناء . يخلف الواحد منهم الآخر في قيادته . وكان أخرهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . وهذا المعنى بينه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

فقال : « مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون لـه ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال فانا اللبنة وانا خاتم النبيين »(٨) ·

لقد بين الله تعالى هذه النعمة وما احدثته عند المسلم ونقلتهم من حضيض آسن ـ قبله ـ الى الذروة الرفيعـة وانقذهم من هاوية سحيقة ـ عاشـوا فيها طويلا ـ الى اعلى مراتب الانسان التي ارادها الله . وان واجب هـذه الجماعة التي احتوت الخير ان تنشرد وتدعو اليه فقال جلت قدرته « يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاتـه ولا تموتن الا وانتم مسـلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقـوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم أياته لعلكم تهتدون ولتكن منكـم امة يدعون الى الخيـر وأولئك هم المفلحون » آل عمران ١٠٢ ـ ١٠٤ . وقوله تعالى « والف بيـن قلوبهم . لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم . ولكن الله الـف بينهم انه عزيز حكيم » الانفال ٦٣ ·

في الاسلام وحده الهداية الحقـة والاستقامة والارتباط بالمثل والقيـم النظيفة . وعلى اساسها قام الارتبـاط بالانسان وانشاء الاخـوة على اقوم الاسس وابعدها جـذورا واصدقها وضعا وانقاها بناء . والتاريخ الاسلامي يعطينا الصورة العملية المشرقة لهـذا الكلام . بشكل لا قبل له بكل تاريـخ الانسان . وسوف لا يكون . لانه لا يملك الاسباب وهي مقيمة في دين الله وحده

في الإسلام وحده الهداية

منه تنبع وفيه الارتواء والاطلاع عليه وعلى تاريخه كفيل لاقتناع المنصـف واثارة الدارس وكل من يريـد ان يرى الحقائق ويأخذ بالوقائع ويقبل الفضائل ويلزم الخير . وينهج الطريق ويسير في النور ويرتقي بالعدل ويسمو بالمحبـة ويؤمن بالقيم ويدعو للمثل التي تملـك الكرامة الانسانية . فتغرسها نباتـا حسنا . وترعاها بهيجة وضيئة.لتقدمها اكلا دائما ونعيما غامرا··فالايمان بهذا النهج الفريد ضرورة انسانية وحاجـة بشرية عامة . لسعادة الانسـان في الحياة يوم يقوم الاشهاد لا يملكون امام اللـه في ذلك اليـوم غير مـا قدموه لانفسهم من طاعة الله جلـت قدرته ·

أكرم الله الانسان بالاسلام . فامـره بما ينفعه ونهاه عما يضره . والاسلام هداية الله الفضلى ونعمته العظمى لهذا الانسان . فالله تعالى خالقه يعـرف مسار نفسه وأحوال فطرته وامكانيات

الحقة والاستقامة والارتباط بالمثل والقيم النظيفة

وجوده . هيأ له من أسباب العيش كلما يحتاج . وينعش حياته وبه يكون . له سخر كثيرا مما في الكون « الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار » ابراهيم . ٣٢ـ٣٤ .
فاقتضى عدل الله ورحمته الا يترك الانسان على الارض ذرة تائهة ضاربا في بيداء الحياة على غير هدى . فأنزل له الهداية وهو أعلم .

فالله تعالى هو القادر ، العالم بالمنهج الذي يصلح للانسان ويأخذ بيده للخير ويعمر حياته ويؤلف اجتماعه انسان . فسعادة الانسان تقتضيه التوجه الى الله . يخلص له ـ سبحانه ـ العبودية ويأخذ بشرعه « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص » الزمر ٢ ، ٣ .

1 - The Making of Humanity 190

٢ ـ حديث مرسل انظر المقاصد الحسنة السخاوي ٦٣ .

٣ ـ مختصر صحيح مسلم ١٥/١ .

٤ ـ الاحباس : مصطلح يعني الاوقاف وهو مستعمل في المغرب الكبير كما كان مستعملا في الاندلس حتى قد تسمى وزارته به « وزارة الاحباس » .

٥ ـ في الحلقات السابقة ورد الحديث الشريف المتصل بهذا المعنى وهو : « اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية او علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

٦ ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ٥٨ .

٧ ـ السيرة النبوية ابن هشام ٣ ـ ٣١٨/٤ .

٨ ـ رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة فمختصر صحيح مسلم ١٦٣/٢ رقم الحديث١٥٢٧

الجد والجد :

الجد (بفتح الجيم . وتشديد الدال المهملة) ومن معانيه : الحظ . والغنى والعظمة . ومنه قوله تعالى :
« وانه تعالى جد ربنا » أي عظمته .
ويطلق على القطع والبحث والحظوة ووجه الارض والجديد . وقد جمع على جدد في قوله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » ويطلق على الرجل العظيم الحظ . وعلى الرزق وعلى شاطيء النهر . وعلى أبي الاب والام .
وأما الجد (بكسر الجيم) فهو الاجتهاد .

(باب شهري) يستعرض أحدث المباحث العصرية في مجال الدراسات الاسلامية

بقلم : مســـلم

الكتاب المقدس والقرآن : ازاء العلم :

للكاتب : موريس بوكاي

ما يزال كتاب الدكتور موريس بوكاي (الكتاب المقدس والقران والعلم) يحدث اصداء مختلفه في مجال الدراسات الرصينة الجادة . وخاصة في مجال الفكر الاسلامي . بعد أن قامت اكثر منجهه بترجمة فصول منه . وقد جاء هذا الكتاب في طريق الدراساتالحديثة التيكنسفت عن تعارض التوراة والانجيـل مع العلم . والتقاء الاسلام به .

وخلاصه ما يقول موريس بوكاي : انه بعد دراسات طويلة قام بها للتوراة والانجيل والقران . تبين له بما لا يقبل نقاسا ولا جـــدلا : ان « القرآن » هو الكتاب المنزل من السماء . وان اياته الكونيه لا تصـــادم اي نظرية علمية . وان صدقه في هذه النظريات يؤكد : أنه وحي من الله أنزله على خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولعل اخطر ما يقرره بوكاي : هو أن التوراة والانجيل ليست في مقـــام القران،ولكنها في مقام المرويات والافعال،وان هذه الكتب كتبت بعد موت عيسـى بعشرات السنين . وانها شـــهادات بشرية عن وقائع ماضيـــة . وان مؤلفي الاناجيل الاربعه المعترف بها . لم يكونوا شهود عيان للاحداث التي يروونهـا ، وان الكنيسه اعتمدت أربعة من هذه الاناجيل . رغم وجود التناقضات فيما بينها في كثير من النقاط . وامرت باخفاء الاخرى التي وصفت بأنها مشكوك فيها .

ليس هناك نص موحى :

يقول وثمة فرق أساسي اخر بين المسيحية والاسلام . فيما يتعلق بالكتب المقدسة . ذلك هو غياب النص الموحى به والمحدد في الوقت نفسه عند المسيحية . بينما يملك الاسلام (القران) الذي يحقق هذا التعريف .

ويقول : ان القران هو نص الوحي المنزل على محمد صلى اللـــه عليه وسلم من سيد الملائكة جبريل،وقد كتب في الحال ثم حفظه المؤمنـون عن ظهر قلب ، ورددوه أثناء صلواتهم . وخلافا لما جرى في الاسلام ، فان الوحي المسيحي انبنى على شهادات انسانية متعددة وغير مباشرة ، لاننا لا نملك أية شهادة من شاهد عاين حياة المسيح .

ويشير بوكاي الى مقابلـــة نصوص الكتاب المقدس بمعطيات العلم. ويقرر ان هناك اختلافات بين نص التوراة وبين العلم . بينما نجد ان ثمة توافقا بين القران وبين الحقائق العلمية فالقرآن يذكر حقائق . للعلـــم فيها كلمتـــه • ٠

ويقول ان معطيات التوراة . المتعلقة بخلق الانسان وظهوره على الارض خاطئة ٠ بينما لا يتصادم القران مع اي حقيقة كونية . فضلا عن ان القران قد قدم مجموعة من النظريات لم تكن معروفة وقت نزوله .بل لم تعرف الا في الايام الحديثة . وبعضها ما زال مجهولا امام العلماء ٠

ويشير بوكاي الى دعوة القران الى العلم والى انه في العصور التي كانت اوربا غارقة في الجهل . انجز المسلمون كميات من الابحـــاث والمكتشفات . وكان كثير من اهل اوربا يسافرون الى قرطبة لاتمـــام دراساتهم على ايدي العلماء المسلمين . وخاصة علوم الجبر والفلك والطب والنبات والجيولوجيا طبقات الصخور » ٠

ويقول بوكاي لقد قمت بدراسة القران . فادهشني اني وجدت هذا القدر الكبير من المعطيات المطابقة تماما للعلم الحديث ٠ واول ما اثـــار دهشتي هو النص الدقيق للخلق وعلم الفلك وبعض الموضوعات الخاصة بالارض وعلم النبات . والتناسل الانساني . وحيث نوجد في (التوراة) عدة اخطاء . ولذلك فاني اتساءل اذا كان القران بشريا . فكيف استطاع ان يصل الى هذه المعجزات العلمية . التي لم نصل اليها الا بعد اربعة عشر قرنـــا ٠ ٠

ويقول ان صحة القران لا تقبل الجدل ولا يشترك مع نص القران في هذه الصحة كل الكتب السماوية التي انزلت قبل ذلك ٠ واشار الى ان القران وحده هو الذي قدم مفهوم الخلق في شكل متعدد . على نحو يختلف اختلافا جوهريا عن التوراة ٠

ويقول ان اول وصف بديع في العالم لكيفية التنقل في الفضــــاء جاء في القران اذ يقول وكل في فلك يسبحون (يس ٤٠) ومعنى هذا ان كل من يتحرك في الفضاء الخارجي لا يتحرك بطريق المشي ولا باي طريقة اخرى الا بما يشبه (السباحة) وقد استخدم العلماء الكلمة التي ذكرها القران منذ اربعة عشر قرنا (يسبح في الفضاء) ٠

ويعرض الدكتور موريس بوكاي للعهد القديم (التوراة) ويتساءل عن مؤلف العهد القديم ويؤكد ان الذين كتبوا الكتب المقدسة هم بشـــر يختارون بخاصية تجعلهم اقرب الى قداســـة الكنيســـة ويناقـــش بوكاي اصالة اسفار التوراة ويقول انها مسالة اكثر تعقيدا . وان العهد القديم . كالعهد الجديد (الانجيل) يطرح مسائل تثير الجدال والمباحثة ٠ ويرجع الى ما كتبه الاستاذ ادموند جاكوب » الذي يشير الى انه كانت هناك كثرة من النصوص وليس نصا واحدا لقد كان نحو القـــرن الثالث قبل المسيح ثلاثة اشكال لنص التوراة العبري على الاقل نص الشارحين

ولو كنا نملك هذه الاشكال الثلاثة للنص الآن لكان بالامكان عقد المقارنات والوصول الى راي فيما يمكن ان يكون عليه الاصل . ولكن سوء الحظ شاء ان لا تكون لنا ادنى فكرة عن هذه النصوص ·

ويقول ان المدركات التوراتية المتباينة . كانت بين محتلف الكنائس المسيحية . سبب رفضها جميعها بنفس الاسفار . كما انها حتى الآن ليس لها في اللغة الواحده (العبرية واليونانية واللاتينية والسريانية والارامية) الافكار الواحده عند الترجمة ·
ويبدو ان اسهام الانسان في نص العهد القديم كان عظيما واننا لنتحقق من ذلك . دونما عسر من نص الى آخر . ومن ترجمة الى اخرى . ومن التصحيحات المستخلصة حكمنا ان النص الاصلي كان ممكنا تحريفه خلال اكثر من الفي سنة ·

كما يقول دكتور بوكاي ـ قبل ان تصبح مجموعة اسفار . كانت تقليدا شعبيا يرتل عفويا من الذاكرة · وفي المرحلة البدائية يسبق النظم النثر . ولذلك كان الانشاد داب كل شعب . وشعب اسرائيل ـ مدفوعا بظروف تاريخية ـ انشد كثيرا . في ذروة الحماس كما في هوة اليأس مساهما في كل ما يقع له ·
ومنها ايضا الامثال والعبر (سفر الامثال) عبر وامثال الاسفار التاريخية . ويذكر ادموند جاكوب ان هذه الكلمات نقلت اما عن الطريق العائلي او عن طريق الهياكل . وسرعان ما استحالت اسطورة . ومن ذلك فان (جاكوب) يرجح ان ما يقصه العهد القديم عن موسى والآباء . لا يتفق الا قليلا مع السرد التاريحي للأحداث · غير ان الرواة افرغوا هذه الكلمات في اسلوب خيالي . ليصلوا بينها بوقائع مختلفة لابراز ما حدث لدى بداية العالم والبشرية . كما لو كان قصة معقولة في النهاية عند بعض الناقدين ·
هذه الطريقة من التركيب . قربت بين مجموعة متخالفة هي : العهد القديم . على اساس مبدئي من الرواية الشفوية ·

ويمكن المقارنة بين نشاة التوراة ونشاة الادب الفرنسي في عصر ملكية الفرنسيين · والمقارنة المقصودة بين نشاة التوراة ومثل هذا الادب الدنيوي . تبدو بصورة دقيقة مطابقة للحقيقة . انها لا تهدف مطلقا الى ان تلفظ نصوص التوراة في مجموعها . كما يفعل كثير من الجاهدين . تقليدا للعقيدة في الله . وهي النصوص التي يحررها البشر اليوم . كمخزن لمجموعات الدين الوثني ·

ويعلق بوكاي بعد ان اوردت رواية جاكوب . التي اكدت ان التوراة لا تمثل نصا الهيا على الاطلاق وان القدر الديني منها لا يكاد يذكر . بل ان غلبة الفكر البشري عليها واضح جدا . حتى يمكن ان توصف كما ذكر جاكوب بانها مخزن الدين الوثني ·

يقول بوكاي . ان العهد القديم مجموعة مؤلفات غير متساوية الطول ومختلفة النوع وقد كتبت خلال اكثر من تسعة قرون في لغات عدة اخذا بالسماع . وكثير من هذه المكتوبات صححت ثم اكملت تبعا للاحـــداث او للضرورات الخاصة . على مدى احيال متباعدة احيانا بعضها من بعض .

ويقول انه في وقت متاخر قليلا ولعله في مجرى القرن العاشر قبل الميلاد . كان قد وضع النص اليهودي للاسفار الخمسة . وزيد عليها فيما بعد المقطع الالهي والمقطع الكهنوتي .

ويقرر بوكاي ان العهد القديم ظهر كصرح لادب الشعب اليهودي من اصوله حتى العصر المسيحي . وقد حررت الاجزاء التي يتالف منها وتمت وروجعت فيما بين القرنين العاشر والاول قبل المسيح . وليســـت هذه وجهة نظر شخصية ندلي بها هنا عن تاريخ تحريرها . بل لقد اخذت معطياتها التاريخية الاساسية من فصل (التوراة) المكتوب لدائـــرة المعارف العالمية (طبعة ١٩٧٤) جزء ٣ ص ٢٤٦ ـ ٢٥٢) من قبل سندروز استاذ في جامعة الدومنكان في سولتسوار .

وانه لا بد لكي نفهم ما هو العهد القديم . لا بد من ان نتذكر هــــذه المعلومات المثبتة تماما في ايامنا هذه من اخصائيين ذوي خبرة رفيعة . فقد اختلط الوحي بكل هذه الكتابات ولا نعرف اليوم الا ما تركه لنـــا فيه الذين عالجوا نصوصه حسب هواهم . ووفقا للظروف التي وجدوا فيها والضرورات التي واجهوها . وعندما نقارن هذه المعطيات الموضوعية مع تلك الموجودة في مقدمات التوراة المختلفة . والهادفة في ايامنـــا الى تبسيطها للناس . نتاكد من ان الوقائع مسوقةقدمها بطريقة متغايرة جدا .

اننا لا نزال نجد التناسات تحسل القارىء . وتحقص اهمية الوقائع . حتى يصل الامر الى حد تشويه الحقائق فقد حرفت كتب بكاملها مرات متعددة من قبل (مثل الاسفار الخمسة) ثم اكتفى بالاشارة الى ما استجد تفاصيل قد زيدت من بعد ويقول من كان يجرؤ على المعارضة اما كانت لهذا الخليط الذي ظل بعوزه الانسجام حتى نهاية القرون الوسطى . ومع ذلك فقد ظهرت مع نهاية القرون الوسطى حتى بداية الازمان المعاصرة بعض الانتقادات كما راينا بيد ان الكنائس كانت تنجح دائمـــا بفرض نفوذها وقد ظهر لنا في ايامنا نقد اصيل للنص ولكن المختصين به من الاكليركيين ارصدوا كثيرا من الجهود لفحص خليط من النقاط التفصيلية انهم لم يظهروا ابدا مندفعين لدراستها في ضوء المعارف المعاصرة .واننا عندما نعقد مقارنات تاريخية ومعمقة مع الافكار العلمية نصـــــل الى الاعتراض على الفكرة التي لم تزل مسلمة في حقيقة الكتابات اليهوديـــة المسيحيـــــة .

ونقول : ان كل هذا ولا شك يصدق القران الذي اكد : ان التوراة حرفت وبدلت وغيرت منذ اربع عشر قرنا . حتى جاء المنهج العلمـــــي المستمد من مفهوم الاسلام : ليقرر زيف وفساد النص الموجود الآن بين

... القرآن الكريم « تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » **الانعام : ٩٠ . وأن الذين يقولون هذا هم علماء مسيحيون متدينون أمثال جاكوب وبوكاي ممن لا يمكن اتهامهم في مقدرتهم العلمية ولا في ايمانهم بعقيدتهـــم .**

ومضى بوكاي في مراجعة نصوص الانجيل على النحو الذي فعل مع العهد القديم (التوراة) فيقول ينبغي ان يعرف فيما يخص عشرات السنين التي تلت رسالة المسيح بان الاحداث لم تجر مطلقا كما قيل في (الانجيل) وان مجيء بطرس الى روما لم يركز ابدا الكنيسة على اسسها. بل على العكس لقد شاهدنا خلال اكثر من قرن بين الفترة التي تـــرك فيها المسيح هذه الارض . وحتى منتصف القرن الثاني معركة بيــــن اتجاهين . بين ما يمكن ان نسميه (بالمسيحية البولسية) و (اليهودية المسيحية) وقد احدث الاولى بكثير من التدرج مكان الثانية فانتصـرت البولسية (نسبة الى بولس » على اليهودية المسيحية .

ويشير الى بحث الكاردينال دانيلو الذي . . . ار فيه الى وضـــــع ظهور الاناجيل ، في وضع مختلف جدا عما يفهم من الابحاث المخصصة للنشر الواسع . فقد اسقط بولس الختان والسبت ومراسم المعبـــد ولقد كان على المسيحية ان تتحرر من انتمائهـــــا السياسي الديني الى اليهودية . لتنفتح على الوثنيين . اما بالنسبة الى اليهود المسيحيين وقــد بقوا (اسرائيليين امناء) فقد كان بولس (خائنا) ولدى اليهـــــود المسيحيين وثائق تصفه بالعدو وتتهمه بالازدواجية المراهنة . والى عام ٧٠ كان هناك يعقوب ـ ومعه بطرس ويوحنا ـ منعزلا عن بولس . وكان يعقوب معتبرا كعمود لليهودية ـ المسيحية التي ظلت بفضله مندمجة في اليهودية في مواجهة (المسيحية البولسية) .

يقول بوكاي . بعد ان نقل هذه النصوص عن الكاردينال دانيلو انه من المهم ان نعرف هذه الوقائع . لندرك في اي جو من النزاع بيـــن الطوائف كتبت الاناجيل . ولكي نوضح ان النصوص التي بين ايدينا اليوم. بدات بعد كثير من تعديلات المصادر حوالى عام ٧٠.في العصر الذيكانت فيه الطائفتان المتنافستان في اشد الخصام وكان اليهود المسيحيـون هم المسيطرون حتى عام ٧٠ حيث انقلب الوضع مع الحرب اليهوديـــة وسقوط القـــدس .

وحقق بولس نصرا بعد موته وتخلصت المسيحية اجتماعيـــا وسياسيا ، من اليهودية ـ المسيحية المهيمنة ثقافيا ومنذ عام ٧٠ حتى مرحلة تصل الى عام ١١٠ . ظهرت اناجيل مرقس ومتي ولوقا ويوحنا فهي لا تمثل الوثائق الثابتة الاولى للمسيحية لان رسائل بولس سابقـة جدا عليها . ولما كان بولس لم يعرف المسيح حيا فقد برر شرعيةمهمته بالتاكيد على ان المسيح قد ظهر لهبعد قيامته على طريق دمشق في

ليه على انه خائن لفكر المسيح من قبل اسرته ومن قبل الرسل ، الذين
قوا في القدس حول يعقوب ·

لقد صنع بولس المسيحيه على حساب هؤلاء الذين احاط بهم المسيح نفسه لينشر تعاليمه · ويمكن القول أنه لولا وجود بولس ، لما وصلت الينا هذه الكتابات التي بين أيدينا الآن ، كتابات القتال ، هذه التي ظهرت في مرحلة الخلاف والنزاع بين الطائفتين ، كما وصف ذلك الاب كنتجسر – فقد برزت هذه الكثرة من الكتابات التي ظهرت عن المسيح ، عندما كانت المسيحيه ذات الاسلوب البولسي (نسبة الى بولس) قد انتصرت نهائيا ·

وقد اختفت الطائفة المسيحيه الاولى ، وفصلت عن الكنيسه الكبرى التى تحررت من ارتباطاتها اليهودية ، وقضي عليها في الغرب سريعا ·

ويوكد بوكاي : ان الاناجيل الاربعه التي اصبحت رسميه – أي قانونيه – عرفت في وقت متاخر جدا ، رغم أن تحريرها قد انجز في مطلع القرن الثاني · وأن القديس جوستنيان نحو سنة ١٥٠ كان يسميها (مذكرات الرسل) وانه يمكن اعتبار الاناجيل الاربعه ، مذكرات للرسل أو لصحابه المسيح ، ويردد قول الاب كنتجسر الذي يقول : (لا ينبغي الاخذ حرفيا بالاناجيل وهي مكتوبه بالمناسبة أو للنضال ، والتي أورد الكتاب خطيا روايات جماعاتهم عن المسيح) ويقول : لا ندهش اذا نظرنا الى الاناجيل على أنها تعبر عن الرؤى الذاتية للذين جمعوا الروايات الشفوية الخاصة ، بجماعات مختلفة وانها كتابات المناسبات ، بأن نجد فيها كل هذه العيوب التي هي علامه صناعه البشر لها في مثل هذه الظروف ·

ويشير الى ما اورده الاب روجيه في دراسته عن انه من الضروري تقدير الظروف التي كتبت فيها الاناجيل والمناخ الديني الذي هيمن على ذلك العصر ، وانه من الضروري الكشف عن تحريفات المولفات الاولى – المحققة اعتبارا من الروايات الشفوية – وتعبيرات النصوص اثناء نقلها الينا والفقرات الغامضة ، وغير المفهومة والمتضادة وغير الحقيقية التي تصل احيانا الى حد الاستحالة او المتناقضة مع الحقائق التي نثبتها في ايامنا التقدم العلمي ·

● ما معنى الاعتكاف وما حكمه ، وهل يجوز في غير شهر رمضان وفي غير المساجد ؟

الدوحة ـ قطـــر

عبد المجيد أبوسليمـــان

ـ الاعتكاف هو الاقامة واللبث في المسجد بنية ، وهو قربة مشروعـــة وعبادة قديمة باتفاق الفقهاء وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف في المسجد وداوم عليه ، تقربا الى الله عز وجل وطلبا لثوابه .

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكـف قبل الرسالة في غار حراء شهر رمضان أو اكثر ، لما كانت تحيط بالكعبة من أوثـــان .

وحكم الاعتكاف أنه سنة الا أنه يصبح واجبا في حالة النذر . وهو مشروع في كل وقت ، لكن أفضل أوقاته العشـــر الاواخر من رمضان ، واتفق العلمـــاء على عدم جواز الاعتكاف الا في المساجد

● متى فرض صوم رمضان ومـــا حكم منكره . وما حكم مضغ اللبـــان للصائم ؟

عبد الهادي الجراحي ـ القاهره

ـ فرض الصوم في شهر شعبـــان من السنة الثانية للهجرة ، ومنكـــر فرضيته كافر بالاجماع ، ومضغ العلك « اللبان » الذي لا طعم له ولا رائحـــة والذي لا يصل منه شيء الى الجـــوف مكروه أثناء الصوم .

● هل الكلام أثناء الخطبة يـــوم الجمعة يبطل الصلاة ؟

واذا دخل الرجل المسجد وسلم على الحاضرين فهل يجوز رد السلام عليه أثناء الخطبة ؟

بكر عمر الغرابلي ـ ج.م.ع ـ سوهاج

ـ يحرم الكلام والامام يخطب ان كان المتكلـــم بحيـــث يسمعـــه ـ الا للامام أو من كلمه لمصلحة ـ قال صلى الله عليه وسلم : « اذا قلت لصاحبك يوم الجمعه انصت والامام يخطب فقد لغوت » وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له» . وأما جواز الكلام للخطيب أو لمن كلمه لمصلحة فلما روي عن أنس رضي الله عنه : « جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يوم الجمعة فقال : متى الساعة ؟ فأشار الناس اليه أن اسكت ، وكرر ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الثالثة : ما أعددت لها ؟ قال حب الله ورسوله ، قال انك مع من أحببت » رواه البيهقي .

ويجوز للمستمع أن يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سماع ذكره في الخطبة ويرد السلام ويشمت العاطس وينقذ الاعمى ويدفع الضرر بشرط الا يشوش على الخطيب أو على غيره من المستمعين .

● ما حكم من يمتصون اثـــداء زوجاتهم · وهل يؤدي ذلك الى تحريـم الزوجة على الزوج ؟

ابراهيم ك· ب ـ أبوظبـــي

ـ لا شيء في ذلك العمل بل هو من مقدمات الجماع . ولا أثر لاي رضاع بعد الحولين ، قال صلى الله عليـــه وسلم «لا رضاع الا ما كان في الحولين» رواه البيهقي وغيره · والرضـــاع المعتبر به شرعا هو ما كان في ســن الرضاع أي فيما لا يتجاوز العامين ، أما بعد ذلك فلا حرمة ولا كراهيـــة في هذا ونص الفقهاء على أنه « لو رضع الزوج لبن زوجته فلا تحرم عليه ولا يعد رضاعـــا » ·

● اعلم ان الكذب حرام . ولكن اذا كذب الانسان على اصدقائه بقصـــد التسلية فهل عليه اثم ام لا ·

علي سعيد الشالوبي

راس الخيمة ـ المعهد العلمي

ـ كل الكذب حرام الا مـــا استثناه الشارع ، حتى في المسائل التي يتوهم فيها الناس الحل . فالمرأة التي قالـت لابنها تعال اعطك . ولما سالها رسـول الله صلى الله عليه وسلم عما ستعطيه قالت تمرات . فقال لها الرسول عليه الصلاة والسلام « اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة » ولا يعفى عنالكذب الا في ثلاثة :

١ ـ مداعبة الرجل لاهله ·

٢ ـ الصلح بين المتخاصمين ·

٣ ـ في الحرب وصدق رسول اللـه صلى الله عليه وسلم اذ يقول « ويـل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب . ويل له · ويل له » وقال عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن العبد الايمان كله ، حتى يترك الكذب في المزاحوالمراء، وان كان صادقا » ·

● هل يجوز لبس التميمة والحلقـة والخيط ونحو ذلك لرفع بلاء أو طلـب منفعة أم لا يجوز وما الدليل ؟

ماجدة السيد نصر شـــهاب

مصر ـ معهد فتيات طنطـا

ـ لا يجوز شرعا فعل ذلك،لان تعليق التمائم ، ولبس الخيط ، شرك بالله اذا قصد من تعليقها الاعتقاد في رفعهـــا للضرر أو جلب النفع . وهـــذا ينافي كمال الاخلاص لله والايمان به الذي هو معنى لا اله الا الله . والمؤمن الصادق لا يطلب نفعا ولا يلتمس رفع ضرر الا منه جلت قدرته « بلى من أسلم وجهـه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ·

وعن ابن مسعود رضي الله عنـــه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الرقي والتمائــــم والتوله شرك » رواه أحمد وابو داود

والتوله شيء يصفونه ويزعمون أنه يحبب المرأة الى زوجها والرجـــل الى المرأة . وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، أن رسول اللهصلى الله عليهوسلم قال : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » ـ أي لا جعله في دعة وسكون ـ وفي رواية أخرى « من تعلق تميمة فقد أشرك » . ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي اللـــه عنهما : أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه ·

وفي الصحيـــــح عن أبي بشـــير الانصاري رضي الله عنه : أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في بعض أسفاره ـ فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة الا قطعت » وكان يعلقون هـــذه الاوتار والقلائد ظنا منهم انها تعصمهم من الآفات ·

★ تقوم الآن لجنة خاصه في وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف بدراسة احتياجات جميع المناطق السكنية الجديدة والمناطق التي شهدت زيادة في كثافة السكان بها سواء في أبوظبي أو كافة مدن وقرى الدولة · وذلك لحصر احتياجات كل منطقة من المساجد سواء من حيث العدد أو السعه· وكان صاحب السمو رئيس الدولة قد أعطى توجيهاته بأن تعمل الوزارة على توفير المساجد في كل مناطق الدولة ·

وقد أصدر معالي محمد عبد الرحمن البكر وزير العدل والشئون الاسلامية والاوقاف توجيهاته بالاسراع في اعداد هذه الدراسة التي تتم بالتعاون مع مختلف البلديات · حتى يتسنى وضع الخطة التنفيذية لانشاء ما يتم عليه الاتفاق من مساجد ·

★ تحتفل وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف بحلول شهر رمضان المعظم ، وستقام بهذه المناسبة الندوات والمحاضرات عقب صلاة العشاء في المساجد بجميع الامارات ·

★ يحتفل في الشارقة خلال هذا الشهر ، بالانتهاء من تسجيل القرآن الكريم ، مع ترجمة معانيه الى اللغة الانجليزية وهو أول مشروع من نوعه ، قام برعايته والانفاق عليه سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الاعلى حاكم الشارقة ·

★ وجهت وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف نداء الى كل من فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر ، وفضيلة الشيخ محمد الحركان أمين رابطة العالم الاسلامي ، تطالب فيه بضرورة اتخاذ

المشردين في محنتهم ٠
دبـــــي :

★ تتبنى ادارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدبي مشروعا تربويـــــا اسلاميا ٠ يتمثل في الحاق عدد مـــن رياض الاطفال المجانية بمساجد المدينة ٠٠ وذلك ضمن خطتها التي تهدف الى تطوير رسالة المسجد وتحويلها منمجرد اماكن تقتصر على اقامة شـــعائر الصلاة ٠ الى مراكز اشعاع اجتماعي وتربوي في البيئة الموجودة بها وربط الطفل المسلم بالمسجد عن طريق مشروع روضة الطفل المسلم ولقد حققت هـذه الخطوة نجاحا كبيرا ووجدت استجابة من الجميع ٠ وقد بلغ الاطفال الملحقون بهذا المشروع ١٥١٦ طفلا وطفلـــة موزعين على ١٥ مسجدا بجميع انحاء دبـــي ٠

وقد سكلت لجنة لوضع المنهـــج الخاص لهذه الدراسة بطريقة تربويـة صحيحة لتعد النشيء اعدادا اسلاميـا صحيحا ٠

★ البنك الاسلامي يساهم في تنفيذ عدد من المشاريع في الدول الاسلامية :

★جدة ٠٠ وافق مجلس المديريـــن التنفيذيين للبنك الاسلامي للتنميـــة في ختام اجتماعاته على المساهمة في رأس مال الشركة الاردنية بمبلغ ٥ خمســـة ملايين دولار امريكي ٠ كما وافق على الاسهام في تحويل عدد من المشروعات الاسلامية في بعض الدول الاسلاميه ٠

★ افتتح فضيلهالامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر عددا من المعاهـــد الازهرية في عـــدد من المحافظات والتي تقام بالجهود الذاتيه وذلك ضمن الخطة الرامية الى تعميـم المعاهد الدينية في مختلف المراحـــل التعليمية الابتدائية والاعدادية والثانوية بنين وبنات ٠ لنشر وتعميق الوعـــي الديني وتمكين الازهر الشريف منأداء الوحيد الذي تعتمد عليه الجامعـــات الازهرية في أداء رسالة الاسلام ونشر الدعوة الاسلامية ٠

★ بدأ مجمع البحوث الاسلامية في الاعداد لعقد مؤتمره التاسع في نهايـة العام الحالي لبحث عدد من القضايـــا التي تهم المسلمين ٠

★ احتفل في الشهر الماضي بتخريج دفعة جديدة من طلاب جامع القـــرآن الكريم في العاصمة الباكستانية ، وهـــو احد اكبر المعاهد الدينية في باكستان ٠

★ قررت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، التوسع في انشـــاء دور تعليم القران الكريم للسيدات في انحاء الكويت ، بعد نجاح التجربة ، وذلـــك لتخريج جيل من السيدات العارفـــات بأمور دينهن ، والقادرات على تنشئة اطفالهن في مناخ اسلامي ووعي دينـــي ســـليم ٠

شكر للشيخ زايد

★ وجه المجلس التاسيســي لرابطة العالم الاسلامي ، في دورته التاســعة عشر ، الشكر لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان رئيس دولـــة الامارات العربية المتحدة وسمو الشيخ خليفه بن حمد أمير دوله قطر ، علـــى مشروعهما الجليل لتحفيظ القـــران الكريم في الدولتين ٠

★ حددت المملكة العربيه السعوديـة يوم ٢٠ من ذي القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٢ اكتوبر القادم ، اخر موعد لقبول طلبات منح التاشيرات للحجـــاج في سفارات السعودية في الخارج كمـــا حدد يوم ٢ نوفمبر ، كاخر يوملوصول بواخر وسيارات الحجاج لميناء جـــدة او لحدود المملكة بالنسبة للحجاجبطريق البر ويوم ١٥ نوفمبر للطائرات ٠

في .. هذا العدد

الموضوع	الكاتب	ص

ـاشر
وبر ١٩٧٨م شوال ٣٩٨

مسجد دولما باشا
على البسفور ـ استانبول
بعدسة عبدالفتاح سعيد

إسلامية . ثقافية . شهرية

تصدرها

وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف

دولة الإمارات العربية المتحدة

في غرة كل شهر عربي

مدير التحرير

سعيد عبد الله حارب

العدد العاشر
السنة الثالثة
شوال ١٣٩٨ هـ
اكتوبر ١٩٧٨ م

اقرأ في هذا العدد

ونحن نستقبل اشراقة عيد الفطر المبارك ٠٠ مناسبة من المناسبـــات الاسلامية العظيمة ٠٠ نحاول ان نتذكر تلك المبادىء الخالدة التي قامت عليها الجماعة الاسلامية ونحتفل بتاريخ قيامها وانبعاثها ٠ وفي الوقت نفسه نوحي بما ترمز اليه هذه الذكريات من عبر وعظات ـ في تاريخ هذه الامه ـ من اجل انفسنا ٠٠ ومن اجل مستقبلنا امة تميزت بانها خير امة اخرجت للناس ٠٠ وبأنها أمة ذات رسالة سماوية ٠٠ أثرت الحضارة الانسانية بمعطياتها ٠٠ لنستمر مسلمين اصحاب شخصيه اسلامية ٠٠ وأصحاب رسالة انسانية في الحياة٠

وهكذا شان الذكريات في تاريخ الامم والشعوب ـ شان الطبائع في الوجود تمر على الانسان٠٠ او يمر الانسان عليها ٠٠ فتكون ذات أثر ايجابي في حياة فريق من الناس ٠٠ وتبقى بلا اثر في حياة فريق اخر ٠٠ وينتفع بها أولئكم الذين يعيشون في الحياة عطاء لبناء امة ٠٠ وتمسكا بمستقبل الجماعةالاسلامية في اطار من الوحدة والمحبة والاخاء والتعاون ٠٠

وتنتهز وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف وجميع العاملين بها هذه المناسبة الكريمة ٠ فيتقدمون الى مقام صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان رئيس الدولة ، واخوانه اعضاء المجلس الاعلى حكام الامارات واعضاء الحكومة وجميع افراد الشعب الكريم في دولة الامارات العربية المتحدة، أجمل التهاني مقرونة بأطيب الاماني أن يعيد الله مثل هذه المناسبة ٠٠ وقد تحققت امالهم وامانيهم في مستقبل مشرق ـ وغد اكثر املا وتفاؤلا بان يحكم الاسلام ارضه بما انزل الله حتى يتيح للاسلام ان يثمر وللقران ان يحكـــم ونذكر العالمين بان الوحدة الاسلامية في الدين والتشريع والقران والقبلة تدعو كل المسلمين الى نسيان ذواتهم والتعلق بدينهم والله يتولى المخلصين ٠٠

التحريـــر

يا أُمَّة

الامة الاسلامية المعاصرة ·· هي من اكثر امم الدنيا افرادا ، وأوسعهم رقعة في الارض ·· واكثرهم خيرات ·· ومع ذلك كله فهي اشدهم اختلافا وفرقة ·· واكثرهم دولا ودويلات ·· والمتتبع لحال الامة الاسلامية خلال الاطوار التي مرت بها ·· يجد انها تفاوتت ارتفاعا وانخفاضا ·· ولكنها لم تصل في اى وقت مضى الى الحالة التي وصلت اليها اليوم ·· من التشتت والضياع ··

ففي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت الأمة الاسلامية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم (وبدولة الخلافة) الاسلامية تحكم بما انزل الله·· من اقوى الامم واستطاعت ان تمد سلطانها الى كل اجزاء الجزيرة العربية ·

وانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه·· منفذا حديثه القائل : « لايجتمع دينان في الجزيرة »، ثم جاءت بعده دولة الخلافة الراشدة·· « لا يجتمع دينان في الجزيرة » ، ثم جاءت بعده دولة الخلافة الراشدة ·· فقضت على الردة الداخلية التي اشتعلت في بعض ارجاء الامة الاسلامية ، ثم توطدت دعائم الدولة في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ·

وكما يذكر لنا التاريخ ، فان المؤامرات التي كانت تحاك ضد هذه الدول الغنية لم تتوقف عند حد معين ·· فنجحت تلك المؤامرات في ان تنال من الخليفة الفاروق رضي الله عنه بخنجر مسموم ·· تشبع بنار الحقد والحسد التي بثتها المؤامرات اليهودية في الشعوب التي فتحت ·· متسترة وراء الثغرات القومية او الدعوات الشعوبية واستمرت تلك المؤامرات تشعل نار الفتنة في عهد الخليفتين عثمان وعلى ·· ثم قامت على انقاض تلك الخلافات دولة كانت لها السمة الاسلامية ·· نشأت بعد الدولة الاموية ·· دولة اخرى بدات في ريعان شبابها ·· الا وهي الدولة العباسية ·

وفي هذه الدولة واجهت الامة الاسلامية اشد المحن في عصرها ، فقد جاء التتار ·· يحملون معهم ··· الدمار لكل شيء ، وبعد اكتساحهم للدول الاسلامية ·· صدموا بأول انهزام لهم في عين جالوت ثم مالبثوا ان انقلبوا الى الاسلام ·· لما وجدوا به مبتغاهم من العدل والسماحة ··

وبعد ذلك مرت الامة الاسلامية·· في عصر يشبه عصرنا الحاضر ·· دويلات متفرقة كل دولة تنشا على انقاض دولة اخرى··وتستعين باعداء الله واعدائها ضد من اجتمعت معهم على عقيدة واحدة·· وما ذلك الاحفاظا على منصب · او حقدالمغنم او مكسب ·· واستغل اعداء الامة هذه الثغرة ·· واقاموا ما شاء الله لهم ان يقيموا في الارض المقدسة من فلسطين ·· الى ان سخر الله لهذه الامة من جمعها على طاعته فاستطاع ان يحرر فلسطين ويسترجع بيت المقدس من يد الصليبيين ·· وتمر السنون لتقوم في الشمال الاسلامي دولة باسم الاسلام·· انها الخلافة العثمانية ·· التي ظلمها التاريخ ·· بما الصقه بها من تشويه على ايدى المشبوهين من الصليبيين والصهيونيين وامثالهم ·

الإسلام

فاخرجوها صورة ممسوخة ٠٠ ممزقة ٠٠ وجعلوا من اسلامها ستارا لتنفيذ شهوات ساستها ٠٠ حتى نشأ جيل من المسلمين ينظر الى الخلافة العثمانية نظرة المستعمر الذي تصب عليه اللعنات ٠٠ لما له من اسباب التخلف في الدول المستعمرة ، ونجحت المؤامرات مرة اخرى في اسقاط آخر معقل من معاقل الاسلام ٠٠ ويوم سقطت الخلافة سقط معها الرمز الذي تجتمع حوله امة الاسلام ٠٠ وعاد الانقسام والتشتت بينهم من جديد ٠٠ اختلافات على كل شيء ٠٠ مصداقا للمثل القائل ٠٠ اتفقوا على ان لا يتفقوا ٠٠ وضاعوا في بحار من السياسة واروقة المؤامرات العالمية ٠٠ واصبحوا دويلات معدودة ٠٠ تتقاذف فيما بينها بالسباب واحيانا بالسلاح ، وصدق فيهم قول الشاعر :

الام الخلف بينكم الام وهذى الضجة الكبرى علاما ؟؟

فلماذا هذه الاختلافات ؟؟ ولماذا ٠٠ هذا التناحربين المسلمين ؟٠٠ وربهم يدعوهم الى الوحدة والى التآلف فيقول : « ان هذه امتكم امة واحدة » ٠٠

فلماذا خالفنا ربنا ، وجعلناها امما شتى ٠٠ فأصبحت هدفا لكل من اراد ان يتعلم الرماية ٠٠ هل الاسلام هو الذي فرق المسلمين ؟؟ كلا وربي !! ٠

انه يدعوهم لكي يلتقوا على طاعة اله واحد وتحت راية واحدة هي راية الاسلام ٠ لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى فيقول : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ٠

لماذا لم نسلك طريق السلف الصالح في حل مشاكلنا ٠٠ مستنيرين بهدى الله ورشده ؟؟ كما فعل الخليفة المسلم عمر بن عبد العزيز ، حين تولى الخلافة ، فجمع اغلب الفرق واصحاب الآراء وقال لهم : « ان كنتم تريدون الحق فقد اتفقنا جميعا على الحق ٠٠ وان كنتم تريدون الباطل قاتلناكم حتى نردكم الى الحق » ٠

فدانت له بذلك ارجاء الارض الاسلامية ٠٠ ولم يجتمع المسلمون بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز ٠٠

وهكذا دعوة الاسلام دائما ٠٠ وهكذا دعاتها ٠٠ لا يختلفون على حق٠٠ اما اذا دخلت بينهم الاهواء المادية ، والشهوات الدنيوية فلن يجمعهم الا دعوة الحق مرة اخرى ٠

فيا أمة الاسلام ٠٠ يامن تملكين اعظم تراث عرفته الانسانية ، وتمتدين على رقعة شاسعة وتضمين بين ذراعيك مايقرب من ثمان مائة الف الف انسان٠٠ عودى الى النبع الصافي ففيه عز الدنيا والآخرة ٠٠ فيه النصر في الاولى والظفر يوم القيامة ٠٠

مدير التحرير

سعيد عبد الله حارب

الجامع الصحيح

التاريخ الإسلامي العلمي أغنى مما

وفي الزوايا خبايا لم تقع عليها عين ولم

كتاب مندوب

اننا لا نعرف كتابا من كتب البشر – في المكتبة الدينية العالمية – تناوله العلماء والمؤلفون بالشرح والتعليق مثل ماتناولوا هذا الكتاب . وقد كان الشرح والتعليق هو المجال العلمي الذي تظهر فيه عناية العلماء والمؤلفين في العصور القديمة ، ومقياس اهتمامهم بأثر علمي ، فكان اكثر الكتب شروحا وتعليقات هو اعظم المؤلفات تقديرا ، واعلاها منزلة واكثرها شهرة ، وكان اقل الكتب شروحا وتعليقا ، اخملها ذكرا ، واقصدها شهرة وصيتا ، فيبقى مطمورا مغمورا ، لا يسترعي انتباها ، ولا يثير اهتماما ، فاذا اخذ هذا المقياس – وهو المقياس الوحيد لنجاح

القاطع على احتلاله للصدارة المجلس العلمي – حكمنا بان « الجا الصحيح » للبخاري قد فاز بالقدح المع في هذا الميدان واحتل الصدارة في مكتب الاسلامية التي انبثقت عن القرآن ود الاسلام ، وامتدت على مشارق الار ومغاربها ، في المساحة الارضية المكانية ومن القرن الاول الى القرن الثالث عشر على الاقل – في مساحتها التاريخية الزمان فقد بلغ عدد شروحه والتعليقات عليه مائة وواحد وثلاثين كتابا (١٣١) ع حسب استقراء مؤلف « مقدمة لا م الدراري » وعلمه واطلاعه ، وقد يا العدد اكثر من هذا ، فقد كان استق المؤلف مؤسسا على كشف الظنون للحل

ح للإمام البخاري

في
مع
لمي
تنا
عوة
ض
ة ،
نية،
الى
لى
سع
كون
صاء
ي ،

دوّنه المؤرخون

تطلع عليها شمس

ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ، واتحاف النبلاء ، والديباج المذهب ، ونيل الابتهاج ، ومقدمات الشروح المشهورة التي كانت في متناول يده ، والثقافة الاسلامية في الهند ، وبعض دراساته وتتبعاته الفردية ، ولا شك ان العالم الاسلامي اوسع مما تخيله الجغرافيون ، والتاريخ الاسلامي العلمي اغنى مما دونه المؤرخون ، وفي الزوايا خبايا لم تقع عليها عين ولم تطلع عليها الشمس .

اجل شرح لاجل كتاب :

وان كتاب « فتح الباري » للعلامة ابن حجر العسقلاني الذي يقع في ثلاثة عشر مجلدا ضخما ، ومقدمة مبسوطة تكاد تكون مكتبة مستقلة في علوم الحديث ، كتاب لا يوجد له نظير في مكتبات الديانات والملل ، وان لهذه الامة الاسلامية ان تفتخر بهذا الاثر العلمي الخالد وتقدمه الى علماء الديانات والفلسفات ، ورواد الحضارات والثقافات ، كبرهان ساطع على جهاد هذه الامة العلمي ، ونبوغها الفكري ، وولوعها باثار نبيها والغوص فيها الى اعماق ليست بعدها اعماق ، والوصول فيها الى افاق ليست وراءها افاق ، هذا ، مع عدم الحط من قيمة الشروح الاخرى — وفي مقدمتها « عمدة القاري » للعلامة بدر الدين العيني التي تعد مكتبة حافلة في النحو والعربية، وعلوم البلاغة والاحكام المستخرجة والفوائد المستنبطة من الاحاديث — ومع الاعتراف باخلاص مؤلفيها ونصحهم لله ولرسوله وللمؤمنين ، وافراغ وسعهم في خدمة الحديث ونشره ، والتعمق فيه الى غاية لا يتصور فوقها غاية ، جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين افضل الجزاء .

ثم يلي هذا المقياس شدة المكوف على دراسة الكتاب والتهافت على روايته ونقله والتنافس في حمله ونشره وضمه الى الصدور والعض عليه بالنواجذ ، وتوارث الاجيال في تلقيه جيلا بعد جيل ، وكابرا عن كابر ، وتلميذا عن استاذ ، وطبقة عن طبقة ، حتى لا تعرف فترة من الزمان ، نسج فيها عليه العنكبوت ، وساد عليه الظلام، وانقطعت روايته وتوقفت دراسته وعبث به العابثون ، وتصرف فيه الخائنون المحرفون ، وقد تفرد الجامع الصحيح بهذه الميزة بعد كتاب الله ، فقد اخذ هذاالكتاب عن مؤلفة تسعون الفا من الرواة والحفاظ وتسلسل نقله وروايته ، حتى انتهى هذا الكتاب الى مؤلفة ، وبلغ حد التواتر في شهرته وصحة نقله ونسبته الى المؤلف ، لاينكر ذلك ولا يتشكك فيه الا من تشكك في المتواترات ، والحقائق العلمية التي تثبت بالضرورة ، ولا يزال هذا الكتاب موضع الاهتمام والعناية، وموضوع التأمل والدراسة في الحلقات العلمية في العالم

ثم خص هذا الكتاب بالاتفاق على انه قد بلغ اقصى درجات الصحة والوثاقة ، والتحرى في نقل الصحيح الثابت ، والاحتياط الذي يبلغ اليه اجتهادالمجتهدين وامانة النقلة والرواة ، وان المؤلف قد افرغ فيه جهده ، ونجح فيه نجاحا لميكتب لمحدث اخر ، وراعي فيه ادق الشروطالتي عرفت في هذا الفن ، والتزم فيه التزامات لم تعرف عن اى مؤلف في هذا الموضوع ، ثم ساعدته في ذلك الملكة الراسخة التي لا يرزقها الا واضمو الفنون والصيارفة الحذاق واهل السليقة الذين لايعرفهم التاريخ الا في فترات طويلة ، وعلى مر القرون والعصور وهم في كل لغة وادب ، وكل موضوع ومقصد ، ويجعلهم الله ميزانا في هذه الفنون وحجة في هذه المقاصد ، فيرزقهم من ثاقب النظر، صحيح الحدس ، وسرعة الخاطر ، ودقة الشعور ، وسلامة الفكر ، والذوق السليم الذي لايخطىء مالا يرزقهم اقرانهم ونظراؤهم – علىجلالة قدرهموغزارة علمهم – فيأتون في هذه الفنون والمقاصد بالحكم الصحيح السريع ، والوصول الى الحقيقة والاهتداء الى الصميم بما يشبه الالهام ، وبما يخيل الى كثير منالناس بانه فوق الطاقةالبشرية، وما هو بالهام دائما وما هو فوق الطاقة البشرية لكنه الملكة الراسخة ، والموهبة الربانية ، والتوفيق الالهى ، وطول الممارسة ، وشدة الاخلاص ·

ونظائر ذلك كثيرة في الادب والشعر ، واللغة والنحو ، وعلم العروض والطب ، واولئك الأئمة لا يخضمون للقواعد التي وضعها من كان في طبقتهم او دونهم ، ودونتها كتب هذا الفن وجاء فيها الغث والثمين ، واختلط فيها الحابل بالنابل فقد يتحدرون عن هذه القواعد وعن هذ

الاراء والمقاييس ، ويحكمون بسليقتهم وبصيرتهم ، وذوقهم وتجربتهم .

ومن الظلم والجهل بالحقيقة، والتسرع في الحكم ، والتقليد الاعمى ، ان يخضعوا لهذه القواعد المرسومة المحدودة التي جاءت في كتب من تأخر زمانه عن زمانهم، وانحط مكانه عن مكانهم فيؤخذ «تهذيب الكمال» للمزي مثلا ، او مختصراته للحافظ ابن حجر ، او « ميزان الاعتدال » للذهبي — على فضل هذه الكتب ، وفضل مؤلفيها على المشتغلين بهذا العلم — فيحكم على الجامع الصحيح للبخاري ، او الجامع الصحيح لمسلم ، او المؤطا للامام مالك ، فيعاد الامر جذعا ويستأنف النظر في هذه الكتب التي تلقتها الامة بالقبول وبلغ اصحابها الى اقصى درجات في التحقيق والدقة والتحري، وتشرح تشريح الاجسام ، وتسلط عليها المقاييس المحدودة التي يقل النقاش وتتسع فيها مجال الكلام ، فهذا النوع من القسوة العلميه والجفاف الفكري ، والعمل التقليدي سيحدث فوضى تتزلزل بها اركان الدين ، وتتصعصع بها العقيدة واليقين ، ويتورط المسلمون في اضطراب، قد اعاذهم الله عنه وكفاهم شره .

ولذلك كان حذاق المحدثين ، وعلماء اسماء الرجال يعتمدون في ذلك على البخاري ومسلم، اكثر مما كانوا يعتمدون على كتب اسماء الرجال التي دونت في العصور المتأخرة ، ويعجبني في ذلك مانقل عن الشيخ ابي الحسن المقدسي ، كان يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة » يعني بذلك انه لايلتفت الى ما قيل فيه ، وقال الشيخ ابو الفتح القشيري هكذا نعتقد وبه نقول ، ولا نخرج عنه الا لحجة ظاهرة ،

وبيان شاف يريد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما ، « بالصحيحين » ، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما ، ويؤيده ماقال الحافظ (كما نقل عنه العلماء) وقبل الخوض فيه ينبغي لكل منصف ان يعلم ان تخريج صاحب الصحيح لاى راو كان مقتضيا لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولاسيما ما انضاف الى ذلك من اطباق جمهور الامة على تسمية الكتابين « بالصحيحين » وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح ، فهو بمثابه اطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما .

وكذلك ليس من الصواب ولا من الفقه ولا من مصلحة الاسلام والمسلمين ان تثار قضية صحة هذين الكتابين الجليلين من جديد ويبحث كان الامر انف ، والموضوع بكر ، لم يطرق من قبل ولم ينل بحثا وتفكيرا ، فذلك يحدث فوضى فكرية ويضيع على الامة كثيرا من جهودها وطاقاتها واوقاتها ، وهو جهاد في غير جهاد ، اغنى الله خلف هذه الامة عن القيام باعبائه بما تولاه سلف هذه الامة ، وفتح باب خطر على مصراعيه تدخل منه افات كثيرة ، وتشويشات عظيمة ، وليس سر صحة هذين الكتابين وفضلهما على سائر الكتب في علو طبقة رجالهما وعدالتهم وفي الشروط الدقيقة التي التزمها المؤلفان فحسب ، بل في اشتهار هذه الاحاديث التي حواها هذان المجموعان ، وشدة اعتناء علماء هذا الشأن بها ، وكثرة تلقى الامة لها ، وقد احسن شيخ الاسلام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي كل الاحسان اذ قال مبينا لهذه النكتة في كتابه الفريد « حجة

الله البالغة » اما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على ان جميع ما فيهما من المتصل المرفوع الصحيح بالقطع، وانهما متواتران الى مصنفيهما ، وانه كل من يهون امرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين ، وان شئت الحق الصراح فقسهما بكتاب ابن ابي شيبة ، وكتاب الطحــاوى ، ومسنــد الخوارزمي ، وغيرهما تجد بينها وبينهما بعد المشرقين ، وقد استدرك الحاكم عليهما احاديث هي على شرطهما ولم يذكراها ، وقد تتبعت ما استدركه ، فوجدته قــد

اصاب من وجه ولم يصب من وجه ، وذلك لانه وجد احاديث مروية عن رجال الشيخين بشرطهما في الصحة والاتصال ، فاتجــه استدراكه عليهما من هذا الوجه ، ولكن الشيخين لايذكران الا حديثا قد تناظر فيه مشايخهما واجمعوا على القول به والتصحيح له ، كما اشار مسلم حيث قال « لم اذكر ههنا الا ما اجمعوا عليه » وجل ما تفرد به المستدرك كالموكأ عليه ، المخفى مكانه في زمن مشايخهما ، وان اشتهر امره من بعد (٢) .

وليس اتفاق الامة وعلمائها على صحة البخاري وفضله على سائر الكتب مجــرد اتفاق ومصادفة . ولا عن تواطؤ ومؤامرة، وقد اعاذ الله هذه الامة التي اختارهــا لحمل دينه وتبليغ رسالته من ان تكون فريسة غفلة وغباوة ، وان تجتمع عــلى الضلال . بل كان ذلك الهامــا من الله ومكافأة على ما قام به مؤلف هذا الكتاب من جهاد في سبيل حفظه الاحاديث النبوية،

ثم تحقيقها وتنقيحها ومعرفة رجالهــا ورواتهــا ، وكشــف استار الكذابــين والوضاعين، وتمييز الضعفاء والمجروحين، ثم في نقلها ونشرها في الافاق ، وجمعهــا في مجموعة مهذبة منقحة ، بحسب الطاقات البشرية والعلم الانساني ، وقد هجر في سبيل ذلك راحته وحظوظ بدنه ومطالب نفسه ، ونسى لذته وغادروطنه ، واكتفى من الدنيا ببلغة عيش وسداد رمق ، ولقى في سبيله اذى كثيرا ، وتحمل في سبيله نكرانا وجفاءا ، ومحنة وبلاءا ، فقــد وهب للحديث حياته وما اكرمه الله به من قوى وطاقات ، وحافظة لاقطة واعية، وذهن وقاد ، وعقل نقاد ، ونفس كبيرة ، وهمة عالية ، فكافأه الله على كل ذلــك بان قيض له افواجا من العلماء والاذكياء يخدمون كتابه بصنوف من الخدمة وانواع من الجهد لم تخطر ببال اى جماعة قبلهم، ولم تتيسر لكتاب بعد كتاب الله ، واشعل في قلوبهم حب هذا الكتاب ، والسهر على خدمته حتى لم يشعروا بلذة الا بشرحــه ونشره ، ولم يجدوا راحة الا في تحقيقه وتنقيحه ، حتى كونوا هذه المكتبة الواسعة الزاخرة التي لم توجد لكتــاب ، وفي المقدمات التي كتبت للشروح ، وحسب القارىء مقدمة لامع الدراري لمحدث العصر الشيخ العلامة محمد زكــريا بن يحيى الكاندهلوي ، ما القى من اضواء على هذه المكتبة وتعريف باهم كتبها ومحتوياتها ،

فقه البخاري في تراجمه

ولم يكن ذلك كله الا مظهرا من مظاهر
سنة الله في خلقه ، وهي « ان الجزاء من
جنس العمل » فهي سنة قديمة في الامم ،
والجماعات البشرية ، وافراد الناس . فلما
حفظ البخاري سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وجاهد في سبيلها حق الجهاد،
ووقف كل حياته وكل ما كان يملكه ويمتاز
به له ، تكفل الله بحفظ كتابه وانتشاره
ورفقائه ، وازدهاره ، واعتناء الامة به
اعتناءا لا مزيد عليه .

ومما نقرر عند المشتغلين بصناعة
الحديث تدريسا وتصنيفا ، وشرحا
وتحقيقا ، ان الابواب والتراجم في الجامع
الصحيح للبخاري رحمه الله ، من ادق
البحوث والمطالب ، ومن اعمقها غورا ،
وابعدها مدى ، حتى اشتهر بين العلماء
ان فقه البخاري في تراجمه ، واصبح ذلك
شعارا لهذا الكتاب يتميز به عن اقرانه
الصحاح على جلالة قدرها ، وفخامة شأنها ،
واصبح مقياسا لفطنة العلماء ، وتوق
ذكائهم ، وسيلان ذهنهم ، وبعد غورهم
واقتدارهم على فهم هذا الكتاب الجليل
وحل غوامضه وفتح اغلاقه ، والتوصل ا
مقاصد المؤلف ، لا يشهد لمؤلف او مدرس
ببراعة في العلم ، وتفوق في التدريس
وسعة اطلاع على الشروح والحواشي واقوا
الائمة والفحول من المحدثين ، وطول
ممارسه لتدريس هذا الكتاب الشريف
وانضاء القوى ، وافناء العمر في ذلك
حتى يجتمع له الشيء الكثير من هذ
الباب ، وينفرد بتوجيهات وتعليلات تنحل
بها الالغاز ، وتتفتح بها الاقفال ، وتحل
عنها بطون الاسفار .

ولا نعرف - على طول اشتغالنا بالتاريخ
العلمي - مؤلفا من مؤلفات العلماء ا
الحكماء عني به رجال ذلك الفن ، وعكفو
على حل غوامضه ، وفك مشكلاته ، حتى
شقوا فيه الشعرة مثل ما عنى علماء
الحديث بالجامع الصحيح ، وما ذلك ا
لاخلاص مؤلفه لعلم الحديث الشريف
وانقطاعه اليه وجهاده في سبيله ، وتفاني
في ذلك ، كما بينا ذلك في تقديمنا لمقدمة
«لامع الدراري» ، وما ذلك كذلك الا لشد
اعتناء الامة الاسلامية بكل مايتصل بالحديث
النبوي ، ويتصل بالشخصية النبوية ، التي
ضمن الله لها برفع الذكر ، وتخليد الاثر
وارتفاع المنار ، ولسان صدق في العالمين
حتى تخطت هذه البركة وسرت الى م
اتصل بها عن قريب او بعيد ، فادركت ك
من انخرط في سلك الرواة على مدى العصو
والاجيال ، فرفعت عنه اللثام ، وازال
عنه لوثة النكارة ، او وصمة الجهالة
فدون في كتب اسماء الرجال ، اسمه واس
ابيه ، وذكر كثير من اخباره ، وبحث ع

نسبه ونسبته ، ودراسته ونشاته ، وامانته وعدالته ، حتى اصبح علما يعــرف ، ومعرفة لا تنكر ، وفاق في ذلك على كثير من المصلحين في أمم اخرى ، وكثير مــن العظماء والابطال ، ومؤسسي الحكومات حتى قال احد المستشرقين الكبار وهــو العالم الالماني المعروف بـ «اسرنجر» في مقدمته بالانجليزية على كتاب « الاصابة » المطبــوع في كلكتــه سنة ١٨٥٣م ــ «لم تكن فيما مضى امة من الامم السالفة كما انه لاتوجد الان امة من الامم المعاصرة اتت في علم اسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول احــوال خمسمائــة الف رجــل وشئونهم (٣) » . لم يقتصر هذا البــر والرفد على الاولياء والمحبين من امته ، والخادمين لدينه وعلمه ، بل تعدى ذلــك الى الاعداء الكاشحين . والمناوئين لدينه ، فعرف به العالم كثيرا من اعدائه الالداء ممن طوتهم الجاهلية وطمستهم الايــام ، فبقيت اسماؤهم وكثير من اخبارهم بفضل السيرة النبوية والحديث النبوي، ولولاهما لذهبت اخبارهم ادراج الريــاح وطارت باسمائهم العنقاء . فلا عجب اذا كان العصر

الشاعر العربي ، ويخاطبان هذه السحابة التي مرت بهما فأفاضت عليهما الحيــاة والنماء وينشدان :

فاذهب كمــا ذهبت غوادي مزنــة
اثنى عليهــا السهــل والاوعــار

ونعود الى الحديث فنقول: وكان مظهرا من مظاهر هذه العناية الفائقة بهذاالكتاب الفذ . عناية العلماء بتراجم الابواب في الجامع الصحيح ، فتناوله كل من شرح هذا الكتاب او علق عليه ، او عكــف عــلى تدريسه ، وافرد بعضهم له تأليفات ، فات كثيرا من المؤرخين اسماؤها شأن العلوم الاخرى . ومن المؤلفات التي حفظــت اسماؤها ، وجاءت الاشارة اليها ثلاثــة مؤلفات في هذا الموضوع ، ذكرها الكاتب الجلبي المشهور باسم الحاج خليفــة (١٠٦٧هـ) في كتابه الشهيــر « كشــف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » وهي ــ١ــ كتاب للامام ناصر الدين علي بن محمد بن المنير الاسكندراني سماه « المتواري على تراجم البخاري (٤)، ٢ ــ ترجمان التراجم لابي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ، المتوفى سنة ٧٢١هـ ، قال الجلبي وهو على ابواب الكتاب ولم يكمله، ٣ ــ حل اغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة » وهي مائة ترجمة للفقيه ابي عبد الله محمد بن منصور بن حمامة المغراوي السجلماسي ، المتوفى سنة ٣٧٠هـ سماه « مصابيح الجامع » واضاف الى هذه الكتب الثلاثة مسند الهند واستاذ الاساتذة فيها الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي (١٢٣٩هـ) كتابا رابعــا في كتابه المفيد « بستان المحدثين » وهــو « تعليق المصابيح على ابواب الجامــع الصحيح » لابي عبد الله بن محمد بن ابي

بكر عمر القرشي المخزومي الاسكندراني الملقب ببدر الدين المعروف بالدماميني ، المتوفى سنة ٨٢٨هـ (٥) .

هذا ما اثر عن المتقدمين والائمة المحققين في البلاد الاسلامية العربية ومن المعروف ان علماء الهند قد سمت همتهم في خدمة علم الحديث ، وتمسوا فيها كل تفنن. وكانت لهم في كل فن من فنونه وغرض من اغراضه جولة. وقد انتهت اليهم رئاسة علم الحديث ، والصدارة في تدرسه ونشره في العصر الاخير ، فلا بد ان تكون لهم مؤلفات لم تصل الينا اسماؤها ، وجزى الله عنا وعنهم مؤلف كتاب « الثقافة الاسلامية في الهند » اذ حفظ لنا الشيء الكثير من مؤلفات علماء الهند في علم الحديث واستقصاه استقصاءا كبيرا . ولكنه لم يذكر مما الف في موضوع الابواب والتراجم ، الارسالة (٦) لشيخ مشايخ الهند ، واستاذ الاساتذة وناشر علم الحديث في هذه الديار الامام ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي ، المتوفي سنة ١١٧٦هـ وهي رسالة وجيزة المباني عزيزة المعاني تكاد تكون كلها اصولا كلية ، ونكتا حكميا ، واللب اللباب ، في فهم التراجم والابواب، شأنه في كل موضوع يطرقه ، وبحث يتناوله ، ومن المرجع ان مؤلف الثقافة لم يطلع على رسالة العلامة الشيخ محمود حسن الديوبندي (١٨ ربيع الاول سنة ١٣٣٩هـ) المعروف بشيخ الهند ، فانما طبعت بعد وفاة مؤلف الثقافة سنة ١٣٤١هـ) (٧) .

وهذا جل ما انتهى الينا من اخبار الكتب والرسائل في موضوع الابواب والتراجم للبخاري في الماضي .

وسر الغموض في هذه الابواب والتراجم تنوع مقاصد المؤلف الامام ، وبعد مراميه وفرط ذكائه ، وحدة ذهنه ، وتعمقه في فهم الحديث ، وحرصه على الاستفادة والافادة منه اكبر استفادة ممكنة ، فهو كنحلة حريصة تواقة تجتهد ان تتشرب من الزهرة احر قطرة من الرحيق ، ثم تحولها الى عسل مصفى فيه شفاء للناس .

وشأن الامام البخاري مع الحديث النبوي الصحيح شأن العاشق الصادق ، والمحب الوامق مع الحبيب الذي اسبغ الله عليه نعمة الجمال والكمال ، وكساه ثوبا من الروعة والجلال فهو لايكاد يملأ عينيه منه ، وهو كلما نظر اليه اكتشف جديدا من آيات جماله ، فازداد افتتانا وهياما ، ورأى جماله يتجدد في كل حين ، واذا الوجه غير الوجه ، والجمال غير الجمال ، فلا قديم في الحب ، ولا اعادة عند المحب ، وصدق الشاعر

يزيدك وجهه حسنا
اذا ما زدته نظرا

ولذلك نرى الامام البخاري ، لايكاد يشبع من استخراج المسائل ، واستنباط الفوائد ، والنزول الى اعماق الحديث ، والتقاط الدرر منه ، والخروج على قرائه بها ، حتى يذكر حديثا واحدا اكثر من عشرين مرة .

وقد روى حديث بريرة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها اكثر من اثنتين وعشرين مرة ، واستخرج احكاما وفوائد جديدة .

وروى حديث جابر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فابطأبي جملي واعيا ، الحديث ، اكثر من عشرين مرة .

وروى حديث عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودي الى اجل، ورهنة درعا من حديد، في احد عشر موضعا ، وعقد له ابوابا وتراجم لها (٨) ·

وروى قصة موسى والخضر في اكثر من عشرة مواضـع ·

واخرج حديث كعب بن مالك في تخلفه من غزوة تبوك في اكثر من عشرة مواضع، وفوائدة اكثر من خمسين ·

وروى حديث اسماء في كسوف الشمس وخطبته صلى الله عليه وسلـم في عشرة مواضع ، وروى حديث « ان من الشجرة لشجرة لايسقطورقها (الحديث) واستخرج منه فوائد جديدة » ·

فكأنه تأخذه النشوة والطرب عند رواية الحديث ، فلا يمل من اعادته ، وينشـد بلسان الحال :

اعد ذكر نعمـان لنا ان ذكـره
هو المسـك ما كـررته يضـوع

وكأنه يتمثل ببيت الشاعر ·

وحدثتنـا ياسعد عنهم فزدتنـا
شجونا ، فزدنا من حديثك يا سعد

ثم يشتعل ذكاؤه ـ الذي ضرب فيـه بسهم وافر ـ ويتوقد ذهنه، وتسيل قريحته، فيفلت زمام التأليف ، ويرسل النفس على سجيتها ، ويستخرج من حديث واحـد نتائج وفوائد لا تدور بخلد كثير مـن الاذكياء ، وما ذلك الالحدة ذهنه، وافراط حبه ، ولم يزل الحب ملهما للبدائع ، ملهبا للقرائح ، والمحب يقع على مالا يقع عليه المتأمل ، المرهق لجسمه ، المتعب لعقله ·

وسر آخر للغموض في تراجم الابواب ان المؤلف الامام غير خاضـع للاساليب التاليفية ، والقوانين الوضعية ، التيجرى عليها المؤلفون في فن الحديث في عصره وبعد عصره ، بل هو واضع طريقة خاصة في التاليف ، وامام مذهب خاص ، وهـو لم يقتصر على ما يتبادر اليه الذهن مـن الاحكام الفقهية المستخرجة من الاحاديث ، شأن اقرانه ومن سبقه من المؤلفين في علم الحديث والفقه ، بل يستخرج منالاحاديث فوائد علمية وعملية لاتدخل تحت باب من ابواب الفقه المعروفة ·

وقد احسن الاشارة الى ذلك اكبر شراح كتابه ، واعرفهم بمراده العلامة الحافـظ ابن حجر العسقلاني فيمقدمة كتابه الفريد « فتح الباري » قال ، « ثم رأى ان لايخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكميـة فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في ابواب الكتاب بحسب تناسبها ، واعتنى فيه بآيات الاحكام فانتزع منهـا الدلالات البديعة ، وسلك في الاشارة الى تفسيرها السبل الوسيمة ، قال الشيخ محى الدين نفع الله به ، ليس مقصود البخاري الاقتصار على الاحاديث فقط ، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لابوابارادها، ولهذا المعنى اخلى كثيرا من الابواب عن اسناد الحديث واقتصر فيه على قوله فيه ، فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، او نحو ذلك ، وقد يذكر المتن بغير اسناد وقد

يورده معلقا . وانما يفعل هذا لانه اراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها واشار الى الحديث لكونه معلوماً وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريبا ، ويقع في كثير من ابوابه الاحاديث الكثيرة ، وفي بعضها ما فيه حديث واحد ، وفي بعضها ما فيه اية من كتاب الله . وبعضها لاشيء فيه البتة ، وقد ادعى بعضهم انه صنع ذلك عمدا . وعرضه ان يبين انه لم يثبت عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه ، ومن ثمة وقع في بعض من نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث الى حديث لم يذكر فيه باب فأشكل فهمه على الناظر فيه (٩) .

وقد زاد على ذلك حكيم الاسلام الشيخ ولي الله الدهلوي . فاحسن واجاد واوضح التفاوت الواقع بين افهام العلماء ومقاصد المؤلف الامام، وكأنه يقول بلسان الشاعر

نزلوا بمكـة – في قبائل هاشـم
ونزلـت بالبيـداء ابعد منـزل

قال رحمه الله . « وكثيرا ما يستخرج الاداب المفهومة بالعقل ، بالكتاب والسنة، والعادات الكائنة في زمانه صلى الله عليه وسلم . ومثل هذا لا يدرك حسنه الا من مارس كتب الاداب ، واجال عقله في ميدان اداب قومه ، ثم طلب لها اصلا من السنة (١٠) » .

ومن اكثر قراءة الجامع الصحيح درسا وتدريسا ، وانعم النظر فيه ، شهد بصدق شيخ الاسلام فيما قاله ، واصابته الصميم، ووجد شيئا كثيرا مما يتأدب به ، ويتخلق باخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعادات الصحابة منثورا في ثنايا هـذا الكتاب العظيم ، حتى يستطيع ان يستخرج منه كتابا اخر ، ويسميه « الادب المفرد » او بما شاء .

وقد يستهين المختص بالفقه والحديث بقيمة هذه الثروة العظيمة ، وقد يلتوى عليه فهمها ، وحكمة وضعها في هذا الكتاب الذي أفرد لجمع الاحاديث الصحيحة على شروط الامام البخاري ، ولكن نظر المحب يختلف عن نظر غيره ، وقد اراد الامام البخاري ان يكون هذا الكتاب نبراسا للسارى ، وصورة لما كان عليه الصحابة والمسلمون في عصر النبوة .

والسبب الثاني لتعقد بعض ما اورده في هذا الكتاب من الابـواب والتراجـم والتوائها ، على فهم كثير من الشـراح والمدرسين ، حتى قال الكرماني « ان هذا قسم عجز عنه الفحول البوازل من الاعصار، والعلماء الافاضل من الامصار ، فتركوها بأعذار » هو عدم اطلاع اكثرهم على ماكان يسود في عصره من اراء واقوال يشتد حولها الخصام ويكثر فيها القيل والقال ، وما ذهب اليه بعض معاصرية ، ومن تقدمه بقليل من مذاهب ، فانه يعقد بابا ويأتي بترجمة ، وما قصده من ذلك الا نقض ما انتشر في الناس ، وجرى عليه العامة ، او نقل عن عالم ، وهو عنده مخالف للحديث وما ثبت من السنة ، فهو يورى بذلك ، او ينظر اليه من طرف خفي ، ولايستملح ذلك . ولا يفهم سرا يراده له ، الا من اتسع علمه واحاط باكثر ما كان يوجد في عصره من الاخلاق والعادات ، والاقوال والاراء ، وكذلك اطلع على كتب معاصرية، او من سبقه بقليل ، كمصنف عبدالرزاق، ومصنف ابن ابي شيبة وغيرهما ، وقد اشار الى هذه النكتة الشيخ ولي اللـه الدهلوي في بعض مباحثه في كتابه المتقدم ذكره ، اذ قال : واكثر ذلـك تعقبـات وتبكيتات على عبد الرزاق وابن ابي شيبة في تراجم مصنفيهما اذ شواهد الاثار تروى عن الصحابة والتابعين في مصنفيهما، ومثل

هذا لاينتفع به الا من مارس الكتابين واطلع على ما فيهما (١١) .

واعتقد ان في ذلك بلاغا ومقنعا ودلالة كافية على جلالة قدر هذا الكتاب العظيم الخالد، وماتفرد به من ابداع ، واجتهاد، وشخصية تأليفية تميزه عن سائر الكتب التي الفت في هذا الموضوع ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) أوكا عليه حفظه في حرز فلم يعرفه احد .

(٢) حجة الله البالغة ـ ص ١٢٤ .

(٣) الرسالة المحمدية لاستاذنا العلامة السيد سليمان الندوى (تعريب الاستاذ محمد ناظم الندوى) ص ٧١ ، دار الفتح ١٩٦٣م .

(٤) كشف الظنون ص ٣٦٥ .

(٥) قال الشيخ عبد الحى الحسني في ترجمة الدماميني في نزهة الخواطر (الجزء الثالث) « وله شرح على صحيح البخاري ، سماه » مصابيح الجامع او له الحمد لله الذي في خدمة السنة النبوية اعظم سياده ، ذكر فيه انه الفه للسلطان احمد شاه ملك كجرات الهند وعلق على ابواب منه ومواضع يحتوى على غريب ، واعراب وتنبيه ، وقد دخل ابن الدماميني مدينة احمد اباد سنة ٨٢٠هـ ، ولا بد ان يكون هذا الكتاب قد الف بين سنتي ٨٢٠هـ و٨٢٨هـ .

(٦) طبعتها باسم رسالة شرح تراجم صحيح البخاري دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٢٣هـ وهي تقع في ١٢٩ صفحة بالقطع المتوسط .

(٧) والكتاب يقع في ٧٢ صفحة ، وهو في اللغة الاردية ، وفي اخره نحو اربع صفحات بالعربية وهو بمذكرات معلم اشبه منه بكتاب مستقل ، طبع في مطبعة « الامان » في تكينة (بجنور) .

(٨) عمدة القاري للعلامة العيني ج ٥ ص ٤١٥ .

(٩) مقدمة فتح الباري ص ٦ .

(١٠) شرح تراجم ابواب صحيح البخاري ص ٥ طبع حيدر اباد ١٣٢٣هـ .

(١١) رسالة شرح التراجم للشاه ولي الله الدهلوي ص ٥ .

أوضح الكاتب في مقاله السابق ان الاسلام بنظرته الشمولية لمشاكل الحياة الانسانية • قد أعطى المرأة كافة الحقوق التي تصون كرامتها وتحفظ حقوقها •

فاذا كانت الحياة المعاصرة قد أعطت المرأة حقوقا دفعتها الى اقتحام ميادين الرجال ومنافستهم بحجة نظرية المساواة بين الرجل والمرأة •• فالواقع يخالف ذلك تماما •• لقد كان لهذه الحقوق التي تصورتها انها مكاسب مادية لها •• نتائجها السلبية على كل مظهر من مظاهر القيم الانسانية • وخاصة تلك العلاقة القائمة بين الذكر والانثى ومن ثم فان تخلف القيم الانسانية معناه سيادة الاتجاه المادي في حياة الناس وعلاقتهم •

ثم يواصل سيادته حديثه عن موقف الاسلام من الوضع القائم للمرأة في المجتمع الغربي فيقول••

اذا كان موقف الاسلام من الوضع القائم الان للمرأة الغربية المعاصرة انه :

١ ـ لا يبيح اجهاض الجنين ، قبل تكامل نموه ولا بعد تكامل نموه الا لضرر محقق يلحق بالام •

٢ ـ ولا معاشرة التجربة ، قبل عقد النكاح •

٣ ـ ولا تبادل الزوجات •• والرجال•

٤ ـ ولا التلقيح الصناعي •

٥ ـ ولا البغاء •

٦ ـ ولا تبرج النساء ، فضلا عن العرى في النوادي •• والشواطيء ••

فان المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة يجب ان لا تشكو من شريعة الله في تحريمها لهذه الظاهرة التي يدفع اليها طغيان المادية، لان شريعة الله تنشد للمرأة : مستوى انسانيا كريما يقوم على توفير الاعتبار البشرى •

وهذا المستوى الانساني الكريم يتبلور: في الزام الرجل : الاب •• والابن ••

استقلال المرأة

الشريعة الاسلامية تؤكد دائماً

والزوج ، والاخ بالانفاق على البنت ٠٠ والزوجة ٠٠والام ٠٠ والاخت ٠ ويعفى المراة من السعي للكسب والعمل خارج المنزل ويحفظ بذلك عليها :

أ ـ انوثتها ، التي هي العامل الاول في لقاء الرجل بها ، والسعي اليها ٠٠

ب ـ وقيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية تنشد السكني ٠ والاستقرار ، والمودة والرحمة ٠٠

جـ ـ وحرصها على دور الامومة ، وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة٠

وبوجوب الانفاق على الزوج تتجنب المراة اضرار العامل الاقتصادي الذي يغريها ببريق الاستقلال ، والانطلاق في مجال الحرية الشخصية ٠ فقد اتضح في المجتمعات الغربية المعاصرة : ان استقلال المراة عن طريق العمل خارج المنزل وان اكسبها القدرة على الانفاق على نفسها ، فانه يفقدها الكثير في حياتها كامراة وانسان ٠

فالمراة مثلاً التي تعمل في وسائل النقل العامة ، او في مجالات التعدين ٠ او في الصناعات الثقيلة ، او في تعبيد الشوارع ورصفها وتنظيفها : تفقد كثيرا من انوثتها ، وتتحول الى شبه رجل في غلظته ومعاملته للاخرين ٠

والمراة التي تعمل في المكاتب ، او تشارك في عمل لا يدعو الى الحركة تزهد على ممر الايام في علاقتها الزوجية ، ويتراخى في نفسها شأن هذه العلاقة ، بسبب الارهاق في العمل في المنزل وفي خارجه ، وعدم اعطائها فرصة التغيير طوال ايام الاسبوع ٠

والمراة التي قد تصبح اما تلاقي مثلا [illegible] حامل ،

او بعد الولادة : كثيرا من ضغط العمل وعنت الامور ، بحيث قد تزهد في الامومة وتحرص على عدم انجاب الاطفال ٠

ورغبة المراة الغربية المعاصرة الان في عدم الزواج ، كنظام لحياة الاسرة ترجع الى عدم قدرتها على الوفاء بواجبات الزوجية في المنزل وفي المعاشرة من جهة ، والوفاء بمتطلبات العمل خارج المنزل من جهة اخرى ٠ واقبالها على نظام المشاركة للرجل الاجنبي عنها في غير عقد زواج ، في السكني وفي الانفاق لانه البديل عن المعاشرة الزوجية بين الرجل والمراة من جانب ، وبديل ليس فيه التزامات تجبرها على الاداء والارتباط بها من جانب اخر ، سوى : الارادة الشخصية في المشاركة او عدم المشاركة ٠

والعامل الجنسي الذي يثور بنفس المراة رغم ذلك من حين الى حين ٠

أ ـ المساواة في الميراث :

وتشكو المراة المسلمة المعاصرة من شرع الله في انه لم يسو بين الذكر والانثى في الميراث ، وميز الرجل بان جعل نصيبه على الضعف من نصيب المراة ٠ ولكن طالما اوجب الاسلام نفقة المراة ايا كان وضعها، على الرجل فليس من العدل ان تسوى به في الميراث ٠

واذا كانت المراة المسلمة المعاصرة، ترى في كون نصيب المراة في الميراث على النصف

اقتصاديًا يعرضها لأزمات نفسية

الجانب الإنساني في المرأة واعتبارها الإنساني كالرجل

من نصيب الرجل عبثا وظلما لها ٠ فعدم التسوية بينها وبين الرجل في الميراث ربما يكون مؤشرا يرشدها الى طريق الاحتفاظ باعتبارها البشرى ٠٠ وبخصائصها في الانوثة ٠٠ والامومة ٠٠ والزوجية ٠ اى بخصائصها كامرأة لا تتحول الى رجل او شبه بـه ٠

ومعنى هذا. ان الاسلام بتحديد نصيبها في الميراث يوجهها الى ان خيرها كامـرأة يتطلب عدم مساواتها في الاقتصاد بالرجل، وبالتالي عدم استقلالها اقتصاديا فيمواجهة الرجل ٠ اذ استقلال المرأة اقتصاديـا يعرضها لعدة ازمات نفسية ٠ يعرضها :

١ ـ لازمة ضعف الاحساس بالانوثة ٠

٢ ـ ولأزمة ضعف الاحساس كذلـك بالامومة ٠

٣ ـ ولازمة الشك ، او التراخي في العلاقة الزوجية ، ان كانت زوجة ٠

٤ ـ ولازمة العزلة كلما تقدم بهـا السن ولمتوفق الى زوج اوالى ولد يشاركها الحيـاة ٠

وامر المرأة اذن ـ اية امرأة ـ يتردد بين وضعين ٠ وضع تستقل فيه اقتصاديا وتتساوى فيه مع الرجل ولا تضمن فيه معاستقلالها مع احتفاظها بانوثتهاوامومتها وحسن علاقتها بزوجها ٠٠ ووضع اخـر يتكفل الرجل فيه بالانفاق عليها ، مـع ضمان احتفاظها كامرأة بما لها مـن خصائص تميزها عن الرجل ٠

وانفاق الرجل على المرأة في الحيـاة المشتركة بينهما لا يعني اذلال الرجـل للمرأة كما قد يدعى ، ولا حاجتهـا اليه لان المرأة كأم مع اولادها او زوجة مـع زوجها ، او كأخت مع اخيها ، ليست طرفا مستقلا تماما ، كذلك الاولاد مع امهم ، والزوج مع زوجته ، والاخ مع اخته ، ليس مستقلا تماما الاستقلال٠اى ليس اجنبيا٠ وعلاقة القربى بينهم كلما مرت بها الايام زادتها توثقا واندماجا ٠

والفصل التام بين الرجل والمرأة فـي علاقات القربى هنا هو نظرة المادية التي تغفل الشأن الخاص بهذه العـلاقات ٠ والواقع ان شأن هذه العلاقات في نظـرة الاسلام هو شأن الاستقـلال ، وعـدم الاستقلال معا ٠ اى هو شأن له اعتباران٠ فمرة للمرأة كيان مستقل ، ولها حقوق ، وعليها واجبات ٠ فلها ان تحتفظ بدينها ان كانت كتابية ٠٠ وان تحتفظ بما لها بعيدا عن مال زوجها ان كانت ذات مال ٠ وان تتساوى بالرجل في القصاص فتقتل في الرجل كما يقتل الرجل في المـرأة ، وتتساوى معه في العفو عن القاتل ٠٠ ولها استقلالها في اداء العبادات ٠٠ وعليهـا مسئولية خاصة عن اهل بيت زوجها٠ ومرة اخرى هي غير مكلفة بالانفاق على نفسها او على الاسرة في ظل رجل مكلف ، ولو كان لها مال خاص ٠

ويلاحظ عند استعراض شريعة اللـه فيما يخص المرأة : ان هذه الشريعة تؤكد الجانب الانساني فيها : تؤكد قيمتهـا الانسانية واعتبارها الانساني كالرجـل سواء بسواء ٠ فاعلان الله في اول سورة

النساء : ان الناس جميعا خلقوا من طبيعة انسانية واحدة ، تنوع منها الذكر والانثى على السواء . وانتشرت عنها الكثرة غير المحدودة ، لايدع مجالا للتفرقة في المستوى الانساني والقيمة الانسانية بين الذكر والانثى • يقول الله تعالى :

« يا ايها الناس اتقوا ربكم ، الذي خلقكم من نفس واحدة •

وخلق منها زوجها (الذكورة والانوثة)•

وبث منهما رجالاكثيرا ونساء : النساء» ١

كما يلاحظ ان هذه الشريعة عندما تتعرض للاسرة كوحدة اجتماعية ، تترك للرجل قيادة هذه الوحدة ، وتطلب اليه الانفاق عليها في الوقت نفسه ، فعملية القيادة ، والانفاق على الاسرة : عملية تنظيم • ولا تسيىء الى انسانية المرأة او تنتقص من حقوقها • كذلك لا تعطل استقلالها • ويدخل تحديد نصيب المرأة في الميراث ضمن دائرة هذا التنظيم • ولذا يجب ان ينظر اليه في اطار الاسرة ككل وكوحدة اجتماعية •

وجاء النص على قيادة الرجل في الاسرة، وعلى تكليفه بالانفاق عليها في قول الله تعالى :

« الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من اموالهم » النساء : ٣٤ •

•• وهي قيادة رأى وتنفيذ لما تنتهي اليه الشوري في الاسرة • وليست قيادة تلغى معها الشوري ، اولا تحفل وتهتم بهذا المبدأ•ليست قيادة سيادة اواستبداد، ولا علو واستكبار • لان عنصر المودة ... قائم في الاحوال السوية:

اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ٢١ : الروم •

ولولا ان الاسرة وحدة اجتماعية صغيرة تتطلب نظاما له قيادة ، كالمجتمع الكبير الذي يتطلب نظامه : الامامة ، لبقيت المرأة على استقلالها وبقي الرجل على استقلاله كذلك ، ولكن سنة الاجتماع لاتتغير • وهي تلك السنة التي توجب تحديد القيادة عند الكثرة والتجمع من الافراد •

ب ـ المساواة في الرأى :

وتشكو المرأة المسلمة المعاصرة من ان شريعة الله اعطت القيادة للرجل وحده • فأعطته السيادة والسلطة في الاسرة • ولكن قبل ان تعطى هذه الشريعة الرجل قيادة الاسرة ، تطلب ان يكون الرأى في الاسرةشوري بينالزوج وزوجته، واولاده• فقول الله تعالى في التعبير عن صفات المؤمنين :

« والذى استجابوا لربهم ، واقاموا الصلاة ، وامرهم شوري بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون » الشوري : ٣٨ •

•• فيذكر ان « الشوري » من الصفات الرئيسية التي تكون المؤمن ، وهي في المنزلة والاثر في حياة الانسان ، تساوق : الايمان بالله•• واقام الصلاة•• والانفاق في اوجه المصلحة العامة • والشوري كما تكون بين اولى الامر بعضهم مع بعض ، تكون بينهم ومن يتولون امورهم من الناس ، وتكون بين افراد الاسرة الواحدة، وبين الجيران ، وبين افراد المجتمع جميعا في علاقات بعضهم ببعض •

وبالشوري واتساع مجالها يكون كل فرد في المجتمع الاسلامي صاحب رعاية ... مسئولة

كأم ، وكزوجة ، ومستأمنة علـى بيت الزوجية وأهله . ولذا كانت حرية الرأى مكفولة لها في شئون الاسرة . وهي فـي الاسلام صاحبة راى . ولكن ليس بناء على استقلالها اقتصاديا . بل على اساس انها صاحبة دور ايجابي في حياة الاسـرة ، وبالتالي في حياة المجتمع . وحريتها في الرأى منبثقة اذن عن ذاتها ، وليست عن عامل اجنبي عنهـا .

وحديث ابن عمر ، رضي الله عنهما .

« الا كلكم راع ، وكلكم مسئول عـن رعيته . فالامام الذي على النـاس راع ، وهو مسئول عن رعيته . والرجل راع على اهل بيته ، وهو مسئول عن رعيتـه ، والمرأة راعية على اهل بيت روجها وولده ، وهي مسئولة عنهم . وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه ، الا ! فكلكم راع . وكلكم مسئول عن رعيته » (١) ..

..حديث ابن عمر هذا يسـوى في المسئولية بين الرجل والمرأة في الاسـرة ، وان اختلف نوع المسئولية التي يباشرها كل منهما . ومسئولية الفرد تتبع حقه في الرأى وحريته في ابدائـه .

ومن هذا يجب ان ندرك ان اسنـاد القيادة في الاسرة الى الرجل عملية تنظيم كما سبق ان ذكر ، كما ان تكليفه بالانفاق عليها يعود لبنائه ولمراسه في الحيـاة . وبعبارة اخرى يعود الى تكوينه كرجل .

جـ ـ المساواة في ولايـة الزواج :

وتشكو المرأة المسلمة المعاصرة شريعة الله في انها كفلت للرجل الحق في مباشرة عقد الزواج ، دونها . وبذلك تستنج خطأ: ان الاسلام يسلب المرأة الرأى في الزواج .

والعكس هو الصحيح . فالاسلام يعطى المرأة فرصتين لابداء الرأى ، كما يعطى الرجل سواء بسواء . يعطيها اثناء الخطبة . ويعطيها كذلك عند عقد الزواج . فهو يبيح لها في الخطبة ان تنظر اليه وتسمع لحديثه بمقدار ما يعطيها انطباعا بانـه مقبول لديها ودلك في حدود ما شرعه الله . وعند عقد الزواج يؤخذ رأيها وتسـأل عنه . عير انها اذا كانت بكـرا لا يصر الاسلام على ان يكون رأيها صريحـا . ويكتفى بسكوتها عندما يطلب منها الرأى ، تقديرا منه لحيائها . لانه لا يريـد ان تكشف البكر في وضوح عن رغبتها النفسية في التقائها بالرجل . وهي لم تزل بعد على عتبة الحياة الزوجية . ومعنى ذلك انه لا يستنكر منها سلوكها اذا ما اعلنت صراحة عن رأيها ، عندما تسأل عنه .

نعم البكر يباشر وليها عقد الزواج نيابة عنها . بخلاف الثيب فانه يجوز لها

ان تباشره · على رأى بعض الفقهاء· ولعل ذلك يكمن في صيغة العقد · فهو ايجاب من قبل المرأة ، وقبول من جانب الرجل· ومعنى ذلك ان المرأة فيالعقد تعرض زواج نفسها على الرجل، وهو يقبل منها ماتعرض في نفس اللحظة · والبكر – والمفروض فيها انها لم تماشر رجلا من قبل معاشرة جنسية فضلا عن عامل الجهالة الشخصية التي ربما تسبب الحـــرج من المشاركـة الاجتماعية في تكوين اسرة – تخجل من عرض نفسها على الرجل اى ابتداء بصفته الايجاب كما في زواج الثيب · ومن هنا جاءت الولاية في زواج البكر للولي وهو الاب او الاخ او العم · والولاية اذن بعهدة عن معنى سلب المرأة ، ايا كانت ، حقها في ابداء الرأى في زواجها ·

والحديث الذي يروى عن الرسول عليه السلام في قوله :
« الثيب احق بنفسها من وليها ، والبكر تستامر (اى تستأذن) واذنها سكوتها » ·

·· يوضح : ان رأى المرأة ضروري لاتمام عقد الزواج · وهنا حديثان اخران يرويان عن الرسول عليه السلام : احدهما خاص بالثيب ·· والاخر خاص بالبكر ، ويفيدان : ضرورة استطلاع رأى المرأة ، كشرط في صحة عقد الزواج ·

اما الحديث الاول فيروى عن خنساء بنت خدام الانصارية ، وهو :
« ان اباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك ، فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحه (اى ابطل عمله في زواجها) » ·

·· والحديث الثاني في رواية ابي داود واحمد : « ان جارية بكرا جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ان اباهـــا زوجها وهي كارهة · فخيرها النبي عليه السلام، (بين : فسخ العقد··وبقائه) »·

فاذا وصل اليوم : امر تحرير المرأة في الحياة الاوربية ، ومجال ابداء رأيها ، الى حرية معاشرة الرجل معاشرة جنسية ، فترة من الزمن ، لاختبار مدى انسجامها معه في العلاقة الجنسية وتقبل عاداتـــه وصفاته قبل اتمام عقد الزواج معه ، فلا يعيب ذلك رأى الاسلام ، في اكتفائـــه بسكوت البكر عندما تستأذن في زواجها من رجل معين · لان الاسلام ينظر الى حيـاء المرأة ، ويراه مصدر انوثتها ، وانسانيتها معا · اذ بغيره تنحدر الى الابتذال ، او الى عدم اقبال الرجل عليها اقبالا تحس معه : انها مطلوبة له ، وليست طالبة اياه ·

وللسبب ذاته يشترط الفقه الاسلامي، مهرا للزوجة · اذ هو تعبير من جـانب الرجل على رغبته وطلبه للزوجة·وليس – كما يزعم بعض المستشرقين – ثمنا لمنفعة مقابلة في جانب المرأة ، وهي رضاؤهـــا بمعاشرتها جنسيا له · اذ قد يكتفـى في المهر بتحفيظها بعض سور القرآن الكريم ، كما هو مذهب الشافعي ، وكما يؤخذ من حديث عن الرسول عليه السلام ، فيما يروى عنه : انه زوج بعض صحابته امرأة كانت عرضت نفسها على الرسول عليـه السلام ، بما معه من القرآن ·

للبحث صلـــة :

و

للدكتور : نذيـر حمـدان

(٢)

من هـم المستعربـون ؟ :

اذا تتبعنا كلمة (الاستعراب) عبر التاريخ البشـرى واللغوي وجدنا انها تعبير عن فواصل زمنية وانسانية محددة :

أ ـ فمن اقدم من اطلق عليهم (المستعربون) هم العـرب غير العاربة ، فقد جاء ـ معاجم اللغة (١) : عرب عاربـة ، وعرباءهم الخلص منهم ، ومتعربة ، ومستعربة : دخلاء ليسوا بخلص ، ويعرب بن قحطان : وهو ابو اليمن كلهم ، وهم العرب العاربة ، ونشأ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام بينهم ، فتكلم بلسانهم ، فهو واولاده : العرب المستعربة ...

« ويذكر المؤرخون (٢) : ان العـرب العاربة كانوا متقدمين على المستعربة فقد بينوا ذلك في تاريخ العرب والاسلام ، وفي نسب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن ذلك » والصحيح ان المشهور ان العـرب العاربة قبل اسماعيل ، وقد قدمنـا ان العرب العاربة منهم : عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجرهم والعماليق ، وامم اخرى لا يعلمهم الا الله كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفي زمانه ايضا ، فاما العرب المستعربة وهم عرب الحجاز فمن ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهمـا السلام... » وفي مكان اخر... وانه (٣) (اسماعيل) اول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة، وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهـم بمكة من جرهـم والعماليق ، واهل اليمن من الامم المتقدمين قبل الخليل » .. ويفصل مورخون اخرون (٤) الحديث في هذا الموضوع فيقولون : وكانت جرهم بواد قريب من مكة ، ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء ... فجاءوا الى هاجر فقالوا : لو شئت لكنا معـك فانسناك ، والماء ماؤك ، قالت : نعـم ، فكانوا معها حتى شب اسماعيل ، وماتت هاجر ، فتزوج اسماعيل من جرهم فتعلم العربيـة هو واولاده ، فهم العـرب المتعربة . » والموضوع مشهور في التاريخ.

ب ـ وممـن اطلـق عليهم لفـظ

(المستعربون) سكان الاندلس الاصليون من نصارى ويهود الذين عاصروا المسلمين فيها وبخاصة الفترات التي كان سلطان المسلمين في الاندلس قويا وحكمهم نافذا ، ويخطىء بعض المؤرخين الذين يحددون (المستعربين) بالنصارى فقط ، كما يخطئون حين يظهرون ان هؤلاء قد اضطهدوا في بعض الاوقات على يد الخلفاء الذين خضعوا (على حد تعبيرهم) لنفوذ الفقهاء ، وفي الحق ان النصارى واليهود كانوا على حظوة بالغة في التكريم وقد كانت لهم رياساتهم ونفوذهم عبر التاريخ الاندلسي المسلم ، ويبالغ بعض المستشرقين فيقول : بأن بعض الاندلسيين قد دخلوا في الاسلام رغبة في حط الجزية عنهم ووصولا الى ان يجمعوا بين مكانتهم في دينهم القديم وبعد اسلامهم الجديد . وفي الحق ايضا ان اليهود خاصة هم الذين كانوا يضطهدون بعضهم بعضا بسبب المنازعات الدينية والمعاشية وليس للمسلمين الحاكمين اية صلة بهذه النزاعات ...

على ان الازهري يعمم مفهوم الاستعراب فيقول : المستعربة عندي : قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحكوا هيئاتهم ، وليسوا فيهم . » وقد شاعب اخبار المستعربين في الاندلس في التاريخ العربي عامة والتاريخ الاندلسي خاصة كما تعرض للحديث عنهم بعض المستشرقين من امثال (انخل جنثالث) الاسباني في كتابه تاريخ الفكر الاندلسي ، وقد عربه: حسين مؤنس . وكذلك كتاب : تاريخ مستعربي اسبانيا (سيمونيت) وبين هؤلاء وغيرهم العادات الاجتماعية واليومية التي اقتبسها المستعربون من المسلمين ، وتأثرهم بالمفكرين المسلمين وبنمط تفكيرهم ، واسلوب جدلهم الديني والعلمي ، وطريقة التاليف ، والمواد العلمية والادبية التي الفوا فيها ، وشغفهم بالعربية وادابها ، واذا عني المؤرخون باحوال المستعربين ، وذكروا اخبارا عن زواج بعض الامراء والقواد المسلمين من نساء المستعربين او اقبالهم رجالا ونساء على الثقافة الاسلامية، واهمال الثقافة النصرانية واليهودية ، والتغني بالاداب والعلوم العربية الاسلامية، فهذا يعني مدى تغلغل نفوذ المسلمين الثقافي والحضاري ، وعمق تأثيرهم في حياة هؤلاء المستعربين الذين كانوا طلائع الحضارة في اسبانيا في العصور الحديثة :

وعلى الرغم (٦) من ان انتاج النصارى كان ضئيلا سواء باللاتينية او بالعربية فقد تأثرت حياتهم الاجتماعية ايضا بالاسلام ونظمه تأثرا بعيدا، ومن مصاديق ذلك تلك الحقيقة التي يعرفها كل الناس وهي . انهم كانوا يؤثرون استعمال لغة العرب واسمائهم وازيائهم ويجتهدون في ان يأخذوا الطابع الاسلامي في كل مناحي حياتهم .. فبعد ان بين (آلبرو) الاسقف القرطبي متحسرا عكوف العلماء والادباء ورجال الدين على الثقافة العربية قال : ياللحسرة .. ان الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب وادابها في كل مكان فهم يؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم وهم ينفقون اموالا طائلة في جمع كتبها ويصرحون في كل مكان بان هذه الاداب حقيقة بالاعجاب ، فاذا حدثتهم عن الكتب النصرانية اجابوك في ازدراء بانها غير جديرة ان يصرفوا اليها انتباههم يا للالم .. لقد انسى النصارى حتى لغتهم ..

وفي الشعر . كانت اغراض الشعر مماثلة لاغراض الشعر العربي مثلا في (المناسبات) كتب القس (بنجنيسيس) شعرا في اهدائه كتابا الى الاسقف عبدالملك.

كتاب لعبد المالك الاسقف العذب

العرب غير العاربة أقدم من أطلق عليهم «المستعربون»

جواد نبيل الرفد في الزمن الجدب
فلا زال في عز من الله شامل
مدى انهل حزن في قرى الارض بالسكب

وظهر في العلوم مثلا ، كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان لابن زيد القرطبي وفيه ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك وما يستحسن مقصده وتقريبه (٧) .

اما اليهود فكانوا (٨) في اسبانيا خلال العصور الوسطى مركزا لدراسات العربية ، وقد سعت ثقافة يهود اسبانيا من موارد الثقافة الاسلامية بصورة مباشرة . ومن اشهرهم ابوزكريا حيوج ، وابن جناح ، وابن جيرول وقد اختص هؤلاء بمؤلفات عربية عن العلوم العبرية منها يهود ابن داود لابي زكريا حيوج . وكتاب جمل النحو البدائي لابن جناح . وكذلك الف غيرهم في التوراة واسفاره باللغة العربية ، كما كانت المناقشات بين علماء اليهود التي تجري على نفس الاسلوب الذي كان العرب يجرون فيه مناقشتهم فيما بينهم . وكان لاراء الغزالي في الاخلاق والتصوف اثر واضح في الكتاب المسمى « الهداية الى فرائض القلوب » الذي الفه بالعربية يحيى بن يوسف . واستعمل الفاظا (واسلوبا) مشابهة او مماثلة لما كان يستعمله الغزالي . يقول فوضعت اخلاص العمل لله اصلا خامسا لجملة من فرائض القلوب .. ثم يقول . فوضعت التواضع اصلا سادسا .. ثم يقول وضعت التوبة اصلا سابعا .. ثم وضع المحاسبة للنفس . الزهد . وللمحبة اصولا اخرى فيما بعد .. وكذلك كان المؤلفات الفارابي وابن سينا أثر ظاهر في المؤلفات الفلسفية مثل كتب العقيدة السامية . والمأثور لابراهام بن دور الطليطلي . ولكن اثر موسى بن ميمون - وهو امير مفكري الاندلس من اليهود .. يبدو ظاهرا . وذلك بالكتب التي الفها في الدفاع عن اليهود واضطهادهم (٩) من المسلمين مثل رسالة في الردة دلالة الحائرين ، .

ومن وجوه النصارى الذين تسموا بأسماء عربية ابن العزيز الحمامي . وخالد سلمان . وصالح بن عمر . والاسقفان ربيع بن زيد . والاصبغ بن عبد الله بن نبيل . وقد يسر لهم الخلفاء احرار المناصب في السفارات وقصور الخلافة وقيادة الجيوش . واقبل اهل مالقة على مصنفات المسلمين في الادب والفقه والفلسفة تثقفا بثقافتها لا للرد عليها . وبذلوا اموالا طائلة في تأسيس مكتباتها . ويطلق هذا على المستعربين في الاندلس قاطبة الذين جروا على عادات المسلمين في نظام الحريم وحب الاولاد ومن اتقان العربية . واستعمال حروفها لكتابة اللاتينية ثم على الخاصة من النصارى . وقد اثروا اسماء العرب ولغتهم وثقافتهم .

ج - مما سبق يتبين ان اصطلاح (المستعربة . المستعربين) يطلق على

الجماعات التي لم تكن لها العربية خالصة كما يطلق (الاستعراب) على الانتاج الفكري والادبي والفني الذي يقدمه اولئك المستعربون . ولكن الاتجاه الحديث يحدد الاستعراب بساول واحيانا باختصاص الاوربيين جهودهم الفكرية وتستخير ثقافاتهم المتعددة في تحقيق ودراسة المواضيع الاسلامية، ونشر وطباعة المؤلفات الاسلامية القديمة والحديثة ، واخراج دوريات وانشاء جمعيات ومجاميع ومؤتمرات ضمن اهداف علمية واقتصادية واستعمارية وتشيرية ..

هذا الاتجاه هو ما يفضله الاوربيون الذين يعنون بالثقافة العربية والاسلامية حيث اولوا ويولون اهتمامات اكبر وجهودا اضخم لتكون حركة الاستعراب نشطة وفعالة . وقد زودت المكتبات العالمية ومنها العربية بدراسات وكتب عن الاستعراب .

١ـ ففي رسالة (١٠) الدكتور (اوجانيو غريفني) الايطالي استاذ اللغة العربية في جامعة (ميلانو) الى المجمع العلمي العربي بدمشق في ١٦ نيسان ١٩٢٠ يقول فيها : وقد اتخذت هذه الفرصة (اصدار منشور لتفسير مقاصد المجمع) وسيلة لتاكيد العواطف الودية التي تجمع بين المستعربين الناطقين بالدال ، والعرب الناطقين بالضاد .

٢ ـ وفي محاضرة (١١) مستفيضة لرئيس المجمع العلمي العربي بدمشق محمد كرد علي القاها في المجمع المذكور تحدث فيها عن جوانب متعددة للاستعراب ونشاط الدول الاوربية في حركته مبينا اوجه النشاط المتنوعة من مكتبات وجمعيات وجامعات ودراسات وبعض الكتب والدراسات ، وهذه المحاضرة بعنوان : [illegible] الحضارة العربية » وقد انهى محاضرته بقوله : لولا عناية المستعربين باحياء آثارنا لما انتهت الينا تلك الدرر الثمينة التي اخذناها من طبقات الصحابة ، وطبقات الحفاظ ، ومعجم البلدان ، ومعجم الادباء وسنعرض لهذه المحاضرة بتفصيل اكثر فيما بعد .

٣ ـ كتاب : الاستعراب في الاتحاد السوفياتي . (غريغوري شرباتنوف ، ونقله الى العربية : محمد المعصراني عام ١٩٦١ في موسكو عن اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي معهد شعوب اسيا ، ويتحدث مؤلف الكتاب عن دور المستعربين الروس في اللغة العربية وادابها فقط .

٤ ـ دراسات عن الاستعراب في اوربا وامريكا ، معظمها تلحق الاستعراب بالاستشراق وتعده جزءا منها وتتوزع هذه الدراسات على فروع الثقافة الاسلامية ، والتاثير المتبادل في اللغة العربية والاسلام بين الشعوب العربية والشعوب الغربية حيث ترصد لها اجهزة اعلامية تقليدية ومتطورة واسعة الذيوع .

وان المتتبع لحركة الاستعراب الناشطة يدرك ثقل الصعوبات التي تحملها المستعربون، كما يدرك عظم دأبهم وصبرهم وانقطاعهم ، وبذل اموالهم ليكون انتاجهم العلمي عن العرب والاسلام مقبولا ومرغوبا به لدى المسلمين ومن ثم ليستاثر باعجاب المثقفين والمختصين ، لاليقبلوا عليه حمدا وتكريما وحسب ولكن اقتباسا ومدحبا ايضا ، وفي سبيل هذه الغاية تهون تلك الصعاب ، وترخص الاموال ، ويعذب الصبر والانقطاع ، ان المستقرىء لاعمالهم خلال عشرة قرون يدرك انه امام قوى الفكر العالمية التي تحاول ان تهز من كيان الاسلام المتماسك وتضعف من شان المسلمين بقدر ماتعطيه انطباعا عميقا بصمود الاسلام عبر السنين والاحداث .

اذ كيف لا تستوقف قوة الاسلام واستمرار حيويته جهودا اجنبية وعالمية ضخمة ؟ وكيف لايتناول هؤلاء حضارته الانسانية وعلومه بالبحث والدراسة والتعليق؟ ولكشف هذه الجهود المتواصلة ومراجعة البحوث الاستعرابية العديدية لابد أن نجمل الحديث عن النقاط التالية :

١ ـ بدايات وطلائع المستعربين .
٢ ـ مراحل الاستعراب وهدف كل مرحلة .
٣ ـ مناهجهم ونقد هذه المناهج .
٤ ـ اخطاؤهم .
٥ ـ آثارهم في الثقافة العربية والمثقفين العرب والمسلمين .

١ ـ بدايات وطلائع المستعربين

يقول بعض المستشرقين (١٢) ان اول مدرسة للدراسات الشرقية في اوربا هي التي اسست في طليطلة عام ١٢٥٠م وكانت تدرس فيها العربية والعبرية لاعداد رجال يستطيعون التبشير بين المسلمين واليهود. وفي فرنسة بعد القلائل في القرن السادس عشر قد اتجهوا الى دراسة العربية والشؤون الاسلامية بينما كان الاتجاه العام هو دراسة الصين وحضارتها اكثر من غيرها . وقد اوفد (فرنسوا الاول) عددا من رجال العلم الى استانبول مع سفرائه للاطلاع على احوال الشرق . واتقان المحادثة بلغاته . وكان ذلك في عهد السلطان سليمان القانوني . وبعد عام ١٥٢٠ م . اما في المانيا فقد بدأ الاستعراب بـ (داود القمحي) الذي توفى ١٢٣٥م وفي هولندا على يد (توماس اربيوس) عام ١٥٨٤ ـ ١٦٢٤م وفي بريطانيا على يد (جون سلدن) عام ١٥٨٤ ـ ١٦٥٤ وفي روسيا (١٣) كان الاستعراب متحررا عن أوربا . ولم يظهر فيها اي مؤلف يبحث في البلاد الشرقية الا في اوائل القرن السابع عشر . واهم كتاب هو السجل الروسي الذي يبحث في الاتراك والاسلام ، ويبدو انه قد الف من قبل رجال الحكومة بالاستناد الى تقارير السفير الروسي .. وبالاقتباس من مصادر غربية وعن بعض الكتب العربية . وبعد اخذ الغرب بالاستشراق اخذا علميا ارسل بطرس خمسة من طلاب موسكو يتعلمون اللغات الشرقية في الشرق . وجرت الملكة كاترين الثانية مجراه . فأمرت بتعليم العربية عام ١٧٦٩ ثم التترية في مدرسة قازان اعدادا للترجمة ولم يصبح الاستشراق علما قائما بذاته الا على اثر تطبيق النظام الجامعي (١٨٠٤) الذي ادرج اللغات السامية ومنها العربية في مناهج المعاهد العليا في جامعة خاركوف (١٨٠٤)م وكان للمدرسين العرب شان هام في تهيئة المستشرقين الروس . كالمصري الشيخ محمد عياد الطنطاوي (١٨١٠ـ١٨٦١)م الاستاذ في جامعة بطرسبورج والدمشقي توفيق كرما (١٨٨٢ـ١٩٥٨) م في مدينة كييف والفلسطيني بانيليمون حوزة (١٨٧١ ـ ١٩٤٢)م في جامعة قازان .

اما في الولايات المتحدة الامريكية ، فان العربية لم تنل حظها من دراسات الامريكيين الا بعد ان ادركوا انها اشد صلة بالسامية من العبرية التي كانت اول ماعرفته ، وابعد أثرا في استيعابها التراث الانساني ونقله الى اوربا في العصر الوسيط . ثم نزل المرسلون الامريكيون بلبنان وانشأوا اول مدرسة لتعليم البنات في الامبراطورية العثمانية (١٨٣٠) ثم توسعت مدرسة الكلية السورية الانجيلية (١٨٦٩) الى ما عرف فيما بعد بالجامعة الامريكية .. وفي امريكا نفسها فقد حذا نفر من علمائها حذو انجلترا وفرنسا فأنشأوا على غرارها جمعية اسيوية ١٨٤٢م الا ان الاستشراق ولا سيما الاستعراب لم يبلغ شأوه الا في اعقاب الحربين العالميتين على اثر الاكتشافات التي قامت بها البعثات الاثرية في المعهد

الشرقي بجامعة شيكاغو الى مصر فلسطين والعراق ·

ولكن ايطاليا تعتبر اول الدول الاوربية التي نشرت الكتب العربية وبخاصة في مدينة البندقية ، فقد احيا علماؤها المستعربون ١٤٧١ تاليف يحيى بن ماسوية الاصفر الحراني في الطب والفلسفة ··

ومن طلائع المستعربين ما يلي :

أ ـ جريري اورلياك (٩٣٨ـ١٠٠٣)م الفرنسي ، قصد الاندلس حتى اصبح اوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ولما ارتحل الى روما انتخب حبرا اعظم باسم سلفستر الثاني (٩٩٩ـ١٠٠٣) فكان اول بابا فرنسي · وقد امر بانشاء مدرستين عربيتين الاولى في روما · والثانية في رايمس وطنه ، وبث الاعداد العربية في اوربا التي كان ينقصها رقم الصفر · وترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية كالزيج المنصوري (١٠٠٠)م

ب ـ قسطنطين الافريقي (المتوفى ١٠٨٧م ولد في قرطا جنة ورحل الى خراسان وبغداد والشام ومصر والقيروان والهند ولما رجع الى تونس وقع اسيرا ، ترهب في دير (مونتي كاسينو) وطفق يترجم كتب الطب والفلك من العربية الى اللاتينية عن اسحاق بن عمران وكتاب العلاج العام لاسحق الاسرائيلي ، وبعض رسائل الرازي ولكنه انتحل لنفسه بعض ماترجم ككتاب المقالات العشر في العين لحنين بن اسحق ·

ج ـ جيراردي كريمونا (١١١٤ ـ ١١٨٧)م الايطالي من الرهبانية البندكيتة قصد طليطلة حيث تضلع بالعربية وعكف على مصنفاتها فترجم منها مالا يقل عن ٧ مصنفا في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك وضرب الرمل فقدت معظم اصو

العربية وسلمت ترجماتها اللاتينية ، فمهدت الى انتشار العلوم في اوربا، وتوثيق صلتها بالشرق، ومن اثاره · ترجمة رسائل الكندي في العقل والمعقول ، وترجم القانون لابن سينا ، وكتاب العقاقير ليحيى بن سرابيون ··

مما سبق يمكن ان نستنتج الامور التالية :

١ – ان معظم المستعربين الاوائل ، وبداية الحركة الاستعرابية كانو من حريجي الاديرة والرهبنات وكان هؤلاء يرحلون الى بلاد نائية عربية وغير عربية للحصول على مزيد من الثقافة الاسلامية·

٢ – اذا اعتنى بعض هؤلاء المستعربين بالمواد العلمية وبخاصة تلك العلوم التي كانت محل اهتمام المسلمين نقلا وترجمة من كتب اليونان والرومان والهند فان الصفة العامة هي ترجمة الكتب الفلسفية والدينية ودلك للرد عليها وابراز مطاعن فيها للعمل على الحد من نشاط الاسلام والمسلمين – ان امكنهم ·

٣ – يلاحظ ان الغرض من الاستعراب في بدايته هو التبشير بالمسيحية على ايدى الرهبان الذين كان لهم نصيب وافر من الثقافة العربية الى جانب لغاتهم الوطنية واللاتينية ·

٤ – وتتسم هذه المرحلة بالنقل والترجمة من الكتب العربية الى اللاتينية احيانا والى لغاتهم الوطنية احيانا اخرى مما ساهم في ارساء النهضة الاوربية العلمية الحديثة حيث قال بعضهم « لولا حضارة العرب لتأخرت حضارة الغرب قرونا عديدة » ·

للبحث صلة :

(١) من لسان العرب ، في مادة : عرب

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٥٦/٢ ·

(٣) المصدر السابق ١٩٢/٢ ·

(٤) الكامل في التاريخ لابن الاثير ١٠٤/١ ·

(٥) لسان العرب مادة . عرب

(٦) من كتاب : تاريخ الفكر الاندلسي « فصل الاثار الادبية لغير المسلمين من الاندلسيين من (ص ٤٨٥–٥٠٣) تعريب حسين مؤنس ·

(٧) نفح الطيب للمقرى ١٨٦/٣ ·

(٨) تاريخ الفكر الاندلسي تعريب : حسين مؤنس ·

(٩) سبق الكلام ان المسلمين لم يضطهدوا اليهود كما يزعم مؤلف هدا الكتاب ولكن اليهود يضطهدون بعضهم بعضا ·

(١٠) مجلة المجمع ١٢٦/١ ·

(١١) المجلة ٤٣٤/٧ عدد تشرين اول سنة ١٩٢٧·

(١٢) من كتاب : المستشرقون : نجيب العقيق في امكنة متفرقة ·

(١٣) من كتاب : الاستعراب في الاتحاد السوفيتي: تعريب محمد المعصراني ·

المباهلة حين النبي صلى الله عليه وسلم

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (ولا تجادلوا أهـل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) العنكبوت : ٤٦ ·
وقال تعالى (ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين ، فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نـدع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكـم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعـل لعنة الله على الكاذبين ، ان هذا لهـو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم) آل عمـران ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ·

وتشير الآية الكريمـة الاولى الى ان امثل الطـرق في محاجة اهل الكتـاب وهـم اليهود والنصارى ، ان تكـون بالرفق واللـين ، الا ان مـن يفـرط منهم في الاعتداء والعناد ، ولم ينفع معه الرفق فلا سبيل له الا بالاغلاظ في القول ·

اما الاية الكريمة الثانية ، فمعناها ان حال المسيح عليه السلام وصفته العجيبة في خلقه دون اب ، كحال آدم ابي البشـر عليه السلام ، اراد الله خلقه من تراب ثم قال له عند تعلق ارادته تعالى بتنفيـذ خلقه ـ صر وكن بأمري بشرا سويا ، ذا لحم ودم وعظام واعصاب وعقل وارادة ، فصار بشرا كما اراده الله ـ وتم بذلك خلقه من تراب دون اب او ام ، فكان بذلك اعجب من خلق المسيح من أم دون أب ـ واذا كنتم أيها النصارى لا تقولون بألوهية من خلق المسيح ، فكيف تقولون بألوهية المسيح او بنوته لله ، وهـو دون آدم في غرابة خلقـه ؟ والآية الكريمة دليل عـلى صحة القياس وشرعية النظر والاستدلال ، فقد احتج الله على فساد ادعائهم الالوهية للمسيح ، محتجين بانه ولد بغـير أب ، احتج عليهم بخلـق آدم بـلا أب ولا أم ، فحيث لم يقولوا بالوهية من هو اعجب منه خلقا ، وجب القول بعدم ألوهية المسيـح من باب أولى ·

ولما كان هذا الاحتجاج واضح الدلالة على بطلان زعم النصارى في المسيح عليـه السلام ، اتبعه قوله تعالى : (الحق مـن ربك فلا تكن من الممترين) · والخطاب هنا ليس للرسول صلى الله عليه وسلم ، بل لمن يجادله في شأن المسيح ، ولكل مـن يخالجه شك في أمره عليه السلام ، والمعنى

وبين طائفة من أهل الكتاب

للمستشار : محمد عزت الطهطاوي

ربكم ايها المجادلون في شأنه . فلا تكونن من المجادلين فيه بالباطل . او الشاكين في امره بعد ما اسفر الصبح لذي عينين. بهذه الحجة القاطعة لكل ريب .

ومن اصر بعد ذلك من بعد ما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من ادلة العلم. وجادل مع ذلك في شأن بشرية المسيح وعبوديته لله . كما هو شأن ادم الذي هو عبد منه خلقا فلم تثمر مجادلتهم لانهم معاندون معرضون عن الحق بعد وضوحه . فحسبهم بأن تقول لهم (تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) أي نبتهل كل منا الى الله تعالى ويدعوه ان يجعل لعنته على الكاذبين منا .

وقد أوردت كتب السيرة النبوية انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم . جماعة من نصارى نجران من جملة شبههم. ان قالوا يا محمد لما سلمت ان المسيح لا أب له من البشر . وجب ان يكون أبوه هو الله تعالى . فقال (ان ادم ما كان له اب ولا أم ولم يلزمه ان يكون ابنا لله تعالى فكذا القول في عيسى) عليه السلام .

ومن ذلك نرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم . جادلهم في أمر المسيح عليه السلام بالرفق واللين . واورد لهم الدلائل على بشريته وعبوديته لله . لكنهم اصروا على جهلهم . فقال عليه السلام (ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم — ودعاهم الى الغدو في اليوم التالي ومعهم نساؤهم وأبناؤهم — وحضر الرسول صلى الله عليه وسلم في الموعد ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى فلم يجدهم . فقد تشاوروا فيما بينهم فقالوا للعاقب وكان صاحب رأيهم — يا عبد المسيح ماذا ترى ؟

فقال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمداً لنبي مرسل ـ ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم ، وانه للاستئصال منكم ان فعلتم ، فان كنتم أبيتم الا الف دينكم ، والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم • فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا : يا ابا القاسم ، قد رأينا ألانلاعنك ونتركك على دينك ، وان نرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلا من اصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من اموالنا ، فانكم عندنا رضا فأمر أبا عبيده ان يخرج معهم ، ويقضى بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه•

وهكذا كما تحدى القرآن الكريم المشركين ان يأتوا بمثله وهم أربابالسان والبيان ، يتحدى المسرفين في شأن المسيح بهذه المباهلة الهينة السهلة ، لو كانوا صادقين فلم يقدروا عليها ـ ثم تحدى التاريخ فيكل ماقصه في شأن المسيح بقوله: (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم) •

وفيما أورده الامام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي في كتابه (اظهار الحق) ، عن تلك القصة ان اسقفهم قال : يامعشر النصارى ، اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله ، فلاتباهلوا فتهلكوا ، فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلوا له الجزية الفى حلة حمراء • وثلاثين درعا من حديد ، فقال عليه الصلاة والسلام : لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ، ولاضطرم عليهم الوادي نارا ، ولا ستأصل الله نجران وأهله ، حتى الطير على الشجر •

وفي رواية: أخرى أوردها الامام المذكور رحمة الله ، ان وفد نجران هذا ، ذهبوا الى اليهود من بني قريظة والنضير ، وبنى قينقاع ، فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه ، وهو النبي الذي نجده في التوراة والانجيل ، فصالحوه على الف حلة في صفر ، والف حلة في رجب ودراهم •

وأن ماقصه الله في شأن المسيح ، هو القصص الحق المطابق للواقع ، الذي لا يصح العدول عنه الى ما عليه النصارى في شأنه ، من انه الله او ابن الله او ثالث ثلاثة ، (وما من اله الا الله) ، فلاشريك له في ملكه باى وجه من الوجوه ، ولامعبود بحق سواه، (وان الله لهو العزيز الحكيم)، الغالب الذي ـ يقهر ولا يقهر المتقن لما يصنعه وما يدبره ، (فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) ، فان اعرض هؤلاء النصارى عن الاعتراف بالحق في شأن المسيح ، وعن اتباع الاسلام بعد ما تبين لهم الحق ، فان الله عليم بهؤلاء المفسدين، فيعاقبهم على افسادهم لعقائدهم وعقائد غيرهم من الناس ، وفي هذا تهديد بليغ لهم من الله •

ويقرر الامام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي ، بان واقعة المباهلة تزيد

من الدلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم بوجهين :

الاول : انه عليه الصلاة والسلام ، خوفهم بنزول العذاب عليهم ، ولو لم يكن واثقا بذلك لكان ذلك منه سعيا في اظهار كذب نفسه ، لانه لو باهل ولم ينزل العذاب ظهر كذبه ، ومعلوم انه كان عليه الصلاة والسلام من اعقل الناس ، فلا يليق به ان يعمل عملا يفضي الى ظهور كذبه ـ فلما اصر على ذلك ، علمنا انه انما اصر عليه لكونه واثقا بوعد الله .

والثاني : ان هؤلاء النصارى كانوا يبذلون النفوس والاموال ، في المنازعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو لم يعرفوا انه نبي لما تركوا مباهلته .

بعد هذا تتجه الآيات الكريمه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتامره أن يوجه الى اهل الكتاب عامة ، اليهود والنصارى جميعا ، دعوة المنتصر في حقه، القوي في برهانه ، الحريص على خير خصمه وسعادته . ويخفف من غطرستهم وعلوائهم بقوله تعالى لهم (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم). فيتلقوا الى منهج موحد في العبادة ، يستوى فيه المسلمون والنصارى واليهود ، نسلكه جميعا ولا نعدل عنه الى سواه . وهذا المنهج هو (الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا) لا صنما ولا كوكبا ولا نارا ولا ملائكة ولا غير ذلك ، (ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) فلا يتخذ اليهود عزيرا ابنا لله ، ولا يتخذ النصارى المسيح ابنا لله ، ولا يقولوا انه ثالث ثلاثة ، وبذلك المنهج الموحد ، يستوى أهل الكتاب مع المسلمين ، الذين لا يتخذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله. فان هذا النهج التوحيدي ، كما دعا اليه القران ، دعت اليه التوراة والانجيل قبل تبديلهما ، ولا تزال فيها نصوص كثيرة تدعو الى التوحيد، تركها اليهود والنصارى وعملوا بنصوص اخرى اصطنعوها ، أو أساؤوا تاويلها .

وكما دعت الى التوحيد هذه الكتب الثلاثة ، دعا اليه جميع الرسل ، قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) سورة الانبياء ٢٥

فهو مبدأ مشترك بين جميع الأديان قامت عليه الأدلة العقلية الى جانب الادلة النقلية .

فان أعرض أهل الكتاب عن دعوة التوحيد لله ، وعدم اشراك غيره معه في العبادة، مع أن ذلك أمر مجمع عليه في جميع الرسالات ، فاعلموا انهم لزمتهم الحجة ، ولكنهم رفضوا الحق عنادا ، فقولوا لهم اعترفوا واشهدوا معترفين لنا باننا مسلمون ، مخلصون لربنا ، قال تعالى (فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ال عمران ٦٤ .

● ●

المشروع يربي الشباب على قيم الإسلام الخالد

للعام الخامس على التوالي قامت وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف بدولة الامارات العربية المتحدة بافتتاح مراكز لتحفيظ القرآن في جميع انحاء الدولة ، طبقا لتوجيهات رئيس الدولة سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، الذي كان اول من فكر في تنفيذ هذا المشروع الجليل لحماية ابنائنا الطلبة والطالبات من فراغ الصيف وشغله بما يعود عليهم بالخير والنفع ·

وإذا كان المشروع قد حقق أهدافه خلال هذه الأعوام الخمسة، فإن هذا ولا شك من أعظم المهام التي تقوم بها هذه الوزارة والعاملون فيها، الذين كانوا وراء تحقيق هذا النجاح الكبير.

وفي مدينة العين نلتقي بفضيلة الشيخ محمد بشير الشقفه المشرف على مشروع رائد مدينة العين. وقبل أن نقوم بجولتنا في مراكز المشروع بالمدينة يحدثنا فضيلته بإيجاز عن المشروع فيقول

يوجد لدينا في مدينة العين عدد ١٤ مركزاً كما توجد خمس مدارس أخرى في القرى والمناطق التابعة للمدينة، وتضم هذه المراكز حوالي ثلاثة آلاف طالب وطالبة.

والمشروع في حد ذاته من المشروعات النافعة ذات الأثر الجيد في تعليم الأبناء والآباء لأمور دينهم ودنياهم، وهو يشغل فراغ الطلبة في الإجازة الصيفية فيجنبهم مخاطر الانحراف والسقوط نتيجة للفراغ الكبير خلال عطلة الصيف. إلا أن لي وجهة نظر ناقدة من الضروري عدم إغفالها رغبة في تلافي أسبابها خلال الأعوام القادمة وهي

أولاً أن المشروع بدأ متأخراً جداً مما جعله يدخل في شهر رمضان وهذا فيه إرهاق للدارسين والمدرسين. ونحن نرى أن هذا التأخير راجع إلى التأخر في تسليم المدارس لنا.

ثانياً تأخر وصول المطبوعات والمناهج بسبب تأخر طبعها. لدرجة أننا رغم البداية المتأخرة للمشروع فلا زالت بعض الكتب لم تصلنا حتى الآن.

ثالثاً يوجد نقص كبير في المدرسات وهذا يشكل أزمة خصوصاً في مدرسات الشريعة. ولهذا نجد أنفسنا مضطرين للاستعانة ببعض ربات البيوت ممن تلقين

ثقافة اسلامية لسد الفراغ القائم ، ولابد من وضع علاج لهذا النقص في المستقبل ·

ويضيف الشيخ الشقفة .

اما من ناحية المدرسين فقد امكن سد بعض النقص الموجود من خلال المدرسين المتخصصين في العلوم الاسلامية ، الذين تم انتدابهم من بعض الدول العربية للعمل في المشروع خلال هذا الصيف ، وقد وصل منهم الى مدينة العين ستة عشر مدرسا ·

وعلى الصعيد المحلي بدانا منذ شهر رمضان من العام الماضي في تدريس المقرر للمدرسين في التلاوة والتجويد بجامع المعترض على مدى خمسة ايام في الاسبوع، يوم منها للحديث ويومان للتلاوة ويومان للتفسير ·· وكانت فترة الدراسة تبدأ من بعد صلاة المغرب الى صلاة العشاء (حوالي ساعة ونصف) مما ساعدنا على ايجاد نماذج جيدة قادرة على أداء رسالتها في تدريس علوم القران بالمشروع ، وبذلك كناسباقين في اعداد المدرسين بهذه الطريقة التي استمرت عاما كاملا ؟؟

وننتقل الى مركز المعهد العلمي بمدينة العين ، الذي يضم ١١ فصلا من المرحلتين الاعدادية والثانوية ، حيث نلتقي بفضيلة الشيخ سليمان محمود عطا (وكيل المعهد)·

والشيخ سليمان عاصر مشروع زايد منذ بدايته ـ مدة خمس سنوات ـ وهو يقول ان المعهد العلمي كان هو المركز الوحيد في مدينة العين عام ١٩٧٣ عند بداية المشروع ، وان ايجابيات المشروع وفوائده واضحة في سلوك قطاع كبير من الطلبة الذين اقبلوا عليه واستفادوا منه·

وفي احد الفصول نسمع الشيخ احمد علام أستاذ الشريعة في المعهد (وهو ايضا من المعاصرين للمشروع منذ بدايته خمس سنوات) ، وهو يقول « انه يكفي لهذا المشروع انه يجمع الشباب على كتاب الله ويفقههم في دينهم ويعلمهم العبادات بصورة

مقترحات وآراء

اقبال شديد في

عقيدتهم السمحاء » ·

اما الشيخ محمد انس المراد من حماه بسوريا وهو احد المدرسين الذين تعاقدت معهم الوزارة للعمل بالمشروع خلال هذا الصيف ، فهو يقول : اني احسد الطلبة حسد غبطة على هذا المشروع العظيم ، وأتمنى دوامه لتعم الفائدة ·

احد مراكز البنات بمدينة العين :

وفي مركز بنت الازور بمنطقة الجيمي نلتقي بالسيدة/أمينة عبد الله النجدي مشرفة المركز ، وهي مديرة مدرسة خولة وتعتبر اول مديرة لمدارس البنات في مدينة العين ، وتعمل في المشروع منذ بدايته (خمس سنوات متتالية) وهي اذ تشيد بالمشروع وآثاره على الطالبات، تضيف قائلة : « في الحقيقة انه افاد ايضا المدرسات فمنهن من كانت متبرجة فالتزمت بالزى الاسلامي، ومنهن من كانت لاتحافظ على صلواتها فأصبحت تؤديها في اوقاتها وتحرص على ادائها ·· لقد كنا في حاجة ماسة الى مثل هذا المشروع الذي ضاعف من التزامنا بالسلوك الاسلامي وتمسكنا بقيم مجتمعنا » ·

وفي احد الفصول نلتقي بسيدة محجبة (بالكامل وقد اسدلت النقاب على وجهها ·· انها السيدة زينات فايز علواني ·· وهي ربة بيت ولكن ثقافتها الاسلامية اهلتها للعمل في المشروع سدا للنقص الموجود بين المدرسات ·

وفي فصل آخر نلتقي بالسيدة حياة على

مبادرة للنهوض بالمشروع.

القوات المسلحة والمدارس العسكرية

والشيء العجيب الذي لفت نظري ان هذه السيدة تعمل مدرسة رياضيات حديثة ، وشتان بين تخصصها وبين العلوم الاسلامية، ولكنها تقول

ان قطاعا كبيرا من مجتمعاتنا العربية يعيش في مناخ اسلامي . ويدرس القران وعلومه تلقائيا في البيت والكتاب والمدرسة. فليس شرطا ان يكون تخصص الانسان في علوم القران والدراسات الاسلاميه هــو فقط سبيله الى معرفة دينه والتبحر في علوم عقيدته . خصوصا وان الاسلام ديـــن ودنيا ".

ويضم مركز بنت الازور تسعة فصول ينتظم بها ١٦٠ طالبة ·

ونعود ادراجنا الى العاصمة ابوظبــي استعدادا لاستئناف الرحلة الى الامــارات الشمالية بالدولة ·

في المعهد الديني بدبي نلتقى بفضيلة الشيخ على الصنع مشرف المركز والاستاذ فراج العلوي مساعده الذي يصحبنا في جولة داخل الفصول نلتقى خلالها بنماذج من الطاقات الوطنية التي استفادت من المشــروع في السنوات الماضية واكتسبت منه الكفــاءة والقدرة على العمل فيه ·

الأخ عبد الرحمن عبد الغفور . طالب في البكالوريوس بكلية التجارة سبق لــه الاشتراك في المشروع كمدرس لمدة عامين .

وفي هذا العام اسند له العمل كمشــرف اداري ·· وبينما كنت اتساءل بيني وبين نفسي عن تفسير هذه الظاهرة والصلة بين دراسة التجارة والعمل في مشـــروع يتخصص في تحفيظ القرآن والدراسات الاسلاميه . ادبى التقى في احد الفصول بنموذج اخر من الطاقات الوطنية ، الاخ عبد الله محمد صالح الرحيمي . طالــب بالصف الثالث في كلية الهندسة بجامعــة القاهرة ـ بالقسم المدني ـ وسألت الاخ عبد الله عن هذه المعادلة ·· عن الصلة بين دراسته للهندسة وخبرته بتدريـــس القران الكريم والعلوم الاسلامية . فقال

« ان الاساس كان في الاسرة . فالوالد امام مسجد وشقيقي الاكبر مفتش للمساجد وهذا دليل على ان النشأة كانت في بيئــة دينية . ومثل هذه البيئة تكون دراســـة القران الكريم وعلوم الدين فيها مـــن الاساسيات كالطعام والشراب في كل بيت ، وفوق هذا فان تربية الوالد كانت كفيلة باعدادنا لحمل هذه الامانة ·

وجاء مشروع زايـــد هذا ليصقـــل استعدادنا ويمدنا بالخبرة العملية التــي اهلتنا للعمل فيه » ·

ثم نلتقى باحد المدرسين المتخصصـــين الذين تعاقدت معهم الوزارة واحضرتهــم من الدول العربية الشقيقة للمشاركة في المشروع خلال هذا الصيف . وهو الاخ عبد المتكبر ياسين السباعي الحاصل عــلى ليسانس في الشريعة ويعمل مدرســـا في ثانويات حمص وكان تعليقه على المشروع مقتضبا ، اذ قال . امكانيات عظيمة يحسن

سعادة محمد جمعه سالم وكيل وزارة العـــدل والشئون الاسلامية والاوقاف ورئيس اللجنة العليا لمشروع زايد في حديث عن المشروع ••

فضيلة الشيخ محمد بشير الشقفة من وزارة العدل والشئون الاسلامية ومشرف بمدينة العين وملحقاتها ••

في مركز خديجة •• مناقشة بين الطالبات والمدرسة
تشارك فيها مشرفة المركز ••

درس قرآني للكبار في احد مساجد القطاع ••

• مشروع زايد

استغلالها في خدمة الدعوة الاسلامية ٠

ان المعهد الديني يضم ١٨ فصلا بها ٥٠٠ خمسمائة طالب من المراحل الثلاث (الابتدائية ، الاعداديةوالثانوية) ويعمل بالمركز ٢٣ مدرسا من بينهم اربعة من الاخوة الذين تعاقدت معهم الوزارة من سوريا والباقين من المدرسين المحليين الذين سبق لهم العمل في المشروع ٠

سلامة المجتمع في تربية الفتاة :

ومن المعهد الديني بدبي ننتقل الىمركز حفصة للبنات ، الذي يضم ثمانية فصول تدرس بها ٢١٠ طالبة ، وهناك نلتقي بالسيدة / عواطف محمد عبد الله مشرفة المركز التي سبق أن شاركت في المشروع خلال العام الماضي ، وقد أثنت كثيرا على المشروع ، وقالت انه متعدد الفوائد ويعد ركيزة ضرورية في تربية امهات المستقبل على أسس من الفضيلة التيتدعمها المفاهيم الصحيحة للعبادات والحفظ السليم لبعض اجزاء القرآن الكريم ٠

وفي احد الفصول نلتقي بسيدة من ربات الاسر ، دفعها ايمانها الى التطوع للعمل في المشروع بسبب النقص الكبير في المدرسات المؤهلات لمثل هذا العمل ، وتقول السيدة حصة احمد : « هذه اول مرة اعمل في المشروع بدافع من ايماني بايجابيته وفاعليته في غرس الفضيلة والاداب الاسلامية في شباب الامة ، لحمايتهم من التيارات الفكرية المضادة التي اقتحمت قلاع مجتمعاتنا وبدأت تقوضه وتعصف بقيمه واخلاقياته ، اما بالنسبة للفتاة فان تعليمها اسس العباداتواصولها وتحفيظها بضع سور من القرآن الكريم وتفسيرها وتفقيهها في علم الحديثوالسيرة والتاريخ الاسلامي ٠٠ كل هذا انما يكون لها درعا يقيها من الزلل ووازعا ايمانيا يدخل عليها الطمأنينة ويساعدها على بناء اسرة المستقرة هي الامل الذي تتطلع اليه شعوب الارض ،وهي المصدر الذي يمكن ان يزود البشرية بالجيل الصالح القادر على اصلاح مافسد من اوجه الحياة في عالم الانسان ٠

وتختتم كلمتها بقولها : اني اشكر الله الذي هدى المسئولين الى مثل هذا المشروع الجليل وقيض له العناصر الصالحة القادرة على رعايته وتطويره » ٠

ومن مركز حفصة ننتقل الى مركز الخنساء الذي يضم ٦٢٠ طالبة في ستة عشر فصلا ، حيث نلتقي بنموذج آخر من الطاقات الوطنية ، فهنا مشرفة المركز الانسة مريم مطر التي عملت بالمشروع كمدرسة ثم عينت هذا العاممشرفة للمركز وتقول الاخت مريم ان المشروع نجح نجاحا عظيما وهي تقترح الغاء المكافآت المادية للطالبات لان قلة منهن يأتين من اجل المكافاة (ونحن نرد على هذا الرأى بأن الحافز المادي منحة من المشروع لتشجيع الطلبة والطالبات على استغلال فراغ اجازتهم الصيفية في دراسة دينهم وحفظ قرآنهم ٠٠ اما القلة التي تأتي من اجل المكافاة فان المدرس يستطيع ان يشدهم اليه ويجعلهم يستفيدون من المشروع) وتضيف الاخت مريم ملاحظة اخرى خاصة بالمدرسات ، فبعضهن كما تقول اقل من المستوى المطلوب وهي تطالب بدورات تدريبية على المناهج في قسم مسائي دائم للمدرسات لصقل استعدادهن لاداء هذه الرسالة ، ونحن ايضا نضع هذا الرأى بين يدى اللجنة العليا للمشروع آملين الاخذ به لخدمة المشروع ٠

وتتقدم الطالبة حمده خلفان حميد (من الصف الخامس) للاخت المشرفة لتعرض عليها ألبوما للنشاط المدرسي مزدان بصور عن الفنون الاسلامية ومساجدها وعمارتها ٠٠ مما يدل على ان المشروع قد هز وجدان هذه البراعم

وتصرفاتها مما يبشر بالخير الكثير ان شاء الله ·

وفي احد الصفوف الثانوية تقف الطالبة خيرية غلوم لتنتقد خلو بعض مدارس البنات من مسجد لصلاة الظهر ، وتتساءل: لماذا لا يكون بكل مدرسة مسجد ؟ ·

اما الطالبة بدرية احمد فتقول : ان دولتنا غنية والحمد لله وما دام حكامنا بهذا الايمان القوى الذي جعلهم يهتمون بالتربية الاسلامية فاننا نطالب ايضا بان يكون لنا نحن الطالبات زيا اسلاميا موحدا تقره الدولة فلا تخـرج عليه طالبـة ، وتلتزم به جميع الطالبات ·

وبينما نستعد لمغادرة المدرسة تتقـدم الطالبة حواء غلوم باقتراح حول تعديـل مواعيد الدراسة في رمضان لتكون بعـد تناول طعام الافطار ·· وبالطبع فـان هذا المطلب ربما يمكن تحقيقه بالنسبة للطلبة . اما الطالبات فانه مطلب عسير التنفيذ لاعتبارات ليست خافيـة ·

في الشارقـة :

ونغادر مدينة دبي مع انتهاء المواعيد الرسمية للمراكز في طريقنا الى مدينـة الشارقة ، عروس الامارات ، وحيث نتخذ فيها مقاما لمدة ايام ننطلق خـلالها الى بقية انحاء الامارات الشمالية ، استكمالا لجولتنا في رحاب القرآن الكريم مع مدرسيه وطلابه وطالباتـه ·

وفي مدينة الشارقـة كانت تنتظرنـا مفاجأة ·· فقد اجرينا اتصالا هاتفيا مع الاخ الاستاذ مصبح السويدي مدير الشئون المالية والادارية بمحاكم الشارقة وعضـو اللجنة العليا للمشروع المشرف على المنطقة الشرقية والوسطى فأبلغنـا ان احـدى طائرات الهليكوبتر التابعة لجناح الجـو بوزارة الداخلية ستتحرك صباح الغد الى جزيرة ابو موسى (حوالي ٧٣ كم مـن

على مراكز تحفيظ القرآن بالجزر ·

وفي الصباح توجهنا الى المطار العسكري بالشارقة حيث امتطينا الطائرة الهيليكوبتر وكان معنا فضيلة الشيخ محمد التنـدى الواعظ العام بالامارات الذي كان قائما بالتفتيش على المراكز ·

ونلقى نظرة على عدادات الطائرة فنجد عداد السرعة على مائة عقدة في الساعـة ، اى حوالي ١٨٠ كم ، بينما يسجل عداد الارتفاع الف قدم فوق سطح البحر ·· واتصفح وجه الشيخ التندى فاذابه يتلو بعض آيات من القرآن الكريم وهو يذكر قدرة الله عز وجل التي يسرت للانسان هذه الطاقة العظيمة التي مكنته من اجتياز الفضاء ·· وبعد قليل تظهر الجزيرة من بعيد ·· ونقترب منها فنرى في الطـرف الاخر منها القاعدة العسكرية الايرانيـة التي وجهت مدافعها نحو الخليج في الجانب الاخر تحرس قوافل البترول التي تعبـر مياه الخليج ، وتحط الطائرة في جانبنـا هذا ، حيث يوجد اهالي الجزيرة بمساكنهم ومحلاتهم التي توارثوها عن اجدادهم عبر القرون ، ونرى علم الدولة وهو يرفرف على مركز الشرطة ·· وتتوقف الطائـرة بينما يتقدم شاب في الحلقة الرابعة مـن عمره يرحب بنا ويشد على ايدينا ويقدم نفسه الينا « محمد خليفة ابو غانـم ـ مسئول الجزيرة » ويسميه الناس هنـا (الوالي) اليه يرجعون امرهم ويرفعون مشاكلهم ومتاعبهم ، وهو يعمل على تذليل الصعاب ووضع الحلول المناسبة لكل امـر ·

وفي طريقنا القصير الى مركز تحفيظ القران الكريم نجرى لقاء عابرا مـع الوالي ·

الاسم : محمد خليفة ابو غانم متزوج وله عشرة أولاد منها اربعة ذكور والباقي من الاناث ، وجميعهم من زوجة واحدة ·

لقطتان لبعض البنين والبنات في مراكز مدينة دبي ..

احد فصول مركز المعهد الديني بمدينة العين ••

فضيلة الشيخ محمد التندى (الواعظ العام)
اثناء قيامه بالتفتيش على احد المراكز •

• مشروع زايد

التي تضم رفات والدي واجدادي. وتعلمت فيها صغيرا على يد شيخ المسجد بعضا من القران الكريم والفقه والسنة . ونحن نعيش في هذه الجزيرة اسرة واحدة ، عدد افرادها الف ومائتي نسمة . نتعايش معا في سلام ومحبة . ومياه الخليج هي المصدر الرئيسي لارزاقنا ، وتشتهر جزيرتنا بانها نقوم بصيد بعض الصقور سنويا وبيعها في اسواق الشارقة .

اما عن حاجة الناس من الخضر فيقول الوالي ان اللنش الحكومي التابع للشرطة يساعد الاهالي في تنقلاتهم عبر الخليج ، وان المحلات القائمة في الجزيرة تستورد حاجتها من الخضر والفاكهة من اسواق مدينة الشارقة ، علما بان رحلة اللنش من الجزيرة الى الشارقة تستغرق اربع ساعات في الذهاب ومثلها في العودة .

ونصل الى مركز مشروع زايد للقرآن الكريم بمدرسة الجزيرة والتي تضم من ابناء الجزيرة وبناتها حوالي مائة طالب وطالبة .

وفي المركز نلتقي بمدرس ومدرسة (زوجان) يعملان اصلا في مدينة الشارقة، الزوج وظيفته الاساسية تدريس اللغة العربية ، والزوجة تعمل مدرسة بالشارقة وتدرس اللغة العربية والدين ، وقد جاءا باولادهما للعمل في المشروع بالجزيرة مدة الصيف .

واسال الزوجة السيدة/يسرى عزت ابو سلطان عن مشاعرها وهي تعمل في المشروع خلال عطلة الصيف فتقول : « ان الجزيرة هادئة حالمة ، واهلها كرماء طيبون ، وجوها يريح الانسان من متاعب المدينة وضجيجها فالفترة التي نقضيها هنا لا شك سيكون لها اثرها في راحة اعصابنا فضلا عما نستشعره من راحة نفسية ونحن نعمل في مشروع يقربنا من الله .. استعداد طيب للفهم والاستيعاب » .

ونستمع لفضيلة الشيخ محمد التندى وهو يسأل الطالبات في المقرر ويستمع الى تلاوتهن باعجاب حتى انه قال لوالي الجزيرة : اني اهنئكم على حسن فهم ابنائكم واستعدادهم الطيب وسرعة حفظهم للقرآن الكريم .

وفي فصل آخر نلتقي بالزوج المدرس سعيد سلطان ، ونستمع الى الطلبة وهم يرتلون القرآن بلغة عربية سليمة لا لحن فيها .. ونسأله عن اقامته في الجزيرة خلال مدة المشروع فيقول :

« سنعود الى الشارقة وقد تزودنا بشحنة من الهدؤ والاستقرار النفسي سعداء بما اديناه من واجب في الجزيرة التي نسعد بالاقامة في ضيافتها مدة عمل المشروع » .

وخلال عملنا كنا نرقب عن كثب فضيلة الشيخ حسنين آدم وهو يتحرك بنشاط ملحوظ بين المدرسين والطلبة والطالبات يوزع المطبوعات ويعطي التوجيهات بحكم عمله كموجه عام لامارات الشارقة وعجمان وام القيوين .

وحان وقت رحيلنا من الجزيرة ، فعدنا الى الطائرة التي اقلعت بنا في طريق العودة .

ومن المطار انطلقنا الى مركز ميسلون للبنات ، اذ لم يفت الشيخ حسنين آدم ان يترك تعليمات لمركزين (بنين وبنات) بالانتظار قليلا بعد ساعات الدوام اذا تاخرت بنا الطائرة ، ولكننا وصلنا في التوقيت المناسب لنلتقي في مركز ميسلون بالسيدة/سهام التكريتي مشرفة المركز وهي في نفس الوقت مديرة مدرسة ميسلون للبنات .

ان مركز ميسلون للبنات به ١٤ فصلا تضم ٣٦٩ طالبة من المرحلتين الاعدادية والثانوية .

هادفة ، كانت في حقيقتها ظاهرة صحية لها دلالتها المؤكدة لنجاح المشروع .

فالطالبة فاطمة كاظم منرأيها ان يركز المدرسون اولا على الفهم للتفسير والمعاني القرآنية واسباب النزول ثم الحفظ بعد ذلك .

اما الطالبة حليمة عبد الله الملا فانها تطالب المسئولين عن المشروع بتزويد المراكز باشرطة مسجلة لمشاهير قراء القرآن الكريم ليتعلمن منها التلاوة والتجويد .

ونستمع الى الطالبة فاطمة كاظم وهي تقرأ القران وترتله ترتيلا رتيبا جميلا بخشوع واجلال ، فتهتز اعماقنا فرحا بهذه النتائج التي نرجو لها دوام التقدم .

وقبل ان نغادر المركز تهمس السيدة / سهام في اذاننا بقولها : « نرجو الا تتاخر المطبوعات في العام القادم لانها تأخرت كثيرا هذا العام مما ادى الى تعرضنا لموجة من نقد الطالبات واولياء الامور » .

ان لكل عمل عظيم ايجابياته وسلبياته، ولا يمكن انكار وجود السلبيات الا اننا لا نعول دون عرضها لتلافي اسبابها في المستقبل ولاننا نرجو لمشروعنا الكبير اطراد النجاح وتجاوز السلبيات .

ومن مركز ميسلون للبنات ننطلق الى مركز ابن خلدون ، الذي كان ينتظرنا فيه الاخ الاستاذ عصام محمود عطا مشرف المركز الذي يشترك في المشروع منذ بدايته .

ومركز ابن خلدون يضم ٢٣ فصلا يحتوي على ٧٧٠ طالبا من المراحل الثلاث (ابتدائي ، اعدادي ، ثانوي) وفي هذا المركز نلتقي بواحد من شباب الامارات ، الاخ حسن الدقي الطالب بكلية العلوم الادارية والسياسية بجامعة الامارات ، وقد سألناه رايه في المشروع فقال « ان فوائده نتحدث عن نفسها ، فهو مشروع رائد سامي المقاصد نبيل الاهداف ، الا اننا نرجو في المستقبل التغلب على سلبياته البسيطة مثل صيانة اجهزة التكييف واصلاح برادات الماء حتى لايتعرض الطلبة للمتاعب من حرارة الجو ونقص الماء البارد ، وهذا بالطبع ليس موجودا في جميع المراكز وانما في قلة منها » .

كذلك يطالب الاخ حسن الدقي بالتوسع في الدورات التدريبية للمدرسين والمدرسات لرفع الكفاءة في العلوم الاسلامية والمناهج المقررة في المشروع .

وتنتهي جولتنا في مدينة الشارقة لنستعد لجولة اخرى في بقية اماراتنا الاخرى .

راس الخيمة .. وميلاد جديد :

الطريق الى راس الخيمة من مدينة الشارقة يبلغ طوله ٨٠ ثمانين كيلومترا، وقد تم تجديده حديثا وبعد ان كان طريقا [illegible]

مسئول جزيرة ابو موسى .. او الوالي كما يسميه اهل الجزيرة ..

أطفال من الصف الخامس الابتدائي بمركز جزيرة
ابو موسى ••

احد فصول البنات بجزيرة ابو موسى في الايـــام
الاولى للمشروع •

طائرة هليكوبتر حديثة مخصصة لخدمة الجـزر واعمال الشرطة . وامامها طاقمها وافراد الرحلة الذين شاركونا الزيارة •

وسيتهى العمل في الطريـق الجديـد (الاردواحى) حلال مدة قد لا تزيـد على شهر واحد ، اد قـارب العمل فيـه نهايتـه ·

وفي تمام الساعة السابعه صباحا نقف على ابواب مركز الصديق براس الحيمـة والطلبة يتوافدون عليه ، ونسعد بحضور طابور الصباح ـ تحية العلم ، والمدرس يهتف الله اكبر والطلبة يرددون حلفه البداء باصوات قوية كالرعد ، تزلـزل الارض تحت اقدام الملحدين ، ويتـردد الهتاف ثلاث مرات ، ثم نسمع هتافا احر قرانيا من ايات الله «ان هداالقران يهدى للتي هي أقوم » ويردد الطلبة الهتـاف بنفس القوة التي حققت للمسلمين انتصاراتهم الاولى ونشرت دعوتهم في آفاق

مشرف مركز المعهد الديني بدبي ••

• مشروع زايد

الارض لتظل بروح القرآن وشريعته السمحاء اكثر من نصف الكرة الارضية في اقل من نصف قرن ·

وينتهي طابور الصباح ، ونلتقي بنماذج من العاملين بالمشروع أولهم الاخ: الاستاذ حسن رشدى عوده وكيل مدرسة الصديق ومشرف المركز ونسأله رايه في المشروع فيقول · « ان مشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم قد جاء في وقته المناسب ليحمى قطاعا كبيرا من شبابنا خلال فترة من احرج الفترات التي يتعرض فيها الشباب للغواية والانحراف ، ولاشك في ايجابيته وصدق جهود العاملين فيه ، الا ان لنا وجهة نظر نرجو ان تكون موضع نظر المسئولين عن المشروع ، فمن الضروري جدا ان يتم وضع المناهج وطبعها وتدريب المدرسين واعدادهم قبل بدء المشروع بوقت كاف ·· اما تسجيل اسماء الطلبة فانه يجب ان يتم في الاسبوع التالي لنهاية العام الدراسي مباشرة حتى تكون بداية الدراسة في وقت متقدم فيستفيد منها الطلبة ·· كذلك يجب العناية بالخدمات في المدارس ، فهي وان كانت متوفرة الا انها تحتاج الى مزيد من الاهتمام ونقترح ايجاد حوافز ادبية الى جانب الحوافز المادية مثل شهادات تقدير للمجتهدين ، ونحن من جانبنا نقوم بعمل مسابقات بين الطلبة نقدم للفائزين خلالها بعض الجوائز التي ندبر اثمانها من ايراد مقصف المدرسة ومن مساهمات المدرسين ·

ونلتقي في مركز الصديق بالاخ الطالب محمد صقر الذي يشترك في المشروع بوظيفة نائب مشرف ، وهو من طلبة كلية ديكاليه بولاية جورجيا بامريكا ويقضي اجازته بين اسرته والعمل في المشروع ، والاخ المهندس احمد ابراهيم الجروان الطالب بالصف الثالث في كلية هندسة جامعة القاهرة ، وقد اتفق رأيهما مع رأي ابداه من ملاحظات ·

ومن مركز الصديق نتجه الى مركز هند للبنات ويصحبنا هذه المرة الاخ الاستاذ يوسف عبيد البكر نائب مدير التربية والتعليم برأس الخيمة ونائب المشرف العام للمشروع هناك ·

ان مركز هند يضم ثمانية عشر فصلا بها ٥١٣ طالبة ، وتشرف على المركز الاخت بثينة عبد العزيز الهنداوي التي تشترك في المشروع منذ بدايته ·

وفي مركز هند نستمع الى نماذج من الطالبات يبدين بعض الاراء البناءة ، فالاخت حصة سلطان الطالبة بالصف الاول الثانوي ترى ان الاجازة الصيفية طويلة ويجب الاستفادة منها بصورة اكثر فعالية، ولهذا تطالب بان تكون مدة الدراسة بالمشروع اطول ·· اما الاخت موزة محمد ابراهيم الطاغي الطالبة بكلية الاداب بجامعة الكويت (بالصف الرابع) فهي تعمل بالمشروع كمدرسة منذ بدايته وهي تكيل المديح للمشروع ونتائجه الايجابية في مجال التربية الاسلامية وربط البنات (امهات المستقبل) بعقيدتهم ربطا مدعما بالاسس العلمية الصحيحة ·

ام القيوين ·· واشراقة امل :

ونغادر رأس الخيمة عائدين الى الشارقة مارين بمراكز امارتي ام القيوين وعجمان التابعة اداريا حسب تقسيم المشروع لمشرف الشارقة·· وعلى بعد حوالي ٦٠ كيلومترا من رأس الخيمة نصل الى طريق فرعي ندخل فيه يمينا لعدة كيلومترات لنجد انفسنا في امارة ام القيوين ، وبينما نجتاز شوارعها الحديثة الفسيحة نرى على يسارنا مبنى اذاعة ام القيوين التي بدأت بثها منذ اشهر قليلة ، وعلى يسارنا مدرسة عثمان بن عفان بمبانيها الجديدة ، وهنا وهناك تنتشر المباني الجديدة ونصل الى

واخيرا نقف امام مركز صفية للبنات ٠

ان مركز صفية يضم ٩ فصول تحتوى على ١٦٥ طالبة ، وهذا عدد يتفق مع حجم الامارة الصغيرة بالاضافة الى ان عددا كبيرا من الاسر تقضي اجازاتها في الخارج ٠

وفي مركز صفية نلتقي بالسيدة/سوسن محمد الجمل مشرفة المركز التي تطالب بتزويد المراكز بمكتبات اسلامية لمساعدة المدرسات على دعم مقدرتهن العلمية في المواد الاسلامية ، وكذلك لامتصاص فراغ الطالبات وابعادهن عن وسائل الغزو الفكري التي تتمثل في المجلات الهابطة والقصص الرخيصة ٠٠

ولها اقتراح وجيه ايضا ، وهو ان يتضمن المنهج المقرر حصص مفتوحة للثقافة العامة ، يناقش خلالها التطبيق العملي للسلوك الاسلامي في حياة الانسان ٠ وهذا اقتراح وجيه يستحق الدراسة ٠

وقبل ان نغادر ام القيوين نعرج على مركز عثمان ابن عفان ، وهناك قد سبقنا كل من الاستاذ حسنين ادم والشيخ محمد التندى للتفتيش على المركز الذي يضم عشرة فصول بها ٢٠٧ طلاب ٠

وفي احد الفصول نلتقي بنموذج من المدرسين يستحق الوقوف عنده قليلا ٠ انه الاستاذ هاشم مصطفى هاشم ، عمله الاساسي مدرس تربية فنية ومع ذلك فان هذا هو العام الرابع الذي يشترك فيه كمدرس في المشروع للقران الكريم والمواد الاسلامية الاخرى ، ونعلم من فضيلة الشيخ محمد التندى ان هذا المدرس يمنح الطلبة المتفوقين جوائز قيمة من جيبه الخاص لتشجيع طلابه على التفوق ٠

وسالناه عن رايه في المشروع فاثنى عليه واضاف انه يقترح تعميمه بانشاء مراكز مسائية للكبار الراغبين في التقرب الى الله بالتفقه في دينه ٠

ونغادر ام القيوين على عجل لنلحق بامارة عجمان ، المسافة لا تزيد عن ٢٠ كم فامارة عجمان تتلاحم منشاتها مع امارة الشارقة ، وهي امارة صغيرة جميلة ، تضم على شاطئها الجميل الهادىء عددا كبيرا من الشاليهات ، وتقوم فيها نهضة معمارية كبيرة ، وفي مدخلها تقع مباني المعهد الديني الذي يضم مركز تحفيظ القران الكريم ٠

ان مركز المعهد الديني يضم تسعة فصول اعدادي وثانوي بها مائتى طالب ، وعلى بعد يسير منه يقع مركز خديجة للبنات وبه ١٦ فصلا تحتوى ٤٥٠ طالبة ٠

الهدوء وجمال الطبيعة والارض الخضراء :

احد مراكز البنات بامارة الفجيرة ••

طابور الصباح باحد مراكز امارة راس الخيمة ••

احدى الفنيات بمراكز البنات برأس الخيمة اثناء
احد دروس السيرة ••

• مشروع زايد

ان مشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم قد غطى كل ارجاء دولة الامارات في مدنها وقراها وجزرها وبواديها ٠٠ انه بمثابة تجديد لشباب الدعوة الاسلامية من خلال تلقين ابنائنا وشبابنا الاسس العلميـــة الصحيحة للقران الكريـم وفقه السنـــة والعبادات ، لتقويم سلوكهـم وصقـــل اخلاقهم وتصحيح مفاهيمهم٠ ومن مدينة الشارقة نتجه الى مدينة الفجيرة على الساحل الشرقي من دولة الامارات ٠

ونتوجه من فورنا الى مركز سيف الدولة الذي يضم ٩ فصول يـــدرس بها ٢٢٥ طالبا ، ويحدثنا مشرف المركـــز الاستاذ محمد اسماعيل غنيم عن المشروع فيقول : « لقد شاركت في هذا المشروع منذ بدايته، واتمنى من الله ان تقتدى به الـــدول العربية والاسلامية من اجل اعادة أمجاد امتنا الاسلامية والحفاظ على شخصيتها »٠

وفي احد الفصول نلتقى بمدرس مـــن الاخوة الذين انتدبهم المشروع من الدول العربية الشقيقة ، هو الاستاذ عبدالستار عبد الحافظ المدرس بالمعهد الديني بحلمية الزيتون . ونسأله عن رايه في المشـروع فيقول : « ان تعليم القرآن الكريم وعلومه يهيىء النفس للطمأنينة والراحة النفسية ويجعلها هادئة راضية مؤمنة بقضاء ربها، وهذا المشروع من أهم المشروعات التربوية الاسلامية التي تؤكد هذه الغاية وتحققها، واني لارجو للقائمين على هذا المشروع كل توفيق وعلى رأسهم صاحب فكرتـه سمو رئيس دولة الامارات » ٠

احد فصول البنين براس الخيمة اثناء تدريبـه على

ومن مركز سيف الدولة نتجه الى مركز ام المؤمنين الذي يضم ٦ فصول تضم ١٦٠ طالبة وتشرف عليه السيدة سعاد محمد عبد الله الدقاق.

وفي احد الفصول تقف الطالبة صفاء عبد الحفيظ الطالبة بالصف الثالث الثانوي لتقول . انا نرجو اتاحة الفرصة لامهاتنا للاستفادة من المشروع .. فان الفائدة التي استفدناها منه عظيمه . ولو جلسنا في بيوتنا خلال عطلة الصيف لما سنحت لنا فرصة تعلم قراءة القران وفقه السنة والعبادات . ولهذا اريد ان تستفيد منه امهاتنا ..

انهم شبيبة امنوا بربهم ...
[illegible] المسلحه يقبلون على
[illegible] الكريم .

وفي ابوظبى ـ العاصمة ـ كانت لنا جوله في بعض المراكز بدأناها بالمدارس العسكريه المسانيه.

ففي مدرسه ابو عبيدة الجراح (المركز المساني) يوجد اربعة عشر فصلا تضم اربعمائة طالب من مختلف الاعمار من بينهم عدد كبير من الضباط من رتبة ملازم الى رتبة رائد . وقد جاءوا باختيارهم للاستفادة من المشروع يتعلم بعض اجزاء القران الكريم تلاوة وتفسيرا . وغير ذلك من الدراسات الاسلامية التي تضمنتها مناهج المشروع الدراسية .

ومركز ابو عبيدة الجراح واحد من المراكز التي تتبع مديرية الثقافة العسكرية والتي تنتشر الان في معظم قطاعات القوات المسلحه من ابوظبي الى الحمرا قرب الحدود القطريه (٣٠٠ كم من ابوظبي) الى سويحان (حوالي ١٢٠ كم من ابو ظبي) الى القاسمية في الشارقة ومدينة العين .

وفي احد الفصول نستمع الى الملازم ياسين محمد ياسين وهو يرتل القران الكريم [illegible]

أديب يوسف) في التفسير ، وكانت تلاوته سليمة واجاباته دقيقة ، فسألناه : هل سبق لك ان تعلمت التلاوة ؟ .

قال : لقد سبقت لنا تجربه دراسية عادية في المدارس بدون قواعد او اسس ، فلم نكن نجيد فن التلاوة ، وكانت معلوماتنا عن الفقه والتفسير ضحلة ويسيرة ، اما الآن فقد منحنا هذا المشروع دوحة نستظل بها في رحاب القران الكريم والفهم الصحيح لعقيدتنا واصول العبادات فكان هذا تجديدا لشباب اسلامنا .

ويطالب الوكيل محمد عبد الله المومني من سلاح الاشارة بزيادة العناية بالتجويد ، اما الرائد طيار ميرغني فيطالب بتكرار هذه الفرصة لاكثر من مرة خلال العام حتى تعم الفائدة .

ويقول احد الاخوة الدارسين : هل نتصور مسلما لا يعرف انواع الطهارة ، وهي احد الاسس التي يرتكز عليها ديننا الحنيف ؟ لقد كنت اجهلها تماما حتى تعلمتها في هذا المركز . فنحن ندين لمشروع زايد بتصحيح عقيدتنا وفهم اسلامنا .

ونلتقي بفضيلة الدكتور احمد خليل رئيس الشئون الدينيه بوزارة الدفاع ، الذي كان في جولة مفاجئة بالمركز . فيحدثنا عن اثار المشروع قائلا لاشك ان هذا المشروع كان ضروريا في عصر طغت فيه المادة على القيم . وبعد فيه الناس عن عقيدتهم . ويمكن القول بانه بمثابة طوق من اطواق النجاة التي يتعلق به الانسان المشرف على الغرق لانقاذ حياته . فالمسلم الذي يقبل على تعلم القران الكريم والتفسير والفقه وعلوم الدين . هو الانسان الذي يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . وهو الانسان الذي يريد ان يزداد قربا من الله لينال رضوانه ...
والمشروع حتى الان لم يعم القوات [illegible]

حصة في التفسير باحد مراكز البنات ، في الشارقة
لطالبات الثانوية العامة ••

فصل باحد مراكز البنين بمدينة الشارقة ••

احدى المسابقات ذات الجوائز التشجيعية للطلبة
بمركز الطبرى بابوظبي ••

مدرسة كاملة العجاب باحد مراكز العين ، وحديث
بينها وبين مشرفة المركز حول مستوى الطالبات ••

• مشروع زايد

العام القادم ان شاء الله ، ومن دواعي سرورنا ان الشرطة تطالب الان بان يكون لها نصيبها من المشروع اسوة بالقوات المسلحة .

وفي مسجد المدرسة نلتقي بحلقة دراسية اخرى حول المدرس السيد/فائز شيخ الزور الذي طالب ايضا بالتوسع في تعليم الكبار، ومن بين الدارسين في المسجد يتقدم الاخ على مطر الكيومي فيطالب بمنح الدارسين شهادات بنهاية كل دورة تؤهلهم للدورة التي تليها ، اما الملازم محمد صالح حماد فيطالب بحوافز تشجيعية مثل اختيار بعض الدارسين لاداء فريضة الحج ، والحقيقة ان نفس الاقتراح سبق ان حدثنا به فضيلة الشيخ حسنين ادم الموجه العام بالمشروع في الشارقة ونظن ان مثل هذا الاقتراح سيكون موضع نظر المسئولين .

ونستانف جولتنا في ابوظبي فنزور مركز خديجة للبنات وبه ١٧ فصلا تضم ٣٥٠ فتاة ، وهناك نلتقي بالسيدة/سنية عبد العال عبد الواحد مشرفة المركز .. ونسالها رأيها في المشروع فتقول : « من خلال تجربتي السابقة في المشروع اقول ان له فوائد عظيمة لا تقتصر فقط على الطالبات وانما ايضا للمدرسات ، فبعض المدرسات ممن لم يكن محجبات من قبل قد التزمن بالحجاب وازدادت معرفتهن بدينهن واصبحن اكثر مقدرة على معالجة مشاكلهن في ضوء احكام الشريعة السمحة . واقترح عمل بطاقة تقييم للطالبات ليكن اكثر جدية في دراستهن فلا تكون الدراسة بالنسبة لبعضهن مجرد قضاء وقت في المراكز .. مع حرمان الطالبة المقصرة في دراستها من الاشتراك في المشروع في العام الذي يليه » .

وفي احد الفصول نلتقي بالسيدة/أميمة

العقيدة والفسفة ، وقد تقدمت للاشتراك في المشروع لاول مرة ايمانا منها بجديته واهميته لنشر الوعي الاسلامي بين الطلبة والطالبات .

ومن مركز خديجة للبنات الى مركز الرشيد للبنين (٩ فصول و ٢٠٥ طلاب) وفيه نلتقي باحد الاخوة السوريين الذين تعاقدت معهم الدولة للعمل بالمشروع هذا العام . وهو الاخ/عبد الرحمن محمد نوح الذي يعبر عن رأيه في المشروع بقوله : « نرجو ان يستمر في الاعوام المقبلة لكي يصون الجيل الحاضر من التيارات الهدامة، وياحبذا لو انطلق من المساجد باعتبارها المدرسة الاسلامية الاولى .

اما مركز الطبرى الذي يضم ٨ فصول تحتوى ١١٨ طالبا فقد التقينا فيه بالاخ الاستاذ عبد الله راشد عبد الله (مدير مدرسة الطبري) مشرف المركز الذي امتدح المشروع لفاعليته بينما انتقد بشدة تاخر بداية العمل فيه ، فهو يقول .. « كان من المفروض ان يبدأ العمل في المشروع يوم ٦/٢٠ على اكثر تقدير حتى يكون اكثر فائدة للطلبة ، اما الان فقد اجبرنا على استمراو العمل في رمضان وهذا مرهق للطلبة وللمدرسين .. لهذا فاني اطالب المسئولين بمراعاة ذلك في العام المقبل ان شاء الله .

اما الاخ شهاب سليمان الطالب بجامعة الامارات والذي يعمل في المشروع مدرسا للعام الثاني فانه يقول « ان المشروع يقضي على مشكلة الملل بين الشباب . وبالنسبة لي كطالب في كلية التربية (تربية وعلم نفس) فان المشروع ممارسة عملية لي على العمل في خدمة البيئة ومن الفوائد التي نستفيدها من المشروع انه يدفعنا الى البحث والاطلاع على المراجع

ويقول فضيلة الشيخ محمد هشـــام البرهاني عضو اللجنة العليا للمشروع ان المشروع في هذا العام قد انتشر حتى شمل كل قرية وجزيرة ومدينة وبادية لتعـــم فائدته جميع مواطني الدولة . وقد بلغت حملة ميزانيته في هذا العام حــوالي ٢٩ مليون درهم بينما كانت في العام الماضي ٢٤ مليونا فقط .. وقد وضعت وزارة الدفاع امكاناتها في خدمة المشروع فرودتنا طائرة هليكوبتر لزيارة المراكز النائية في بدع زايد والجزر وغيرها من المناطق النائيـة .

وفي وزارة العدل نلتقي بالاستاذ عبدالله علي عيسى حكة مدير عام الشئون الماليـة والاداريه بصفته عضو اللجنة العليـــا للمشروع والمسؤول عنه في امارة راس الخيمة الذي قال لنا « لقد استفدنا من المشروع في السنوات الماضية . واصبح لدينا كوادر وطنية مدربة من الشباب تمثل الان ٥٠٪ من العاملين في المشروع موزعون على خمسة عشر مركزا في رأس الخيمة والمعيريض والرمث وشعم واذن والحران والجزيرة. وقد بلغ عدد الطلبة في هذه المراكز ثلاثة الاف طالب وطالبة يعمل في خدمتهم ١٢١ مدرسا ومدرسة من بينهم ١٢ من المعارين من الدول العربية الشقيقة . ١٤ مشرفا ومشرفة و ٤ ممرضين و ٤ ممرضات و ٢١ سائقا وثمانية وعشــرون فراشـــا .. والمشروع في حد ذاته من المشروعات المفيدة جدا لابنائنا وبناتنا » .

مع رئيس اللجنة العليا للمشروع:

ومسك الختام في استطلاعنا هذا لقاؤنا مع سعادة الاخ محمد جمعة سالم وكيـل وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف ورئيس اللجنة العليا لمشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم الذي عاصر هذا المشروع

وهو جنين وشارك في ميلاده ورعايته في طفولته حتى الان . وقد زودنا بالحديث التالي : « انطلاقا من الاهداف الساميـة التي ينشدها صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة في مجال بث الدعـــوة الاسلامية في مجتمعنا الاسلامي ، يأتـــي العام الخامس للمشروع حافلا بالمعطيات العظيمه . ففي هذا العام بلغ عدد الملتحقين بالمشروع حوالي ٢٠ الف طالب وطالبة يمثلون مختلف المراحل الدراسية، ويشارك في تدريسهم ما يربو على الف مـــدرس ومدرسة . منهم عدد كبير من المعارين من الدول الاسلامية الشقيقة ، لرفع كفاءة التدريس في المشروع حتى يرتقي مستوى العطاء الى ما ينشده صاحب السمو رئيس الدولة . وبناء على توجيهاته الكريمة قامت الوزارة بافتتاح مراكز القران الكريم في جميع انحاء الدولة . كما قامت بافتتاح مراكز مسائية للامهات اللاتي لم يتمكن من الالتحاق بالمراكز الصباحية بناء على حرص سموه على تثقيف المرأة باعتبارها نصـف المجتمع الفعال والمربية للاجيال ، وتحقيقا لما حباها الله في شريعته من تكريم واعزاز.

كما قامت الوزارة هذا العام بطبـــع وتوزيع القران الكريم وكتب التـــراث الاسلامي وتهيئة الامكانيات اللازمة للمراكز الدائمة المزمع افتتاحها في العام القـــادم ان شاء الله .

طالب من عجمان يتلو كتاب الله في خشوع ..

المنهاج الدراسي [illegible] الابتدائي

القران الكريم حزء عـــم وتفسيره ، العقيدة والعبادة ـ الحديث الشريـف ـ السـيرة النبويــة شرحــا مبســطا للعقيدة والعبادة وعشرة احاديث للحفظ مع معانيها وموجز في ثلاث صفحات تقريبا عن السيرة النبوية الشريفة .

المنهاج الدراسي للصف السادس الابتدائي

القران الكريم جزء تبارك وتفسيره . العقيدة عن الايمان بالرسل وحالة العالم قبل بعثة النبـــي صلى الله عليه وسلم ثـــم بعثتــــه صلى الله عليـــه وسلـــم ومعجزاته والايمان بالكتب السماوية ..

من احكام .. وعشرة احاديث مع شرحهــا وحوالي ثمانيه عشر صفحة عن الســيرة النبوية من رضاعته عليه السلام حتـــى انقطاع الوحي ونزول سورة الضحى .

منهــاج الصف الاول الاعــــدادي

القران الكريم . العقيدة والعبــادة ـ الحديث الشريف ـ السيرة النبوية .

جزء قد سمع وتفسيره . الايمان بالله والطهارة (الوضوء والتيمم) وعشـــرة احاديث نبويه ومن السيرة النبويـــــة ـ الدعوة الى الاسلام في مراحلها الاولى السرية ثم العلنية ومواقف قريش وايذائهـــــ للمسلمين بلال بن رباح ثم ال ياسر .

منهاج الصف الثانـــي الاعـــدادي

جزء الذاريات . الايمـــان بالغيب

• مركز بنين في ام القيوين •• ومدرس يشجع طلبته بجوائز مادية من جيبه الخاص ايمانا منه بايجابية المشروع ••

• تدريب الفتاة على ارتداء الحجاب منذ نعومة اظفارها يزيدها قربا من صراط الله •• احدى فتيات مراكز مدينة العين للبنات ••

الجماعة وسجود السهو ، اهمية صــلاة الجماعة وصلاة الجمعة ، عشرة احاديث نبوية شريفة ، ومن السيرة النبوية ـ الصراع بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين ، المفاوضات مع قريش ايذاء ابو جهل والسفهاء للنبي الكريم والتشويش على القران ، والهجرة الاولى الى الحبشة ثم الهجرة الثانية ٠٠ الى وفاة ابي طالب وخديجة في عام الحزن ٠٠

منهاج الصف الثالث الاعــدادي

من سورة الاحقاف الى سورة ق ، الرسل وصفاتهم الوحي وطرقه ، صلاة العيدين وصلاة المسافــر والتطوع والتراويـــح والاستسقاء والكسوف والخسوف والفزع والحاجة والاستخارة والضحى ٠

الوحــي والتحكــم في سنن الكــون وقصور العقل البشرى ، ختم النبــوة ٠ وعشرة احاديث نبوية ، ومن السيرة عودة الرسول من الطائف والاسراء والمعراج ، بيعة العقبة الاولى ثم الثانية ، هجرة عمر وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقصة الغار والوصول الى المدينة ٠

منهـاج الصــف الاول الثانـــوي

القرآن الكريم ، العقيــدة والعبادة ـ الحديث الشريف ـ السيرة النبوية ٠

سورة الكهف وسورة يس ، الاسلام ـ الايمان ـ الصـــوم ، أقسامه واركانـــه وشروطه وادابه ، التوحيد ـ الكمال الالهي ، الشرك ـ الايمان بالملائكة والكتب والقدر ـ الاعتكاف ـ زكاة الفطر ـ وعشرة احاديث ومن السيرة مجتمع المدينة وبناء المسجد والمؤاخاه بين المهاجرين ٠٠ الاوس والخروج ويهود المدينة ـ تحويل القبلة ـ مشروعية القتال والغزوات ٠

منهـــاج الصف الثاني الثانـــوي

القران الكريم ، العقيــدة والعبادة ـ الحديث الشريف ـ السيرة النبوية ٠

سورتا النور والاحزاب ، بحث عـــن حاجة الانسان الى العقيدة ـ بحث عـــن وجـــود الله تعالى ـ بحث عن زعـــم المصادفة وبطلانـــه ـ بحث عن الحجـــب التي تحـــول بين الناس وبـــين اللـــه ـ فقه العبادات ـ الحج بجميع تفاصيله ـ وعشرة احاديث شريفة ـ ثم من السيرة النبوية غزوة بدر الكبرى ســنـــة ٢ هـ ، غزوة احد سنة ٣ هـ ٠

منهـــاج الصــف الثالث الثانــوي

القران الكريم ، العقيــدة والعبادة ـ الحديث الشريف ـ السيرة النبوية ٠

سورتا الانفال والاسراء ، اليوم الاخر وايمان به والادلة على ثبوته ، شبهـــات المنكرين والرد عليها ، علامات الساعة ـ الشفاعة والحساب والصـــراط والميزان والجنة والنار ـ القدر ـ والفرق بـــين التوكل والتـــواكل ـ الزكاة بجميـــع تفاصيلها ـ عشرة احاديث شريفة ٠ ومن السيرة غزوة الاحزاب « الخندق » وغزوة حنـــين ٠

رسالة نيامي

قصة التعريب في النيجر

(٢)

محمد حسن أحمد البشير

زارت منار الاسلام دولة النيجر في غرب افريقيا ، قضت فيها فترة وجيزة من عمر الزمن طويلة في حساب العلم والمعرفة .. دخلنا المراحل الدراسية المختلفة وأعجبنا ما رأيناه . انهم يتعلمون العربية في شوق ونهم ، يعلقون حروفها على الجدران ويتغنون بقواعدها وأشعارها .. كيف بدأ تعليم اللغة العربية في هذا البلد وما هو الجيل الرائد الذي يقود حركة التعريب في النيجر .. هذا ما سنعرفه من خلال السطور القليلة القادمة . (ولنبدأ أولا بقصة النيجر) .

قصة النيجر :

الاسم الذي يطلق على دولة النيجر الحالية اسم مستحدث . كان وما زال يطلق على النهر الذي يخترق عدة دول افريقية منها نيجريا والنيجر . وقبل دخول الاسلام كانت منطقة النيجر تتبع لامبراطورية غانا،وهي امبراطورية افريقية وثنية . كانت الاضطرابات والفوضى تعمان المنطقة . حيث كانت القبائل تغير على بعضها قتلا وسلبا ونهبا . وعندما قام المرابطون بحركتهم المشهورة على سواحل المحيط الاطلسي وفي بلاد السنغال حيث انتشر فيها الاسلام بواسطة العباد سكان الزوايا والدعاة الزاهدون المرابطون للجهاد بالكلمة والجهاد بالسلاح لرد العادين ثم اتجه في القرن الثالث الهجري الى حوض نهر النيجر بعد أن حطم المرابطون امبراطورية غانا الوثنية ونشروا في ربوعها سماحة الاسلام . والذين اعتنقوا الاسلام ايام المرابطين هم الذين بثوا عقيدة الاسلام في منطقة نهر النيجر بطريقة سلمية ودون فتح عسكري . واستمر تدفق المسلمين المنتشرين في شمال افريقيا عبر نهر النيجر . في طريقهم الى بحيرة تشاد . كما جاءت قوافل التجار من المغرب ومصر وليبيا والسودان ،

واحس السكان انهم نوع جديد من التجار يصدقونهم القول والفعل ، فقلدوهم وأسلمت على ايديهم جموع هائلة من السكان . في البدء أسلم ملوك المنطقة ورؤساؤها وأعيان المدن ، ولم يجيء القرن الحادي عشر الا والمنطقة كلها قد اسلمت ، ومنذ ذلك القرن خضعت المنطقة لحكم الطوارق والهوسا وهمجميعا يدينون بالاسلام٠٠ وفي سنة ١٥١٥ ميلادية تشكل جيش تابع لامبراطورية سونغي بغربي النيجر، بقيادة اسكيا محمد الاول ، واخضع دويلات الهوسا واستولى على مدينة اغادير البربرية بعد أن دام سلطانها طويلا ٠٠

نشأة المدن :

تبع ذلك نشأة المدن التي ازدهرتفي أحضان الاسلام مثل مدينة تمبكتو – عاصمة مالي حاليا – التي تحولت في القرن الخامس عشر الميلادي الى جامعة اسلامية عظيمة طبقت شهرتها الآفاق ، حتى شد علماء المشرق الرحال اليها ، واتصلوا بعلماء الاسلام الافارقة يتزودون من علمهم الغزير ٠٠ وقد خلف علماء تمبكتو تراثا علميا ضخما ما زال مغمورا في خزانات الكتب ويحتاج الى من ينقب عنه ويسلط عليه الضوء ، وقد نهب الفرنسيون مخطوطات عربية اسلامية نادرة من المنطقة وذهبوا بها الى أوروبا ، والى جانب تمبكتو نشأت مدينة أغادير وهي مدينة قديمة برزت قبل ٧٠٠ سنة أنشأها الطوارق وبها مسجد أثري ضخم بني

مدينة زندر وطاوا وساي على الشط الغربي لنهر النيجر ٠

وفي الفترة من ١٨٠٤ الى ١٨١٠ م ظهر المجاهد الاسلامي عثمان دان فوديو الذي دعا الى التوحيد ونفى البدع التي علقت بالدين وجاهد دويلات الهوسا واخضعها لسلطانه ، واستمر خلفاؤه في الاحتفاظ بالسلطة ردحا من الزمن٠

الاستعمار الفرنسي :

وفي أواخر القرن التاسع عشر قاوم المحاربون المسلمون من الطوارق (١) الحملة العسكرية الفرنسية الاولى مقاومة عنيفة حتى اضطر الفرنسيون الى الاستعانة بالانجليز الذين بادروا وكان السلاح الحديث حاسما في كسر شوكة مقاومة الطوارق ، وفي سنة بارسال نجدتهم من شمال نيجيريا ١٩٢٢ م تم اخضاع النيجر تماما واصبحت مستعمرة فرنسية ٠٠

وفي سنة ١٩٥٨ م صوت النيجريون الى جانب دستور ديجول ومنح النيجر بموجب ذلك الاستفتاء الحكم الذاتي وحصل على الاستقلال التام عام ١٩٦٠ م ٠

مدينة نيامي :

ونيامي عاصمة النيجر مدينة خضراء تظلل شوارعها المرصوفة والمعبدة الاشجار الوارفة على جانبي الطريق وتتخللها الغابات والوديان ، ويرجع تأسيسها الى منتصف القرن التاسع عشر وقد أخذت اسمها من لغة الهوسا – أي المدينة التي تقع على ضفتي النهر – وحتى عام ١٩٧٠ كانت مدينة نيامي تنحصر في الضفة اليسرى لنهر النيجر ولكن بانشاء جسر « كندي » امتدت المدينة لتشمل الشاطيء الايمن

رسالة نيامي

السلطات الانجليزية في السودان التي كانت تضع العراقيل أمام المسافرين من السودان الى مصر . حيث كانت تدور في تلك الايام رحى الحرب العربية الاسرائيلية في فلسطين . وصلت الى مصر والتحقت بالازهر وكان ذلك في نهاية ١٩٤٩ اضطررت للجلوس لامتحان الشهادة الابتدائية لان هناك مواد جديدة علي مثل الرياضيات والعلوم . حصلت على الشهادة الابتدائية ثم الثانوية . بعدها التحقت بكلية اللغة العربية . وكانت معاملة الازهر لنا معاملة كريمة كان يوفر لنا السكن والاعاشة الى جانب اعانة مالية تصرف لنا شهريا . وكان معي زملاء كثيرون من النيجر جاءوا الى مصر بنفس الطريقة التي اتيت بها . بل بطريقة اصعب . لان السلطات الفرنسية تشددت اكثر . حتى الذين ينجحون في الوصول الى تشاد كان الفرنسيون يحتجزونهم ويمنعونهم من المرور الى السودان خاصة بعد ثورات الشعوب العربية في شمال افريقيا .. ويستطرد القاسم البيهقي : عندما وصلنا مصر انقطعنا تماما عن بلدنا وعن أهلنا ولم تكن هناك أي وسيلة للاتصال بالنيجر . بقيت بمصر ثلاثة عشر عاما وعدت الى النيجر سنة ١٩٦٢ أي بعد استقلال النيجر ورحيل الاستعمار الفرنسي ، وكانت لحظة لقائي بأهلي مشهداً عاطفياً مؤثرا ... » .

مع مفتش التعليم العربي :

يقول الحاج عثمان أحمد مفتش التعليم العربي ، أن تعليم اللغة العربية بصورة نظامية بدأ لاول مرة عام ١٩٥٧ عشية استقلال النيجر ، ففي أيام الاستعمار الفرنسي كان تعليم اللغة العربية نادرا وغير نظامي ، وفي مطلع السبعينات كانت المدارس التي تدرس اللغة العربية سبعا فقط ، أما الآن فلدينا مدارس تدرس اللغة العربية في ٢٥ مدينة وقرية ، وقد عمدنا الى تدريس اللغة العربية بجانب اللغة الفرنسية في هذه المدارس حتى يتمكن الطالب المتخرج منها من منافسة خريجي المدارس الفرنسية في فرص التعليم العالي والالتحاق بالوظائف الحكومية .

وحتى تترسخ اللغة العربية في أذهان الطلاب والطالبات فالى جانب علوم الاسلام من فقه وتفسير وسنة ندرس الجغرافيا والتاريخ باللغة العربية بينما ندرس الرياضيات والعلوم باللغة الفرنسية حتى اذا حصل الطالب على الشهادة الثانوية امكنه مواصلة تعليمه الجامعي في أوروبا أو في الدول العربية دون مشقة . في البداية واجهتنا مشكلة الحصول على مدرسي اللغة العربية المؤهلين وطلبنا اعارة عدد من المدرسين من البلاد العربية ولكن سرعان ما تدفق الى البلاد خريجو الجامعات الاسلامية من ابناء النيجر بعد الاستقلال مما مكننا من سد النقص . ولدينا الآن اكثر من سبعين خريجا من حملة بكالوريوس الشريعة واللغة العربية من ابناء النيجر . ولاننا بدأنا تعليم اللغة العربية قبل عشر سنوات فقد وصل الجيل الذي بدأنا به تعليم اللغة العربية الى الصف الرابع الاعدادي . ونستعد الآن لافتتاح أول مدرسة ثانوية تدرس العربية في أكتوبر القادم من هذا العام .. ويضيف مفتش التعليم العربي « نحن نرسل اكثر من ٧٠ طالبا سنويا الى الدول العربية ويتأرجح العدد زيادة ونقصا حسب المنح التي تقدمها لنا الدول العربية » .

المستوصف الصحي الاسلامي :

عبرنا جسر « كندي » الذي بنتــــه الولايات المتحدة على نهـــر النيجر ، قاصدين المستوصف الصحي الذي بنته المملكة العربية السعودية بأسم رابطـة العالم الاسلامي ، وهناك التقينا بالشيخ محمود موسى محمد الذي تخرج مـــن الازهر بعد أن قضى فيه ثلاثة عشر عاما حيث حصل على ليسانس الشريعـــــة والقانون بعدها تم تعيينه مبعوثا لرابطة العالم الاسلامي في النيجر ويقوم الآن بمهمتين ، الاولى كداعية يبث الدعوة وينشرها في النيجر ، والثانية كأميـن لمكتبة المركز الاسلامي الذي تقرر بناؤه بعد زيارة الملك فيصل ـ رحمة اللـــه عليه ـ للنيجر ، وتم تأسيسه ســـنة ١٩٧٢ ، والى جانب هذا بنت السعودية مستوصفا آخر في الضفة الشرقيــة لنهر النيجر ·· ودخلنا مكتبة المركـــز فوجدناها تزخر بالكتب التي صـــفت بعناية على أرفف أنيقـــة على جوانب المكتبة الاربعة ، وتضم كتبا باللغـــات العربية والفرنسية والانجليزية ، كتب العربية تضم كتب التراث والادبوعلوم الاسلام بشتى فروعها ، وكتب الفرنسية والانجليزية تضم مواد دراسية وثقافية عامة لفائدة طلاب المدارس وكذلـــك شاهدنا في المكتبة موسوعة في علـــم النبات والحيوان ، ومعظم المترددينعلى المكتبة من طلاب المدارس خاصة طلاب جامعة نيامي ـ أما المستوصف الصحي ويشتد الضغط على المستوصف الثاني فيتردد عليه نحو ١٤٠ مريضا في اليوم، لوقوعه وسط منطقة تزدحم بالسكان، ويتردد عليه حوالي ٢٥٠ مريضا في اليوم ، والمستوصفان مجهزان باثنيـن وعشرين ممرضا وممرضة وطبيــــب واحد مصـــــري يغطي العمـــــل في المستوصفين ، وهو متعاقد مع السفارة السعودية في نيامي التي تتحمل نفقات المستوصفين ورواتب جميع الموظفيـن والعمال ·· يقول الشيخ محمود موسى بعد افتتاح هذين المستوصفين أغلقـت جميع المستوصفات المسيحية في نيامي أبوابها لاعراض الاهالي عنها وثقتهم في اخوانهم المسلمين ، وهذه محاربـة عملية للتبشير ينبغي أن تحذو بقيــــة المناطق حذوها ··

المركز الثقافي الليبي :

ثم قفلنا راجعين الى قلب المدينة حيث يقع المركز الثقافي الليبي والتقينا بمدير المركز واسمه المبروك محمد بيغما وهو من ليبيا ، وعرفنا منه أن المركز افتتح سنة ١٩٧٥ بهدف بث اللغة العربيـــة والتوعية الدينية والمساهمة في تأهيـل أبناء النيجر مهنيا ، والمركز مجهـــز بمكتبة كبيرة القينا عليها نظرة سريعة فوجدناها تضم كتب المعارف الاسلاميـة المختلفة والادب العربي وكتب أخـــرى تعريفية عن ليبيا ، وهناك أيضا قسم للكتاب الاجنبي اكثر كتبه باللغـــــة الفرنسية وذلك لخدمة طلاب المدارس ، ويقول مدير المركز : أن الكتب تنتقـى بصفة خاصة حتى لا تضم المكتبة كتبا تناقض الفكر الاسلامي الذي تؤمن به ليبيـــا ·

ويمارس المركز نشـــاطات أخرى ، فيقوم بعمل دورات منتظمة لتعليم اللغة العربيــــة وكذلك يوجد فصل لتعليـــم الشـــباب والفتيات الضرب على الآلة الكاتبة لتساعدهم على تأهيل أنفســـهم مستقبلا ، وفصل آخر لتعليم الفتيـــات والسيدات الحياكة ، ويقدم المركــــز كذلك عروضا سينمائية وثائقيةواعلامية كما يقيم المركز معارض ثقافيـــــة في المناسبات المختلفة · يبلغ رواد المركـــز حوالي ٢٥٠ طالبا منهمملتحقون بدورات

اللغة العربية ومعهد الآلة الكاتبةومعهد الحياكة الى جانب الذيـــن يترددون يوميا على المكتبة ٠

يقول المبروك بيقما ان هناك حماسا واقبالا على دراسة اللغة العربيـــة لارتباطها بالدين الاسلامي ٠ وهنـــاك أربعة مدرسين معارين من ليبيا لتدريس اللغة العربية في مدارس النيجــر الى جانب المنح الدراسية السنوية التـــي تقدمها ليبيا لابناء النيجر ٠٠

في دار الجمعية الاسلامية :

وفي دار الجمعية الاسلامية التـــي تقع مكاتبها في فناء المسجد الكبيــر استقبلنا الحاج عمر اسماعيل رئيس الجمعيـــة ويعمل أيضا مستشـــارا في محكمة نيامي الشرعية ، تلقىتعليمه الاولي على والده الشيخ اسماعيل ثـم التحق بالمدرسة العربيـــة في ساي وقضى بها ثلاث سنوات حصل بعدهـا على منحة دراسية من العراق حيـث مكث عشر سنوات حصـــل فيها على الثانوية الدينية ثـــم على بكالوريوس العلوم الاسلامية من كلية الامام الاعظم سنة ١٩٧١ ٠

والهدف من تأسيس الجمعية هـــو العمل على اتباع تعليم القرآن والسنة ، وتوحيد كلمة المسلمين وحثهم علـــى التعاون والتعاضد والتعارف فيمـــا بينهم ، وتراقب الجمعية ما يرد مـــن الخارج أو ينشر بالداخل من كتـــب ونشرات وتطهيرهـــا مما ينافي او يتعارض مع هدى الاسلام ، وكذلـــك العمل على نشر وبث دعوة الاســـلام من خلال أجهزة الاعلام المختلفة ٠

وللجمعية سبعة مكاتب مركزية في اقاليم النيجر السبعة ويشرف المكتـب المركزي على عدد من المكاتب المحليـــة في كل محافظة ، ويبلغ عدد مكاتـــب الجمعية ٤٦ مكتبا منتخبا وعلى رأس هذه المكاتب جميعا المكتب التنفيذي الذي يتخذ من نيامي مقرا له ٠٠ ومهمـــة كل مكتب من هذه المكاتب هي التوعيـــة وتبصير الناس بأمور دينهم ، ومعظـــم المكاتب ملحقة بمساجد تقام فيهـــا الصلوات الخمس ٠٠ ومن مهام الجمعية أيضا الاشراف على بنـــاء وصيانة المساجد كما تصدر الفتاوي للرد على استفسارات المسلمين المختلفة وتمنـح اجازة خاصة للمؤهلين الذين يمكنهـم تفسير القرآن ، وتقوم الجمعيه بتنظيـم الحج سنويا الى بيت الله الحرام ٠٠

والجمعية جهاز مستقل تحتاشراف رئاسة الجمهورية واعضاء المكاتـــب المركزية واللجنة التنفيذية يتم انتخابهم بواسطة الجمعية العامة للجمعية ٠٠٠

المساجد والمعاهد الاسلامية:

يبلغ عدد المساجد التي تشرف عليها الجمعية نحو ٢٠ ألف مسجد في أنحاء النيجر المختلفة وداخل نيامي فقـــط تشرف الجمعية على ١٣٠ مسجدا منها ثلاثة تؤدى فيها صلاة الجمعة والبقية تؤدى فيها الصلوات الخمس ٠

أما المعاهد الاســـلامية فكثيرة لا حصر لها ، ففي نيامي وحدها توجـــد أكثر من عشرة معاهـــد أهلية تدرس اللغة العربية وعلوم الاسلام نظيـــر مصاريف شهرية زهيدة ٠٠

جولة في المدارس العربية :

وفي احدى الامسيات الغائمـــة ورذاذ المطـــر يتساقط فوق نيامـــي الخضراء ٠٠ لقد بدت اذن شـــهور الخريف التي ينتظرها أهل النيجـــر في شوق وترقب فأحيانا يأتي الخريـــف

بماء وفير فيخضر الزرع والضرع وأحيانا يتأخر أو يشح فتهلك المجاعة الناس والانعام ، تجولنا في ذلك العصر فالمدارس تفتح صباحا من الثامنة حتى الثانية عشرة ومساءا من الرابعة حتى السادسة أو السابعة ·

زرنا مدرسة نيامي الابتدائية ، استقبلنا مدير المدرسة الحاج ابراهيم حمه خريج الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ودخلنا أحد الصفوففوجدنا الاولاد والبنات داخل حجرة الدراسة فالمدارس في النيجر جميعها مختلطة لقلة الامكانيات مما يتعذر معه تخصيص مدارس للبنات وأخرى للصبيان ، وللفرنسيين أيضا أثرهم في بث الاختلاط · وتدرس اللغة العربية مدرسة مصرية الاصل اسمها نهى عبد الله جاءت الى النيجر مع زوجها الاستاذ نوح عبد الرحمن وبالمدرسة ثماني حجرات للدراسة ويقضي التلاميذ ست سنوات في المرحلة الابتدائية ينقلون بعدها الى المرحلة الاعدادية · ·

ثم دار محرك السيارة بنا الى مدرسة النجاح الاهلية وحجراتها الثلاثةمبنية من العشب وكل صفين يدرسان في حجرة واحدة ، انه الاصرار علىالتعليم رغم شح الامكانيات وضيق ذات اليد ، صافحنا عبد الله نوح مدير المدرسة بحرارة وخطب بعربية رصينة أمام تلاميذه مرحبا بنا ·· وعبد الله نوح تعلم العربية في موريتانيا ثم واصل تعليمه بمجهود فردي مع علماء النيجر وبالمدرسة ثلاثة مدرسين للغة الفرنسية ومدرسان للغة العربية ، وقد منحتهم الحكومة قطعة ارض كي يبنوا عليها المدرسة نسبة للنجاح الذي حققته المدرسة في امتحان الشهادة الابتدائية·

وبنيامي وحدها أربع عشرة مدرسة اهلية معظمها مبني ـ من القصب أو داخل البيوت المؤجرة في المدينة ـ وعبد الله نوح يجاهد كي يبني مدرسته وقد حصل على قدر من التبرعات اشترى به الاسمنت ويرجو أن يجد عونا يستطيع به بناء حجرات المدرسة بدل الحجرات الحالية المبنية من القصب والتي لا تقي من حر ولا برد ولا مطر ·

امتحان قواعد :

وفي المدرسة الاعدادية العربية لم نجد مديرها القاسم البيهقي حيث كان يمثل بلاده في حلقة حقوق الانسان في الاسلام . دخلنا الصف الرابع الاعدادي وجلسنا مع التلاميذ نستمع للاستاذ موسى سليمان خريج الازهر ومدرس الدين واللغة العربية بالمدرسة يشرح الآيات الكريمة « سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم » الى قوله تعالى من سورة الحشر · « ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » طلب من احد التلاميذ أن يقرأ الآية من اللوحة فقرأها مع اخطاء بسيطة ثم سأل احدى الطالبات عن معنى يشاق الله فقالت معناها يعصي الله ·

ثم دخلنا الصف الثالث الاعدادي ووجدنا الاستاذة سميحة عبد البصير وهي زوجة القاسم البيهقي ومصرية الاصل . ووجدنا التلاميذ والتلميذات منهمكين يجيبون على اسئلة الامتحان ونقرأ في اللوحة ·

٣ يونيو ١٩٧٨

امتحان اخر العام في مادة القواعد

س (١) هات جملا مفيدة تشتمل كل واحدة منها على حالة من حالات لا النافية للجنس ·

س (٢) أعرب ما تحته خط في الجمل الآتية :

أ ـ في خلافة عمر بن الخطاب فتح العرب المسلمون مصر وصيروها بلدا عربيا اسلاميا ٠

ب ـ كست الطبيعة في أيام الربيع بعض الاودية في الحقول ألوانا من الزهر ٠

ألا تتفقوا معي أن هذا هو نفس مستوى رصفائهم في المدارس الاعدادية في العالم العربي ٠

الحاجة للمطبعة العربية :

ان جهود التعريب في النيجر ستعاني خللا خطيرا اذا لم يجد التلاميذ والطلاب الكتاب العربي والمجلة والصحيفة العربية في متناول ايديهم . فالطالب الذ ييدرس اللغتين الفرنسية والعربية الان يحصل على الكتاب الفرنسي بسهولة ويقرا الصحف اليومية والاسبوعية التي تصدرها وزارة الاعلام بالفرنسية والصحف والمجلات التي تصل من باريس مرتين في الاسبوع ويستمع الى نشرة الاخبار من الاذاعة بالفرنسية . في الوقت الذي تنقطعصلته باللغة العربية فلا يقرأها من كتاب أو صحيفة ولا يسمعها من اذاعة ، ومن الطبيعي ان يزداد اتقانه للفرنسية في الوقت كذي تضمر معرفته بالعربية اليومية ٠

اذن ولكي تثمر جهود التعريب لا بد من توفير الكتاب العربي في مكتبات المدارس وفي المكتبات العامة والخاصة، لانه لا يجدها ولا يتعامل بها في حياته ولا بد من صدور صحيفة أخبارية يومية باللغة العربية ، وقبلها تشتد الحاجة لمطبعة عربية حديثة تصدر منها الكتب والصحيفة العربية ، اذ لا توجد في النيجر مطبعة عربية واحدة . ونتمنى أن تسعىمنظمة المؤتمر الاسلامي أو رابطة العالم الاسلامي لتوفير هذه المطبعة في نيامي في القريب العاجل حتى نكمل وندعم جهود الجيل الذي يكافح بضراوة من أجل احلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسيةالتي فرضها الاستعمار نحو قرن من الزمان وما زال أثرها باقيا ٠

تحية لهذا الجيل :

تحية لهؤلاء الجنود الذين يعملون في صمت وبلا ضجيج ، تحية لهذا الجيل العصامي جيل القاسم البيهقي وعثمان أحمد وصالح حسين ونوح عبد الرحمن وأحمد أبوبكر الذين ركبوا الشاحنات وساروا على الاقدام واجتازوا الاهوال ليصلوا الى مصر والى الحجاز حيث اغتربوا السنوات الطوال ينهلون من العلم ويرتقبون يوم العودة الى الاهل والاحباب ، وها هم يعودون مشاعل هدى ونور في مجاهل افريقيا الغربية، يقودون في ثقة واقتدار عودة التعريب لاهل النيجر بعد أن حرمهم الاستعمار من لغة القرآن ونقلهم من وهدة الامية والجهل والتقليد الى مشارف النور والعلم والاصالة ٠٠ تحية لهم ، وجزاؤهم عند الله الاجر الجزيل ٠٠

شعر : عبد الوهاب قتاية

ربـاه •• ياذا العطاء ••
يا مستجيب الدعـاء ••
أنزل على القلب صبرا ••
فالصبر خير العطـاء ••

●

اذا الغيوم توالـت ••
وظلمة الليل طالـت ••
وأدمع العين سالـت ••
شوقا لفجـر الضيـاء ••
يا رب •• ياذا العطاء ••
يا مستجيب الدعـاء ••
انزل على القلب صبرا ••
فالصبر خير الضيـاء ••

●

اذا الطريـق رزايـا ••
والشوك أدمى خطايا ••
والحزن ملء الحنايـا ••
يا رب •• ياذا العطاء ••
يـا مستجيب الدعـاء ••
أنزل على القلب صبرا ••
فالصبر خير العـزاء ••

●

اذا غـدا الحق مـرا ••
والدين في الكف جمرا ••
وضقت يارب صـدرا ••
شوقـا لشط النجـاء ••
يارب •• ياذا العطاء ••
يـا مستجيب الدعـاء ••
انزل على القلب صبرا ••
فالصبر سلوى وبشرى ••
يا أصدق القائلين ••
وبشـر الصابـرين ••

دراسة في نفسيات

ذكر الترمذي هذا الحديث في باب السمر . وقال القاضي عياض عنه : فيه من فقه الحديث . التحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفوس وجلاء للقلوب ، هذا بالاضافة الى ما فيه من حسن عشرة الزوج مع اهله . ففيه تأنيسهم واستحباب محادثتهم وتسليتهم بمالا اثم فيه وفيه جواز اخباره بماله معهم . وصحبته اياهم واحسانه اليهم وتذكيرهم بذلك . وفيه تركيز على ان المحبة ستر الاساءة ، لان ام زرع من كونها اسيء اليها بتطليقها ، لم تذكر ابا زرع الا بالخير بل وبالغت في ذلك وفيه ان ذكر مساوىء من ليس بمعروف عند المتكلم او السامع لا يسمى غيبة ولا يتوهم فيه ذلك ، وفيه بالاضافة الى ذلك كله : دراسة نفسية هامة في طبيعة كل من الرجل والمرأة بل وفي التربية النفسية بصفة عامة .

والحديث كله من قول عائشة رضي الله عنها ، واما المرفوع منه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقوله : « كنت لك كأبي زرع لام زرع » وزاد البخاري في روايته « غير اني لا اطلقك » وقال العسقلاني : وجاء كله مرفوعا خارج الصحيحين وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم قد سمعه

وسكت عليه وقال في اخره ما ذكر ، فيكو مرفوعا كله من هذه الحيثية (١)

وسند الحديث هكذا حدثنا على بـ حجر ، واخبرنا عيسى بن يونس عـ هشام بن عروة عن اخيه عبد الله بن عر عن عروة (بن الزبير بن العوام) عـ عائشة رضي الله عنها قالت جلست اح

الرجل والمرأة

للدكتور : محمد عبد المنعم خاطر
مدرس بكلية التربية ـ جامعة طنطا ـ مصر

المحبة تنفي الإساءة

وأكرم ساوي من ليس بمعروف عند الشدائد الإيثار والتحية

عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ان لا يكتمن من اخبار ازواجهن شيئا . فقالت الاولى . زوجي لحم جمل غث (٢) على رأس جبل وعر . لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل (٣) . قالت الثانية زوجي لا اثير خبره اني اخاف ان لا اذره (٤) ان اذكره ، اذكر عجره وبجره (٥) قالت الثالثة زوجي العشنق (٦) ان انطق اطلق وان اسكت اعلق (٧) . قالت الرابعة : زوجي كليل تهامة لا حر ولا قرولا مخافة ولا سآمة قالت الخامسة زوجي ان دخل فهد (٨) وان خرج اسد (٩) ولا يسأل عما عهد . قالت السادسة . زوجي ان اكل لف وان شرب اشتف . ولا يولج الكف ليعلم البث (١١) . قالت السابعة . زوجي عيا ياء او غيا ياء (١٢) طباقاء (١٣) كل داء له داء ، شجك (١٤) او فلك (١٥) او جمع كلا لك . قالت الثامنة . زوجي المس مس ارنب والريح ريح زرنب (١٦) قالت التاسعة روجي رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النار ، قالت العاشرة . زوجي مالك وما ملك ، مالك خير من ذلك له ابل كثيرات المبارك قليلات المسارح اذا سمعن صوت المزهر (١٧) ايقن انهن هوالك .

قالت الحادية عشرة زوجي (ابو زرع وما ابو زرع ، اناس (١٨) من حلي أذني وملامن شحم عضدي وبجحني (١٩) فبجحت الى نفسي وجدني في اهل غنيمة بشق (٢٠) فجعلني في اهل صهيل . واطيط ودائس ومنق (٢١) فعنده اقول فلا اقبح وارقد

فأتصبح (٢٢) واشرب فأتقمح (٢٣) ·

أم ابي زرع ، فما ام ابي زرع عكومها رداح (٢٤) وبيتها افساح : ابن ابي زرع فما ابن ابي زرع مضجعة كمسـل (٢٥) شطبه وتشبعه ذراع الجفرة (٢٦) · بنت ابي زرع فما بنت ابي زرع طوع ابيهـا وطوع امها وملء كسائها وغيظ جارتها ، جارية ابي زرع فما جارية ابي زرع ، لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنفث ميرتنـا تنفيثا (٢٧) ولا تملأ بيتنا تعشيشا ·

قالت خرج ابو زرع والاوطاب تمخض (٢٨) . فلقى امراة معهـا ولدان لهـا كالفهدين يلعبان منتحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحـتهـا فنكحت بعده رجـلا سريا (٢٩) ركب شربا (٣٠) وأخذ خطيا (٣١) واراح على نعما ثريا ، واعطاني من كل رائحة زوجا (٣٢) وقال كـلي أم زرع وميرى (٣٣) اهلك . فلو جمعت كل شيىء اعطانيه مابلغ اصغر انية ابيزرع·

قالت عائشة رضي الله عنها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت لك كأبي زرع لأم زرع ، وزاد البخاري في روايته غير اني لا اطلقك ·

فنحن اذا امام احدى عشرة حالة بلغـة علم النفس بعضها سوى وبعضها مريض ، والحديث ذكر ما قالته كل امراة بطبيعـة اسلوب السرد والقص والحكي ، بمعنى انه لم يرتب فيأتي بمن قبحن ازواجهـن اولا ثم بمن مدحن ثانيا لان ذلك لايتمشى مع طبيعة السمر الذي حكي فيـه ·

وسوف نتناول كل حالة سوية كانت او مريضة لنبين منها طبيعة كل من الرجـل والمرأة او بالاحرى طبيعة الرجل من خلال المرأة ·

نفسية المـرأة فتعطـى ها من القبح بقدر ما فيها

من النفور ، فالرجل فيما يبدو كان بخيلا قليل الخير متغطرسا ، معقد النفس صعب القياد ، والمرأة فيما يبدو كانت حائرة امام هذا الطلسم المعقد فلا تعرف المفتاح ولذا كان اسلوبها عنه وتصويرها له بقدر ضيقها منه : زوجي لحم جمل غث عـلى رأس جبل وعر لا سهل فيرتقي ولا سمين فينتقـــل ·

الحالة الثانية :

وفيها ابقاء الزوجة على العشرة وخوفها من الفراق فهي لا ترغب ان تذكر زوجها بسوء فيبلغه عنها فيطلقها ومع ذلك فلقد غلبت عليها طبيعتها النسوية في لمحـات خاطفة كشفت فيها عن عيوبه الظاهـرة والباطنة بذكاء حاد وتركيز مطلق: زوجي لااثير خبره اني اخـاف ان لا اذره ، ان اذكره اذكر عجره وبجره ·

الحالة الثالثة :

وفيها تصوير لصنف من الرجال فيه من الملامح الظاهرة الطول والامتداد وهو في الغالب دليل السفه وسوء الخلق ، هـذا الصنف يتميز بالحمق وسوء معاملة الزوج ولذا وصفته بقولها : العشنق وهي لفظ تحمل مدى غيظها وضيقها زوجي العشنق ان انطق أطلق وان اسكت اعلق ·

الحالة الرابعة :

وهي اول حالة سوية تنعكس عليه نفسية زوجة هادئة البال معتدلة ا

لان زوجها كذلـك فهو يحمي يضيق بالناس ، لسعة اخلاقه و وجمال عشرته وشفقته ورحم كان اسلوبها عنه اسلوب مدح عنه العذر واسباب الاذى وا انواع العشرة : زوجي كليل ولا قر ولا مخافة ولا سآمـة ·

حالة رجل تتلاعب زوجته بالمعاني وتتواري خلف الالفاظ، فلا يعرف المقصود من كلامها امدحا ام ذما ، فهو ان دخل البيت كالفهد اما في كثرة نومه وغفلته ، واما في وثوبه لجماعها ، وان خرج من البيت كان كالأسد في قوته وشجاعته ، او في حماقته وسفهه وسرعة غضبه ، ولا يسأل بما عهد اما تكرما واما غفلة وتكاسلا ، فكلامها يحتمل المعنيين زوجي ان دخل فهد وان خرج اسد ولا يسأل عما عهد .

حالة رجل بليد الاحساس ، لا يعبأ الا بنفسه فهو اذا اكل اتى على كل ما على المائدة ، واذا شرب استوعب كل ما في الاناء ، وان نام تلفف بغطائه وحده ، فلا يبالي بمن يشاركه الفراش كما لا يبالي فيخرج يده من تحت غطائه ليعلم ما يكون من حزن او مرض لقلة شفقته عليها ، او لا يضاجعها ليعلم ما يكون عندها من محبتها لقربه (زوجي ان اكل لف وان شرب اشتف ولا يولج الكف ليعلم البث) .

حالة رجل ضعيف جنسيا ، فهو كما قالت عنه الزوجة بألفاظ مشحونة بالغيظ عياياء من العي او غيايا من الغي والضلالة والخيبة وأو هنا بمعنى بل ، طباقاء اى يطبق بصدره على صدرها عند الحاجة اليها فلا يحصل لها منه الا الايذاء ، ويتحول هذا العجز الجنسي عنده الى ثورة نفسية ، تدفعه الى الضرب والشج وكل ما يسيء العشرة. فكل ما عرف من العيوب مجتمع فيه زوجي عياياء ، او غياياء ، طباقاء كل داء له داء شجك او فلك او جمع كلا لك .

حالة رجل رقيق البشرة ناعم الملمس ، ربما لا يثير في المرأة غريزة الانوثة ، بقدر ما يثير فيها من شكر النعمة ، ولذا جعلت مسه مس ارنب وطيب ثنائه في الناس وانتشاره فيهم ريح زعفران زوجي المس مس ارنب والريح ريح زرنب .

حاله زوج ينتمي الى طبقه السادة من الحكام ، الذين يختارون من بيوتات العز والشرف ، ويتميزون بالبسطة في العلم والجسم والكرم ويكونون مدعاة فخر وتباهي للزوجة والولد زوجي رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النار وقرب البيت من النار ، يكنى بها عن ظهور البيت للضيوف في ضوء نار طعامه الكثير لمن يجتمعون اليه .

الحالة العاشرة :

حالة الزوج مالك ، وما مالك ؟ هو سيد بفطرته سيد سادة مطلقة . فهو خير من كل ما تقدم . وربما كان مجرد ذكر اسمه، من دون اسماء رجالهن جميعا ، يدل على ذلك . فمالك له ابل كثيرات المبارك قليلات المسارح موقفات على الضيوف : زوجي مالك وما مالك . مالك خير من ذلك له ابل كثيرات المبارك قليلات المسارح اذا سمعن صوت المزهر ايقن انهن هوالك .

واخيرا نأتي الى الحالة الحادية عشرة . حالة ابي زرع وابو زرع ليس هو الاسم وانما هو كنية كنته بها الزوجة اما لكثرة زروعه واما تفاؤلا بكثرة اولاده . وابو زرع هو محور الحديث والنموذج الرائع للزوج ، البيت الهنيىء كما صورته ام زرع .

وأم زرع في تصويرهاله انما هي مدفوعة بدوافع نفسية متعددة ، فهو قد نقلها من معيشة المشقة والضنك الى معيشة السعة والاستقرار والامن ، واحبها واحترم شعورها واعزها ورفق بها وعاش معها حياتها بالطول والعرض واحاطها برعاية خاصة وجومريح ويبدو ان المحيطين بها من اهله كانوا كذلك .

فأمه كانت كثيرة الخير واسعة البيت وابنها منه كان ضامر الحصر ، مهفهفا قليل اللحم وذلك محمود في الرجال وبنتها منه كانت مطيعة لابيها ومطيعة لامها ، متمتعة بانوثها فهي ملء كسائها وغيظ جارتها ، وجاريته لا تنشر اخبار البيت ولا تبدد الطعام او تفسده ، فهي حريصة عليه ، بالاضافة ، الى انها مهتمه بتنظيف البيت وابعاد القذارة منه قالت ام زرع : زوجي أبو زرع وما ابو زرع . اناس من حلي اذني وملأ من شحم عضدي وبححني فبححت الى نفسي فوجدني في اهله غنيمة

الزوج الصالح خير

بشق . فجعلني في اهل صهيل واطيط ودائس ومنق . فعنده اقول فلا اقبح وارقد فاتصبح واشرب فاتقمح ، ام ابي زرع فما ام ابي زرع عكومها رداح وبيتها افساح ابن ابي زرع فما ابن ابي زرع مضجعه كمسل شطبة وتشبعه ذراع الجفرة بنت ابي زرع فما بنت ابي زرع طوع ابيها وطوع امها وملء كسائها وغيظ جارتها جارية ابي زرع فما جارية ابي زرع لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ولا تملأ بيتنا تعشيشا » .

خرج ابو زرع من عند امزرع وتصادف خروجه وقت الاخصاب مع هدوء البال واكتمال الحال وكثرة المال . فوجد امرأة تظهر عليها النجابة والانوثة ومعها ولدان لها يثبان ويجريان ويلعبان من حولها ويبدو عليها النجابة كذلك فطلق امزرع ونكحها فتزوجت ام زرع بعده رجلا غنيا فارسا شجاعا كريما ، اعطاها ما ارادت لها ولاولادها واسبغ عليها نعمته ظاهرة وباطنة ، ولكنها لم تنس رجلها الاول وكيف يكون ذلك ورجلها الاول كان والقلب اخضر والحياة متفتحة قالت « خرج ابوزرع والاوطاب فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خفرها برمانتين فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلا سريا ركب شريا واخذ خطيا واراح على نعما ثريا واعطاني من كل رائحة زوجا وقال كلي ام زرع وميري اهلك فلو جمعت كل شيىء اعطانيه ما بلغ اصغر آنية ابي زرع » فمهما اعطاها فلن يبلغ ما بلغ بمال

للزوجة من الزوج الغني

وعطائه بعض عطاء ابي زرع » .
ثم قالت عائشة رضي الله عنها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كأبي زرع لام زرع وزاد البخاري في روايته غير اني لا اطلقك » .

(١) راجع المختصر في الشمائل المحمديه وشرحها لابي عيسى الترمذي ـ مطبعة مصر ١٩٥٠ .
(٢) مهـرول .
(٣) ستقل الى البيوت للاستمتاع به .
(٤) الا اتركـه .
(٥) العجر ما تعقد من العصب والعروق وظهر نائتا على الجسد والشجر . ما كان على البطـن خاصة والمراد عيوبه الظاهرة والباطنة .
(٦) العشـق الطويل الممتد .
(٧) تركني كالمعلقة لا انا الايم ولا بذات البعل .
(٨) كان كالفهد .
(٩) صار كالاسد .
(١٠) لا يبقى شيئا من الطعام .
(١١) ليعلم ما يكون بها من حزن او مرض .
(١٢) عياياء من العي وعياياء من الغي وهـو الضلالة والغيبة .
(١٣) طباقاء يميل يطبق بصدره على صـدر امرأته .
(١٤) جرحك .
(١٥) كسر عضوا من اعضائك .
(١٦) الزرنب . الزعفران .
(١٧) عود يضرب عليه للغناء .
(١٨) اثقل .
(١٩) عظمني واكبر من شاني .
(٢٠) اصحاب غنم قليل يعيشون في مشقه وجهد .
(٢١) صهيل . صوت الخيل واطيط . صوت الابل ودائس . البقر يدوس الزرع في الدراس ومنق اى ينقون الحب ويغربلونه ليكون جاهزا للطحن والخبز .
(٢٢) الى الصبح .
(٢٣) اشرب فاروى وامتع بالشرب .
(٢٤) العكوم العدل اذا كان فيه متـاع . رداح . ثقيلة .
(٢٥) مضجعة كشطبة مسلولة من جريدة .
(٢٦) انثى ولد المعز .
(٢٧) اى لا ينقص طعاما منا .
(٢٨) الاوطاب . سقاء اللبن تمخض . يجهـز لاستخراج الزبد منها .
(٢٩) غنيا .
(٣٠) الفرس . الذي يتشرى في مشيته . اى يمضي بلا فتور وانكسار .
(٣١) رمحا خطيا .
(٣٢) النعم . الابل والبقر والغنم وثريا : كثـيرة .
(٣٣) من كل بهيمه ذاهبة الى بيته اثنين .

المكتبات ونظامها

ظهور المكتبات :

[illegible]
تخرج الناس من الظلمات الى النور . [illegible] ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين .. ما فرطنا في الكتاب من شيء ، عندما انتقل الرسول الى جوار ربه
جمع خلفاؤه هذا الكتاب بين دفتين . فكان اول كتاب عرفه العرب وتداولوه
بعد ظهور الاسلام . ثم تنبهت الاذهان الى الكتاب واهميته . ولم يكد القرن
الثاني الهجري يطل حتى يظهر الموطأ لمالك بن انس . ثم تتالت الكتب وظهرت
وانتشرت في كل علم واختصاص . واصبح الكتاب من التحف الغالية التي
يحرص الناس على اقتنائها . ويتنافسون على اقتنائها .

نشوء المكتبات :

عني الخلفاء المسلمون منذ فجر العصر الاموى بالكتاب وتكثيره ونشرة بين الناس ، وعمدوا الى انشاء الخزائن التي تضم الكتب والدفاتر والسجلات . كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعا لهم ولابنائهم . وكانوا يزودون المساجد الجامعة في كل اقليم بالخزائن التي تضم المصاحف وكتب العلم . وكان كثير من العلماء منذ زمن قديم يوقفون كتبهم واوراقهم ومحفوظاتهم على خزائن المساجد ودور العلم يتقربون بذلك الى الله ويرجون مثوبته ومرضاته ، كما لجأ من احب نشر العلم الى انشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ، ويفتح ابوابها للناس .

انواع المكتبات :

كانت المكتبات نوعين رئيسيين : عامة وخاصة ، اما العامة فقد كان ينشئها الخلفاء والامراء والعلماء والاغنياء . وكانت تشيد لها أبنية خاصة ، واحيانا كانت تلحق بالمساجد والمدارس ، وقد كانت هذه المكتبات كثيرة جدا بحيث كان من العسير ان تجد مسجدا او مدرسة دون ان تكون مزودة بمجموعة من الكتب يرجع اليها الطلاب والباحثون . اما الابنية الخاصة بهذه المكتبات فكانت تشتمل على حجرات متعددة تربط بينها اروقة فسيحة، وكانت الكتب توضع على رفوف مثبتة بالجدران ، وكل حجرة تخصص لفرع من فروع العلم ، فلكتب الفقه غرفة ، ولكتب الطب غرفة ، ولكتب الادب غرفة وهكذا . وكانت الكتب توضع على رفوف مثبتة للنساخ ، وغرف للراحة وتجديد النشاط، وغرف لحلقات الدراسة والنقاش العلمي بين رواد تلك المكتبات ، وكانت جميعها

للاستاذ
عدنان سعد الدين
مسئول قسم المناهج والكتب المدرسية
بوزارة التربية والتعليم ابوظبي

غريب يطلب الادب وكان معسرا اعطاه صاحب هذه الدار وورقا (كتبا ونقودا) وكانت تفتح ابوابها في كل يوم .

العناية بالكتاب :

لقد بلغت العناية بالكتاب مبلغا كبيرا، واولع الناس به بصورة مدهشة . ولعل الادب العربي هو اغنى الآداب العالمية القديمة بالتغني بالكتاب والولع به والرغبة فيه والتحدث عنه . حتى لكأنه حبيب نأي مزاره وشطت داره . فالقلوب اليه منصرفة وبه مولعة . قال احمد بن اسماعيل الكتاب هو السامر الذي لا يبتدئك في حال شغلك . ولا يدعك في وقت نشاطك . ولا يحوجك الى التجمل له . والكتاب هو الجليس الذي لايطريك . والصديق الذي لايغريك .

ومن منا لا يذكر قول المتنبي أبي الطيب

اعز مكان في الدنا سرج سابح
وخير جليس في الأنام كتاب

تؤثث تأثيثا فخما ومريحا . وكان في بعضها غرف لطعام روادها ومبات للغرباء منهم .

ومن اشهر هذه المكتبات المكتبة الحيدرية بالنجف وهي لاتزال حتى يومنا هذا . ومنها مكتبة ابن سوار بالبصرة . وهي مكتبة ذات شأن خاص . لان التدريس فيها عنصر هام بجوار الكتب . اما بيت الحكمة الذي اسسه الرشيد فكانت من اعظم مكتبات العصر الوسيط . وكانت بمثابة أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون واوى اليها الطلاب والدارسون .

نظام المكتبات :

سارت المكتبات على نظام دقيق . كالذي قيل في مكتبة علي بن يحيى بن المنجم . فقد كان له قصر عظيم في ضاحية بغداد . جعله مكتبة وسماها خزانة الحكمة . يقصدها الناس من كل بلد . فيقيمون فيها . ويتعلمون فيها صنوف العلم . والكتب مبذولة في ذلك لهم . والارزاق مغدقة عليهم . وكل ذلك من مال علي بن يحيى نفسه . وكان في الموصل دار انشاها ابو جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي . وسماها دار العلم . وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفا على كل طالب علم . لا يمنع احد من دخولها . واذا جاءها

نظام التعليم في الاسـلام :

ثم ان النظام التربوي في الاسلام يتجنب توقيع العقوبة على الناس ماوسعه ذلك ، ويعتمد في بث مبادئه ، وفي تكوين الفرد وتنظيم المجتمع وفق هذه المبادىء على التربية والتوجيه وتمكين الايمان من القلب ، والاخلاق الفاضلة في النفوس ، كما ان الاسلام يدرأ الحدود بالشبهات ، ويكره لا تباعه التحرى عن حياة الناس والتنقيب عن خفاياهم ، ليترك للمذنب طريق العودة وسبيل الرجوع الى الصواب والاستقامة ، ولا يلجأ الاسلام الى العقوبة الا اذا فشلت جميع الطـرق والاساليب التربوية والتعليمية والتحذيرية ٠٠ الخ وعندئذ فلا مناص لتقويم الفرد وحماية المجتمع من القصاص لحفظ النوع وصون الحياة ، كما ورد ذلك في قول الله تعالى : « ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب » هذا هو منهج الاسلام بالنسبة للكبار ، اما الصغار فقد اخذهم الاسلام بالاناة والرفق، وعاملهم بالعطف واللطف ، وهذا ماتعلمه المسلمون من رسول الله عليه السلام الذي كان اعظم الناس رفقا بالصغار وحدبا عليهم ورعاية لهم ٠

التربية الاسلاميـة والعقـاب :

يجمع المربون المسلمون على عدم اللجوء الى العقوبة الاعند الضرورة ، ويـرى كثيرون منهم ان تسبق التوجيهات والنصائح توقيع العقوبة ، فان لم يجد ذلك نفعا ، فلا مفر من توقيع العقوبة ، على ان يكون البدء باللجوء الى العقوبة المعنوية اولا ، كالعبوس واللوم والتوبيخ على انفراد ، ثم امام الرفقاء ، فاذا لم يجد ذلك نفعا لجأ المؤدب الى العقوبة الجسدية غير المؤذية كالوخز والضرب غير المبرح ، ويستـدل المربون على ذلك بالحديث الشريف: « مروا ابنائكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر » ٠

آراء المربين المسلمين في العقاب :

عالج المربون المسلمون موضوع العقاب، وصدروا عن ذلك بدراسات هامة وابحاث رائدة ، واشهر هؤلاء : القابسي وابـن سينا والغزالي وابن خلدون وابن سحنون، يقول القابسي : من حسن رعاية المعلم للأطفال ان يكون بهم رفيقا ، فقد جـاء عن عائشة رضي الله عنها قول الرسول عليه السلام : من ولي من أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث اخر : ان الله يحب الرفق بالامر كله ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء٠

ويذهب ابن سينا الى ضرورة البـدء بتهذيب الطفل وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام ، قبل ان ترسخ فيه العادات المرذولة التي تصعب ازالتها اذا تمكنت من نفس الطفل ، اما اذا اقتضت الضرورة الالتجاء الى العقاب ، فينبغي مراعاة منتهي الحيطة والحذر ، فلا يؤخذ الولـد اولا بالعنف ، وانما بالتلطف ، ثم تمزج الرغبة بالرهبة ، وتارة يستخدم المعلم العبوس اوما يستدعية التأنيب، وتارة اخرى يكون المديح والتشجيع اجدى من التأنيب ، ولكن اذا اصبح من الضروري الالتجاء الى الضرب فينبغي الا يتردد المربي بذلك ، على ان تكون الضربات الاولى موجعة حتى تحدث في نفس الطفل الاثر اللازم ، وتجعله ينظر الى العقاب بعين الجد ، ولا يكون هذا الا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعـاء لاحداث الاثر المطلوب في نفس الطفل ٠

ويميز الغزالي بين طرق تأديب الاطفال تبعا لاختلاف امزجتهم ، فهذا طفل يتميز بالحياء والحساسية ، فيستعان على تأديبه بحيائه ، وذاك أميل الى الخلق الجميـــل والفعل المحمود ، فيلزم ان يكرم ويجازي عليه ويمدح بين الناس •

وقد تكلم ابن خلدون كلاما دقيقـا في استعمال الشدة مع الطالب ، وقرر انهـا مضرة به، لان ارهاق الجسد مضر بالمتعلم، يذهب بنشاطه ويحمله على الكسل والكذب والتظاهـر بغير مافي ضميره خوفا مـن العقاب ، وربما اعتاد هذا الموقف والفه فتكسل نفسه عن اكتساب الفضائـــل والخلق الحميد ، لانه تعود ان يكتسب الفضائل خوفا من العقوبة والشدة ، فاذا رفع عنه القهر يوما بعد عن الفضيلـة وربما سلك درب الرذيلــة •

واما ابن سحنون فقد كان يلح بشدة على وجوب الابتعاد عن استعمال الضرب والشتم ، لما في ذلك من الفساد ، وفي هذا يقول لمؤدب ولده محمد حينما سلمه اياه ليعلمه : ولا يؤدبه الا بالمدح ولطـــف الكلام ، وليس هو ممن يؤدب بالضرب او التعنيف •

رعايــة الدولة للطفـــل :

أولت الدولة الاسلامية رعاية الط كبير اهتمام في بعض العهود ، واخذ على عاتقها حماية الاطفال من اساليـ القسوة والعنف التي يلجأ اليها غـلا القلوب من المدرسين ، فكلفت رئيـ الشرطة بملاحقة هذا الموضوع ، والاتصـ بالكتاتيب للتاكد من معاملة الاطفال معاه طيبة ، وكيلا تقع على الاطفال اي قسـ من جانب بعض المعلمين •
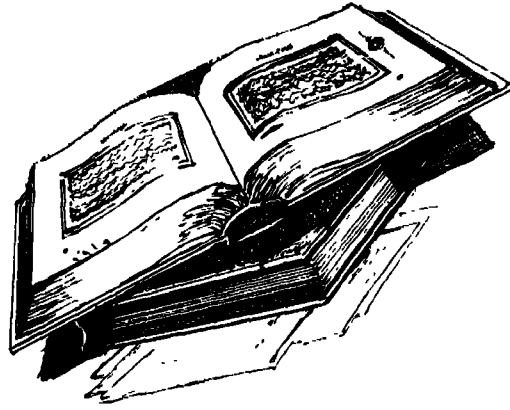
ومرجع ذلك كله الى الاســلام و توجيهات رسول الله عليه الصلاة والسـ والى ايات القرآن الكريم : « ان الله يحـ الرفق بالامر كله ، وانما يرحم الله ـ عباده الرحماء » «والكاظمـــين الغيـ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين»

التربيــة الاسلاميــة والثــواب

وكما بحث المربون المسلمون موضـو العقاب، تناولوا بالدراسة موضوع الثواـ فنصحوا باستخدام صنوف التقدير مـ الطفل ، لشحذ همته وتنشيط طاقته ، و ذلك المديح والتشجيع ومنحـه المكافـ المالية ، فما يعطى للتلميذ نظير تفوقه مسابقة يسمى جائزة ، وما يعطى نظيـ تفوقه بلا مسابقة يسمى مكافأة وقـ انتشرت المكافآت الماليـــة في المدارس وجمـــل القائمـــون على امر التعليـ لها حصيلـــة في اوقاتهـــم • وهـــ يتفق مع الاسلوب القرآني في ان يسـ الترغيب مع الترهيب جنبا الى جنب لبلو الانسان ماتصبو اليه التربية الاسلامية من السمو والكمــال •

للبحث صلـــة :

للاستاذ: عبد الفتاح مقلد الغنيمي
جامعة الملك عبد العزيز
- مكة المكرمة

الاسلام دين الحق والعزة ، دين الاخاء والتسامح ، دين الفضيلة والاخلاق السمحة دين القيم الانسانية دين اقام دولة قوية امتدت عبر قارات العالم القديم آسيا - افريقيا واوربا ، دين يسعى لكي يجعل العالم أمة واحدة تنطوي تحت راية التوحيد ، راية لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، دين يمتد في عمقه التاريخي ، عبر اكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، دين قدم للانسانية الهدى والرحمة واخرجها من الظلمات الى النور ، ومن أجل قوة القيم والمبادىء ، فان هذا الدين القويم يتعرض للمحاربة في كل مكان وله أعداء كثيرون يحيطون به من كل جانب ويسعون لكي يهدموا بنيانه « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم » ولكن كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وفي كثير من بلاد العالم يقاسي اخوة الاسلام أنواعا من الاضطهاد والقتل والتشريد والحرمان ويخضعون لكثير من المآسي ومن بين تلك الجموع الاسلامية ، المسلمون الذين يعيشون في الدول الشيوعية الملحدة التي ترى في الاديان وخاصة الدين الاسلامي خطرا يتهدد وجودها ويقوض أركانها ومن هنا فان الملحدين يحاربون الاسلام بشتى الطرق والوسائل.

ومن هنا فقد أردنا أن نأخذ دولة من هذه الدول التي يعاني فيها المسلمون الاضطهاد ، لكي نلقي نظرة على الاسلام والمسلمين بها عبر أدوار التاريخ المختلفة ولكي يرى أخوة الاسلام في مشارق الارض ومغاربها كيف يقاسي الذين يجاهدون في الله حق جهاده ولا يريدون أن يموتوا الا وهم مسلمون .

وللاسلام في بلغاريا قصة طويلة نبدأها :

تطلع المسلمين لفتح أوربا

لقد تطلع المسلمون الاوائل منذ استقرارهم ببلاد الشام الى فتح مدينة القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وضمها لدولة الاسلام الكبرى ، ولم يكن فتح تلك المدينة بالنسبة للمسلمين الا بداية لمرحلة يتم بعدها الانطلاق في أوربا من الشرق وتكون القسطنطينية رأس جسر للانسياح من خلالها الى سهول أوربا الشرقية ، لذا فقد بدأ المسلمون منذ عهد معاوية بن أبي سفيان يتجهون الى فتح القسطنطينية ، ولكن وفاة معاوية والاحداث الداخلية في الدولة الاسلامية حالت دون اتمام الفتح الا أن المسلمين قاموا في عهد سليمان ابن عبد الملك بغزوة ثانية لفتحها ولكن حالت دون تمامها الاحداث ، ووقف المسلمون أمام هذه المدينة دون اخضاعها ولكن مع ذلك فقد ظل فتح القسطنطينية

أملا يداعب أفئدة المسلمين ويسيطر على أفكارهم ، كذلك فانه في عهد الدولة العباسية أعاد المسلمون الكرة عليها مرتين الاولى في عهد الخليفة المهدي والثانية في عهد الخليفة هارون الرشيد ·

وعلى الرغم من أن هذه الغزوات الاسلامية المتكررة لتلك المدينة لم تمكن المسلمين من احتوائها وضمها لدولة الاسلام الكبرى ، الا أن القسطنطينية لم تقف حائلا دون المد الاسلامي حيث نجد أن الدعوة الاسلامية السمحاء استطاعت أن تتخطى هذه المدينة غربا وأن تتجاوزها لكي تمتد الى سهول أوربا الشرقية ، ولذا فقد أصبحت تلك المدينة رأسا بلا جسد ، بعد أن بلغ المد الاسلامي كل الارجاء المحيطة بها واستطاع أن يصل الاسلام الى بلاد الصقالبة ، وما يعرف اليوم باسم بلغاريا ، حيث انتشر الاسلام وعقيدته في تلك الديار ·

وموضوع الدراسة الذي نقدمه هنا للقارىء العربي والمسلم في كل مكان هي بلغاريا والتي هي احدى الدول الشيوعية البلقانيةومساحتها ١١٠ر٩١٢ كيلومترا مربعا وعاصمتها صوفيا ، ويحدها من الشمال رومانيا ومن الجنوب تركيا واليونان ومن الشرق البحر الاسود ومن الغرب يوغسلافيا، ويتكون وسط البلاد جبال البلقان بينما تنتشر سهول الدانوب في الشمال وجبال الرودويلا في الجنوب ·

وعن حدودها السياسية في الفترة التي دخل فيها الاسلام والمسلمون في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) فان بلاد الصقالبة ، بلغاريا كانت تشمل مساحات واسعة وكبيرة من شرق أوربا وحدودها الحالية لم تظهر للعالم الا بعد الحرب العالمية

الثانية وانضمامها الى الكتلة الشيوعية

·

أما عن انتشار الاسلام بها واعتناق أهلها للديانة الاسلامية واتصالها بالعالم الاسلامي وخاصة في عهد الخلافة العباسية في بغداد في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) فهو ما سنحاول القاء الضوء عليه مع اعطاء فكرة عن الاسلام في عهد الاتراك العثمانيين والوضع الحالي للمسلمين في ظل الحكم الشيوعي ·

وتذكر الروايات التاريخية انالاسلام دخل بلغاريا عن طريق الهجرات الاسلامية الفردية وعن طريق الجهود التي كان يقوم بها الدعاة المسلمون من أجل نشر الدين الاسلامي الحنيف في شتى بقاع الارض مثلما انتشر في أجزاء كثيرة أخرى من العالم جنوب شرق آسيا ، اندونيسيا ، الفلبين ، ماليزيا وكذلك الانتشار السريع القوي في افريقيا وجنوب الصحراء الكبرى وكل جزء من أجزاء العالم وصل اليه الدين الاسلامي عن طريق الدعاة والتجارة وان أهل بلغاريا اعتنقوا

الاسلام دون فتح او غزو ٠

كذلك فان المصادر العربية لم تذكر شيئا مطلقا عن قيام المسلمين بغزو هذه الاراضي ولا عن تقدم قوات اسلامية لفتحها الا ان الارادة الالهية شاءت ان ترفع فوق ربوعها راية لا اله الا الله محمد رسول الله في وقت بلغت فيه الدولة الاسلامية اقصى اتساعها وازهى عصور ازدهارها وتقدمها ٠

ولم يعرف على وجه التحديد تاريخ دخول الاسلام الى تلك الديار واعتناق بعض افرادها لذلك الدين وان كانت الاحداث تؤكد بان الاسلام وصل الى بلغاريا عام ٥٠ هـ او قبل ذلك بقليل ويستدل بعض المؤرخين على ذلك ان الغزوة الاسلامية الاولى التي خرجت لغزو القسطنطينية بقيادةيزيد بن معاوية ابن ابي سفيان والتي استمرت فترة طويلة في حصارها تؤكدها المصادر بسبع سنوات في حصارها مما استدعى قائدها ان يأمر المقاتلين المسلمين باقامة المساكن وحفر الخنادق اتقاء برد الشتاء القارس والقيام بالزراعة والانسياح في الاراضي الواسعة المحيطة بمدينة القسطنطينية لقطع المعونة عن المدينة من المناطق القريبة التي ربما تأتي منها الامدادات هذه المناطق هي (بلغاريا) وبذلك فقد انساح بعض المسلمين في السهول الواسعة الممتدة غربا حتى وصلوا الى بلاد الصقالبة وقد انقطع الاتصال بينهم وبين باقي القوات الاسلامية المحاصرة لمدينة القسطنطينية ولكن الرواية ضعيفة المصدر وان كان هناك احتمال لتصديقها ٠

ويذكر لنا لويس أرشبالد في كتابه القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ان القسطنطينية عندما تعرضت للغزوة الاسلامية الثانية في عهد سليمان بن عبد الملك وحاصرتها حصارا شديدا حتى كادت ان تسقط فان الامبراطور البيزنطي استغاث بالصقالبة سكان المناطق الغربية والقريبة ومنها (البلغار) وقد قام هؤلاء بمهاجمة مؤخرة الجيش الاسلامي واشتبكوا معه في قتال عنيف وربما يكون قد وقع بعض الاسرى المسلمين في ايدي البلغار وهذا هو شان كل المعارك وان هؤلاء الاسرى كانوا بالاضافة الى اخوانهم مقاتلي الغزوة الاولى هم النواة الاولى للمسلمين من بلاد البلغار وانهم ربما يكونون قد قاموا بالدعوة للاسلام بين هؤلاء الاقوام الذين لم تكن قد بدات تنتشر بينهم المسيحية على نطاق واسع ٠

الدخول في الاسلام :

يذكر لنا ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان ، ان الاسلام قد انتشر على نطاق واسع في بلغاريا واعتنقه الشعب البلغاري في منتصف القرن الثالث الهجري ، ذلك ان ملك بلاد البلغار قد اعتنق الاسلام هو ورعيته وأسرته المالكة ، وأن الاسلام قد أصبح الدين الرسمي للبلاد بعد اعتناق الملك لدين الله الخالد ، ودخول أكثرية السكان فيه ، وقد عمل الملك على نشر هذا الدين الجديد بين البقية الباقية من الشعب البلغاري ، وذلك احساسا منه بعظمة هذا الدين وقوته وحضارته وتقدم أهله واتساع ملكهم وانتشار دينهم ٠

العلاقات بين الخلافة العباسية وبلغاريا :

ويذكر ياقوت أيضا بأن ملك البلغار المسمى (ألمس بن شكلي بلطواز) قد أرسل للخليفة العباسي المقتدر بالله

في بغداد رسالة مع رسول له يعرفه فيها باعتناقه للاسلام هو ورعيته وأسرته المالكة . ويسأل الخليفة أن يرسل بعض العلماء والفقهاء والدعاة المسلمين لكي يعلموه ورعيته الصلاة وتعاليم الدين الاسلامي الصحيحة ، كما يعلمه أنه يريد أن يحكم ويقيم الحكم طبقا للشريعة الاسلامية الغراء في مملكته وأنه يريد أن يقيم علاقات طيبة ، مع البلاد الاسلامية جميعها وخاصة مع الخلافة العباسية في بغداد ·

وهذه الرسالة التي تم تبادلها بين الخليفة العباسي المقتدر بالله وبين ملك البلغار المسمى بن شكلي بلطواز . قد وردت للعاصمة العباسية بغداد في عام ٢٩٦ هـ ـ ٨٦٩ م · ويتساءل ياقوت في حديثه عن بلاد البلغار بانه لا يعرف السبب في اسلام الملك واسرته المالكة وبعض افراد رعيته ، ولكن الذي لا شك فيه ان هذا الدخول في دين الله افواجا قد تم عن طريق بعض المسلمين

في بلاط الملك البلغاري . وانهم هم الذين كانوا السبب في اسلامه هو وبعض رعيته . بعد ان شرح الله صدرهم للاسلام ولا يستبعد انتشار بعض الدعاة من المسلمين في بلاد البلغار . وقد يكون من بينهم بعض الذين كانوا يقومون بالاعمال التجارية والصناعية وبعض الحرف الاخرى . ويؤكد ذلك ما جاء في رسالة الوفد الاسلامي الذي وصل عاصمة بلغاريا . بانه كان يوجد في بلاط الملك خياط مسلم وكان يعمل خياطا للملك واسرته ·

وربما يكون هناك بعض المستشارين العسكريين للملك ، من الذين تم أسرهم فيغزوة القسطنطينية الثانية او من ابنائهم ويذكر المستشرق بارتولد في كتابه تاريخ الحضارة الاسلامية . بانه كان يوجد في أوائل القرن الثالث الهجري مدرب عربي مسلم يقوم بتدريب جيش البلغار على فن القتال ، وقد يكون هؤلاء خرجوا من بلاد الاسلام يدفعهم الحماس الشديد لنشر دينهم الاسلامي ، الى الرحيل الى بلاد بعيدة لم يعرف أهلها الاسلام ولم يسمعوا عنه ، ومن هنا فانهم يدعون لدينهم الحنيف بين تلك الشعوب الاوربية ومن ثم كان وصولهم الى بلغاريا ·

وقد يكون هؤلاء القوم في بلاط الملك البلغاري بهذه الاعداد وتقربهم من الملك هم الذين أشاروا عليه بارسال تلك الرسالة الى الخلافة العباسية ، ويؤكد ذلك ما جاء على لسان حامل رسالة الخليفة بانه قضى بضعة أيام في ضيافة خياط مسلم من اهل بغداد في العاصمة البلغارية ·

الوفد الاسلامي في بلغاريا :

تذكر الروايات التاريخية ان أحمد

ابن فضلان العباسي بن راشد بن حماد مولى محمد بن سلمان رسول المقتدر بالله الخليفة العباسي الى ملك البلغار ، قد كتب رسالة ذكر فيها ما شاهده منذ ترك بغداد عاصمة الخلافة العباسية . في طريقه الى عاصمة البلغار ، حتى عودته مرة اخرى الى دار الخلافة .

ومما جاء في رسالته أن الرحلة قد بدأت في الحادي عشر من شهر صفر عام ٣٠٩ هـ وانهم وصلوا الى عاصمة البلغار في الثاني عشر من شهر محرم عام ٣١٠ هـ ومن هذه الفترة التي تقترب من العام يتبين لنا طول المسافة بين بغداد وعاصمة البلغار ، التي ذكرها الوفد بالمراحل والفراسخ وحددها بين بغداد والقسطنطينية وبين القسطنطينية وعاصمة البلغار .

ويضيف رسول المقتدر بالله بان الرسالة التي ارسلها ملك البلغار يذكر فيها بانه يريد من الخليفة ان يرسل له على وجه السرعة من يفقهه في الاسلام . ويعرفه شريعته السمحاء . ويبني له مسجدا فخما في العاصمة على طراز مساجد بغداد . وينصب له منبرا لكي يقيم عليه الدعوة الاسلامية في جميع بلدان مملكته . وانه سوف يقوم بارسال علماء الاسلام الذين يفدون من بغداد الى شتى أنحاء مملكته ، لكي ينشروا الاسلام ويدعو له بين أفراد الشعب . وكذلك فانه يرغب في من يقوم له ببناء حصن يتحصن فيه وأسرته من الملوك المخالفين للعقيدة الاسلامية ، والذين ربما يهاجمونه نظرا لدعوته الى الاسلام من أفراد رعيته ورعية الملوك الآخرين وعمله على أن ينصح بلاد الصقالبة كلها لتدين بالدين الاسلامي .

وقد أجيب ملك البلغار الى طلبه وكان السفير اليه نذير الخرمي أحد رجال البلاط العباسي في بغداد الذي اشتهر بقوة ايمانه وتحمسه لنشر الدين الاسلامي وقوة حجته ، بالاضافة الى أنه صحب معه كل ما طلبه ملك البلغار من الخلافة العباسية في رسالته وايضا بعض رجال الجيش الذين كان لهم الفضل في تدريب الجيش البلغاري وقد درب هؤلاء الجيش البلغاري على ركوب الخيل وتسلق القلاع ومهاجمة الحصون ، وقد ساعد وجود هؤلاء المدربين على انتصار البلغار في حروبهم ضد الدولة البيزنطية .

مشاهدات الوفد في بلغاريا :

لقد أعطى لنا سفير الخلافة العباسية وصفا طيبا عن بلاد البلغار وتحدث عن احوال الشعب وطرق معيشتهم وملابسهم وطريقة بناء المساكن عندهم (انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان مادة بلغار) وعاداتهم وتقاليدهم ، ويصف لنا الاستقبال الرائع الذي قوبل به الوفد الاسلامي العباسي عند وصوله الى القصر الملكي فيقول : لقد استقبلنا الملوك الاربعة الذين تحت يديه واخوانه وأولاده استقبلونا ومعهم الخبز واللحم وعند مدخل القصر الملكي تلقانا الملك بلطواز ، نفسه ولما رآنا خر ساجدا لله شاكرا على وصول وفد الخليفة الى بلاده واستجابة الخليفة المقتدر بالله لرسالته وتحقيق مطالبه ، وكان في كمه دراهم ذهبية نثرها علينا ونصب لنا قبابا نزلنا بها ، وقام يجمع ملوك أرضه (أمراء الاقاليم) وخواص شعبه وذلك لكي يستمعوا الى قراءة الكتاب المرسل من الخليفة العباسي ، وهنا اشارة الى الانتشار للاسلام قبل دخول الوفد بأن الذي قام بترجمة كتاب الخليفة الى اللغة البلغارية هو احد المسلمين الذين كانوا في بلاده وكان يتحدث

العربية والبلغارية ٠
ويضيف السفير ثم ألبسنا الملك لباس السواد وهو شعار الدولة العباسية وعممناه ، وقرأنا عليه كتاب الخليفة وكتاب الوزير حامد بن العباس، ونثر أصحابه الدراهم علينا وربما تكون تلك عاداتهم في استقبال الوفود الرسمية ، ثم أخرجنا له الهدايا المرسلة من الخليفة ووزيره وعرضناها عليه ، ثم خلعنا على امرأته أيضا وكانت جالسة بجواره ، ويصف رئيس الوفد نذير الخرمي«بأنه كان يخطب لملكالبلغار في المساجد قبل وصولنا بالآتي « اللهم أصلح الملك بلطواز فقلت له أن الله هو الملك ولا يجوز أن يخطب له بهذا الاسم ولا لاحد سيما على المنابر في المساجد ، وهذا مولاك أمير المؤمنين قد أوصى لنفسه أن يقال له على منابره في الشرق والغرب « اللهم اصلح عبدك وخليفتك جعفر الامام المقتدر بالله أمير المؤمنين ، ثم قال كيف يجوز أن يقال ؟ فقلت له : يذكر اسمك واسم أبيك ثم قال ان ابي كان كافرا وأنا أيضا ما أحب أن يذكر اسمي الذي كان سماني به كافرا ، ولكن ما اسم مولاك أمير المؤمنين الخليفة ، فقلت : جعفر ، فقال : أيجوز أن أتسمى باسمه ؟ فقلت: نعم ، فقال : قد جعلت اسمي جعفرا واسم ابي عبد الله وتقدم الى الخطيب الذي يخطب في مسجد العاصمة بذلك ، وطلب منه أن يخطب له اللهم اصلح عبدك جعفر بن عبد الله ملك بلاد البلغار مولى أمير المؤمنين ٠

بل الاكثر من ذلك، فانه أصدر منشورا وزعه وأعلنه على الشعب وحكام الاقاليم ، بأن اسمه أصبح من الآن فصاعدا جعفر بن عبد الله بدلا من « المس بن شكل بلطواز » وصارت كل المكاتبات والمراسلات تصدر باسم جعفر بن عبد الله ملك البلغار ٠

ومن تلك الروايةالتاريخية التي رواها رسول الخليفة العباسي تبين لنا أن الاسلام الدين السمح والرسالة الخالدة خاتمة الرسالات السماوية قد اعتنقها ملوك الارض في يسر وسهولة واقبلوا على الدخول في دين الله أفواجا تدفعهم الرغبة والحماس للاسلام في الانضواء تحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله ، بل الاكثر من ذلك فان ملوك البلاد قد عملوا على الدعوة للدين الجديد بين أقوامهم ومن ذلك نرى أن ملك البلغار كان يعمل بنفسه واسرته الحاكمة لتمكين الدعاة والفقهاء والعلماء الذين وصلوا من البلاد الاسلامية بالدعوة بين شعبه ورعيته بل الدعوة بين الشعوب المجاورة وهذا يدل على مدى الحماس والايمان برسالة الحق والعدل خاتمة الرسالات ٠

المد الإسلامي من بلغاريا الى المجر :

لقد تمكن الاسلام في قلوب اهل بلغاريا حتى خرجوا يدعون له في الاقطار المجاورة ، وفي ذلك يشير ياقوت الحموي من أن الاسلام قد انتشر من بلغاريا حتى وصل الى المجر غربا وهذا يعود للدور الكبير الذي قام به ملك البلغار المسلم وللتسهيلات التي منحها للدعاة وفي ذلك يقول : انه تقابل في حماة ببلاد الشام مع بعض الاهالي من المجر ، وانهم حدثوه برواية وهي أن الاسلام قد وصل الى بلادهم عن طريق بلغاريا وهذا أبلغ دليل على نشاط الدعاة المسلمين في نشر الاسلام فيقلب أوربا ٠

ويذكر مسلمو المجر في روايتهم لياقوت ، ان جماعة منمسلمي بلاد

البلغار قد قدموا منذ فترة طويلة الى بلادهم وسكنوا بينهم وتلطفوا في تعريفهم ما هم فيه من الضلال والكفر وأرشدوهم الى الصواب وهو اعتناق الدين الاسلامي الحنيف فهداهم الله والحمد لله وأسلموا جميعا وشرح الله صدورهم للايمان ٠

وتلك هي صفحة من صفحات الجهاد الاسلامي المتواصل في القارة الاوربية في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) والتي تدل على ما بذله الدعاة المسلمون في الوصول بتلك الرسالة الى تلك الاصقاع كذلك تدل على مدى حماس الشعوب الاوربية للاسلام وتقبلها للدين الجديد ورغبتها في اعتناقه والايمان بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والانطواء تحت الراية الاسلامية الخفاقة العالية المنتشرة في كثير من الارجاء ، واحساسهم بالعزة والكرامة والقوة وهم ينطوون تحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله في وقت كانت تعيش فيه شعوب شمال اوربا في عصور الجهل والظلم والوحشية ولم تكن مبادىء الحضارة والمدنية قد بدأت تصل اليهم بعد ، ولكن اخوانهم شعوب البلغار والمجر كانوا قد اعتنقوا الاسلام وتشربوا حضارته الراقية ٠

الاسلام في العصر العثماني

لقد فتح العثمانيون مدينة بلوفديف عام ١٣٦٣ م بعد فتحهم لادرنة في عهد السلطان اورخان ثم فتحوا صوفيا عام ١٣٨٥ م ولم يصل عام ١٣٩٣ م حتى كانت بلغاريا كلها تحت الحكم العثماني وقد دام الحكم الاسلامي في بلغاريا في جنوب البلاد ٥٤٥ سنة وفي شمالها ٥١٥ سنة وعندما دخل العثمانيون بلغاريا أخذ الكثير من هذا الشعب يعتنق الاسلام ورجع الكثير منهم الى اللغة التركية وينقسم المسلمون في بلغاريا الى ثلاث قوميات الاتراك والبلغار والغجر أما المسلمون البلغار فيكثرون في جبال الرودبلار الجنوبية٠

وعندما أستقلت البلاد عن تركيا عام ١٩٠٨ م كان المسلمون يشكلون الاكثرية ولكنهم بعد ذلك أخذوا يتعرضون لمضايقات كثيرة فاضطر بعد ذلك أكثرهم للهجرة وأدت هذه الهجرة الى انخفاض نسبتهم الى ٢٨٪ من مجموع السكان ٠

المسلمون في ظل الشيوعية:

في عام ١٩٤٦ سيطر الشيوعيون على الحكم فاقاموا جمهورية، والغوا الملكية وفي ظل الحكم الشيوعي يقاسي المسلمون المحن بعد ان كان الحزب الشيوعي البلغاري قد وعد المسلمين اثناء الحرب العالمية الثانية بانصافهم واعطائهم الحريات الكاملة في مجال الدين والعبادة ، ولكنه تنكر لهم بعد ذلك وبدأت حملة ابادة المسلمين التي أعد لها مخطط رهيب منذ بادىء الأمر حيث عمل الشيوعيون على اجبار المسلمين على الهجرة الى تركيا ولكن الحكومة تنبهت الى أن كثيرا من الفنيين قد ترك البلاد ، فاتبعت أسلوبا آخر بعد أن لاحظت سرعة تزايد المسلمين للقضاء عليهم وهذا هو الاسلوب ٠

١ ـ تغير الاسماء المسلمة بأسماء بلغارية مسيحية ويعطى ولي أمر الاسرة المسلمة قائمة عليه أن يختار منها ويسجل رسميا بالاسم الجديد ٠

٢ ـ لا يصرف راتب العمال والموظفين المسلمين ، ولا يصرف تقاعد العجزة والارامل الا بعد أن يتم تغيير الاسماء الاسلامية ٠

٣ ـ لا يسجل طلاب جدد من

المسلمين في المدارس ولا طلاب قدامى ولا ينتقلوا للصفوف الاعلى الا بعد تغيير اسمائهم الى أسماء مسيحية ويفصل من المدرسة والدراسة كل من يرفض هذا القرار ٠

٤ ـ تجبر النساء المسلمات على الابتعاد عن الزي الاسلامي وتؤمر بلبس الزي القصير كبقية البلغاريات ٠

٥ ـ يمنع المسلمون من دفن أمواتهم في مقابر خاصة بل يمنع الدفن بالطريقة الاسلامية ٠

٦ ـ يمنع المسلمون من اقامة الاعياد والمناسبات الاسلامية ومن صوم رمضان واقامة الصلاة ، بل انه كلما مات امام مسجد اقفل مسجده او هدم وقد كان يوجد في بلغاريا أكثر من ١٢٠٠ مسجد اقفلت جميعها بما فيها مسجد العاصمة الذي تحول الى متحف ولا تبنى مساجد جديدة ولا يسمح بالاذان وليست في البلاد مدارس اسلامية لا شرعية ولا غيرها وقد اتبعت الحكومة البلغارية ابشع الوسائل ضد الذين عارضوا تلك القرارات فأبيدوا داخل السجون البلغارية التي تقام تحت الارض وقتلوا بالغازات السامة ، والكهرباء ذات الضغط العالي ، والرصاص في الجبال وما زالت السجون البلغارية مليئة بالمسلمين بعد أن قتل منهم من قتل من النساء والاطفال والشيوخ ٠

وفي نفس الوقت الذي يضطهد فيه المسلمون فالحكومة تحترم الرهبان وتعطي الحرية المطلقة في الكنائس وهي كثيرة في البلاد وبني معظمها بعد سقوط الدولة العثمانية ٠

ولقد منع المسلمون في بلغاريا من مزاولة شعائرهم الدينية ومنعوا من الذهاب لاداء فريضة الحج وحتى المصاحف منعت عنهم ومنعوا من الهجرة وليس لهم وجود لا في الحكومة ولا في المؤسسات العامة على الرغم من أنهم خمس عدد سكان البلاد عدديا ٠

ولذا نجد أن الشيوعية العالمية قد تعصبت مع المسيحية في محاربتها للاسلام بطريقة سافرة ، وكل هذا يحدث في بلغاريا ضد المسلمين خمس سكان البلاد ، وبلغاريا تدعي صداقتها للمسلمين والعرب ،وتقيم معها العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وكأنهم أصبحوا عونا لها على تحطيم الاسلام في بلادها وهي التي تريد أن تمحو اسم الاسلام نهائيا من تلك الديار التي كانت منذ عصور طويلة أرضا اسلامية انتشر فيها الاسلام ومنها شع شعاع الايمان فالله يعيد الكرة للاسلام في تلك البلاد ويذهب للابد آثار الملاحدة الشيوعيين أعداء الله وأعداء الدين وأعداء الانسانية ٠

تلك قصة الاسلام والمسلمين في بلغاريا والتي أصبح الاسلام فيهاالیوم جريحا يئن تحت ضربات الشيوعيين فهل من مساعدة اخوة الاسلام في كل مكان على الكرة الارضية لكي تضمد جراح اخوانكم في الله ، !

ان أهم ما تتميز به العقيـــــدة الاسلامية ، هو أن « الجهاد في سبيل الله » هو جوهرها ، وأساس المبادىء التي تقوم عليها الاستراتيجية العسكرية الاسلامية أيضا حيث يقول الله تعالى : « وجاهدوا في الله حق جهاده هـــو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » الحج : ٧٥ ، ويقول جل شانه : « ان الله اشترى من المؤمنيـــن انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـــة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيـــل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من اللـــه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم بـــه وذلك هو الفوز العظيم » التوبة : ١١١ .

وعن أبي داود باسناد صحيح ، عن انس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جاهدوا المشـركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم » اخرجـه النسائي .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «من اغبرت قدماه للجهاد في سبيل اللـــه حرم الله سائر جســـــده على النار » أخرجه الطبراني .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أي الناس أفضـــل ؟

قال : « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله » أخرجه البخاري .

وقال عليه الصلاة والسلام : «الجهاد ماض الى يوم القيامة » .

ونستخلص من ذلك ما يلي :

١ ـ أن الجهاد مبدأ من مبـــادىء الاسلام التي أخذت مكانتها بين عقائده وفروعه ، واستقرت دعوة القـرآن الى الجهاد ـ على عمومه ـ متعلقة بذمـــة المسلمين جماعة وأفرادا ، وتقتضـيهم أن يؤمنوا بتشريع الجهاد ـ عـامة ـ كايمانهم باي معتقد سواه ، وأن يقوموا بتنفيذه كما يجب أن ينفذوا غيره مما فرض الله .

٢ ـ أن الجهاد تكليف وتكريم للامة الاسلامية ، فقد جعله اللـــه تعالى الوظيفة الشريفة التي كرمها بها ، كما يفهم من قوله تعالى : « وجاهدوا في الله حق جهـــاده هو اجتباكـــم » (اجتباكم يعني اختاركم) فالاختيـار هنا تكريم وتشريف لهذه الامة التـــي جعلها في خير منزلة بيـن الامم ، في قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجـت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عـــن المنكر وتؤمنون بالله » آل عمران : ١١٠

٣ ـ أن هدف الجهاد ليس العدوان أو الاغتصاب وانما هو اعلاء كلمـــة الله ، وكلمة الله هي الحق والعدالـة والرحمة والاخوة والسلام العام للفرد في نفسه ودينه وماله وعرضه ،وللامة في كرامتها وعزتها وكل مقدساتهـــا

العسكرية الإسلامية ٣

بقلم اللـــواء : محمـــد جمال الدين محفوظ

الجهاد في سبيل الله جوهر عقيدتنا ...

وهدفه ليس العدوان أو الاغتصاب وإنما إعلاء كلمة الله

وللناس جميعا كما يفهم من قولهتعالى:

« يا أيها الذين آمنوا ادخلـــوا في السلم كافة ، ولا تتبعـــوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » البقرة : ٢٠٨ ، وقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لهـــا وتوكل على الله انه هو السميع العليم» الانفال : ٦١ ٠

ثم ان كلمة (سبيل الله) تسع كل القيم السامية والقضايا النبيلة ، فلا يتاتى معها جور أو غدر أو عدوان ٠

٤ ـ ان الله تعـــالى ربط الايمان بالجهاد في صورة محكمة متماسكة ، « ان الله أشترى من المؤمنين انفسهم » الآية ، ومما يذكر انه حينما نزلت هذه الآية قال الصحابة رضوان الله عليهم : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ٠٠ وكان المسلمون الاولون يتسابقون الىالجهاد ولا يعتذرون عنه أو يستاذنون النبـي في التخلف عنه كما يقول الله : « لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليـــوم الآخر أن يجاهدوا باموالهم وانفســهم والله عليم بالمتقين » التوبة : ٤٤ ،أما المنافقون الذين لا ايمان لهم ، فكانوا ينتحلون المعاذير فرارا من الجهـاد ، ويستاذنون في النكوص عنه ،ويلجاون الى الاستنامة والفتور كما يقول الله فيهم : « انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون » التوبة : ٤٥ ٠

وكان رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وهو المعبر الصادق دائما عن موقف المؤمنين يقول فيما رواه الامـام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : « والذي نفس محمد بيـده لوددت أن اغزو في سبيل الله فاقتل ، ثم اغــزو فاقتل ، ثم اغزو فاقتل » ٠

الروح المعنوية وارادة القتال :

وتحتوي العقيدة العسكرية الاسلامية على كل مقومات الروح المعنوية وارادة القتال التي تدفع المقاتل المســلم الى استرخاص نفسه في القتال :

١ ـ عدالة القضية وشرف الهدف :

فالمجاهد في سبيل الله ، يقاتل وهو مدرك تمام الادراك أنه يخوض حربا عادلة شريفة المقاصد والوسائل فتتوفر له بذلك اقوى الدوافع المعنوية والنفسية ٠

٢ ـ شرف الاختيار وأمانته

ويدرك المجاهد أيضا بفطرته السليمة تكريم المولى سبحانه وتعالى له باختياره لاشرف مهمة وهي الجهاد في سبيل الله ، « هو اجتباكم » ، وهو كذلك يدرك مغزى هذا الاختيار وما ينطوي عليه من التزام ، اذ أن هناك فرقا كبيرا بين أن تقول لشخص ما : « مهمتك هي كذا » ، وبين أن تقول له : « مهمتك كذا ، وانا اخترتك لادائها» فالصيغة الثانية تنطوي ـ ولا شك ـ على معاني الثقة والامل والتكريم ، وكلها من أقوى الحوافز المعنوية ، فيترتب على ذلك التزام المجاهد المكلف بأن يكون عند حسن الظن به ، وأن يثبت عمليا أنه جدير بالثقة التي وضعت فيه، وأهل للتكريم الذي ناله ، وقادر على تحقيق الامل المقصود عليه ٠

٣ ـ المجاهد جندي من جند الله :

ويحس المجاهد أنه جندي من جنود الله ، يحارب أعداء الله وأعداء أمته ، وليس هناك أعظم من هذا الاحساس ولا أقوى ، من توفير الحوافز المعنوية والدوافع النفسية ، نحو الاستبسال في القتال في سبيل الله ، ثم ان هذا الاحساس لا يقتصر أثره على المقاتل وحده ، بل انه يجعل روح المقاتل ونفسه وقلبه مصادر اشعاع لكل عمل بطولي وجمال نفسي ، وجلال خلقي ٠

٤ ـ الثقة في نصر الله :

وتاتي فوق ذلك كله الثقة في نصر الله ، وهي قمة الحوافز المعنوية للمجاهد في سبيل الله ، يقول الله تعالى : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » ويقول : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون » الصافات : ١٧٣ ٠

الاقتصاد الحربي :

ويربط الاسلام الاستراتيجية العسكرية بالاقتصاد برباط وثيق ، يتمثل في انتمائها الى أصل واحد هو القوة وهذا الارتباط يعني أمرين في غاية الاهمية هما :

١ ـ أن التنمية الاقتصادية في الامة العربية والاسلامية ، وان كانت تخضع لقوانين خاصة بها ، الا انها تراعي في اهدافها وخططها الاعتبارات الاستراتيجية :

٢ ـ ان اقتصاد الامة في زمن الحرب « يتقرر كلية » وفقا للمتطلبات العسكرية ، ولذلك يجب أن يكون البنيان الاقتصادي ، قادرا على التكيف مع متطلبات الحرب واحتياجاتها ٠

وقد فرض الله الجهاد بالمال ،وقدمه على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد ، وقد يكون الجهاد بالمال أشد ضرورة وحاجة من الجهاد بالنفس ، لان الجهاد بالمال امر لا بد منه في تزويد الجيش بمطالبه وهو كذلك أمر لا حدود له اذا ما قورن بالجهاد بالنفس ، اذ أنه يمكن

الاكتفاء من الرجـــال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو ، أما المال فلا حدود لطلبه ، لان الحرب تحتاج الى مـــال غير محدود ، وبذلك يمكن للانسان أن يشارك في الجهاد بماله اذا لم يجاهد بنفســـه ٠

ووجه آخر من الحكمة في ذكـــر الاموال قبل الانفس : هو أن غيـــر القادرين على الجهاد بالنفس لعذر من الاعذار ، كالضـــعف أو المرض ، أو بسبب بعدهم عن مكان المواجهة مـــع العدو ، عليهم أن يساهموا في المعركة بالمال (أو ما يقوم مقامه كالبتـــرول والسلاح والمؤن) بقدر استطاعتهـم وبذلك يستفيـــدون من هذا الاسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى ٠

ثم ان الجهاد بالمال ركن من أركـان نظرية الردع الاســـلامية ، اذ يحقـق الرهبة في قلب العدو من قوة المسلمين، ذلك لان المال وهـــو يعبر عن القوة الاقتصادية هو عصب الحرب كما يقول العسكريون ، فاذا رأى العدو أنـــه سيواجه قوة عسكرية تساندها قـــوة اقتصادية لا تنفد ، فسوف لا يستهيـن بالامة ، ولا يعلق أمله على التغلب عليها ٠٠ وعلى أساس أن التكليف بالجهاد هو تكليف بالجهاد بالاموال والانفس ، فان المؤمنين يستجيبون لنفير الجهـاد بأموالهم وأنفسهم ، لا يستأذنون فيما هو فريضة وتكليف ، كما يفهم من قول الله تعالى : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين » ٠٠

وبهذا المفهوم فان تكاليف المعركة لا تحتمل أن تأخـــذ صفة الهبات أو التبرعات أو التراحم ــ في صدقـــات البر،والتطوع موكول الى الضمائر،أما في التكافل العام ، فالاســـلام يفرض الزكاة ركنا من أركان الدين الخمسة ، ويفرض الجهاد على القادرين من أبناء الامة تكليفا ملزما ،من نكص عنـــه ظلم نفسه وعق دينه وأمته ٠

الحرب النفسية :

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » وقال أيضا لحســـان ابن ثابت ــ وكان من شـــعراء الاسلام ــ : « يا حسان اهج المشركين وجبريـــل معك : اذا حارب أصحابي بالســـلاح فحارب أنت باللســـان » وقال أيضا : « ان المؤمن يجاهد بسيفه ولســـانه ، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل » (نضح النبل يعني الرمي بالسهام) ٠

نستخلص من ذلك المبادىء التالية:

★ أن الجهاد باللسان واحد مـــن أساليب جهاد الاعداء ٠

★ وأنه واجب وجوب الجهـــاد بالنفس والمال ٠

★ وأنه قد يكون أسرع وأشـــد تاثيرا على الاعداء من قتالهم بالسلاح٠

وهكذا تحتوي العقيدة العســكرية الاسلامية علىنظرية الحرب النفسية ، التي اجمع خبراء العلم العسكري على أنها ــ أي الحرب النفسية ــ تعد مـــن اخطر انواع الحروب ، لانها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه ، فتحطم روحه المعنوية وتقضي على ارادة القتال فيه ، وتقوده بالتالي نحو الهزيمة (١) ٠

وتحتوي النظرية الاسلاميـــة في الحرب النفسية ، على الاساليب المختلفة لشنها ضد الاعداء ، وعلى أســـاليب وقاية المسلمين منها ، وكذا على أساليب ازالة آثارها ٠

★ وتعتبر غزوة الفتح تطبيقا رائعا للحرب النفسية ، فلقد أدى التخطيط العبقري الذي وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذي اعتمد فيه الى اقصى حد على العوامل النفسية (اظهار القوة ـ المباغتة ـ الضغط النفسي الخ) الى زعزعة ثقة قريش في قدرتها على المقاومة . حتى قال زعيمهم أبوسفيان لقومه : « يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به » وهكذا تم فتح مكة بلا قتال .

★ أما عن الوقاية من الحرب النفسية ، فان الاسلام يقرر أن الايمان والعقيدة هما الركيزة العظمى لتحصين المجاهد ضد الحرب النفسية ، بل ان المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد الا ايمانا وثباتا كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » آل عمران : ١٧٧ ، وقد أجمع خبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية يزيد تأثيرها على الجنود الذين لا يحملون في قلوبهم عقائد راسخة » .

★ وأما عن ازالة آثار الحرب النفسية ، فان الاسلام قد قرر لها خير الاساليب التي تستعيد للمسلمين قواهم المعنوية ، وقد طبق الرسول القائد صلى الله عليه وسلم هذه الاساليب ، حتى انه في بعض المواقف كان يزيل آثار الحرب النفسية ، ويستعيد المعنويات بالقتال الفعلي (كما فعل في حمراء الاسد بعد غزوة أحد) وهو احدث ما تنادي به النظريات الحديثة .

آداب الحرب في الاسلام :

واخيرا وليس آخرا فان العقيدة العسكرية الاسلامية تمتاز بأن الحرب التي تقودها الامة الاسلامية حرب عادلة بل حرب مثالية ، ومما لا شك فيه انه كان للاسلام السبق في ايجاد نظام شامل للحرب . يتسم بالرحمة والعدل وحسن المعاملة ، وهذا ثابت مما تضمنه القرآن والسنة واعمال الخلفاء من تقنين شامل للحرب منذ اربعة عشر قرنا ، في حين ان القواعد المنظمة للحرب في القانون الدولي الاوربي بدأت منذ ثلاثة قرون واخذت من الشريعة الاسلامية (٢) وظلت لدى أوروبا قواعد عرفية بحتة، حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حيث بدأت الدول في تدوينها في معاهدات ، أولها تصريح باريس البحري سنة ١٨٥٦ ، ثم اتفاقية جنيف لمعاملة جرحى ومرضى الحرب سنة ١٨٦٤ ، ثم تصريح سان بطرسبرج بتحريم رصاص دمدم المتفجر ، ثم اتفاقيتا الحرب البرية والبحرية بين اتفاقات مؤتمر لاهاي سنة ١٨٩٩وسنة ١٩٠٧ ،واتفاقية واشنجتون سنة ١٩٢٢ عن حرب الغواصات والغازات ، ثم اتفاقات جنيف الاربعة سنة ١٩٤٩ ، الخاصة بمعاملة جرحى وأسرى الحرب وحماية الاشخاص المدنيين .

وهكذا كان للاسلام السبق في تقرير اداب الحرب مثل منع قتل من لا يحارب ومنع التخريب ومنع قتل الضعفاء والشيوخ والنساء والاطفال وحسن معاملة الاسرى والقتلى ومنع تعذيب الجرحى او قتلهم ، والوفاء بالعهد والتأمين للمحارب ومجاملة رسل العدو، وعدم التعرض بالاذى لهم ، وحسن معاملة الشعوب المغلوبة . وهذا ما عبر عنه مونتجمري حين قال : « ان المسلمين كانوا يستقبلون في كل مكان

يصلون اليه كمحررين للشعوب من العبودية ، وذلك لما اتسموا به من تسامح وانسانية وحضارة ، فزاد ايمان الشعوب بهم » .

ولقد تركت سماحة الاسلام آثارا عميقة وبعيدة المدى كما يشهد بذلك تاريخ صدر الاسلام :

★ فقريش لم تقبل على الاسلام فحسب ، بل حملت راية الجهاد في سبيل الله ، وتحولت من أشد الناس عداوة للاسلام الى أحرص الناس على الدفاع عنه ، بل لقد كان من عرب شبه الجزيرة قادة عسكريون أفذاذ قدر لهم أن يكونوا من أعظم قادة الفتوحات الاسلامية مثل خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص .

★ والبلاد المفتوحة لم يطبق عليها الاسلام شعار (ويل للمغلوب) الذي طبقه المنتصرون في الحرب العالمية الاولى ، بل كانت سماحته سببا في أن يصير اهلها حملة للواء الجهاد فيسبيل الله . يقول جوستاف لوبون صاحب كتاب « حضارة العرب » : « الحق ان الامم لم تعرف فاتحين رحماء ومتسامحين مثل العرب » .

★ وبعد فلقد استعرضنا في هذا البحث ما اتسع له المقام من محتويات العقيدة العسكرية الاسلامية . وتناولنا خصائصها ومميزاتها التي لا تتسامى اليها أية عقيدة عسكرية أخرى . لانها من هدى الاسلام . دين السلام والحق والخير والمحبة والعدل .

هذه العقيدة :

التي تحارب للدفاع لا للعدوان وتعتمد على نظرية الردع في منع العدو من العدوان باعداد القوة التي ترهبه وتهزمه اذا اعتدى ـ وتضع المبادىء للتاهب والاستعداد ، حتى لا يؤخ المسلمون على غرة ـ ولا تغفل ع القوى المضادة التي تحارب الامة ف الخفاء ـ وتتخذ الجهاد في سبيل ال جوهرا لها وأساسا لاستراتيجيتها . وتضع نظرية للحرب النفسية هجوم ودفاعا ـ وتضع نظرية لبناء الرو المعنوية وارادة القتال ـ ونظري لاقتصاديات الحرب ـ وتقرر آدا الحرب في الاسلام .. الخ .

هذه العقيدة : التي عمل أجدادن بمقتضاها وعلىهديها فعاشوا عصوره أعزاء أقوياء ، ألا تستحق أن نتناوله بالمزيد من الدراسة ، وأن يتعلمه أبناؤنا في معاهدهم العسكرية قبل أ يتعلموا غيرها من العقائد العسكري الاخرى ؟

ولعلنا الآن ندرك السر في سعي أعداء الاسلام نحو طمس معال العسكرية الاسلامية .

انني أدعو رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة الى عقد مؤتمر اسلامي يتناول موضوع العسكرية الاسلامي لتحديد مبادئها ونظرياتها ومناهج دراستها على المستويات المختلف

والله الموفق ..

للكليات والمعاهد العسكرية الاسلامي

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الىالنور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم المائدة : ١٥ـ١٦ .

١ ـ قال ونستون تشرشل : كثيرا ما غير الحرب النفسية وجه التاريخ .

٢ ـ انظر : الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام » للمستشار علي علي منصور .
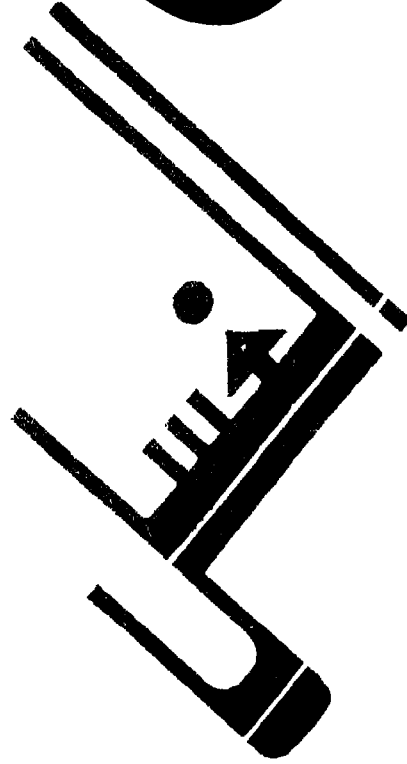
تحدثنا عن النجاسات وبعض الطهارات ثم أهل علينا شهر رمضان ، فتجاوزنا ما كنا فيه لنوفي فريضة الصوم حقها حتى يباشر المسلمون عبادتهم في الصيام عن علم ودراية وصحة .

ونعود بك الآن مرة أخرى الى الطهارات التي بدأناها بالوضوء ، ونقدم اليوم الغسل .

ولكي يعلم الناس (وحديثو البلوغ منهم خاصة) مم يغتسلون وكيف يغتسلون ؟ فكثيرا ما يمنع الحياء الكبار من الحديث الى الصغار في هذه الامور مع أنه لا حياء في الدين ،ويعجب المرء كيف يحرص الاهل على تعليم أجيالهم الصاعدة كل شئون حياتهم ثم يهملون الحديث اليهم في أمور دينهم ، وما ذلك الا للحرص على الاولى والاستهتار بالثانية .

والغسل هو تعميم البدن بالماء مع السيولة التي تلامس الجسم ثم تسيل عنه الى بعيد ، فليس غسلا أن تبل خرقة ثم تمرها على بدنك وليس غسلا أن تدهن بقطعة من الثلج تبل بها جسمك ، فهذا ليس غسلا اذ فيه البلل وليس فيه السيولة والانفصال المطلوب في التعميم والاستيعاب ، ومن الغسل ما هو مفروض استجابة لامر الله (وان كنتم جنبا فاطهروا) المائدة : ٦ ، (ولا تقربوهن حتى يطهرن) البقرة : ٢٢٢ ، ومنه ما هو مستحب بمعنى أن فاعله

يثاب وتاركه لا يعاقب واستحبابـــــه بالاحاديث التي طلبت ذلك ومعظمهـــا صحيح وحسن "
والغسل عموما من أوامر الاســـلام الحضارية التي شرعت فيه ، والتـــي تميزت بها الامة الاســـلامية وسبقت كثيرا من أدعياء المدنية الذين لم يعرفوا الغسل الا حديثا ، ومـــن قبل كانوا يعرضون عنه ايثارا لما هم فيه من قذارة ويحسبونها على الله زورا ، ويعدونها من الزهد والتقشف التي دعا اليهمـــا دينهم ، وهم بذلك كاذبون وعلى أنفسهم ومجتمعاتهم معتدون جائرون ٠
والغسل المفروض يكـــون بخروج المني مع الدفق والشهوة والخـــدر المصاحب له في الجسم ، في يقظة أو في نوم من الرجل أو من المرأة البالغيـــن ، لان الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه « وان كنتم جنبا فاطهروا »ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينمـــا جاءته أم سليم وهي صحابية تسالـــه هل على المرأة غسل اذا احتلمت ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه « نعـــم اذا رأت الماء » فاذا خرج المني من غيـــر شهوة ولا خدر في الجسم فانه سـائل من سوائل الجسم ولا يسمى منيـــا ويكفي فيه الوضوء فقط ، جاء رجل الى درس ابن عباس رضي الله عنهما يسأل عن مثل هذه الحال فسأله ابن عبـــاس أتجد شهوة في قلبـــك ؟ قال : لا ، قال أتجد خدرا في جسدك ؟ قال : لا ، قال ابن عباس انما هذه أبردة (أي مـــن البرد) يجزيك منها الوضوء ٠ ويكون الغسل فرضا أيضا اذا احتلم المـــرء فانزل ، سواء كان المحتلم رجـــلا أو امرأة ، فاذا احتلم ولم ينزل فلا غسـل عليـــــه ، واذا أنـــزل بعـــد اليقظة بعد الاحتلام فرض عليه الغســل أيضا ، وأما اذا استيقظ فوجد بلـــلا ولم يذكر حلما فقد وجب عليه الغسـ واذا انتبه من نومه قبل أن يخرج ، المني فحال بينه وبين الخروج فلا : عليه ، الا اذا خرج المنـــي بمشـ باطلاق القابض ونحو ذلك ٠
ومن المواضع التي يفترض فيهـ الغسل أيضا التقاء الختانين ، والمقـ بذلك التعبير شرعا هو الجماع ، سـ أنزل أو لم ينزل ، وليس المقصـــ الملامسة بين الختانين فهذه لا غســ فيها مطلقا باجماع الفقهاء ٠
ودليل أن الجماع يوجب الغسل ، رواه أبو موسى الاشعري رضي الـ عنه ، أنه قال لعائشة رضي الله عنه اني أريد أن أسألك عن شيء وأنـــ أستحي منك فقالت سل ولا تستحي فا أنا أمك فسألها عن الرجل يغشـــى (ينزل فقالت عن النبي صلى الله عـ وسلم : « اذا أصاب الختان الختـــ فقد وجب الغسل » ولا يسمى الجمـــا جماعا الا بالايلاج ٠
وأيضا من الاشياء التي يفترض فيـ الغسل الحيض والنفاس ، لان اللـــ تعالى يقول في كتابه « ولا تقربوهن حتـ يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيـــ أمركم الله » البقرة : ٢٢٢ ،والاحاديـ في ذلك كثيرة ، وغسل الميت فرض علـ الاحياء المحيطين به لا عليه ٠
ومن الغسل المفروض أيضا غســـل الكافر اذا أسلم والقائلون بهذه الفرضيـ استدلوا بحديث ثمامة ، فانه أرســـل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم الى بستان لابى طلحة فاغتســـل فيه وصلى ركعتين ثم قال الرســـول صلى الله عليه وسلم : « لقد حســـن اسلام أخيكم » ، وثم مذاهب أخرى لا تقول بالفرضية بل يجعلون هذا الغسل سنة أو مستحبا ، لان الدعوة الاسلامية في اندفاعها الاول كانت تتبعها قبائـــل برمتها وشعوب بأكملها ولم يؤمـــرو

باغتسال ، ويبدو أن هناك فرقا بين اسلام الفرد واسلام المجموعة وحتى هذه المجموعة لا تلبث حتى تغتسل من مسببات الغسل الاخرى ما دامت قد دخلت في الاسلام ·

أما الغسل المستحب وهو الذي يثاب على فعله ولا اثم على تركه ، فمنه غسل الجمعة لان هذا اجتماع عام تلتقي فيه جموع المسلمين فلا بد أن يكونوا على نظافة تذهب القذر والروائح الكريهة وتدفع عنهم مضرة ذلك ولا يكون ذلك الا بالغسل المسنون، ودليل ذلك أثر رواه الرواة يدل على أكثر من معنى من أسمى المعاني وأنبل الغايات اذ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ، اذ دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه فناداه عمر قائلا أية ساعة هذه ، قال عثمان : اني شغلت فلم أنقلب الى أهلي حتى سمعت التأذين فلم أزد أن توضأت ، فقال عمر : والوضوء أيضا ؟ وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل ؟ واستدل القائلون بالاستحباب والسنية بأن عثمان لم يترك صلاة الجمعة للغسل ، وبأن عمر لم يأمره بالخروج، ودليل السنية أن عمر قال لعثمان : (وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل)وأحاديث أخرى نكتفي منها بما ذكرنا ·

ووقت الغسل الذي يسمى غسل الجمعة ويثاب عليه فاعله هو ما كان قبلها ويستحب أن يتصل بها ، اما ما كان بعدها فلا يسمى غسل الجمعة ابدا ولو اغتسل قبلها ثم أحدث وتوضأ فان

لماذا يجب الغسل على

ركنان للغسل النية

ذلك لا يذهب ثوابه كذلك ·

ومن الاغسال المستحبة أيضا غسل العيدين وغسل من غسل ميتا ، اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ» والامر في ذلك محمول على الندب ، اذ روي عن عمر رضي الله عنه قوله : كنا نغسل الميت فمنا من يغتسل ومنا من لا يغتسل » وكذلك غسل الاحرام مستحب ومندوب لمن أراد أن يحرم بحج أو عمرة وبعد ذلك غسل دخول مكة ، لما قاله ابن المنذر وغيره من الفقهاء : الاغتسال عند دخول مكة مستحب عند جميع العلماء وليس في تركه فدية ويندب الغسل لمن أراد الوقوف بعرفة لانه يوم اجتماع فتطلب النظافة فيه أيضا ·

• أركان الغسل :

وليس للغسل أركان كثيرة كالوضوء بل فيه ركنان فقط ، الركن الاول النية ، لان الغسل قد يكون للنظافة فقط وقد يكون للاستبراد ، وقد يكون عادة فنفرق بين كل ذلك وبين الغسل المفروض بالنية ، والركن الثاني تعميم جميع الجسم بالماء ولا ركن بعد ذلك غير هذين ، وان كان بعض المذاهب لا يعتبر النية في الغسل ركنا ويكفي عند هؤلاء أن يعمم الجسم بالماء ·

وللغسل سنن أخذناها من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعمله

الكافر إذا أسلم ؟

وتعميم جميع الجسم بالماء

هو التطبيق العملي الشرعي الذي يوضح لنا كيفيات وهيئات ما فرض علينا ، فغسل اليدين ثلاثا وغسل الفرج والوضوء الكامل ، كل هذا قبل الغسل هو من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع تأخير الرجلين ان كان ثم ضرورة ، ثم يفيض الماء على رأسه ثلاثا ان كان الغسل باناء يصب والا فلا عد ، وعلى الرجل والمرأة أن يخللا شعر رأسيهما حتى يصل الماء الى أصول الشعر ، ثم يصب الماء على الشق الايمن ثم الايسر مع ملاحظة الابطين فلا بد من وصول الماء اليهما . وكذلك الاذنين والسرة وأصابع الرجلين مع دلك ما أمكن دلكه من ذلك من غير مشقة ولا اجهاد ، وهذا الذي وصفناه لك هو غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روته عائشة وميمونة زوجتا النبي عليه الصلاة والسلام وهما أعلم بذلك من كل الصحابة ٠

وغسل المرأة كغسل الرجل تماما ، الا أنها لا تحل ضفائرها ان وصل الماء الى أصول شعرها ، وان كان غسلها من حيض أو جنابة ، فعليها أن تأخذ قطعة من القطن وتدهنها مسكا أو أي طيب آخر ، ثم تطيب محل الحيض والنفاس والنساء يعلمن ذلك ومن لم تعلم فلتسأل من يعلم منهن ٠

واذا تكرر الجماع فان غسلا واحدا يكفي فيه ، فليس المسلم مطالبا بأن يفصل بين الجماعين المتعاقبين بغسل ٠

والطهارة بالغسل تشمل الوضوء بمعنى أن من كان جنبا أو حائضا أ نفساء ثم حصل الغسل فقد دخل معه الوضوء ، لان الطهارة من الحدث الاكبر تشمل الطهارة من الحدث الاصغر وليس على أحد من هؤلاء وضوء ٠

والملاحظ أن بعض الناس يتحرج من ازالة شعره وهو جنب ، وهذا التحرج وهم لا سند له فلكل واحد من نوع الحدث الاكبر أن يحلق شعره وأن يقلم أظافره وأن يحتجم ، وعلى من فرض عليه الغسل الا يغتسل عاريا أمام الناس في حمام أو بحر ، لان كشف العورة حرام لا يجوز فان ستر نفسه بثوب ثم اغتسل فلا بأس ٠

وليعلم ذوو الحدث الاكبر أن الصلاة ـ وهم في حدثهم هذا ـ حرام عليهم ، وكذلك الطواف وهو صلاة أيضا حرام، ومس المصحف وحمله حرام كذلك باتفاق العلماء ، ولا نأخذ برأي من قال غير ذلك أبدا ، وقراءة القرآن حرام الا اذا كان آية في دعاء مثلا ، وان كان بعض الائمة من أهل الثقة كالبخاري والطبراني وداود وابن حزم أجازوا قراءة القرآن للجنب ، اتباعا لمذهب ابن عباس ، وعلى كل فرأينا أن التحريم لقراءة القرآن على الجنب والحائض والنفساء أحسن وأسلم وأكثر تقديسا للقرآن ٠

ويحرم على الجنب ومن في حكمه المكث في المسجد ، ولكن المرور جائز لقول الله تعالى « الا عابري سبيل حتى تغتسلوا » النساء : ٤٣ ٠

ونلاحظ أن موجبات الغسل المفروض على الرجل تشاركه فيها المرأة ، ثم تزيد عليه الغسل من الحيض والنفاس، وما ذلك الا لان الغسل عند النساء يؤدي الى جانب الطهارة مهمة خاصة من نظافة جسومهن وتطرية أبدانهم ، وتجلية جمالهن ولذلك كانت مواضعه عندهن أكثر من الرجال ٠

اعداد : حسين المحسي

في الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وافضل ما قلت انا والنبيون من قبلي : لا اله الا الله وحده لا شريك له » ٠

عن النبي صلى الله عليه وسلم: « حضور مجلس علم أفضل من ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وشهادة ألف جنازة » ٠

قيل : يا رسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ ٠٠

قال : وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم ؟ ٠٠

جاء في الحديث الشريف : « ماتلف مال في بر ولا بحر الا بحبس الزكاة » ٠

وقال صلى الله عليه وسلم : « مانع الزكاة يوم القيامة في النار » رواه الطبراني ٠

كثرة الكلام مزلة :

قال عمر رضي الله عنه : من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثر غلطه ، ومن كثر غلطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار ٠

الكلمة تركب صاحبها :

اجتمع ثلاثة من الحكماء ، فقال احدهم : انا على رد مالم اقل اقدر مني على رد ما قلت ٠

وقال الآخر : اذا تكلمت بالكلمة ركبتني ، فان لم أتكلم بها كنت راكبا ٠

وقال الآخر : عجبت لمن يتكلم بالكلمة، ان نقلت عنه ضرته وان لم تنقل عنه لم تنفعه ٠

سال رجل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم : انت اكبر ام رسول الله ؟ ٠

فقال : رسول الله اكبر ، وانا ولدت قبله صلى الله عليه وسلم ٠

ما معنى كلمة أيم وأيامى ، ولمن يوجه الامر في قوله تعالى : « وانكحوا الايامى منكم » ؟ ٠

« الايم » هو « العزب » رجلا كان او امرأة ، سواء تزوج من قبل ام لم يتزوج، يقال ، رجل أيم ، وامرأة أيم ، اى ليس لها زوج ، بكرا كانت ام ثيبا ، والجمع أيامى ، ومنه قوله تعالى: « وانكحواالايامى منكم » اى الذين لا ازواج لهم من الجنسين يجب تزويجهم ، ويتعين اعانة الراغبين منهم في الزواج والامر هنا للجماعة المسلمة٠ وقال صلى الله عليه وسلم ، موصيا بزواج الايم من الاناث : ثلاثة لاتؤخرها : الصلاة اذا أتت ٠٠ والجنازة اذا حضرت٠٠ والأيم اذا وجدت لها كفؤا » ٠

الفعل «كاد» :

اذا أدخلت العرب على « كاد » نفيا ، كان فيه وجهان .

الاول : حدوث الفعل بعد لأي وابطاء، كقوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » .

والثاني: زيادتها للتوكيد فقط، وعليه قوله تعالى: «اذا أخرج يده لم يكد يراها».

أي لم يرها اصلا ، عند اكثر المفسرين.

وتأتي كاد بمعنى اراد ، كقول الأفوه الازدى : قال تجمع اوتاد واعمدة وساكن بلغوا الامر الذي كادوا اى الامر الذي ارادوه .

قال قتادة : الرجال ثلاثة :

رجل ، وهو العاقل . ونصف رجل ، وهو من لاعقل له ، ولكن يشاور العقلاء . ورجل لاشيء ، وهو من لا عقل له ، ولا يشاور العقلاء .

قالوا : لايجوز الاقتداء بالعالم ، الا ان يكون مؤديا لفرائض الله ، مجتنبا لمحارمه ومحافظا على دين الله تعالى .

العصامي : منسوب الى عصام . وكان رجلا من السوقة ، ثم صار حاجبا للنعمان ابن المنذر . وقد سئل عن سبب وصوله الى هذه المنزلة العالية ، فقال :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما
حتى علا وجاوز الاقواما

والعظامي : منسوب الى العظام ، لانه يفتخر بآبائه واجداده الذين صاروا في قبورهم ، وفي القرآن الكريم : « الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » .

ومن اقوالهم : كن عصاميا ولا تكـ عظاميا ، ومعناه : لاتفتخر بشرف آبائك ولكن بما يؤثر من ابنائك .

وقالوا : شرف الاعراق يحتاج الى شر الاخلاق ، ولا حمد لمن شرف نسبه وسخ ادبه .

يقولون : (طمع في نوال كذا) اى الحصول عليه ، والصواب ، طم في نيل كذا . اى في بلوغه واخذه .

اما النوال فهو العطاء ، والمنح ، تقول اطمع في نيل نوالك ، اى بلوغ عطائـ ومنحك .

يقول بعضهم (اخذت اراقب الموقف ع كثب) او جلسته عن كثب . والاصو ان تقول : اخذت اراقب الموقف من كثب. جاء في « الاساس » : رماه من كثب اى من قرب .. وفي « المصباح المنير » ه يرمي من كثب .. وقال الشاعر :

فهذان يذودان وذا من كثب يرمى

أى من قريب .

ويقولون ، مدرسة (الصنائع او تن في بلادنا صنائع كثيرة) يريدون بذلـ صناعات .. وهذا خطأ ، لان الصنائـ جمع صنيعة ، وهي الاحسان .

ومنه ماروى « صنائع المعروف تقـ مصارع السوء » والصواب صناعا لاصنائع ..

باب شهري يستعرض أحدث المباحث العصرية في مجال الدراســات الاســلامية

بقلـم : مســلم

تركيا الاسلامية : بين السـلطان عبد الحميد ـ مصطفى كمال ـ النورسي ـ نجم الدين ارباقان ·

صدرت في الفترة الاخيرة دراستان منفصلتان : احداهما عن مصطفى كمال اتاتورك ، تحت اسم « الرجـــل الصنم » بقلم ضابط تركي سابق ، كما صدرت دراسة عن المجاهد المسلم بديع الزمان سعيد النورسي ، للكاتبة الغربية المسلمة مريم جميلة ، كذلك فقد قدمت أطروحة من طالب لبناني في جامعــة بيروت العربية تحت عنوان موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩ ·

وفي نفس الوقت نشرت مذكـــرات السلطان عبد الحميد التي ظلت مختفية خلال اكثر من ســـــبعين عاما ، على صفحات الجرائد التركية والمجــلات الاسلامية العربية فاذا أضفنا الى ذلــك ما كشفت عنه مذكرات هرتزل عن موقف السلطان عبد الحميد من الصهيونيــة العالمية عرفنا الى أي حد تضع الوثائق بين أيدينا تلك الحقائق الضخمة ، التي تغير مفهوم التاريخ ، وتكشف زيف ما ظلت تردده الكتب المدرسية والجامعية والثقافية في البلاد العربية ، خلال هذه الفترة الطويلة ، وما تقدمه من شبهات لصـــالح الاستعمـــار والصهيونية العالميــة ·

فاذا أضفنا الى هذا كله تلك النهضة الاسلامية الجديدة في تركيـــا ، والتي يقودها حزب السلامة الوطني بقيــادة الدكتور نجم الدين ارباقان (أســتاذ الميكانيكا في الجامعـــــة التكنيكية في استنابول) عرفنا الى أي حد يمكــن القول بأن تركيا قد عادت الى الاصالة الاسلامية ، بعد أن انحرفت عنها عــن طريق تلك المحاولة الخطيرة التي جرت لتغريبها على أيدي جماعة « الدونمة » الاتحاديين والكماليين على طول فتــرة امتدت خلال حكم السلطان عبد الحميد وبعد اسقاطه وخلال الفترة من ١٩٠٩

الى الحرب العالمية الاولى حيث دخلت تركيا الحرب في صف ألمانيا وحاقت بها الهزيمة ، وحيث سلم حزب الاتحاديين الحاكم طرابلس الغرب لايطاليا وقبل معاهدة لوزان التي قضت بتسليم الشام بأجزائه الاربعة الى فرنسا وانجلترا ، وفلسطين الى اليهودية العالمية .

كان السلطان عبد الحميد قد عرف خطة الصهيونية العالمية في الاستيلاء على بيت المقدس ، واقامة هيكل سليمان نتيجة للمخططات التي كان يجري تنفيذها في الامبراطورية العثمانية ، تحت ستار التنظيمات الماسونية التي نشرتها

وهكذا دفع السلطان عبد الحميد ثمن موقفه الحاسم من الصهيونية

العالمية ، وكان للنفوذ الاجنبي مشارك ضخمة في هذا الامر . ذلك لان اللوا الذي رفعه تحت اسم « الجامعة الاسلامية »خارج نطاق الدولة العثمانية « يا مسلمي العالم اتحدوا » قد هـ الدوائر الاستعمارية هزا شديدا ومن ث كانت المؤامرة ذات شقين .

١ ــ اسقاط السلطان عبد الحميد وهذه كانت مهمة الاتحاديين .

٢ ــ اسقاط الخلافة العثمانية وهذه مهمة الكماليين .

وبذلك وئدت الدعوة الى الوحدة الاسلامية بحذف صاحبها من سجل الحكام .

ولم يكن الكماليون والاتحاديون الا فرعي دوحة واحدة . تقاسمت العمل على مرحلتين للاجهاز على الدولة العثمانية والخلافة ، وفتح الطريق أمام الصهيونية العالمية لتصل الى فلسطين، ولتمزق العرب والترك ولتمكن للاستعمار البريطاني والفرنسي من انقسام تركة ما كان يطلق عليه الرجل المريض » .

ولقد كان السلطان عبد الحميد يعرف دخائل هذا المخطط كله : بفروعه وخلفياته ، فيما يتصل بالدونمة والمحافل الماسونية ومخطات الاتحاديين وتركيا الفتاة وفي مقدمتهم مدحت وأحمد رضا . ويعرف الاهداف الخطيرة التي يدور حولها تآمر الصهيونية مع بريطانيا وغيرها من دول أوروبا .ولكنه بعد كل الوساطات التي بذلها هرتزل أرسل اليه كلمته الواضحة الحاسمة الصريحة :

« انصحوا الدكتور هرتزل الا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع . اني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الارض فهي ليست ملك يميني بل

هي ملك شعبي ٠ لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الارض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم ٠ اذا مزقت امبراطوريتي فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولا في جثثنا ٠وانى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة » ٠

كان هذا الرد الحاسم هو منطلق الحملة العاصفة التي شنتها الصهيونية والاستعمار على السلطان عبد الحميد عن طريق الصحف العربية التي كان يصدرها الموارنة اللبنانيون خصماء الاسلام والخلافة الاسلامية وهم الذين حملوا على السلطات تلك الحملات الضخمة (المقطم ـ المقتطف ـ الهلال) أمثال : جرجي زيدان ، فارس نمر ، صروف مكاريوس ، سليم سركيس ، لويس صابونجي ، وما أطلق عليه من اسم السلطان الاحمر ، وما ذهبوا يلفقونه من اتهامات كاذبة عن الدردنيل ومن يلقى فيه وعن والسجون والاحكام مما ثبت من بعد انه وهم باطل حتى لقد قال أحدهم لجماعة من السوريين زاروا تركيا وركبوا في الدردنيل مركبا: قولوا لنا اسم رجل واحد القاه السلطان أو أمر بالقائه في الدردنيل ٠

ولكنها كانت المحاولة لتدمير السلطان وسمعته وهدم مواقفه الكريمة قبل التآمر عليه ولقد عاشت الصحف ودراسات المدارس والمؤرخين تحمل هذه الاكاذيب سنوات وسنوات حتى تكشف في الاخير فساد هذه الاباطيل والادعاءات ٠

يقول حسان حلاق في أطروحته : « في الوقت الذي كانت المؤامرات تحاك في الخارج ضد الدولة العثمانية ،كانت مؤامرات تحاك في الداخل تضم مجموعات تركية ويهودية بتشجيع من الدول الاستعمارية وكانت تهدف الى قلب نظام الحكم وخلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ، ذلك لان السلطان كان العقبة التي تقف في طريق الصهيونية الى فلسطين ويؤكد القنصل البريطاني الجديد في القدس ـ بلش ـ عام ١٩٠٨ المصاعب التي وضعها السلطان عبد الحميد الثاني في مواجهة الاستيطان اليهودي في فلسطين ويمكن القول أن اليهود لعبوا دورا فعالا في انقلاب عام ١٩٠٨ ويؤكد ستيون واتسون هذه الحقيقة بقوله : « ان أصحاب العقول المحركة لحركة الانقلاب الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهودا ومن الدونمة أما المساعدات المالية فانما كانت تصلهم عن طريق الدونمة ويهود سالونيك المتمولين ٠ وتقول صحيفة المشرق (ان الكل يعلم أن مركز الانقلاب انما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون الفا » وهناك معلومات تؤكد أن الحقيقة الظاهرة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي انها غير اسلامية وغير تركية فمنذ نشاتها لم يظهر من قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص ، كان جاويد يهوديا من الدونمة وقارصوه من اليهود الاسبان وطلعت بلغاريا أما أحمد رضا فقد كان نصفه شركسيا والنصف الآخر مجريا ، أما نسيم روسو ونسيم مازلياح فقد كانا يهوديين ٠ ويقول : ويبرز دور اليهود ثانية في حادثة خلع السلطان

عبد الحميد الثاني عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتي الاسلام محمد ضياء الدين باصدار فتوى الخلع ثم أوفدوا هيئة مكونة من عارف حكمت وأسعد طوبتاني وغالب باشا ومن زعماء اليهود قراصوه رئيس المحفل الماسوني في سلانيك وشلمون ابران ووصلوا الى يلدز لابلاغ السلطان نبأ الخلع وكانت مشاعر التأثر والانزعاج بادية عليه فقال بغضب : ما هو عمل هذا اليهودي (يقصد قراصوه) في مقام الخلافة باي قصد جئتم بهذا الرجل أمامي ٠

ويذكر النقيب التركي (ديبريلي) بان السلطان عبد الحميد حدثه عندما كان مسجونا في سلانيك عن اخر اجتماع له مع الزعيم الصهيوني هرتزل ورئيس الحاخامين في تركيا فقال تصور أن هذين اليهوديين مثلا امامي ليقدما الى سلطتنا رشوة ٠ صرخت في وجههما قائلا . ان اخرجا من هنا . ان الوطن لا يباع بالنقود ٠ طلبت الى رجال القصر أن يقودوهما حالا الى خارج القصر ٠ وبعد ذلك أصبح اليهود أعدائي فما ألاقيه هنا في سلانيك من عذاب الاعتقال ليس سوى جزائي منهم حيث لم أرض أن اقتطع لهم أرضا لدولتهم المزعومة ٠

ويذكر السلطان نفسه في وثيقة على قدر من الاهمية موقف الاتحاديين والصهيونية من سياسته فيقول . « ان هؤلاء الاتحاديين أصروا علي بان أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الارض المقدسة ـ فلسطين ـ ووعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهبا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني انهم سيبعدونني الى سلانيك » ٠

والمعروف أن السلطان عبد الحميد أقام اقامة جبرية في سالونيك (مقر الدونمة اليهود) منذ عزل عام ٩٠٩ الى عام ١٩١٦ حيث توفي الى رحمة الله في اقامة مجهدة سيئة ولا ريب أن مذكرات السلطان عبد الحميد التي نشرت أخيرا باللغة العربية قد كشفت كثيرا من الحقائق ووضحت موقف هذا الرجل المسلم العظيم . ودحضت تلك الصور الزائفة التي حشدها في تاريخه الطالمون من الدونمة واليهود والاستعماريين والموارنة في تلك الكتب التي سبق ان ترجمت الى العربية مثل كتاب (عبد الحميد ظل الله على الارض) او قصة الانقلاب العثماني لجرجي زيدان وغيرها . لقد عاشت هذه الحقائق مدفونة في الاضابير اكثر من خمسين عاما حتى اذن الله لها بان تكشف وأن توضع الحقائق في مكانها الحق وأن تصحح وقائع التاريخ ٠

مذكرات السلطان :

لقد كشفت المذكرات كيف كان السلطان عبد الحميد ضحية مؤامرات صهيونية واستعمارية غاشمة كانت تهدف الى تقويض دعائم الخلافة وتفكيك اوصال الدولة العثمانية وان الخليفة واجه الاغراء والتآمر جميعا باباء وشمم اسلامي وكان يعرف مصيره . ولكنه آثر ارضاء الله على رضاء اليهود ومطامع الدنيا ٠

وقد أشار السلطان في مذكراته الى ما ظل منشورا اكثر من خمسين عاما من كذب وبهتان حين قال « ان الامة تنسى بسرعة . أقولها مستميحا العذر

للذين يجادلونني سياسيا دون تبصر بما يدور من وراء الستار من الاعيب وما تهيئه الدول الكبرى من مؤامرات عدوانية · لقد اتهموني بالخور لاني لم اشترك بالحركات القومية قلبا وقالبا · لعلهم ينسون المآسي التي جابهتها » ·

لقد تحدث السلطان عن الدسائس الاجنبية والفساد في أجهزة الحكم والحملات الصليبية على الدولة وتحدث عن ثروته ومخصصاته وكيفية انفاقها وما ترتب عليه من التزامات وواجبات ·

مصطفى كمال :

لقد كان القضاء على السلطان عبد الحميد مقدمة للقضاء على الخلافة الاسلامية ، وكان بطل هذه المرحلة مصطفى كمال ، الذي اطلق على نفسه زورا وبهتانا (أتاتورك) أي أبي الشعب التركي · ولقد ألفت في تمجيد أتاتورك وتكريمه مئات الكتب بلا مبالغة استهدفت خلق هالة متوهجة كاذبة لهذا الرجل الذي حطم طابع الاسلام في دولة الخلافة ونقلها من أقصى مكان فيخدمة الاسلام الى اقصى مكان في خصومة الاسلام ومعارضته ويكفي أن يراجع المثقف المسلم رءوس الموضوعات التالية:

– ألغى الحروف العربية وفرض الحروف اللاتينية حتى في طبع المصحف الشريف ·

– ألغى الشريعة الاسلامية وفرض قوانين الاحوال الشخصية ·

– حرم تعدد الزوجات وجعل القضاء وحده هو الفصل في طلب الطلاق ·

– عدل قوانين المواريث الاسلامية مسوى بين الابن والبنت ·

– أباح للمرأة الخروج والرقص والسفور ودفعها دفعا الى مجالات الهوى والفساد ·

– أباح للمرأة المسلمة ان تتزوج بمن تشاء من اي دين ··

– قرر الغاء الاوقاف الاسلامية ·

– جعل الدولة علمانية وقرر ان الدين قضية شخصية لكل فرد ·

– الغى الخلافة الاسلامية والمحاكم الشرعية وقوانين الشريعة الاسلامية وقرر العمل بالقانون المدني السويسري والجنائي الايطالي والتجاري الالماني ·

– منع التعليم الديني ومنع الأذان بالعربية وحطم الاساس الديني وغير وجهة الشعب التركي ·

من هو مصطفى كمال ؟ :

ولقد خدع مصطفى كمال المسلمين في المرحلة الاولى من حياته بتعاونه مع جماعات اسلامية ولكنه ما ان تمكن من امتلاك ارادة الحكم حتى كشف القناع عن عداء سافر للاسلام حتى وصف بانه واحد من ثلاثة اما من طائفة الدونمة أو من الماسونية وقع في حبائل اليهودية العالمية او من غلاة الطورانية التركية والحقيقة انه كل ذلك ·

وقد كانت حياته الشخصية مثالا رديئا لحاكم ينتسب اسما الى الاسلام فقد عرف باسرافه في الخمر وعلاقات الفساد والاعتداء والسطو والقتل بالظنه وكشفت تصرفاته عن بغض للدين عامة وللاسلام بصفة خاصة ، ويرجع ذلك الى أنه كان تلميذا اصيلا لتعاليم ضياء كوك الب ، داعية الطورانية وعودة الاتراك الى أجدادهم القدماء والتنكر لتاريخهم الاسلامي ·

ولقد كان أشد قسوة بالنسبة لرجال الاسلام الذين عارضوه ودفعوا الناس الى مقاومته والتخلص منه ·

وقد كشف الضابط التركي السابق في كتابه (الرجل الصنم) كمال أتاتورك الذي ترجمه الاستاذ عبد الله عبد الرحمن هذه الجوانب المظلمة والغامضة والسوداء من حياة هذا الرجل على نحو واضح صريح وكانت آية الآيات في حياته هو ذلك الولاء المزدوج لبريطانيا ولروسيا الشيوعية في آن . ولقد تكشف أن هناك معاهدة سرية أقرها مصطفى كمال وبها أعطى حق الحكم والسلطان في تركيا تتضمن عدة مبادىء أهمها :

ـ الحكم بالنظام الفردي واسقاط الشريعة الاسلامية وتطبيق القانون الوضعي .

ـ القضاء على علماء الاسلام واخراجهم من البلاد .

ـ القضاء على الخلافة الاسلامية .

ـ القضاء على القرآن واللغةالعربية

والمراجع لحياة كمال أتاتورك يتبين له بوضوح انه قام بتنفيذ هذه المعاهدة السرية التي قيل انها كانت مرفقة بمعاهدة لوزان تنفيذا وتصحيحا .

وثائق :

ان هذا الكتاب يقدم مجموعة ضخمة من الوثائق عن حياة مصطفى كمال لا يستطيع الباحث المنصف أن يتجاوزها دون أن يسجل بعض الخيوط العامة فيها :

عن صلته بالانجليز : وما تحمله الوثائق نشير الى عبارة : قيامه ببيع الوطن الى الانجليز (ص ٤٧٣) وأن البطل الحقيقي لمعارك أزمير هو (قره بكير) وليس مصطفى كمال . وأنه كان يعمل ديكتاتورا ويدير الدولة مثلما تدار مزرعة ، وانه كان يقوم بفرض رأيه على كل عمل .

ويقول (ص ٤٨١) بعد أن حصل على منصب القائد العام بالحيل والطرق الملتوية لم يدع هذا المنصب يخرج أبدا من يديه وقد قام بواسطة رجاله الفدائيين من تهديد معارضيه والقضاء عليهم ولم يظهر في الجيش العثماني عسكري ظالم وحريص على المنصب الى هذه الدرجة مثله . استولى على مساعدات العالم الاسلامي (ص ٤٨٩) نفذ كل ما طلبه منه الانجليز : ١ ـ ترك الموصل ٢ ـ ترك الجزر لليونانيين ٣ ـ تنازل عن كل الحقوق حول مصر وقبرص ـ ٤ ـ تنازل عن طلب التعويضات من اليونان ـ ٥ ـ عدم تحصين المضايق أو وضع جند حولها وتجريد المنطقة الممتدة من مضيق البحر الاسود حتى مضيق (جنه قلعه) ـ ٦ ـ الغى الخلافة ـ ٧ ـ أكد العلمانية (ص ٤٩٠) .

كذلك كشفت هذه الوثائق عن أنه عضو ماسوني عامل (أورد ذلك فالح رفقي اتاري) مؤلف كتاب (جانقايا) يقول : لو لم يكن مصطفى كمال ماسونيا فمن كان يتطاول الى الانتساب الى مثل هذه الجمعية السرية في عهده (ص٤٩٢) كذلك أشارت الوثائق الى موضوع الاتصال بالنساء وطالبات المدارس ، مما كان حديث المجالس . ويشير الكاتب الى أخطر موقف في حياة مصطفى كمال وهو الغاء الخلافة : يقول الكاتب انه عندما عرض الامر على الهيئة المكونة لبحث الامر تردد الاعضاء فوقف يقول : ان هذا امر محتم ، اني ارى ان من المستحسن ان يوافق المجتمعون هنا وأعضاء المجلس وكل واحد ولكن اذا حدث العكس فان هذا الامر سينفذ وفي اطار المجرى الطبيعي

لو أن المسلمين

لسادوا

ولكن من المحتمل ان بعض الرءوس ستقطع » .

سعيد النورسي :

ولكن هذه السنوات المظلمة لم تمر دون مقاومة ، فقد ظهر كثير من دعاة الحق يكشفون زيف اتجاه مصطفى كمال وكان أبرزهم الشيخ بديع الزمان سعيد النورنسي ، الذي كان قد حضر الى استنابول من شرقي تركيا في عهد السلطان عبد الحميد يطلب فتح المدارس وانشاء جامعة في ديار بكر ، وتطوع للقتال واسره الروس ونفوه الى سيبريا ولكنه تمكن من الفرار والعودة الى تركيا ، فانضم الى حركة مصطفى كمال التي كانت تستهدف تحرير الوطن ثم اختلف مع أتاتورك حين ظهر الانحراف فنفته السلطة الى غرب البلاد ، فظل بين نفي وسجن وتحديد اقامة من ١٩٢٨الى ١٩٥٠ ألف خلالها ألفا ومائة وثلاثين كتابا سماها (رسائل النور) شرح فيها الاسلام بأسلوب استهوى الشباب، فتناقل الناس هذه الرسائل نسخا باليد ، وأصبح قراء هذهالرسائل يسمون طلاب رسائل النور ، أو جماعة نور جو وبلغ عددهم ثلاثة ملايين شاب تركي ، وقد أصبحت هذه الجماعة القوةالحقيقية في الجامعات التي سحقت حزبالشعب (حزب اتاتورك)وعزلت عصمت اينونو خليفة أتاتورك من الحكم .

والواقع أن سعيد النورنسي كما تقول مريم جميلة في كتابها عنه كان رجلا عالي الايمان مصدرا في غهم الاسلام تقول : « كانت روحانيته العالية فوق المحن والامتحان » ولذلك فانه ما كاد يدخل السجن حتى أصبح سجانوه من تلاميذه ومن أحسن الناس تدينا وغيرة على العقيدة ، فقد تهافت زواره في عزلته على استنساخ ما تنتجه عبقريته المؤمنة بحيث لم يمر وقت قصير حتى كانت عشرات الآلاف من مخطوطات هذا التفسير تتناقلها الايدي وتدرس في المدن والقرى والمدارس وحتى الوزارات : يقول بديع الزمان النورنسي : « لقد أتاحت لي آلام المنفى والسجن والاعتقال فترة هدوء وصفاء أتاحت لي التأمل في الحقيقة القرآنية الخالدة » .

محاكمة بديع الزمان :

غير أن السلطات لم تدعه يعمل ، فعمدت الى تلفيق تهمة ضده وضد مائة وعشرين من أتباعه ومريديه ساقتهم الى محكمة الجرائم ، فأخذ يدلي بدفاعه امامها فقال : « الحق أنني لا انوي بأي حال من الاحوال الاستيلاء على زمام الحكم ، وكل ما أسعى اليه هو أن أهدي قومي الى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحكيم . نحن لا ننتمي لاية نحلة من النحل ولا ندعو لعصبية ولا لفرقة ، ولكننا أنصار متحمسون للحقيقة،الله غايتنا والرسول قائدنا ، والشرع الشريف دستورنا . اننا لا نملك أي تنظيم خاص ونحن بمعزل عن السياسة وكتابنا رسالة النور مدرسة بدون مدارس ولا مناهج

أخلصوا لعقيدتهم ودافعوا عنها بكل قوة وإيمان

العالم وانتصروا

ولا أموال ، انها مدرسة روحية كتابها القرآن المنزل » ثم أضاف يقول : «لقد اكد وكيل الاتهام بأنه بلغ من مدى ذيوع (رسالة النور) ان قرأها عام ١٩٤٧ ستمائة ألف شخص منتشرين عبر اقليم الاناضول من أساتذة وعمال وفلاحين وطلبة وموظفين ، وماذا في ذلك ؟؟ هل أدت تلك القراءة بواحد منهم الى اهمال واجباته أو الانقطاع عن نشاطه ، وهل قام واحد منهم بتهديد الامن العام أو خرق دستور البلاد ، اذا فكيف تبيحون لانفسكم غلق هذه المدرسة التي تنبع أصولها من قلوب مثل هذا العدد العظيم من المواطنين الاتراك ·

ان البعض يأخذ باعتمادي طربوشا على رأسي ويرى عدم خلعي له اهانة بمجلسكم الموقر · تذكروا انهم قلة أولئك الذين استبدلوا عن طواعية ورضا عمائمهم بغطاء الرأس الاوربي واذكروا أن الملايين من الاتراك اكرهوا على ذلك الاستبدال اكراها ، ويجري ذلك في الوقت الذي يتاح فيه للماسونيين واشياعهم من أن يسخروا ـ بكل حرية وفي جراة ووقاحة ـ بالاسلام وأن وأن يمتدحوا ويمجدوا ملذات الخمور وأن يزينوا الزنى وان يشوقوا الناس الى الخمر في حين يحرم علي وعلى أتباعي أن نذيع وننشر رسالة القرآن المجيد وأن ندعو الى الله ، انكم تتهمونني بأنني رجعي شرير ، وأنتم تعلمون انني من أبطال الوطنية منذ نعومة أظفاري ، واني أخص النمل بجانب راتب من قوتي اعجابا مني بتنظيمها الديمقراطي ، وانكم لتزعمون أني أدعو الى ضرب من التصوف وأنا أؤكد لكم أن الجنة ليست للمتصوفة وحدهم ، ولكن من المؤكد أنه من المستحيل ان يدخل الجنة من لا يؤمن بالله ، ولا يلتزم بشرعه في ظرف عشرين سنة تعاقبت اثناءها على دست الحكم ثلاث حكومات من لدن اتاتورك حتى الآن ، وفي خلال هذه الفترة مثلت أمام محكمتين ولكن اية منهما لم يتوفر لديها أي دليل على ادانتي . بله تلك العربية التي تزعم انني عدو لتركيا · واذا كان الامر كذلك فاتركوني لاداء رسالتي » ·

مجاهد في الثمانين :

ثم لم يلبثوا أن أحالوه مرة أخرى الى المحاكمة · قال أتفترضون أيها الحكام انني أعمل لغاية نفعية · ها أنذا أمامكم شيخ يحمل على كتفيه اثقال الثمانين ، رجله في القبر ، فقير لا يملك شيئا من متاع الدنيا لا مالا ولا عقارا فماذا ترونني صانعا وانا في هذا السن بمتع الحياة الدنيا ، لقد قضيت حياتي فوق ساحات الوغى ، كما عانيت الاعتقال في معسكرات الاسرى ، وعشت طريدا في المنافي والسجون ، لقد طاردتموني من مكان لآخر ، وأبعدتموني من مدينة لغيرها كانني

و

متشرد منبوذ من المجتمع ولم تتورعوا حتى عن حرماني من الاتصال بأهلـي وأقاربي ، ولو لم يكن ايماني واحتسابي يعصمانني من الوقوع في وهدة اليأس، لاستطبت الموت وفضلته على مثل هـذه الحياة المنغصة . ولكن هذه الحياة على غصصها وآلامها اتاحت لي أن اكتـب « رسالة النور » التي بفضلها اتيحـت السلامة من العذاب الدائم ، لما يزيـد عن النصف مليون من الناس فاللـه أحمد الف مرة واياه أشكر ان وفقنـي بتضحية من أجل شعبـي · ان عذاب النار أو نعيم الجنان عندي سيان اذا ما جحد القرآن في هذه الدنيا لانني وان أكن منعما في الجنة فانني لاشعر بدبيب الالم يمشي في أعماق نفسي اذا مـا حصل ذلك · بيد انني لاشعر بسـعادة عارمة تملأ على نفسي اذا سلمـت العقيدة في وطني تركيا ، ولو كنت أعذب في أعماق الجحيم » ·

وهكذا قيض الله لتركيا رجلا حمته رحمة الله من أن يشنق أو يقتل حتـى أدى رسالته فمن سعير هذا الجحيـم ، نشأ وكتب ، وحفظ الله له ما كتبفوصل الى كل مكان وانتفعت به الملايين ، وحرر الفكر الاسلامي التركي من التبعية ·

وكان النورنسي عالما بكل أسـاليب الاتحاد والترقي والكماليين ، مؤمنـا بأن دعوة القرآن هي المنطلق الوحيـد للاصلاح ولانقاذ المسلمين · « لم ينفـك يدعو الشعب بحرارة وايمان الىالتمسك باهداب القرآن الكريم كما لم ينفك يحذر مواطنيه من الوقوع في حبائل الغـرب مبينا لهم ان البديل الوحيد للاسلام هو العبودية للغرب وان المسير في ركـاب الغرب يؤدي حتما الى فناء الذاتيـة وذوبان الشخصية » ·

قوة الايمان :

ولقد كانت عباراته أمام محاكميـه مليئة بالايمان والقوة : « لو كنت أملك الف روح ، لضحيت بهن الواحدة تلو الاخرى طائعا مختارا في سبيل الذود عن الاسلام ، ان أي عمل يتناقـض مع الاسلام ما هو الا باطل في اعتقادي وأنني في هذه اللحظة لاضع قدمي على أبواب البرزخ في انتظار الرقدة التـي ستقودني الى العالم الآخر ، وأنـا مطمئن ومستعد كل الاستعداد للرحيل الى الدار الباقية ، لالحق باخوانـي الذين انقذهم قرار محكمتكم الجائـر من حياة الطغيان والعلـو في الارض بغير الحق » ·

وفي كل مكان كان يدافع عن الحق : « لو أن المسلمين أخلصوا لعقيدتهـم ودافعوا عنها بكل قوة وايمان لامكن أن تحل الحضارة الاسلامية محلالحضارة الغربية التي ينخرها سوس الاطمـاع الخسيسة والشقاق بالاضافة الى أنها خاوية من كل اتجاه روحي » ·

وتعرض للموت أكثر من مرة ،عندما حكموا عليه بالاعدام ثم أطلقوا سراحه وعندما أسره الروس في الحرب العالمية الثانية وحكموا عليه بالاعدام ثم عفي عنـه ·

مذكرة الى البرلمان :

ولقد كان يهز الناس كلما تكلم حتى أعضاء برلمان اتاتورك حين وجه اليهم مذكرة من عشر نقاط قال في مقدمتها : « اتقوا يوما تقفون فيه أمام الله سبحانه ولا يغرنكم انتصاركم بالامس على العدو

لتفسدوا هذا النصر بسلوك فخر ، انكم ان تختاروا تقليد الاوربيين فانكم ستفقدون عطف ومؤازرة العالم الاسلامي الذي سيتحول عنكم الى جهة أخرى ٠٠ فكان من أثرها أن التزم مائة وستون نائبا على الالتزام بشعائر الاسلام في حياتهم وسلوكهم ٠

وقد حاول مصطفى كمال أن يستدرجه لموالاة نظامه عن طريق الاغراء المادي فعرض عليه أن يكون الامام الاكبر لاقليم الاناضول ، ولكن بديع الزمان كان فوق كل اغراء ، وفضل الانزواء والبعد عن ضجيج المدن ، حيث نصب نفسه داعية الى الله فاجتمعت اليه هذه البذرة التي نمت من بعد وسرعان ما التفتت الفئة الحاكمة الى هذا النشاط وعملت على تعطيله وابعدته الى منطقة نائية في أعماق تركيا ظل مبعدا بها ثمانية أعوام محروما من الاتصال بأفراد أسرته وأهله ٠

ومات أتاتورك عام ١٩٣٨ وعاش النورنس الى ١٩٦٨ ثلاثين عاما بعد اتاتورك افسح الله فيها العمل لدعوة الحق ، ومات ليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة القدر عن ست وثمانين سنة ، بعد ان ترك ذلك التراث وتلك الجماعة المؤمنة التي هي عماد النهضة الاسلامية في تركيا اليوم ٠

نجم الدين أربكان :

ومن نقطة (رسائل النور) بدا التحول في تركيا الاسلامية مرة اخرى عودة الى المنابع ، ويرى المؤرخون أن انتخابات عام ١٩٥٠ تعتبر نقطة التحول في تاريخ تركيا الحديث ، كانت بدأ سقوط ذلك الفكر العلماني الفاسد الذي سيطر على تركيا هزيمة حزب الشعب ٠ حزب اتاتورك ، فقد كان حزب عدنان مندريس (الحزب الديمقراطي) قد قدم برنامجا ضخما يتضمن عودة الاذان بالعربية ، والسماح للاشتراك بالحج ، واعادة تدريس الدين بالمدارس واعادة ايا صوفيا مسجدا ، ومن ثم فقد حصل على ثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا وسقط حزب اتاتورك الذي حصل على (٣٢ مقعدا) وكان من مطالع التحول الجديد : ان عقد عدنان مندريس اول جلسة لمجلس الوزراء في غرة رمضان وأعاد الاذان باللغة العربية وبدأ تعمير المساجد واستعادت الحكومة المساجد التي باعها اتاتورك وقرر تدريس الدين بالمدارس ، وفتحت مدرستان للائمة وفتح خمس وثلاثون ألف مدرسة لتحفيظ القرآن ٠

ومن قلب هذه الاحداث نشأ حزب السلامة الوطني الذي اقترن اسمه باسم الدكتور نجم الدين اربكان استاذ الميكانيكا في الجامعة التكنيكية في استنابول وبذلك برز في تركيا في وضوح اتجاه اسلامي واضح وعميق من خلال التحرك السياسي وكان حزب السلامة علامة على الفكر الوطني الاصيل الذي يستمد جذوره من الاسلام وسطا من حزب الفكر الحر الليبرالي (حزب العدالة) والفكر اليساري (حزب الشعب الجمهورى) وبذلك أصبح حزب السلامة عامل الموازنة في الحياة السياسية التركية ٠٠ وقد كانت بيانات حزب السلامة تعلن دائما أنها تهدف بالوصول بالامة التركية الى أن تنهض معنويا وماديا ، وان الشعور الوطني للامة كل لا يتجزأ ، والشعب

التركي مرتبط بماضيه يحترم تراثه وعرقه ويحافظ عليهم وهو بعيد عن كل تقليد ، مدرك تمام الادراك لشخصيته الاصيلة وقرر حزب السلامة : ضرورة الغاء الربا بكل حزم والقضاء على الاسراف · وقد اعلن برنامجا طويلا للتصنيع ومنها المصانع الحربية بدلا من الخضوع للدولة الاجنبية ، ويقول نجم الدين : نريد أن تكون تركيا دولة رائدة ، وليست تابعة تدور في فلك الآخرين ·

[illegible]

وقد قام الحزب خلال اشتراكه في الحكم بتخصيص ٤٠ مليون ليرةتركية لمشروع جامع القرية ،وتخصيص ميزانية جديدة لكادر الائمة والمؤذنين ومدارس تحفيظ القرآن ، ووجه الحزب عناية واضحة لمدارس الائمة والخطباء ·

كذلك حمل الحزب على المطبوعات المخلة بالآداب ، أقام أكاديمية للعلوم الاسلامية وأعد لها قانونا بالفعل وضاعف عدد المعاهد الاسلامية العالية·

وكشف نجم الدين عن فساد الفكر الوافد سواء الاشتراكي منه أو الرأسمالي : فقال عن الاول أنه فكر يهدر الحريات ويضر بالكيان القومي ويركز على مصادر أجنبية أما الفكر الرأسمالي فهو فكر يقوم على الربا ومصدره أجنبي أيضا ، أما حزب السلامة فيمضي في طريقه رافعا راية الاخلاق والاصالة وقال ان النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي لا يقتصران على ميدان الاقتصاد وانما يمتد تأثيرهما الى الميدانين الاجتماعي والمعنوي ورغم اختلاف النظامين في الظاهر فكلاهما مادي وكلاهما نفعي وكلاهما يريد ربط الأمم الاخرى به ثقافيا وكلاهما يعمل على النهوض بالجانب المادي في مقابل انحطاط في الاخلاق والمعنويات وكلاهما يزداد ارتفاعا ماديا مع هبوط في الثقافة والاخلاق ·

[illegible]

وفي مختلف ميادين السياسة الدولية قدم نجم الدين مفاهيم اسلامية أصيلة : وقد لخصت جريدة انزيجر الالمانية هذا التحول الخطر بقولها : ان عودة الاسلام لتركيا ومخالفتها بذلك لاسس الدولة العلمانية التي ارسى أتاتورك دعائمها لمثار تفكير من قبل جهات عدة ، ان المستفيد من هذا كله حزب السلامة الذي هو ضد عضوية تركيا في حلف شمال الاطلنطي ودخول تركيا عضوا في السوق الأوروبية المشتركة ·

ولقد دعا نجم الدين الى ضرورة تطوير علاقات تركيا بالعالم الاسلامي من جميع الوجوه وان لا تظل هذه العلاقات صورية وانما يجب أن تكون علاقات فعلية متطورة ، حيث أن في العالم ما يقرب من خمسين دولة اسلامية يبلغ سكانها مليارا وهذهالدول الاسلامية سوق طبيعية قوية لانتاجنا ·

سقوط حزب الشعب :

وهكذا حدث تحول كبير في تركيا بعد أن ظل حزب الشعب الذي أنشأه مصطفى كمال اتاتورك ١٩٢٣ ـ ١٩٥٠ حزبا علمانيا وعندما مات اتاتورك ١٩٣٨ خلفه عصمت انينو في رئاسة الحزب ، ومنذ عام ١٩٥٠ لم يستطع

هذا الحزب أن يحكم بمفرده وان دخل احيانا الوزارة في ائتلاف مع احـزاب أخرى ، ويعبر حزب السلامة رسميـا عن اتجاهاته بعبارات الاخلاق والمعنويات والعودة الى التراث والمحافظة علـى المقدسات وقد كان من أثر ذلك أنـه عندما مات خليفة اينونو رفض الشعب الاشتراك في الجنازة ، ولما حملوه الى أحد المساجد رفض الامام أن يصلـي على جثمانه وترك المسـجد وظلوا يتنقلون به من مسجد الى آخر حتـى عثروا على شيخ يقوم بهذه المهمة وما كاد الشعب يعرف ذلك حتى حاصـر المسجد وهم بخطف الجثمان ولم تتم الصلاة على جثمانه الا في حمايـة الجيـش ·

ولم تكسب تركيا من التجربة شيئا . قال اقبال : « انكم أيها الاتراك أخذتـم جوار أوروبا وصحبتها مع انكم كنتـم بفضل الاسلام على مقربة من النجـوم والكواكب » ، ويقول ارنولد توينبي «أن تركيا عندما تغربت أصبحت عالة علـى التكنولوجيا الغربية ولم تستطع أن تقدم شيئا ، وقد ظلت تركيا حتى يومنا هذا متخلفة بمقاييس التقدم والحضارة لم يعترف بها الغرب كدولة اوروبيـة ومـا علاقتها بالغرب الا علاقة الاحـلاف والتبعية » ·

ولقد كان من أبرز عوامل التقارب مع العالم الاسلامي : انعقاد مؤتمـر السيرة النبوية بتركيا عام ٧٧ فقـد احدث شعورا طيبا بتعميق هذا الاتجاه الاصيل · ولقد كان من أبرز أحـداث هذا المؤتمر ، ان تم بين المؤتمرين عقد اتفاق يجدد واجباتهم نحو عقيدتهـم وبلادهم وقد حرر الاتفاق على صيغة تعهد التزم به المسئولون عن الصحافـة الاسلامية التي شاركت في المؤتمر وركز الميثاق على القول بأن الاسلام يدعو الى تثبيت الاخوة الاسلامية ومحاربة كـل فكرة عنصرية أو سلالية ولذلك فـان الصحافة الاسلامية تلتزم بالعمل لتثبيت فكرة الاخوة بين مختلف الشـعوب الاسلامية ·

وهكذا تزحف تركيا مرة أخرى بقوة الى استعادة مكانتها في عالم الاصالة والقيم وحضارة الاسلام وتحطم ما عاقها خلال خمسين عاما عن أداء دورهـا المرمـوق ·

[يقول العلماء]: اما قد حدث كـذا فليكن كذا · بتشديد اما ، وهذا خطأ ، والصواب اما ، بتخفيف الفتحة على الميم ، لابتشديدها ، فتقول : اما وقد حدث كذا فليكن كـذا ·

واحتوت الكاتب الصحافة الاسلامية التي ازدهرت في النصف الثاني من الاربعينات ، فصقلته المعارك والصدام ولم يكتف بما كان يكتب في صحف الجماعات الاسلامية ومجلاتها بل اصدر في عام ١٩٤٦ سلسلة من الكتب الدورية كانت تصدر شهريا تحت عنوان « سلسلة رسائل الفكر الاسلامي » • والتي لم تلبث ان توقفت عندما تعرض جهاد الجماعات الاسلامية للتشريد والاضطهادبصور متعددة الاشكال في الوطن الاسلامي العربي •

ولم تمنع تلك المحن المتتابعة الكاتب أن يعود في الستينات ، غض الفكر وان وهن الجسد ، وظل منذ ذلك الحين يفضح الاتجاهات الثقافية العميلة المناهضة للاسلام ، بالمقالة حينا وبالكتب التي يكلفه اصدارها فوق طاقته حينا اخر ، وما زال يعيش حياته البسيطة زاهدا متحاملا على الضعف الجسمي ، بقوة العارضة وحدة القلم ، وتتبعه الدائب لكل مشبوه من العمالة والالحاد الفكري •

الكتاب :

وكتابه الذي نقدمه للقارىء اليوم واحد من هذه الكتب ظاهره الادب العربي الحديث ومشاكله ، وحقيقته كشف القناع عن عدد من المؤلفات والمؤلفين ، كتبت مؤلفاتهم على مدى اربعين عاما او تزيد ، في اشكال مختلفة من صور الكتابة المعاصرة بحوثا او مقالات متفرقة في الصحافة • او كتب ، او دراسات علمية او جامعية •

لم يجمعها في نظر المؤلف كوحدة موضوعية ـ رغم اختلاف مناهجها ـ الا ما حوت من طعنات ظاهرة او خفية للفكر الاسلامي وثقافته المتنوعة . قد يكون بعضها برىء المظهر لكن السم دفين في براءة كاتبه . حين يبحث عن المعاصرة الادبية والثقافية . او درب من دروب اليقظة الفكرية . بينما كان البعض الاخر صريح العداء للفكر الاسلامي واللغة العربية الاصيلة « وعاء الاسلام » •

ولم يرهب الكاتب ما وصف به كثير من هؤلاء المؤلفين والكتاب من القاب علمية او ادبية ، او مراكز رسمية ذات طابع توجيهي مؤثر ، وما كان لبعض هؤلاء الكتاب من حول وطول •

منهاج الكاتب :

قدم الكاتب دراسته ومنهاجه بمدخل الى البحث : فسرفيه الشعوبية في الادب العربي الحديث بانها تعني •

اولا : اخراج هذا الادب عن قيمه

للكاتب الاسلامي
الاستاذ انور الجندي
عرض : د. عبد المجيد وافي

الاساسية ورسالته الطبيعية .

ثانيا : قطعة عن الادب العربي كله وفصله حتى يكون اشبه بكيان منفصل .

ثالثا : ازدراء الماضي والتاريخ والتراث ومحاولة النظر اليه على انه غير صالح للانتساب اليه .

رابعا : فرض مفاهيم وتقاليد واساليب دخيلة عليه في محاولة لاحتوائه وصبغه بها .

خامسا : فرض مناهج وافدة في النقد والتفسير ترمي الى هدمه والازدراء به .

ثم عقب على هذه المعاني مفسرا مراده فقال : « وقد جاءت ظاهرة الشعوبية في الادب العربي الحديث : كواحدة من مؤامرات التغريب والغزو الثقافي ، تحاول ان تشكل تيارا مؤثرا يستهدف ضرب الاصالة العربية الاسلامية، وانتزاع الادب العربي من قيمه وأسسه وقوانينه ، وذلك بمحاولة تغليب اجناس ادبية وافدة او انتزاعه من طابعه ودفعه الى سلوك طرق مظلمة مضطربة » ويستمر في توضيح اهداف الشعوبية حيث بين هدف دعاتها ، وهو حمل شعار التحضير والمعاصرة والنهضة والتقدم ، تحت لواء علمنة الذات العربية ، وكلها كلمات مسمومة ما عادت تخدع احدا .

ان الفكر الاسلامي ـ والثقافة العربية « والادب العربي » ، وليداه مطالب بان يكشف عن ذاتيته ويحميها لانه فكر يتميز بانه يقوم على بعدين واضحين ، بعد متصل بالسماء وبالاخرة . والوحي والالوهية ، وبعد متصل بالحياة والمجتمع . ويتميز بانه صفحة جديدة بدات منذ جاء الاسلام وظل اتصاله قائما وحيا بميراث النبوة ، وكل المحاولات والاضاليل التي تريد ان تفصله وتجعله فكرا عربيا لاصلة له بالفكر الاسلامي باعلاء الجوانب الاقليمية والكيانات المنفصلة والتيارات التي تحاول ان تترك بصماتها عليه وهي الماركسية والفرويدية والوجودية .

ومن هذا المنطلق الذي اوضحه المدخل بوب الكاتب بحثه الذي استوعب مائتي صفحة واربعا وستين صفحة ٢٦٤ من القطع المتوسط بالترتيب التالي :

الباب الاول ـ التراث واللغة ، وقسمه الى فصلين . الفصل الاول في مواجهة الترات والفصل الثاني في مواجهة العربية الفحصي .

الباب الثاني . في مجال الادب ، وقسمه الى فصول اربعة الفصل الاول . مرحلة الهدم واثارة الشبهات . الفصل الثاني . بناء الواجهة الشعوبية . الفصل الثالث . الشعر الحر . الفصل الرابع : العامية الشعر الحر . الباب الثالث . ابعاد المواجهة الشعوبية .

ولكي يكون الكاتب منهجيا وموضوعيا . قدم فهرسا من نوع جديد ، عرض فيه المادة التي يناقشها في الابواب والفصول السابقة، معنونة باسماء الكتابات المشبوهة واصحابها بارقام صفحات الكتاب ، التي

تناولت الكتاب وكتاباتهم بالنقد والمواجهة ·

الشعوبية : تزييف الاسلام

وفي الفصل الاول من الباب الاول والمنون «في مواجهة التراث» تحدث الكاتب عن تركيز الشعوبيين في الهجوم على التراث والدعوة ، الى الاستهانة بالثقافة العربية الاسلامية بتمجيد ما بقي من شعر قديم او نثر عتيق يحمل طابع الانحلال الفاسد، والسكوت عن القيم الراسخة حتى لاتكون موضع تقدير الباحثين ·

وعمدت الى تزييف قيم الاسلام فكرا وتاريخا وتراثا ولغة بمهاجمة الشعر الاصيل والفصاحة والبلاغة بيانا وخطابة، واضفاء صورة الاصالة الى تاريخ ما قبل الاسلام ، حتى يطغى على تاريخ الاسلام او يكون بمثابة مقدمة له ، وبذلك يصبح الاسلام امتدادا ، وهذا تزييف بدأه الاستشراق لفترة حتى تلقفته الشعوبية ، وما كان الاسلام الا فكرا نضرا متميزا عن المسلمات الزائفة التي قامت عليها الجاهلية من وثنية وعبودية واباحية ·

وابان الكاتب كيف استغل الشعوبيون ظروف النكسات التي مرت بها الامة العربية ، فجعلوا اهم اسبابها ارتباط العرب والمسلمين بتاريخ وتراث الاسلام والعروبة ، داعين الى التخليص من الماضي لمواجهة العصر باساليب العصر ومفاهيمه·

مراحل التزييف :

ثم اخذ يبين المراحل المتتابعة لمحاولاتهم الماكرة ودرجاتها .

اولا : اعراضهم عن تسمية التراث باسمه الحقيقي الذي كان عاملا في وجوده وهو الاسلام ، للتخلص من اى صورة من صور الاعتراض عندما اطلقوا عليه « التراث العربي » تغييبا وتجاهلا لطابعه الاسلامي ·

ثانيا : الدعوة الى الانتقاء والاختيار باقتباس خير مافي الجديد ، واحياء خير مافي القديم ، او ما يسمى بالصيغة الجامعة بين التراث والحضارة تتمثل في اعلاء العقلانيات وترك الغيبيات او ببيان اوضح ، التخفف من الاحتماء بالقرآن الكريم والسنة المطهرة · واعلاء شأن الدعوات المشبوهة من الاعتزال وفرق الراوندية والخرمية والباطنية والاباحية وهدم تعاليم الاسلام ·

ثالثا : وضوح الهدف واتهام الاسلام بانه مصدر الهزائم والنكسات والتخلف ، فهاجموا القران الكريم واثاروا حوله اقاويل الباطل ، واعلو من شأن التراث الجاهلي الوثني والمسيحي ، وتولى كبر هذه المأساة في اجزاء مختلفة من الوطن العربي وظهرت بوضوح فيكتابات ادونيس ونزار قباني وغالي شكرى ولويس عوض ويوسف الخيال ، وهم في ذلك يأخذون بأقيسة منقولة عن تجارب الغرب المسيحي، الذي اصطدم بالاوضاع الكنسية · غير شاعرين او جاهلين ان الاسلام والعروبة يقومان على قاعدة صلبة ، من ايمان الامة وصحة العقيدة وسلامة القدوة المتمثلة في السنة النبوية المطهرة ، وان الاسلام يقوم بالنقد الذاتي لتعديل مسار روح العصر حتىتكون مطابقة للميراثالرباني·

لقد دعوا الى فكالرابطة بين السماء والارض والزمن والروح ، والهدف من ذلك هو المصادر الحقيقية « الميراث » الاسلام المتمثل في اخلاقيات القرآنالكريم، ومثاليات السنة والسيرة العطرة التي هي مصادر الحيوية الحقيقية للمجتمع المسلم ·

نموذج من نماذج الفكر الشعوبي :

يختم الكاتب فصله بمواجهة صريحة مع الدكتور زكي نجيب محمود ، مسجلا عليه اعترافه بمصادر ثقافته الاوربية ، وانه ظل لا يعرف الا شذرات من التراث العربي لا يعرف كيف يجمعها في صور متكاملة ، مؤكدا ان من ظل سبعين عاما

بين خرافة الميتافيزيقيا وجبرية الذات لا يمكنه ان ينطلق من اسار الوضعية المنطقية الجدلية التي نشأ فيها ، ومع ذلك فان دراسته عن التراث كانت قاصرة ، لانه هرب من الاصالة في جوانب الفقه او العقائد او العلوم التجريبية او الاخلاق او التربية ، ودرس ما يتصل بالسحر والتنجيم ، وترك الغزالي وابن تيمية وابن

القيم ، فهل هذه هي العقلانية التي يبحث عنها ، وهل البحث وراء جهم بن صفوان وقد ريته هي العقلانية ، والمزدكية وزندقة ابن الراوندي والباطنية والحلول والتناسخ والاتحاد هي أصفى ما قدم التراث .

ويصل الكاتب الى هدفه من كشف حقيقة الدعوى الباطلة ، عندما يوضح كيف اهتم الدكتور حين يقارن الوحي والنبوة بانكار الراوندية للصلاة وغسل الجنابة والطواف حول البيت ورمى الجمار ، ورفضة الوحي والنبوة واعترافه بجدية الفكر الراوندي وواقعيته . وقبل ان يختم الكاتب فصله مع الدكتور زكي نجيب محمود يواجهه بان طلب الحق ومعرفة الله تعالى لايحجبه قوانين الطبيعة والمغناطيسية والجاذبية، ولايشغل الدنيا عن امر العقيدة ولا يصم آذانها عن الفطرة لان العلوم الطبيعية والتجريبية هي المنطلق الحقيقي الى معرفة الله الخالق المبدع .

وان الغرب عندما وصل الى مفهوم « اسقاط القداسة من كل قديم » فان القديم من تراث الغرب لايستحق القداسة، واذا اراد الدكتور ذلك المفهوم بالنسبة للتراث العربي « الاسلامي » فانه يكون قد كشف عن حقيقته .

ان الاسلام والمسلمين يستلهمون اصالتهم ونهضتهم ويقظتهم مما هو اعلى من التراث، من الكتاب والسنة اما التراث ففيه الغث والثمين . ولا يمكن ان يحسب على التراث الاسلامي تجارب الزنادقة وفلسفة الفلاسفة، بعيدا عن كتاب الله وسنته . وبذلك يحكم على الدكتور بانه صاحب هوى وغرض مبيت . والا فعليه ان يترك هواه ويرجع الى منهج القرآن وثمار القرآن من امثال الغزالي والجرجاني وعلماء الاسلاميات المخلصين .

في الفصل الثاني واجه الكاتب دعوة من اخطر الدعاوى على الاسلام والمسلمين واشد خطرا على العربية هي ما يسمى باصلاح العربية ، وهذه الدعوى ظاهرها الاخلاص في وضع العربية هجاء وحديثا على مستوى العصر . ولكن التأمل في مراحل الدعوة ووسائلها واساليبها يكشف الخطر الداهم . ذلك ان مظاهر هذه الدعوة قد انشعبت في ثلاث طرق . اولها : الدعوة الى كتابة العربية بحروف لاتينية لتسهيل النطق المشكول بلا خطأ في الاعراب ؟؟ .

ثانيها الدعوة الى تبنى العامية وبث وسائل التعليم عن طريقها على مستوى شعوب الامة العربية .

ثالثها : الدعوة الى اصلاح قواعد النحو العربي وحذف كثير من ابوابه ، حتى يمكن التجاوز عن علامات الاعراب كلا او بعضا واطلاق اصطلاحات جديدة على الفعل والفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر . الخ .

وتحت كل باب من هذه الابواب او الشعب التي دعا اليها الشعوبيون مسائل فرعية كلها هدامة ماحقة لو استجاب اليها العرب او المسلمون . فاقل جريرة من جرائرها الفصل التام بين العروبة المعاصرة وتاريخها الاسلامي . وهدفهم ان يصبح القرآن ولغته لغة كلاسيكية تدرس دراسة اكاديمية كما تدرس اللغات البائدة كالهيروغليفية والاشورية والبابلية .

الهدف والغاية :

يقول المؤلف « والهدف هو هدم اللغة العربية الفصحى ، طريقا الى هدم القرآن وعزل البيان العربي عن مستوى القرآن ، حتى يصبح القرآن بعد سنوات معزولا عن اسلوب الكتابة العربية وبذلك يصبح في

حاجة الى القاموس.. وتودع اللغة العربية المتحف الذي دخلت اليه اللاتينية وغيرها».

ولكنها محاولة شعوبية خطيرة للفصل بين المسلمين والعرب وبين الفصحي لغة القرآن ، وهي مؤامرة ترمى الى الغاء الفصحي وحصرها بالجوامع ، كما تحصر السريانية بالكنائس والاستعاضة عنها باللغة العامية » .

وقد كتب احدهم ديوان شعره بالحروف اللاتينية ، والحروف اللاتينية لا يمكن ان تفي بحاجات المخارج العربية ، ففي اللغة العربية اصوات لا وجود لها في لغة اخرى ولا يمكن التعبير عنها بغير حروفناالعربية الاصيلة وخاصة حروف الحاء والضاد ثم الفروق بين اصوات السين والصاد والتاء والطاء .

ثم يكشف النقاب عن فرسان حركة عداء العربية الفصحي فيقول :

تجرى محاولات لويس عوض في اربع مجالات خطيرة تستهدف النيل من الفكر الاسلامي :

١ ــ خصومته للغة العربية خصومة واضحة ودفاعه المستميت عن العامية بالحروف اللاتينية .

٢ ــ خصومته للشعر الموزون المقفي وعاموده والدعوة لتحطيمه .

٣ ــ خصومته لكل قديم ــ والقديم هنا ــ ليس هو الفكر اليوناني او العصر المسيحي ــ وانما حملته الشديدة على الحضارة الاسلامية ودورها العالمي وعلى التراث .

٤ ــ ابراز اثر الفكر اليوناني والغربي الحديث على الادب العربي وثقافته ، ونفي او السكوت عما عداه كأنه لااثر الاللغربي وغيره قاصر عن التاثير .

ان لويس عوض يرى كيف قضت العربية القرآنية الفصحي على السريانية في سوريا ، والقبطية في مصر بعد سنوات قليلة من دخول الاسلام ، ولا بد من احلال العامية متتبعا في ذلك خطو سلامه موسى

وتحت كل باب من هذه الابواب او الشعب التي دعا اليها الشعوبيون مسائل فرعية كلها هدامة ماحقة لو استجاب اليها العرب او المسلمون ، فأقل جريرة من جرائرها الفصل التام بين العروبةالمعاصرة وتاريخها الاسلامي ، وهدفهم ان يصبح القرآن ولغته لغة كلاسيكية تدرس دراسة اكاديمية كما تدرس اللغات البائدة كالهيروغليفية والاشورية والبابلية .

يقول المؤلف « والهدف هو هدم اللغة العربية الفصحي ، طريقا الى هدم القرآن وعزل البيان العربي عن مستوى القرآن ، حتى يصبح القرآن بعد سنوات معزولا عن اسلوب الكتابة العربية وبذلك يصبح في

حاجة الى القاموس.. وتودع اللغة العربية المتحف الذي دخلت اليه اللاتينية وغيرها».

ولكنها محاولة شعوبية خطيرة للفصل بين المسلمين والعرب وبين الفصحي لغة القرآن ، وهي مؤامرة ترمى الى الغاء الفصحي وحصرها بالجوامع ، كما تحصر السريانية بالكنائس والاستعاضة عنها باللغة العامية » .

وقد كتب احدهم ديوان شعره بالحروف اللاتينية ، والحروف اللاتينية لا يمكن ان تفي بحاجات المخارج العربية ، ففي اللغة العربية اصوات لا وجود لها في لغة اخرى ولا يمكن التعبير عنها بغير حروفناالعربية الاصيلة وخاصة حروف الحاء والضاد ثم الفروق بين اصوات السين والصاد والتاء والطاء .

فرسان مواجهة الفصحى :

ثم يكشف النقاب عن فرسان حركة عداء العربية الفصحي فيقول :

تجرى محاولات لويس عوض في اربع مجالات خطيرة تستهدف النيل من الفكر الاسلامي :

١ ـ خصومته للغة العربية خصومة واضحة ودفاعه المستميت عن العامية بالحروف اللاتينية ٠

٢ ـ خصومته للشعر الموزون المقفي وعاموده والدعوة لتحطيمه ٠

٣ ـ خصومته لكل قديم ـ والقديم هنا ـ ليس هو الفكر اليوناني او العصر المسيحي ـ وانما حملته الشديدة على الحضارة الاسلامية ودورها العالمي وعلى التراث ٠

٤ ـ ابراز اثر الفكر اليوناني والغربي الحديث على الادب العربي وثقافته ، ونفي او السكوت عما عداه كأنه لااثر الاللغربي وغيره قاصر عن التأثير ٠

ان لويس عوض يرى كيف قضت العربية القرآنية الفصحي على السريانية في سوريا ، والقبطية في مصر بعد سنوات قليلة من دخول الاسلام ، ولا بد من احلال العامية متتبعا في ذلك خطو سلامه موسى والخوري مارون غصن وانيس فريحة ويوسف الخال ٠

يقول لويس عوض . « ان حلمه الكبير ان يظهر للعامية شاعر عظيم يستطيع ان يستغل مافي العامية من بلاغة » ويسأل الناس ئلايجد الاكلمات الشوارع والحواري ومصطلحات الكناسين والجزارين وجامعي اعقاب السجاير التي يرددها جاهين والابنودي ٠

وهذا ليس بغريب على من يرى ان الماركسية خلصته من خزعبلات الفكر المثالي والميتافيزيقا ، ومن حيرته بين الحرية «الليبرالية» وبين الجبرية التاريخية. يستهدف الغاء هذا القلق والتمزق والحيرة في قارئه العربي المسلم ليدمر كيانه ٠

يفاجأ لهم :

ويفاجأ لويس عوض بالبحث عن الروح في الفكر السلفي « ان حركة الفكر المصري بعد هزيمة ١٩٦٧ تتسم بظاهرة غريبة ومتناقضة تبدو في ازدهار الاحياء السلفي من جهة ، وازدهار الانفتاح نحو العالم الخارجي من جهة اخرى » ٠

طبعا يفاجأ لانه ينكر احياء التراث السلفي علينا . ولا ينكرها على الاوربيين عندما اتجهوا الى احياء تراث الاغريق والفكر اليوناني ، بعد انفصال دام اكثر من الف عام ٠ بينما الفكر الاسلامي متصل الحلقات وما زال ، وهكذا سقطت اصطلاحاته الاجنبية ، الهيومانيزم ، والراديكالية ، وفقدت احترامها واصبحت علامة على التبعية والولاء الاجنبي ٠

ان لويس عوض يخشى السلفية ، وهي اصفى مفاهيم الفكر الاسلامي الاصيل المتجدد ، ومنه استمدت الحضارة الاسلامية قوتها وحيويتها وانطلاقها ٠ واذا كان لويس عوض يريد فرض الوصاية على الاجيال القادمة ليحولها الى اجيال ممسوخة الهوية ، فان الاسلام لا يفرض الوصاية ولكنه يضع المصابيح المضيئة على الطريق، لتفضح عملاء ثقافة الماركسية الاشتراكية وبروتوكولات صهيون ٠

ولا ينسى المؤلف ان يستعرض دراسة منهجية لفكر لويس عوض ، اعدها الكاتب الاسلامي محمد محمود شاكر الذي بلور الفكر اللويسي العوضي في عبارة واضحة: اخطر اهداف تلامذة الاستشراق : « اقصاء القرآن عن الارض المفتوحة بالسيطرة على وسائل التعليم شيئا فشيئا » ٠

ثم يتعرض شاكر لتاريخ اللويس منذ كان طالبا في الجامعة ، الى ان عاد مشبعا بالحقد ، مقتنعا بالدعوة الملقنة ، كيف تخلصت الشعوب الاوربية من اسار اللاتينية ، انما تم ذلك بترجمة الكتب المقدسة الى اللغات الاوربية ليتم التخلص من سيطرة البابوات ووصاية الكنيسة ، ونحن يمكننا ان نترجم القرآن الى العامية ـ اى عامية ؟؟ ـ لننجو بديننا من غش رجال الدين من عهد الائمة الى اليوم ٠

صورة طبق الاصل من دعاوى سلامة موسى الذي كان يقول : ان الرابطة

الشرقية سخافة ، والرابطة الدينية وقاحة، والرابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوربا •
ومن هذا الباب ذهب لويس عوض يرجع الثقافة العربية وتاريخها الحضاري الى اصول غربية ، ينسب ما كتب ابن خلدون الى اورسيوس ، والمعرى الى راهب دير الفاروس الذي علمه ، والجنة والنار في القران الكريم الى وحي والهام الفكر اليوناني •• ويل له بما افترى • هذا احد عملاء الشعوبية ••

مستقبل الثقافة وهدم النحو والعربية :

ثم يقدم المؤلف في ختام هذا الفصل دراسة اخرى للدكتور محمد حسين عن كتاب مستقبل الثقافة في مصر الذي صدر ١٩٣٨ ثم لم يلبث صاحبه حينما تولي رئاسة المجمع اللغوى ورئاسة اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ان بدأ في تطبيق خطته والخطة هي :

اولا : العمل على استبعاد الازهر من القيام بوظيفة تعليم الدين ، لان مناهجه لا تحقق للدارسين فيه عمق الثقافة وحرية الفكر •• ؟؟

ثانيا : فصل الحياة الفكرية المعاصرة عن تاريخ الاسلام وفكره وثقافته ، والاقتصار على دراسة الادب منذ القرن التاسع عشر الذي يعتبرونه فكرا عربيا حديثا لا فكرا اسلاميا « كلاسيكيا » •

ثالثا : تبديل قواعد اللغة وتقييد رسمها واملائها ، واتجاه المجامع الازهرية والمعاهد الى دراسة اللهجات السوقية ، وتبعا لذلك غير المؤلف كتابة اسمه املائيا ليغاير الاملاء العربي القرآني •

هذا ما جاء في كتاب مستقبل الثقافة•

وفي الارض أمم متدينة كما يقولون وليست اقل ايثارا لدينها ولا احتفاظا به حرصا عليه ، لكنها تقبل من غير مشقة ولا جهد ان تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة ، التي تفكر بها وتصطنعها لتأدية اغراضها ، ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة •• ؟؟ التي تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدي فيها صلواتها « واللاتينية » مثلا هي اللغة الدينية لفريق من النصارى ، و « اليونانية » هي اللغة الدينية لفريق آخر والقبطية هي اللغة الدينية لفريق ثالث و « السريانية » هي اللغة الدينية لفريق رابع • وبين المسلمين انفسهم امم لا تتكلم العربية ولا تفهمها ولا تتخذها اداة للفهم والتفاهم ، ولغتها الدينية هي اللغة العربية ، ومن المحقق انها ليست اقل ايمانا بالاسلام واكبارا له وزيادا عنه وحرصا عليه » •

هذه خطوة ، ومرماها مفهوم ، اما الخطوةالثانية حين يفصح عنغايته فيقول: « فالذين يزعمون اننا نتعلم المصرية العربية •• ؟؟ ونعلمها لانها لغة الدين فحسب ، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من النتائج العلمية والعملية ، انما يخدعون الناس وليس ينبغي ان تقوم حياة الامم على الخداع • فان اللغة العربية ليست ملكا لرجال الدين يؤمنون وحدهم بها ويقومون وحدهم من دونها ويتصرفون فيها •• ؟؟ ولكنها ملك للذين يتكلمونها جميعا من الامم والاجيال ، وكل فرد من هؤلاء الناس حرفي ان يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك ، متى استوفي الشروط التي تبيح له هذا التصرف •

اذا فمن السخف ان يظن ان تعليم اللغة العربية وقف على الازهر الشريف والازهريين . وعلى المدارس والمعاهد التي تتصل بينها وبين الازهريين اسباب طوال او قصار •

وهذا سخف لان الازهر يستطيع ان يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية جميعا وفيهم المسلم وغير المسلم•

عروبة القرآن لا عروبة الغد :

ان هدف هؤلاء الناس ان تصبح عربية الغد شيئا يختلف كل الاختلاف عن عربية القرآن الاول ، بل عربية الامس القريب واليوم ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربي والاسلامي كله متعذرة على غير المتخصصين من دراسي الاثار ومفسرى الطلاسم ، وعندئذ يصبح كل جهد سياسي او حربي او ادبي مما يبذل اليوم في جمع شمل العرب والمسلمين عبثا لا طائل تحته . يقول صاحب مستقبل الثقافة :

« ان ابينا ان لا نمضى كما كان النحو وكما كانت الكتابة ، فلا بد ان ينشأ عن هذه اللغة الفصحي القديمة لغات مختلفة كما نشأت الايطالية والبرتغالية والاسبانية عن اللغة الاتينية القديمة » .

ان اصحاب هذه الدعوات لايقنعون الا بما يقطع كل ما يربطنا باسلامنا وعروبتنا من وشائج وصلات وعندئذ نفقد طابعنا الذي يميزنا كأمة .

وهكذا قدم المؤلف عميلا اخر وترك لآرائه انتعبر بوضوح عنعدائها لاستمرار الفكر الاسلامي وارتباطه بالثقافةالعربية .

الغـزو والتخريـب :

وعندما ننتقل الى الباب الثاني من الكتاب نجد ان الكاتب يبرز اخطر مراحل الهدم واثارة الشبهات من جماعات الشعوبيين والتغريبيين .

١ ـ فهم من ناحية المنهج يريدون ان يفصلوا الادب العربي المعاصر عن تاريخه وامتداده الطويل الذي غلبت عليه الصيغة الاسلامية ـ اللهم الا من شذوذ المارقين الذين سبق التنبيه اليهم .

٢ ـ ومن ناحية الموضوع بدأوا باغراق أسواق الادب بالقصص الغربي والافكار الواردة ، كتبا مستقلة او مقالات وقصصا في مجلات الادب ، كلها قضايا تثير مشاكل الجنس صراحة واباحة ، بحجة ان الادب العالمي ادبانساني وهو فيانسانيته لايخفي شيئا حتى العورات ولو كانت مغلظة وكشفها في عرف الاخلاقيات قبيح ، لكنه في عرف الادبيات ..؟؟ جميل .

٣ ـ اعادة التركيز على الجانب الماجن من القصص الشعبي كالف ليلة وليلة ، ومجالس الاغاني الداعرة والنواسيات ومالف لفها من الادب في العصرين الاموى والعباسي ، كدليل على حيوية تاريخ الادب الماجن وصدأ الادب الرصين المحتشم .

ومن اعجب الامثلة التي اشاعوها ترجمة رباعيات الخيام ـ التزاما بالترجمة الانجليزية من شعر فيتزجيرالد التي تجاهلت الاصل واغرقت في المفهومالوجودي اللذة الحسية والاغراق الخمري .

٤ ـ فصل الفكر الادبي عن القيم الاخلاقية والضوابط الاجتماعية في ظلال دعوى اعم : هي انه لا بد من فصل الفكر الادبي عن الدين بمفهومه الاسلاميالجامع علما وادبا وقانونا وعقائد واقتصادا وتربية .

وهي مقولة منقولة عن الغرب الذي صارع ليتجرد ويتحرر من نفوذ الكنيسة ، بعد ان فشلت في فهم القيم المتطورة في الحياة وفشلت في احياء الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

٥ ـ ويوم يتحرر الفكر الادبي العربي من العقيدة والاسلام ، فقد اسلم نفسه الى المادية الملحدة او الوثنية الحديثة من عبادة الاجساد ومقاييسها والمال بطغيانه وقدرته على امتلاك وسائل الانحلال والدعارة .

٦ ـ الدعوة الى احياء المفاهيم الوثنية من بابلية واشورية وفرعونية ويونانية والغض من قيم البطولات الاسلامية .

الهجوم المباشر على القرآن :

وهكذا انطلاقا الى هذه الاهداف ، شرعوا في تهوين امر البلاغة والنحولتتحطم القيم الميارية لاعجاز القرآن الكريم ، ودرسوا البلاغة الجديدة في الجامعة بعنوان « فنون المقل » وتهجموا على الجرجاني والخطيب القزويني . وشجعوا الرسائل

الجامعية التي تهون من شأن الاعجاز القرآني حتى انهم اتهموا قصص القرآن بالاسطورية ، ودرسوا النحو الجديد مهملين بذلك اصول الخليل وسيبوية ، الى اصول جعلت الاساليب كلها بين المسند والمسند اليه بدلا من الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر ·

وبدأ الكتاب القصصيون يتناولون قصص القرآن الكريم من زوايا الاحتذاء لاساطير التوراة وخرافاتها التي جعلت الانبياء والرسل العوبة قصصية ، حيث يحكم الهوى سليمان وداود عليهما السلام ويسقطان صريعي الغرام البشرى الدنس، فأين عصمة الانبياء التي أصبغها القرآن الكريم على الرسل والانبياء · لقد جعلوا القرآن كتاب الله ـ كتابا لايلتزم بالواقع التاريخي ولا يصدقه العقل دائما ، يخضع للحرية الفنية فيصوغ القصص صياغة درامية لا ترتبط بالتاريخ والحق ، بقدر ما يهدف الى التكوين الفني ـ الفن القصصي لمحمد احمد خلف الله ـ وكانت هذه الرسالة باشراف الشيخ امين الحولي·

وفي الفصل الثالث من هذا الباب رفع الكاتب النقاب عن حركة تغريبية اخرى مستوردة هدفها كما يقولون : كسر عامود الشعر او كسر عامود اللغة باسم المعاصرة والنقدية وقد باءت الحركة بالفشل بعد ان اغرقت فيسذاجة الاخيلة ورداءة التعبير فلم تعقب الا التفاهة والانحسار ·

واخذ الكاتب يعرض للاسماء الادبية التي تولت كبر هذا البلاء الوافد واحدا بادئا بمن سمى نفسه « ادونيس » وتنكر لاسمه الحقيقي « علي احمد سعيد » الذي انتحل نزعة العقل قبل النقل والحقيقة قبل الشريعة وربط اللاهوت النصراني بالتاريخ الجدلي لهيجل ·

ودخل بعد ذلك في مخرقات الفرق المارقة التي ادعت الوهية بعض الخلفاء ، ليبث تعاليم الوثنية القديمة من مجوسية ومانوية، واباحة المجونوالشراب والجنس، وخلق شعوبية حاقدة تحقر العروبة الاسلامية وتمجد دعاوى الاشراق باستخدام الاسطورة والخرافة ومفاهيمالباطنية ببعث الجذور « ما قبل الاسلام » ورفع الرمال « العروبة » قائلا · (انني مهيار الرجيم « خائن ابيع حياتي ، سيد الخيانة ، احب الجلجلة واعبد نارى ») وينطلق الكاتب في عرض لهؤلاء العملاء مارا بنزار قباني شاعر المتعة والاجساد والشهوة ، الذي اسقط من حسابه الدين والاخلاق، وربيب المجالس الماجنة ، شاعرالجنس وليس شاعر الحب ، والله يعلم ان الدعويان فجور وتفجير للاخلاق المسلمة الشابة التي انساقت وراء عامود الشعر المكسور ·

وفي الفصل الرابع يعرضالكاتب لاخطر حركات التفتيت الشعوبية ، وهي الدعوة الى التزام العامية صحافة واذاعة وتاليفا علميا للبعد عن عربية القرآن الكريم ، بدأ التمهيد لذلك بالقصص المسرحي والاغاني والزجل بعد خلفية مهدلها ولكوكس وولمور وسيبينا وحمل لواءها لطفي السيد وسلامة موسى والخوري ومارون غصن · ثم خلفهم المنفذون ـ تساندهم مؤتمرات الاستشراق كمؤتمر متشيجان ١٩٦٧ حيث دارت الابحاث عما اسموه بالعربية الحديثة ويعطينا الكاتب نموذجا صارخا من هذه النماذج ـ سعيد عقل – الذي دعا الىكتابة العامية باللاتينية مدعيا العودة الى الفينيقية والاستقلال عن الوجه العربي · وينقل الكاتب فيذلك راى حليم كنعان : يريد سعيد عقل أن يتحدث اللبنانيون بالعامية اللبنانية كان الفصحي ليست لغة لبنانية عريقة ، وفي لبنان ترعرعت منذ الالف الثاني قبل الميلاد ثم يقول ان السعقلية تريد التخلي عن الفصحى المهدة والسير في منعرجات

العامية المسودة . ولتتاكد نوعية العمالة كان صدى دعوة سعيد عقل عند مـــلاخ الاهرام الذي صفق لدعوة عقل وشبهه بأتاتورك حينما فصل التركية عن العربية عندما كتبت باللاتينية .

ثم عقب الكاتب على هذه الدعوى التي تريد ان تنسف الوطن الاسلامي العربـي الى فتات من اللهجات العامية مبينا آراء نقاد اللغات واساتذة تطـور الاجتمـاع التي تكشف فقر العامية وعدم استقـرار قواعدها فضلا عن فقدانها صفة العمومية في تعامل ابناء الامة الواحدة بها . وانها حركة رجعية لا تقدمية لانها انحصـــار وانطواء محلي لايناسب العصر الحديث ، الذي ينزع الى التوسع والانتشارالانساني، وذلك ما سبق ان حققته الفصحي في رحاب المد الاسلامي من حدود الصين الى شواطيء المحيط الاطلسي دون عناء واحتوت امما دانت بالاسلام وتحدثت الفصحي وتفقهت في اصولها ودونت بها اروع صفحـــات الحضارة البهية .

تحذيـــر ونذيـــر :

ويعتبر الباب الثالث من الكتاب صيحة تحذير ونذير من الكاتب مؤيدة بالنماذج الصارخة الغلو من انصار الشعوبية وغلاة الدعوة الى التغريب ، صيحة تنـــادي ان تمسكـوا بهويتكـم العربية القرآنيـــة ايهـــا المسلمـــون العـــــرب فان وراء حركات الهدم مراكز تلموديـــــة وتوراتية وصليبية ، لم تتمكن من الاسلام العقيدة ولم تنجح في فرض تيارات الغزو المسلح باسماء متعددة على مدى القـرون السالفة . وهي تحاول الان بتيـــارات الثقافة المشبوهة التي تشـوه الحقائق ، ويوم ان دعوا الى الفرعونية خرج عليهم قاموس « احد باشا كمال » ليثبت الاصول العربية للكلمات الفرعونية والفينيقيـة والبابلية والاشورية .

وخلـف القيم الدينية خـرج دعـــاة الوجودية في كل بلـد عربي ، تنـــادي بعضها مخضرم الثقافة وبعضهـا اعجبـــ التيار وتاق الى الشهرة فامتلأت كتاباتهـ بأدب الفراش وتندروا بأدب الاحتشـا والايمـــان .

ان هذا الاغراق في المجون وترويجـ حطم المجتمع الغربي نفسيا واجتماعيـ فانتشرت موجات الانتحار والاجـرام . حتى قال اوكتافيوباز انه لم توجد حتـى الان حضارة يمكن ان تنتج من الادب ما يضارع في الضراوة والوحشية الجنسيـة ، ما احتوته آداب الحضارة العربية المعاصرة حتى اصبح منظر القتل يبعث على السرور والتسلية ويخلق مناخا نفسيا تصبح معه السادية مباحة مقبولة لكل الناس وهـم يريدون لنا ان ننهار في هذا النهـــر او التيـــار .

كلمـــة حــق :

ويختم الكاتب كفاحه بالكلمة وجهاده برفع رأى الحق حيث يقول « ومن الحق ان الاسلام عميق الجذور قادر على الخروج من الازمة والاحتواء ، لان ذاتيته الخاصة لا تقبل الانصهار ، وجذوره العميقـة لا تستطيع اعتى القوى ان تدمـــرها او تستأصلها ، فقد مر الاسلام بمثل هـذه الازمات والمحاولات مرارا ، وثبتت قوته امام كل فعل وخرج من المحن التي افتعلت حوله صافيا كما يخرج الذهب من النار ».

لقد اصبح من نافلة القول خـــداع المسلمين بكلمات الثوريـــة والعصريـــة والتقدمية فالمسلمون يرون ان عقيدتهم باستمدادها الاصيل من القرآن الكريـم والسنة الحميدة قادرة على اعطائهم القوة على امتلاك الارادة وتحقيق بناء المجتمـع الانساني الوجهة الرباني المصدر » .

وبعد . فهذا عرض لجهد جبار مازال صاحبه رغم السنين يتصدى للحــركات المشبوهة والتيارات العميلة التـي تركت ايمانها بدينها وامتها ، وآمنت بالشيطان المتبرج بشتى صور التغريب والرجعيـــة الانحلالية الوافدة وارجو ان اكون قـد وفيت فكر الكاتب وكتابه حقهما وبالله التوفيق .

زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم :

● لماذا تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم، بأكثر من أربع زوجات ، وما هي اسماء زوجاته عليه الصلاة والسلام ؟ •

الياس محمود احمد

السودان/ امتداد الصحان مربع ٣٠

ـ الحكمة في اختصاصه صلى الله عليه وسلم ، بالزواج من اكثر من اربع زوجات أنه عليه الصلاة والسلام ، كان في مبدأ تاليف امة وانشاء دولة ونشر دين جديد ، لكل من الرجال والنساء فيه حقوق وواجبات وآداب ، وكثرة نسائه تجمع حوله قلوب أسر كثيرة ، كما تيسر نشر احواله الدينية وآدابه ، وخاصة ما يتعلق منها بالنساء لانها تصبح بنشرها من باب السنن •

وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من زوجة ، لحكم الهية ولتكون هذه الزوجات مبلغات لشئون الوحي ، وكانت لكل زوجة من زوجاته صلى الله عليه وسلم ، قصة وسبب في زواجه منها ولم يكن معظمهن يرغب فيهن الرجال ، لجمال وكل نسائه صلى الله عليه وسلم سبق لهن الزواج ما عدا عائشة رضي الله عنها •

واول زوجاته عليه الصلاة والسلام ، هي السيدة خديجة وقد قضى معها صدر حياته ، ولم يتزوج عليها في حياتها ، ثم تزوج سودة بنت زمعة وبعدها تزوج عائشة بنت ابي بكر الصديق ، ثم تزوج زينب بنت خزيمة ، ثم حفصة بنت عمر فام سلمة « التي مات زوجها شهيدا فضم النبي صلى الله عليه وسلم ، عيالها من ابي سلمة اليه ، وتزوجها » ثم تزوج رسول الله زينب بنت جحش ابنة عمه « وزوج مولاه زيد ، ليكون ذلك تشريعا للناس في اباحة زواج الانسان من زوجة ابنه المتبني » وتزوج الرسول جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق (ولما تزوجها رسول الله اعتق الصحابة اقاربها واسلم اهلها) ثم تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ام حبيبة بنت ابي سفيان (وكانت مهاجرة الى الحبشة ، ثم ارتد زوجها وتنصر ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت من الحبشة) وتزوج الرسول عليه الصلاة والسلام اثر فتح خيبر ، من صفية بنت حيي بن اخطب زعيم بني النضير ، وكانت ميمونة بنت الحارث آخر زوجاته صلى الله عليه وسلم وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تسع زوجاتهن عائشة وحفصة وزينب وام سلمة وصفية وام حبيبة وميمونة وسودة وجويرية •

الصلاة ٠٠ جماعة :

● انا تاجر وكثيرا ما يؤذن للصلاة ، اثناء اتمام صفقة تجارية ، فاذا اسرعت الى المسجد ربما لم تتم الصفقة ـ خاصة وانني اعمل وحدى في المتجر ـ فهل على من أثم ان لم اسارع الى المسجد ، حين سماع الاذان ؟ مع العلم بانني أؤدي الصلاة في وقتها منفردا ٠

ابو عصام
ابوظبي

ـ المطلوب شرعا ان يبادر المسلم ، الى المسجد عند سماع الاذان ، لاداء الصلاة جماعة تاركا عمله وكل ما يشغله حتى يدرك الجماعة ، واذا كان ادراك الجماعة واجبا في الخوف والحرب لقوله تعالى (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) ففي غير ذلك اولى ويقول صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ (الفرد) بسبع وعشرين درجة ، وعن ابي هريرة ايضا ان رجلا اعمي ، قال يارسول الله ليس لي قائد يقودني الى المسجد وساله ان يرخص له فيصلى في بيته فرخص له ٠ ولما ولي دعاه وقال له : هل تسمع النداء؟ قال نعم قال فاجب ، فثواب الجماعة ، كبير وعظيم ويجب علينا جميعا ان نحرص عليها اما عن التجارة او العمل فيمكنك الاستغناء عنها بضع دقائق ، قدر ادراكك للصلاة جماعة ، والارزاق بيد الله واذا فاتتك صفقة بسبب الصلاة فالله سبحانه قادر على ان يعوضك عنها خيرا كثيرا ٠

ومع ذلك فالصلاة تصح في المسجد وغيره، كما تصح في اول الوقت وآخره ، ولكل صلاة من الصلوات الخمس وقت له بداية ونهاية ، فاذا جاء اول الوقت خوطب المكلف بالفرض ، الذي دخل وقته لادائه ولايكون الانسان آثما ، اذا لم يبادر الى المسجد ، لأداء الصلاة عند سماع الاذان ، اذا كان هناك عذر يمنعه من ذلك او كان هناك شغل يخاف بتركه ضررا في معيشة يحتاجها، وان كان سيفوته ثواب الجماعة العظيم ٠

وهذا في غير يوم الجمعة ، اما في يوم الجمعة فقد فرض الله اداء الجمعة وابطل عقد البيع ساعة النداء ٠ قال تعالى « يا ايها الذين آمنوا اذانودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعو الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم » الجمعة : ٩

لماذا سئل موسى عن العصا ؟

● قال الله تعالى في سورة طه « وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاى اتوكا عليها واهش بها على غنمي » ٠

والسؤال ان الله سبحانه وتعالى ، يعلم كل شيئ فلما ذا يسال سيدنا موسى عما في يده) وكان من الممكن ان يقول تعالى « الق عصاك يا موسى ثم لماذا زاد موسى في الجواب عما هو مطلوب منه ؟ ارجو التوضيع ٠

ماهر ٠ م

ـ يقول المفسرون في ذلك ، ان الله تعالى يعلم مافي يد موسى عليه السلام من اول الامر ، وانما ساله ليريه عظم ما يصنعه عز وجل من الخشبة اليابسة ، من قلبها حية وليقرر في نفسه ، البعد بين المقلوب عنه والمقلوب اليه ، كما ان هذا السؤال تقرير وتنبيه على قدرته تعالى الباهرة ، والى جانب ذلك فهو تشريف كريم واستئناس عظيم لسيدنا موسى عليه السلام اما الزيادة في جواب موسى ، فهي رغبة منه في مطاولة مناجاته لربه تعالى وازدياد راحة نفسه بذلك وتعداده نعمة الله عليه ٠

● ما هي النوافل في مذهب المالكية وهل يجوز صلاتها جماعة وهل تصح صلاة الوتر جماعة ايضا ؟ •

حافظ مخلوف

المعهد الفني بنابل ـ تونس

ـ في مذهب المالكية ، ان النوافل التابعة للفرض منها رواتب وغير رواتب، والرواتب هي قبل صلاة الظهر وبعد دخول وقتها ، وبعد صلاة الظهر وقبل صلاة العصر وبعد دخول وقتها ، وبعد صلاة المغرب وليس في هذه النوافل كلها تحديد بعدد معين ، والافضل فيهـا ما وردت الاحاديث بفضله ، وهو اربع قبل صلاة الظهر واربع بعدها واربع قبل صلاة قبل العشاء ، واما غير الرواتب فهي قبل صلاة الفجر (ركعتان) والشفع واقله ركعتان ومنها الوتر وهو سنة مؤكدة •

وجاء في كتاب الشرح الصغير على مذهب المالكية بالنسبة للنوافل ما يلي « وتاكد النفل قبل صلاة ظهر وبعدها وقبل صلاة العصر وبعد صلاة مغرب وعشاء بلا حد في الجميع ، فيكتفي في تحصيل النـدب ركعتان وان كان الاولى اربع ركعات الا المغرب فست » وتاكد الضحى واقله ركعتان واكثره ثمان كما تاكد التهجد (اى النفل) بالليل والتراويح برمضان •

هذا وتجوز صلاة النفل جماعة أما صلاة الوتر فتؤدي فرادى ويصح اداؤها جماعة وخاصة في النصف الاخير من رمضان •

الجامعة الاسلاميـة في دولة الامارات :

● لماذا لا تنشيء دولة الامارات العربية المتحدة جامعة اسلامية اسوة بالجامعـة المدنية ؟ •

محمد النادي

السودان ـ ام درمـان

ـ قريبا جدا بعون الله تعالى ، سوف يفتتح في ابوظبي «معهد الدعوة الاسلامية» وستلحق به دار زايد للحديث والسنـة ، وسوف يكون هذا المعهد ، نـواة لأول جامعة اسلامية في الخليج ، وستدرس في المعهد العلوم الاسلامية والشرعية الى جانب المواد الثقافية الاخرى وسيعمل على تخريج دعاة اسلاميين وقضاة للمحاكم •

اسـم الكويـت :

● ما اسم عاصمة الكويت ، ثم ما معنى اسم الكويت ؟ •

حافـظ علي

الربـاط / المغـرب

ـ عاصمة الكويت هي مدينة الكويت ، وكلمة الكويت تصغير كوت ومعناه الحصن او المكان المنيع ، والكوت الذي كان النواة الاولى لمدينة الكويت ، كان حصنا بناه بنو خالد ، وقيل ان الكويت تصغير كوت، وهي تطلق على مجموعة من البيوت المتجاورة المعدة لخزن الزاد والمتاع والوقود وفسـر بعض العلماء الكوت بانه البيت المربـع المبني ، كالقلعة والحصن وغالبا مايكون على الشاطيء • ويتخذ كمنارة او ميناء للبواخر والسفن ، وقد تطلق كلمة كوت على القرية ، وقال اخرون ان الكوت كلمة غير عربية او هي كلمة عربية وحرفت في النطق واصلها قوت وهو ما يقتات بـه كالتمر والشعير •

● لي ابـــــن في احدى المدارس الاجنبية ، وقد عودته المدرسة على التكلم بغير العربية سواء في المدرسة او البيت فهل في ذلك اثم . وما الراي فيمن يتكلمـــــون بغير العربية وهـــم مسلمون ؟

محمد بشير ابراهيــم
البيضاء ـ ليبيا

ـ تعلم اللغات الاجنبية جائز ، فمن تعلم لغة قوم أمن مكرهم بشــــرط الا يطغي ذلك على اللغة العربية ، التـي هي شعار الاسلام ولغة القرآن الكريم.

أما التكلم بغير العربية لغيـــر ضرورة فهو مكروه ، خشية أن يؤدي ذلك الى هجر العربيـــــة ، وأن يتعود الابناء النطق بغير العربية ، والمطلوب منا أن نعلم أبناءنا اللغة العربيـــــة ونحرضهم على التمسك بها لانها مـن الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فـــان فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهـم الا بفهم اللغة العربية ويقول الفقهاء ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

والمدارس الاجنبية تعمد الى تعويد ابناء العـــرب الكلام بغير لغتهم بحجة اتقان اللغة وهم يخفون من وراء ذلك الهدف الى اضعاف مقام العربيةوالتمكن منها لتفصل المسلمين عن لغة القرآن .

ويقول رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فيما يرويه ابن عمر رضي اللـــه عنهما « من يحسن أن يتكلم العربيـــة فلا يتكلم بالعجمية فانه يورث النفاق» .

باقـــلام القـــراء :

الله .. وسورة المجادلـــة

انا محب للاطلاع وقراءة كتب التراث ومواظب يوميا على قراءة القرآن الكريم والحمد لله وهذا في نظري واجب على كل مسلم ومسلمة ان يقرءوا ما تيسر مـن القرآن بل هو فرض لقوله تعالى (فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلاة ..) المزمل.

واثناء قراءتي توقفت عند سورةالمجادلة فوجدت فيها عجبا لم أرك من قبل منـذ سنوات ـ فالسورة مدنية وعدد آياتهـا اثنتان وعشرون اية لا تخلو اية من لفظ الجلالة (الله) وقد قمت بجمع مافي الايات للسورة فوجدت فيها ٣٩ لفـــظ (الله) فالاية الأولى من السورة تكرر فيها لفظ الجلالة أربع مرات قال تعالى :

« قد سمع الله قول التي تجادلـك في زوجها وتشكي الى الله والله يسمـــع تحاوركما ان الله سميع بصير » .

وهذا تعداد لفظ الجلالة في كل اية من السورة بالترتيب فالاية الاولى ٤ ، ١ ، ١ ، ٢ ، ١ ، ٣ ، ٢ ، ٢ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ١ ، ٣ ، ١ ، ١ ، ١ ، ١ ، ١ ، ١ ، ١ ، ١ ، ٥ كما تشمل هذه السورة ـ الظهار وحكمه وكفارته ـ وعلم الله ، وانه بكل شيء عليم ، آداب المناجاة في الاسلام ـ ادب الاسلام في المجالسة ـ ادب مناجـــاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجزاء من يجادل الله ورسوله ، مع التعرض للنجوى والتناجي بالاثم والعدوان ـ وحكم مـن يتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، وعلى العموم فهذه السورة تدور حول بيان بعض الاداب الاسلامية .

صلاح الدين عبد الحميد الهـادي
ج.م.ع مدرسة الجمعية الاعدادية طنطا

● نظمت وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف طوال شهر رمضان الماضي ، ندوات واحتفالات دينية في المساجد الكبيرة بمختلف انحاء دولة الامارات العربية المتحدة وقد شارك فيها العلماء ورجال الفكر الاسلامي من مصر وسوريا والاردن والسودان ، كما اقامت الوزارة احتفالات في مناسبات غزوة بدر الكبرى وليلة القدر .

● يبدأ في خلال هذا الشهر افتتاح المراكز الدائمة لمشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم ، وسوف تقتصر الدراسة خلال المرحلة الاولى ، من المشروع على الذكور وسيتم اختيار ٨٠٠ طالب متفوق من بين ٢٤ الفا يدرسون في المراكز الصيفية ، للالتحاق بالمراكز الدائمة .

مناهج معهد الامامة :

● يجرى حاليا اعداد مناهج الدراسة في معهد الامامة والخطابة الذي سيتم انشاؤه في العاصمة ، كما يتم حاليا اعداد قوائم بأسماء الكتب الدينية والثقافية والتي سيتم تزويد مكتبة المعهد بها .

رابطة العالم الاسلامي تشيد بالامارات وجهودها لمساندة مسلمي بورما :

★ أشادت رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة بالجهود التي تبذلها دولة الامارات العربية المتحدة وعلى رأسها صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان رئيس الدولة لمساندة مسلمي بورما في محنتهم التي يعيشونها الآن .

جاء ذلك في كتاب تلقته وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف من معالي الشيخ محمد الحركان الامين العام للرابطة وأعربت فيه عن تقديرها لموقف الدولة من قضية مسلمي بورما .

وأشار الكتاب الى أن الرابطة شكلت لجنة لتقصي الحقائق على الطبيعة . وتقديم المساعدة العاجلة .

كما أنشأت الرابطة صندوقا لمعاونة المنكوبين منهم . وحثت في كتابها الدول الاسلامية على التدخل لمساندة وانقاذ مسلمي بورما وكان سعادة محمد جمعه سالم وكيل وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف قد بعث برسائل الى أمين عام رابطة العالم الاسلامي وفضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم

محمود شيخ الازهر والرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والي كبار المهتمين بالشئون الاسلامية في عدد من الدول العربية والاسلامية .

● **بلغت التكاليف الاجمالية لكسوة الكعبة المشرفة ، لهذا العام ستة ملايين ومائتى ألف ريال سعودي .**

★ اوصى المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي جميع الحكومات الاسلامية ، بان تؤرخ كل معاملاتها ونظمها بالتاريخ الهجري .

★ وجهت رابطة العالم الاسلامي نداء الى جميع المسلمين في العالم ، للاسهام والتبرع لمشروع طبع وتوزيع ثلاثة ملايين نسخة من القرآن الكريم ، في انحاء العالم مجانا وذلك للعمل على نشر القرآن الكريم وحماية المسلمين من المبادىء الهدامة والتبشير المسيحي والايدلوجيات التي تتعرض لها الشعوب المسلمة في افريقيا وآسيا .

زيادة الدعم المادي للاقليات الاسلامية :

لندن :

● **أصدر المؤتمر الدولي للأقليات الاسلامية الذي عقد بلندن في الشهر الماضي عددا من التوصيات التي تدين الانتهاك المستمر لحركة الاماكن المقدسة في القدس وضرورة العمل على تحرير المسجد الاقصى من الاحتلال الاسرائيلي ، كما طالب المؤتمر بتقديم الدعم والعون والتأييد للأقليات الاسلامية وانشاء جامعة اسلامية دولية للعلوم والتكنولوجيا في أوروبا ، تقبل الطلبة المسلمين من جميع أنحاء العالم لتقديم المعرفة الحديثة بأسلوب يتفق مع روح الاسلام .**

★ اصبح الاسلام هو الدين الثاني في فرنسا ، التي يوجد بها حاليا نحو مليوني مسلم من بينهم ربع مليون في باريس و ٧٥٠ الفا في مارسيليا و ٣٠٠ الف في ليون .. نشرت ذلك صحيفة « التايمز » البريطانية .

★ دعت جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمغرب ، الى اعادة النظر في الهيكل التعليمي واعادة بنائه على اساس المقومات الاساسية للمغرب ، من دين وخلق ونظام كما دعت الى التاكيد على اللغة العربية لتوضيح هوية المغرب العربية والاسلامية وتربية الشباب تربية عربية قرآنية .

عزاء

تشاطر أسرة تحرير مجلة منار الاسلام فضيلة الشيخ صقر المري مدير الشئون الاسلامية بوزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف العزاء في وفاة المرحوم .. والده وتسأل الله للفقيد الرحمة وللاسرة العزاء .

في .. هذا العدد

إسلامية . ثقافية . شهرية

تصدرها

وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف

دولة الإمارات العربية المتحدة

في غرة كل شهر عربي

مدير التحرير

سعيد عبد الله حارب

العدد الحادي عشر

السنة الثالثة

ذو القعدة ١٣٩٨ هـ

أكتوبر/نوفمبر ١٩٧٨ م

اقرأ في هذا العدد

الاسلام ·· والنصرانية

بحث يوضح العلاقة بين الاسلام · والنصرانية وبين تكريم الله سبحانه لعباده الصالحين ، الذين صبروا على دعوة الحق في النصرانية والاسلام· كما يرد على افتراءات اليهود على مريم ويكشف زيف منكري وجود المسيح عليه السلام ·

وتلك امم امثالنا :

دراسة عن بديع صنع الله في مخلوقاته الصغيرة وما فيها من عظات وعبر وكيف تحيا وتعيش؟

تقنين التشريعة الاسلامية:

وكيف تبدأ الخطوات اللازمة، لتطبيق احكام الشريعة في المجتمعات الاسلامية، وهل العصر الحاضر صالح ومستعد لتحمل امانة النظام التشريعي الاسلامي؟

منهج القرآن في بناء العقيدة :

المنهج الذي اتخذه القران الكريم ، لبناء اصول عقيدة الألوهية كان منهجا مزدوجا حيث جمع بين الهدم والبناء ·· هدم عبادة غير الله من الاصنام والطواغيث وبناء المعرفة الانسانية من حسيه وعقلية وبصرية ·

كسوة الكعبة الشريفة :

استطلاع مصور عن كسوة الكعبة الشريفة تاريخا وصناعة وفنا ·

دعوة إلى الحج

يا راكب البيد اطو الفلا طيا ، والحق بقافلة الهدى تسعى له سعيا ، فنور البيت العتيق على اصباحه يشرق بدعاء الآتين من كل فج عميق .

ذو القعدة عقب لصيام الدهر ، وغرة لقدوم الوفد على البيت والحرم ، وفد الله يهفون ، الى مراجع الرحمات تسوقهم العزمات ، يلهجون بالتلبية والدعوات ، وعند الحجر وزمزم واعتاب الملتزم، تغسل الانفس وتصفو القلوب .

.. يا رب البر أفض علينا من برك واحشرنا بين وفدك واغمرنا برفدك وبرحمتك اجعل لنا نورا نمشي به في الناس ويسعى بين أيدينا وبأيماننا .

يا رب امتعنا بالطواف حول بيتك ، وأسعدنا بالسعي بين الصفا والمروة ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

« التحرير »
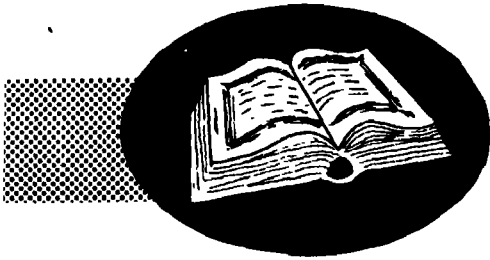
خطوات على طريق

في خضم البحر المتلاطم من احتياجات المجتمع الاسلامي المختلفة ، تبر
الصحافة كعامل ضروري من عوامل النهوض بهذا المجتمع والسير به نحو
التكامل ملتقيا مع بقية الاحتياجات ، اما في أول الطريق أو آخره ، فالمجتم
الاسلامي كما يحتاج للجانب الاقتصادي ومؤسساته التي تقوم على دعائم مـ
الاسلام يحتاج كذلك الى النظام الاجتماعي التربوي والعبادي الاسلامي وم
الاعلام الا جزء من ذلك ٠

ولقد تشعبت في السنوات المتاخرة احتياجات الاسلام من اذاعة مرئيـ
ومسموعة ومقروءة الى غير ذلك من الوسائل الاعلامية وبنظرة سريعة الى
الصحافة عموما نجد انها تقدمت خطوات واسعة في جميع المجالات الفنية منه
والموضوعية ، واصبح الخبر يبرز على صفحات الجرائد ، بعد ساعات م
صدوره تتسابق اجهزة الصحافة على نشره وتوصيله الى القارىء في اقـر
وقت ممكن ٠

ولكن ، في هذا الميدان الواسع ، اين تقف الصحافة الاسلامية ؟

لا شك انه من العسير جدا الاجابة على هذا السؤال ، فموقف الصحافـ
الاسلامية قد لا يبدو واضحا جليا بين الجمع الزاخر من الصحف والمجلات
بل ان الامر قد يقتصر على صحافة اسلامية فردية تقوم بجهود ذاتية ضعيفـ
أو حكومية محدودة ٠

وما هذا التخلف الاسلامي في ميدان الصحافة الا انعكاس عن التخلف
العام الذي يلف الحياة الاسلامية عموما ٠

ولكن هل تبقى الصحافة الاسلامية ، تقف كالمتفرج في ميدان تلاحمت فيـ
الجهود وتعددت فيه الوسائل ؟

ان الدور الملقى على عاتق الصحافة الاسلامية دور كبير يحتاج الى تضا
الجهود الفردية والجماعية من اجل دفع عجلة الصحافة الاسلامية خطوات الى
الامام حتى تستطيع أن تلحق بالركب السريع ، من اجل ذلك لا بد من وضـ
اسس عامة تكون خطوات على طريق صحافة اسلامية رائدة ، وتتلخص هذ
الاسس فيما يلي :

١ ـ ايجاد العناصر الاسلامية الفنية المخلصة المدركة لابعاد الدور الذي تقو
به حتى لا تنحرف بما تقوم به أو تتخذه وسيلة للوصول الى اهداف أخرى

الصحافة الإسلامية

ولن يتحقق ذلك الا بدراسة اكاديمية علمية تربط بين الاسلام وبين العلم المتخصص في مجال الصحافة بحيث لا تكون الصحافة الاسلامية محطة تجارب لمن يشاء ان يتخذ من الصحافة سبيلا للوصول الى غاياته

٢ ـ ان تعدد وسائل الصحافة وانواعها يفرض على الصحافة الاسلامية ان تكون مواكبة لذلك التعدد ، فلا يكفي ان تكون هناك مجلات اسلامية شهرية او نشرات دورية تصدر جامعة لمقالات مطولة وابحاث علمية لها دورها الاساسي في الصحافة ، بل لا بد ان تكون هناك صحافة سريعة يومية او اسبوعية تتابع الخبر والتحقيق والاستطلاع في اقرب فرصة ، وتشكل بالتالي تكاملا موضوعيا مع الابحاث التي تنتشر شهريا او دوريا وحتى يعيش القارىء في ربط متواصل خلال يومه واسبوعه وشهره بصحافة يكمل بعضها بعضا ٠

٣ ـ العالم الذي نعيش فيه الآن ، لا يعترف بالعموميات والشمول في ميادين العمل فلا بد من التخصص وبالتالي فلم تعد هناك صحافة عامة تجمع شتى علوم الحياة ، ولذلك تخصصت الصحف والمجلات ، فهذه علمية وتلك طبية واخرى نسائية ورابعة فنية ٠٠ وهذا التخصص يفرض على الصحافة الاسلامية متابعته واحتوائه ، فليس شرطا في الصحافة الاسلامية ان تعالج جوانب العبادة او الاحكام الشرعية فقط ، بل لابد ان تكون هناك الصحيفة العلمية ولكن بمنظار اسلامي ، والمجلة النسائية بنظرة اسلامية ، والجريدة الفنية بواقعية اسلامية ثم بجانب هذه وتلك تكون المجلة الاسلامية المتخصصة في علوم الشريعة ٠

٤ ـ تبني قضايا المجتمع وتحليلها واحتوائها ، ثم دراستها وايجاد الحلول المناسبة لها ، فالصحافة الناجحة هي التي تتبنى قضايا المجتمع حتى ترتبط ارتباطا وثيقا وتكون المنبر الحقيقي والمرآة العاكسة لكل ظاهرة او قضية في المجتمع ، اما الصحافة التي تخاطب الناس خلف ابواب مغلقة ، فلا شك انها أبعد ما تكون عن الهدف الذي وجدت من اجلها،وان قدر لها البقاء ، فلن تعيش طويلا ٠

البقية ص ٤٧

مدير التحرير

سعيد عبدالله حارب

الإسلام و النصرانية

للامام الاكبر
الدكتور : عبدالحليم محمود
شيخ الازهر

جلست السيدة حنه ، وعلى
وجهها سمات الاهتمام والحزن
ونظراتها معلقة بطائر يحنو على
فرخه ويطعمه • وأخذ خيالها
يسرح عبر هذه السنين التي تقضت
من عمرها الذي لم تتخلله البهجة
بالأولاد يسرحون ، ويملأون
البيت حبا ، وصجيجا حبيبا
ومودة وفرحة :

انها حياة جدباء ، تلك التي
لم تملأ جنباتها البهجة بالاولاد
على هذا النسق كان يدور خيالها
وعيناها ممتدتان الى الطائر
يطعم فرخه في حنان ومداعبة

استمر خيالها يسير مع هواها ، واستمر
شعورها بالرغبة في الولد يقوى ويتركز
واذا بها فجأة تسيل دموعها ، وتتجه ا
الله ضارعة في حرارة داعية في شو
ولهفة ، ان يهب لها ولدا ، وقالت :

« اللهم لك على ان رزقتني ولدا ا
اتصدق به على بيتك المقدس » •

يقول ابن اسحاق :

« كان السبب في نذرها انه أمسك عنـ
الولد حتى أسنت » •

واستجاب الله دعاءها ، فلما شعر
بالحمل ، ابتهجت الى الله في شكر ا
عرفان ، تؤكد من جديد نذرها ، ويـ
القرآن عن ذلك بقوله :

« اذ قالت امرأة عمران : رب اني نذ
لك ما في بطني محررا ، فتقبل مني ،
أنت السميع العليم » •

وعمران الذي ذكرته الآية الكريـ

ليس بعمران أبي موسى ، وبين موسى وعيسى ، بون شاسع من الزمن .

وأما قولها في الآية الكريمة: «محررا» فمعناه « معتقا » ، وهي تقصد بذلك أنه معتق من أن يكون عبداً للدنيا ليعبدك وحدك .

يقول الزجاج :

كان على أولادهم فرضا ان يطيعوهم في نذرهم ، فكان الرجل ينذر في ولده ان يكون خادما في متعبدهم .

لقد سعدت السيدة حنة بهذا العمل فهي تفكر في هذا الجنين في سعادة ، انها تفكر في صورته وتفكر في تنشئته ، وتفكر في بسماته ، وفي مداعباته ، وما كان خيالها يسرح مطلقا في جو هذا الجنين على انه أنثى ، وانما كان يسرح باستمرار – في جوه – على انه ذكر ، ها هو ذا قد اصبح شابا ذكيا ، فتيا يأخذ مكانته بين فقهاء المعبد وسدنته ، بين المسيرين لدفة الامور الدينية والموجهين لها ، ثم ها هو حبر من كبار الاحبار له الكلمة المسموعة .و..و.

وجاء أوان الوضع ، وفوجئت السيدة حنة ، مفاجأة لم تكن متوقعة .

لقد كان المولود أنثى .

ارتبكت السيدة حنة لحظة من الزمن ، وفكرت في نذرها ، وفكرت في المقادير وفي سرعة اتجهت الى الله تعالى ، وكأنها تعتذر او تستغفر قائلة :

« رب اني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، واني سميتها مريم ، واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .

أما مريم هذه التي يحرص المفسرون على بيان انها ليست مريم أخت موسى ، فان الله سبحانه أضفى عليها عنايته وشملها برعايته ، ويعبر سبحانه عن ذلك فيقول :

« فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتا حسنا » .

أما من ناحية كفالتها فقد تولى ذلك زكريا ، وكان لذلك قصة

قال السدى :

انطلقت أمها في خرقها، وكانوا يقترعون على الذين يؤتون بهم ، فقال زكريا و، نبيهم يومئذ .

« انا احقكم بها ، عندى أختها ، فأبوا وخرجوا الى نهر الاردن ، فالقوا أقلامهم التي يكتبون بها فجرت الاقلام ، وثبت قلم زكريا ، فكفلها .

قال ابن عباس .

كانوا سبعة وعشرين رجلا ، فقالوا نطرح اقلامنا ، فمن صعد قلمه مغالبا للجرية فهو أحق بها ، فصعد قلم زكريا فعلى هذا القول كانت غلبة زكريا بمصاعد قلمه .

وعلى قول السدى : بوقوفه في جريان الماء .

وقال مقاتل .

كان يغلق عليها الباب ، ومعه المفتاح ، لا يأمن عليه أحدا ، وكانت اذا حاضت ، أخرجها الى منزله تكون مع اختها أم يحيى، فاذا طهرت ردها الى بيت المقدس .

والاكثرون على انه كفلها منذ كانت طفلة بالقرعة . اهـ

واخذت الطفلة تشب وتترعرع في كفالة زكريا .

فلما بلغت السن التي تستطيع فيها الخدمة ، أخذت بتوجيه زكريا عليه السلام ، تعمل في المعبد توفية لنذر أمها ، وتتعبد فيه ، انها عاملة عابدة .

واتخذت مريم عليها السلام محرابا ، قال الاصمعي : والمحراب هاهنا : الغرفة.

والمحراب في اللغة : الموقع العالي الشريف كما يقول الزجاج :

اتخذت مريم عليها السلام محرابا تعتكف فيه متعبدة متهجدة وكان زكريا عليه السلام ، يدخل عليها من آن لآخر محرابها رعاية لها وعناية بها وتفقدا لاحوالها فكان – على دهشة منه – يجد عندها رزقا : ويعبر القرآن عن ذلك فيقول :

« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » •

قال يا مريم : أني لك هذا ؟

قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب •

يقول صاحب محاسن التأويل : « في الاية دليل على وقوع الكرامة لاولياء الله تعالى ، كما وجد ، عند خبيب بن عدى الانصاري رضي الله عنه – استشهد بمكة – قطف عنب – كما في البخاري – وفي الكتاب والسنة لهذا نظائر كثيرة •

ومن اللطائف هنا ما نقله الامام الشعراني في (اليواقيت) عن العارف بالله أبي الحسن الشاذلي قدس سره انه قال . ان مريم عليها السلام ، كان يتعرف اليها في بدايتها بحرق العوائد بغير سبب تقوية لايمانها وتكميلا ليقينها ، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحرابوجد عندها رزقا • فلما قوى ايمانها ويقينها ردت الى السبب لعدم وقوفها معه ، فقيل لها : « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » أ هـ •

اما عن قصة خبيب وقطف العنب فقد رواها الامام البخاري في حديث صحيح جليل ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا ، وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري ، جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بالهدأة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحيمن هزيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم قريبا من مائتى رجل كلهم رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا : هذا تمر يثرب فاقتصوا آثارهم ، فلما رآهم عاصم واصحابه لجأوا الى فدفد وأحاط بهم القوم فقالوا لهم انزلوا واعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدا ، فقال عاصم بن ثابت أمير السرية ، اما انا فوالله لا انزل اليوم في ذمة كافر ، اللهم اخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة ، فنزل اليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الانصاري وابن دثنة ، ورجل اخر ، فلما استمكنوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم فأوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر ، والله لا اصحبكم ان في هؤلاء لاسوة يريد القتلى فجردوه وعالجوه على ان يصحبهم ، فأبى فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد موقعة بدر ، فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان حبيب هو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيبعندهم اسيرا فأخبرني عبيدالله بن عياض ، بنت الحارث أخبرته انهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحدبها فأعارته • فاخذ ابنا لي وانا غافلة حين أتاه قالت فوجدته مجلسه على فخذهوالموسى بيده ففزعت فزعة عرفها حبيب في وجهي• فقال : تخشين ان اقتله ، ما كنت لافعل ذلك ، والله ما رأيت اسيرا قط حيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما ياكلمن قطف عنب في يده لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر ، وكانت تقول انه لرزق من الله ، رزقة حبيا فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل ، قال لهم خبيب : ذروني أركع ركعتين ، فتركوه فركع ركعتين ثم قال . لولا ان تظنوا ان مابي جزع لطولتها ،

اللهم أحصهم عددا .

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث فكان خبيب هو الذي سن الركعتين لكل امرىء مسلم، قتل صبرا، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه خبرهم وما أصيبوا وبعث ناس من كفار قريش الى عاصم حين حدثوا انه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسولهم فلم يقدروا على ان يقطع من لحمه شيئا »

فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري ج ٦ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

وتزكت مريم عليها السلام بالعبادة ، وصفت نفسها ، ورق شعورها ، فاصبحت من الصفاء بحيث ترى الملائكة .

ورؤية الملائكة ومخاطبتهم امر اقره القرآن الكريم ، أن الله سبحانه وتعالى يقول :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا : تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولاتحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ماتدعون، نزلا من غفور رحيم » ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ فصلت .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى الملائكة ، ويتحدث معهم ، ولايراهم من بجواره .

والامام الغزالي – عن تجربة – يقول :

« ان السالكين في ابتداء الطريق حينما تصفو نفوسهم ، وتزكي يرون الملائكة ».

تزكت مريم ، وبدأت ترى الملائكة وبدأت الملائكة تتحدث اليها وتسدي اليها النصيحة وتوجهها طريق الحق ، وطريق الطاعة ، يقول سبحانه :

« واذ قالت الملائكة يا مريم : ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ٤٢ ال عمران .

قال ابن عباس والحسن وابن جريج اصطفاها على عالمي زمانها . قال ابن الانباري :

وهذا قول الاكثرين :

وبعد ان أثنت عليها الملائكة : هذا الثناء الجميل ، قالت :

« يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين » ٤٣ آل عمران .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه وحبيبه وصفيه ومصطفاه :

« ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وماكنت لديهم اذ يختصمون» ٤٤.

وتعود الملائكة الى مريم تتحدث اليها ، ولم تكن في هذه المرة موجهة او آمره ، وانما تزف اليها بشرى مذهلة :

« يا مريم ، ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » ٤٥ .

يقول صاحب زاد المسير :

وفي المراد بالكلمة ها هنا ثلاثة اقوال ، احدها :

أنه قول الله له : « كن » فكان ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : انها بشارة الملائكة مريم بعيسى . حكاه ابو سليمان .

والثالث : ان الكلمة اسم لعيسى وسمي كلمة لانه كان عن الكلمة .

وقال القاضي ابو يعلى :

لانه يهتدى به ، كما يهتدى بالكلام من الله تعالى .

عيسى .. جزء من ايماننا

ثم تحدثت الملائكة الى مريم عن صفة هذا الذي بشرتها به فقالت عنه :

« وجيها في الدنيا والاخرة ، ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين » ٤٥ ، ٤٦ .

فوجئت مريم بذلك فقالت في تعجب واستفهام :

« رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ » .

وكانت اجابة جبريل عليه السلام لها حاسمة ، واضحة :

« قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون» ٤٧.

واستمرت الملائكة في ذكر بركات الله عليه فقالت :

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بني اسرائيل : اني قد جئتكم بأية من ربكم اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وابرىء الاكمة والابرص ، وأحيي الموتى باذن الله ، وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ، ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين » ٤٨ ، ٤٩ .

ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم ، فاتقوا الله واطيعون ، ان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » ٥٠ ، ٥١ ـ ال عمران .

واذا تأملنا قليلا في النص الالهي وجدنا ان عيسى عليه السلام يقول :

انه يفعل ما يفعل باذن الله ، ومعنى ذلك انه ليس له من نفسه القدرة على الخلق ، او الابراء ، وانما ذلك كله « باذن الله » .

ويقول :

انه رسول الى بني اسرائيل .

وانه مصدق لما بين يديه من التوراة .

ويختتم بقوله .

« ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » .

ونعود الى مريم عليها السلام من جديد .

لقد كنا مع مريم ، وعيسى ، عليهما السلام ، من خلال سورة ال عمران ، والان نصاحبهما من خلال سورة مريم التي ذكرت بعض تفاصيل لم تكن فيما مضى .

يقول الله سبحانه وتعالى :

« واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا ، فتمثل لها بشرا سويا ، قالت : اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال : انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت : اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال : كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ، فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فاجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالت يا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي ، واشربي ، وقري عينا ، فاما ترين من البشر احدا ، فقولي

نحن المسلمين ، ونبي معصوم مبرأ من المعصية

اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ، فاتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمـــك بغيا فاشارت اليه ، قالوا كيف نكلم مـــن كان في المهد صبيا ، قال : اني عبد الله اتاني الكتاب ، وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا اين ما كنت ، واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ويوم أبعث حيا ، ذلك عيسى ابن مريم ، قول الحق الذي فيـه يمترون ، ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له : كن فيكون ، وان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » •

أرأيت الى هذا التكريم الـذي احاط الاسلام به مريم عليها السلام ، وعيســى عليه السلام ؟ •

انهما في التكريم السامي الذي انزل الله فيه المصطفين من عبادة المقربـين •

وبينما يفترى اليهود على مريم افتراء نزهها الله عنه ، وبينما يرميها قتلـــة الانبياء بالفاحشة ، ويتهمونها بالزنـــا ، اذا بالقران ، وبالجو الاسلامي كله ، قديمه وحديثه ، يعتبرها صديقـة •

وبينما ينكر اليهود على عيسى ، عليه السلام ، نبوته ، ويرمونه بالكذب ، اذ بالاسلام يعترف بنبوته ، وبانه عبد الله ورسوله ، وبانه مبارك ، وبانه وجيه في الدنيا والاخرة •

وبينما ينكر بعض مؤرخي الاديان ، مجرد وجود المسيح عليه السلام اذ لم تثبت لديهم الادلة التاريخية على وجوده ، وعللوا المسيح والمسيحية ، بانهما من اختـــراع القديس بولس ، وان المسيح ليـــس الا اسطورة لم يقع لها وجود الا في خيـــال القديس بولس ، اذ بالاسلام يوجب على اتباعه ، وجوبا حتميا ، الايمان بعيسى عليه السلام ، نبيا ، ورسولا ، ومباركا ، ووجيها في الدنيا والاخرة •

عيســـى ؟ :

انه جزء من ايماننا نحن المسلمـين : نبي ، معصوم ، مبرأ من المعصية ، وأمة صديقة ، اصطفاهـــا الله وطهرهـــا ، واصفاها على نساء بني اسرائيـل •

من هذا الاساس ننطلق ونسير في هذا المقال ، نسير بحسب واقع بالفعل : اى اننا نصور واقعا لا نخترعه ، ونكتب عن حقائق لم نبتدعها ، ونخط صفحات ناشئة عما حدث بالفعل . والله نرجو ان يهدى لها ، وان يهدى بها ، وان يفتح لها قلوبا، ويرشد بها عقولا ، ويجعلهـا في ميزان حسناتنا ، انه سميع قريب مجيب •

حتى يصبح صالحاً لحمل

تتضمن بعض دساتير الدول الاسلامية الحديثة نصوصا تقتضي دعوة المشرع الى الرجوع الى الشريعة الاسلاميه في تشريعاتها، ومن ذلك دستور جمهورية مصر العربية الذي ينص في المادة (٢) منه على أن مبادىء الشريعة الاسلامية مصدر اساسي للتشريع ٠

ولا شك ان الأمر يقتضى تعرف كيفية مواجهة هذه الدعوة التشريعية وتحويلها الى تنفيذ عملي ، وخاصة في ضوء مايكتنف ذلك من صعوبات اهمها توقف الفقه الاسلامي عن الاجتهاد منذ زمن طويل ، ثم تطور الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بصفة عامة في المجتمعات الحديثة ، بحيث يتطلب الامر اعادة النظر في الاجتهادات الفقهية الاسلامية حتى تكون صالحة للقضاء والفتوى في هذا العصر ٠

اعتراضان :

ولقد كان من أهم ما أثير في هذا الصدد اعتراضان جوهريان :

الاول : ان الشريعة الاسلامية ترتكز على نصوص نزلت من اربعة عشر قرنا في بيئة تعتبر الآن متخلفة بالنسبة للبيئة العصرية وهي مكة والمدينة في عهده صلى الله عليه وسلم ٠

والثاني : انه جرى التساؤل عن خطوة البدء ، وهل نبدأ بالتقنين او بتطوير المجتمع حتى يصبح صالحا لحمل امانة النظام الاسلامي

هل تصلح الشريعة الاسلامية لهذا العصر ؟ :

وبالنسبة للاعتراض الاول ، وهو انه مضى زمن طويل منذ نزلت الشريعة الاسلامية وحدث تطور حضارى عظيم يجعلها غير صالحة لهذا العصر ، فان علماء الاسلام قد تعرضوا في بحوثهم لثبات الشريعة الاسلامية ومرونتها ، وذلك بما يجعلها تجمع بين صفتى الثبات والمرونة اللازمين لها كنظام تشريعي صالح ٠ وقالوا في ذلك:انه فيما يتعلق بالامور التي ورد فيها نص ملزم فان الشريعة لا تقبل التطور كقوله تعالى : « لا تبديل لكلمات الله » وكذلك فيما يتعلق بالاحكام التي تتعلق بالضرورات والغرائز (او العادات الجبلية (بكسر الباء واللام المشددة) فهذه الامور غير قابلة للتغيير منذ فجر التاريخ الى اخر الزمان ، فما زال انسان عصر الذرة وغزو الكواكب ، كاخيه في العصر الحجري ، يحتاج لضرورات معينة

للمستشار الدكتور
مصطفى كمال وصفي
نائب رئيس مجلس الدولة المصر

أمانة النظام الاسلامي

هي حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وكذا لاحتياجات غريزيه كالطعام والشراب والنوم والكساء والماوى والجنس والامن ونحو ذلك مما يجعل الاحكام المرتبطه بذلك غير قابلة للتطور • وإما بالنسبة للعادات الثانوية وهي التي تتعلق بكيفيه استيفاء هذه الغرائز والضرورات ونسبتها ومقدارها وسرعتها ونحو ذلك فانها قابله للتطور على مر الزمان حسبما تقتضيه ظروف العصر والبيئة • وهي في الامور الحاجية ـ اى التي يقع الناس في المشقة عند اختلالها ـ اقل مرونة منها في امور التحسينات اى التي تطلب للكمال والترفيه •

وبتطبيق ذلك على امر من امور العبادات مثلا كالحج ، نجد ان ذات الامر المذكور غير قابل للتطور ، لان العبادات من الضرورات الاسلامية اى الامور التي اذا اختلت اختل لها المجتمع ، فان الانسان عابد بغريزته وطبيعته ، وهو على أية حال عابد ، بمعنى انه متخذ هدفا يفنى فيه فناء نهائيا • فهو ان لم يعبد الله عبد شهوته ـ كامرأة يهواها ـ او أطماعه او نفوذه او انانيته او كبريائه او نحو ذلك كما ينغمس الناس في تطلبه حتى الفناء ، وبذلك تختل امور المجتمع ويسوده الصراع والظلم •

ولكن تطورات العصر أثرت في كيفية الحج فصار الآن بالطائرة بعد ان كان على ظهور الابل ، وهذا من شأنه ان يفتح ابواب الاجتهاد في مسألة المواقيت مثلا ، وهل يجرى الاحرام من ميناء القيام او من ميناء الوصول او من فوق الميقات وما يوازيه •• وكذا فان ظروف الزحام في الحج تفتح ابواب الاجتهاد في وقت الرجم وهل يجوز ان يكون في غير وقت الزوال ، وما اذا كانت الاقامة بمنى ايام التشريق على حكمها الآن كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذا بالنسبة لذبح الهدى والضحية والفداء في منى او مكة ، مع ما تتعرض له من الفساد وعدم الافادة منها •• فهذه الامور تتطلب الاجتهاد من جديد في ضوء الظروف الجديدة بسبب تغير ظروف العصر ولا حرج في ذلك لانها لا تتعلق بذات الضرورة الموجبة للحج بل بالكيفية التي تؤدي بها هذه الفريضة •

وكذا الحال بالنسبة لستر العورة فهو في ذاته ضرورة تتطلبها حفظ الدين وحفظ النفس والنسل وحفظ المال ، لانه اذا كشف الناس عوراتهم شاع بينهم الزنا وفسد الدين واختل ضبط الانساب ومرجت ، كما ان ذلك يؤدي الى الاصابة بامراض البرد والحر مما يهدد النفس .

تقنين الشريعة الاسلامية

ويؤدي الى اضاعة المال لما يترتب عليه من الاسراف والتنافس في الازياء المفتنة ٠٠ واما كيفية ستر العورة من حيث الزى ونوع القماش وملاءمته لظروف الزحام والمصانع ، فانه امر مرن قابل للتطور حسب الاحوال ٠

من أين نبدأ ؟ :

وبالنسبة للاعتراض الثاني، فقد واجه البعض جهود تطبيق الشريعة بالقول بان المجتمع الحديث غير مستعد لتحمل أمانة تطبيق الشريعة الاسلامية ٠ وكان هذا الاعتراض في الواقع ــ على الرغم من وجاهته ــ بقصد عرقلة الخطوات التي اتخذت لتقنين الشريعة ٠ ففي الواقع فقد اهتم كثير من اعضاء مجلس الشعب بتنفيذ ما نص عليه الدستور من الرجوع الى الشريعة الاسلامية عند التشريع ، ووجدت الاحزاب المختلفة٠ حتى الحزب اليسارى ــ ما لهذه النقطة من الاثر في الجماهير فضمنتها في برامجها ٠٠ وبذلك اصبح الاتجاه نحو الشريعة واضحا وباتت ثمرات الجهود المبذولة في هذا الصدد قريبة النضج ٠

وهذا الاعتراض يرد عليه من وجوه اولها : ان الشريعة الاسلامية أداة هامةمن أدوات تطوير المجتمع نحو الاسلام ٠ فان هذا التطوير لا يتأتي ادراكه بالدعوة والنوعية فحسب بل لابد من الردع والزجر كذلك لاحداثه ٠ وبذلك فان التشريعات الجنائية بصفة خاصة يجب الاسراع بتقنينها طبقا للشريعة٠وبدون ذلك يكون من الصعب جدا او من المستحيل اعادة المجتمع الى الحياة الاسلامية ٠

وثانيا ان الشريعة الاسلامية ذات طبيعة حافظة تمنع من الاستسلام للامراض الاجتماعية ، لان مبادئها ثابتة في الزام المجتمع داخل الاطار الاسلامي ، بخلاف القانون الوضعي فهو بطبيعته مستسلم لهذه الامراض ، لان ارادة المشرع الوضعي حرة طليقة في التشريع كيف يشاء،وكلما بدا هو مرض اجتماعي انحرف الناس اليه ومالوا ، اصدر تشريعا يتبنى به هذا المرض وييسر ممارسته ، وذلك كما حدث في بعض البلاد التي اباحت الشذوذ الجنسي او زواج الانسان من اخته استلاما للانحراف الاجتماعي نحو هذه العيوب ٠

ومن ثم فانه يتعين تقويم الاطار الاجتماعي واحكامه بالعوده الى الشريعة الاسلامية لكي ترتسم الحياة الاجتماعية داخله على الوجه الصحيح ٠

وثالثا فان الشريعة الاسلامية ذات صبغة مادية معينة تخاطب بها اواسط الناس وتنظم احكامها على اساس الشخص المتوسط المعتاد بدون مغالاة ٠ فهي تعمد دائما الى التجرد من الدفوع الشخصيه والنوايا الباطنه اعتمادا على الواقع المادى وعلى الظاهر من العلاقات ٠ وهذه الخصيصه التجريديه تساعد على تطبيق الشريعه في المجتمع بعيدا عن اعتبارات الغلو والترمت٠ ومن ذلك مثلا ان الاسلام ياخذ المسلم بظاهر اسلامه لا بحقيقه ايمانه ويمنع التفتيش على العقيدة ورمي الناس بالنفاق بل لايكاد يرتب على النفاق حكما من الاحكام٠ ومنه ايضا انه لا يعتد بالسبب الدافع على التعاقد (اى الباعث الذاتي اليه) ويكتفي بالصيغه وهي امر ظاهري فحسب وهذا بخلاف القانون الحديث الذي يعتد بالسبب وبذلك يوجد احكاما شخصيه في التعاقد ٠ وبذلك يستطيع الاسلام ان يماشي الحضارات المادية ويعايشها وينظم

شؤونها . ومنه نرى أن هذا الاعتراض ليس مانعا من البدء فورا في تطبيق الشريعة والعمل بها .

الخطا في الخطوات المتخذة :

غير ان الخطوة التي اتخذت بالفعل وهي تشكيل لجان فقهية لتقنين الجنايات والمعاملات لم تكن ـ في نظرنا ـ خطوة ناجحة لادراك المطلوب وذلك بصفة خاصة في شئون المعاملات . اذ ان الواقع ان العمل يجب ان يسبق التشريع ، وذلك بان تكثر الفتاوى والاحكام القضائية ثم يقوم التشريع بتقنينها . وهذا يقتضي البدء في تطبيق الشريعة الاسلامية او لا ثم عرض المنازعات التي تنشا عن دلك على القضاء ليقول كلمته في كل منازعة يرى فيها احد الطرفين ان القانون المعمول به ليس مطابقا للشريعة . وبدون ذلك فان لجان التقنين تخوض بحوثا نظرية محضة يعتمد الحل فيها مع الخيال والتصور دون ان تكون امامها مصالح حقيقية تصطرع وتطالب بالحل . وقد تطور الفقه الاسلامي بهذه الطريقة فان المذاهب نشأت من تقنين النصوص (الكتاب والسنة) ولما أقبل الناس على الاخذ بها وصدرت الفتاوى والاحكام قام كل مذهب بتقنين ما انتهى اليه في صورة ما يسمى بالمتن ، وهي حلاصة ما وصل اليه المذهب في نصوص مركزة تشبه التقنينات العصرية حتى انه لو رقمت بنودها لصارت «مواد» .

وهذه الطريقة كانت تتطلب ان يعتبر الدفع بمخالفة القانون للشريعة بمثابة دفع بعدم الدستورية وهو ما نطالب به الآن بمناسبة تعديل قانون المحكمة الدستورية العليا . وهو امر مستساغ في ضوء المبادىء الدستورية المصرية لان الشريعة الاسلامية هي المذهبية او الايديولوجية التي يعتمد عليها النظام الاسلامي . والمذهبيات فوق القانون وذلك فان مخالفة حقوق الانسان مثلا او الاعلان ذات القيمة الدستورية والمواثيق وسائر القواعد برنامجية تتيح الطعن في القانون وكأن قد صدر مخالفا للدستور . فالشعب هو مصدر السلطات والمذهبية هي عقيدة شعبية وايمان عام فيجب ان تعلو القانون هذا فضلا عن مخالفة الشريعة الاسلامية تؤدي الى الاعتداء على حرية العقيدة وهي أم الحريات واساسها . فان المسلم الذي يحمله القانون على امر يخالف عقيدته انما يعتدى اعتداء صارخا على عقيدته . ومن هنا كانت هذه المخالفة جديرة بالحماية الدستورية .

وكذلك فان ربط هذه اللجان بعمل فقهي ضخم هو تقنين المعاملات انما يصرفها عن انجاز مايعتبر اكثر اولوية واسبقية في التقنين الاسلامي اذ من الواضح انه يجب البدء اولا باصدار دستور اسلامي وهو مافطن اليه المسلمون اخيرا . والقرآن ليس دستورا ولكنه ميثاق اعلى من الدستور وهو يتضمن امورا اخروية وخلقية خارجة عن المجال التنظيمي واما الدستور فهو يتضمن ثلاث نقاط اساسية يجب ان ترد فيه واضحة وهي شكل الدولة وتنظيم الحرية وتنظيم السلطة ، وبذلك يتعين اصدار دستور اسلامي يتضمن هذه النقط مستخلصة من الكتاب والسنة واصول الاسلام .

ويجب كذلك البدء باصدار التشريعات الادارية والتنظيمية اللازمة لتاثيرها المباشر في الحياة وذلك كالتشريع في المسائل الاقتصادية والمسائل الاجتماعية كقضية المرأة وقضية الشباب ونحو ذلك من امور الحياة العامة الضابطة للمجتمع . فكل ذلك سابق على تقنين المعاملات التي تتطلب جهدا عظيما وتاتى ثمارا ثانوية في التطوير نحو الاسلام .

والله الموفق للخير

الاسلام

يختتم فضيلة الدكتور محمد البهي في هذا العدد دراسته عن الاسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ، شارحا وجهة نظر الاسلام في الطلاق والتفريق بين الرجل والمرأة في حق الطلاق وفي الشهادة واخيرا يشيد الكاتب باحترام القرآن الكريم لارادة المرأة ٠

المساواة في حق الطلاق :

تشكو المرأة المسلمة المعاصرة من
ـة الله : عدم مساواتها بالرجل في حق
ق ٠ على معنى انها ترى : ان يسحب
الطلاق من الرجل ، ويوضع في يد
ـي يحكم به عند الفصل في مشاكل
جين ٠ ولكن نقل حق الطلاق من ولاية
ل الزوج الى القاضي ، لايتفق مع
الرجل للاسرة ، ولا مع مسئوليته
ة عنها ٠ هذا من جهه ٠ ومن جهة
، لا يتفق ايضا مع المحافظة على اسرار
ـة الزوجية وبقائها بين الزوجين
ـمـا ٠

المفروض في القيادة الصالحة للرجل :
ا يذهب الزوج الى الطلاق الا بعد ان
ـفد الوسائل العديدة للابقاء على
ة الزوجية ٠ ثم ان فرصة الترخيص
ل في شريعة الله ، بان يتزوج اكثر
احدة الى اربعة يبعد الطلاق عن ان
، وسيلة للتخلص من واحدة لتحل
ا واحدة اخرى ٠ وانما يلجأ الى

الطلاق في شريعة الله عندما يراد دفع ضرر قائم في العلاقة بين الاثنين ، لهما او لاحدهما ٠

ومع ان الطلاق في شريعة الله يدخل في ولاية الزوج فالمرأة ايضا لها الحق في ان تخلع نفسها وتخرج من العلاقة الزوجية وذلك بان تعرض تضررها بالعلاقة مع زوجها ، على القاضي ، ليفرق بينهما ، او ليطلب من الزوج تطليقها ، تنازلت عن المهر كله ، او بعضه ٠ وقد جاء هذا الحق للزوجة في قول الله تعالى :

« ولا يحل لكم (أي للازواج) ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ٠

« فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » البقرة : ٢٢٩ ٠

ويروى « ان امرأة ثابت بن قيس — جميلة بنت ابى — شكت منه للرسول عليه السلام ، واعلنت استعدادها لرد المهر الذي أخذته منه ، عندئذ امره عليه السلام بان

ا ينافق المرأة

للدكتور :
محمد البهي

ها طلقة » ·
كان لثابت بن قيس هذا : امراة اخرى
ى : « حبيبة بنت سهل » · جاءت
ره للنبي عليه السلام ، وتذكر انه
ها حتى كسر بعض جسمها ، وطلبت
ه· فاخذ منها الرسول عليه السلام :
، وامرها ان تجلس في اهلها » ·
في الرواية الاولى تم الخلع بتطبيق
جة طلقة واحدة ، بناء على طلب
ضي ، وهو الرسول عليه الصلاة
سلام ·
في الرواية الثانية تم الخلع بحكم
ضي ، وهو ايضا الرسول عليه الصلاة
سلام ، بالتفرقة بين الزوجين ·
هذا الاختلاف فيما تم بشأن الخلع
يجعل طلاق الزوج امرا ضروريا · ومن
يرى ابن القيم : ان الخلع فسخ لعقد
اج يحكم به القاضي ، بعد اعلان
جة موافقتها على رد المهر ، كله او
ه · ويزيد ابن القيم في تبرير انه
: ان الخلع تبين به الزوجة بينونة
ى · على معنى : ان عودتها لزوجها
ف على عقد ومهر جديدين · كما ان
الزوجة به شهر ، او قرء واحد ان
كن حاملا ·
يجعل الخلع بينونة صغرى · وجعل
ه شهرا او حيضة واحدة ، يضمن
لام للزوجة عدم الرجوع الى زوجها ،
بارادتها وموافقتها من جديد ، كما

يخفف من تضررها بمباشرة الزوج عند الخصومة بين الزوجين ، فان المحكمة ليست الحل الامثل لرفع الضرر في العلاقة الزوجية· فاسرار الزوجية ، واسرار الاسرة ككل معرضة للانتشار· وقد يكون فيها مايعيب المرأة ، او يعيبها وزوجها ، مما يكون له اثر سلبي على مستقبلها ومستقبل اولادها· وعندئذ ان تجنبت ضرر الزوجية بحكم القاضي بالفرقة بينها وبين زوجها ، فهي لاتتجنب ضرر الشيوع لاسرارها ، اوضرر الحرج المخبا فيها ·

علما بان اتجاه تحرير المرأة في الغرب — في الوقت الحاضر — يسعى الى نقل الطلاق من القاضي الى الزوجين معا · على معنى : اذا اتفق الزوجان على الطلاق فانه يتم بينهما دون حاجة الى حكم القاضي · ويكفى عندئذ تسجيله في السجل المدني ·

وفعلا تم تعديل قانون الاسرة في السويد على هذا النحو · والمتحدثون عن الحضارة الغربية ينظرون الى هذا التعديل على انه خطوة الى الامام ، على طريق تحرير المرأة الاوربية · لانه يتجنب تعقيد الاجراءات القضائية من جهة ، كما يتجنب الكشف

تعدد الزوجات

وهو ضرورة إنسانية

عن اسرار الزوجية من جهة اخرى ٠

على ان للمرأة بعد هذا كله : ان تطلب من الزوج تفويضها في طلاق نفسها ، كيف شاءت ، ومتى شاءت ٠ سواء في عقد الزواج ، او بعده ٠ والتفويض في الطلاق هو ما يعرف بالعصمة في يد الزوجة ٠ فاذا اشترطت ذلك فلا يخل الشرط بالزوجية

هـ ـ تعدد الزوجات :

وتشكو المرأة المسلمة المعاصرة من ترخيص شريعة الله للرجل بان يتزوج باكثر من واحدة٠٠الى اربع في زيجةواحدة وتطلب منع هذا الترخيص وقصر الزواج على واحدة ٠

وتعدد الزوجات في شريعة الله ليس مبدا تجب مباشرته ، ويأثم الرجل بعدم تنفيذه ٠ وانما هو رخصة تستخدم عند الضرورة ٠ كما تستخدم رخصة السفر او المرض للافطار فيصوم رمضان٠والضرورة ترتبط بطبيعة الرجل ومزاج تركيبه ٠ وهو المسئول امام الله عنها ٠

والرجل الذي يرى نفسه في حاجة الى زوجة اخرى ، ان لم تكن هناك رخصة له من الشريعة في تعدد الزوجات، فانه سيلجأ الى مباشرة الزنا ، كبديل عن تعدد الزوجات ٠ وهذا هو الواقع الان في الحياة الغربية ، التي تمنع فيها الكنيسة الزواج بأكثر من واحدة ٠

ويجب اذن على المرأة المسلمة المعاصرة ان تختار بين قبول الترخيص بتعدد الزوجات ومسئولية الزوج عن كل واحدة منهن مسئولية مباشرة وصريحة ، او مباشرة زوجها : الزنا سرا او علنا مع اكثر من واحدة ، في غير مسئولية عن المرأة ، وعن الولد الناشىء عن علاقة غير شرعية ٠

والزمخشري صاحب الكشاف في التفسير ينقل رأى بعض العلماء في ان رغبة الاسلام في وقاية المجتمع من اضرار الزنا كانت من اسباب الترخيص بتعدد الزوجات الذي جاء به قول الله تعالى :

« وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء : مثنى ، وثلاث ، ورباع » النساء : ٣ ٠ فيقول :

« وقيل كانوا (اى كان المسلمون في اول الامر) لا يتحرجون من الزنا ، وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل : ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ، ولاتحوموا حول المحرمات » (١) ٠

فاذا قبلت المرأة المسلمة المعاصرة ان تكون في عصمة رجل يخونها بالزنا مع امرأة اخرى او اكثر من امرأة ، وقبلت ان يكون له اولاد اخرون من سفاح ، فانها فقط تغمض عينيها كي لا ترى الفجيعة التي تحيط بها وبأسرتها ولا تعرف مداها

رخصة تستخدم عند الضرورة

واجتماعية ومخرج من ارتكاب جريمة الزنا

وآثارها • وهي فجيعة عدم الوفاء لهـا ، وعدم احترامها ، واشراك غيرها ممن ليست في مستواها عندئذ ، معها في حياة الاسرة كلهـا •

ان انتشار المخادنة في الغرب ، والتحول الآن في النظرة الى الزنا وعده امرا لايثير قلقا في العلاقة الزوجية ، ولا تكون بسببه فرقة بين الزوجين ، ان ثبت في جانب اى منهما : يوضح ان العلاقة الزوجيـة في الغرب اصبحت شكلا لا موضوع له ، اذ طالما يحل للزوج او للزوجة ولو عرفا ، مباشرة الزنا في غير وجل من عقاب او مساءلة ، فالزوجية صارت الى مشاركة في السكنى او في النفقة او فيهما معا ، دون التزام بسلوك معين سوى سلوك الهـوى والرغبـة •

ان تعدد الزوجات اذن مخرج من ارتكاب جريمة الزنا • فهو ضـرورة انسانيـة واجتماعية • واساءة استخدامه لا ينفـي ضرورته في الحياة الانسانية كسبيل مشروع وسوء استخدامه كسوء استخدام أى مبدأ من المبادىء الاجتماعية العامة ، يعود الى عدم التكوين الاسلامي الصحيح ، والى خفة الايمان في نفوس المسيئين لاستخدامه •

ويجب ان يكون مفهوما دائما : ان الاسلام لا يأمر به • ولكنه يرخص به فقـط ، كوسيلة احتياطية يلجأ اليها عندالضرورة• ورخصته ان عادت ، بجانب كونها مخرجا من حرج الزنا، الى واقع بيولوجي في الرجل وهو ميله دون الانثى الى معاشرة اكثر من واحدة معاشرة جنسية ، فهي مع ذلـك مشروطة بالعدل بين الزوجـات : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » النساء : ٣ •

والعدل اذن هو القيمة الانسانية العليا التي يجب ان يستهدفها المؤمن دائما في تصرفاته حتى مع نفسه ، فضلا عن غيره• ففي دائرة الاقتران بالمرأة مثلا ان لـم يستطع الانفاق عليها ، او لم يستطـع معاشرتها كرجل فالعدل في الانتظار وعدم الزواج • وان كان ذا كفاءة كزوج فالاولى له ان يعجل بالزواج ، حرصا على عفتـه وعفة المرأة معا • وان اضطرته طبيعته الى زوجة اخرى فيرخص له بها ، شرط ان يعدل بين الاثنتين بقدر ما يمكن • وهـو عدل في جوانب نفسية ومادية •

و ــ المساواة في الشهادة•• وفي الولاية العامـة :

وتشكو المرأة المسلمة المعاصرة من ان شريعة الله لا تعتد بشهادة المرأة الا مع الرجال ، أما في الحدود والقصاص فلا بد فيها من الرجال واذن ان جازت شهادة النساء فهي مشروطة بان تكون النساء مع الرجال وفي الاموال وحدها • وادن كذلك لاتجوز شهادتهن وحدهن ، الا فيما لا يطلع عليه غيرهن للضرورة •

وهذا الجواز المشروط جاء به قول الله تعالى :

« فان كان الذي عليه الحق (في الديون) سفيها ، او ضعيفا ، اولا يستطيع ان يمل، فليملل وليه بالعدل » •

« واستشهدوا شاهدين من رجالكم » •

« فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان، ممن ترضون من الشهداء ، ان تضل (تنسى) احداهما فتذكر احداهما الاخرى » •

« ولا يأب الشهداء ، اذا ما دعوا » البقره : ٢٨٢

•• والمرأة المعاصرة التي تصرعلى طلب المساواة بالرجل مساواة حرفية تتغاضى عن احص حصائص طبيعة المرأة • وهي سرعة الاستجابة للمؤثرات الخارجية • هي اكثر من الرجل انعطافا وانحناء على الاخرين ، واكثر تصديقا لاوضاعهم واقوالهم اذا ما بدت هذه الاوضاع والاقوال في صورة جدية •

والعاطفة التي تتميز بها المرأة عن الرجل هي في سرعة تقلبها • والا فالرجل كانسان له عاطفة كذلك • فكل انسان له وجدان • وهو مصدر العاطفة والانفعال ، بجانب ما له من ارادة تدفع على تنفيذ ما يصمم عليه • ولكن ان تميزت عاطفة الرجل عن المرأة بالبطء في التقلب او في التغيير ، فعلى العكس تكون عاطفة المرأة•

وتكوين صدر المرأة على نحو ما هو عليه، متميزا عن صدر الرجل ، يجسم عندها قوة العاطفة، ومصدر التقلب في الانفعالات والتغيير من حال في الاستجابة الى حال اخر، ربما يكون على الضد من سابقة • ولذا : المسافة الزمنية ضيقة عندالمرأة بين غضبها وفرحها •• وانقباضها وانبساطها •• وادبارها واقبالها •• وتشددها وتلهفها•

ولا يعيب المرأة أطلاقا ان تكون عاطفتها اقوى من عاطفة الرجل ، ولا ان تكون استجابتها اسرع من استجابة الرجل ، ولا ان يكون تغييرها اقصر اجلا من تغيير الرجل • فالوفاق بين الرجل والمرأة في الحياة بينهما في حاجة الى هذا الاختلاف • والطفل في الاسرة ان احتاج الى مطلق الحنان من الوالدين ، فهو في حسن توجيهه اكثر حاجة الى سرعة استجابة الام له ، وبالتالي الى تراخي الاب في عاطفته نحوه•

ومن اجل الفرق في نوعية العاطفة بين الرجل والمراة ، قيل عن الرجل : انه صاحب جلد ، وان تحمله على الشدائد والازمات اطول من تحمل المرأة • اذ لا يستجيب للازمة فورا ، ولا ينتقل بسرعة بسبب تلك الازمة من حال نفسي الى حال مقابل له ، قبل ان يفكر ويراجع عناصر الازمة للخروج منها • فهو قبل الانتقال والتغير يفكر ويتروى في تفكيره • ومن يتعود التفكير والتروى فيه يكون صاحب داكرة قوية ، يراجع بها الاحداث في غير خلط او تشويش •

وشريعة الله عندما فرقت في الشهادة بين الرجل والمرأة ، اسندت الاختلاف بينهما الى خصائص الطبيعة البشرية لكل منهما ، وان خلقا من اصل واحد • لان الفروق الفردية بين الذكور او بين الاناث قائمة • وكذلك الفروق النوعية بين

الذكر والانثى ، قائمة ايضا ٠

ومن هذه الفروق النوعية في جانب المرأة : عدم جلدها ٠٠ وسرعة استجابتها٠ وقلة ترويها ومراجعتها، وبالتالي : سرعة نسيانها او قلة تذكرها ٠

وعندما قال الله تعالى في شهادة المرأة ٠

« فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان، ممن ترضون من الشهداء ، ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى » ٠٠

٠٠ وجعل شهادة المرأتين في الدين مساوية لشهادة رجل واحد فيها . ارجع ذلك الىسرعة نسيان المرأة، وقلة تذكرها٠ ومن اجل ذلك قالت الاية في التبرير . « ان تضل (اى تنسى) احداهما فتذكر احداهما الاخرى » ٠

وشريعة الله اذن مساوقة لطبيعة الانسان ٠ وعن مساوقتها لهذه الطبيعة كان الفرق هنا في الشهادة بين المرأة والرجل ٠ ولو سوت شريعة الله بين الرجل والمرأة في ذلك ، رغم الفروق النوعية بينهما لكانت هذه المساواة على حسب

قيمة : العدل ، بين الناس ، ولما كانت فيها مصلحة تعود على المرأة ٠ لانها عندئذ تكون ضد خصائصها ٠

وكذلك شريعة الله في الولاية العامة وعدم تفاؤلها بتولى المرأة اياها ، كما يروى عن الرسول عليه السلام والسلام عندما سال بعد موتكسرى . مناستخلفوا؟ قالوا : ابنته ٠ قال : لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة ٠

٠٠ فقول الرسول عليه السلام بعدم نجاح المرأة في تولى الولاية العامة يعود كذلك الى اهم خصائصها الذاتية ، وهي : عدم التحمل والصبر ٠٠ وعدم التأني ٠٠ وقلة المراجعة لاسبابالمشاكل والازمات٠٠ وكثرة التقلب والتغيير في العاطفة

والانفعال ٠

والولاية العامة تستوى فيها هنا : الامانة والرياسة الكبرى ، والوزارة ، والسفارة ، والنيابة والقضاء ٠

ان المرأة : تحيض ٠٠ وتحمل ٠٠ وتلد ٠٠ وتنفس ٠٠ وترضع ٠٠ وتباشر الحضانة ٠ وهي في كل ذلك تتعرض لمؤثرات ذاتية تستجيب لها على نحو معين من غير ان تكون لها ارادة في الاستجابة ٠ والفصل في وظيفة الولاية العامة ، او في القضاء احوج ما يكون الى استقرار الوالي او القاضي ، وعدم تعرضه لمؤثرات ذاتية او خارجية تخضعه حتما لاوضاع نفسية او بدنية قد تكون متناقضة ٠

وقد تولت المرأة في العشر سنوات الماضية في بعض دول اسيا ، وأمريكا اللاتينية : الرياسة الكبرى (٢) ، وخرجت كل واحدة منهن من ولايتها العامة بضياع كل الثقة تماما ، التي أولتها هذه الولاية ، وبرصيد من الانحرافات في الحكم تعطى الدليل الواضح على تقلب المرأة وسرعتها في الاستجابة العاطفية للمؤثرات، وعدم الاطمئنان الى فصلها في الامور ، بروح التجرد او بروح التأني والروية ٠

وفصل المرأة في القضاء لا يقل عندها في التأثر بعوامل اجنبية عن الموضوع ، عن الفصل في شئون الولاية العامة ٠ ولو تتاح الفرصة للمحللين النفسيين : ان يراجعوا احكام النساء في القضاء عندما يصدرون احكاما فيما يعرض عليهن من قضايا ، لوقفوا في اتجاه احكامهن ، على هذا العامل الذاتي ، وهو سرعة التأثر والانفعال ، او سرعة العاطفة والتغير فيها ٠

واخـــيرا :

يعلن القرآن : احترامه لارادة المرأة ، عندما يخير الرسول عليه السلام نساءه ، بناء على امر من ربه : في البقاء معــه ، مع وضعه الرقيق في المعيشه ، او في تركــه والبحث عند غيره عن حياة اكثر يسـرا واوسع متعة • ورسول الله من هو ؟ في صفاته الانسانية •• وفي منزلته من ربه•• وفي مكانه بين المسلمين •• وفي وضعه في التاريخ • فيقول الله تعالى :

« يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن، واسرحكن سراحا جميـلا •

« وان كنتن تردن الله ، ورسولـــه ، والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنـات منكن اجرا عظيما » الاحزاب : ٢٨ـ٢٩ •

•• والتخيير هو تفويض المرأة وجعل امرها بيدها • فان اختارت البقاء بقيت على ما كانت عليه من الزوجيـــة ، وان اختارت الفرقة صارت مطلقة • وتكــون بائنة على رأى ابي حنيفة واصحابه • ولم يزل تفويض المرأة . امرها . له اعتباره في الفقه الاسلامي • وقد يسمى بالعصمة يقرها الزوج لزوجته ، عند عقد الزواج، او بعـده •

وليس هناك أدل على احتـــرام ارادة المرأة من جواز هذا التخيير او التفويض، في شريعة الله •

فاذا جاء القران بعد ذلك بالنصـــح للمرأة في قول الله تعالى .

« وقرن في بيوتكن ، ولا تبرجن تبــرج الجاهلية الاولى » الاحزاب ٣٣ •

•• فينصحها بحماية نفسها من اصحاب القلوب المريضة من الرجال في الطرقـات بالاستقرار في البيت ، فاذا خرجت لامـر يدعوها الى الخروج فلا تسلك مسلـــك المرأة التي تخضع للاتجاه المادى في الحياة فتبرز مفاتن جسمها لاثارة الرجال وجلب انظارهم اليها •• اذا جاء القرآن بهـذ النصح لها فلا يكون مهينا لكرامتها ، وغير حريص على شخصيتها الاجتماعية • بـل بالعكس هو يدلها على سبيل الحماية الذي تملكه هي بارادتها ، وليس بارادة غيرها •

والجاهلية هي الزمن بين الرسالات الذي تتراخى فيه القيم الانسانية ، بينما تطغى فيه الاتجاهات المادية • فبين آدم •• ونوح • كانت جاهلية • وبين نـوح •• وابراهيم ، كانت جاهلية • وقبـل داو وسليمان كانت جاهلية • وبـــين موسى وعيسى كانت جاهلية • وبين عيسى • ومحمد ، كانت جاهلية والجاهلية الاولى هي اسبق هذه العهود في الاتجاه المـــادي وطغيان زينة الحياة الدنيا ، او طغيان جانب الاقتصاد على كل القيم العليا •

وربما يقصد بالجاهلية الاولى ذلك العهد الذي كان وقت رسالة الرسول عليه السلام، والجاهلية الاخــرى كما يصورها بعـض المفسرين (٣) : ما يقع في الاسلام مــن التشبه بأهل الجاهلية ، بقول او فعل • فيكون معنى الاية :

« ولا تبرجن ايها المسلمات بعد اسلامكن تبرجا مثل تبرج اهل الجاهلية التي كنتن عليها ، وكان عليها من قبلكن • اى: تحدثن بافعالكن واقوالكن : جاهلية تشبه الجاهلية التي كانت من قبل » •

والمجتمعات الاسلامية عندما تطغـــى عليها الاتجاهات المادية ، وتخف فيها القيم الانسانية العليا . تصبح في ظل جاهلية • وقد حدد ذلك الرسول عليه السلام فيمـا يروى عنه هنـــا :

« يوشك الامم ان تداعى عليكم ، كما

تداعي الاكلة على قصعتها • قال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ • قال . بل أنتم يومئذ كثير • ولكنكم غثاء كغثاء السيل : ولينزعن الله من صدور اعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم . الوهن• فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ • قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت » ••

•• فاذا صار امر المجتمع الىحب الدنيا وكراهية الموت ، فقد وصل امره الى طغيان المادية ، وتخلف القيم الانسانية في حياة أفراده •

تريد شريعة الله للمرأة بهذا النصح ان تظل في مستوى انساني كريم ، فلا تسقط الى ما يشبه ان تكون سلعة تباع•• وتشترى ، او لعبة يتسلى بها الرجال • « وقد كان نساء الجاهلية على عهد الرسالة الاسلامية يظهرون ما يقبح اظهاره ، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها ، وخليلها • وما كان نساء الجاهلية يمارسنه بالامس، تمارسه النسوة اليوم في عصر التحرر ، والحرية ، وفي صور عديدة • فكم في زوج في الحياة الغربية اليوم يترك فراش زوجته ليستمع بها صديقها اخر الاسبوع، على ان يظل هو في مكان اخر في المنزل في انتظار ان يلقى عليهما تحية الصباح من غد ؟ •

واذا راعت شريعةالله طبيعة المرأة، وطبيعة الرجل فيما تحدده من حقوق وواجبات لكل منهما ، فليس ذلك على حساب طرف ، ومحاباة لطرف اخر •

ولكي تنصف المرأة شريعةالله يجب ان تعرف نفسها اولا • اذ انها عندما تعرف نفسها سيزيد ايمانها بالله ، وستنجح في الوفاق بينها وبين الرجل : في الاسرة •• وفي المجتمع • وفي ذلك سعادة الاثنين ، وخير الامة كلها •

(انتهى) :

١ – الكشاف ج ١ ص ١٨٨ •

٢ – في الاسلام وسيلان والارجنتين •

٣ فتح البيان في اعجاز القرآن ج ٧ ص ٣٦٢ •

الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير

رئيس لجنة التفسير بمجمع البحوث الاسلامية

وتفصيل امرها ـ كما نشرته الصحف ـ انها في الثانية والثلاثين من عمرها وانها متزوجة من سائق قطار بانجلترا منذ ثماني سنوات ولم تستطع الانجاب لوجود عيب في جهازها التناسلي ، وهو انسداد القناة الفالوبية الموصلة بين مبيضها وبين رحمها وهذه القناة هي التي يتم فيها عادة تلقيح بويضة المرأة السليمة بالحيوان المنوى للرجل ، وبعد اربعة ايام من التلقيح تكون فيها الخلايا الناشئة عن التقيح قد تكاثرت فتندفع تلك الخلايا نحو الرحم فتلتصق بجداره ويدبر الله لها امر الغذاء والتكوين حتى يتم الحمل وتحدث الولادة، فتنتقل التغذية بعدها الى صدر المرأة بعد ان كانت داخل رحمها اثناء الحمل ٠

وبما ان زوج هذه السيدة صالح للانجاب ، وانها هي تفرز شهريا بويضات صالحة للتلقيح ولكنها لا تستطيع دخول قناة فالوب لتلقح داخلها لانسدادها، فلهذا رأى الطبيب المعالج الدكتور باتريك ستيفن ان يلتقط منها البويضة اثناء خروجها من مبيضها بواسطة منظار البطن وان يضعها في انبوبة اختبار بها نطفة زوجها وان يهيىء لها في هذه الانبوبة الجو الطبيعي الموجود في قناة فالوب حتى يتم تلقيحها من
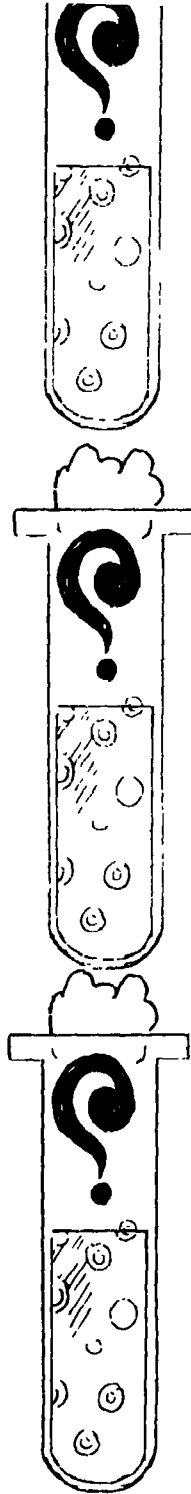
شغل العالم على اختلاف ملله ونحله بما نقلته الانباء في شهري يونية ويوليــة من سنة ١٩٧٨ من أن سيدة انجليزيــة تسمي « ليزلي براون » حملت بطريقة صناعيه ، وهي غــير صالحة للانجاب وان الولاية ستكــون في اغسطس من السنة المذكــورة •

حاولة الانجاب [illegible]

حيوانات المنويه الموجودة بنطفة زوجها
خل انبوبة الاختبار ، وبعد ان يتــم
لقيح تنقسم الى خليتين ثم الى اربع ثم
، تماں ، وهكذا الى اربعة ايام تكون
ها كمية لا تحصى من الخلايا ، فحينئذ
دفعها الى داخل الرحم فتلتصق بجداره
تقوم العناية الالهية بكل شيىء بعد ذلك
خل رحم المراة حتى تتم الولاية •

هذا ما خطر ببال الطبيب المعـــالج
دكتور باتريك ستيفن طبيب امــراض
نساء والولاية الانجليزي، فعرض الفكرة
، الزوجين فوافقا عليها ، فقام بتنفيذها
مساعدة الدكتور روبرت ادوارالاخصائي
علم وظائف الاعضاء الــذي يقــوم
لتدريس بجامعة كمبريدج •

ا الــذي ينسب الى الطبيــب في ذه القصــة ؟ :

**لم يصنع الطبيب فيها شيئا اكثر مــن
فير العوامل التي جعلت انبوبة الاختبار
ل محل قناة فالوب في المراة لانسدادها ،
كل ما عدا ذلك فهو من صنع الخالــق
عليم الخبير ــ جل وعلا ــ فالنطفــة
والبويضة وانبوبة الاختبار والجو الــذي هياه الطبيب ليتم التلقيح داخلها كل ذلك من صنع الله الذي أتقن كل شيىء والهم الطبيب وعلمه فصنع ما صنع ، ولولا انه تعالى الهمه ان يفكر في صنع الله في تكوين الجنين فعرف من قوانينه تبارك وتعالى ما جعله ينجح في فكرته لولا ذلك لعمي عليه الامر والتبست عليه السبل •**

وبالتامل في هذه القصة نرى ان النطفة للزوج والبويضة لزوجته، فالجنين الناشيء عن هذه المحاولة يعتبر ولدا لهما يرثهما ويرثانه ولا شيىء فيه من السفاح ــ ان صحت الروايات التي بنيت عليها هــذا البحث •

دواعي الانجاب الصناعي وطرقه:

قد علمت من قصة السيدة الانجليزية « ليزلى براون » ما دعاها الى الانجــاب الصناعي وعلمت رأى الدين فيــه •

وهناك اسباب اخرى جعلــت بعــض المحرومين من الذرية يفكرون في الانجاب بطرق اخرى لايقرها دين ولاطبع مستقيم•

من الازواج من هو عقيم بسبب موت حيواناته المنوية او ضعفها في حين ان زوجته صالحة للانجاب ، لسلامة جهازها التناسلي، فتظل هذه الاسرة ملتهبة الشوق الى الذرية ، وبعد ان كانوا يرضون ان يتبنوا اللقطاء في مثل هذه الحالة ليرضوا غريزة الابوة والامومة بالوهم والادعاء ، عدلوا الى اسلوب اخر هو اسلوب الانجاب الصناعي الذي ظهرت فكرته في اوربا وامريكا واستساغوها ، رغبة في الحصول على اطفال يولدون في البيت ، وبيان هذه الطريقة ان يحصل الزوج العقيم لزوجته الصالحة للانجاب — او تحصل هي — على نطفة رجل اجنبي مجهول في انبوبة من مصرف طبي اعد لمثل هذا الغرض ، وان يضع الطبيب النطفة في مكان الانجاب امام الزوج ليطمئن على ان زوجته لم يغشها رجل غشيانا مباشرا ، فاذا حملت الزوجة من هذا التلقيح اعتبر الولد الحادث من هذا التلقيح ولدا شرعيا عند هؤلاء الزاعمين وما هو بشرعي وانما هو جريمة كبرى حمل اثمها الزوجان ·

ويوم ان ظهرت هذه الجريمة في المجتمع الاجنبي تساءل الناس هنا : ايحل مثل ذلك · وقد احسن بعض العلماء في ذلك الحين بافتائهم بحرمة ذلك ·

وازيد على ما افتوا به أنه يجب تعزير المرأة التي ترتكب هذا الاثم — اى عقابها — اذا ثبت عليها، وكذلك يجب تعزير زوجها اذا حصل ذلك بعلمه . ولا يحكم برجمها — كما في الزنى — لعدم المباشرة ، ولو قال احد برجمها لكان لقوله هذا شبهة في ان الغرض من الزنى قد حصل فعلا ·

ولا شك ان المرأة التي يبيح لها زوجها ذلك ، تستهين بحرمة الزوجية بعد ان حملت من سواه ويضعف عندها الوازع الذي كان يحول بينها وبين الزنى، فتتجرأ عليه وتقارفه دون علم الزوج ويتدنس فراش الزوجية ويوغل فيه الاثم ·

تجربة قاسية سنة ١٩٦٩ :

تطورت عملية التلقيح الصناعي سنة ١٩٦٩م ، ووصلت الى حد خطير فقد عمد ثلاثة من علماء الانجليز الى تلقيح بويضة امرأة بحيوان منوى، من رجل اجنبي وكان التلقيح داخل انبوبة اختبار ، وتعهدوا التجربه حتى جاءت في النهاية بطفل داخل انبوبه الاختبار ، ثم قتل هؤلاء الاطباء ذلك الجنين ، حتى يتمكنوا من فحص نتائج التجربة فحصا شاملا ، وهؤلاء الاطباء قاموا بأبحاثهم تحت اشراف جامعة كمبريدج ·

وهذا الخبر نشرته صحيفة مصرية بتاريخ ١٥/٢/١٩٦٩ نقلا عن مجلة

علمية بريطانية ونقلت عنها ايضـــا ان المرحلة التالية في التجربة ستكون وضــع البويضة بعد تلقيحها داخل الرحم لتواصل دورة الحياة ، وتنتهي بولادة طفل بالطريق الطبيعي ، وهذا ما حدث للسيدة (ليزلـي براون) سنة ١٩٧٨ ـ كما تقدم بيانــه ويوم ان تحدثت الصحف عن ذلك في سنة ١٩٦٩ ، قالوا ان هذا يعيد الامل لملايين النساء اللائي يعانين العقم ، ويجعل من الممكن انتاج اجنة في ارحام السيـــدات العاجزات عن الانجاب بسبب انســـداد قنوات فالوب لديهن حتى يتمتعن باطفال طبيعيين ينشئون داخل ارحامهن •

وذكرت مجلة (نيتشر) التي نقلــت عنها اخبار اليوم ما تقدم ان احد رجـال الكنيسة هاجم تجربة الانابيب المذكورة •

وقالت الصحيفة بتاريخ ١٩٦٩/٢/١٦ نقلا عن تقرير علمي : ان الهدف من هذه التجربة هو معرفة الخطوات البالغة التعقيد التي تمر بها عملية الاخصاب حتى يؤدى ذلك الى معرفة المزيد من وظائف الخلايا والاجنة والصفات الوراثية ومختلف مراحل تكوين الجنين ، وانه قـد ظهــر لهؤلاء العلماء ان عملية الانجاب والاخصاب تمر بمراحل بالغة التعقيد اكثر آلاف المرات مما تصوروا ، قبل الاقدام عليها ، وانهم لم ينجحوا الا بعد آلاف العمليات الكيماوية والطبيعية التي باءت بالفشل قبل اهتدائهم الى السبيل الصحيح ، وانهم اهتـــدوا في التجربة خارج الرحم ، بالقنفذ البحري الذي تتم عملية الاخصاب عنده في الماء ، وانهم بدأوا تجربتهم بالفيران ، وفشلت تجاربهم فيها ٨٤٤ مرة قبل ان تكلــل بالنجاح ، واخيرا اهتدوا الى الطريـــق الصحيح بأخذ حيوانات منويـــة لذكـر الفيران استخرجوها من انثى الفيران بعد تلقيحها بالفار الذكر بساعتين وبهـــذه الحيوانات المنوية لقحوا بويضة اخرى من انثى الفــيران •

وانما استخرجوا الحيوانات المنوية من الانثى بعد تلقيحها بالذكر لتكون قد مرت بمرحلة التحضير التي لا يمكن ان تتـــم خارج الرحم ، ليتمكن الحيوان المنـــوى بهذه المرحلة من اخصـــاب البويضـــة ، وقالت : ان التلقيح تم عن طريق الخلط البسيط بين الحيوانات المنوية للذكـــر والبويضة في وسط كيمائي سهل التحضير ووضعت انبوبة الاختبار في حضانـــة ذات حرارة معينة وبذلك نجحت التجربة التي اعيدت بنجاح اربعين مرة •

وقالت : ان تجربة الفيران الناجحـة امكن ان يطبقها هؤلاء العلماء بزعامـة الدكتور ادوارد على الانسان وان الدكتور المذكور صرح بان الهدف لم يكن صنـع اطفال داخل انابيب بقدر ما كان خطوة هامة في الدراسة الفسيولوجية ، وتحقيق امال راودت الكثيرات من النساء •

كما قرر هؤلاء العلماء ان الهدف لـم يكن صنع اطفال بصفات معينة يمكـــن تعديلها او تغييرها حسب رغبة الاطباء او الآباء •

التلقيح الصناعي وطفل الأنابيب

هذه خلاصة ماكتبته الاخبار نقلا عن تقرير هؤلاء العلماء سنة ١٩٦٩ وأنت ترى من قصة السيدة الانجليزية (ليزلي براون) في سنة ١٩٧٨ ان الذي اجرى لها التجربة هو الدكتور باتريك ستيفن بمساعدة الدكتور روبرت ادوار صاحب التجربة القديمة التي تمت في سنة ١٩٦٩.

رأى الدين في تجربة سنة ١٩٦٩ :

قبل ان نذكر راى الدين في هذه التجربة ، نسجل ما اثبته هؤلاء العلماء من عظمة الله في خلق الانسان تلك العظمة التي لم يدركوا أسرارها الا بعد فشل تجاربهم الاف المرات ، وصدق الله تعالى « وفي انفسكم افلا تبصرون » .

ثم نقول : ان هذه التجارب ذكرتنا بما يصنعه اطفالنا تلاميذ المدارس الابتدائية، حين يزرعون البصل في أكواب الماء ، وحين يستنبتون حبوب القمح ـ مثلا ـ على قطن مبلل بالماء ، لكي يطبقوا ماسمعوه من مدرس التربية الزراعية على مازرعوه واستنبتوه ، فيروا الجذور تنبت اولا ثم البراعم كما فهموه من مدرسهم .

وقد استبدل هؤلاء الاطفال الماء او القطن المبلل ، بالتربة ، ليستطيعوا ان ان يشاهدوا تطورات الاخصاب ، فالذي فعله هؤلاء العلماء يشبه ما يفعله اطفالنا، بفارق استاذية هؤلاء واجرائهم نفس التجربة في الانسان فقد جعلوا انبوبة الاختبار بديلا من الرحم ، ليروا تطورات نمو الانسان ومراحل تخليقه البالغة التعقيد ، كما جعل اولادنا الاكواب والاطباق بديلا من الارض ، ليروا تطورات النبات .

وهؤلاء العلماء لو كانوا يفعلون ذلك ليتعرفوا مدى قدرة العليم الحكيم في خلق الانسان ، وليتعلموا من امور تكوينه ما يساعد على علاج بعض الامراض والنقص التكويني ، ولا يترتب على علمهم هذا وتعليمهم اياه غيرهم اضرار ، لقلنا : هذا عمل يجوز تبريره ، بحجة ان الغاية الشريفة تبرر الواسطة ، كما بررنا تشريح الموتى لنفع الاحياء ، وكما بررنا انبات اطفالنا للنبات في القوارير والاطباق ، بدل انباته في الارض ، لتطبيق العلم على العلوم ، ولتقديس الخالق جل وعلا .

ولكن عملهم هذا اقترن بجريمة ، وسوف يستتبع آثارا سيئة: واليك البيان:

اول جريمة لهذا العبث ان هؤلاء العلماء ـ بعد ان تكون الجنين داخل انبوبة الاختبار ـ قتلوه كما قالت الصحف، وقتل النفس حرام باجماع الديانات ، فانه لا فرق بين جنين ينشا في الرحم ، وآخر ينشا خارجية ، اذ الاصل في كل منهما خيوان منوى وبويضة ادميان خلقهما الله تعالى ، وقد نشا عن تزاوجهما نفس بشرية في كل من الرحم وانبوبة الاختبار ، فاذا كان لافرق في الحيوانية بين فرخ احتضنت بيضته الدجاجة ، وفرخ اخر احتضنته الحضانة الصناعية ، فكذلك لا فرق في الانسانية بين جنين احتضنته ادمية وجنين

اخر احتضنته انبوبة الاختبار .

فان كانوا قتلوه لانه لا يستطيع ان يعيش على غذاء الاطفال ـ اذ لم ينشا في الرحم كما نشأوا ـ فماذا اجداهم هذا الجهد المضني الذي كانت نهايته الاعدام ، وكيف طاوعنهم نفوسهم ان يعدموا انسانا يرونه حيا كالاطفال ـ كما زعموا ـ وبخاصة بعد مابذلوا فيه هذه التجارب الشاقة عدة سنين .

وثانية الجرائم ما سيتلو هذا العبث من سعة الانتشار ، فقد صرحوا انهم لا يريدون بما فعلوا مجرد الدراسة ، بل وتحقيق امل الكثيرات المحرومات من الانجاب ، لانسداد قنوات فالوب لديهن ، فانه من المعلوم ان انسداد هذه القناة قد يجعل المرأة عاجزة عن انتاج بويضة قابلة للتلقيح بنطفة زوجها ، وقد تكون قناة فالوب سليمه ولكن المرأة عقيم لا سبيل الى انتاجها بويضات صالحة للاخصاب ، فهذه وتلك سوف يجلبون لكلتيهما بويضة صالحة للاخصاب من امرأة اجنبية لتلقح بحيوانات زوجها المنوية ، اما داخل رحمها او خارجه ـ تبعا لسلامة قناتها الفالوبية او مرضها ، ثم تقوم هي بحضانة هذه البويضة في رحمها عقب فترة التلقيح ـ على اية صورة كان التلقيح ـ وتظل تحتضنها حتى يتم الحمل مدته المعتادة .

فالولد الذي تلده بهذه الطريقة ليس لها فيه سوى الحضانة ، فكيف يكون هذا ولدا نسيبا لها ـ يرثها وترثه ـ ومثلها بالنسبة له كمثل المرضعة لولد غيرها ، بل وكيف يكون ولدا شرعيا لزوجها ؟ ، والبويضة التي لقحت بمائه من غير زوجته ، اليس مثله في هذا كمثل رجل زنى بامرأة اجنبية ولقح بويضتها بمائه ، ولا فرق بينهما الا ان زناه بالاجنبية كان عن طريق زوجته التي اوصلته الىبويضتها المستعارة منها للانجاب ، وهل الطفل المتولد عن ذلك يحمل صفات المرأة الحاضنة وزوجها ، ام يحمل صفات صاحبة البويضة ، وصفات زوج الحاضنة ؟ انه سيكون حاملا لصفات الزوج وصاحبة البويضة كولد الزنى تماما .

فاذا عرفت هذا أدركت انهذه الطريقة يترتب عليها انجاب اولاد غير شرعيين ، اذ لم يجتمع الزوجان على اصلهم في كليهما ، فالنطفة في المرأة الولود لغير زوجها العقيم ، والبويضة في المرأة العقيم لغير الزوجة .

والجريمة الثالثة لهذه البدعة ، غرور أولئك العلماء ، وظنهم انهم شاركوا الخالق جل وعلا في الخلق ، وقدروا على ماقدر عليه من خلق الانسان الذي انطوى فيه العالم الاكبر ، كما سيترتب عليه غرور تلاميذهم والحاد الجاهلين السطحيين من البشر .

وعلى صفحات « منار الاسلام » نخاطب المؤمنين فنقول : ان هؤلاء العلماء لم يأتوا

بشيء من عندهم ، فالنطفة والبويضة من خلق الله تعالى، ولايستطيع احد ابداعهما، والمواد التي احاطوا الجنين بها ، والجو الذي هيئوا به بيئة الرحم او القناة الفالوبية من خلق الله ، والطريقة التي سلكوها من ارشاد الله ، وفوق كل ذى علم عليم، وماخفى منخلق الانسان وشئونه اعظم مما ظهر • وصدق الله تعالى اذ يقول: « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » •

وقد نشرت جريدة مصرية بتاريخ ١٩٦٩/٢/١٧ ان مسئولا بالفاتيكان صرح بانهم يرون ان كل هذه العمليات غير اخلاقية وغير مشروعة •

وقد احسن الفاتيكان بهذا التصريح في العالم المسيحي ، وهو بهذا يضم صوته الى صوت الاسلام الذي يستنكر هذه الجريمة البشعة في مبدئها وفي آثارها المرتقبة « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » •
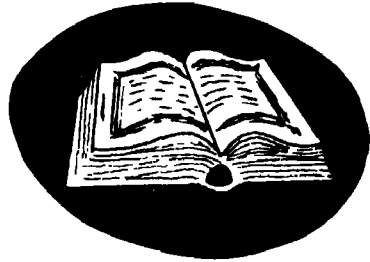
قلبي على الباب ·· طول السير أضناه   والليل عذبه ·· والشوك أدماه
ضاقت عليه دروب الارض واقتلت   فيه الخطوب ·· وغالته حمياه
وكل ما كان يهوى ·· بات يقتله   وكل شيء حواليه ·· تحداه
الا شعاعا طهورا ·· بات يجذبني   ويستميل جنودي ·· حين ألقاه
ويغزل النور فجرا ·· ما حفلت به   حتى أقام بأعماقي سراياه
وراح يمهد قلبي بالشذى عبقا   وبالحياة · وبالنعمى ومغناه
ويعمر النفس اضواء مغازلة   ويزرع الحب في دربي ·· ويرعاه
عرفت فيه حياة ·· كنت اجهلها   وكنت فيها غريبا ·· ضل شطاه
نسيت أمسي ·· وما بالامس من نزق   وكل ما فيه ·· حتى عفت مرآه

قلبي على الباب طول الشوق برحه   وطول مسراه اضناه ·· وأدناه
فراح يدنو ·· ويدنو في معارجه   ويورق القلب ·· رباه ·· ورباه
« أنا » تلاشت ·· وعاد الطين مؤتلقا   ونور نورك جلاه ·· وجلاه
صفى بي الشر حتى صرت جانحة   لا تعرف الشر أو تهفو للقياه
كانني قد ولدت اليوم في عبقي   وفي دعاسي ·· وفي طهري ·· ورياه
وقفت بالباب والافراح في كبدي   والعيد فيخاطري ·· والبشر والجاه
قلبي على الباب فائذن بالدخول له   وابسط له في الندى واسمع لشكواه

وقفات

من بدائع الحكم :

من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر ، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر ، ما أعجب أمرك يا من وقف بأمر ثم ينساه ، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ·

غلام يعظ عبد الملك بن مروان :

لما ظهر الطاعون بدمشق ، أيام عبد الملك بن مروان ، خرج ومعه غلام له فكان النوم والفرس تعدل به عن الجادة · فقال لغلامه · ويلك حدثني بما تحدث به أمثالك فقال الغلام : بلغني أن ثعلبا صادق أسدا على أن يجيره من السباع فكان أبدا بين يديه · فظهر في يوم من الايام عقاب في الهواء ، فخافه الثعلب ووثب على ظهر الاسد ليحميه فانحط عليه العقاب فاختطفهفقال الثعلب العهد يا أبا الحارث فقال له الاسد انما عاهدتك على أن أحفظك من أهل الارض · وأما أهل السماء فلا قدرةلي عليهم ·

فقال عبد الملك · لقد وعظتني يا غلام ورجع الى الشام وهو يقول لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ·

وقد توفى عام ٨٦ هـ وفيها كان الطاعون الفتياني ·

مثل عليا من أخلاق النبوة :

لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي هوازن (قبيلة من قبائل العرب) كان مما عرض عليه بنت حاتم الطائي فقالت : يا رسول الله أنا بنت حاتم الطائي فعطف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم · ورد مالها وقال : أكرموا عزيز قوم ذل · وغني قوم افتقر · فقالت يا رسول الله أتأذن لي أن أدعو لك بدعوات فقال لها أذنت لك ، ثم قال لاصحابه أنصتوا وعوا · فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى · ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر · وأصاب

اعداد : عبد العال ابوسليمة

اللهم بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجه ولا سلبت نعمه من كريم الا وجعلت سببا لردها •

اوائــــل :

★ اول من تغنى بشعره في العصر الجاهلي : هو الاعشى ميمون بن قيس•

★ اول من اطال القصائد الشعرية وعدد ابياتها في العصر الجاهلي : هو المهلهل بن ربيعة خال امرىء القيس •

★ أول من أمر بنشر الحديث النبوي هو الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز •

★ اول انتشار الغدر السياسي كان في العصر الاموي لتطاحن الاحزاب على الخلافـــة •

★ أول من كتب في أقسام العين ابن الهيثم وهو أول من رسمها بوضـــوح تام وسمى بعض اقسامها • وقد اخــذ الاوروبيـــون عنه هذه الاســـماء ، وترجموها الى لغاتهم • فمن الاسماء التي وضعها (الشبكية) و (القرنية) و (السائل المائـــي) و (السائـــل الزجاجي) •

علم الطبيعة عند العرب :

اهتم علماء العرب بعلم الطبيعة ولا نكاد نجد فيلسوفا من فلاسفة الاسلام ، لا يلتفت الى فهم الطبيعة •• فالكندي في (الرسائل) والفارابي في (احصاء العلوم) و (المدينة الفاضلة وغيرهما) وابن سينا في (الشفاء) والبيروني في (الجماهر) والرازي في كتب الفلسفة ولا سيما (سر الاسرار) واخـــوان الصفا في (الرســـائل) •• كل هؤلاء وكثير غيرهم . لهم ابحاثهم القيمة في التاملات الطبيعية ولهم دورهم العظيم في تقدم العلوم والمعارف الانسانية •••

نمـــاذج من فنون الاســـلام

كسوة الكعبة الشريفة
قربة وصناعة وفن عريق

دراسة وعرض وتصوير :
د٠ عبد المجيد وافي

« جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام ، والهدى والقلائد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم » ٩٧ : المائدة ٠

★ ★ ★

يظل المسلم الذي اتقى ربه في نفسه واهله وماله، معلق القلب كلما استقبل قبلته لصلاته ، شغوفا برؤية البيت الذي يستقبله حيثما كانت صلاته في فجاج الارض الواسعة « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ٠٠٠

متمنيا على الله يسر السبيل واستطاعة الجهد والنفقة ، وانفساح الامل والاجل والرجاء ٠

حتى اذا ما اكتحلت عيناه بالمشاهدة ، اهتزت جوانحه ، ورف قلبه بالحضرة أمام أول بيت وضع للناس ، وتم له الامل ــ اذا كان ممن رضي الله عنهم ــ فأحس بحلاوة الفناء والصفاء ، عندما تأخذه تيارات المطاف في نهر الطواف ٠

الستارة على باب الكعبة وأعلاها الحزام والزوائد

البيت والكسوة

وقرة عين المسلم عندما يدخل من من باب السلام ، لاول قدومه ، أو من أي باب حينما يطول به المقام ويسعد بالقرب ، فيرى البنية الشريفة تكسوها الحلة السوداء ، قد طرزتها الايدي الصناع بخيوط الذهب تنطق بآيات الكتاب الحكيم ٠

ورؤية البيت واستلام الحجر متعة النفس المشتاقة ، ولكن تأمل البيت وكسوته وتتبع الآيات على حزامها ، ثم الوقوف عند ستارة الباب ـ باب الكعبة المشرفة ـ والتعجب من انتظام عقد الآيات على صفحتها ، بين الجامات والدوائر واطارات الزخرفة بدقائق التوريق ، متعة للعين والنفس ، ونافذة على أبواب من القربات ، تبدأ بدائع من اقلام اساتذة الخط العربي في اوراق وقراطيس ، ثم تصبح حركات للخيوط الحريرية على أنوال النسيج ، ووصائل من حرير أسود شدت على انوال النطريز ، واسلاك الذهب والفضة بين يدي الابداع والصنعة لا يمسكها الا متوضيء ، ولا يشغله تتابع الابرة بين اصابعه ، عن الذكر وايات القرآن الكريم على لسانه ، اياما وشهورا ، حتى تنتهي صناعة وصائل الكسوة الشريفة ٠

من صفحات التاريخ :

واذا كان البيت المكرم تختلف الاخبار على بدء وجوده ، ومن هو أول من بناه ، مع انتفاء الشك في أن ابراهيم خليل الله أول من بناه في عصور التاريخ المعروفة ، فان كساء الكعبة شرفها الله وزادها تعظيما وتكريما ، تضطرب حوله الاخبار أيضا ٠

ولعل بعض روايات لم تتواتر صحتها تنسب الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام انه كان أول من كساها ، بينما تذكر روايات أخرى أن عدنان أبا معد ـ جد النبي صلى الله عليه وسلم ـ هو اول من كساها ، أو كسيت في عهده ٠

واسماعيل عليه السلام اعرف بقدر الكعبة ومقام البيت عند ربيت البيت ، وعدنان وابناؤه ورثةاجدادهم من عهد اسماعيل ، وهم أحق برعاية البيت وكسوته ٠

لكن موثوق الخبر المتواتر يروي : أن تبع اليماني ـ اسعد ابو يكرب ـ عندما خرج غازيا اغراه جماعة من هذيل بغزو البيت المعظم ـ طمعا في هلاك تبع والخلاص منه ، بعد غزوه ليثرب فما قصد البيت احد بسوء الا اهلكه الله ـ وكان معه حبران من اهل الكتاب ، فقالا له انما قصد هؤلاء هلاكك ، قال فبماذا تامراني ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع اهله ، تحلق وتطوف وتنحر ، ففعل ذلك واقام بمكة عشرة أيام ينحر ويطعم الناس ٠

تبع اليمني : أول من
كسوة الكعبة الشريفة
وشاركت مصر في

عرف أنه كسا الكعبة في الجاهلية ..
حازت اليمن شرف صناعتها ..
هذا الشرف قبل وبعد دخول الاسلام فيها

اول كسوة :

ونام يوما فراى في منامه ان يكسو البيت ، فأصبح وأمر بصنع كسوة من الخصف ، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافرى ، ثم امر ان يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل، ثم جعل لبابه حلقا وغلقا ، وفي ذلك يقول :

وكسونا البيت الذي حرم الله
ملاء معصبا وبرودا
واقمنا به من الشهر عشرا
وجعلنا لبابه اقليدا

يقول ابن قتيبه أن ذلك كان قبل الاسلام بسبعمائة سنة بينما يذكر ابن هشام صاحب السيرة المشهورة ، ان ذلك كان قبل بعثه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعشرين وماتني عام ، وأنه فعل ذلك عند عودته من غزو يترب . حيث فعل ما يفعل الحاج ولبث أياما يطعم الناس ·

وفي ذلك يروي السهيلي عن همام بن منبه عن ابي هريرة رضي الله عنه . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسبوا أسعد الحميري فانه اول من كسا البيت ·

وفي معجم الطبراني من حديث بن لهيعة عن ابي زرعة عمرو بن حاتم : يقول سمعت سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تسبوا تبعا فانه قد أسلم ، ويقول صاحب المعجم : وتفرد به ابن لهيعة ·

تنوع الكسوة منذ تبع :

وأذا كان تبع قد بدا له بعد ما أري في نومه أن يكسوها خصفا ، فالخصف ورق سعف النخيل ، ولاهل الجزيرة عامة وأهل اليمن خاصة فيه ابداع واصطناع ، يفرد ويزاوج ويسطح ويفتل ثم يضفر في انبساط أو تعرج ، ثم اعتدال بعد ميل ، مصبغا بالحناء أو الزعفران والعصفر ، في خطوط متتالية بين ميل واعتدال ، ولهم منه صنائع رقاق مرهفة كرهافة الحرير ، وربما يدخل في نسيجه ليف النخيل فتكون غلاظا ·

والمعافرى : برود من وبر مزدوجة النسيج ، عبلة الحبك على الانوال ، اشتهرت بها قبائل معافر باليمن ، ترى احيانا في الوان الوبر الطبيعي وتصبغ وهي لسماكة نسيجها ثقيلة الوزن ·

فلما أرى أن يكسوها أحسن من ذلك كساها الملاء ـ بضم الميم ـ وهي

▲ تشكيل في "يارحمن يارحيم" تحت حزام الكسوة

▲ التسبيح والإجلال مع الشهادتين؛ تشكيل نسجي
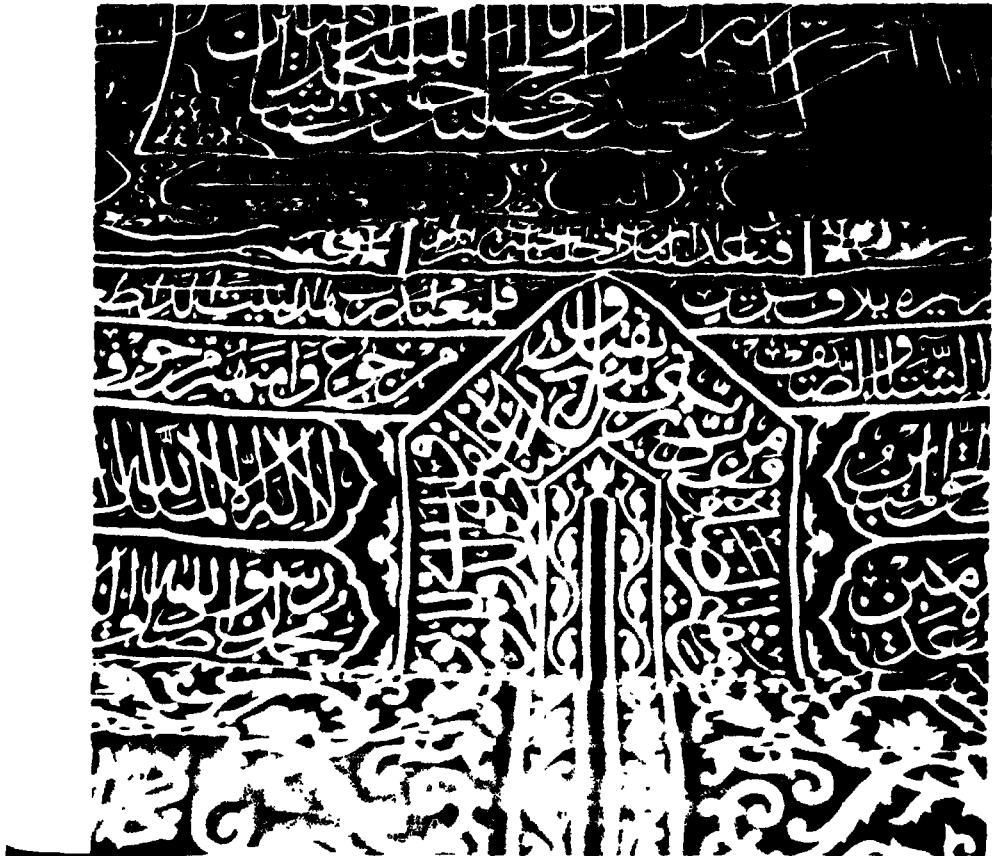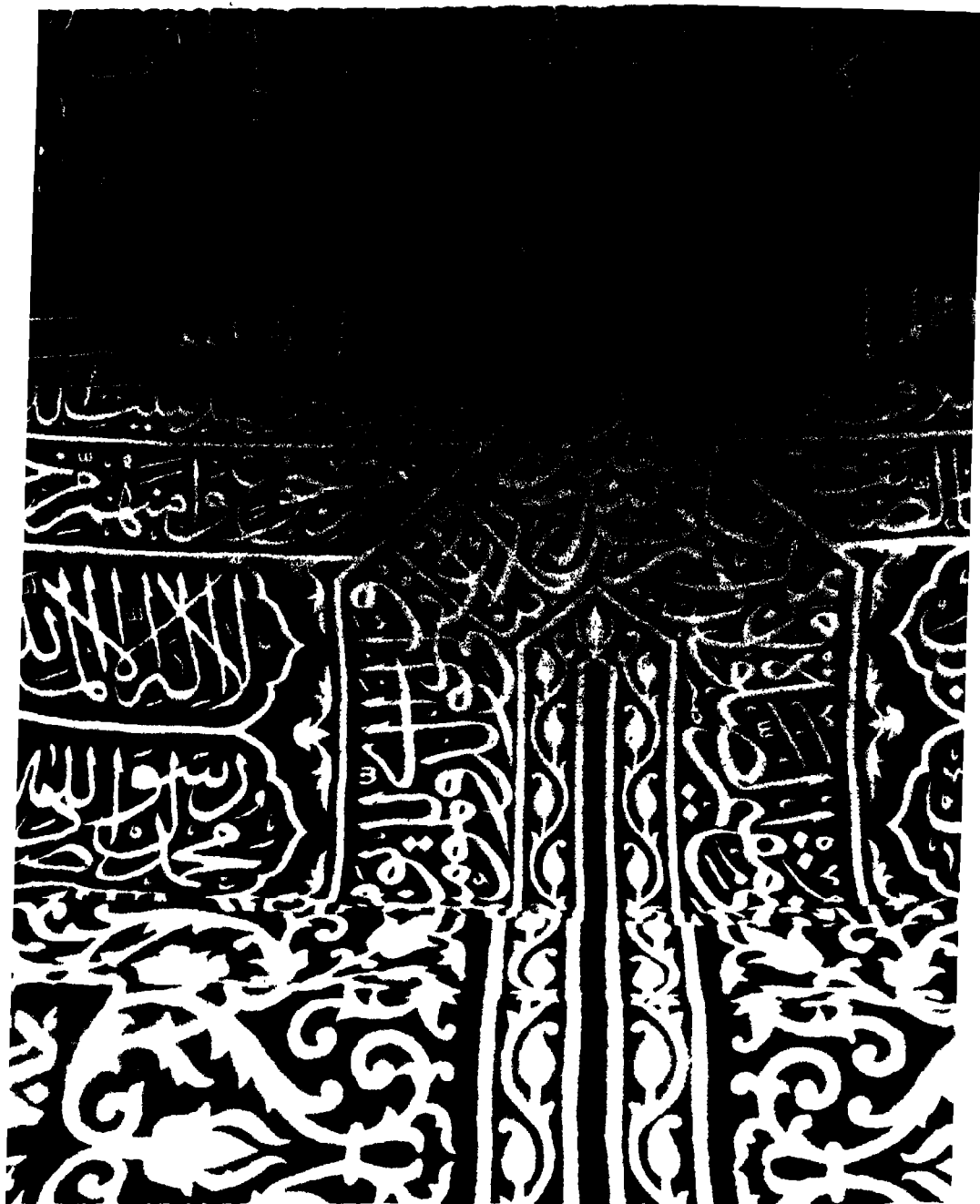
ارف التوريق وآيات القرآن الكريم في سطح حجاب الكسوة

نسيج رقيق لين ، وكانت تثبت لرقتهـا ولينها وخفق الاهوية في أجزائها علـى بدن البنية المشرفة بالعصائب كما قـال اسعد في الابيات المروية عنه « مـــلاء معصبا » وهذه العصائب نسيج مستقل كالحزم ، بعرض « محدود قدر ذراع » يمكن ناسجه منشغل مسطحه بالزخارف اليدوية الملونه ، تكون ذات وقع طيـب على أعين الطائفين والعاكفين ، وكانت العصائب من أعلى البناء المعظـم الى قريب من باب الكعبة ، عصابتيـن او ثلاثـــا ·

والوصائل نسيج يماني بين الغلـظ والرقة ، يعمد في حبكه على الانـــوال الى جعل سداه ــ خيوطـه الطويلة ــ مخططا اي متمايز الالوان في نسـيج خيوطه خيوطه ، ولما كان عرض الانوال عند النسيج لا يزيد على ذراعين ، كانت عروض الثياب توصل ببعضها طولا عند تثبيتها على بدن الكعبة المشرفة ولذلـك سميت بالوصائل ، وكانت الوانها زاهية غالبا ، والبرود هي النسيج الغليـــظ وتنسب الى كل قبيلة باسمها لما تختص بميزات لونية عن مثيلاتها من صـــنع القبائل الاخرى وكذلك طرائق الحبـك والنسيج ·

رسول الله صلى الله عليـه وسلم ·· والكسوة :

ولم ينقطع تقرب العرب الى البيـت المعظم بكسوته ، في العام الواحد بأكثر من كسوة ، منهم من يكسوها الابراد اليمانية ، ومنهم من يكسوها الجلود ، ومنهم من يكسوها الدمقس والديبـاج ، ومنهم من يكسوها القباطي ــ بضـــم القـــاف ·

حتى كان الاسلام ، وفي ذلك يروي صاحب أعلام الساجد عن الحراني في كتاب الاوائل : حدثنا الحسين بن يحيى حدثنا عثمان بن طالوت ، حدثنا قريش ابن أنس عن الاشعث ، عن الحســن : قال : أول شيء كسيته الكعبة ــ يعني في الاسلام (١) ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كساها القباطي » ·

والقباطي بضم القاف نسيج واحدة قبطية بالضم أيضا ، وهي ثياب مصرية بيضاء رقيقة هفهافـــة ، اشتهرت بها مصر قديما ، وكانت من تجارة العرب الرائجة ، التي يجلبونها في رحلاتهم الى مصر ، قبل بعثة سيدنا رسول اللـــه صلى الله عليه وآله وسلم ·

وكأني باختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للبيـاض ــ ان صحت الرواية ــ فانما يعني بذلك ان يكـــون البياض على صفحه الكعبه التي احتيت من الاوثان حولها وعليها ، تعبيرا عن فطرة الاسلام الطاهرة النقية الواضحه التي ترك رسول الله صلوات الله عليه وسلامه أمته عليها ·

ويروى عن رسول الله صلى اللــه عليه وسلم أنه كساها البرود اليمانية ويمكن الجمع بين الخبرين ،بان الرسول صلوات الله عليه وسلامه كساها بهذا مرة وبذاك مرة حتى التحق بالرفيـــق الاعلـــى ·

كسوة الخلفاء للكعبة :

نهج ابو بكر وعمر رضي الله عنهما نهج رسول الله صلى الله عليه وآلـــه وسلم ، فكانت الكسوة قباطي ، وكان عمر رضي الله عنه يدفع تكاليف الكسوة

من بيت المال ، ويكتب الى مصــــر لتنسج بها الثياب ثم تحمل الى مكــه حيث توضع الكسي والثياب على البنية المشرفة ، وعلى تلك السنــة كان يفعل عثمان بن عفان رضي الله عنه ٠

ولم يرو عن علي بن ابي طالب امير المؤمنين انه كسا الكعبة ، وقيل في ذلك ان الحروب من اجل تثبيت امر المسلمين والقضاء على الفتن ربما شغلته عــن ذلك ، ولكنني اعتقد ان ذلك الامر لــم يعطل الكعبة عن الكسوة اعوام الفتنة ، فان صناع الكسوة في مصر لم يكفــوا عن نسيجها وارسالها ، وعثمان رضي الله عنه لم يشغله امر عن اعادة تعمير المسجد النبوي ، فاولى به الا يشغله هو أو علي أمر عن كسوة الكعبة ٠

ومن غير الخلفاء يروى أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهمـا قد كان يكسو الكعبة بالقباطي والحبرات من صناعة اليمن ومصر ايضا ، تنسج من القطن او الكتان ، ويجعل نسيجهـا مخططا في اعتدال او ميل مع اعتدال ، ومن الحبرات نسيج ناعم موشى ، وهو ما قصده الشماخ الشاعر :

اذا سقط الانداء صينت واشعرت
حبيرا ولم تدرج عليها المعــاوز

يعني أنه اذا سقط المطر غطيت بثياب من حبير مطرز ، ولم تغط بالثيــاب الخلقــة ٠

تفصيلات من الكتابات والتشكيلات الفنية ، تبين روعة ودقة
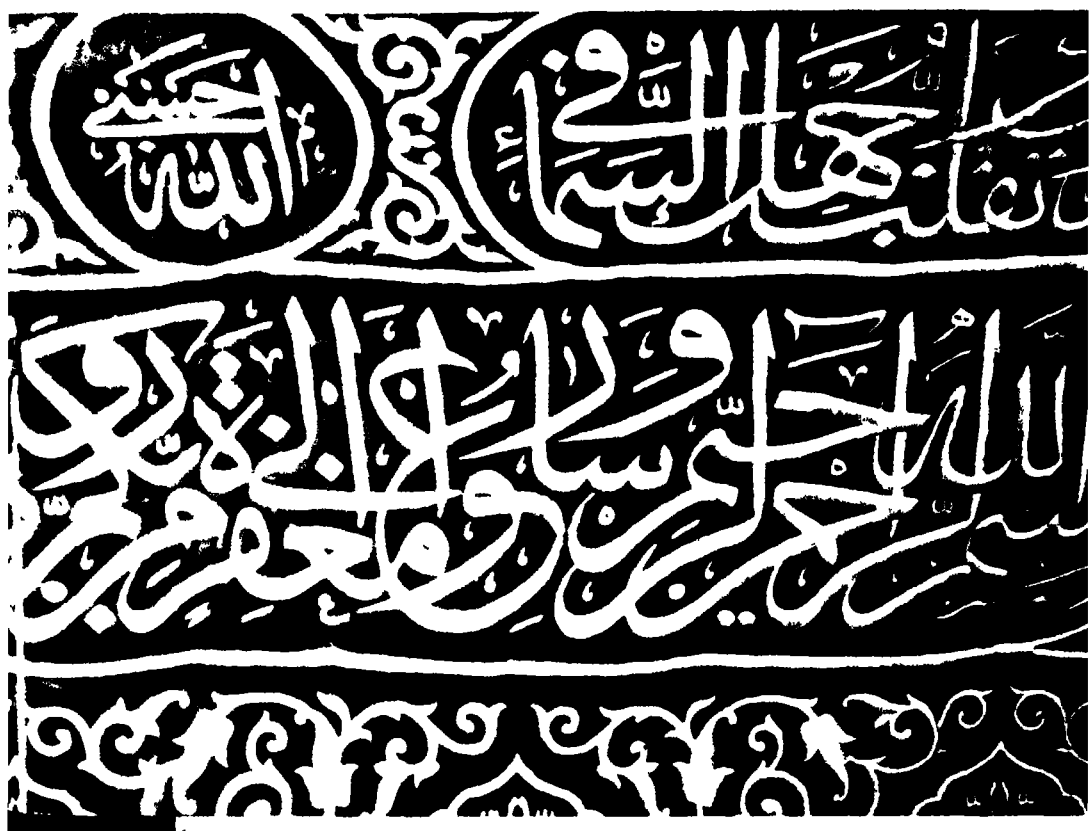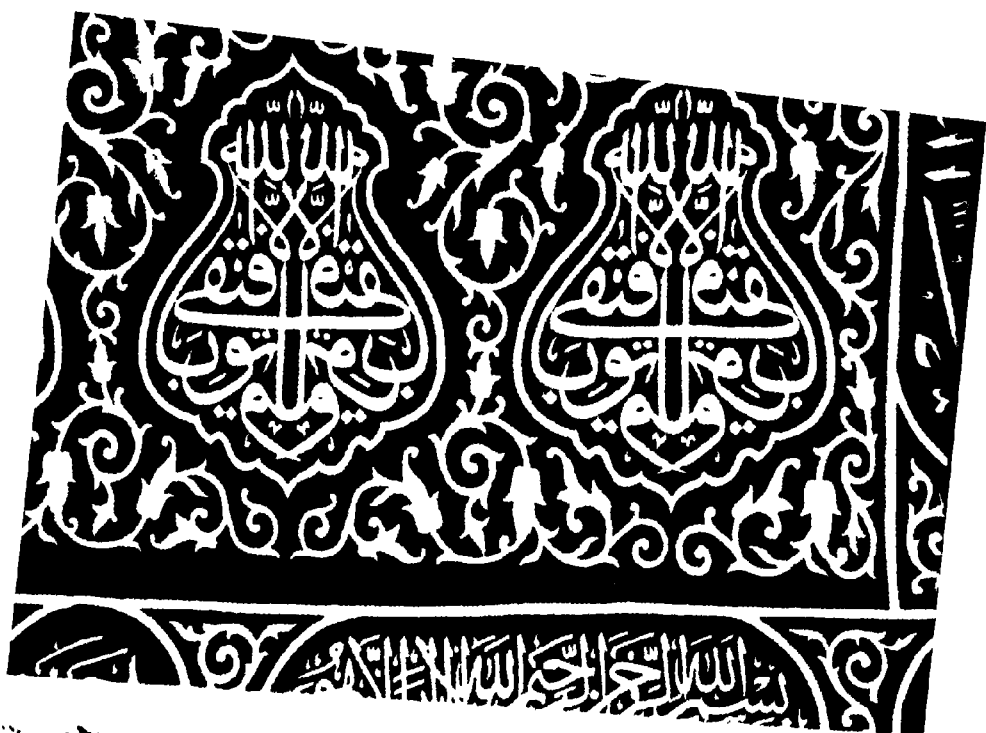
صناعة "الصّرمة" ذلك العمل الفنى الذى يتم باسلاك الفضة
الخالصة والفضة المذهبة فى هندسة وتناسق ودقة
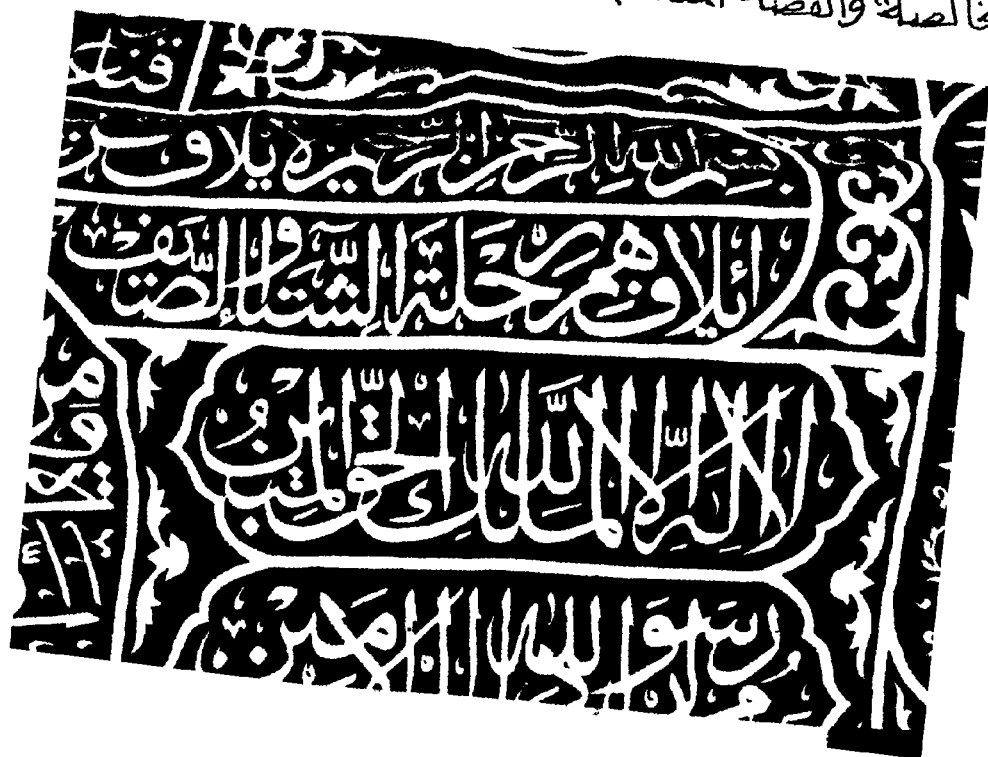
٢ انوال النسيج اليدوى

الديباج الاحمر والابيض :

وفيما ذكر الازرقي في تاريخ مكه : ان معاويه بن ابي سفيان كان يكسو الكعبه مرتين الديباج الاحمر يوم عاشوراء ، والقباطي في اليوم التاسع والعشرين من رمضان ٠

وكأني بكسوة القباطي البيضاء قبيل شوال وهو أول شهور الموسم له معناه من استقبال الحجاج القادمين للكعبة في ثيابها بيضاء من غير سوء ٠

ولم يكن معاوية وحده الذي كساها الديباج الاحمر ، فان ذلك الفعل ينسب الى عبد الله بن الزبير مدة قيامه بالامر في مكة المكرمة وما حولها ، ويروى أيضا نسبة الى الحجاج بن يوسف ، كما يروى فعله منسوبا لعبد الملك بن مروان ٠

ولما كسيت في عهد يزيد ثم عبد الملك ومن قبلهم ابن الزبير ، تركت عليها الثياب ، مدة حتى تراكمت الاكسية فخشي من تداعي البناء ، ولذلك أمر المهدي العباسي عام حجه سنة مائة وستين هجرية ، بالا يبقى على الكعبة المشرفة الا كساء واحد ، فاذا أهديت غيره استبدل به ٠

فلما كان المأمون العباسي ،بدأ تقليدا جديدا ، وهو كسوة الكعبة بالديباج الاحمر يوم التروية ـ يوم الثامن من ذي الحجة ـ والقباطي البيضاء من رقيق الكتان ، يوم هلال رجب حتى اذا كان يوم السابع والعشرين من رمضان المعظم كساها الديباج الابيض ، وكانت هذه الاكسية تصنع في دور الطراز (٢) بمصر وكانت مدنها تشتهر بدقة النسيج والحبك والصباغة التى لا تحول ٠

متى بدأت كسوة الكعبة بالثياب السوداء :

كان الناصر العباسي ـ عاصر صلاح الدين الايوبي ـ يكسو الكعبة ثيابا خضراء ، ثم كساها ثيابا سوداء ومنذ ذلك الحين صار ذلك تقليدا ٠

كسيت الكعبة ثيابا بيضاء وخضراء على مر العصور حتى ثبت اللون الأسود

ثم لما ذهبت الخلافة العباسية من بغداد ، وانتقل خلفاؤهم الى مصر في عهد الظاهر بيبرس « البندقداري » صارت مصر تكسو الكعبة من نفقتها واوقافها ، بالتبادل مع ملوك اليمن فترة ، وكان اول ملوك اليمن الذين كسوا الكعبة المشرفة الملك المظفر ـ ٦٥٩ هـ ـ .

وقد افرد الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون منذ عام ٧٥١ هـ اوقافا كثيرة عرفت بوقف الكسوة ووقف الحرمين ، ومن غلتها كانت تصنع كسوة الكعبة والحجرة النبوية .

البرقع او الحجاب:

يلاحظ الحجاج الذين اكرمهم الله واكتحلت عيونهم برؤية البيت المكرم ، والتزموا اعتاب الملتزم بعد الانتهاء من طوافهم ، يلاحظون الستارة الكبيرة المطرزة بآيات القرآن الكريم تتدلى على باب الكعبة بارتفاع يربو على سبعة امتار ، وبعرض قريب من أربعة أمتار ، وقد حفلت هذه الستارة بتشكيلات رائعة من الخطوط الجميلة في مساحات مستطيلة ومستديرة تتخللها زخارف التوريق النباتية ، ويتخلل ذلك تاريخ

نسيج حرير الكسوة ميكانيكيا
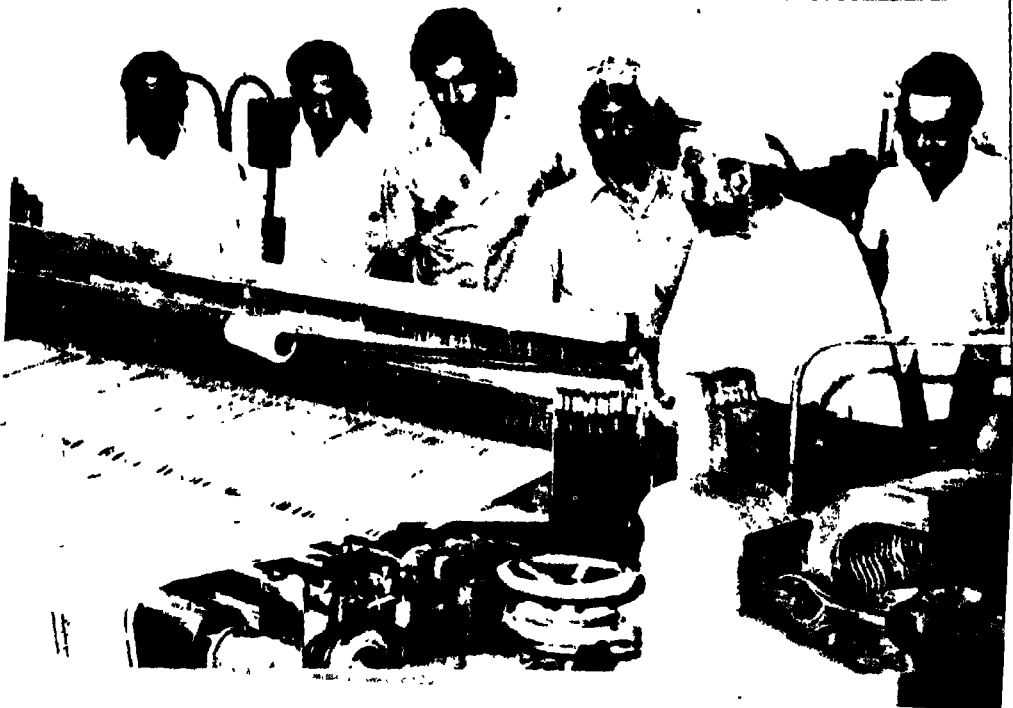
العصر المملوكي
"القرن ٨ هـ، ١٤ ميلادي"
عندما كانت النسايج
تشغل مسطح الكسوة

حروف الكتابة بارزة
مقببة مع تخالف
تفريعات الزخارف ▼
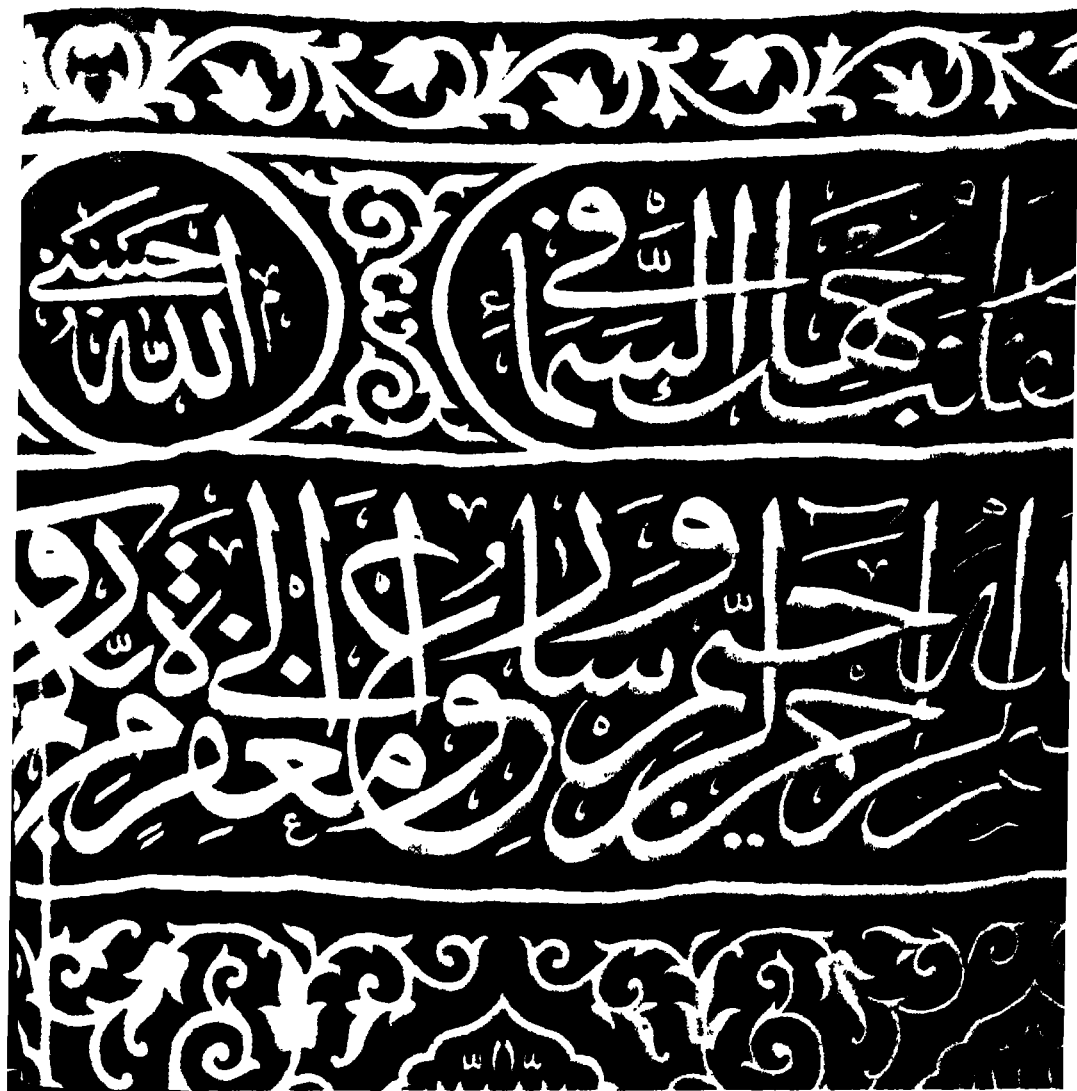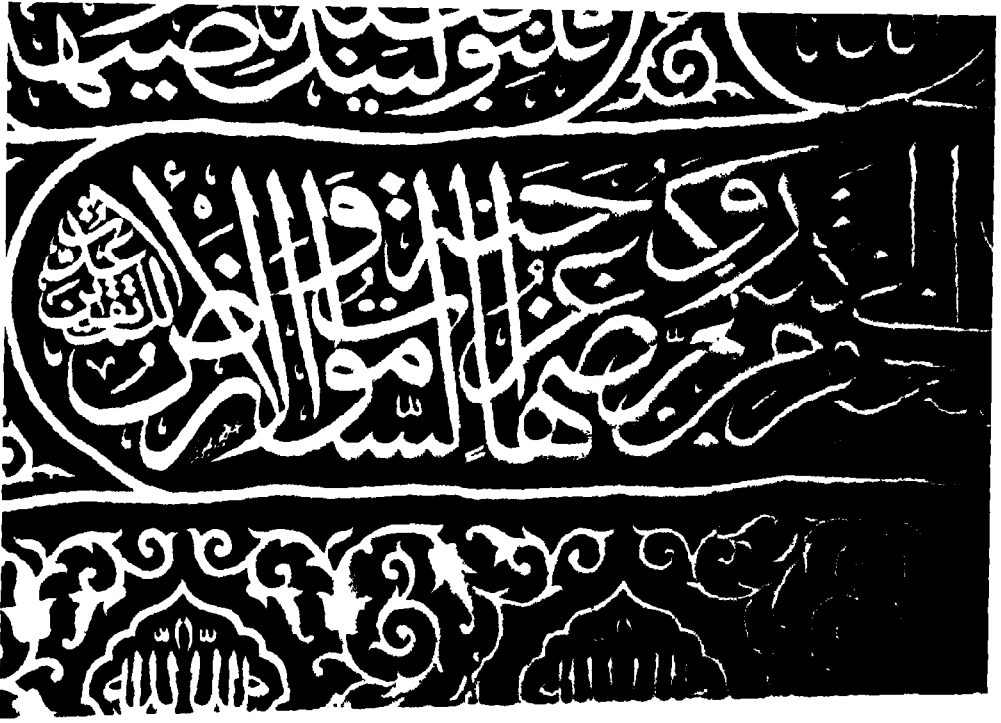
التضفير مع
التعرج والتفريع
والبروز والطي
طرفا وراء طرف
وحرفا خلف
حرف تظهرها
الصورة بجلاء

كسوة الكعبة الشريفة

صنعة الكسوة والستارة واسم الآمر بصناعتها والدعاء له ٠

وكان أول من أمر بصنعتها السلطان فرج بن برقوق من سلاطين المماليك في مصر عام ٨١٠ هـ وظلت حتى ٨١٦ هـ وأوقفت صنعتها سنتان الى ٨١٨ هـ ثم عادت ، وكان ذلك أيام حكم السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي ٠

نسيج الكسوة بين البساطة والتنميق :

ولم يكن ذلك الوشي والتطريز على ستارة الكعبة ، أول تنسيق يشغل سطوح الكسوة المشرفة ، حيث كانت الوصائل والملاء والبرود من كسي الكعبة الاولى ربما تعاقبت الالوان أفلاقها المتجاورة طولا ، كما روى بعض المؤرخين ، والبعض الآخر كانت تشغل سطحها خطوط الالوان ثنائية أو ثلاثية في تعاقب أفقي تميل نازلة ثم تصعد وهكذا كأنها الارقام ــ ٧ ، ٨ ــ متلاصقة متلاحقة ٠

ثم لم يلبث العصر المملوكي في مصر ودور الطرازالتي كانت قد بدأت وجودها الفعلي منذ الدولتين الفاطمية والايوبية أن جعلت هذا النطاقات المتعاقبة مطرزة بخيوط اللحمة ، مكونة بالخط المملوكي الجميل هذه العبارات متتابعة على نطاقين :

النطاق الاول : « لا اله الا الله محمد رسول الله » والنطاق الثاني : « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وقبل ان يبدا تعاقب النطاقات يشغل لفظ الجلاله : يا الله يحيطه الاجلال « جل جلاله » في تقابل طردي وعكسي ٠

وهكذا اصبح النسيج كله يسعله شهادتا التوحيد ، وعبارة الاجلال والتمجيد لله عز وجل من اعلى جدار الكعبه الشريفه حتى قبيل مستوى الحجر الاسود بقليل ٠

الحزام المطرز بالايات :

ولما بدا التنافس بين دور النسيج في مصر ودور النسيج في تركيا بعد ان استولت الدولة العثمانية على السلطة في مصر ، صارت الكسوة الداخلية للكعبة تنسج في تركيا والكسوة الخارجية تنسج وتطرز في مصر ومنذ ذلك الحين بدأت تظهر اهمية الحزام الذي يكون نطاقا يدور ببدن الكعبة ، عرضه قريب من متر ــ ٩٥ سم ــ وتشغله آيات القرآن الكريم :

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود »٠٠٠ الى قوله تعالى « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » من سورة البقرة ٠

ويبلغ طول هذا الحزام ٤٥ مترا ، وتطرز الآيات عليه باسلاك الفضة الخالصة ، واسلاك الفضة ــ المطرحة بالذهب ــ والتطريح اصطلاح عمال صناعة الذهب ، اذ تكسى اسلاك الفضة بطبقة كثيفة من الذهب لا تحول على طول عام تعليق الكسوة على الكعبة ٠

اما الآيات فكان أساتذة الخطوط في مصر والاستانة يتنافسون في تجويدها حتى يحظوا بشرف وجود آثار اقلامهم على بدن الكعبة وكسوتها ، وما تزال أجزاء من كتاباتها باقلام خلفاء آل عثمان ، وتلك هي الدائرة التي تحوي سورة الاخلاص في الستارة على باب

تطريز الحزام من جانب وحشو الحروف من جانب آخر

الكعبة ،والتي طرزت وحدها لتوضع في أركان الكعبة الاربعة ، في تكوين جديد ابتكرته مصانع الكسوة السعودية ، بعد ان استقلت بنسيج حرير الكسوة ، وصناعة « الصرمة » بكسر الصاد المشددة وسكون الراء التي هي تطريز الكتابات باسلاك الفضة الخالصة وأسلاك الفضة المذهبة ٠

تغيير جوهري في ثياب الكعبة :

ومنذ أن وضع الحزام المطرز كنطاق يدور ببدن الكعبة المشرفة في ثلثها الاعلى تقريبا تم صناعة الستارة المطرزة على باب الكعبه ، أصبح نسيج الكسوة ينسج بلون واحد من الحرير الاسود اللون ذي الصباغة التابته التي لا تحول على مر العام ، وتغير الاجواء من حار جاف صيفا الى ممطر شديد المطر والبرودة شتاء ٠

ونسيج الكسوة يتم باسلوب « الجكارد » وهو اسلوب معين من نسيج يتم آليا الآن ، وكان وما زالت بعض أنواله تعمل يدويا ، حيث نقوم الارجل بتحريك البدال الذي يغير اتجاه خيوط السدى « الطولية » وخيوط اللحمة « العرضية » يحكمها المكوك الذي يقذفه الناسج بين يديه جيئة وذهابا خلال السدى ٠

▲ نوع آخر من فنون التضفير البديع الايقاع

خيوط السدى واللحمة تشكل التسبيح والاجلال ▼
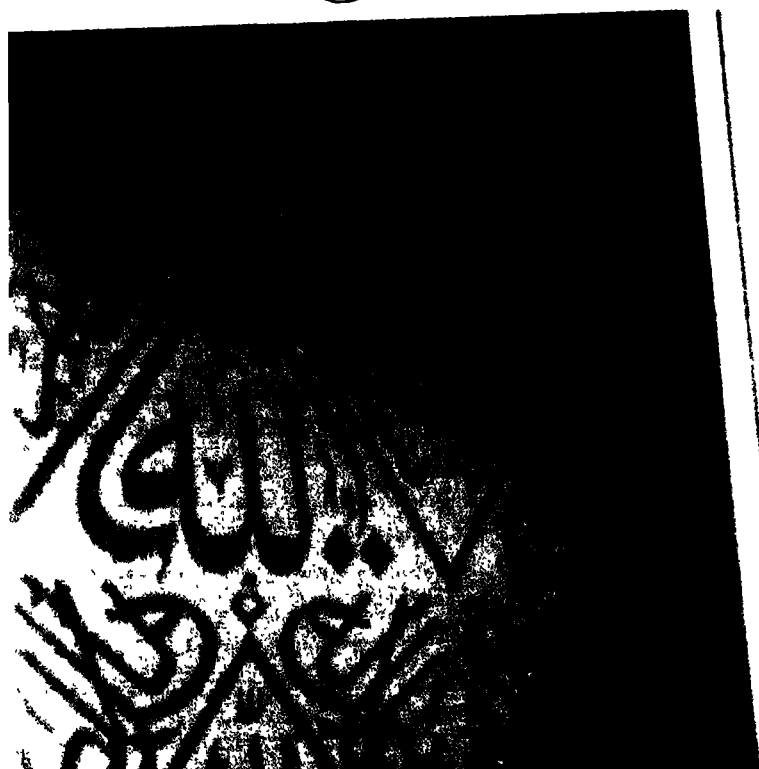
لوحة التأسيس في مصنع الكسوة على طريق جدة - مكة المكرمة

ولهذا النوع ميزة التحكم في زخارف سطح القماش السميك المزدوج ، وقد أصبحت النطاقات التي سبق أن ذكرناها ، والتي كانت تشغل سطح النسيج والكسوة كلها ، بعبارات الشهادتين والتسبيح والتحميد والاجلال لله العلي العظيم ، بلون أصفر ذهبي الخيوط أصبحت هذه النطاقات الآن تتم بتغيير ميول اتجاهات السدى واللحمة عن طريق « شناكل » خطافات معدنية متصلة برسم نسيجي مخرم في قطاعات من الكرتون بأسلوب معين يعرفه صناع النسيج « الجكارد » .

وبذلك صارت العبارات التعبدية الذاكرة لجلال الله تقرأ على السطح الاسود لنسيج الكسوة بوضوح عند سقوط الضوء مائلا على النسيج رغم وحدة اللون ، وصار هذا تقليدا في صناعة نسيج الكسوة منذ ذلك الحين ، وحتى لا يطغى تعدد الوان النسيج على شكل زخارف الحزام والستارة وكتاباتهما .

الكسوة الشريفة في العهد السعودي :

عرفنا من سابق الحديث ان وقفا مصريا اوقفه الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون عرف بوقف الحرمين ، وانشئت في القاهرة دار طراز خاصة لصناعة الكسوه الشريفة وتطريزها منذ ذلك الحين وما مزال هذه الدار قائمة الى الان وتتبع احدى ادارات اوقاف مصر ، الا ان عمالها الفنيين الذين طالما نسجت ايديهم الصناع وطرزت ثياب الكسوة الشريفه اصبحوا لا يكادون تعدهم أصابع اليد

حروف تم حشوها وتغطيتها باسلاك الفضة المذهبة
وأحرف لم تشغل بعد ، والنصاب في يد الفنان لقب بالاسلا

الواحـــدة ·

ولكن الملك عبد العزيز ال ســـعود منشيء الدولة السعوديـــة الحديثة ، رحمه الله ، نظر الى أمر الكسوة نظرة التشريف والتكريـــم للبنية المشرفة ، فاصدر امره باتخاذ الترتيبات لاقامـــة مصنع خاص بمكة المكرمة ، فبدأ الاعداد لذلك عام ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م وتـــم افتتاح المصنع في نفس العام وكان عماله وفنيوه من الاتراك والمصريين ،واداريوه من السعوديين ·

وما لبث هذا العمل الجليل أن اجتذب الايدي العاملة للتدرب والتخصـــص الفني من ابناء السعودية لشرفه ، حتى اصبح العمال الفنيون في عام ١٣٥١ وغير الفنيين سعوديين خلصا ·

وظلت الكسوة تصنع فيه حتى عـام ١٣٥٧ ثم عادت صناعتها الى مصــر مرة أخرى ·

وفي عام ١٣٨٢ امر الملك الراحـــل فيصل بن عبد العزيز رحمه الله بتطوير المصنع وتجديده بعد أن عادت صناعـة الكسوة مرة أخرى الى مكة المكرمة قبل ذلك بسنوات ·

وأصبح العاملون في المصنع الآن ما يقرب من ١٦٠ عاملا فنيا غير الاداريين ولم يقتصر المصنع على صناعة الكسوة نسيجا وتطريزا وصباغة ، او تجهيـــز خيوط الفضة الخالصة والمذهبة ، بل اضاف قسما لصناعة سجاجيد المساجد

والبسط « الحنابل » ٠

وما زال قسم النسيج اليدوي كمرحلة من مراحل صناعات التراث يلقى كل عناية من القائمين على المصنع والوزارة المشرفة عليه وهي وزارة الحج والاوقاف ٠

[illegible]

يستهلك نسيج أفلاق الكسوة الشريفة ٦٧٠ كيلوجراما من الحرير الابيض الخالص دون مزجه بأي من الخيوط الصناعية أو الطبيعية الأخرى ،ويستخدم لصباغة هذه الاوزان من الخيوط الحريريه ، ٧١٠ كيلوجراما من الاصباغ والاحماض ، ليصبح لون النسيج اسود زاهيا لا يحول ـ يتغير ـ على مر العام واختلاف الاجواء ٠

وخيوط « أسلات » الفضه الخالصة والفضه المطرحة « المطلية » بالذهب ، والتي تطرز بها أحرف الايات القرانيه وعبارات تاريخ الصنعه وعهد الآمر بصنعها ، والزخارف والاطارات المحيطة بالكتابات ، يبلغ وزنها ١٢٠ كيلوجراما

[illegible]

ويبلغ سطح ثوب الكسوة الواحده ٦٥٨ مترا مربعا ويتكون من وصائل طولية عددها ٤٧ قطعة ، طول كل منها ١٤ مترا وعرضها ٩٥ سم هذا هو الثوب الاسود وحده دون الحزام والستارة والقطع الاضافية أسفل الحزام والتي زادها مصمموا الكسوة السعوديون تمييزا لها عن الكسي السابقة الصنع في غير السعودية ٠

ويبلغ محيط الحزام المطرز بأسلاك الفضة الخالصة والمذهبة بآيات القرآن الكريم ٤٥ مترا بعرض وصيلة واحدة أي ٩٥ سم ، ولا يمكن أن يصنع الحزام من قطعة واحدة ولكنه يتكون من ١٦ قطعة توصل عند وضع الكسوة على الكعبة في يوم عرفة من كل عام،والذي يكون يوما مشهودا بالنسبة للعمال ، حيث لا تكف ألسنتهم عن تلاوة القرآن والذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة عملهم ، بينما تكون ساحة الكعبة ، تكاد تخلو من زحام الطواف ، حيث الحجيج وقوف يومئذ بعرفات ٠

وهناك أربعة مربعات يحمل كل مربع منها رسم سورة الاخلاص في تشكيل دائري من الخط الثلث ، من آثار قلم السلطان محمود العثماني ،وتوضع هذه المربعات على أركان الكعبة المشرفة أسفل الحزام بمسافة ٥٠ سم تقريبا ٠

وفي نفس مستوى المربعات وعلى كل وجه من أوجه الكعبة الاربعة ، اربعة مستطيلات تحمل عبارات التاريخ واسم الملك الآمر بصنع الكسوة ،وبين المربعات والمستطيلات ، ثمانية جامات معينة « تشكيل زخرفي » يحمل عبارة يا رحمن يا رحيم ، أو « يا حي يا قيوم » وبهذا يكون مجموع هذهالقطع المستحدثة ١٦ قطعة مختلفة الاحجام والتوازن الفني على مسطح الكسوة ٠

[illegible] المرحلة [illegible]

وتعتبر مرحلة التطريز باسلاك الفضة والذهب هي ادق المراحل الفنيه واطولها اذ تبدأ بنماذج الآياتوالعبارات مكتوبة باقلام اساتذة الخطوط المجودين ، معاصرين او ممن اختارهم الله الى جواره ، ولكن ما تزال آثار ابداع أقلامهم تستوجب الترحم عليهم بما قدموا من ابداع ٠

ثم ترسم تلك الكتابات على وصائل الحزام أو الستارة ، بلون محدد لاطراف الحروف وابعادها وتشكيلاتها وغالبا

كسوة الكعبة الشريفة

ما يكون أبيض لوضوحه على لـــــون الكسوة الاسود ٠

وغالبا ما يكون ناقل الشكل وراسمه من الخطاطين حتى تستقيم قاعـــــدة الكتابة على اصولها الفنية ، كل ذلك يتم والوصائل مشدــــودة على انوال التطريز ٠

وتبدأ بعد ذلك مرحلة ثانية ، وهـــي مرحلة الحشو ، حيث يملأ تشـــكيل الحروف بخيوط مجدولـــة من الكتان وتثبت على الحروف المكتوبة بخيــوط حريرية صفراء ، وهــذا التثبيت يتم بحركة الابرة دائريـــة تبدأ من أسفل الثوب المشدود وتلتف على الحشـــو الكتاني ، ثم يعود الخيط بالابرة الى أسفل الثوب وهكذا حتى تحشـــى الحروف حشوا تاما مغلفـــا بالخيط الاصفر ٠

وليكون تثبيت الحشو قويا فانه قـد اضيف في العصر الحاضر عملية تغليف بمادة لدائنية « بلاستيك » سائل يغطى بها تثبيت الحشو من اعلى الثـــوب واسفله ، فما أن تجف سيولتها حتـــى تكون قوية التماسك ، مرنة لينة تطاوع انثناءات الكسوة ٠

التطريز بأسلاك الذهب والفضة :

وقبل أن تبدأ عمليـــة التطريـــز بالاسلاك الذهبية أو الفضية ، وهـــي عملية دقيقة متنوعة الاساليب ، لا بـد من أن نعرف أن الحشو الذي تحيطـه أسلاك الذهب والفضة ، اما أن يكـون حشوا مسطحا أو محدبا والحشـــو المسطح توضع جدائله متجاورة متلاصقة بعرض الحروف وبارتفـــاع متساو عن سطح الثوب ٠

بينما يعلو الحشـــو المحدب على السطح بارتفاع جديلة ثم اثنتين ثـــم ثلاثه ثم يعود كما بدا ليكون ارتفاعــه نصــف قـوس ٠وبذلـك يكـون توزيع الاشكال المسطحه والمحدبـــة في ذاته تشكيلا فنيا على مسطح الكســوة والستارة عامة ، يعطي تغايرا في الشكل مع تغاير اللون بين الفضه والتذهيب ،

وغالبا ما تكون الاطارات والزخارف الجانبية مسطحه دائما ، بينما الحروف والكلمات محدبة ٠

والمطرز الفني يستعمل اســلاك الذهب والفضة مفرده او مزدوجـــة أو مجدوله في خيوط رباعيه كضفائر الشعر وبذلك يكون مظهرا متغاير البريـــق مع تسطيح الحشو أو تحدبه ثم بانبساط الاسلاك المفردة ، وتعرج سطوح الاسلاك المزدوجة ، ثم تخالف السطوح المضفرة

وهناك من الفنيين من يعاكس ويخالف في تطريز الاسلاك ليعطي أنواعا متعددة للامس الاسطح عجيبة رائعة ٠

أسلوب تثبيت أسلاك الذهب والفضـــة :

ولان الاسلاك تسلم بالميزان ، فـــان الفني لا يطيف بخيوطها على الاحــرف ظهرا لبطن ، وانما تطوف بســـطوح الاشكال فقط ، ذهابا وايابا في ميـــل أو اعتدال مع اشتباك الابرة في جوانب الحروف والزخارف طوافـــا حول خيط سميك من حشو الكتان المجدول ، وهكذا لا تنزل الابرة الى أسفل الثوب ، وانما تعلق بسطحه مثبتة في جديلة الكتان٠

ويمسك المطرز بيسراه قائمـــا مخروطيا جميل الشـــكل من العاج أو الابنوس ، تلتف عليه أسلاك الذهب أو الفضة مفردة أو مزاوجة أو مضفرة ، ومنها تسحب الابرة باليد اليمنى التي لا تعلق من سطح الثوب مع الالتفـــاف

حول الحديلة الا بمقدار لا يستهلك قدرا كبيرا من الاسلاك الثمينة ، ويصبح استهلاك امتداد الاسلاك على سطح الزخارف وتكوينات الحروف ٠

ولكل حركة من حركات الاسلاك في ذهابها وايابها ابرة أو مخيط معين ، اذ تختلف أشكال الابر والمخايط بين القصر والاستطالة ، والانحناء والاستقامة ، واتساع سمها « فتحة دخول الخيوط أو الاسلاك » أو ضيقه حسب انفراد الاسلاك أو ازدواجها ٠

مدة العمل في الكسوة الواحدة :

ويستغرق العمل في تطريز الكسوة الواحدة ـ حزامها وستارتها والقطع المضافة ـ ما يقرب من أحد عشر شهرا حيث كانت تبدأ بيوم عاشوراء ـ في مصر ـ وتنتهي في الاسبوع الاول من ذي القعدة حيث تعرض في أحد مساجد القاهرة الكبرى وساحة احتفال المحمل في صحراء العباسية بحضور الملوك والسلاطين والاعيان وكبار العلماء ٠

وفي الازمان الماضية كانت تنتهي في شوال حيث كان السفر بالرواحل والجمال يستغرق أكثر من شهر ٠

اما الآن فان دار الكسوة فيضواحي مكة على طريق جدة تنتهي منها في نهاية ذي القعدة وتسلم بـراءة الانتهاء في احتفال يقام بدار سادن الكعبة ـ الشيبي ـ من سلالة بني شيبةالسدنة منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم٠

بينما تعبأ أفلاق الكسوة ، وأجزاء الحزام والستارة في صناديق بين تراتيل القرآن والصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنقل ليلا ، الى خزائن البيت العتيق حيث تستبدل الكسوة القديمة بالجديدة في يوم عرفة ٠

اداب صناعة الكسوة :

ولقد كان لصناع الكسوة وصناعتها آداب محتذاة متبعة ، لا يكاد فني من العاملين يغفلها ، فهم على وضوء ما استطاعوا ، ذاكرون مسبحون لا يتبادلون من الحديث المباح الا أقل ما يحتاجه العامل من كلمة عن ابرة أو خيط أو أداة من أدوات العمل ٠

وكنت أدخل قاعة التطريز في مصر فلا أسمع صوتا ولا نامة ، حتى تكاد حركة المخيط تسمع بين همسات التسبيح والذكر الخافتة ، ولا يكاد يدخل هذه القاعة غريب عن العمل والعاملين ، الا باذن مسبق يرافقه مرافق ينبهه الى الآداب الملتزمة ٠

وللعاملين اوقات راحة خارج القاعة فيها يدخنون أو يشربون القهوة أو الشاي ، مع قسط معين من الحليب صباحا وظهرا ٠

أفلاق الكسوة وبطائنها :

وبينما يشتغل المطرزون في فنهم الرفيع بنظام ودقة بين رسم وحشو وتطريز ، تكون أقسام النسيج الميكانيكي واليدوية دائبة على انتاج أفلاق الكسوة ووصائلها ، لتنتقل بعد ذلك الى قسم الحياكة والتفصيل ـ التقطيع بالاحجام المطلوبة وضم وصائلها حياكة ـ أفلاقا مزدوجة أو مثلثة العروض ، مع بطائنها من الحرير الابيض ، وتوزيع كبسولات الاربطة ـ نحاسية مذهبة ـ على جوانب الافلاق لتشد بها الوصائل على بدن الكعبة الشريفة ، وحبال الرباط كلها من حرير خالص مجدول محكم الجدل

قوي الحبك،حتى يتحمل أوزان الوصائل على بدن البنية المشرفة العتيقة .

وليس هناك من ضجيج يسمع في اي قسم من أقسام دار الكسوة الا في عنابر النسيج الآلي أو اليدوي ، وخارج هذه العنابر تفوح روائح أمـــواه الورد والزهر،يعطر بها الداخلون والخارجون أيديهم .

* * *

ألست معي أيها القارىء في أن كسوة الكعبة تستحق كل هذا الاهتمام والادب والتبجيل ، ويا فرحة العاملين الذيـــن كان يقع عليهم الاختيار ـ عندما كانت تصنع في مصر أو الاستانة ـ للسفر مع الكسوة الشريفة لتلبيسها ووضعها على البنية الشريفة التي رفع قواعدها ابراهيم واسماعيل ، والبيت الذي طهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود .

اللهم اكتب لنا حجا بعد حج حتى تفاض علينا رحماتك في رحاب بيتك وتغسل عن نفوسنا الآثام والآلام ، وتتطهر أجسامنا وارواحنا في مسابح النور ومعارج البر انك رؤوف رحيم مجيب الدعاء يا رب العالمين .

---

١ ـ المجلـــة .

٢ ـ دور الطراز هي مصانع النسيج التي كانت تتولى صناعة الخلع البهية من غالي الثياب، والتي كانت تهدى من الخلفـــاء والسلاطين في المواسم الدينية والمناسبات كتولية السلاطين او احتفالهم بمولود او زواج .. وتسمية الطـــراز جاء من نسيج اسم الملك او الخليفة على حاشية الثوب بخيوط ذهبية في دقة بالغة وخط جميل ، وعنها اخذت دور الصناعة النسيجية في العالم هذا التقليد الى الآن حيث تكتب اسماء المصانع .

الفقه الإسلامى :

فى رحلته إلى الأراضى المقدسة

اعداد :
الشيخ هلال مصيلحي

مرة أخرى نؤجل ما شرعنا فيه من أبواب الفقه لكي نصاحبك في مناسك الحج وشعائر العمرة وفدا لله وضيوفا عليه ، وبالامس القريب ودعنا فريضة الصوم واستقبلنا بعدها عيد الفطر والان نعد أنفسنا لاستقبال فريضة الحج وعيد الاضحى وهكذا العام كله .. لكل زمن عبادة ، يسلمنا الى زمن عبادة أخرى ، الا أن عبادة الحج محدودة الزمان والمكان ولذلك فهي أقل الفروض عددا فالملايين التي تقف ضارعة خاشعة في عرفات وهو يوم الجمع العظيم قليلة اذا قورنت بمئات الملايين من الصائمين والمصلين .

عبادة الحج محدودة الزمان والمكان ...

الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم

واسمح لنا يا أخي القارىء أن نكون معك في رحلتك المباركة ، نرشدك الى الافعال المطلوبة منك والواجبة عليك فتقوم بذلك العمل بدل المطوفين في مكة والمدعين في المدينة فالاجيال الفاقهة من هؤلاء وهؤلاء لا تتيسر للملايين من قصاد بيت الله الحرام ، ولو كنت ذا فقه ولم يسبق لك أن حججت أو اعتمرت فان روعة المكان ولهفة اللقاء تنسيك بعض فقهك ، فلا بأس بأن نكون معك على كل حال أدلاء لا مدلين .

ركن من أركان الاسلام :

والحج كما تعلم ركن من أركان الاسلام وفرض من الفروض ، التي علمت من الدين بالضرورة ، فمنكره كافر مرتد ومن العلماء من أخذ فرضيته من قول الله تعالى « وأتموا الحج والعمرة لله » ومنهم من أخذها من قول الله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وسواء كانت فرضيته بهذه الآية أو تلك فانه فرض على كل حال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عده من أفضل الاعمال حيث يقول حينما سئل اي الاعمال أفضل قال : « ايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا ؟ قال ثم جهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور » .

والحج تغفر به الذنوب اذ روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه » فها انت ترى ان الحج ميلاد جديد لانسان جديد يباشر الحياة، رجلا ولد للحياة ميلادا جديدا سوي النفس مغفور الذنب مطهر النفس غير مشدود الى ذنوبه ولا مهدد النفس بعيوبه ·

واعلم يا أخي المسلم انك في ضيافة الله وهو الكريم وأنك وفده وذلكتشريف لك عظيم اذ يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم » ·

وليست نفقتك في الحج مهدرة أو مضيعة ، اذ أنها تضاعف لك أضعافا كثيرة اذ روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضعف » ·

الفريضة في العمر مرة :

والحج واجب في العمر مرة واحدة وما زاد فهو تطوع اذ ما يبذل فيه من نفقات وما يتجشم له من مشقات يجعل تكرار الفريضة شاقا ذا حرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب الناس يوما فقال « يا أيها الناس كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس أفي كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا · الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » · ثم اختلف العلماء في سرعة ادائه او تأجيل ادائه ، ذهب جمع من العلماء ذوي الشأن الى أن الحج واجب على التراخي بمعنى أنه يؤدى في أي وقت من لدن البلوغ الى قبيل الموت ، وذهب مالك وأبو حنيفة واحمد الى أنه واجب على الفور واستدلوا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من اراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة وكلا الرأيين مقبول يفيدان في اختلاف الاحوال والاعمال والظروف اذ يأخذ منهما كل ذي ظرف معين حاجته بلا تأثيم ·

ولما كان الحج عبادة مفروضة فانه يشترط لوجوبه ما يشترط لسائر العبادات ، من الاسلام والبلوغ والعقل ويزيد على سائر العبادات الحرية والاستطاعة اللتين ذكرهما القران حيث يقول : ـ من استطاع اليه سبيلا » ·

والحرية والاستطاعة ليسا شرطين في سائر العبادات ولكنهما في الحج شرطان فان العبد مشغول الوقت بحق سيده وهو لا يملك فهو غير مستطيع ·

والاستطاعة التي اشترطت هنا مغايرة لسائر العبادات ، لانها تكون بالصحة وأمن الطريق وملكية الزاد والراحلة ، وملكية الزاد تكون له ولمن يعول وملكية الراحلة أن تكون قادرة على الذهاب والاياب به ، بمعنى أن يحج ويرجع عليها الى وطنه الذي خرج منه فان كان يملك مالا وكان قادرا على شراء الزاد والراحلة الا انه مدين أو محتاج الى حوائج أصلية كالنكاح فان ذلك يقدم على الحج وان كان محتاجا الى المال ليتجر فيه ليحصل من التجارة نفقته ونفقة عياله لا يلزمه الحج ·

واذا حج الصبي فان حجته هذه ، لا تسقط حجة الاسلام وعليه أن يحج بعد البلوغ بالشروط السابقة وكذلك العبد عليه أن يحج بعد الحرية حجة الاسلام ان استطاع اليه سبيلا ، فاذا بلغ الصبي عند الوقوف بعرفة أو أعتق العبد أجزأهما ذلك عن حجة الاسلام ونظر مالك الى الاحرام فلم يعتبر حج العبد والصبي اذا انعقد حجهما بعد البلوغ والعتق في يوم عرفات أو قبلها لان الاحرام كان نفلا فلا يتحول الى حج الفرض ·

والمرأة مفروض عليها الحج أيضا كالرجل تماما فالخطاب القرآني لم يفرق بينهما وما ثم في الاسلام فرض خوطب به الرجال الا والنساء مخاطبات به الا أن المرأة في الحج لا بد أن يكون معها محرم أو زوج والمراد بالمحرم هو من حرم عليه نكاحها على التأبيد ، وهذا الشرط انما أخذه العلماء من

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما اذ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ـ « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعهما ذو محرم ولا تسافر المرأة الا مع ذي محرم · فقام رجل فقال يا رسول الله أن امرأتي خرجت حاجة واني اكتتبت في غزوة كذا وكذا فقال رسول الله انطلق فحج مع امرأتك » ·

وبهذا الشرط اخذ أبو حنيفة وأحمد وغيرهما ولكن الشافعي اشترط ذلك وأباح أن تحج في صحبة نسوة ثقات ولو امرأة واحدة بل أباح ان تسافر وحدها اذا كان الطريق أمنا ، واستدل الشافعي لما رآه بحديث رواه البخاري عن عدي بن حاتم ـ بينا انا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم اتاه اخر فشكا اليه قطع السبيل فقال : « يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة لترين الظعينة تحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله » ·

والذي افتى به ابن تيمية أن المرأة لها أن تحج من غير محرم ·

وغير المستطيع اذا تحمل المشقة وحج صح حجه فهذا الشرط لا يمنع صحة الحج ولكنه يسقطه عمن لم يؤده والمرأة تخرج لحجة الاسلام وان لم يأذن لها زوجها لانه ان أذن شاركها الثواب وان لم يأذن حرم هو الثواب وصح خروجها وحجها ·

الحج عن الغير :

والحج عن الغير جائز بشرط أن يكون الذي يحج عن الميت أو المريض العاجز قد أدى فريضة الحج عن نفسه وأسقط فرضه فرسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال : « أحججت عن نفسك؟ قال لا قال : فحج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » وأشترط مالك أن تكون نفقات الحاج عن غيره بمال أوصى به الذي عجز عن الحج ·

وإذا كانت الامور ميسرة لك والحياة رخية عليك فلا تلتمس وسائل تعذيب النفس رغبة في الثواب فمناطه الاخلاص لا التعذيب اذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يهادي بين ابنيه فقال ما بال هذا ؟ قالوا نذر أن يمشي قال ان الله عز وجل عن تعذيب هذا نفسه لغني وأمره أن يركب ولا بأس عليك أن تلتمس الرزق بالتجارة او الاجارة في موسم الحج فليس عليك جناح أن تبتغي الفضل من ربك وابن عباس حبر الأمة سأله رجل فقال أؤجر نفسي من هؤلاء القوم فانسك معهم المناسك الي اجر ؟ قال ابن عباس نعم اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ·

المواقيت :

ثم نأتي بعد ذلك الى المواقيت الزمانية والمكانية فنقول أن الحج له أشهر معلومات ومن شأن الاهلة أن تكون مواقيت للناس والحج فالميقات الزماني شهر شوال وذي القعدة واختلف في شهر ذي الحجة فقال بعض الصحابة وتابعهم أبو حنيفة والشافعي أن المعتبر من ذي الحجة ميقاتا للحج العشر الاوائل منه وبعض كرام الصحابة وتابعهم مالك بن أنس قالوا أن شهر ذي الحجة كله من مواقيت الحج ولا يسوّك

ذا الخلاف ففيـــــه فائدة عظيمة ان قائلين ببعض ذي الحجة يلزمهبالتأخير م ومن قال بالشهـــر كله لا يلزمه دم ذلك كله فيما يطلب من أعمال الحـــج مد النحر ·

ولكن هل يجوز للانسان ان يحـــرم الحج قبل شوال ابن عباس ومعـــــه خرون والشافعي قالوا لا يصـــح ذلك لاحرام وانما يحتسب عمرة وعليـــه أن حرم بالحج في زمنـــــه المحدد وابن عباس أيضا في موضع آخر قـــال مـــن لسنة الا يحرم بالحج الا في أشـــــهر لحـــج ·

والاحناف والمالكية والحنابلة يرون ن الاحرام بالحج قبل أشهر الحج جائز ـع الكراهة وهـــذا الرأي مع احترامنا اجلالنا لاصحابه فانه يحتاج الى دليل كالادلة التي ساقها من خالفوهم فـــلا مجال هنا لرأي مهما كان قائله ·

وكما أن للحجمواقيت زمانية فلهأيضا مواقيت مكانية يحرم على من يريـــد لحج أو العمرة أن يتجاوزها الا محرما تميقات أهل المدينة والمارين عليهـــا ذو الحليفة وتسمى الآن آبار علـــي ميقات أهل الشام الجحفة وهي قريبـة من رابغ ورابغ ميقات أهل مصر ومن يمر عليها من المغاربة وغيرهم وميقات أهل نجد قرن المنازل وميقات أهل اليمن يلملم وميقات أهل العراق ذات عـــرق وهي ميقات أصحابها الذين ذكروا ولكل من مر بها اذ يقول الرسول صلى اللـــه عليه وسلم هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن لمن أراد الحج أو العمرة ومن كان بمكة فميقاته مكة نفسها ان كـــان محرما بالحج وان كان محرما بالعمرة فميقاته التنعيم ومن أحرم قبل الميقـات فاحرامه جائز والخلاف في الافضـلية لا نتعرض له وذلك لان الطائرات التـي تحمل الحجاج لا تتحرى الميقات مضبوطا ولان يدخل الانسان الميقات محرما ولو من بعيد خير من ان يتجاوزه بلا احرام فان ذلك يمثل جناية من جنايات الحج ·

وها قد عرفنا المواقيت الزمانيـــة والمكانية وندخل في الاحرام وهو نيـة الحج أو العمرة أو هما معا والاحـــرام ركن ومحل النية القلب وليس لازمـــا التلفظ بها فاللسان ليس مكانها على كل حـــال ·

آداب الاحرام :

وللاحرام آداب قبل أن ندخل فيـــه واول هذه الآداب النظافة العامـــة ومباشرة كل ما يعتبر نظافة عرفـــا وشرعا وبعدها يتجـــرد الانسان من المخيط والمحيط ويلبس ملابس الاحـرام وهما رداء لاعلى الجسم وازار لاسفله وينبغي أن يكونا ابيضين ثم التطيب في البدن والثياب ولا يضر بقاء أثره بعـد الاحرام وبعد ذلك من الآداب أيضـا صلاة ركعتين بنية سنة الاحرام يقـرا في أولاهما الكافرون وفي الثانية سورة الاخـــلاص ·

والاحرام كما سبق ان قلنا هو نيـة النسك وبعد ما قدمنا من مباشرة آدابه التي تسبقه نأتي الى أقسامه واقسامه ثلاثة : القران ، والتمتع،والافراد وكلها جائز لك أن تنويه ولعلك في لهفـــة وشوق الى معرفة معنى هذه الاقســام ودلالتها · اما القران فانك تحرم مـن الميقات المكاني بالحج والعمرة معا وبعد هذه النية الجامعة للنسكين تلبي بحج وعمرة معا وذلك يقتضي ان لا تتحلل من احرامك من لدن أحرمت حتى تنتهي من اعمالهما معا · والتمتع هو أن تنوي العمرة في الميقات الزماني من الميقـات

المكاني وعندما تدخل مكة فتطوف وتسعى وتحلق وتتحلل من احرامك وتظل متحللا من احرامك الى يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة فتحرم بالحج فايام احرامك هي من لدن أحرمت حتى دخلت مكة وقضيت نسك العمرة ثم من لدن أحرمت بالحج الى يوم النحر فمعظم اقامتك تكون متحللا لا محرما تباشر كل شيء • والافراد أن تحرم بالحج وحده من الميقات وبعد ذلك مباشرة تقول لبيك بحج وتبقى محرما

من لدن أحرمت حتى تنتهي أعمال الحج ولعلك سائلي عن أي هذه الانواع أفضل؟ فنقول لك الشافعية يفضلون الافراد والتمتع لان القارن والمتمتع يدمجان الاعمال في بعضهما ولا كذلك المفرد وبعضهم فضل الافراد والبعض الآخر فضل التمتع • اما الاحناف فقد فضلوا القرآن على التمتع وفضلوا التمتع على الافراد •

والمالكية فضلوا الافراد على قسميه والحنابلة فضلوا التمتع على القرآن والافراد لما فيه من اليسر ولان التمتع كان رغبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم يسق الهدى •

على أنه يجوز لك أن تحرم بنية أداء ما فرضه الله عليك وأيها استطعت فعلت ونيتك صحيحة ولك ان تفعل ما تيسر لك من هذه الثلاثة التي ذكرناها فاذا كنت متمتعا فان طواف القدوم الذي هو تحية للبيت الحرام يكون طواف عمرتك وعليك أن تسعى بعده وتحلق أو تقصر لكي تحل من احرامك أما اذا كنت قارنا فالجمهور على أن عمل الحج يكفيك في النسكين فتطوف للحج (طواف الافاضة) وتسعى وذلك يكفيك في حجك وعمرتك ودليل الجمهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمرنا أن نأخذ نسكنا عنه قال لعائشة طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك والاحناف قالوا في القارن لا بد له من طوافين

وسعيين لانه سوى النسكين ويكـــون كالمتمتع تماما ٠

واعلم يا اخي أن القارن والمتمتع على كل منهما هدي وأقله شاة فان لم يجـد فعلى كل منهما أن يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع ولا يجب فيهـا التتابع ٠

وبعد أن تحرم عليك وجوبا أن تلبي عند المالكية فان تركت التلبيةبعد الاحرام أو أخرتها وجب عليك دم أما الاحنـاف فانهم يرون التلبية وما في معناهـا شرطا من شروط الاحرام فاذا لم تلب فانك لم تحرم لان الاحرام عند الاحناف النية وعمل من أعمال الحج ٠

وذهب الشافعي وأحمد الى أن التلبية سنة ويستحب اتصالها بالاحرام ٠

التلبيـــة :

ولفظ التلبية رواه مالك بسلسلتــه الذهبية عن نافع عن ابن عمر أن تلبيـة رسول الله صلى الله عليه وسلم « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيـك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » وكره مالك الزيادة على ذلك واحـرص يا أخي المسلم على الاكثـار من التلبية فانك ما أهللت الا بشرت وما كبرت الا بشرت فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البشرى أبالجنة هي قال نعم وارفع بها صوتك فلقد جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له مر أصحابك فليرفعوا أصواتهـم بالتلبية فانها من شعائر الحج وتستحب في كل حـال من أحوال الحاج وأول وقتها من لدن أحرمت الى جمرة العقبة يوم النحر وهذا مذهب الجمهور وقـال مالك يلبي حتى تزول الشمس من يوم عرفة هذا بالنسبة للحاج ٠

اما المعتمر فتنتهي تلبيته حين يستلم الحجر الاسود على مذهب الجمهور اما أحمد فتنتهي التلبية عنده برمي الجمرات كلهـا ٠

ويستحب أن يصلى على النبي صلى

الله عليه وسلم بعدها ويسأل الله المغفرة .

ما يباح للمحرم :

والاحرام الذي تحدثنا عنه يباح لك فيه أن تغتسل وأن تغير رداءك وازارك وكره مالك أن يغطي المحرم رأسه بالماء ويجوز استعمال الصابون غير المطيب وغيره مما يزيل الاوساخ وأجاز الشافعية والحنابلة الاغتسال بالصابون ذي الرائحة ويجوز كذلك نقض الشعر ومشطه واشترط النووي لذلك أن لا يخلع المشط شعرا أو يقصفه وعلى ذلك فانه قال بكراهة ذلك الا لعذر ويجوز للمحرم أن يحمل متاعه على رأسه ويجوز للمحرم أن يغطي وجهه من غبار ونحوه ويجوز للمرأة أن تلبس الخفين فاذا لبس المحرم قميصه أو غطى رأسه ناسيا فلا شيء عليه عند الشافعي وقال الاحناف عليه الفدية ويجوز للمحرم أن يحتجم واشترط النووي لذلك الا يزيل شعرا فان أزالت شعرا فهي حرام وان لم تزل شعرا فهي جائزة عند الجمهور وكرهها مالك وللمحرم أن يفقأ دملا وأن يخلع ضرسا وله أن يحك جسمه وله أن يتسوك وأن ينظر في المرآة وكره الاحناف والمالكية المكث في مكان فيه روائح وعطور وكره الشافعية ذلك ان قصد التلذذ بالشم والا فلا وللمحرم أن يلبس الهميان والخاتم وله أن يكتحل بكحل غير مطيب وله أن يستظل بمظلة أو خيمة وأما الخضاب بالحناء فقد أجازه الحنابلة في غير الرأس وأجازه الشافعية في غير اليدين والقدمين ومنع الاحناف والمالكية ذلك الاختضاب لانه طيب والمحرم ممنوع منه ويباح للمحرم قتل الفواسق الخمسة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور » وقاس ابن تيمية على ذلك كل ما يؤذي الناس كالحية والفأرة واذا آذته البراغيث والقمل فله أن يلقيها عن نفسه وهذا أهون من قتلها وان كان قتلها جائزا له .

محظورات الاحرام :

وللاحرام محظورات عليك يا أخي المسلم أن تتجنبها فهي محرمة عليك وأول هذه المحظورات الجماع ودواعيه وأن تتجنب اقتراف السيئات والمخاصمة مع الرفاق ولبس المخيط كالقميص وغيره ولبس المخيط كالعمامة ونحوها ويحرم عليك أن تلبس ثوبا مصبوغا بماله رائحة ويحرم عليك لبس الخف والحذاء أما المرأة فلها أن تلبس كل ما هو ممنوع على الرجال اذ أن احرام المرأة في وجهها وكفيها فقط ولا تلبس الثوب المصبوغ بماله رائحة ولا القفازين ولا النقاب ويجب ستر وجهها اذا خافت الفتنة فاذا لم يجد الرجل ملابس الاحرام الرداء والازار فانه يلبس ما وجده اذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس بعرفات فقال اذا لم يجد المسلم ازارا فليلبس السراويل واذا لم يجد النعلين فليلبس الخفين وبهذا أخذ أحمد فلقد أجاز لمن لم يجد الازار والنعلين أن يلبس السراويل والخفين فقيل له يقطعهما قال لا أما الجمهور فانه ذهب الى اشتراط قطع الخفين دون الكعبين لانه بالقطع يصير كالنعلين اعتمادا على حديث ابن عمر أما الاحناف

فيرون أيضا شق السراويل فان لبسـها من غير شق وجبت عليه الفدية أمـا الشافعي فقد أجاز لمن لم يجد ملابـس الاحرام أن يلبس السراويل من غيـر فتق ولا فدية عليه فان تيسرت له ملابس الاحرام استبدل بها ما يلبس وأما عقد نكاح المحرم فلقد اجازه الاحنـاف اعتمادا على ان المحرم في الاحـرام الجماع ودواعيه لا صحة العقد ومنعـه غيرهم معتمدين على حديث رواه مسلم عن عثمان بن عفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب » وبهذا قال غيـر الاحناف ٠

ويحرم على المحرم ازالة شعره باي وسيلة وتقليم اظفاره فان انكسر الظفر فلا شيء فيه وله أن يزيله من غير فدية واذا تاذى المحرم من شعره فله ان يزيله وعليه الفدية لقول الله تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك » ٠

ويحرم على المحرم التطيب في البدن أو في الثياب سواء كان رجلا أو امراة ويحرم عليه كذلك أن يلبس ثوبا مصبوغا بما له رائحة ويحرم عليه أن يتعـرض للصيد البري ويجوز له أن يصيد صيد البحر وكذلك يجوز له أن يأكل من صيد البحر ولا يجوز له أن يأكل صيد البـر الذي صيد من اجله او دل عليه ٠

فمن فعل من كـل هذه المحظورات شيئا غير الجماع كلبس المخيط أو حلق الشعر أو غيرهما من المحظـورات في الاحرام وجب عليه دم او اطعام سـتة مساكين أو يصوم ثلاثة ايام على التخيير في ذلك وليس على الترتيب ، والدليـل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على كعب بن عجرة في زمـن الحديبية فقال قد آذاك هوام الارض قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « احلق ثم اذبح شاة نسكا أو صم ثلاثة ايام أو اطعم ثلاثة آصع من تمر على ستة مساكين » والشافعي رضي اللـه عنه قاس غير المعذور على المعذور في وجو بالفدية التي ذكرت اما الاحنـاف فانهم أوجبوا الدم على غير المعذور اما المعذور فلا فدية عليه عندهم ونحب ان نقول هنا ان المحرم اذا كان جاهـلا بالحكم او ناسيا احرامه فلا شيء عليه الا في العدوان على الصيد فـان هذه القاعدة لا تشمله وأمـا الجماع فاذا جامع الحاج وهو محرم فانه قد فسد حجه وعليه أن يتم حجه ثم يؤديه كاملا في العام التالـي وعليه الهدي لان الجماع يفسد الحج والمراة في ذلـك كالرجل وبعضهم قال على المراة وزوجها المجامعين هدي واحد لا غير وعليهمـا في العام القابل ان يتفرقا حتى لا يتكرر الفساد وفي هذه المسالة وهي مسالـة الجماع رأي آخر افتى به اهل الـراي قالوا ان جامع قبل الوقوف بعرفـة فسد حجه وعليه شاة مع اتمام الحـج الفاسد وان كان الجماع بعد الوقـوف صح حجه وعليه بدنة والراي المعتمـد في ذلك أن الجماع الحاصل بعد التحلل الاول لا يفسد الحج وليس على صاحبه قضاء وقال بعضهم عليه القضـاء والفدية وهي عند الشافعي في أحد قوليه عليه بدنة وفي القول الآخر عليه شاة وبهذا قال مالك ٠

اما اذا احتلم المحرم او انزل مـن غير جماع فلا شيء عليه عند الشافعية الا اذا لامس بشهوة او قبل فان عليـه شاة اذا انزل والاستدلال لهذا هو ما

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اذ أتاه رجل فقال اني أحرمت فجاءتني فلانة في زينتهـــا فما ملكت نفسي أن سبقتني شهوة فضحك ابن عباس وقال انك لشبق لا باس عليك اهرق دما وقد تم حجك ٠

دخول مكـــة :

ولقد طوفنا بك كثيرا قبل أن ندخلـــك مكة فاذا وصلتها فاغتسل لدخولهـــا وبت بذي طوى فلقد فعل رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ذلك وعليـــك أن تدخلها من ثنية كداء ان أمكنك ذلـــك والا فلا عليك وعليك أن تتعجل الوصول الى البيت بعد أن تترك أمتعتك وتدخل من باب بني شيبة وتردد بكل ما فيـــك من لهفة وخشوع « أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم مـــن الشيطان الرجيم بسم الله اللهم صـــل على محمد وآله وسلم اللهم اغفر لـــي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » ٠

واذا وقع نظرك على البيت رفعـــت يديك الى السماء وقلت « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة

وزد من شرفه وكرمه بمن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام » .

ثم تقصد مباشره الحجر الاسود مقبلا له ان أمكن بدون صوت والا فاستلمه بيدك وقبلها والا فأشر اليه ثم تقف بحذائه وتجعله عن بسارك وتبدا منه طوافك ولا تصلي تحية المسجد فتحية البيت الحرام الطواف وبيدا الطواف مضطبعا اي كاشفا كتفك وذراعك الايمن وكاسيا كتفك الايسر وتقول في طوافك « بسم الله الله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم » ويستحب لك ان تسرع في الاشواط الثلاثة الاولى وتمشي مشيا عاديا في الاربعة الباقية واحذر ان تزاحم أو تغاضب والتمس ما يتيسر لك في الطواف فافعله واستلم الركن اليماني وقبل الحجر الاسود كلما مررت به واكثر من الذكر والدعاء ولا نلقنك ذلك فانت في بيت الكريم الغني القادر فادع الله بما تشاء ولست مقيدا بأي ذكر أو دعاء ولو اتبعت المأثور فهو حسن وننقل اليك المأثور مما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اذا حاذيت الحجر الاسود فقل «اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك بسم الله الله اكبر».

الطواف والسعي :

واذا شرعت في الطواف فقل « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله » فاذا وصلت الى الركن اليماني فقل « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وفي بقية الاشواط قل « رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

وابن عباس رضي الله عنهما كان يقول بين الركنين « اليماني والحجر الاسود » « اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف على كل غائبة بخير » .

وان كنت حافظا للقرآن أو لبعض سوره فلا بأس عليك بأن تقرأ القرآن فاذا فرغت من أشواط الطواف السبعة فصل ركعتين في مقام ابراهيم ويسمى هذا الطواف للمفرد طواف القدوم وهو سنة وان كنت قارنا أو متمتعا كان هذا الطواف طواف العمرة ويجزىء عن طواف القدوم وأتمم عمرتك بالسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط أيضا تبدأ بالصفا وتنتهي بالمروة وهذا شوط ثم تعود الى الصفا وهذا شوط وهكذا ثم ان كنت متمتعا تتحلل من احرامك بالحلق او بالتقصير وان كنت قارنا فلا حلق ولا تقصير ولا تحلل .

وهذا الذي تحدثنا عنه هو طواف القدوم للمفرد وطواف العمرة للمتمتع والقارن وثم انواع اخرى من الطواف وهي طواف الافاضة وطواف التطوع وطواف الوداع وللطواف مطلقا شروط هي الطهارة من الحدثين والنجاسة والاحناف يعدون الطهارة واجبا وليس شرطا بمعنى انه يجبر بدم مع صحته رغم عدم الطهارة أما المستحاضة او من به سلس بول فانهما يطوفان ولا شيء عليهما الا الحيلولة بين النجس وبين الحرم ومن شروط الطواف ستر العورة

وهو واجب أيضا عند الاحناف يجبر بدم ومن شروطه أن يكون سبعة أشواط وأن يبدأ من الحجر الاسود وأن يكون الطواف خارج الحجر ومن شروطه الموالاة بالطواف الا لعذر كاستراحة أو أداء صلاة مفروضة أما لو أحدث في الطواف فانه يتوضأ ويبني على ما فات.

وكما أن للطواف شروطا له سنن أيضا فمن سننه استقبال الحجر الاسود عند بدء الطواف وتقبيله من غير صوت ولك أن تزاحم على الحجر الاسود دون أن تؤذي أحدا ومن سننه الاضطباع والرمل في الاشواط الثلاثة الاولى واستلام الركن اليماني ومن سننه صلاة ركعتين بعده في مقام ابراهيم يقرأ في أولاهما بعد الفاتحة سورة الكافرون وفي ثانيتهما سورة الاخلاص وهاتان الركعتان تؤديان في جميع الاوقات ولا تتحرج يا أخي من طواف النساء معك فذلك جائز وللمرأة أن تستلم الحجر عند خلوه من الرجال واعلم يا أخي أن مرور الناس أمامك في الصلاة غير ممنوع في الحرم بل هو جائز واذا كنت غير قادر على الطواف فلك أن تطوف محمولا .

ماء زمزم :

واذا فرغت من طوافك وصلاتك فتوجه الى بئر زمزم لتشرب منها جهدك وانو عند شربك منه ما هو محبوب لك من خير الدنيا والآخرة فكما قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ماء زمزم لما شرب له ويكون شربك موافقا للسنة على ثلاثة أنفاس واستقبل القبلة واذكر الله ويستحب لك أن تدعو عند الملتزم بما شئت من خير فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلزق وجهه وصدره بالملتزم ..

السعي بين الصفا والمروة :

ثم بعد ذلك تذهب الى السعي بين الصفا والمروة فمالك والشافعي واحمد يرون السعي ركنا من أركان الحج تركه يفسد الحج ولا يجبر بدم وابو حنيفة يراه واجبا تركه لا يبطل الحج ولا العمرة ويجبر بدم وسواء كان ركنا أو واجبا على رأي الاحناف فله شروط لا بد أن يكون بعد طواف وأن يكون السعي سبعة أشواط ويكون البدء فيه بالصفا كما جاء في القران ويختتم بالمروة وأن يكون السعي بينهما في المسعى لا خارجا عنه ويجب عليك ان تستوعب هذا المسعى وأن تلصق قدمك بالصفا والمروة وليست الموالاة في السعي شرطا الا عند مالك وأما المذاهب الاخرى فليست الموالاة فيها شرطا فلو عرض لك عارض يمنع الموالاة فاتمه ثم ابن على سعيك السابق أما الموالاة بين الطواف والسعي فانها ليست شرطا بل لك أن تستريح أو تؤجل السعي الى تحسن الجو ولا تشترط الطهارة للسعي بخلاف الطواف لان الطواف صلاة ولكن السعي ليس كذلك ولكن الطهارة للسعي مستحبة فاذا لم تستطع السعي ماشيا لعذر فلك أن تركب فيه والسنة المشي بين الصفا والمروة والرمل بين الميلين الاخضرين والمرأة تمشي مشيا عاديا والرقي على الصفا والمروة مستحب مع استقبال القبلة وتقول على الصفا اذا رقيت عليها « لا اله الا الله ثلاثا الله أكبر ثلاثا والحمد لله ثم تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء

قدير لا اله الا الله وحـــده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ، ثم تدعو بما شئت وتردد هذا الدعـــــاء المأثور ثلاث مرات وأما الدعاء المأثور فيما بين الصفا والمروة فقل « رب اغفر وارحم انك أنت الاعز الاكرم » وكمـــا قلنا سابقا ان كنت مفردا أو قارنــــا حافظ على احرامك وان كنت متمتعا فقد حللت منه بالحلق والتقصير ثم تعيـــد تعيد الاحرام من منزلك بمكة في اليــوم الثامن من ذي الحجة وفي هذا اليــوم يتوجه الجميع الى منى ويكثر الجميـع من الدعاء والتلبية ويكون توجهك الى منى بعد طلوع الشمس ويجوز الخروج الى منى قبل اليوم الثامن وكرهه مالك وكره الاقامة بمكة في اليوم الثامن الى المســاء ٠

الى عرفـــات :

ثم تتوجه الى عرفات بعد طلوع شمس اليوم التاسع من ذي الحجة مع التهليل والتلبيه وانزل بنمرة واغتسل عندهـــا للوقوف بعرفة ويستحب لك الا تدخـل عرفة الا بعد الزوال ويوم عرفة هـــو اليوم الذي يصغر ويدحر فيه الشيطان اذ روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما رؤي الشيطان يوما هو فيـه اصغر ولا ادحر ولا اغيظ منه في يــوم عرفـــة » ٠

ولعلك سائلي بعد ذلك عن حكـــم الوقوف بعرفة فاعلم ان هذا الوقوف هو ركن الحج الاعظم بالاجماع ووقـــت الوقوف فيه يبدأ من زوال اليوم التاسع الى فجر اليوم العاشر من ذي الحجـــه وليس لازما أن تقف هذا الوقت كله بل يكفي أي جزء فيه فان كان وقوفك نهارا وجب عليك الوقوف بعض الليل وان كان الوقوف ليلا فلا يجب عليك شيء ولا تظن يا اخي أن الوقوف بمعنى انتصـــاب القامة لا بل معناه الحضور والوجود في أي جزء من عرفة ولـــو كنت نائما أو راكبا على أي حال تكون سواء كنت طاهرا أو غير طاهر والمعمى عليه يصح وقوفه عند مالك وأبي حنيفة والشافعي ومعه آخرون قالوا لا يصح ويستحب لك ان تقف عند الصخرات الكبار وعرفـة كلها موقف الا بطن عرنة وهو واد يقع في الجهة الغربية من عرفة٠

وينبغي لك أن تكون طاهرا كامـــل الطهارة وأن تستقبل القبلة وأن تكثـر من الاستغفار والدعاء لنفسك ولغيـرك وخير الدعاء دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البيهقي عن علي رضي الله عنه عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه « ان أكثر دعاء من قبلـي من الانبياء ودعائي يوم عرفة أن أقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ، لـه الملك وله الحمد وهو على كل شـــيء

قدير ، اللهم اجعل في بصري نورا وفي مسمعي نورا وفي قلبي نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري اللهم أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الامر وشر فتنة القبر وشر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر » ·

وفطر يوم عرفة للحاج هو السنة وصيامه لمن ليس حاجا هو السنة ·

وفي عرفة أخي المسلم تجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم باذان واحد واقامتين وتمام الحج أن تصليهما مع الامام وبذلك يجتمع القصر والجمع ·

الى مزدلفة :

وبعد الوقوف بعرفة من الزوال الى الليل وبعض الليل داخل وجوبا في الوقوف عند بعض المذاهب تنزل من عرفة بالسكينة والوقار والطمأنينة الى المزدلفة مع التلبية والذكر حتى اذا بلغتها من غير مزاحمة ولا مشاحنة ستصل قطعا بعد العشاء فتصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير حاضرين بآذان واحد واقامتين وهذا الجمع سنة فان صليت المغرب قبل المزدلفة اعدته فيها ليوافق فعلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

ثم تقف بالمزدلفة وهي كلها موقف الا وادي محسر بين المزدلفة ومنى وتبيت بها حتى تصلي بها الفجر ثم تنتظر حتى تقارب الشمس الشروق فتغادرها الى منى وأحمد يوجب هذا المبيت أما مالك والشافعي وأبو حنيفة فالواجب عندهم هو الوقوف بها وليس المبيت وعند الاحناف من ترك هذا الوقوف قبل الفجر لزمه دم اذا كان غير معذور والا فلا دم أما المالكية فالواجب عندهم الحضور بها قبل الفجر بمقدار ما يحط الرحل لم يكن معذورا وأما الشافعية فانهم قالوا الواجب هو الوجود بالمزدلفة في النصف الثاني من ليلة النحر وعليك أخي المسلم أن تحضرمعك من المزدلفة حصيات الرمي التي سترمي بها الجمرات ، وبعد الفجر والاسفار بها ستعود الى منى يوم النحر وتبدأ برمي جمرة العقبة ثم الذبح ثم الحلق ثم الطواف بالبيت ولاحظ يا أخي أن هذا الترتيب سنة ولكن لو خالفت هذا الترتيب فلا شيء عليك عند الاكثرين الا أبا حنيفة فالتزم بذلك الترتيب وقال لو قدم نسكا على أخر لزمه دم ·

واذا رميت جمرة العقبة يوم النحر وحلقت أو ذبحت فقد حللت الاحلال الاول بمعنى أنه يجوز لك كل شيء هو محظور على المحرم ما عدا النساء ·

وبطوافك طواف الافاضة احللت الاحلال الثاني وحل لك كل شيء حتى النساء ·

رمي الجمار :

وهذا الرمي واجب عند الجمهور وتركه يجبر بدم والحصيات التي نرمى بها الجمار تكون فوق الحمصه ودون البندقة ومن تجاوز ذلك فقد وقع فيه خلاف المذاهب الثلاثة فبعضها تجيزه مع الكراهة واحمد قال لا يجزئه الا الحصى والحصى الذي ترمى به الجمرات كما قلنا يؤتى به من مزدلفة وأحمد يبيح الاتيان به من اي موضع وجوز الاحناف الرمي بكل ما كان من جنس الارض والراي الاول ارجح مع العلم انه يجوز الرمي بحصى اخذ من المرمى مع الكراهة ·

والحصى الذي سترمى به الجمرات

سبعون حصاة لمن اتم الرمي وتسعة
وأربعون لمن تعجل وترتيبها سبع لجمرة
العقبة يوم النحر وفي اليوم الثاني
احدى وعشرون حصاةللجمرات الثلاث
كل جمرة بسبع حصيات وفي اليوم
الثالث احدى وعشرون كذلك وفي اليوم
الرابع مثلها فان اقتصرت على اليوم
الثالث فلا اثم عليك وبذلك يكون الحصى
تسعا وأربعين والوقت المختار لرمي
جمرة العقبة يوم النحر هو وقت الضحى
بعد طلوع الشمس فان تأخرت به الى
آخر النهار جاز وان كان لك عذر مانع
يؤخرك الى الليل فذلك جائز أيضا وان
لم يكن عذر فان ذلك يكره عند الاكثرين
وان كنت من ذوي الاعذار جاز لك أن
ترمي جمرة العقبة في النصف الاخير
من ليلة النحر وأما الرمي في الايام
الثلاثة بعد النحر فيبتدىء من الزوال
الى الغروب فان أخرت الرمي الى الليل
كره لك ذلك وأبو حنيفة أباح في اليوم
الثالث عشر أن ترمى قبل الزوال وبعد
أن تؤدى هذه الشعيرة وهي الرمي في
الايام المذكورة تقف بعد الرمي كل يوم
مستقبلا القبلة داعيا الى الله بما شئت
وأحببت مستغفرا لك ولمن تشاء وهذا
الوقوف والدعاء عند الصغرى
والوسطى اما جمرة العقبة فلا وقوف
عندها وترتيب الرمي يكون هكذا
الصغرى القريبة من منى ثم الوسطى
ثم العقبة وهذا الترتيب واجب الا عند
الاحناف فقد جعلوه سنة

ومع كل حصاة ترمي بها عليك اذا
أمسكتها بين أصابعك أن تقول « اللهم
اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا » ومن
كان له عذر يحول بينه وبين الرمي فله
أن ينيب غيره ليرمي عنه · ثم ان المبيت
بمنى ليلة الحادي عشر من ذي الحجة
والثاني عشر والثالث عشر منه واجب
وبعضهم جعل الواجب ليلتين فقط
والاحناف يرون المبيت المذكور سنة
وترجع من منى الى مكة قبل الغروب
وبعد الرمي من اليوم الثاني عشر
وأباح الاحناف الرجوع الى فجر يوم
الثالث عشر مع كراهة ذلك ·

ذبح الهدى :

والذبح يوم النحر يكون للهدي الذي
يهدى للمحرم وأقله شاة وتجزىء فيه
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ايضا
والبدنة لا تجب الا بجناية من جنايات
الحج كمن طاف طواف الزيارة جنبا
او جامع بعد الوقوف بعرفة وقبل أن
يحلق أو كانت نذرا ومن لم يجد بدنة
فعليه سبع شياه ·

والهدي قسمان واجب ومستحب
فالواجب يكون على المتمتع والقارن
والواجب أيضا ما كان على ترك واجب
من واجبات الحج وعلى من ارتكب
محظورا من محظورات الاحرام غير
الوطء وواجب أيضا على من جنى على
الحرم كالصيد فيه ·

وليست كل شاة تتنفس تصلح للهدي
اذ لا بد في الهدي أن يكون ثنيا اذا كان
من غير الضأن أما الضأن فيجزىء فيه
ماله ستة أشهر فما فوق وفي الابل ماله
خمس سنين والبقر سنتان والمعز سنة
ولا بد أن يكون الهدي سليما سمينا ·

ووقت الذبح هو يوم النحر وأيام
التشريق عند الشافعي وعند مالك وأحمد
وأبي حنيفة وقت ذبح الهدي أيام النحر
وعند الاحناف هدي النذر لا وقت له ·

والحرم كله مكان صالح للذبح وعند
مالك الذبح يكون بمنى وفي العمرة يكون

الذبح بمكة والاكل من لحوم الهدي مطلوب اذ يقول الله تعالى « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » والهدي الذي يؤكل من لحمه هو هدي التمتع والقران والتطوع عند أحمد وأبي حنيفة وقال مالك يأكل من الهدي الذي ساقه عند فساد حجه ومن هدي المتمتع ومن الهدي كله الا النذر وفدية الاذى وجزاء الصيد ٠

والشافعي لا يجيز الاكل من لحم الهدي الواجب والقدر المأكول لم يحدد٠

والحلق أو التقصير قيل واجب يجبر تركه بدم وقال الشافعية ان الحلق والتقصير ركن من أركان الحج ويكون بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر ولا يحلق حتى يذبح هديه ان كان معه هدي وأوجب أبو حنيفة ومالك ورواية عن أحمد أن الحلق او التقصير يكون في الحرم وفي ايام النحر والشافعي ومعه آخرون قالوا يجب ان يكون الحلق او التقصير بالحرم دون ايام النحر فان اخر الحلق عنها جاز ، فان كان الحاج أصلع يمر بالموسى على رأسه كهيئة الحالق أو المقصر ويستحب مع ذلك تقليم الاظفار والاخذ من الشارب والمرأة تقصر فقط ولا تحلق ٠

طواف الافاضة وتمام الحج :

وطواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة وطواف الركن وهو ركن من أركان الحج بالاجماع وأحمد يشترط النية له خاصة وبقية المذاهب تكتفي بنية الحج وابو حنيفة يقول الغرض في هذا الطواف أربعة أشواط لو تركها الحاج بطل حجه والثلاثة الباقية واجب يجبر بدم ٠

ووقت هذا الطواف نصف الليل من ليلة النحر عند الشافعي وأحمد ولا حد لآخره ولا تحل له النساء حتى يطوف ولو أخرت الطواف عن أيام التشريق كره لك ذلك وأفضل أوقاته وقت الضحى يوم النحر ٠

ويدخل وقت هذا الطواف بطلوع الفجر يوم النحر عند مالك وأبي حنيفة ويوجب أبو حنيفة فعله في أيام التشريق فان تأخرت عنها لزمك دم ٠

وعند مالك الافضل في أداء هذا الركن ايام التشريق فان أخرته الى آخر الحجة جاز فان أخرته اكثر من ذلك لزمك دم ويستحب للنساء ان يتعجلن باداء طواف الافاضة هذا خشية الحيض وأباح بعض العلماء أن تبدأ المرأة بالطواف قبل كل الاعمال عند الخشية من الموانع ٠

طواف الوداع :

لقد تم الحج الآن وتحدثنا فيه اليك عن كل شيء تحتاجه في رحلتك وبقي طواف الوداع وحكمه أنه مشروع ومالك يقول انه سنة والاحناف والحنابلة والشافعية يقولون انه واجب ويجب بتركه دم وليكن آخر عهدك بمكة أن تطوف بالبيت طواف الوداع هذا على أن تسافر بعده مباشرة ويستحب لك أن تدعو بالمأثور فيه وهو قولك « اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك وسترتني في بلادك حتى بلغتني بنعمتك الى بيتك وأعنتني على اداء نسكي فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا والا فمن الآن فارض عني قبل أن تنأى عن بيتك داري فهذا أوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا بيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم فاصحبني العافية

بدني والصحة في جسمي والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتني واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة أنك على كل شيء قدير » ·
واعلم أن هذا دعاء مأثور عن حبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ·

وبعد ذلك اعلم أنك قد ظفرت بالخير الاوفى في مكة وعليك أن تتوجه الى المدينة ان كان لم يسبق لك أن زرتها قبل حجك اذن فأنت الآنقادم على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تفضل الصلاة فيه سائر المساجد الا المسجد الحرام فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صلاة في مسجدي أفضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه ·

في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم :

فاذا وصلت الى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فعليك بالسكينة وأن تكون متطيبا ولابسا أحسن ثيابك وتدخل المسجد بيمناك وتقول « اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله اللهم صل على محمد وآله وسلم اللهم اغفر لى ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك» وات الروضة الشريفة فصل بها ركعتين تحية المسجد ثم اتجه الى القبر الشريف مقبلا عليه بقلبك ووجهك وكل ذرة فيك فليس بعد لقاء الاحبة لذة وخير ما ينعم به المرء لقاء الحبيب الذي لا يتم ايماننا ولا يكمل يقيننا حتى يكون هو احب الينا من انفسنا وتسلم عليه صلى الله عليه وسلم وتقول « السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي

الله السلام عليك يا خيرة خلق الله من خلقه السلام عليك يا خير خلق الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الغر المحجلين أشهد ألا اله الا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت في الله

حق جهاده » ثم تتأخر الى الجهة اليمنى قليلا فتسلم على الصديق ابي بكر ثم تتأخر قليلا وتسلم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم تتوجه الى القبلة فتدعو الله بما تريد من خير لنفسك وأهلك وجيرانك واحبابك وجميع المسلمين ولا آمرك بشيء الا باحترام المسجد الطاهر والقبر الشريف ولكني احذرك ان تقلد المغالين في دينهم المبتدعين للعبادات من عند أنفسهم فالحب مكانه القلب وأدلته الطاعة والله يتولاك ويقربك لمرضاته بسرضاته واعلم أنك في روضة من رياض الجنة فاكثر من الصلاة والتعبد فيها فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » · ويستحب لك أن تزور مسجد قباء وأن تملأ عينيك من مشاهد الاسلام الاولى حيث ترتبط عاطفتك الكريمة بامجادك العظيمة فالاسلام لدى المسلم عاطفة خيرة وعقل سليم وماض كريم ·

أظنك يا أخي المسلم قد اتممت نسكك وفرغت من زيارتك وآن لنا ولك أن نباشر حياتنا بروح الحج وطهارته وأن نستأنف هذه الحياة غير ما كنا فيه بما يطلبه الاسلام منا جدا وصبرا وطهارة وتسليما وزهدا وعفة واخلاصا وصدقا والله يتولى برحمته الاخيار الصابرين والضعاف المسترحمين وصلى الله على سيد المرسلين ·

... ت على طريق الصحافة الاسلامية ■■ بقية المنشور ص ٤ - ٥

٥ ـ الالتزام بسياسة منهجية واضحة وصريحة ، حتى تعرف الصحيفة هويتها لدى القارىء فيتمكن بذلك من تقييمها والحكم عليها ، اما التذبذب في المناهج والتراجع عن بعض الخطوات وعدم الوضوح في الاهداف التي وجدت من اجلها تلك الصحافة فانها تكون لدى القارىء صورة مشوهة ومهزومة وبالتالي تنعدم الثقة بين الافراد والصحافة الاسلامية ·

٦ ـ الموضوعية ·· فيما تكتب وتنقل ، وعدم الاعتماد على الاثارة الكاذبة أو المكسب الوقتي أو النقد الذي لا يستهدف من ورائه خير ، فان كسب الناس يحتاج الى جهد ووقت طويل اما خسارتهم فما اسرعها بنشر خبر كاذب أو تهجم ظالم ··

هذه بعض الاسس التي تلوح امام السالكين الى بناء صرح من صروح الاسلام على طريق التكامل نحو مجتمع اسلامي ··

والله الموفق ·

بقلم : دكتور عبد المحسن صالـح
أستاذ علم الكائنات الدقيقـة
بكلية الهندسة • جامعة الاسكندرية

قدرة الله ـ بلا شك ـ تتجلى في كل خلقه ، ولكى نتوصل الى هذه التجليات ، ونتعرف على ابداعه فيما خلق ، وعلى نظامه فيما سوى ، فلا أقل من ان ندرس هذا الخلق دراسة الباحث المدقق المتطلع الى معرفة ملموسة تقربه اكثر فأكثر من خالق هذه الأكوان •• فالذي يدرس أعمق ، يعرف اكثر ، فيصير الى الله اقرب « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » •

وعلى هذه الصفحات اخترنا دراسة جادة من الدراسات التي تظهر لنا بديع صنع الله في مخلوقات قد ندوسها بالنعال ، ومع ذلك ، فهي تقدم رغم صغرها لنا عظه وعبرة ، وكانما هي تخاطبنا قائلة « هذه افكارى ، علكم تراجعون انفسكم ، ولا تظنوا ان هذا الكوكب لكم وحدكم •• فنحن امم امثالكم •• « او كانما هذه الدراسة تشير الى صورة من الصور البديعة التي ذكرتها اية من آيات القران الكريم : وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحية الا امم امثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء » الانعام : ٣٨

اذكر انني ـ في احد ايام الصيف ـ كنت استقل القطار الفاخر حيث العربات المقفلة الانيقة ذات الجو المكيف الذي ترتاح اليه نفوسنا ، وبه تهدأ اعصابنا•• لكن شيئا فشيئا حدثت في العربة موجة غريبة من التذمر ، وبدأنا نحس بالضيق، فتصبب العرق ، واختنقت الانفاس ، وانقبضت الصدور، وبداالناس يتصايحون منادين « ارحمونا من ذلك الجو المقبض•• اننا نكاد نختنق » ! •

السبب في هذا لا يحتاج الى شرح ، فلقد توقف جهاز التكييف ، والعربة محكمة الغلق على من فيها ، والهواء فاسد لا

وتلك أمم أمثالنا

أهرامات الجيزة

بالنسبة

يتجدد ، وعندما لم يحتمل البعض هذا الجو الكئيب ، لم يجد بدا من الهرب ، فهاجر الى عربات اخرى ، وكان أولى بمصمم العربات المكيفة، حساب الطوارئ، ووضع البديل عند تعطل جهاز التكييف المركزي ٠

لكن ما حدث للناس في عربة واحدة مكيفة ، لا يمكن ان يحدث لمدينة او « مملكة » يسكنها مئات الالوف او الملايين، ويعيشون في جو مكيف يوافق امزجتهم ، فالمدينه او « المملكه » معلقه على من فيها، والجو متقلب في خارجها ، لكن التكييف يشعل باستمرار في داخلها ، ليمد كل السكان بنسبه من الرطوبة معدلة ، ودرجة من الحرارة ثابته ، وبهوية مناسبة لاتلوث فيها ولا فساد ، رغم ان « المملكة » ـ كما ذكرنا ـ مغلقة على الملايين من سكانها ٠٠ لكن الفضل في ذلك يرجع الى « تكنولوجيا » التكييف الذي لا يعطب ، ثم الالمام ببعض اسسه العلمية التي قامت عليها حياة تلك المدينة الهائلة ٠

لا شك ان هذه المدينة رائعة ومتقدمة عن المدن التي نسكنها ، ونعيش فيها تحت رحمة تقلبات الجو ، وتلوث الهواء ، دون ان يكون لنا في الامر من حيلة الا باللجوء الى شراء اجهزة تكييف باهظة الثمن غالية التكاليف ٠٠ ولن « يتكيف » بذلك الا كل من استطاع ان يدفع ، وهؤلاء نسبة ضئيلة ، والسواد الاعظم يعيش تحت رحمة الاقدار ! ٠

الا ان هذه التفرقة لا تحدث في تلك « المملكة » ٠ فحق الاستفادة التكييف مكفولة للجميع ! ٠

وقد تتساءلون الان بدهشة : اين توجد هذه المملكة التي استطاعت ان تكيف جو مدنها وكانها تعيش في الفردوس؟٠٠ واية فكرة عظيمة تكمن في جهاز يستطيع ان يكيف الجو للملايين ؟ ٠

الواقع ان هذه « الممالك » او « المدن » توجد في الخلاء بعيدا عن مدن البشر ٠٠ فعندما يتجول الانسان في غابات افريقيا واحراشها ، فقد يشاهد من بعيد بنايات عالية على هيئة قرى غريبة لها طابع خاص ، فاذا اقترب منها ، ووقف امامها وجدها بدون ابواب ولا نوافذ ، ولكن العالمين باسرار الطبيعة يعرفون ـ لاول وهلة ـ انهم يقفون امام مجتمعات منظمة تسكن في الداخل ، وانها تستحق التامل والدراسة، فلقد سبقت الانسان في الظهور على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين وكانت بوظائفها مسخرة لاعداد الارض لحياة خلافة الانسان على الارض بامر الله والهامه واستطاعت « بافكارها » ان تحل مشكلة التكييف بمقدرة وكفاءة نحسدها عليها ٠٠ وكانما هي برهان حي على ما وصلت اليه من صمود للمحن رغم ضآلة اجسامها ، في حين ان الدنيا صورات قد انقرضت واختفت رغم ضخامتها وقوتها٠٠

ولهذا ، فلا يجب ان نقيس مقدار الكائن ببسطة في الجسم ، او قوة في العضلات ، ولكن بعمق الالهام الالهي الذي يعوض العمل ، ويمكن من صمود للمحن ، وتكيف بالظروف ٠

الا اننا لا نستطيع ان نضفي على سكان هذه « الممالك » المعلقة صفة العقل ، فنحن الان نتطلع الى : ممالك النمل الابيض ٠٠ وتلك مدنه ! ٠

صحيح انطول النملة قديبلغ سنتيمترا او يزيد قليلا ، ولكن ارتفاع مدينتها قد يتراوح ما بين ستة امتار وتسعة ، وقد يصل محيطها عندالقاعدة الىحوالي ثلاثين مترا ٠٠ وهذا يعنى اننا نقف امام مملكة

وناطحات السحاب ليست إلا بنايات متواضعة

ابنايات مملكة النمل الضخمة

ضخمة .. فلو انها قورنت بحجم النملة التي شيدتها ، لظهر لنا ان اهرام الجيزة، او ناطحات السحاب ليست الا بنايات متواضعة بالنسبة لهذه البنايات الحشرية. فطول البناية هنا اكبر من طول النملة التي شيدتها باكثر من ٦٠٠ مرة ، ولو اننا قارنا منشآتنا بالنسبة لاطوالنا ، ثم قارنا ذلك بمنشات النمل ، فلا بد ان تكون بناياتنا اضخم من هرم الجيزة الاكبر باربع او خمس مرات ، او ان

مستعمرة للنمل الابيض في احراش افريقيا تنتشر فيها فتحات التهوية والتكييف وفيها تعيش الملايين من النمل

لاحظ الرجل الجالس اعلاها لتعرف ارتفاع المستعمرة الحقيقي

وتلك أمم أمثالنا

يصل ارتفاعها الى نصف ميل ويزيد ، ثم لا بد ان يكون في داخلها متسع لسكني الملايين ! .

قائمة الأسرار الغريبة :

وقد يعن للبعض ان يتساءل : كيف يتاتى لنا ان نطلق على هذه البناية اسم « مدينة » او « مملكة » ، والمدن والممالك لها مرافق تخدمها ، وبشر ذوو تخصصات شتى، وموارد للتموين، وسبل للمواصفات، الى اخر هذه المرافق التي نعرفها في حياة المدن والدول ؟ ! .

لكن ما يدريكم ايضا ان هذه المملكة الحشرية لها موارد للتموين ، ومخازن للطعام ، وقوة دفاعية تستميت في الذود عن اوطانها ، وعمال ذوو تخصصات متباينة، ودور للحضانة، وحدائق ومزارع شيدت في داخلها ، وبالاختصار ، فنحن نقف امام مدينة متكاملة يحيا فيها الملايين حياة رغدة هانئة !! وهنا يحق القول الكريم « ومامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم » هود : ٥٦.

كل هذا قد يهون اذا ما تعرضنا للفن المعماري، والهندسة، والعلم والتكنولوجيا، ثم التصميمات الرائعة التي اتخذتها هذه الممالك كوسيلة لتشيد بها تلك المدن الهائلة التي قد تستمر قدونا طويلة . فلا تكاد تنهار ولا تبلى ، والفضل في ذلك يرجع الى كفاية السكان في صيانة مدنهم ومرافقها ، لتصبح اكثر نظاما من مدن البشر .. ولهذا يقف العلماء امامها متأملين باحثين منقبين ، وكانما لسان حالهم يقول « وتلك امم امثالنا » ! .

لكن .. كيف يعيش سكان هذه الممالك في تلك المدن المغلقة دون ان يحل بهم الاختناق ؟ كيف دبروا امورهم ، وبأى وسيلة كان التنفيذ ؟ .

وجاءت الاجابة كصفعة للانسان الذي قد يقتله غرورة .. صحيح ان النمل الابيض لايستطيع ان يصنع مراوح للتهوية ، ولا اجهزة تكييف كالتي نعرفها حديثا ، ولكنه قدم لنا افكارا رائعة ، دفعت العلماء دفعا الى البحث العميق عن الوسائل التي صمم بها مدنه المغلقة ، وكانما هي كواكب صغيرة لها جو خاص يختلف عن جو كوكبنا الكبير ، ورغم هذه العزلة ، فالقول يعيشون في « جنات » تناسب حياتهم ! .

ان أول حقيقة اساسية تتمثل لنا في ان ساكني هذه المدن لا يستطيعون الحياة في الظروف الجوية المتقلبة . وقد تهلك مملكة بأكملها في غضون اثنتى عشرة ساعة ان هي تعرضت لجو جاف ، ولهذا فقد أغلقوا « الابواب » ، وعاشوا في داخلها ، واستنبطوا وسائل خاصة ليحتفظوا بنسبة ثابتة من الرطوبة تناسب حياتهم ، وهذا ما أثار فكر العلماء . ودفعهم « للتجسس » على هذه المدن باجهزتهم الدقيقة ، ولقد استمرت عمليات التسجيل والقياس شهورا وسنين طويلة، وخرجوا من كل هذا بحقيقة غريبة .. فدرجة الرطوبة في المملكة تبقى ثابتة ما بين ٩٨ـ٩٩٪ ولا تنخفض ابدا لاقل من ٩٧٪ ، حتى ولو كان الجو خارج المملكة غاية في الجفاف ... ولابد ان يكون من وراء هذا الامر تصميم معماري، وفكرة علمية لها أساس واصول!

وينكشف السر ، أول سر في قائمة من أسرار غريبة متلاحقة .

فلقد اماط لنا العالمان الطبيعيان « بيير جراس » و « شارل نوارو » اللثام عن حقيقة فذة .. اذ وجدا ان النمل الابيض الذي يقيم مدنه في الصحارى الجافة يقوم بحفر خنادق وانابيب في جوف الصحراء ـ قد يصل عمقها الى اكثر اربعين مترا ـ حتى يصل الى مستوى الجوفي ، ومنه تتبخر الرطوبة ، و... في الانابيب حتى تصل جوف المستعمر... طريق مسالك متعددة ، وتشع فيه رطوبتها .. ليس ذلك فحسب . ...

جهاز التكييف له ايضا نصيب محمود في بقاء نسبة الرطوبة ثابتة، وهذا ماسنقدمه بعد حين .

ثم ينكشف سر جديد .. سر التهوية للملايين! .

ان هذه المملكة الضخمة تحتاج الى الاوكسيجين كما يحتاجه الانسان والنبات والحيوان لكى يتنفس ويعيش ، وكذلك يتنفس النمل الابيض ، ويتخلص من ثاني اوكسيد الكربون ، ولو تجمع هذا الغاز في داخل المملكة لاختنقت وهلكت .. ولقد قدر العلماء ان مملكة واحدة يسكنها مليونا نملة ، تستهلك من الهواء يوميا ما يزيد على ۰۰۰ر۲۰۰ر۱ سنتيمتر مكعب ، او ما يقرب من ربع مليون سنتيمتر مكعب من الاوكسيجين النقي .

لكن الذي حير العلماء وأثار فضولهم ان هذه الحشرات تحيط ممالكها باسوار سميكة ومنيعة ، وقد يصل سمكها في بعض الاماكن الى متر او يزيد ، ولهذا فمن الصعب تحطيمها بالوسائل التقليدية التي نستخدمها في هدم بناياتنا الايلة للسقوط، لان مواد البناء الداخلة في تشييد هذه الممالك قد اختيرت بحكمة ، لتصبح صلبة متينة ، ولا يستطيع الانسان ان يهدمها الا بالديناميت .

كأن بناة هذه المدن قد درسوا شيئا عن طبيعة مواد البناء كما يدرس ذلك طلبة الهندسة مثلا — مع الفارق فهي تستخدم ما ينفعها ولا يضرها ، وطلبة الهندسة ينقلبون حتى مالا يصلح في البيئة دون تدبر ، كما ان هذه الكائنات قد عرفت شيئا من مبادىء الجيولوجيا او علم طبقات الارض ، لانها تقوم بحفر انفاق ارضية بحثا عن طبقة خاصة من الطين ، فاذا ما وصلت اليها عرفتها بطريقتها الخاصة ، فيأتي « العمال » او الشغالة ليحملوا هذه الخامات من مناطقها ، والى اعلى يتوجهون، ثم يخلطونها بلعابهم وبمواد نباتية دبالية اختيرت بكفاءة ، ويصبونها على هيئة قوالب صغيرة تناسب عالمهم ، ويبنونها ، « طوبة » من فوق «طوبة » في شكل هندسي يتوارثه الابناء عن الاباء والاجداد ، حتى اذا ما جف البناء، اصبح في متانة المسلح.

لكن العلماء توصلوا الى حقيقة جديدة، وكأنما هم يحدثون انفسهم ويقولون : « يبدوا اننا لسنا وحدنا في هذا الكون ، ولا نستطيع ان نفخر باننا النوع الوحيد بين المخلوقات الذي عرف اهمية ارساء اساس المباني .. فلقد سبقنا النمل في هذا المضمار بعشرات الملايين من السنين ، وارسى قواعد ممالكه في جوف الارض على عمق متر او مترين ، وجعلها كأعمدة المسلح التي ترتكز عليها بناياتنا الضخمة، فلا غرو — اذن — ان تبقى هذه الممالك صالحة للسكنى مئات السنوات ، وكأنها بهذا قد صممت ضد عوامل التعرية والتمدد والامطار والزلازل .. الخ .

نفس الفكرة التي ندرسها في الجامعات :

لكن أعظم الاسرار حقا ليس في هندسة البناء ، او في التخطيط الداخلي لمرافق « المملكة » حيث توجد الصالات والحجرات والطرق والدهاليز والطوابق والمزارع .. الخ — ولكن في الطريقة التي تتم بها تهوية هذه « المملكة » الضخمة ، رغم ان اسوارها سميكة ، وليس فيها منفذ واحد يمكن ان تتم عن طريقة عمليات التهوية. ودعك الان من فكرة التكييف ، فلهذه تكنولوجيا خاصة .

لقد لاحظ العلماء ان اسوار هذه الممالك تتميز بوجود بروزات خارجية تستطيع ان تراها لو انك تمعنت في بعض الصور المنشورة هنا ، ولقد ظن الدارسون ان هذه البروزات ربما تكون قد شيدت لتكتسب بها « المملكة » متانة وصلابة ، ثم عرف العلماء ان افكارهم احيانا ما تكون ساذجة ، فعندما قاموا بشق « المملكة » وتشريحها ليعرفوا السر الذي

وتلك احدى امثالنا

مازال مطويا .. حبسوا انفاسهم.. فهذه البروزات ليست الا بمثابة « رئة » المملكة التي تتبادل عن طريقها الغازات .

لكن ليست العظمة الحقيقية في وجود هذه البروزات ، بل في الطريقة العلمية الهندسية التي جاء على اساسها التخطيط والتنفيذ ، لتخرج الى الوجود كقطعة فنية بارعة ، تناسب تماما الغرض الذي انشئت من اجله ، وباقل التكاليف .. ففي كل بروز توجد ست انابيب ضيقة تمتد من اعلى المستعمرة الى اسفلها ، ولكنها تتفرع ايضا تفرعات جانبية اصغر ، كما تتفرع القصيبات الهوائية داخل رئاتنا.. ولكنها تتفرع ايضا تفرعات جانبية اصغر ، كما تتفرع القصيبات الهوائية داخل رئاتنا .

ورغم ان هذه رئة حية ، وتلك ميتة ، الا ان كليتهما تشتغل بنفس الفكرة مع اختلاف التصميم بين حياة وجماد .. اذ لا يفصل انابيب التهوية عن الجو الخارجي الا طبقات رقيقة من البناء لشيء عرفه النمل قبل ان يعرفه الانسان ، .. فمن خلال هذه الطبقات تحدث صفقة تجارية رابحة تسير على مبدأ التبادل الغازي ، فيهرب ثاني اوكسيد الكربون الى الخارج، ويحل محلة الاوكسيجين الذي ينفذ الى الداخل ، وهي نفس فكرة النفاذية من خلال الاغشية التي ندرسها في الجامعات .

لكننا نستنشق الهواء ونزفره من خلال صعود وهبوط في قفصنا الصدرى ، ولو توقف ، لتوقف الحياة .. الا اننا لا نستطيع ان نقول ان هذه البروزات الجامدة تعلو وتهبط لكي يتحرك الهواء فيها وتبادل غازاته كما يحدث في رئاتنا ، ولكن الفكرة الحشرية قامت على اساس حركة تيارات هوائية بطيئة ليكون لها في المملكة دورات ورحلات ، فترتفع من جوف « المملكة » الى اعلى ، مارة بكل الحجرات والردهات والممرات حاملة معها غاز ثاني اوكسيد الكربون ، ثم تمر من اعلى الى اسفل خلال انابيب التهوية، ليحدث التبادل بين الجو الخارجي والداخلي ، فينفذ الاوكسيجين الى الداخل ، ويهرب ثاني اوكسيد الكربون الى الخارج ، ويعود الهواء بما حمل الى الداخل ، وهكذا تستمر الدورات ..

لكن .. ما هو السر الكامن وراء هذه الدورات ؟ .. وما الذي يحرك التيارات لتدور كما يدور الهواء في غلافنا الجوى؟.

ان لذلك تصميما اخر في جهاز التكييف، وقبل ان نعرض عليكم فكرته وطريقة تشغيله ، دعونا اولا نعيش مع هذا اللغز الكبير الذي حير العلماء، وجعلهم يمسكون بورق واقلام ، ثم يقلدون بالحسابات ويخطون بالمعادلات اسرار هندسة التصميم والبناء التي اقامها « مهندسو » النمل ، دون ان يعرفوا شيئا عن منطق الرسو مات والارقام .

تاه العلماء ..

تنبه اليها النمل

لقد وجد العلماء ان نسبة غاز الاوكسيجين تزيد بمقدار ١٠٪ في كل مرة يدور فيها الهواء خلال انابيب التهوية دورة واحدة .. وبعملية حسابية تدخل في اصولها معايير الهندسة الفراغية ، يتبين ان الهواء لا بد ان يدور في اليوم الواحد عشر دورات كاملة ، وبسرعة لا تزيد عن ملليمترين في الثانية الواحدة ، او بمعدل ١٢ سنتيمترا في الدقيقة ، ولكن الحسابات على الورق شيء ، والواقع في داخل « المملكة » شيء اخر مختلف .. اذ تبين بالقياسات ان سرعة سريان الهواء في الحجرات والردهات لا يزيد عن تسعة ملليمترات في الدقيقة الواحدة ، اى اقل

من قياسات العلماء بثلاث عشرة مرة ٠

أخطأ العلماء وأصاب النمل :

ترى ٠٠ من الذي أخطأ ؟ ٠ قياسات العلماء ام تقدير الحشرات ؟ ٠

الواقع ان النمل لم يخطىء ٠٠ ولو اخطأ ، فلا يمكن ان تستمر مجتمعاته بالاخطاء كل هذه الملايين من السنين ـ ودعنا من خطأ البشر وما يدعون ٠

لقد تاهت عن العلماء حقيقة علمية تنبه النمل اليها ، ولم يتنبه لها اصحاب العقول ٠٠ فالسر كله يكمن في الطريقة الهندسية المعمارية التي شيدت على اساسها الفراغات الداخلية في المملكة الحشرية ٠٠ فمبادىء الهندسة الفراغية تشير الى ان سرعة مرور تيارات الهواء في انابيب التهوية اكبر من سرعتها في جوف «المملكة» بثلاث عشرة مرة ، ولا بد ان توضع « مقاييس الرسم » التي ستبنى المدينة على

مما قد يترتب عليه هبوط في نشاط مواطنيها ، أوربما يحل بهم الهلاك ٠٠ ولهذا فقد اتخذ النمل كل الحذر والحيطة، حتى يمر الهواء في انابيب التهوية بسرعة مناسبة ، دون ان يفقد الكثير من رطوبته ولن يتاتى ذلك الا بحسابات في الهندسة الفراغية ٠

هذه واحدة ٠٠ وما الثانية ؟ ٠

الثانية تتركز في درجة الحرارة ٠٠ فلكي تكون « المملكة » في اوج نشاطها ، فلا بد ان تحتفظ فيداخلها بحرارة مناسبة، فلو انها انخفضت عن معدلها الثابت بثلاث درجات او اربع ، فان نشاطها سيقل او يتوقف ، ولا بد ان يدبر اهل المدينة حلا مناسبا لمثل هذا المازق الخطير ، خصوصا وان درجة الحرارة خارج « المملكة » تتارجح دائما بين هبوط وصعود على مدار الفصول ، او تعاقب الليل والنهار ، ولا

وأصحاب العقول عن حقيقة علمية

عند مقاييس الرطوبة ودرجات الحرارة وكفاءة جهاز التكييف

اساسها متضمنة لهذه المعايير الهندسية ، حتى لا تهلك « المملكة » ٠

لكن ٠٠ ماذا يعني هذا برب السماء ؟٠

يعني ان مصممي مملكتنا الحشرية قد وضعوا في الاعتبار مقاييس الرطوبة ، ودرجات الحرارة ، وكفاءة جهاز التكييف، ليحفظ امور التوازن الجوي في المدينة بنسب لا خل فيها ولا فوضى ٠

فلو ان مرور تيارات الهواء خلال انابيب التهوية كان بطيئا ـ كما قدر العلماء بحساباتهم على الورق ـ فان ذلك سيؤدي الى تسرب جزء من الرطوبة الى الخارج ٠٠ وكلما كان الجو الخارجي جافا ، كان تسرب الرطوبة اكبر ، وهذا سيؤدي الى جفاف نسبي في « المملكة » ،

شك ان هذا الاختلاف ـ خصوصا اذا كان كبيرا ـ سيؤثر على السكان ٠٠ ولقد توصل « مهندسو » التكييف العشرى الى فكرة ما كانت لتطرأ لانسان على بال ٠

في احدى التجارب سجل العلماء درجة حرارة الهواء في داخل انابيب التهوية ، فوجدها ٢٤ر٤ درجة مئوية ٠٠ ولكن السكان توافق امزجتهم درجة حرارة تتراوح ما بين ٢٩ـ٣٠ درجة ٠٠ وعندما قاموا بقياس الحرارة في جوف المستعمرة ، وجدوها بالفعل ٢٩ر٧ درجة ٠٠ فكيف ارتفعت الحرارة بمقدار ٣ر٥ درجة ؟ ٠ وباى وسيلة قد اكتسب الهواء الداخل هذا الدفء المعتبر ؟ ٠

ان الفضل في ذلك يرجع الىجهاز تكييف

وتلك أمم أمثالنا

الهواء الذي شيدوه في اسفل « المملكة » على هيئة عدد كبير من الغرف ·· ولكن هذا الجهاز لا يشتغل بالطاقة الكهربائية ، ولا يشتعل بالوقود، فهذا مالا يمكن ان يكون، فالنمل لا يعرف عن هذا وذاك شيئا ·· ومع ذلك ففكرة التشغيل أعمق من ذلك بكثيرة ، فهذه الغرف بمثابة مخازن للمواد الخام من بقايا النباتات التي يجمعها الشغالة من البيئة المحيطة عن طريق سراديب ارضية خاصة تنتشر حول « المملكة » لمسافات بعيدة ، وهي ايضا بمثابة « مقالب » للقمامة التي « يكنسها » السكان من مراقب المملكة ، وهي كذلك بمثابة القبور التي تحمل اليها موتاها لدفنها فيها ، ثم هي بمثابة « دورات المياه » لتلقى فيها نفاياتها ·· وكل هذه الخلطة العجيبة تكون في الغرف بطريقة بديعة ، ثم يبللونها بالماء الذي يحصلون عليه من الانابيب المائية التي شقوها في باطن الارض لمسافات بعيدة ·· ولم يتبق بعد ذلك الا زراعة هذه الغرف بما حوت من مواد عضوية غنية ، لتصبح على هيئة مزارع وبساتين قطوفها دانية ·

وقد يتساءل البعض بدهشة : ما هذا الخلط الذي ليس له معنى ؟ · هل نتكلم الان عن أجهزة تكييف حشرية ، او عن حقول ومزارع وبساتين ؟ ·

ليس في الامر خلط ، فلقد ضرب النمل عصفورين بحجر واحد ، لان هذه الغرف تشتغل كأجهزة تكييف ، وفي نفس الوقت كمزارع لانتاج المحاصيل ·

فكرة حشرية بديعة :

فعلى هذه « الخلطة » يقوم النمل بزراعة نوع خاص من الفطريات (العفن) توارثوا « بذوره » او جراثيمه جيلا بعد جيل منذ عشرات الملايين من السنين ·· وعندما تنمو هذه الكائنات الدقيقة على هذه « الخلطة » الغنية بالمواد العضوية ، فانها تؤدي الى عمليات تخميرية ، وفيها تتحول الطاقة الكيمائية الى طاقة حرارية، وفي غرف التكييف تنطلق ، وعلى هذه الغرف تمر مسالك الهواء البارد المحمول من انابيب التهوية ، وتزوده بالحرارة ، ومنها ينطلق الى جوف «المملكة» عن طريق سراديب اخرى ، فتحدث التدفئة ، وتشتغل التيارات الهوائية ، وتندفع من اسفل الى اعلى بسرعة ثابتة ، متمشية بذلك مع الظواهر الطبيعية التي نراها في غلاف كوكبنا ، حيث يرتفع الهواء الساخن ، ويهبط البارد ·· وكذلك ترتفع التيارات في جو هذا «الكوكب » الصغير ، نعني في جو تلك « المملكة » الحشرية ، حتى لا يجد الهواء له منفذا الا بالاندفاع الى انابيب التهوية ، فيهبط من اعلى الى اسفل ، ويمر بغرف التكييف ، ويكتسب حرارة ، ويندفع الى اعلى ·· وهكذا تسير تلك الدورة ومن ورائها فكرة تكنولوجية حشرية قد تسخرون منها وتضحكون ، او قد تتعجبون ·

ومما لا شك فيه ان غرف التكييف لابد وان تتناسب مع حجم « المملكة »فكلما ازدادت رقعتها العمرانيةوتضاعف سكانها، كان لا بد من زيادة كفاءة اجهزة التكييف عن طريق انشاء غرف اخرى ، وامدادها بالخامات اللازمة ، لتتحول الى مزارع جديدة ، فتتخمر وتنضج ، ويذهب اليها السكان لجني محاصيلها الفنية بالسكريات والبروتينات والدهون والفيتامينات ··· الخ ، ذلك ان تلك الفطريات النامية على الخلطة المتخمرة قد اصبحت بمثابة غذاء متكامل العناصر ، اذ يجد فيه السكان خبزهم وادامهم ، كما يجدون في النمو الفطري الذي يتفرع بغزارة هنا وهناك فاكهة فيها لذة للآكلين ·

وكلما نضب معين غرفة او رقعة زراعية ، أمدوها من جديد بالخامات ، وزرعوها بالفطريات ، ولهذا فالقوم دائما في شغل شاغل ، مزارع تجنى ، واخرى تزرع ·· وكلما زاد السكان زادت الرقعة الزراعية ، وتوفرت موارد التموين ، ولا بطاقات ولا سوء تغذية ولا بؤس ولا فقر

ناالذي يعيش فيه اصحاب العقول ، ثم يسعدون بعقولهم او بما يشقون .
كل ذلك ولا شك راجع الى التخطيط العمراني الحشرى الذي يسير جنبا الى جنب مع زيادة السكان .. فكأن هـذه الحشرات تعيش في جنات ، وكأن مدينتها هي « المدينة الفاضلة » التي كان يقصدها افلاطون منذ زمان طويل .
نعم .. ان الخطط والتخطيط اساس لا يستغنى عنه النمل في حياته .. حقيقة عرفتها الحشرات ، ولم يعرفها بعض ذوى العقول . « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » هود : ٦ .

وتلك أمم أمثالنا

التكنولوجيا الحشرية تحقق اشرافها :

بقيت مشكلة احيرة امام هذه الممالك ، هي مشكلة الامطار .

لا تحمل لذلك هما ، فلقد توصل النمل الابيض الى حل يرضيه ويرضينا .. فغالبا ما يقيم ممالكه تحت ساتر من فروع الاشجار الكثيفة فيصبح في ظل ظليل يحميه من اشعة الشمس في المناطق الاستوائية الحارة ، وفي نفس الوقت يجد تحتها الحماية من هطول الامطار ..

لكن .. ماذا لو امطرت السماء لفترات طويلة ، وحدث ما ليس منه بد ، وتبللت « المملكة » ؟ .

الواقع ان التصميم الهندسي الذي جاءت به البروزات المسئولة عن التهوية يجعلها اخر ما يتبلل من « المملكة » ، وحتى اذا حدث البلل ، كان لها منه اقل نصيب .. فاذا جاءها المطر من ناحية ، اشتغلت الناحية الاخرى ، واذا ما توقف بعد فترة ، كانت البروزات اول اجزاء تجف من « المملكة » .. ولكن قد يستمر هطول الامطار بغزارة لساعات طويلة ، ولا شك ان « المملكة » ستتبلل عن اخرها ، ولا يستطيع النمل رد القضاء ، كما لا يستطيع ذلك الانسان .. عندئذ سيتضاءل تبادل الغازات ، وتفسد التهوية ، ويحس كل فرد في « المملكة » بما حدث ، وكانما هو « ترمومتر » حى ، ولهذا يشعر — الواقية من الامطار .. فعند كل طابق بطريقة لا ندريها — ان نسبة الاوكسيجين قد تناقصت ، وان غاز ثاني اوكسيد الكربون قد زاد عن الحدود .. فتسرع فرق الانقاذ الى انابيب التهوية ، فتزيل منها طبقات ، او تشق فيها ثقوبا دقيقة لتكون على اتصال مباشر بالجو الخارجي . وهذا أخف الضررين ..

وعندما يتوقف هطول الامطار ، وتجف « المملكة » ، يبدأ « خبراء » التكييف او عمال الصيانة في «سد الثقوب ، او ترميم الانابيب بطبقات جديدة ، لتعوض لها ما أزيل منها ، وتعود بذلك الى سابق وضعها ، لتتلاءم مع الحسابات التمادلية التي تسير بمقدار .

بقي ان تعرف ان هذا النوع من النمل الابيض يعرف علميا باسم «ماكروتيروس» الا ان هناك نوعا اخر اسمه «كيوبيتيرس» وله مع هطول الامطار فكرة اخرى تستحق الدراسة والتسجيل .

فهذاالنوع يقيم ممالكه على هيئة طوابق من فوق طوابق — تماما كما يفعل ابناء عمومته من جنس « ماكروتيروس » — الا انه قد اضاف الى ممالكه فكرة المظلة الواقية من الامطار فعند كل طابق مظلة مائلة سرعان ما ينحسر عنها الماء ويتساقط بعيدا عن الاسوار ..

وعلى اساس هذه الفكرة الحشرية ظهرت — بعد ملايين السنين — نفس الفكرة البشرية ، فبنيت سقوف المنازل في البلاد المطيرة مائلة حتى تتجمع فوقها الامطار .. واحيانا ما تغرق مدن الانسان او قراه عندما تتجمع السيول في الوديان التي اقام فيها مساكنه ، لكن هذه الحشرة تعرف كيف واين تقيم ممالكها ، وكانما هي تقدر لرجلها قبل الخطو موضعها .. انها — في الواقع — تحتاط للامر ، فتقيمها على سفوح الجبال او في المنحدرات ، ولهذا لا تغرق ممالكها ابدا ، ولتحيا الممالك .. ممالك الحشرات ، ولا شان لنا بممالك البشر .

ولا بد ان يقفز الان تساؤل : كيف عرفت هذه الحشرات كل تلك الامور ؟ واين تعلمت هذه المبادىء ؟ .

البعض يقول : انها غريزة .. لكن الغريزة لفظ بديل لجهلنا بما هو كائن.. وما كان .. وما سيكون .

والبعض يقول : انه الهام من الخالق لهذه الكائنات التي لا عقل لها ولا بصيرة ، ومع ذلك فان اجمل قول يمكن ان نسوقه

الهام الخالق عالم النمل التكنولوجيا والتصميمات الهندسية

هنا ما جاء على لسان القرآن الكريم « ان هو الا وحي يوحى » النجم : ٤ ٠٠ وقوله « واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبار بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » النحل : ٦٨ ٠٠ وما يسرى على النحل ، يسرى على النمل ، وعلى كل الكائنات ، فلقد « خلق فسوى » فأبدع فتجلى ٠٠ « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » ٠

وأخيرا ٠٠ فقد يصيب البعض غرور ، فيقول بحذلقة وحبور : لكن هذه التكنولوجيا الحشرية جد بدائية ٠٠ ونقول : لكنها فعالة ، وتقود الى الغرض، وتخدم الهدف ، ثم انها لا تتعطل ولا تفسد ، كما انها لا تحتاج الى قطع غيار ، ولا الى ورش صيانة ولا عملة صعبة ٠٠ الخ ٠

وتكنولوجيا في عالم الحشرات ، خير من عشرة في أفواه الناس ، فما اكثر ما يرددون ، وما اقل ما يفعلون ، وما اعظم غرور البشر ، والغرور قتال لو كنتم تعلمون « وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون » ٠٠ صدق الله العظيم ٠

قرى ومستعمرات مختلفة الاحجام انتشرت على مساحات واسعة ... ولاحظ البروزات والاخاديد في المستعمرة الامامية ... انما هي هندسات تتوقف عليها حياة او موت السكان

○ ○ ○
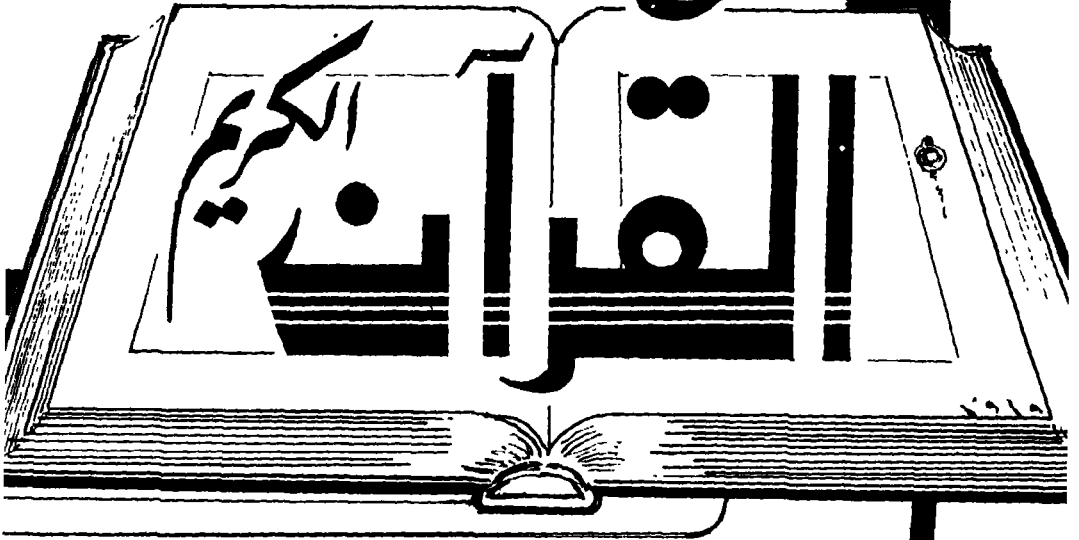
للقرآن الكريم منهج فريد في معالجة المشـــاكل التي يتعرض لها ، وتفرده بهذا المنهج يرجع أساسا الى أنه ليس كتابا عاديا مؤلفا على نمط مـــا يؤلف البشر ، وانما هو كتاب تشريع وهدايـــــة وتوجيه وارشاد ، وفي سبيل بيان ما يهدف اليه من المســائل التي يتناولها ، يستعمل الاســـاليب المختلفة التي تتناسب مع استعداد المخاطبين ، فتـــارة يستعمل المنهج التاريخي في سرد قصص السابقين ، وأخرى يستعمل المنهج العقلي الصارم الذي لا يمكن للعقــل أن يفر من الاذعان لمقتضاه ، وثالثة يستعمل منهــج التأمل والنظر في الآفاق والنفس ٠٠ الخ ٠

○ ○

في بناء العقيدة

للدكتور :
محمد عبد الستار نصار
الاستاذ المساعد بكليتي التربية
الدوحة ـ قطر

ونستطيع أن نقول : ان المنهج الذي اتخذه القرآن الكريم وهو بصدد بناء أصول العقيدة ـ عقيدة الالوهية وما يتفرع عنها ـ كان منهجا مزدوجا ، وأعني بالازدواج انه ذو وجهين أحدهما للهدم والآخر للبناء ، والقرآن الكريم باتخاذه هذا المنهج يكون متمشيا مع طبائع الاشياء ، لان العقيدة الجديدة التي يريد قيامها في نفوس اتباعه ، لابد أن تقوم على أساس سليم نظيف ، ولن يتأتى ذلك ما لم يبين ضلال ما كان عليه الآباء والاجداد من العقائد الباطلة .

فأما الوجه الاول ـ وجه الهدم ـ فقد كشف فيه القرآن عن بطلان العقائد، التي كان عليها القوم من عبادة غير الله من الاصنام والطواغيت ، فناقش معتنقيها مناقشة عقلية صارمة كشفت عن دقة هذا المنهج وعمقه ، وانتهى من هذه المناقشة الى : أن أصحاب هذه العقائد الموروثة التي لم تقم على أساس سليم لم يكونوا من ذوي العقول ، حين اعتقدوا صحة هذه العقائد الضالة فنراه يناقش الدهريين أو الطبيعيين الذين ينسبون كل ما يحدث في الكون الى الدهر أو الطبيعة ، ويبين أن قولهم هذا ليس الا ظنا ، وان الظن لا يغني من الحق شيئا ، قال سبحانه مصورا هذا الموقف : وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » الجاثية : ٢٤ ، وكفى بالظن منهجا لا يوثق به في مجال لا يكفي فيه الا اليقين ان عقيدة الالوهية هي أساس جميع العقائد الايمانية واثباتها أو نفيها لا

منهج القرآن الكريم كشف القرآن عن

يصدق الا بدليل معقول ، ومن ثم كان قول هؤلاء قولا بلا علم ، ومظهر هذا : أن حكمهم بأن الدهر أو الطبيعة هي المتصرفة فيهم بالحياة أو الموت ، فيه اعتراف باعطاء هذه الطبيعة سلطة التصرف في الاحياء ، وكيف يصح هذا في نظر العقل الصحيح ، والطبيعة (١) نفسها مقهورة لقوة أكبر منها ، واذن فحكمهم هذا حكم بلا علم ·

وفي مقام محاجة منكري « البعث » يسوق القرآن الكريم امام أنظار هؤلاء قياسا عقليا صارما ، بحيث لا يمكن الفكاك من الاذعان له ، ويبين ان استبعادهم اعادة الانسان مرة ثانية ، لم ينشأ الا من قصورهم عن ادراك القدرة الالهية الصالحة للتاثير في مقدوراتها في كل وقت ، كما يكشف لهم ان الذي خلق الاشياء ابتداء من العدم المحض، قادر على اعادة الانسان وبعثه ، بل ان ذلك في نظر العقل أهون ، قال سبحانه، مصورا موقف المنكرين : « قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم. انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون يس : ٧٨ـ٨٢ ، ففي هذه الآيات يلفت القرآن الانظار الى قياس البعث على النشأة الاولى ، وهذا ما صرح به ايضا في قوله ـ « كما بدأكم تعودون » الاعراف : ٢٩ ، وقوله : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » الروم : ٢٧ ،

وفيها أيضا يبين ان الذي خرج الشيء من ضده ـ الذي يخرج النار الحارة من الشجر الاخضر الرطب ـ والذي خلق السموات والارض هو نفسه الحق سبحانه وتعالى ، يقدر على اعادة الانسان مرة ثانية ·

وفي نقاشه مع اليهود والنصارى ، يبين أن قول هؤلاء وأولئك قول الكافرين، بعد أن فسدت فطرتهم وتعطلت عقولهم ، فوصفوا الله سبحانه ، بما لا يليق بذاته من نسبة الولد له أو التعدد في ذاته ، فقال ـ في حق النصارى الذين قالوا : بأن المسيح هو الاله ـ مبينا أنه ليس الا عبدا من عباد الله ، انعم عليه وجعله مثلا لبني اسرائيل : ـ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار » المائدة : ٧٢ ، ثم يقول في حق القائلين بالتثليث « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ، افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ، ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون » المائدة : ٧٣ـ٧٥ ، ففي هذه الآيات بيان لخطأ هؤلاء وأولئك وكلا الفريقين كافر لان الادلة الواضحة قامت على خلاف ما يعتقد ، ولكنه ابى أن يخضع لمقتضى هذه الادلة وسار وراء أوهامه ، ولم لا

بطلان عبادة غير الله وناقش معتنقيها مناقشة علمية صارمة

يكون واهما من اعتقد أن المسيح ذلك الكائن البشري ـ قد حاز كل صفات الالوهية حتى أصبح هو الله ، لقد كان حسبهم قولة المسيح بانه مربوب لله ولكن أنى لهم ذلك وقد صمت آذانهم عن سماع الحق وعميت أبصارهم عن رؤيته ، فحق عليهم ان ينالوا وصف الكفر ، ثم ان القائلين بالتثليث لم يقم قولهم على اساس صحيح ، لذا نرى القرآن يقرر الالوهية لله الحق وحده ، وذلك بأسلوب القصر : « وما من اله الا اله واحد » • ثم يستعمل التهديد والوعيد ، وما ذلك الا لشناعة ما يقولون ، ثم يقرر ان المسيح ليس الا بشرا رسولا ، قد خلت من قبله الرسل ، واذن فكلام هؤلاء ليس كلاما معقولا ، بل هو دعوى خالية عن دليلها ، بل ان العكس هو الصحيح ، فبشرية عيسى ماثلة أمام الاعين ، ووحدانية الله سبحانه وتعالى قامت عليها الادلة المقررة •

وفي شأن اليهود يبين أنهم من ذوي الطبيعة الملتوية ، وأن عقيدتهم كانت امتدادا لطبيعتهم ، لقد كانوا يستفتحون على الكافرين بأن نبيا سيجيء في آخر الزمان يصدق ما معهم من التوراة ، فلما أذن الله بمجيء هذا النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، تنكروا له وكفروا به ولم يصدقوا بما جاء في القرآن الكريم ، ، قال سبحانه : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » البقرة : ٨٩ •

ترى •• أيمكن أن يكون هناك أسلوب أكثر افحاما من هذا يؤاخذ القائل بقوله ، ان استفتاحهم على الكافرين أولا ، بعد اعترافهم بأن نبيا سيجيء ـ مصدقا لما معهم ـ ثم انكارهم لذلك ثانيا ، لاكبر دليل على عدم ثبات هؤلاء أمام الدليل الصحيح الواضح •

وحديث القرآن الكريم مع بني اسرائيل طويل ومناقشته لهم مناقشة صارمة تتناسب مع مقتضى طبيعة هؤلاء ، وتكشف عن سوء عقيدتهم ، ويكفي أن نذكر آية واحدة لها دلالة واضحة على طبيعتهم المادية ، حيث عبر القرآن عنهم بأن قلوبهم قد أشربت حب عبادة الماديات المتمثلة في « العجل » ، وانه اذا كان هذا منطق ايمانهم فبئس هذا الايمان : « وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » البقرة : ٩٣ •

وهكذا يمضي القرآن الكريم في هدم العقائد الضالة في كل مقاماتها ، ومع كل فريق بأسلوب عقلي مفحم ، وقصده من ذلك كله تهيئة النفوس لتلقي العقيدة الصحيحة ، وذلك بالوجه الثاني من وجهي منهجه المزدوج •

واما الوجه الثاني ـ وجه البناء ـ فقد اتخذ القرآن الكريم فيه منهجا شموليا ، لمس كل منافذ المعرفة الانسانية من حسية وعقلية وبصرية ، وركز بشكل ظاهر على الناحية المادية الواقعية الماثلة في الواقع المشاهد ولفت الانظار الى اعتبارها آثارا لقدرة عليا وقوة باهرة .وكان القرآن الكريم في هذا المقام قد أراد ان يقول لكل ذي بصر : اذا كان القرآن هو كتاب الله المسطور فان الكون هو كتابه المنظور ، وكلاهما صنعة لا بد لها من صانع واذا كان العرب قد عجزوا عن مجاراة القرآن في بلاغته ونظمه ، وهم السادة في البلاغة والفصاحة ، فهم وغيرهم أيضا

منهج القرآن الكريم

لها عليه حق الطاعة فيما أمرت ونهت

عاجزون عن أن يخلقوا مثل هذا الكون ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، واذن فهو أثر لقوة غير منظورة تتخطى حدود الزمان والمكان ٠

ويلاحظ ان القرآن هنا قد لمس الفطرة الانسانية واستثارها بقوة ، لذا نراه يعدد اسلوب التوجيه الى النظر في خلق السموات والارض ، فتارة يجيء بصيغة العرض ، مثل قوله تعالى : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت » الغاشية : ١٧ـ٢٠ ٠ ثم يعقب على هذه الآيات بقوله : « فذكر انما أنت مذكر » الغاشية : ٢١ ٠ كأن هذه الآية بيان لمهمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، اشارة لما كان قد اعترف به الانسان وهو في عالم « الذر » قبل أن يجيء الى هذا العالم المادي ، يوم أخذ الله منه العهد والميثاق بانه خالقه وربه ومعبوده ، فاقر واعترف على ما تصوره الآية الكريمة : «واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ، الست بربكم قالوا بلى شهدنا » الاعراف : ١٧٢ ٠

ثم ان العقل المتحرر من ربقة التقليد والهوى ، عندما يرى اثرا بديعا أمامه ، ماذا يمكن ان يفيده هذا الاثر من دلالة على المؤثر ٠٠ ؟ اعتقد ان الربط بين وجود الاثر والمؤثر أمر يفرضه العقل الفطري ، ثم ان القرآن الكريم لم يقف عند مجرد تصوير المسالة من جانبها الذهني فحسب ، بل تجاوز ذلك الى بيان ان الاثر مشتمل على دلالات أعمق في المؤثر تدل على مدى عنايته بصنعته أنظر الى قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » الانعام:٥٩ وقوله : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » يس : ٣٧ـ٤٠ ٠ ترى في هذه الآيات دلالة واضحة على ان هذا العالم علويه وسفليه ليس مخلوقا لخالق فحسب ، وانما هو بجانب ذلك معني به اشد العناية من جهة خالقه ٠

لقد قرر علماء الفلك ان مدارات الكواكب اشد الاشياء تعقيدا وتداخلا ، ولو ان كوكبا واحدا تقدم او تاخر في سيره لحظة واحدة قبل ميعاده المرسوم لارتطمت الكواكب وفسد الكون ، ووجود الكون على هذا النسق البديع دليل على عناية الخالق سبحانه وتعالى به ٠

حتى اذا أشبع القرآن مسألة لفت الانظار الى ما في الكون من دقة ونظام عن طريق الحس بالنظر والتامل ، وهو أمر يشترك فيه البدوي والحضري ، والجاهل والمتعلم ، كل على قدر احساسه ٠

ينتقل بعد ذلك نقلة عقلية صرفة ليناقش المعاندين المتمسكين بشبهات عقلية ، من ذلك قوله تعالى « أم خلقوا

الإنسان ذاته لعرف أنه أثر لقوة عليا

وواجب العمل في حدود ما شرعت

من غير شيء أم هم الخالقون » الطور : ٣٥ · ففي هذه الآية ترديد مفترض بين الخلق بالصدفة ، أو خلق البشر لانفسهم ، والافتراض الاول مرفوض خضوعا لنظرية الاسباب والمسببات ، والثاني أيضا مرفوض لانهم لم يشهدوا خلق أنفسهم ، وهم عاجزون عن ذلك فضلا عن غيرهم ، فلم يبق حينئذ الا الاقرار بالخالق سبحانه وتعالى ، وأنه وحده المستحق للعبادة ·

ومن هذا الباب قوله سبحانه : « افرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » الواقعة : ٥٨ـ٥٩ · ففيها ترديد بين أن يكون الانسان خالقا لبدنه ، او الاعتراف بوجود خالق مدبر ، واذا كان الاول غير صحيح فلم يبق الا الاقرار بان ذلك عن فعل قادر حكيم ، والايات في هذا المقام كثيرة ، وليس ما سقناه الا امثلة ، والقرآن مليء بالمجادلات العقلية الصارمة التي تفحم الخصوم في كل مقام بمنهج يخضع له العقل السليم ·

ثم يهدينا القرآن الكريم الى حقيقة كبرى ، وهي النظر في النفس والتأمل في أطوار خلق الله لنا ، مثل قوله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » الذاريات : ٢١ · وقوله : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك » الانفطار : ٦ـ٨ · ان الانسان هو سر الله الاعظم ، وهو على صغر حجمه مقيس الى كثير من المخلوقات الاخرى ، الا أنه منتهى عظمة الخالق وقد صدق من قال :

وتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

أجل ·· ان الانسان هو المركب العجيب ، الذي امتزجت فيه المادة بالروح ، والفرح بالحزن ، والامل باليأس ، والعلم بالجهل الى اخر المتقابلات ، ولو تأمل الانسان ذاته لرجع من رحلته قرير العين ، بأنه أثر لقوة عليا لها عليه حق الطاعة فيما أمرت ونهت ، وعليه هو واجب العمل في حدود ما شرعت ·

وبعد : فقد كانت رحلة القرآن الكريم في بناء أسس العقيدة رحلة مستوعبة ، اتصلت بفطرة الانسان لان خالق الانسان هو الذي تحدث في القرآن الى الانسان ، واحسب ان المناهج الملتوية التي اشربتها بعض النفوس بعد انبهارها بالثقافات الواردة ، قد حجبت هؤلاء عن الرؤية الصحيحة التي أعطانا اياها القرآن الكريم في هذا السبيل ، تلك الرؤية التي التقت الى أبعد حد مع من قال : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ·

١ ـ يطلق الدهريون او الماديون لفظ «الطبيعة» على ناموس الكون ونظامه وانتظامه ، وتسلسل مخلوقاته وما انبث في هذه المخلوقات من طاقات، وسر خطاهم في هذا الاطلاق ، اعطاء قدرة التنظيم والتنسيق للصدفة التي ولدت قوانين الطبيعة ثم وصفها بعد ذلك بشيء من الدقة والمفاضلة بين الحسن والاحسن ، بما يسمونه الانتخاب ثم التسامي في درجات الوجود ، وكان اولى بهم من هذا اللف والدوران أن يؤمنوا بالحق الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى ·

« المجلة »

دور الإسلام في النظام التعليمي

أخذ الاسلام بأيدى معتنقيه ومريديه الى رحاب الكون الفسيحة ، والى ملكوت الله الواسع وحملهم على وجوب التأمل في خلق السموات والارض وما بث فيهما من خلائق وعجائب ، ودربهم على التحقيق والتدقيق في الامور كلها ، وارشدهم الى وجوب التثبت في كل شيء ، وذلك عن طريق المشاهدة والملاحظة والتجارب تمهيدا لاصدار الحكم وبلوغ الحقائق ، بمثل قول الرسول الكريم عليه السلام : على مثل الشمس فاشهد أولا ٠

○○

وقد تحقق هذا النهج في ميدان التربية ومجال التعليم وافاق المعرفه، فاذا بالمسلمين يتبوأون قيادة العالم الفكرية ويكونون الورثة لجميع الثقافات والحضارات التي عرفتها الانسانية عند ظهور الاسلام ٠

مقومات الحضارة الاسلامية :

استطاعت الحضارة الاسلامية بما تملك من أسباب النماء والبقاء ان تجمع بين دعائم الايمان الذي هو اساس الوجود الانساني ، وبين الطابع العلمي التجريبي الذي أخذ نصيبه كاملا في ظل سيادة الاسلام، بحيث يمكن اعتبار الحضارة الاسلاميه بحق رأس المنزع العلمي التجريبي في الحضارة العالمية ٠

يقول المؤرخ سيديو ، وهو يتحدث عن بيت الحكمة في بغداد . « ان الذي يميز مدرسة بغداد هو الروح العلميه التي تهيمن على كل اعمالها ، فالسير من المعلوم الى المجهول وادراك الظواهر ادراكا دقيقا، والانتقال من النتائج الى الاسباب، ورفض كل مالم تبرهن عليه التجربة ، تلكم هي المبادىء التي علمنا اياها الاساتيذ العرب. لقد كان عرب القرن التاسع يملكون تلك الطريقة التي غدت فيما بعد بايدى العلماء المحدثين اداة لاكتشافاتهم الكبرى » ويشير المستشرق جيب الى هذا فيقول: « ان تركيز الفكر على الحوادث الفردية أتاح لعلماء المسلمين ان يمضوا بالطريقة التجريبية الى مدى ابعد بكثير ممن سبقهم من علماء اليونان والاسكندرية ، انهم الاصل في ادخال الطريقة التجريبية او احيائها في اوربا في العصر الوسيط » ٠

حضاريًا وعالميًا

للاستاذ
عدنان سعد الدين
مسئول المناهج والكتب المدرسية
بوزارة التربية والتعليم

الحضارة العالمية وعلماء المسلمين:

برز في تاريخ الحضارة الاسلامية جهابذة كبار وعلماء فحول جمعوا تراثا ضخما أيقظوا به العالم من سباته ، ووضعوا له أساس نهضته العلميـة ٠

من هؤلاء العلماء الحسن بن الهيثم. الذي توافرت له مميزات التفكير العلمي الصحيح وعناصره الاصلية كالاستقراء والقياس والاعتماد على المشاهدة والتجربة والتمثيل وغيره ، وانه سبق بيكـون طريقـه الاستقرائية ، يقول الاستاذ مصطفى نظيف عن ابن الهيثم انه قد عمـق تفكيره وأدرك ما قال من بعده ماك وكارل بيرسون وغيرهما من فلاسفة العالم المحدثين في القرن العشرين ٠ ذلك ان ابن الهيثم لا يعتمـد على التجربة في اثبات القواعد والقوانين الاساسية فحسب ، بل يعتمد عليها ايضا في اثبات النتائج التي تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك القواعد والقوانين ٠

ومن هؤلاء العلماء في الفلك البتاني صاحب حساب المثلثات ، وهو الذي يضعه لالاند بين العشرين الشهيرين من علماء العالم في الفلك . وكذلك ابو الوفاء الذي سبـق العالم الدانماركي «تيخوبراهي» في اكتشاف طواهر القمر ، وكذا البيروني في علم الميكانيكا ، وفي العلوم والرياضيات ، جابر بن حيان وابو بكر الخوارزمي ، وفي الطب الرازي وابو القاسم خلف بن عباس وابن زهر الاندلسي وابن رشد وعلي بن عيسى وابن نفيس الدمشقي ، وفي الجغرافيـا الاسطخري والمسعودي والادريسي والبيروني وابن خرداذبة وابن بطوطة وابن جبير وابن حوقل ، وغير هؤلاء كثيرون من كبار العلماء في كل علم وفن نشأوا في ظـل الاسلام ، وقدموا للانسانية تراثا علميا تليـدا ٠

ازدهـار العلـوم وتصنيفهـا :

أبدع علماء المسلمين في كل علم وفن ، وازدهرت جميع الفروع على ايديهم ونمت نموا مدهشا. فالتاريخ كما يقول المقريزي اجل العلوم قدرا واشرفها عند العقـلاء مكانة وخطرا .لما تحويه من المـواعظ والانذار بالحياة الاخرة . والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتدى بها . واستعـلام مذام الفعال ليرغب عنها ذوو النهـى ، والمنطق كما يقول الفارابي آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، وتقوم العقل . وتسدد الانسان نحو طريق الصواب ، اما الحساب فهو من احسـن التعليم في الابتداء لانه معارف متضحة ، وبراهين منتظمة ، فينشأ ـ كما يقول ابن خلدون ـ عنها في الغالب عقل مضيء درب على الصـواب ٠

وهكـذا نـرى لعلمـاء المسلمـين رأيا واجتهادا في كل فروع المعرفة وابواب العلم ، وهؤلاء العلماء لم يتركوا هـذه العلوم مشتتة مبعثرة، بل صنفوها ونسقوا فيما بينها. وتكلموا عن طبيعتها ووظائفها وفروعها ، وما يجمع بين كل علم وآخر ٠٠ الى اخر هذه البحوث والدراسات المفيدة ، ومن ذلك ما جاء به الفارابي في تصنيف

دور الاسلام في النظام التعليمي ● المسلمون عرفوا المنهج

العلوم الى خمسة فصول :
١ ـ في علم اللسان واجزائه .
٢ ـ في علم المنطق واجزائه .
٣ ـ في علوم التعليم وهي الهندسة والحساب والنجوم والموسيقى .
٤ ـ في العلم الطبيعي واجزائه ، وفي العلم الالهي واجزائه .
٥ ـ في العلم المدني واجزائه ، وفي علم الفقه وعلم الكلام .

وقسم اخوان الصفا العلوم الى اربعة اقسام: الهية ورياضية وطبيعية ونفسانية، اما ابن حزم فله دراسة في مراتب العلوم وكيفية طلبها ، وقد احصى الفخر الرازي في كتابه (حدائق الانوار فيحقائق الاسرار) العلوم الانسانية وابلغها ستين علما .

الموسوعات العلمية :

تطورت البحوث العلمية واتسعت حتى استحالت الى موسوعات علمية ضخمة ، تضم الواحدة منها عشرات المجلدات في كل علم وفن واختصاص ، وخاصة كتب الفقه والتاريخ والتفسير واللغة وغيرها ، وما نقرأه في كتاب كشف الظنون وامثاله عن هذه المجلدات والكتبوالموسوعات ـ بالرغم من أن معظمها قد فقد في ايام التتار والصليبيين والنكبات التي حلت بالمسلمين ـ ليدل على جهد كبير يفوق كل تقدير ، ولقد عرف الغربيون عن المسلمين هذا الاسلوب واستفادوا منه في كتابةالموسوعات العلمية التي ظهرت في البلاد الاوربية فيما بعد .

وكمثل هذه الموسوعات العظيمة كتاب الحاوى وتاريخ ابن عساكر .

فالحاوى الكبير كتاب في الفقه وضعه القاضي الماوردى في القرن الخامس الهجري ، يقع في عشرات المجلدات ، لم يؤلف في مثله . يغني الباحث عن جهود كثيرة واوقاف طويلة ، لانه جمع له المسائل المختلفة واراء الائمة بحيث يستطيع ان يبلغ منها في أبحاثه ما يريد .

اما تاريخ دمشق لابن عساكر ، فانه يقع في ثمانين مجلدا تحتوى على تراجم الاعيان والرواة ومروياتهم ، على نسق تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، لكنه اعظم منه حجما ، قال ابن خلكان . ماأظن ان ابن عساكر الا عزم على وضع هذا الكتاب من يوم عقل ، والا فالعمر يقصر عن ان يجمع الانسان مثل هذا الكتاب .

الحلقات العلمية :

كانت الحلقات العلمية تتسع بشكل عجيب ، وربما بلغ عدد الطلاب الالوف فيضطر الشيخ لان يستعين بالمبلغين عنه والمستملين منه ، وقد وردت روايات مثيرة عن كثرة طلاب بعض الشيوخ الاجلاء . فقد ذكر ابن السمعاني ان طلاب يزيد بن هارون كانوا سبعين الفا ، كما بلغ مجلس عاصم بن على بن عاصم مائة وعشرين الفا ، وكان يجتمع على البخاري كما روى صالح بن محمد اكثر من عشرين الفا ، ويعلق ابن السمعاني صاحب كتاب أدب الاملاء والاستملاء على هذا الاقبال على مجالس العلم فيقول : رحم الله السلف الماضين ، كان العلم مطلوبا في زمانهم . والرغبات متوافرة والجموع متكاثرة ●

● ان هذه الاعداد التي ذكرها الباحث الفاضل ليس بلازم ان يكون اخذها مباشرا فعلها اخذت بالواسطة والا فالاداء الى هذه الاعداد مستحيل عقلا وعرفا .

المجلة

أثر الحضارة الاسلامية فيالغرب :

ان أبحاث المسلمين التجريبية هي التي كانت السبب في يقظة الغرب ، وان علومهم هذه درست في الجامعات الاوربية منذ

التربوي بين الثقافة الإنسانية والروحية والثقافة العلمية التجريبية

القرن الثاني عشر الميلادي ، وان الملوك الاوربيين جمعوا علوم العرب وكتبهم ومخطوطاتهم واشاعوها في الجامعات الغربية ٠

فالمسلمون حفظوا تراث الحضارة اليونانية والرومانية والهندية وغيرها ، طوروها واضافوا عليها مجهودهم وابتكاراتهم ، واتاحوا للاوربيين ان يبدأوا النهضة الحديثة بفضل جهود المسلمين ، وحسبنا ان نعلم ان المسلمين هم الذين عرفوا ذلك المزج التربوي الرائع بين الثقافة الانسانية والروحية وبين الثقافة العلمية التجريبية ، وأنهم بذلك وضعوا العلوم المختلفة في مكانها الصحيح ، وبينوا اهميتها العلمية والتربوية المتكاملة ٠

مفاهيم التربية عند الشعوب :

والآن ٠٠ وبعد هذا العرض الموجز لاساس ومبادىء واهداف التربية الاسلامية، ومعطياتها ، آن أوان الاجابة على الاسئلة التي وردت في مقدمة هذه الدراسة وهي :

١ ـ هل استطاعت التربية ان تحقق اهدافها وان تبلغ غاياتها ، سواء في الازمنة الغابرة ام في الايام الحاضرة ؟ ٠

٢ ـ وهل استطاعت التربية ان تثبت صدق فلسفتها وصائب نظرتها ؟ ٠

٣ ـ واذا كانت المقدمات بنتائجها والامور بغواتيمها ، فما هي ثمرات هذه التربية في اعداد الفرد ، وفي تنظيم المجتمع ؟ ٠

لننظر في عجالة بالمبادىء التي استمدت منها التربية وجودها او اقامت عليها بناءها في قديم الزمان وحاضره ٠

كانت التربية في نظر البراهمة والعبريين والصينيين والاشوريين والفرس ، تنظر الى كون المجتمع فئات وطبقات ، وانه سادة وعبيد ، فكان الكهنة هم المحتكرون للتعليم والمسيطرون على شؤونه ، وكان التعليم يقتصر على أمور محددة ، وعلى أفكار ضيقة ، وكان الولاء في هذه المجتمعات ونظرات التقديس للملوك وكأنهم آلهة او ممثلون للآلهة في هذه الحضارات التي يغلب عليها الطابع الوثني ، كما كانت المرأة متاعا لا شأن لها بأمور الحياة في هذه المجتمعات ، ولا حق لها بالتعليم ، وعليها ان تنفذ ما يصدر لها من أمر ٠

واما اليونان ، فكانت التربية لديهم ارستقراطية محصورة في أقلية ضئيلة ، وكان مفكروهم يؤكدون على طبقية المجتمع، لتبقى الكثرة من العبيد في خدمة القلة من السادة ، وذلك بالرغم من ان اليونان عنوا بالفضائل الخلقية واهتموا بها في تعليمهم٠

وكانت التربيه عند الرومان في جملتها نفعية خالصة ، اقتصرت على فئة قليلة ، واكتفت بتعليم الطقوس ، واعداد الفرد للاعمال الضرورية كالزراعة وصناعة الحرب، وهي وان كان لها اهتمام بالفضائل والاخلاق ، ولكن بدرجة اقل مما كان عليه اليونان ٠ وعندما ظهرت النصرانية سيطر رجال الكنيسة على شؤون التعليم ، وعلى كل ماله صلة بالفكر والعقيدة والعمل ، فما يراه هؤلاء صوابا ونافعا ينظر الناس فيه ، وما يرونه غير ذلك يجتنبونه ويبتعدون عنه ٠ وفي العموم سادت في العصر الوسيط تربية قاسية زجرية أخضعت الانسان ـ والطفل خصوصا ـ لنظام مرهق ، وقيدت الفكر بقيود ثقيلة ٠

وفي العصر الحديث اتسع مفهوم التربية، واخذ مسارا يتلخص في خطوط اهمها :

نمو مفاهيم التربية ليصبح التعليم جزءا منها ، والاستفادة من علم النفس التعليمي في دراسة مراحل نمو الطفل ، واهم خصائصه النفسية ، وجعل الطفل محورا للتعليم ، والنظر الى الانسان على اعتباره حرا مستقلا ، مع توفير البيئة الملائمة له ، واشاعة جو من الشفقة بينه

دور الإسلام في النظام التعليمي

وبين معلمه وزملائه ... الخ .

أسس التعليم في العصور القديمة والوسيطة :

اعتمد التعليم في العصور القديمة على نظرات وفلسفات أكدت على جملة مبادىء ومفاهيم أهمها :

١ ـ الشك في طبيعة الانسان ، والنظرة التشاؤمية له .

٢ ـ الناس فئات وطبقات ، والقلة من السادة تحكم وتهيمن على الكثرة من العبيد ، وهذه القلة تتمتع بالحقوق جميعها ، وتحتكر الامتيازات كلها ، ومنها التعليم ، وعلى طبقة العبيد ان تبقى في خدمة السادة وان تظل في بحر لجي من الجهالة والامية .

٣ ـ المرأة انسان ضعيف لا حق له بالمشاركة في شؤون الحياة ، وليس لها ان تهتم بالتعليم .

٤ ـ اعداد الناس لبعض الاعمال اللازمة للمجتمع كالزراعة والحرب وبعض الحرف ، ومن خلال هذه الآراء ، وكثمرة لها ، امتلأت النفوس الجهل ، وطفحت القلوب بالحقد ، وغرق المجتمع بالخرافات ، وتمزقت الجموع البشرية شر تمزق .

أسس التعليم في العصر الحديث :

أما التعليم الحديث فقد استمد وجوده من آراء وافكار وايدلوجيات نظرت الى الانسان نظرة تميزت بأمور منها :

١ ـ حرية الانسان واحترامه .

٢ ـ مشاركة المرأة في شؤون الحياة .

٣ ـ حق الانسان في التعليم .

٤ ـ مراعاة نفسية الانسان وميوله ، واعتباره محورا للتعليم .

٥ ـ نمو النظرة او الفكرة الانسانية ، وتجاوز الحدود الضيقة التي كانت محصورة في القبيلة والشعب والوطن .. الخ .

فكان من جراء ذلك ان انتشر التعليم ، وازدهرت المعرفة ، ونادي الناس بديمقراطية التعليم واستمراريته والزاميته للرجال وللنساء .

ولكن هل أدى التعليم الحديث وظيفته وحقق غايته ؟ الاجابة على ذلك نتلقاها من الحياة العملية ، ومن الواقع المحسوس ، لنلحظ أمورا هامة وخطيرة :

أولا : ان الفكرة الانسانية ظلت نظرية دون ان تتحول الى واقع عملي ، وان التعليم لم يستطع ان يقضي على الفروق العرقية والطبقية في المجتمعات المتطورة ، بل ظل التمييز قائما بين الانسان والانسان على اساس اللون كما هو الحال في امريكا ، وبين المواطن والمواطن على اساس العرق كما هو الحال في الاتحاد السوفيتي .

ثانيا : ان المنفعة ما تزال هي المحرك الاساسي للتعليم الحديث كما كانت في التعليم القديم مع تغير الصيغة فقط . مما أوحت به النظريات والفلسفات التي ما يزال الناس يعيشون تحت تأثيرها مثل البراجماتيزم .

ثالثا : ان النظرة الفوقية مازالت قائمة ضمنا ومرعية فعلا في التفكير الغربي وفي الاوساط الاوربية بالرغم من هزيمة المانيا وايطاليا وفشل نظرياتهما العرقية .

رابعا : ضعف البنيان الاخلاقي في روح التعليم الحديث وانظمته ، مما أشاع روح التحلل واللامبالاة وحياة التبذل ، وجعل ذلك طابع العصر كله ، وخاصة في محيط المرأة .

خامسا : اسقاط الجانب الروحي أو اهماله بشكل مروع في الاوساط التعليمية الحديثة ، والاهتمام بجسد الانسان وفكره دون غيرهما ، مما رد الانسانية رغم تفوقها العلمي الى وثنية جديدة ، ألهت فيها الخمرة والمنفعة والجنس ، فأورث ذلك كله الانسان سأما كبيرا ، وتبرما بالحياة

خطيرا ، وحمله على التماس الدواء لازمته النفسية في كهوف ومعابدالديانات القديمة في بلاد الشرق ، بعد هذا الافلاس الروحي الذي انتهت التربية الحديثة بالانسان اليه ٠

المسلمون والتربية الحديثة :

وبدلا من أن يمد المسلمون ايديهم للانسانية لينقذوها من هذه الهوة التي تردت فيها ، وعوضا من ان يتمدموا نهـا بالعلاج الشافي والدواء الناجع ، طرحوا سر الحياة من أيديهم ، وهرعوا يلهثون وراء الغرب ، كما تركض القطعان الى حتفها وراء من يعلق الجرس ٠ ومن هنا حلت الكارثة في الامة الاسلامية، وانعكست آثار التعليم الغربي على المسلمين رجالا ونساء ، فرادي وجماعات ، فأصبحوا أمة بلا هوية ، يعيشون على الفتات ، وكنوزهم ملء الوجود ، يقلدون كالقردة بعد أن كانوا بالحكمة ينطقون، لايثقون بأنفسهم، يشربون السم ويحسبونه العلاج طالما انه من أيد أوربية ، فاذا بهم أهون الناس على الناس ، وأقل أهل الارض شأنا وأضعفهم جانبا وأذلهم مكانة ٠

محمد اقبال والتعليم الحديث :

خاض اقبال غمار التعليم الحديث الى نهايته ، وغاص به الى قرارته ، فعاد الى المسلمين من اوروبا وقد امتلأرعبا ٠ ترك المدرسة الحديثة وهو يقول . لم أجد فيها الحياة ولا الحب ولا الحكمة ولا البصيرة ، ونظر بعين دامعة لمدارس المسلمين فوجدها فقيرة لا تملك غذاء القلب ولا تحمل رسالة الحب ، قد طغى عليها التقليد ، فعاد يشكو منولاة التعليم الحديثويتهمهم بأنهم يربون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور ٠

ويلتفت اقبال الى مسلمي هذا العصر فيقول متسائلا : من الغريب ان من اقتض اشعة الشمس لم يعرف كيف ينير ليلة وكيف يصبح ، وان من بحث عن مسالك النجوم وطرقها لم يستطع انيسافر في بيداء أفكاره ، ومن عكف على الالغاز

هل أدى التعليم الحديث وظيفته وحقق غايته ؟

يحلها ويشرحها لم يستطع ان يميز النفع من الضرر ٠

ان الرجال الذين كانوا يستطيعون ان يكونوا أئمة زمانهم اصبحت عقولهم باليه٠ ثم يستبد الحزن باقبال فيخاطب الشاب المسلم بقوله : اني أكاد أبكي دما اذ رأيتك في هذا الترف والبذخ ، لاخير فيك ولو أصبحت ملك الدنيا مادمت متجردا من قوة علي واستغناء سلمان ٠ ويحذر اقبال المسلمين من تقليد الغربيين فيقول : أيها المسلم . لا تعطل شخصيتك بالتقليد الاعمى ، واحتفظ بكرامتك فانها الجوهر الفرد ، ان أولئك الذين كانوا يستطيعون ان يقودوا عصرهم أصبحوا يقلدونه ويعيشون وراءه ، اياك أيها المسلم ان تكون امنا من العلم الذي تدرسه ، فانه يستطيع ان يقتل أمة بأسرها ٠

اقبال والشباب المسلم :

وعندما يطوف اقبال في بعض البلاد الاسلامية ، ويرى كيف نخر الغرب في عظامها، وكيف قضى على مجدها وطموحها، وقتل الحياة في روحها قال : ان السجدة التي كانت تهتز لها روح الارض ، لقد طال عهد المحراب بها ، واشتاق اليها المسجد ، لم اسمع في مصر ولا في فلسطين ذلك الاذان الذي ارتعشت له الجبال

دور الاسلام في النظام التعليمي

بالامس . ثم يصف اقبال حال المسلمين باسلوب مؤثر حزين فيقول : ان الشباب المثقف فارغ الاكواب ، ظمآن الشفتين ، مصقول الوجه مظلم الروح ، مستنير العقل كليل البصر ، ضعيف اليقين كثير اليأس . هؤلاء الشباب ينكرون نفوسهم ويؤمنون بغيرهم . شباب ناعم يموت الامل في صدورهم . ان المدرسة قد نزعت منهم العاطفة الدينية ، واصبحوا في خبر كان . شغفتهم الحضارة الغربية فيمدون اكفهم الى الاجانب ليتصدقوا عليهم بخبز شعير . ويبيعون ارواحهم في ذلك . ان المعلم لا يعرف قيمتهم ، فلم يحترم شرفهم ، ولم يعرفهم بشخصيتهم . مؤمنون ولكن لا يعرفون سر الموت ، ولايدركون بانه لاغالب الا الله . يشترون من الفرنج اللات والعزى ومناة ، مسلمون ، لكن عقولهم تطوف حول الاصنام . عقول وقحة وقلوب قاسية وعيون لاتعف عن المحارم . وقلوب لا تذوب بالقوارع . لقد فقدوا سورة الحب الصادق ، ونزف منهم دم الحياة ، واصبحوا هيكلاً من عظام . لاروح فيه ولا دم . الصفوف رائعة والقلوب مضطربة ، والسجدة لالذة فيها لان القلب خال من الحنان .

أسباب انهيار نظامنا التعليمي :

ويرى ابو الحسن الندوى ان اسباب انهيار نظامنا التعليمي ووقوع الشرق الاسلامي في حضانة التربية العربية ونظمها التعليميه ومناهجها الفكرية وقيمها ومثلها العليا وتصورها للحياة وللانسان ، ونظرتها الى العلوم والاداب التي ولدت ونشات في بيئة تختلف كل الاختلاف عن العقائد والاسس والمبادىء والقيم والمفاهيم والمثل التي يؤمن بها المجتمع الاسلامي ، او يجب ان يؤمن بها ، ويعيش لها ، ويجاهد في سبيلها ، بل تقوم على نفيها وعلى هدمها والتهكم بها والاستهانة فيها . ثم يعقب الشيخ ابو الحسن الندوى منذرا من مغبة نظام التعليم الغربي فيقول : وفي هذا بلاغ لشباب المسلمين الذين خضعوا لنظام التربية الحديثة والفلسفات المادية التي حجبت عنهم شخصيتهم . وآفاق عالم الروح والقلب واعماق النفس البشرية ، ومرامي المؤمن القوى الطموح ، ولم تصور العالم الاسوق تجارة او مركز انتاج او حانوت خمر او بيت مقامرة ، او مكان تنافس وصراع في ساحات الاقتصاد والسياسة . وذلك مبلغهم من العلم .

متى وكيف يستانف الاسلام دوره في مجال التربيه والتعليم خاتمة :

واخيرا .... فاين طريق الخلاص لهذه الاجيال التائهه ، وكيف يمكن انقاذها من هذا الطغيان المادي الذي تخبط في لججه ؟ ومن هذه الفلسفات التي هبطت بالانسان الى هذا الدرك ، والتي جاءت بهذه الانظمة التعليميه ؟ . ومتى يمكن للتربيه الاسلاميه ان تاخذ دورها وتؤدي رسالتها وتحقق اهدافها وتبلغ غاياتها ؟ . ليس للمسلمين واجيالهم فحسب . بل وللبشرية قاطبه ، الم يكن هذا واضحا في رؤية اى فرد من افراد الجيل الاول وهو يضرب في الارض : كما يدل على ذلك موقف ربعي ابن عامر وهو يخاطب رستم : الله ابعثنا لنخرج من شاء من عبادة الناس الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام . واذن فلا مناص من ان يستانف الاسلام دوره في انقاذ الناس وتربية اجيالهم . وتقديم نظام تعليمي تشتد حاجة الانسان اليه كل يوم في جميع اصقاع الارض .

من يضطلع بهذا العبء ؟ :

ولكن هل بمستطاع فرد أن يقوم بهذا العبء ؟ وهل بمقدور لجنة ان تقوم للمسلمين اولا وللعالم كله ثانيا سياستها التربوية ونظامها التعليمي المنشود ؟ وقبل الاجابة على هذه التساؤلات علينا ان نعي تماما وندرك بعمق حدود وحجم نظام التعليم الاسلامي الذي نتطلع الى تطبيقه والالتزام به• واذا تجاوزنا التعريفات التقليدية للتربية مثل اعداد الفرد من نواحية الروحية والفكرية والجسمية ، او هي بحدود اضيق وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة ونقلها سليمة الى الاجيال القادمة ، او هي السعي الحثيث المتواصل يقوم به الآباء والمربون لتنشئة أبنائهم على الايمان والعقيدة التي يؤمنون بها مع الصلاحية الكافية للتقدم ، أقول اذا تجاوزنا مثل هذه التعريفات ، وأدركنا ان الاسلام يقدم نظاما كاملا في التربية والتعليم كفيلا باعداد الفرد وتنظيم المجتمع أمكننا ان نقول بصورة مبدئية بان التربية الاسلامية هي الكيفية التي يتم بها نقل الاسلام الى الطفل ، او هي الكيفيه التي يتم بها تلقين الطفل مبادىء الاسلام • او هي اعداد الطفل في مختلف مراحل نموه اعدادا اسلاميا كاملا • وهذا يجعلنا امام مهمه شاقه تحتاج الى فهم دقيق للاسلام ، ومعرفه عميقه بنفسيه الطفل ومراحل نموه لفترة طويلة ، والمام واسع لجميع الوسائل والطرق والادوات التي تعين على تنفيذ هذه التربية • وازعم ان شخصا او لجنة لاتستطيع ان تدرك هذا الهدف او تضطلع بهذا العبء مهما بلغ هذا الفرد او هذه اللجنة من سعة الاطلاع وعمق التفكير •

أكاديمية للتربية الاسلامية :

فلا مناص والحالة هذه من انشاء هيئة علمية او اكاديمية علميه خاصه بالتربيه الاسلاميه ، لها سكرتيريه دائمه • ذات استقلال مالي واداري ، وارتباط فني بالجامعه ، تتخذ مقرها في مكة او المدينه او في الطائف ، ويتفرغ لها نخبة من رجال الفكر وقادة التربية المسلمين ، لتعكف على جمع الموضوعات الخاصه بالتربيةالاسلاميه ونظام التعليم في الاسلام ، ولتلتقى فيها وتتجمع لديها الدراسات والبحوث ذات الصله بهذه الغايه ، والتي يسهم فيها المفكرون والفقهاء والمربون والعلماء في كل بقاع العالم ، لتقوم الاكاديميه بدراستها وتحليلها وتطويرها ، ثم عرضها على مؤتمر يعقد كل سنتين او ثلاث سنوات تمهيدا للوصول الى نظام اسلامي كامل في التعليم نمد به مدارسنا ومعاهدنا ومؤسساتنا التربوية ، ونبشر به في جميع المحافل الدولية ، شرقية وغربية ، كي يجد الانسان فيه ضالته ، ويلتمس به سبيل السعادة وطريق الخلاص •

مرحبا « بالضياء »

أصدرت ادارة الاوقاف والشئون الاسلامية في دبي بدولة الامارات العربية المتحدة « مجلة الضياء » وهي مجلة اسلامية ثقافية شهريةوخطوة جادة على طريق الصحافة الاسلامية وقد تضمنت المجلة في عددها الاول عددا من الموضوعات والبحوث الاسلامية التي تعالج كثيرا منمشكلات العالم الاسلامي باسلوب العصر • فمرحبا بالزميلة الجديدة والى الامام على طريق الهدى والخير والصلاح •

« منار الاسلام »
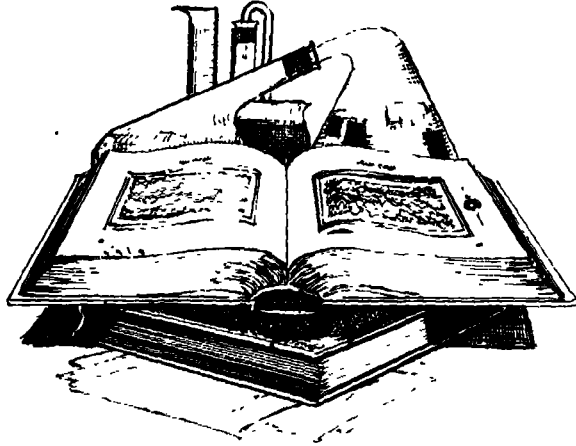
النيـــة والوجهـــة :

النية في الاسلام امر اساسي للعمل . ولا يقبل الله تعالى عملا ســاءت النية فيه، ولم يكن خالصا لوجهه الكريم، وهذا ينطبق على العلم والعمل والعبادة، وكل الوان النشاط التي يعتمدها الانسان . ولذلك قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » (١) . ولا خير في اى عمل لا تصدق فيه النية . وهو مرفوض اذا لم يقم على الايمان ويبتغى الانسان فيه رضا الله تعالى . وبذلك يسهم الانسان في بناء الحيـاة ويعمر دنياه ويسعد في اخراه و « الدنيا مزرعة الاخرة » .

لهذا الاسلوب آثار في العمل واعطـاء نوعية خاصة متميزة . فيوفر الاخلاص في العمل والصدق والاصالة فيه ، لا بدافع الخوف من المحاسبة او على المصلحة بـل للفوز برضا الله جلت قدرته . وهــذه المعاني تتاصل في مثل هذا الجو ولا يبقى فيه مجال للنفاق او السطحية او النفعية او الفقر والضآلة .

بل ان الاسلام حبذ التخفى في عمل الخير والبعد عن التظاهر الذي يفسده . ولذلك فقد امتدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « التقتى الخفي » . وجعـل الذي يفعل الخير ـ بعيدا عن الاضواء ـ مـع احد الاصناف السبعة الذين يجمعهم الله تعالى يوم القيامة . فيقول صلى الله عليه وسلم . « سبعة يظلهم الله في ظله يـوم لاظل الا ظله : الامام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله . ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات منصـب وجمال فقال : اني اخاف الله . ورجـل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله . ورجل ذكر الله خاليـا ففاضت عيناه » (٢) .

الاشارة في هذا الحديث الى الانسان من حيث هو ، وليست خاصة بالرجل في كـل الاحوال . وقد استعملت ـ على يبدو ـ من باب التعميم او التغليب . فقد قـال

الله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون» النحل ٩٧ وقوله تعالى · « فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر اواثنى بعضكم من بعض» آلعمران ١٩٥·

جعل الاسلام التوجه الى الله في العمل وابتغاء مرضاته اساسا ، واعتبره هو العمل المقبول · وعلى هذه الوجهة ـ لاغيرها ـ كانت اعمال المسلمين · والمسلمون يتسابقون الى عمل الخير والجهاد في الحق والبذل له ، بذل مالهم وانفسهم . وهم بذلك فرحون وعليه مقبلون ·

وفي احداث التاريخ الاسلامي غزارة تفيض بالامثلة الخاصة والعامة · ففي قضايا بذل المال يرد الخليفة عثمان في الانفاق في سبيل الله · ذلك انه قام بدور كبير بتجهيز جيش العسرة (غزوة تبوك) قدم الفا من الخيل والجمال زيادة على الذي قدمه من الدنانير (٣) · ويذكر انه فيخلافة أبي بكر الصديق مرتايام شديدة، وصلت خلالها قافلة من الشام الى المدينة تعود لعثمان بن عفان مكونة من الف بعير تحمل غذاء · جاءه التجار يساومونه ويزيدون له في الربح . فكلما زادوه قال لهم اعطيت زيادة على مثل ، حتى قالوا له ما بقي في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا اليك احد فمن ذا الذي اعطاك ؟ قال ان الله اعطاني لكل درهم عشرة اعندكم زيادة ؟ قالوا لا · قال . فاني اشهد الله اني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين (٤) ·

ويسرى هذا في كل احوال الانسان ، في السلم والحرب . والتاريخ الاسلامي زاخر بالامثلة · ففي الجهاد بين الله تعالى ذلك موضحا الجهاد الاسلامي الذي يكون في سبيل الله واعلاء كلمته لا غير · فيقول جلت قدرته « الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت » النساء · ٧٦ كما وضح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ذلك حين سأله احد عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فاى ذلك في سبيل الله· قال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٥) ·

المحاسبة الذاتية :

التقوى ومراقبة الله وابتغاء مرضاته تقود الى ان يحاسب المسلم نفسه · ولقد جاء في الاثر « حاسبوا انفسكم قبل ان

محاسبة النفس

تحاسبوا وزنوا اعمالكم قبل ان تــوزن عليكم » .

وما دام الاسلام قد صاغ المجتمع في هذه الوجهة . وحرص اهله على تحرى شريعته . فقد توفرت محاسبة النفــس والاخذ بها الى شرع الله المستقيم .

يروى انه حين وزعت على المسلمين ايام الخليفة عمر اثواب ، اصاب كلا منهم ثوب . ولما كان الخليفة عمر رجلا طويلا لم يكفه ثوبه ، وهو ما اصابه ، حاله في ذلك حال بقية المسلمين . فاعطى ابنه عبد الله حصته لابيه ، فكان للخليفة بعد ذلك ما يكفيه . وحين ذهب عمــر الى المسجد ليخطب الناس ، قال لهم : اسمعوا واطيعوا .. فقام رجل وقال له : لانسمع لك ولا نطيع . وحين استفسر منه الخليفة عن السبب بين له بأنه يلبس ما يساوى ثوبين وليس لاحدهم مثل ذلك . فقــال الخليفة يا عبد الله بن عمر قم وقل له . فشرح عبد الله الامر . فاقتنع الرجــل وقال الان نسمع ونطع (٦) .

اما علي بن ابي طالب فقد رفض وهو خليفة ان تستعير ابنته قلادة من بيت المال في ايام العيد وحاسب صاحبه على ذلــك . فاخذها منهــا .

لم يصل المجتمع الى ذاك المستــوى بتشريع قانوني او سلطــة ما حاكمــة وانما قام على التعلــق بشرع الاســلام محبــة لله تعالى وطاعتــه ومحبــة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بــه والاخذ بارشاداته فطاعته من طاعة الله تعالى. فكان هذا المستوى ذاتيا ينبــع من داخل النفس التي امتلأت بتقوى الله . وهو أروع اسلوب في تربيــة الفــرد والجماعة ، ينفرد فيها الاسلام . فتلك هي القاعدة . تعنى محبة الاسلام القائمة على حب الله تعالى ودينه وشرعه . ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته والمسلمين الذين جاهدوا للاسلام .. آخذين بهذا الارتباط .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لماجئت به » (٧) كما وردعنه صلى الله عليــه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حــلاوة الايمان . ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لايحبه الا لله (تعالى) ، وان يكره ان يعود في الكفــر (بعد اذ انقذه الله منه) كما يكــره ان يلقى في النار » (٨) .

ويذكر في ذلك مافعله الخليفة ابوبكر الصديق حين رافق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة . كان ابوبكر « يمشى مرة امام النبي صلى الله عليه وسلم . وهما في طريقهما الى الغار ومرة عن يمينه ومرة عن يساره ، فقال له . ما هذا يا ابابكر ؟ ما اعرف هذا من فعلك .. قال . يارسول الله اذكر الرصد فاكون امامك ، واذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا امن عليك . (٩) .

انسانيــة الانســان :

حقق الاسلام ـ في الشريعة والتطبيق ـ انسانية الانسان ، الى الحــد المثالي في واقع الحياة ، بشكل لم نجد له حتى الان نظيرا . ازال كافة الفوارق واذاب كــل اسباب التمايز ، فلا فضــل الا بمقدار الالتزام بالاسلام وحسن العمل به والاستقامة على نهجه . وكل ما عدا ذلك لا يرفع احدا ولا يخفضه . بالاسلام وحده يرتفع قوم ويخفض اخرون . لقد كرم الله الانسان من حيث هو ، وبين ذلك بوضوح في القران الكريم شريعة الاسلام .

أروع اسلوب في تربية الفرد والجماعة

سخر الله سبحانه لهذا الانسان مافي الكون وهيا له اسباب الحياة . كما اكرمه بهذا الدين . منة وفضلا . ليتجه الى الله ويأخذ بشريعته التي لا يصلح حاله غيرها. زيادة على ان الايمان بالله تعالى ـ خالق الكون وما فيه ومن فيه ـ ضرورة تقتضيها طبيعة حياته وتكوينه كما تقتضيه طبيعة ارتباطه ووجوده وسعادته ، بها يحيا وفي هداها يمشي في طريق النور . لايضل ولا ينحرف . يقول جلت قدرته « ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » الاسراء ٧٠ . ويقول تعالى « الم تروا ان الله سخر لكم مافي السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » لقمان : ٢٠ . فالله تعالى بالانسان رحيم. انزل له من الهداية ماينفعه . وهو اعلم به . وهو الذي خلق ويعرف احواله وهو القادر الحكيم . وان الذي حرمه الله لابد ان تكون فيه حكمة ومنه على الانسان ضرر. واحل له الخير . ولذلك يقول جلت قدرته « الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذين يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون » الاعراف ١٥٧ .

ولدينا امثلة فذة ـ وهي كثيرة ـ في التاريخ الاسلامي لدينا صورة هذه الشريعة في الحياة نافذة ، وفي واقع الانسان متحركة، . من ذلك أن اباذر الغفاري عيربلالا ، قائلا له يا ابن السوداء، وكانت امه فعلا كذلك ، ولكن هذا في الاسلام كبير . لانه رباهم على المثل الكريمة . فذهب بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي أباذر . ولام صلى الله عليه وسلم ابا ذر بقوله : « يا اباذر اعيرته بامه انك امرؤفيك جاهلية » (١٠) فتاب ابو ذر وندم حتى طلب من بلال ان يضع رجله على وجهه . لقد كرم الاسلام بلالا ، فهو الذي ارتقى اعلى الكعبة ، يعلن نداء الله « الأذان » ليقبلوا على شرعه ، ويدعوهم الى الفلاح ليصلح حالهم بنهجه ، وذلك يوم فتح مكة .

وضع الاسلام الموازين الحقة واخذ الحياة بها . فالتفاوت بالتقوى والفضل في كل الظروف . هذا سالم بن معقل مولى ابي حذيفة، ومن أصل فارسي من اصطخر، وهو من الصحابة الافاضل . عد في القراء . وكان يؤم المهاجرين بقباء فيهم عمر بن الخطاب قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ... وكان يؤمهم اذا سافر معهم. لانه كان اكثرهم قرآنا» (١١).

وفي ايام الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) حمل اليه البريد الذي كان . لايعطيه احد من الناس اذا خرج كتابا الا حمله . فخرج بريد من مصر فدفعت اليه فرتونه السوداء » كتابا . تذكر فيه قصر حائطها الذي لايحفظ دجاجاتها . فكتب عمر بن عبد العزيز رسالتين واحدة الى فرتونه يخبرها فيه ان كتب الى والى مصر يامره ان يحصنه لها . والرسالة الثانية الى هذا الوالي ايوب بن شرحبيل يامره ان يذهب الى دار فرتونه بنفسه ويشرف على تحصينه ، (١٢) .

وهذا عطاء بن ابي رباح (١١٥هـ) . امام اهل مكة وعالمها » وكان اسود اعور افطس اشل اعرج ثم عمي . مفلفل الشعر ، (١٣) وكان الناس في المسجد الحرام بمكة المكرمة يجتمعون عليه وكانه غراب اسود . قال . هذا الاسود الاعور الافطس جعلته حضارتنا اماما يرجع اليه

أضواء على الحضارة

الناس في التقوى . ومدرسة يتخرج على يديه الالوف من البيض . وهو عندهم محل الاكبار والحب والتقدير » (١٤) .

الفرق واسع واساسي بين هذا المستوى، في مقوماته وخصائصه واسسه . وبين غيره من الوجهات والمناهج . فهذا المنهج الاسلامي متفرد . وهذه النماذج التي صنعها لاتتوفر الا في جوه .

كما منع الاسلام ان يستهين احد بأخر، او يسخر منه ، والله تعالى يقول « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . يا ايها الذين امنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونو خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الحجرات -١١- .

للبحث صلة ...

(١) من حديث شريف افتتح به البخاري صحيحه. انظر . فتح الباري . ابن حجر ١/٨ .

(٢) مختصر صحيح مسلم . ١/١٤٧ (رقم : ٥٣٧) .

(٣) الاستيعاب في معرفة الاصحاب . ابن عبد البر . ٣/١٠٤٠ .

(٤) عثمان بن عفان . محمد الصادق عرجون . ٣٨ .

(٥) جامع الاصول . ٢/٥٨١ .

(٦) انظر : تاريخ عمر بن الخطاب . ابن الجوزي . ١٦٩ .

(٧) الاربعون النووية . الحديث : ٤١ .

(٨) فتح الباري . ١/٦٠ . ٧٢ جامع الاصول . ١/٢٣٧ .

(٩) ابوبكر الصديق . على الطنطاوي . ٧٦ .

(١٠) راجع مختصر صحيح مسلم . ١/٢٢٨ (رقم الحديث ٩٠٤) من روائع حضارتنا . مصطفى السباعي . ٥٤ ـ ٥٥ .

(١١) الاستيعاب في معرفة الاصحاب . ٢/٥٦٧.

(١٢) سيرة عمر بن عبد العزيز. ابن عبدالحكم. ٦٦ ـ ٦٧ .

(١٣) وفيات الاعيان . ابن خلكان . ٣/٢٦٢ .

(١٤) من روائع حضارتنا . ٦٥ .

وافد على ملك الملوك : ● ● ●

أتى مهدي بن ابان ، ولادة العبديية ـ وكانت من أعقل النساء ـ قائلا : اني اريد أن أحج فاوصيني . قالت : اوجز فابلغ ، أم اطيل فأحكم ؟ فقال : ما شئت . فقالت : جد تسد ، واصبر تفز ، قلت : ايضا ، قالت لا يبعد غضبك حلمك ، ولا هواك علمك ، وق دينك بدنياك واحفظ عرضك بعرضك ـ بفتح الراء ـ وتفضل تخدم ، واحلم تقدم . قال : فبمن أستعين ؟ قالت : بالله . قلت : ومن الناس ، قالت : الجلد النشيط والصالح الامين ، قال : فمن استشير ؟ قالت : المجرب الكيس الاديب الاريب . قال : فمن استصحب قالت الصديق المسلم ، او المؤاخي التكريم ، ثم قالت : يا ابناه انك تفد على ملك الملوك فانظر كيف يكون مقامك بين يديه .

باب شهري يستعرض أحدث المباحث العصرية في مجال الدراسات الاسلامية

بقلـم : مسـلم
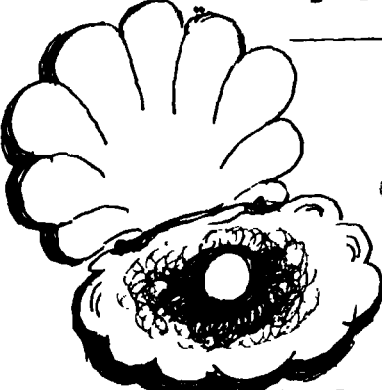
هناك وقفة مستأنية تحتاج الى دراسة ومراجعة للنفس المسلمة والعربية بمناسبة مرور ثلاثين عاما على احتلال فلسطين وما تزال الخطط قاصرة عن استيعاب هذه القضية الكبرى وهذا الحدث الخطير وقد تكشفت في السنوات الاخيرة حقائق كثيرة : أبرزها : أن وراء قيام اسرائيل مخطط يهودي استعماري عالمي يستهدف قيام امبراطورية الربا وتنفيذ مخططات بروتوكولات صهيون التي تستهدف السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على العالم كله عام ١٩٩٨ ٠

• • •

• • •

وان الخطة مرت في عدة مراحل ٠ أولاها محاولة احتواء الدولة العثمانية والسيطرة على السلطان عبد الحميد وفشل هذه المحاولة والتخطيط لتمزيق الدولة واسقاط السلطان وقيام الدونما بهذه الخطة من خلال المحافل الماسونية وحزب الاتحاد والترقي الذي احتوته الصهيونية ومنذ اسقط السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ فقد انفتح الطريق الى فلسطين عن طريق الاتحاديين حكام تركيا الذي اسلموها الى الهزيمة في

الحرب العالمية الاولى كما سلموا طرابلس الغرب للاحتلال الايطالي وكان ذلك مقدمة لاسقاط الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ولوعد بلفور ١٩١٨ وتوسع الهجرة اليهودية الى الحد الذي مكن من اتمام مؤامرة قيام اسرائيل ١٩٤٨ ثم احتلال القدس ١٩٦٧ وقد كشفت الوثائق خلال هذه الفترة عن خطة ترمي الى تهجير يهود العالم الى اسرائيل واقامة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات وكانت أبرز الظواهر في الفترة الاخيرة هجرة اليهود السوفييت بأعداد ضخمة الى اسرائيل ٠

وان كان أيضا من الظواهر الواضحة ارتفاع عدد المهاجرين الى خارج اسرائيل ٠ وكذلك كشفت التصريحات التي جرت على السنة قادة اسرائيل هدف تدمير الحضارة العربية الاسلامية واقامة الحضارة العبرية على اساسها ، كما كشفت عن هدف اعادة بناء هيكل سليمان فوق أرض المسجد الاقصى ٠

وحيث يوجد اليوم في فلسطين المحتلة حوالي ثلاثة ملايين نسمة ، فان في العالم ما يتراوح بين ١٣ و ١٨ مليون يهودي يقيمون بين امريكا الشمالية والاتحاد السوفيتي وتستهدف الخطة جمع هؤلاء تحت راية اسرائيل ولذلك فان فكرة التوسع هي من العوامل المقدمة في النظرة اليهودية على مسألة الامن وذلك جريا وراء مخطط امتلاك القوة الاقتصادية التي تحاول السيطرة على مقدرات البلاد العربية ٠

ولا ريب أن هذا المخطط فاسد من أساسه لانه يقوم على الاعتماد على معونة الدول الغربية وانه بعد ثلاثين عاما لم تستطع اسرائيل ان توحد لها كيانا اقتصاديا ذاتيا يمكنها من القيام بنفسها فضلا عن ذلك الشتات المنوع المتضارب المجموع من مختلف بلاد عاما لم تستطع اسرائيل ان توجد لها فضلا عن تلك التفرقة العميقة بين يهود المشرق ويهود الغرب كل هذه العوامل فضلا عن الوجود غير الطبيعي على الارض العربية من شانه ان يكشف عن فساد قاعدة الاستمرار ويجعل الفناء محتوما ، لا سيما وان القوة العسكرية العربية تنمو يوما بعد يوم بالاضافة الى مقدرات الثروة والطاقة والتفوق

ولقد تعالت أصوات دعاة الاسلام الى تعديل أسلوب العمل بجعله اسلاميا واتخاذ منهج الاسلام بالجهاد طريقا الى تحقيق الغاية وتقريب موعد النصر ولقد كانت تجربة (رمضان) وما تزال علامة على الطريق ان هناك محاولة ضخمة لتسميم عقول المسلمين والعرب بعد التحول التاريخي الذي اتجه اليه المسلمون والعرب حين التمسوا منهجهم الاصيل في العاشر من رمضان ٠

هذه المحاولة تستهدف فرض تفسير زائف للتاريخ الاسلامي الحديث يحاول أن يجعل من (اسرائيل) وجودا اقامته أوربا والغرب وكأنه ليس وجودا قائما بذاته من وراء مطامع الصهيونية العالمية وبروتوكولات صهيون ولا ريب أن المروجين لهذه السموم هم الماركسيون والتقدميون واليساريون ، الذين كانت الماركسية في أيديهم ولا تزال خادمة للصهيونية العالمية وهي من صنعها أصلا : ان الهدف هو هذه المنطقة الفريدة في العالم « منطقة دعوة الاسلام وقدرات المسلمين الضخمة التي تستهدف بالاحتواء والسيطرة والغزو والتي سوف تظل دائما قادرة على المقاومة ساهرة على حراسة مقدراتها، مرابطة في سبيل الحفاظ على كيانها ووجودها ، وسوف لا يضحي المسلمون والعرب بعقيدتهم وتراثهم في سبيل ما يسمى العلم والتكنولوجيا وانهم

لقادرون على امتلاك هذه القوة وقد أخذوا بها فعلا فلم يبق هناك ما يسمى بالصراع الحضاري : ذلك أن الوجود الاسرائيلي هو في طبيعته وجود غير قائم بذاته لا يعتمد على أمة صحيحة وليس يهود اسرائيل هم يهود التوراة أو أبناء يعقوب ، وليس لدى اسرائيل ما لدى العرب من الطاقة والتفوق البشري والقوة الاقتصادية وان هذا المجتمع المهلهل المجمع من شذاذ الآفاق لا يمكن أن يكون أقوى على الحياة من أهل هذه الارض ، فأين اذن التفوق الحضاري وأين يقوم الصراع الحضاري واسرائيل تعيش على المساعدات الخارجية ولم تتمكن بعد ثلاثين عاما اليوم من أن تعيش على مواردها وأن تكون قادرة بمفردها للدفاع عن وجودها ذلك لانها بطبيعة تركيبها العدواني لا تستطيع أن تمثل مجتمعا حقيقيا ولا وجودا صحيحا · ولولا دورها الذي تقوم به في خدمة النفوذ الاجنبي على هيئة كلب الحراسة لسقطت من اليوم الاول لوجودها · ومن هنا فان تلك الاكاذيب والشبهات التي يحاول دعاة التقدم والماركسية واليسار وغيرهم اذاعتها لن تؤثر شيئا في النفس العربية الاسلامية التي اخذت في امتلاك ارادتها وعرفت طريقها الصحيح ·

ولقد كانت هذه المنطقة منذ تسلمها المسلمون امانة في ايديهم للاديان الثلاث وقد آمنت كل القوى باصالتهم واحقيتهم للقيام بهذا الدور وسوف تعجز الصهيونية عما عجزت عنه الحروب الصليبية من انتزاع القدس من ايدي المسلمين الحماة الامناء · يقول المؤرخ ريفمان : ان المسلمين لم يقروا بوجود هذه الدولة الاجنبية الدخيلة في أرض يعتبرونها ملكا لهم · نعم هذا هو الحق ومن الحق ايضا أن المسلمين انتصروا تحت اسم « مدرسة التسلح الخلقي » على كل الخلافات واستطاعوا ان يتجمعوا لمواجهة الخطر وكان دور الشعب الاسلامي أقوى من دور الحكومات · يقول ريفمان أخذ العرب يلتمسون الوجهة بمجرد ادراكهم لمغزى قيام الدولة العدوة بينهم غير أن هذا التطور كان بطيئا غاية البطء · وبقي الصليبيون مدة طويلة وهم قادرون على مهاجمة اي من الاقطار المجاورة لهم ، واستطاع الصليبيون أن يصلوا الى حدود مصر وضواحي دمشق وان يتوغلوا في حوران ، غير أن نجاح صلاح الدين في توحيد مصر وسوريا واليمن تحت حكمه قضى على كل أمل للصليبيين في التوسع ، وبالرغم من الاعداد القادمة من اوربا فقد بقي الصليبيون معتمدين على العالم المسيحي في الرجال والمال واستمروا ما بقي العالم المسيحي يمدهم وذبلوا عندما انتهى هذا الاهتمام ·

ونحن نجد أن المواجهة العربية الاسلامية للغزوة الصهيونية تسير في طريق اكثر قوة وعمقا بالرغم من بطئها في المراحل الاولى فهي تدخل في مرحلة

الحسم والاقناع الصحيح بالطريـــق الاصيل للمواجهة : المواجهة بأسلوب الاسلام ، العقيدة والشريعــة والتربيــة الاسلامية والجهاد ولن تخدعنا كتابات التلموديين وسموم التقدميين ومراوغة الماركسيين عن ان نعرف الحقيقة التي بدأت يوم عمدت الصحافة التي كـــان يمسك بمقاليدها المارونيين واللبنانييــن في مهاجم السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية والخلافة الاسلامية تمهيـــدا لفتح طريق الصهيونية الى القدس ولقد أشارت مؤرخة يهوديــة منذ وقت مبكر الى ان دخول اللورد اللنبي لمدينـــة القدس كان بمثابة الخطوة الاولى لتسلم اليهود اياها (دخلها اللنبي) ١٩١٧ وتسلمها اليهود ١٩٦٧ .

ان الكتب التي صدرت في العـــام الاخير وخاصة ما كتبه جولدمان تحـت عنوان (المأزق الصهيوني) يكشـــف وتكشف عن مجموعة من الحقائق يجب على العرب والمسلمين أن يعوها تماما والا يخدعوا ببريق الكلام .

١ ـ ان الصهيونية تقسم نفسها الى معتدلين ومتطرفين وترك لمجموعـــة المعتدلين امثال البيربرجو وجولدمـان وغيرهــــم من الذين يحاولـــون أن يضعوا انفسهم في صف الراغبين الى تفهم المواقف والاعتدال .

٢ ـ ان الاحداث الاخيرة قد كشفت عن أن الصهيونية طامعة في تنفيـــذ برنامجها في التوسع وان دعواها في السلام كاذبة .

٣ ـ ان ما يعبر عنه سكان اسرائيـل لا اهمية له في الحقيقة ازاء المخططات التي يرسمها عتاة الصهيونية وهم لا يعبأون بها .

ذلك أن الهدف من المخططات كلهـا هو اقامة امبراطورية الربا بكل وسائل الخداع والغدر وتخدير العربوالحيلولة

بينهم وبين امتلاك ارادة القوة والتا على مقدراتهــــم من الطاقة والثر والتفوق البشري فهم دعاة تحديـــ النسل لانقاص عدد العـرب والمسلم تحت شعار الانفجار السكاني وهـــ أصحاب مشروع السيطرة على موار النفط وهم من وراء توجيــــه الاموا العربية وجهة الاستهلاك حتى لا يتمك العرب من بناء قوتهم الذاتية .

ولا ريب أن (الربا) هو المدخـــ الحقيقي للسيطـــــرة التلمودية عل العالمين الرأسمالي والشيوعي وبعـــ الذهب الذي يحتكره اليهود أقـــو الاسلحة لاثارة الرأي العام وافســا المجتمعات والقضاء على الضمائـــ والاديان والقوميات ونظام الاسر وعـ طريق المال يسيطر اليهود على الاعـا والفكر في عديد من بلدان الغرب حي يملك اليهود البيوت التجارية والاسوا ولهم نفوذ قوي ومؤثر على الصحاف والتلفزيون .

ولقد أشار اليهود في كل وثائقهـ الى سيطرتهم على الذهب في العالـ وقيامهم بامتلاك مصادر الاقتصاد والم وهم أنفسهم أصحاب القوة الرأسما والسيطرة الاقتصادية الذيـــن صنع الماركســـية والاشـــتراكية التـــ تبدو ظاهرا معارضة للرأسمالية . ا استطاعوا احتواء كل المحاولات الت استهدفت معارضة الرأسمالية وضر كل القوى ليضعوا أيديهم على كـــ النظامين اللذين ينظمان العالم توط للسيطـــرة عليه حســـبما جاء بروتوكولات صهيون . ولقد قصـــ الدعوة الماركسية أساسا الى هـ الدين نفسه ولم تكن قاصرة على مع مشكلة عدالـــة التوزيع . وكـــا مكاسب اليهودية الصهيونية هي المسيحية وادامة السيطرة على م

الامم كذلك فان قيام نظام ماركسي يعني أول ما يعني وضع جميع مقدرات الامة في يد المجموعة الحاكمة واخراجه من أيدي عشرات الاغنياء والموسرين شريطة أن يكونوا من غير اليهود · ومعنى هذا أن تسليم الثروات الى هذه النخبة تمكنها من أن تفعل في طريق تحقيق الهدف اليهودي أكثر مما يعمل الرأسماليون أنفسهم كذلك فان النظام الماركسي نفسه يحل في العالم روح الشر والقتل والابادة ويحقق هدفه عن طريق الانقلابات التي تقتل وتحطم وليس عن طريق التطور والتدرج والاقناع وقد ظهر ان أغلب احداث المؤامرات والانقلابات كانت نتاجا يهوديا يستهدف تحقيق الغاية التي يقصد اليها أصحاب امبراطورية الربا ·

كذلك تكشف الكتابات الاخيرة أن وجود اسرائيل لم يحل المسألة اليهودية بل زادها تعقيدا ، قال بذلك ألبير كالي وميشيل رشيلان ، وقال غيرهم ان الصهيونية هي محاولة ارجاع تاريخ اليهود المعاصر الى الوراء وانه بمثابة نظرة جاهلية لانها لا تأخذ في الاعتبار العنصر الحاسم للتقدم في التاريخ ·

ويقول الحاخام منسفيد : ان الصهيونية انفجار شاذ لعاطفة منحرفة·

ويقول رشيلان : ان اليهودي لن يشعر بالامان في أي مكان في العالم لانه يخلط بين اليهود في العالم وسكان اسرائيل ·

ولقد اقامت الصهيونية تاييد الغرب لها على محاولة خادعة لئيمة . وذلك هو فرضها مفاهيم العهد القديم والتلمود على المسيحيين في المدرسة والجامعة بما يوحي بان دعوة الصهيونية الى التوسع في فلسطين هي من صميم العقيدة الدينية ، وكذلك فعلت الصهيونية في أمريكا وبريطانيا والمانيا ·

ولقد كذبت الوقائع التاريخية الصحيحة ما ادعاه اليهود من ان وعد ابراهيم كان لاسرائيل أو لاحفاد اسحق وحدهم ، ذلك أن وعد الله لابراهيم كان لاسماعيل واسحاق ولاحفادهم جميعا ، وللصالحين منهم وحدهم « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن · قال اني للناس اماما · قال ومن ذريتي · قال لا ينال عهدي الظالمين » ·

وكذلك يكذب اليهود في أن يقصروا الوعد على أنفسهم ويعتبرون أنهم شعب الله المختار مع ان الوعد كان لكل خلفاء اسماعيل واسحق وهم العرب والمسلمون وقد تحقق الوعد فعلا لسيطرة الاسلام على هذه المناطق كلها والمسلمون هم أحفاد اسماعيل ·

وتتعالى اليوم أصداء هذه المؤامرة الزائفة التي بدأت تتكشف أمام العقل البشري اليوم على نحو أكثر وضوحا مما كانت قبل ثلاثين عاما فيقول المؤلف اليهودي الروسي (افرانيم سيفيلا) في كتابه « وداعا أسرائيل » : ان اسرائيل هي الدولة المسخ التي تاكل أبنائها ·

ويكشف في وضوح زيف الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ، ويعري الاساليب الاجرامية التي اتبعها زعماء الصهيونية لاقامة هذا الكيان الزائف ، ولابتزاز الاموال من العالم بحجة جمع شمل اليهود ولاجتذاب اليهود من أرجاء العالم بطرق مغرية ·

ويقول . انه بعد أن مر ما يربو على ربع قرن منذ انشاء هذه المؤسسة اليهودية على جزء من الارض الفلسطينية

لم تتحقق تكهنات زعماء الصهيونية بان نصبح اسرائيل مغناطيسا ليهود العالم ، حيث لم تستطع اسرائيل ان تجمع فوق الارض الفلسطينية سوى خمس اليهود · ففي نيويورك وحدها في اسرائيل بأكملها ·وفي باريس يوجد في اسراسيل بأكملها ·وفي باريس يوجد من اليهود أكثر مما في تل أبيب · وفي لندن سكثر مما في القدس · ولقد تبين أنه من الصعب لا بل من المستحيل صبغ كافة اليهود بفكرة الصهيونية حيث طلب اليهم استبدالهم أماكنهم بحياة اقل أمنا في مناخ حار وغير مألوف لديهم وبعيدة كل البعد عن حسن الحال الجسماني والمادي على السواء · على أن الاسف على انشاء المؤسسة اليهودية الجديدة لم يكن ليقذف دما جديدا في العروق القديمة بل بالعكس حط من مكانة اليهود في القوميات الاخرى · لقد تعرضت الجاليات اليهودية للخراب الكلي بعد قيام دولة اسرائيل ·

ولكننا بعد أن لجأنا الى اسرائيل : الملاذ الاخير للجاليات اليهودية ، ربما كنا قد أنقذنا أنفسنا من الاندماج في القوميات الاخرى لكننا من ناحية أخرى حكمنا على أطفالنا وعلىأنفسنا بالانقراض الطبيعي ·

لقد بدأت الجاليات اليهودية تنهار الواحدة بعد الاخرى ، وأصبحت صفوفها مبعثرة وهزيلة حدث هذا بسبب الهروب العاجل من اليهودية نحو الاندماج في الديانات والقوميات الاخرى هربا من كافة عوامل الضغط والاضطهاد ان أكثر التحليلات سطحية للاحداث منذ عام ١٩٤٧ تؤكده مباشرة هذا الواقع الحتمي · لقد دمرت أكبر الجاليات اليهودية وأكثرها ازدهارا وهي التي كانت تعيش في الاتحاد السوفيتي ، لم يظهر التفكك السريعلهذه الجالية وبروز شتاتها وخرابها الا بعد ظهور اسرائيل · وكذلك الامر بشأن الجاليات اليهودية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا الاسلامية · كان هناك ما يربو على المليون نسمة من اليهود الذين يعيشون في العالم العربي في جاليات كثيفة مزدهرة جنبا الى جنب مع السكان العرب وكانوا يتمتعون بكل حرية من ناحية الدين والثقافة والتقاليد اليهودية ، من كل من الدار البيضاء ومراكش وطنجة والرباط والجزائر ووهران وتونس وطرابلس والقاهرة والاسكندرية وبغداد وبيروت ودمشق الى ان جاء عام ١٩٤٧ الذي جعل من العرب وكافة المسلمين بضربة واحدة أعداء لدودين لليهود نتيجة احتلال الارض الفلسطينية ومما زاد الطين بلة تدفق اللاجئين الفلسطينيين هربا من ميادين الحرب الى البلدان العربية المجاورة ، الامر الذي زاد من التعصب الوطني والديني بين العرب واليهود ، وينطبق الامر نفسه على يهود اوربا الشرقية الذين لم يتعرضوا للاسامية سوى بعد انشاء الدولة اليهودية وذلك بعد معاداة أنظمة الحكم الاوروبية الشرقية للصهيونية المتمثلة في الدولة اليهودية الجديدة وهكذا تعرضت الجاليات اليهودية للخراب الكلي بعد قيام دولة اسرائيل ·

ويقول الكاتب في النهاية : ان اسرائيل محكوم عليها الا تعيش غير عقد آخر من الزمان ومن غير المحتمل أن تتجاوز هذا الحد المقرر واعتقد انه في عام ١٩٨٥ لن يكون لاسرائيل وجود على خارطة العالم بل سيتم ابتلاعها بلا شفقة ·

هذا ما يقوله يهودي منهم اما نحن فنعرف أن اليهود كانوا خادعين لكل الشعوب والامم بما زيفوا من دوائ

اسرائيل لن تعيش حتى عام ١٩٨٥ وسيتم ابتلاعها بلا شفقة

المعارف العالمية وادخلوا اليها هـذه السموم وقد كانوا أصحاب الاثر الكبير في تزييف (دائرة المعارف الاسلامية)٠

وكان لهم دورهم في السيطرة على دراسات التاريخ ومقارنات الاديان في مختلف جامعات أوربا وامريكا حيث بثوا فيها سمومهم وشبهاتهم أزاء الاسلام ورسوله وكتابه وتاريخه ولغته٠

بل ان الصهيونية العالمية استخدمت منظمات الماسونية والشيوعية والبهائية لنفس الغرض فدخلوا هذه المحافل واستخدموها ، كما سيطروا على منظمات الليونز والروتاري في العصر الحديث وعن طريقها ينقلون الاخبار والاشاعات ويذيعون الاكاذيب في الامم التي تقوم بها هذه المنظمات ٠

ويكشف أحد حكماء صهيون : جولدمان زيف هذا الواقع المضلل المنهار حين يقول : لست أستطيع أن أتصور أن تنتهي الاف من سني العذاب والاضطهاد والمقاومة بدولة صغيرة مثل عشرات الدول الاخرى تعيش في خطر وتتعرض للابادة مما يفرض عليها البقاء في حالة تعبئة وتسليح كل شبر من أرضها وتركيز جهودها الرئيسية على الوجود المادي ٠ انني لست متأكدا من أنحماس وولاء الشعب اليهودي خارج اسرائيل سيظل وفيا لهذه الدولة الى الابد ٠٠

وهكذا تبدو روح التشاؤم واضحة على رأس ثلاثين عاما من قيام هذا الكيان الزائف ويجمع الحكماء على أن وجود اسرائيل لم يحل القضية ولا يمكن أن يدوم كيان قام على الغصب والظلم والغدر مهما جرت المحاولات لان يستمر ٠ وسوف تعود الدرة المغتصبة الى أصحابها ان عاجلا أو آجلا ٠

قصة اسلامية :

بقلم الاستاذ :
عبد اللطيف فايد

الأسير ..

لم تهدأ حدة العداء الذي تمكن من قلب ثمامة بن أثال للنبي صلى الله عليه وسلم حتى بعد أن هاجر بدعوته من مكة الى المدينة ، وأقام هناك للمسلمين دولة، تزداد قوتها مع الايام ، ويتكاثر الداخلون في حمى دينها الحنيف ، فهو لا يزال يعلن الحرب بالقول وبالعمل ضد الدين الجديد ، وضد رسوله وضد كل الذين اتبعوه ..

وثمامة بن اثال يستكبر بما اوتي من مكانة الرياسة والصدارة من قومه « بني حنيفة » في « اليمامة » . ذلك البلد الخصيب وسط الصحراء القاحلة من ارض الجزيرة،فارضها تنبت الزرع، وتجود بالثمرات التي تفيض عن حاجة اهلها . لياكل منها سكان القرى والمدن القريبة والبعيدة ٠

ومن هذا الموقع بين الرجال الاشداء والثراء الوفير يمارس « ثمامة » عداءه للاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام . ولقد اشتط في هذا العداء حتى تمنى قتل النبي صلى الله عليه وسلم . بعد ان فشلت مؤامرة الكفر لقتله ليلة ان هاجر من مكة الى المدينة ٠٠

فالانباء ترد الى النبي صلوات الله عليه وسلامه مع الغادين والرائحين ان « ثمامة » لا يزال يؤلب قومه ويؤلب نفسه ضد دين الله . وضد نبيه . ويتحين الفرصة تواتيه ان قريبا او بعيدا ليتمكن من النبي صلى الله عليه وسلم فيقتله ٠٠

ولقد صبر النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا على اذى ثمامة وعدانه قبل أن يهاجر من مكة الى المدينة . وهو بعد أن هاجر يحس انه لا بد أن يضع حدا لعداء « ثمامة » بالقضاء عليه ٠٠ وان المسلمين في المدينة ليسمعون النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا يدعو ربه بان يقع ثمامة بين يديه ليضع نهاية لهذا العداء . وانهم ليحسون من نبرات صوت النبي عليه الصلاة والسلام وهو يكرر هذا الدعاء بين الحين والحين كلما بلغه اصرار « ثمامة » على موقفه المعادي للاسلام . انه ان وقع في قبضة النبي صلى الله عليه وسلم فلن يكون مصيره سوى بتر راسه عن جسده بضربة سيف واحدة ٠ ٠

واستجاب الله دعاء نبيه ٠٠ ووقع « ثمامة » في الاسر ٠٠

★ ★ ★

كان « ثمامة » قد استشعر من نفسه وقلبه ان يزور مكة يحج اليها بعمرة يطوف اثناءها بالبيت العتيق ويؤدي المناسك التي اعتاد العرب اداءها منذ رفع قواعد هذا البيت ابو الانبياء « ابراهيم » وابنه « اسماعيل » عليهما السلام ٠٠ والطريق من اليمامة حيث يتمركز « ثمامة » الى مكة حيث الكعبة والبيت الحرام موحش وطويل والصحراء تزيده وعورة ومشقة ولا مفر امام السالكين من ان يلتمسوا الماء والطعام من القرى والنجوع واحياء المدن ٠٠٠

وبينما « ثمامة » يقطع الطريق الشاق حدثته نفسه بان يدخل المدينة يلتمس فيها بعض الزاد والماء يستعين بهما على مواصلة رحلته الى مكة ٠ ٠ لكن كيف يدخل المدينة وهو يعلم انه ان ظفر به احد المسلمين فيها كانت نهايته ٠٠ فانتظر حتى اقبل الليل وكسا المدينة بظلام دامس واشتد في الحيطة لحياته فتنكر . وبالغ في تنكره حتى لا ينكشف امره للمسلمين فيكون قد سعى الى حتفه بقدميه ٠ فهو يعرف جيدا ان المسلمين الذين هاجروا من مكة الى المدينة لن يعييهم كثيرا ان يتعرفوا عليه . فهم يميزون صوته اذا تكلم . وحركة يديه ورجليه اذا مشى وهيئة جلسته اذا افترش مكانا للقعود ٠٠

ودخل ثمامة المدينة ٠٠ وقضى حاجته من الماء والطعام من احيائها والليل يضرب عليها اردية ظلمته وهداة سكونه ثم التمس الوسيلة للخروج منها فضل الطرقات التي دخل منها وسار فيها وضاعت منه المسالك ٠ ولم يجد الا حيرة تسلمه الى أخرى . وقضى جانبا كبيرا من الليل يقطع في طرقات المدينة كلما انتهى من طريق دخل في طريق آخر ولا يلبث كثيرا حتى يعود الى طريق كان قد قطعه من قبل ٠٠ وظل كذلك يفتش عن مخرج له وهو لا يدري أنه يعود

من القصص الإسلامي

الى نفس الطرقات التي سار فيها من قبل حتى أدرك السائرون بالليل أنه غريب عن الديار ..

وتقدم منه واحد من أهل المدينة يسأله عن حاجته .. ولم يكد ثمامة يتكلم حتى انكشف أمره ، فقد كان هذا اللقاء بينة وبين أحد المسلمين الذين يعرفونه جيدا ، وقامت بين الاثنين مشادة .. « ثمامة » يريد الهرب ، ولكنه يجد قبضة من حديد تمسك به فلا يستطيع منها فكاكا .. وسرعان ما تجمع من حوله عدد من المسلمين عرفوه فأحكموا اساره ..

وذهب نفر منهم الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بأن « ثمامة » قد وقع أسيرا .. فأمر بان يربط الى عمود من عمد المسجد حتى يرى فيه رأيه ..

★ ★ ★

« ثمامة بن أثال » شريف اليمامة وسيد بني حنيفة مربوط الى عمود في المسجد وماذا يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي طالما آذاه كثيرا وألب عليه قومه من بني حنيفة وأهل اليمامة وسائر العرب الكافرة ليقضوا عليه وعلى دعوته ، وهو الآن يرى نفسه أسيرا لا يداخله ريب في أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا محالة قاتله ..

لكن شريف اليمامة وسيد بني حنيفة لن يسلم عنقه للسيف جبانا ولا مهزولا حتى لا يلحق بقومه عارا يجعلهم يلعنونه بسببه بعد موته وأسر في نفسه حديثا ان واجهه محمد صلى الله عليه وسلم .

وحان وقت الصلاة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد يوم

المسلمين ، وتقدم من الاسير الذي اشتد في عداوته زمانا للاسلام وللمسلمين وأخذ عليهم كل طريق حتى طلب عنق النبي صلى الله عليه وسلم نفسه .. وها هو ذا يراه بين يديه وقد أجاب الله دعاءه ليقضي فيه أمره ..

واقترب منه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : مالك يا « ثمام » .. هل أمكن الله منك ؟

وأحس شريف اليمامة وسيد بني حنيفة أن محمدا صلى الله عليه وسلم يسخر منه .. فكبر ذلك على نفسه .

فأجاب : قد كان ذلك يا محمد ؟ ؟ انك ان قتلتني فان من ورائي قوما سيطلبون دمي ، وان عفوت عني ذكرت لك يدا بيضاء أشكرك عليها ، وان طلبت مالا لتفك أسري فان خيرات اليمامة وما تنبت أرضها من ثمر ، وما يرعى كلأها من ابل وغنم فداء لي ان استزدت ..

وانصرف عنه النبي صلى الله عليه الى صلاته .. وأمر أصحابه أن يكرموا اساره فلا يمنعوا عنه طعاما ولا شرابا ، وقام الصحابة من فورهم فحلبوا ناقة النبي صلى الله عليه وسلم بأمر منه وقدموا لبنها الى « ثمامة » يغتذي ويرتوي .. وواصلوا اكرامه..

ولما كان الغد مر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا ثمام ؟

قال : خير يا محمد .. ان تقتل تقتل ذا دم ، وان تعف تعف عن شاكر ، وا[illegible] تسأل مالا تعطه ..

وانصرف عنه النبي صلى الله عل[illegible] وسلم الى صلاته . والمسلمون من خ[illegible] يركعون ويسجدون ..

★ ★ ★

لقد قضى ثمامة في مسجد [illegible]ول

صلوات الله وسلامه عليه وقتا من الزمان ما اشده على نفسه واقساه ·· هو سيد قومه ·· وصاحب الرأي والنهي في أهل بلده الخصيب ·· والذي يملك مالا كثيرا يستطيع توجيهه هنا وهناك حيث يريد ·· كل هذا من خلفه ، ويقع اسيرا لمحمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الذين عاداهم كثيرا واشتط في عدائه لهم ، ثم هم يتركونه تعذبه نفسه قبل ان يقتلوه . ويقدمون له الطعام والشراب ولا يؤذيه أحد منهم ··

وليس ذلك فحسب هو الذي يحس به ثقيلا وكئيبا على نفسه وقلبه ،وانما محبسه في هذا المسجد فتح عينيه وقلبه وفؤاده من قرب على عالم كان يجهل عنه الكثير والكثير فهو يرى النبي صلى الله عليه وسلم حينما يدخل المسجد . واصحابه يستقبلونه في حفاوة وحب لم يشاهد مثلهما من قبل ، ثم وهم يتحلقون حوله يستمعون منه بقلوبهم واسماعهم ، ثم اذا انتظموا صفوفا خلفه في الصلاة خاشعين يستوي بينهم من كان عبدا رقيقا حرره اسلامه ، ومن كان سيدا عظيما أعطى نفسه كلها للاسلام فنسي ثراءه ومكانته في قومه ولم يعد يذكر الا هذا الدين ، ثم وهو يعطي سمعه لما يتلو النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته من قرآن،ويشعر بأن هذا الصوت يتسلل الى قلبه فيضيء فيه فيتمنى لو كان سبق له فاستجاب الى دعوته ولم يؤذ صاحبها أو يؤلب عليه ·· وتحدثه نفسه ماذا لو آمن من فوره ؟ !

لكنه لا يزال يذكر انه شريف اليمامة وسيد بني حنيفة ، وانه لا يجدر به مع ذلك أن يؤمن من موقف الضعيف ، فهو ان أسلم الآن واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم وانضم الى هذه الجماعة التي دخل دينها قلبه فلن يذكر أحد اسلامه الا مقترنا بأمر يكرهه لنفسه ويكرهه له قومه ·

وفرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته فلم يلتفت اليه ··

ترى ماذا يفعل النبي صلوات الله وسلامه عليه برجل آذاه واشتد عليه وملأ قلوب الآخرين حنقا وغضبا وحربا وكان صلى الله عليه وسلم يعفو ويصفح ·· حتى وهو في اشد ساعات المحنة بعد ان اخرجه أهل الطائف من بلدتهم وقد سلطوا عليه سفاءهم يضربونه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه فتوجه الى ربه يشكو اليه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس ويسأله العافية والرضى ·· فيوحي الله اليه انه ان شاء أهلك أعداءه فلم يبق منهم احدا . فلم يزد النبي صلى الله عليه وسلم على أن قال

« اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون »·

ترى ماذا سيفعل صلى الله عليه وسلم بثمامة ··

ولما كان اليوم التالي مر به النبي عليه الصلاة والسلام ·· فقال : مالك يا ثمام ؟

قال : خير يا محمد ·· ان تقتل تقتل ذا دم ، وان تعف تعف عن شاكر ، وان تسأل مالا تعطه ··

قال النبي صلى الله عليه وسلم : قد عفوت عنك يا ثمام ··

ونظر الى أصحابه وقال : اطلقوه··

وخرج « ثمامة » من المسجد ،وكأنما أضاءت الدنيا في وجهه لاول مرة في حياته ، فقد أخذ عليه عفو النبي صلوات الله وسلامه عليه مجامع نفسه وقلبه ، وملأ هذا الموقف الكريم فؤاده حبا للنبي صلى الله عليه وسلم ورسالته

والتمس في المدينة خلوة وماء فطهر ثيابه واغتسل ··

وعاد الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد غدا وجهه في عينيه أحب الوجوه·· وأعلن اسلامه ··

الحدود في الشريعة الاسلامية :

★ كيف تثبت الحدود في الشريعة الاسلامية ؟ وهل اقرار الجاني بجريمته لازم في اقامة الحد ؟ وكيف يعامل الجاني بعد اقامة الحد عليه ·· ؟

محمود عبد الجليل
السودان ـ ود حامد

ـ الاصل في الشريعة الاسلامية ، أن الحدود ـ فيما عدا حد القذف ـ لا تثبت الا باحدى طريقتين هي اقرار المتهم بوقوع الجريمة منه أو بالبينة التي يقيمها المدعي أو المجني عليه والبينة في الاسلام هي الشهادة · واذا كان دليل ثبوت الحد هو اقرار الجاني على نفسه بارتكابها ، فقد اشترط الفقهاء أن يكون اقرار الجاني أربع مرات ، ليحل محل كل شاهد اقرار منه وليس لازما ان يقر الجاني مع الشهادة كما لا يعتد بانكاره ·

اما حد القذف فيثبت بالاقرار وبشهادة اثنين ولا يشترط الفقهاء فيه تكرار الاقرار ، لانه حد خالص للعبد · ويشترط مطالبة المجني عليه بعقاب الجاني ·

واختلف العلماء في الحدود هل هي زواجر أم جوابر ، بمعنى هل شرعت لزجر المجتمع عن الوقوع في الجريمة او لتطهير المجرم من آثار معصيته ؟

والاصح ان الحدود زواجر وجوابر معا بمعنى انه متى اقيم الحد فان المجتمع يتزجر والمتهم يتطهر بالحد من اثمه والدليل على ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد للغامدية ، بأنها تابت توبة لو أخطأ اهل الارض جميعا لوسعتهم ·

والمحدود في القذف يترتب على اقامة الحد عليه عدم قبول شهادته أما غيره فيعامل كانسان عادي بعد توبته الصادقة والمحدود في الزنا لا يحد قاذفه ·

ليلة النصف من شعبان :

★ يذكر بعض الناس فضائل كثيرة لليلة النصف من شعبان ويؤدون فيها الصلاة بنية خالصة ، كما يدعون بدعاء مشهور ويوزعون الحلوى على الاطفال فما الراي في ذلك ؟

درويش محمد مصبح
دبي ص· ب : ١٦٩

منكم واليكم

ـ ليلة النصف من شعبان ليلة مفضله ، وقد وردت احاديث كثيره في فضائل هذه الليلة ، وصوم شهر شعبان جاءت فيه احاديث صحيحة · واما صوم يوم النصف منفردا فلا اصل له وكذلك اتخاذه موسما تصنع فيه الاطعمه والحلوى وتظهر فيه الزينات ، وايضا ما احدث في ليلة النصف من الاجتماع العام للصلاة والتي يقرا فيها « قل هو الله احد » الف مرة في المساجد ويقول العلماء ان الحديث الوارد في الصلاة الالفية موضوع وان الاجتماع لصلاة نافلة مقيدة بزمان وعدد وقدر من القراءة لم يشرع ·

صلاة شارد الذهن :

★ في بعض الاحيان أؤدي الصلاة وأنا شارد الفكر مشتت الذهن ، لظروف خاصة بالعمل أو بالاسرة فهل يقبل الله صلاتي أم علي اعادتها ؟

حسنين محمد فارح
بربرة ـ الصومال

ـ صلاتك مقبولة شكلا ، اي انها لا تقضى بعد ادائها على هذا النحو ، الا انها مكروهة موضوعا ، لانك لم تؤد لها الخشوع الواجب والسكينة المطلوبة ، ولم تستفد منها فهما ينير عقلك ولا ادبا يضبط سلوكك وللصلاة عند الله وزن معين وقيمة مقررة · والمصلي يدرك هذا الوزن وتلك القيمة ، بمقدار وعيه العقلي وصفائه النفسي · وعلى المصلي عندما يدخل الى الصلاة ان ينسى كل شيء وان يتجه بقلبه وعقله الى خالقه ·

النوم في المساجد :

★ كثيرا ما اشاهد ـ في بعض المساجد ـ الناس وهم ينامون في المساجد وبخاصة أيام الجمع فهل النوم جائز في المساجد ؟

فاروق حسن
أبوظبي

ـ من العادات الرديئة مـــا يصنعه بعض الناس من النوم في المسـاجد ٠ وهذا النوم يحرم اذا كـــان يؤدي الى توسيخ المساجد وتعكير جو العبـادة ٠ والمساجد انما بنيت لذكر الله واقامـة الصلاة فيها وتوفير جـــو من الصفاء الروحي والسكينة النفسية ، لمــــن يترددون عليها ويتقربون الى اللـه في ساحتها ولم تبن المساجد لكي تكـــون فنادق للنائمين ٠

وقد جاءت الآثار في النهي عن البيع والشراء والتسول والنوم في المساجد ٠

★ لي صديق يشرب البيرة بدعوى أنها تساعده على الهضم وانه لم يـرد فيها نص شرعي يحرمها فما الراي في ذلـــك ؟

محمد تاج عبد الله
القاهـرة ـ مصر الجديـدة

ـ القاعدة الشرعية هي ان كل مـا اسكر كثيره فقليله حرام وهناك اجماع

على ان الاكثار من شرب البيرة يؤدي الى السكر وعندئذ تكون حراما شرعا ٠

اما ما يتعلل به صديقك من ان البيرة تساعده على الهضم أو تدر البول او أن فيها فوائد صحية أخرى ، فهذا كــلام غير معترف به طبيا ٠ وهناك مـــــن الادوية غير المحرمة ما يؤدي الى ذلك ويحققها على وجه كثر وأفضل ٠

★ قال الله تعالى « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهــــن في المضاجع واضربوهن ٠٠ » فهل الضرب في الآية الكريمة على حقيقته أم يـراد به معنى آخر وما حدود هذا الضــرب واليس هذا يتنافى مع تكريم الاسلا للمــراة ؟ !

الهام عبد الرزاق الحسينـي
القاهرة ـ كلية البنات الاسلامية

ـ أجمع العلماء على أن معنى كلمة « اضربوهن » في الآية الكريمة هـــ

الضرب الحقيقي ونعني به مباشرة أداة الضرب لجسم المضروب على جهة الايلام له · ومن الخطأ المتفق عليه عند علماء اللغة والشرع الانتقال عن فهم المعنى الحقيقي للمعنى المجازي بدون دليل يسوغ الانتقال من الاصل لغيره·

وتكريم الاسلام للمرأة معنى عام لا يصلح قرينة على ايثار الاخذ بمجاز اللفظ دون حقيقته ·

ومن تكريم المرأة استصلاحها بالوسيلة الموصلة الى ذلك والأمر بالضرب في الآية للاذن والاباحة ولن تضرب المرأة الا عند حاجتها الى الضرب وذلك اذا خيف عصيانها وتعاليها على زوجها ولم ترتدع بالموعظةولا بالهجر فعندئذ للزوج ضربها ضربا غير مبرح وهو الذي لا يكسر عظما ولا يشوه جارحة ·

وقد ورد عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا يضربون نساءهم ضربا خفيفا بالمسواك ·

● ما المقصود بكلمة المحراب في قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » وهل هناك فرق بين القبلة والمحراب وما رأي الدين في الصلاة في المحراب ؟

محمد عبد العاطي بهلول
مصر ـ أجا ـ دقهلية

ـ المحراب لغة هو كل موضع مرتفع فى صدر البيت ، ويطلق أيضا على أكرم مكان فيه ، كما يطلق على مجالس الملوك ·

وقد استعمل المحراب في القرآن الكريم بهذا المعنى كما في قوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ··· الخ الآية » ·

والقبلة هي اتجاه الكعبة المشرفة التي يستقبلها المسلمون في بقاع الارض بزوايا مختلفة تلتقي جميعا في الكعبة. وذلك بأمر الله تعالى في قوله في كتابه الكريم : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » البقرة ١٤٤

وقد بدأ ظهور المحراب المجوف في نهاية القرن الاول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري· أما الصلاة في حنيه محراب المسجد فالمشهور الجواز فيها بين العلماء بلا كراهة والله أعلم ·

حصاد الشهر

ابوظبي :

● امر صاحب السمو الشيخ زايد ابن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة بتوزيع مكافآت مالية على الفائزين – على مستوى الدولة – في مشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم ·

● قامت دولة الامارات العربية المتحدة باعداد وتمويل وانتاج أول فيلم عن القرآن الكريم يوضح بعضا من أبرز الصور والنصوص الخطية والكتابية للقرآن الكريم وتطور كتابته من الخط الكوفي البسيط الى الخطوط الحديثة ·

● انتهت دائرة الفتوى والتشريع من اعداد مشروع تعديل أحكام قانون العقوبات لامارة ابوظبي وذلك باضافة مواد جديدة بتحريم العاب القمار سواء في المنازل أو الاماكن العامة ·

● أعدت جمعية الاصلاح والتوجيه الاجتماعي بدبي قسما خاصا بدارها لبيع الكتب والتسجيلات الدينية لاعضائها والزوار بأسعار رمزية ·

● تم اتخاذ جميع الاستعدادات الخاصة بالحج واستقبال الحجاج عند وصولهم الى مكة والمدينة ·

« مجلس أعلى للدعوة الاسلامية »

● يجري حاليا بحث مشروع انشاء مجلس أعلى للدعوة الاسلامية في مصر، تمثل فيه جميع الهيئات المهتمة بالدعوة وتكون مهمته التخطيط والتنفيذ لبرامج الدعوة الاسلامية ·

من عواصم العالم الإسلامي

• تقرر اعادة نظام الكتاتيب القديمة بهدف المحافظة على القرآن الكريم ،ورفع مستوى خريجي الكليات الازهرية .

• يجتمع المؤتمر التاسع لمؤتمر علماء مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة . في أوائل العام الهجري الجديد ومن الموضوعات الهامة التي سيتناولها المؤتمر بالبحث الدستور الاسلامي والخاص بتقنين الشريعة الاسلامية وجعلها ميثاقا قانونيا واجتماعيا وتشريعيا للمسلمين .

• قال الدكتور أحمد فتحي الزيات نائب رئيس جامعة الازهر أن قانون تطوير الازهر الذي صدر عام ١٩٦١ م أعاق الازهر عن تحقيق رسالته في المحافظة على التراث الاسلامي واللغة العربية ووقف دون استكمال المقومات الاساسية للدراسات الاسلامية لطلاب الازهر .

• تقرر انشاء كلية للشريعة الاسلامية ، باقليم السوس في المغرب لتخريج العلماء والقضاة والدعاة وستكون هذه الكلية نواة لجامعة اسلامية افريقية ، كما تقرر انشاء مركز اسلامي في فاس .

من عواصم العالم الاسلامي

مع وفد المركز الاسلامي في اليابان

- الدعوة الاسلامية لم تصل الى اليابان الا في مطلع هذا القـــرن ٠
- المسلمون اليابانيون يطلبون عون اخوانهم في بنـــاء المســـاجد ٠

زار دولة الامارات وفد اسلامي من اليابـــان ، لاول مرة منذ وصل الاسلام الى جزر اليابان في مطلع هـــذا القرن ، وقد التقى الوفد بسمو رئيس الدولة وشـــرح له أهداف هذه الزيارة التي تهدف الى تعريف المســـلمين بحاجة الدعوة الاسلامية في اليابـــان والى تكاتـــف الجهود لبناء عدد من المساجد وايفاد عـــدد من الدعاة لمواجهة مئات من دور التبشير غير الاسلامية المنتشـــرة هناك ، والمدعومة بالامكانات الهائلـــة التي تكفل لها الانتشار السريع بين أفراد الشعب الياباني ٠٠٠

وصرح الدكتور صالـــح السامرائي مدير الشـــئون الخارجية بالمركـــز الاسلامي باليابان ، والمرافق للوفـــد ، بأن سمو الشيخ زايد بن سلطـــــان آل نهيان رئيس الدولة قد ابدى تفهمـــا وتعاطفـــا وتأييدا كامـــلا للمسلمين اليابانيين ، ووعد بالاسهام في تنفيـــذ مشروعات اقامة المساجد والتي تبلـــغ تكاليفها حوالي اثني عشر مليـــون دولار ٠

قصة اسلام ياباني :

وكان الوفد يضم أربعة اعضـــاء ، اثنان منهم من اليابانيين وهم ، الحاج خالد كيبا الامين العام للمركز الاسلامي وهو من خريجي كلية الحقوق ، والحا[illegible] محمد مصطفى كومورا مدير الدع[illegible] الاسلامية بالمركز ٠٠ اما العضـــ[illegible] الآخران فهما الاستاذ الدكتور [illegible] السامرائي مدير الشئون الخار[illegible]

من عواصم العالم الإسلامي

بالمركز وهو من أصل عراقي والاستاذ موسى محمد عمر الامين العام المساعد للمركز وهو من أصل سوداني .

وقد تحدث الينا الحاج محمد مصطفى كومورا اكبر الاعضاء سنا بـداه جزء من تاريخه وكيف هداه الله الى الاسـلام .

نصف قرن من الجهاد :

وقد دمعت عين الرجل الذي قارب عمره ثلاثة أرباع القرن . حينما وصل في حديثه عن ذكرياته الى وصـول الزحف الشيوعي الـذي فتك بمسلمي التركستـان وقضى على معالمهـا وتراثها ..

وقال الحاج كومورا ولدت عام ١٩١٢م في مدينه كيوتو عاصمة اليابان القديمة وفي دراساتي الجامعية تخصصت في اللغة الصينية . ثم عملت بالحكومـة لمدة ثلاث سنوات استقلت بعدهـا واشـهرت اعتنـاقي للاسـلام

من عواصم العالم الإسلامي

وجندت نفسي لخدمته منذ ذلك التاريخ
أما كيف وما هي الظروف التي أدت به الى هذا التحول ؟ فانه يقول :
« بحكم تخصصي في اللغة الصينية ، عرفت أن سياسة الحكومة اليابانيـة كانت تقضي بتقديم العون لمسـلمي الصين في كفاحهم ضد الظلم الواقـع عليهم ، فذهبت الى الصين واختلطت بالمسلمين هناك وتعاملت معهم ،وأدركت أنني عثرت في دينهم على شيء كنـد افتقده كانسـان ٠٠ عثرت فيـه على السكينة والطمأنينـة ٠ على الراحـ النفسية التي يفتقر اليها انسان العصر فقررت بيني وبين نفسي أن أكـون واحدا منهم ، وفي عام ١٩٣٨ عـدت الى طوكيو وأشهرت اسلامي على يـد أول مسلم ياباني وهو المرحوم الحـاج أحمد أريجا بحضور مفتي الاتراك في

اليابان الشيخ عبد الرشيد ابراهيم وتسميت باسم (محمد مصطفى) .

في تلك الفترة كانت الطبقة الحاكمة في اليابان متعاطفة مع المسلمين ، فطلبت من بعضهم مد يد العون للمسلمين في تركستان ، وجريت الكثير من الاتصالات وكانت المسافة بيننا وبين بلاد التركستان حوالي أربعة آلاف كيلومتر والمواصلات تعتمد على القوافل البرية بالجمال والبغال ، مما جعل اتصالاتنا باخواننا المسلمين هناك بطيئة للغاية .

ويكمل الحاج محمد مصطفى كوموار حديثه عن جهاد المسلمين في التركستان وهو يكفكف دمعة خانته تأثرا لما حاق بشعب تركستان المسلم فيقول

واخيرا نجحنا في استقدام ٢٦ مجاهدا من شباب تركستان بقيادة المناضل (الجنرال محمود) الذي تسلل بهم عبر جبال الهيمالايا ثم كلكتا ثم شنغهاي التي كانت في ذلك الوقت تحت الوصاية الدولية وكنت هناك في استقبالهم . واصطحبتهم الى المكان الذي اعد لتدريبهم على حرب العصابات واعمال التمريض والاسعاف ..

وفي تلك الاثناء اشتد الضغط على اليابان ، وضربت هيروشيما وناجازاكي بالقنابل الذرية . واستسلمت البلاد ، وعاد المجاهدون الى بلادهم وانقطعت صلاتنا بهم الى الابد .. وضاع الاسلام في دولة كان شعبها من اقوى شعوب الامة الاسلامية ارادة وعزما وصلابة .

ان عدد المسلمين في اليابان يبلغ اليوم حوالي ثمانية آلاف . ولا يوجد في الوقت الحاضر هناك سوى ثلاثة مساجد ، أحدها في مدينة (كوبيية) التي تقع على بعد ٦٠٠ ستمائة كيلومتر جنوب غرب العاصمة وقد أسسه التجار الهنود عام ١٩٣٥ م . والثاني في مدينة طوكيو . وقد أسسه المهاجرون الاتراك عام ١٩٣٨ م . والثالث أنشأه الحاج محمد مصطفى كوموار في عام ١٩٧٧ م في مدينة (أوزاكا) ثاني مدن اليابان بعد طوكيو . والتي يبلغ عدد سكانها ستة ملايين نسمة .

ان المستقبل رغم الحملات الضارية التي تتعرض لها دعوتنا شرقا وغربا يحمل في طياته انتصارا لتلك الدعوة. تزداد رقعته اتساعا كلما نشط المخلصون من الدعاة في دول آسيا وأوربا وأفريقيا وأمريكا . وانا لنرجو الله أن يوفق أصحاب الهمم العالية من المسلمين الصادقين أن يدلو بدلائهم في دعم الجهود الصادقة البناءة لنصرة دعوة الحق ، حتى يرتفع لواؤها ويعم الخير والسلام .

من عواصم العالم الاسلامي

كيف وصل الإسلام الى اليابان ؟ :

هذا وقد وصل الاسلام الى الصين منذ فجره الاول ، الا أن جزر اليابان ظلت بعيدة عنه الى حوالي مطلع هذا القرن ، حينما ذهب الى هناك الداعية المسلم (علي أحمد الجرجاوي) هو وبعض رفاقه عام ١٩٠٧ م ، ومفتي

المسلمين (الروس) الشيخ عبد الرشيد ابراهيم في عام ١٩٠٩ م ، ثم جماعة التبليغ في عام ١٩٥٦ م ومنذ مطلع هذا القرن الى ما بعد منتصفه بقليل كانت جهود الدعاة المسلمين جهودا فردية محدودة ، لم تؤت ثمارها على الوجه المطلوب ·

انتشار الدعوة الإسلامية في اليابان :

ان اول ياباني اعتنق الاسلام هو المرحوم احمد اريجا وكان مسيحيا ثم هداه الله الى دعوة الحق ، اما اول من ادى فريضة الحج من المسلمين اليابانيين فهو الحاج عمر ياماكاوا في عام ١٩٠٩ م ·

وفي عام ١٩٥٢ اسس عدد من المسلمين اليابانيين الذين هداهم الله قبل ذلك ابان الحرب العالمية الثانية أثناء وجودهم في الصين والملايو واندونيسيا اول جمعية لهم وأطلقوا عليها اسم (جمعية مسلمي اليابان) ·

وفي عام ١٩٦١ تشكلت أول جمعية للطلبة المسلمين وضمت الطلاب القادمين من مختلف البلدان الاسلامية للدراسة في اليابان ، ثم كونت هذه الجمعية مع جمعية مسلمي اليابان مجلسا مشتركا للدعوة الاسلامية ظل

حصاد الشهر

يخطط ويعمل لنشر الاسلام في اليابان بامكاناته الذاتية المتواضعة . وتمكن من طبع ونشر عدد من الرسائل الاسلامية . كما أصدر جريدة اسلامية ونظم دروسا تربوية اسلامية للمسلمين . وتمكن من ايفاد عدد من الشباب الياباني للدراسة في البلاد الاسلامية .

وفي عام ١٩٦٦ قام المجلس المشترك بحركة ناجحة لتطوير نفسه . فضم ممثلين عن الجمعيات الاسلامية الاخرى في اليابان مثل الجمعية التركية وجمعية الطلبة الاندونيسيين وأطلق على نفسه اسم (المركز الاسلامي الدولي) . الا أن هذا المركز لم يستمر في نشاطه كثيرا بسبب عودة أكثر أعضائه من الطلبة النشطين الى بلادهم بعد انتهاء دراستهم .

وفي عام ١٩٧٣ عاد الى اليابان بعض الخريجين ممن كانوا يعملون في جمعية الطلبة المسلمين . للعمل على تنشيط الدعوة الاسلامية . فقاموا بجمع الصفوف وظلوا يتكاتفون مع اخوانهم حتى تمكنوا في عام ١٩٧٤ من انشاء المركز الاسلامي في اليابان الذي يعد صيغة جديدة للمركز الاسلامي الدولي .

وقد اختير لهذا المركز مقر صغير بالقرب من مسجد طوكيو ليكون منطلقا لحركة

今後の発展を祈る

اسلامية نشطة يرجى لها الانتشار فى حميع انحاء اليابان .

واجب الدول الاسلامية :

ان الدول والهيئات والموسسا . الاسلامية مطالبة اليوم اكثر من ا . وقت مضى بتقديم العون (عيـ المحدود) لمسلمي اليابان . حتى تتمكن من تحقيق املهم الكبير في نشر الدء بمدن اليابان وقراه وانشاء المسا . وتعليم اللغة العربية واصدار النشر والكتيبات التي تشرح باللغة اليابا الاسلام . فكره ومبادئه وشريعته فاليابانيون شعب قوي الارادة والعز ومن الخير لنا ان نكسب هذا الشـ ليكون نصيرا للفكر الاسلامي و لا للواء حضارته الانسانية .

إليك عزيزنا القارىء

□ أخي القارىء الكريم

□ منار الاسلام بين يديك كل شهر، رسالتها اعلاء كلمة الله، وهدفها توجيه الكلمة الصادقة ونشر الثقافة الاسلامية الاصيلة ، ومنهاجها الحق ووسيلتها ما ينشر فيها من بحوث ودراسات ، لأنارة الطريق وتعبيدها والكشف عن الانحرافات في العقائد والسلوك وعلاجها ·

ونقدم لك فيما نقدم :

- الدراسات القرآنية ·
- بحوثا في السنة ·
- العقائد والملل ·
- التشريع والفقه ·
- السير والشخصيات ·
- العلوم الطبيعية والكونية ·
- الاجتماعيات والاخلاقيات ·
- الكتب والمكتبات ·
- الشعر وفنون الادب الاسلامي ·
- الاستطلاعات المصورة ·

ونحن نستطلع رأيك ، أيها القارىء العزيز ، فيما تفضل من هذه الدراسات وما تقترح من بحوث أخرى أو دراسات جديدة · وكل ما يعن لك من آراء وأفكار ·

ونحن حريصون على أن نوفق بين رغبات قرائنا ورسالة المجلة، والله يتولانا بتوفيقه ويسدد خطانا جميعا، ويوجه رأينا ورأيك ·

اكتب الينا على ص· ب : ٢٩٢٢ أبوظبي ·

•• مجلة منار الاسلام

في .. هذا العدد

سه
الحجه سـ
نومبر ١٧٨

الحرم المكي والكعبة المشرفة
في موسم الحج

إسلامية ثقافية شهرية

تصدرها

وزارة العـدل والشئون الإسلامية والأوقاف

دولة الإمارات العربية المتحدة

في غرة كل شهر عربي

مدير التحرير

سعيد عبد الله حارب

العـدد الثاني عشر
السنة الثالثة
نو الحجة ١٣٩٨هـ
نوفمبـر ١٩٧٨م

اقرأ: في هـذا العـدد

بسم الله الرحمن الرحيم

يصدر هذا العدد وملايين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها تهفو قلوبهم وافئدتهم نحو الكعبة المشرفة ، وارض الله المقدسة ·· ومنهم من وفقه الله الى اجتلاء طلعة البيت البهية والتعرض للنفحات والرحمات الجلية ·· ومنهم من لا يزال يرجو حتى تفتح له ابـواب السماء بالاستجابة ··

وفي هذه المناسبة الكريمة يسـر وزارة العدل والشـئون الاسلامية والاوقاف ـ بجميع العاملين فيها وهيئاتها واداراتها ـ أن ترفع التهنئة الى سمو رئيس الدولة وحكام الامارات والحكومة ، والى شعب الامارات والى شعوب العالم الاسلامي ، راجين من الله العلي القدير أن يمد المسلميـن بعونه وتوفيقه حتى ينتصروا على انفسهم وعلى اعدائهم ، وكل عام والعالم الاسلامي في أمن وطمانينة والمسلمون في تقدم وخير وفلاح ·
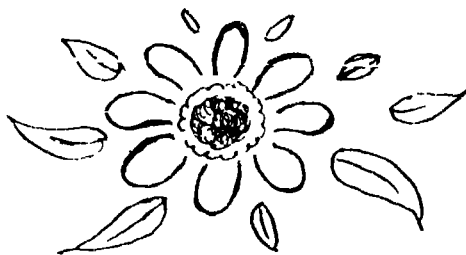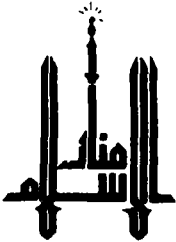
الحج... ذلك

الامة الاسلامية لديها من القدرات الذاتية ما يعينها على السير قدما في قيادة البشرية جمعاء لما هيأ لها الله سبحانه وتعالى من سيادة العالم وافضليتها على الامم الاخرى بقوله تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ٠ وحين نقول الامة الاسلامية ، نعني بذلك تلك الشعوب المتناثرة من المحيط الى المحيط لا تجمع بينها رابطة سوى رابطة الايمان بالله واقوم بها من رابطة ٠ وتتمثل تلك الرابطة في صور شتى خلال مسيرة الحياة الانسانية ، وياتي اللقاء الكبير في هذا الشهر المبارك صورة حية لتلك الرابطة ، التي عجزت البشرية عن ان توجد مثلها حتى اليوم ٠

صور شتى والوان مختلفة ولغات لا يفهم بعضها بعضا ، ولكنهم جميعا يلبون نداء الحق تبارك وتعالى حين يدعوهم لطاعته قائلا : « واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معدودات » ٠

ففي هذا اللقاء ٠٠ يجتمع أهل الشرق بأهل الغرب ، وسكان الشمال بالجنوب ، ليتدارسوا احوالهم وظروفهم ويعمقوا روح الاخوة التي تربط بينهم٠

ان الذي جمع هذا الحشد الهائل من البشر باسودهم وابيضهم واحمرهم، لم يكن مغنما ماديا ولا دعوات فارغة ، ولا منصبا يتكالبون عليه ، بل جمعتهم طاعة الله ، تساوى فيهم الغني والفقير ، والسيد والمسود ، يلبسون ثيابا واحدة، ويؤدون شعائر واحدة ، ويهتفون بنداء واحد « لبيك اللهم لبيك » على اكمل نظام ، واوضح طاعة ، لا يتاخرون ولا يتقدمون عما رسم لهم ٠

اننا لو جندنا جميع الامكانات ، لجمع الف انسان مثلا تكون مشاعرهم وأحاسيسهم وتصرفاتهم بأسلوب واحد ، لعجزنا عن ذلك ، ولكن هذه الجموع الهائلة من البشر ، مهما كثر عددهم أو قل ، فانهم يسيرون بنظام محكم بديع، لان من احكمه هو اللطيف الخبير ٠

ولكن حال الامة الاسلامية اليوم قد شوه الصورة الحقيقية الناصعة للحج ٠٠٠ ان من يعيش تلك الايام المباركة ، يجد صورا شتى لتخلف المسلمين ، فالجهل بالشعائر الاسلامية ـ خاصة ما يتعلق منها بالغرض الذي جاءوا لتاديته الا وهو الحج ، وهنا ياتي دور الاجهزة التثقيفية من اعلام وشئون دينية وغيرها ، فلا يكفي أن نشرح للناس شعائر الحج ، قبل مبدئه بأسبوع أو بشهر ، بل لا بد من بث الوعي الاسلامي بينهم وخاصة ما يتعلق منها بالعبادات المفروضة طوال العام حتى يتمكن الناس من اداء ما افترضه الله عليهم بصورة صحيحة يرجون بذلك القبول عند الله ٠

كما ان السمة العامة للحجاج ، انهم من كبار السن ، فاين الشباب ؟ هل افترض الله الحج على من وصل سن التقاعد ، ام انه فرض على كل مستطيع من مسلم ومسلمة ، وماذا ينتظر الشباب هل ضمنوا لانفسهم حيـاة طويلة ، حتى يؤجلوا فرض الله عليهم ، وقد أجمع العلماء عن ان من استطاع ان يحج ولم يفعل مات يهوديا او نصرانيا ، مصداقا لما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال « من ملك زادا أو راحلة تبلغه البيت الحرام ولم يحج فلا عليه ان يموت . يهوديا أو نصرانيا .. » .

ان الحج ملتقى عام تتركز فيه جميع اللقـاءات العبادية والفكريـة والاقتصادية وغيرها .. وهو موسم خير ، جعله الله سبحانه وتعالى كل عام حتى تجدد الامة الاسلامية روحها ، وتتخلص من ادرانها طوال العام ، لتعود امة فتية ، وحجاج بيت الله الحرام هم وفد الله وضيوفه ، واكرم بها مـن وفادة وضيافة ، والله سبحانه وتعالى لا يرد سائلا ، فكيف بمن جاء الى بيته الحـرام ؟

ان الحج من اجل العبادات واعظمها ، ولئن كان فرضا يؤدى ، فهـو وقاية من الله سبحانه وتعالى لكثير من المحن والشدائـد التي تواجه الامة ، فحين يلتقي المسلمون على صعيد واحد تسقـط بينهم الحواجز ، ويتناسـون خلافاتهم واضغانهم ، ولا يبقى بينهم الا الحب والاخوة في الله ..

والحج فترة نقاهة روحية ، يتخلص الانسان فيها من متعلقاته الدنيوية ليتوجه الى الله بقلبه وجسمه طالبا منه المغفرة والعون ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمـة الليل لوحشة القبور ، وحج حجة لعظائم الامور .. الخ » .

ان للحج معطيات مختلفة ، فلا بد من الاستفادة من هذه المعطيات حتى لا يكون صورة تقليدية لجماعة من البشر تجتمع لتؤدي بعض الشعائر ، ثم ترجع من حيث جاءت لتبدأ معها دورة جديدة من الحياة العامة التي تضيع فيها تلك المعطيـات .

ان الله سبحانه وتعالى قد جمع قلوب المسلمين الى تلك الديار المقدسة الى الحرم الشريف .. الى مسجد رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، الى عرفات .. الى المشعر الحرام .. الى منى .. الى تلك الاماكن المباركة .. فعلى بركة الله .. يا وفود الرحمن وحجا مبرورا ، وسعيا مشكورا ..

مديـر التحرير

لفضيلة الامام الاكبر :

الدكتور عبد الحليم محمود

شيخ الازهــر

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فيما رواه البخاري ومسلم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » .

وعنه صلوات اللــه وســلامه عليه قال : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

والحج المبرور هو الذي لا يرتكب صاحبــه فيه معصية ، وهذا الحديث الاخير مما اتفق عليه البخاري ومسلم أيضا :

والواقع أنه من فضل الله على الامة الاسلامية : ان جعل لها منافذ لتطهير النفس وتزكيتها حتى تنال رضاء الله ، وتنعم بثوابه .

ومن النوافذ الكبرى : الحج المبرور .

وليس من العسير على الانسان ، يخلص وجهه لله ، في أيام معدود يصبح الانسان بعدها من البــر والطهر : كيوم ولدته أمه ، خالصا الدنس مبرءا من الآثام .

المبرور

هذه التزكية ، وهذا الطهر : يجب ان يستمرا فيما يستقبله الحاج من عمره واذا كان الله قد هيا للمسلم هذه الفرصة الكبرى ، ليصل بسببها الى المستوى الملائكي في الطهر ، فانه على المسلم أن يحافظ عليها محافظة تامة ·

ان الانسان في مفتتح اعمال الحج يتوب الى الله توبة نصوحا ، ويعاهده عهدا يعزم الا ينقضه ، على أن يسير في حياته متبعا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ·

وهو بهذه التوبة ، يتطهر باطنيا ، ويشفع التطهير الباطني بتطهير ظاهري وهو : غسل الاحرام ، ويعلن عن اخلاصه في الطهر الباطن ، والطهر الظاهر بالصورة الجميلة : صورة ملابس الاحرام نقية طاهرة بيضاء ، صافية ، خلت خلوا تاما من الدنس والخبائث ·

ويثبت كل ذلك بالشعار القوي الدائم في الحج :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ·

وهو اذن منذ البدء ، يتطهر باطنا ، ويتطهر ظاهرا ، ويتطهر بالقول ، ويتطهر بالسلوك ·

هذا الصفاء ، وهذا الطهر : يجب أن يستمرا بعد الحج ، ويجب أن يدوما مدى الحياة ، والعهد الذي عاهد الله عليه من الاخلاص والتقوى : يجب أن يلتزمه طيلة حياته ، يقول الله تعالى موجها المسلمين الى التزام عهوهم :

« واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون · ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا » النحل ٩١، ٩٢

أما هذه التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، فانها كل امرأة خرقاء

ناقصة العقل تغزل طول يومها ، مثابرة دائبة ، وتحكم غزلها ، ثم تنقضه آخر النهار ، ومثل كل من يعاهد الله ، ثم لا يوفي بعهده ، مثل هؤلاء النسوة الحمقاوات اللواتي ينقضن آخر اليوم، ما غزلن في أوله ٠

على أن الاخلال بالعهد مع الناس : يعتبر عند الله من علامات النفاق ٠٠٠ فما بالك بالاخلال بالعهد الذي بين الانسان وربه ؟ لقد بين صلوات الله وسلامه عليه علامات المنافق :

فعن عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما فيما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن : كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا أؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » ٠

وعن أبي هريرة رضي الله عنه فيما رواه الامامان البخاري ومسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذ أؤتمن خان » ٠

على أن هذا الذي يعاهد الله ، ثم ينقض عهده ، انما يقول ما لا يفعل وقد هدد الله سبحانه من يفعل ذلك وتوعده ومقته :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » الصف : ٢ـ٣ ٠

أما اذا تزكى المسلم بالحج، ثم حافظ على هذه التزكية بعد الحج : فانه ينال السعادة

الحقة : انه ينال سعادة الدنيا، ذلك ان الله سبحانه وتعالى ، كفل لمن انضوى تحت لوائه ، واهتدى بهديه واتقاه ، طيب الحياة ، يقول سبحانه :

« من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » النحل : ٩٧ ٠

وقد تكفل سبحانه وتعالى باخراج المتقي من كل ما يصادفه من المآزق ، وبان يرزقه من حيث يدري ومن حيث لا يدري :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » الطلاق : ٢ـ٣ ٠ على انه بمجرد الابتداء في السير الى الله تبدأ رعاية الله غامرة عامة شاملة ٠

وهذا الابتداء في التوجه الى الله انما يكون في صورة الاستغفار ، والله سبحانه يقول :

« فقلت استغفروا ربكم ، انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم باموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم انهارا» نوح : ١٠ـ١٢

ويقول تعالى ، فيما قصه حكاية عن سيدنا هود عليه السلام :

« ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم » هود : ٥٢ ٠

هذه الرعاية من الله انما هي في الدنيا ، بيد أن رعايته سبحانه لا تقتصر عليها وانما تشملها ، وتتعداها الى

رعاية أجل وأعظم ، وهي رعايته سبحانه في الآخرة ، لمن حافظ على عهده ، وأوفى بعقده ، يقول سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله ،

يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم » الانفال : ٢٩ ·

وبعد : فان اكرم الناس على الله ، هو أتقاهم له سبحانه ، والاتقى هو الذي تزكى ثم حافظ على التزكية ·ولن يضيع الله أكرم الناس عليه ، وكيف ؟ وهو سبحانه أكرم الاكرمين ·

عن ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤال جبرائيل عليه السلام اياه عن الاسلام ؟ فقال : الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتحج وتعتمر ، وتغتسل من الجنابة ، وأن تتم الوضوء وتصوم رمضان ·

قال : فاذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال: نعم · قال صدقت » ·

يقول الامام البخاري :

باب قول الله تعالى : « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » البقرة : ١٩٧ ·

« يسألونك عن الاهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج » البقرة : ١٨٩

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : اشهر الحج شوال ، وذو القعدة ،وعشر من ذي الحجة ·

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من السنة أن لا يحرم بالحج الا في اشهر الحج ·

فريضة الحج مرة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس ، ان الله قد فرض عليكم الحج ، فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول اللهصلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ، فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه » ·

عن ابن شماسة رضي الله عنه قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ، فبكى طويلا وقال : فلما جعل الله الاسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، ابسط يمينك لابايعك ، فبسط يده، فقبضت يدي فقال : مالك يا عمرو ؟ قلت : أريد أن اشترط · قال : تشترط ماذا ؟ قلت أن يغفر لي ·

قال : أما علمت يا عمرو ان الاسلام يهدم ما كان قبله ؟

وان الهجرة تهدم ما كان قبلها ؟ وان الحج يهدم ما كان قبله ؟ »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ،رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ·

رواه البخاري ومسلم والنسائي ، وابن ماجة والترمذي الا انه قال : «غفر له ما تقدم من ذنبه » ·

وقال الزهري : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة ·

وقال الحافظ : الرفث يطلق ويراد به الجماع ، ويطلق ويراد به الفحش ويطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة ،

فيما يتعلق بالجماع ، وقد نقل في معنى الحديث كل واحد من هذه الثلاثة عن جماعة من العلماء .

وعن عبد الله بن جراد الصحابي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حجوا فان الحج يغسل الذنوب ، كما يغسل الماء الدرن » .

وعن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » .

ورواه ابن ماجة والبيهقي من حديث عمر ، وليس عندهما : والذهب الى آخره .

وعند البيهقي :

« فان متابعة بينهما يزيدان في الاجل، وينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير الخبث » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »

رواه مالك والبخاري ومسلم ،والترمذي والنسائي ، وابن ماجة ، والاصبهاني ، وزاد :

« وما سبح الحاج من تسبيحة ، ولا هلل من تهليلة ، ولا كبر من تكبيرة الا بشر بها تبشيرة » .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة . قيل : وما بره ؟ قال : اطعام الطعام ، وطيب الكلام » .

وفي رواية لاحمد والبيهقي : « اطعام الطعام ، وافشاء السلام » .

وبعد : فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل افضل ؟ قال: « ايمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال :

« الجهاد في سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال :

« حج مبرور » .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أفضل الاعمال عند الله تعالى : ايمان لا شك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور ».

الأدب النبوي

لفضيلة الشيخ :
أبو الحسـن الندوي

ما ظنك ؟ ببشر ذل بالقرآن لسانه ، امتزج بلحمه ودمه ، وجرى فيه مجرى الروح ، وأخذ بقلبه واستأثر بلبه ، بل أشرب في قلبه القرآن ، وتمكن منه ما الله أعلم به . فان لم يكن كلامه بعد ذلك من الوحي فكما قال أخونا الشاعر مصطفى صادق الرافعي قد جاء من سبيله ، وان لم يكن له منه دليل فقد كان هو من دليلـه :

قد عبد له الوحي طريق الكلام وذللـه
كما كان بعد السيل مجراه مرتعـا

ما ظنك ؟ بمولود من بني هاشم ولدته أم القرى ، نشأ في بني سعد بن بكر ، وعاش في قريش ، أخواله بنو زهرة ، تزوج في بني أسد ، وهاجر الى بني عمـرو ، ما ظنك ببشـر : « متواصل الاحزان ، دائم الفكـرة ، ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختتم باشـداقه .. ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير ..

اقرأ فصلا للجاحظ في بيان افضل الكلام ، والقول ما قالت حزام . قال رحمه الله :

« افضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه ظاهر في لفظه .وكان الله قد البسه من ثياب الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله ، فاذا كان المعنـى شريفا واللفظ بليغا ، صحيح الطبع ، بعيدا من الاستكراه منزها عن الاختلال ، مصونا

الأدب النبوي

عن التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة .. ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، كساها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة » .

ثم انظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم :

● « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني به الله فعلم وعلم،ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

● « الحلال بين والحرام بين . وبينهما متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه ، الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه ، الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب » .

● « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ، الحديث وفيه : « ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » ان المكثرين هم المقلون يوم القيامة الا من اعطاه الله خيرا فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا » .

● « سبحان الله ماذا انزل الليلة من الفتن ، ماذا انزل من الخزائن ، من يوقظ صواحب الحجرات . يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة » . قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون فيها بنجد شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العصى وكالبرق وكالريح وكالطير ، وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم الخ ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم في معنى الاحسان « ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وقوله : « انما الناس كالابل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة » .

« بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه ... » ، « انما الاعمال بالنيات » ، « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، « لا تجني يمينك على شمالك » ، « المضعف امير الركب » ، « اياكم وخضراء الدمن » ، « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ، « الاثم ما حاك في صدرك » ، « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » ، « الدين النصيحة » .

★ ★ ★

هل ترى الجاحظ يعني غير كلام النبي صلى الله عليه وسلم : حاشى لله وأي كلام أحق بأن يلبسه الله من ثياب الجلالة ويغنيه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله ويكسوه من التوفيق ويمنحه من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمه به صدور الجبابرة من كلام نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهو مع الاعجاز اذا سمعه الجاهل ربما ظن انه يحسن مثله وهذا هو الكلام البليغ كما قال ابن المقفع والسهل الممتنع

ثم انشأ الجاحظ يصف كلام النبي صلى الله عليه وسلم وحسبك به وصافا وناعتا ونكتفي به « هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف استعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي. فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعظمة وشد بالتأييد ويسر بالتوفيق ، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حس الافهام وقلة عدد الكلام ، وهو مع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا افحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس اسكات الخصم الا مما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق . ولا يطلب الفلج الا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطيء ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا . ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا اكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا اسهل مخرجا ، ولا افصح عن معناه ، ولا ابين عن فحواه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم » .

وأصحابه صلى الله عليه وسلم اقتبسوا من هذه الفصاحة - رضي الله عنهم - ومعشر الانبياء قوم لا يشقى بهم جليسهم . وهم حملة هذا العلم . وأحق عباد الله بالانتفاع به وأولى به من غيرهم - والله أعلم حيث يجعل الفضل فان كان غنيا ولا جرم - فقد وجد تربة كريمة - وأصاب أرضا نقية - كما قال عليه الصلاة والسلام - قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وما هو الا انهم جلسوا اليه وغشوه ، وخالطوه وعاشروه وصحبوه وأحبوه وتضلعوا من كلامه وحفظوا أحكام منطقه، واقتفوا آثاره في كل شيء (١) .

وهل نشأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الا في حجره صلى الله عليه وسلم وكنا نرجو أن نأتي بأمثلة من كلامهم يتبين به الصبح لذي عينين . ولكن قد طال بنا الكلام ومن شاء فليراجع حديث ابي هريرة . قال كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا ابو بكر وعمر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين اظهرنا فابطأ علينا وخشينا أن تقطع دوننا وفزعنا وقمنا وكنت أول من فزع الحديث .. الخ .

وحديث الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة رواه البخاري وغيره عن أنس وابن مسعود وأبي سعيد وحديث أبي قتادة قال خاطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتاتون الماء ان شاء الله » أخرجه مسلم وغيره .

وحديث الافك وحديث كعب بن مالك في قصة تبوك .

● ●

وحمل هذا العلم من بعدهم منهم من قعد به الفقه وأمر الفتوى وعلم الرجال وغلبه كامام أهل السنة احمد ابن حنبل والامام أبي عبد الله محمد ابن اسماعيل البخاري وصاحبه الامام مسلم بن حجاج القشيري الا ان في الجامع الصحيح للبخاري من ادب ولطف كلام ما قد يستوقف نظر الناظر . وفي المحدثين ادباء كعلامة التابعين الامام الشعبي والامام الليث بن سعد وشيخ الامام أبي عبد الرحمن عبد الله بن

القبة النبوية

مبارك الخنطلي والامام عثمان بن سعيد الدارمي والامام المتبوع والشاعر المطبوع محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله وغيرهم ·
فهؤلاء ابناء المحدثين ·

ثم جاء بعدهم اقوام درسوا الحديث ودرسوا ولكن ما استطعموا كلام النبي صلى الله عليه وسلم وما ذاقوا حلاوته فلم يوفقوا لفهم كلام النبي العربي الهاشمي الا كما وفقوا لفهم كلام الفقهاء الذين ليس لهم حظ كثير في لغة القرآن وادبها فتراهم لا يدهشهم أدبه الجليل وان قيل لهم في ذلك قالوا مالنا ولهذا · ليس هذا من شاننا معشر الفقهاء ، وانما لنا اقامة الدليل والترجيح والتحقيق ، فهم كما قال الشيخ احمد ابن فارس · يسرون بما ساء به اللبيب·

والعجب لقوم يذهبون بانفسهم ويرونها من الادب ما يرون ترى الواحد منهم يحفظ آلافا من ابيات رؤية بن العجاج والراجز وذي الرمة وأمثالهم، ان شاعرا من الشعراء المحدثين كان يصلي الصلوات في آخر عمره بالتيمم ويدل عليه قوله كذا وشعره كذا ، وان امرء القيس لما ذهب الى الروم يستنجد قيصر ذهب بطريق كذا ، ويبسط القول في حب ابن أبي ربيعة وشعره لو استمليته جملة من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لسقط في يديه وتحسر ، فنعوذ بالله من سوء الاختيار ·

● ● ●

والحق أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كدينه ـ كما قال نابغة كتاب الشرق ـ ضاع بين جاحد وجامد·

١ ـ والله لكلامهم احرى واحق بان يد...
ويحفظ ويذاكر ويحتج به من غيره ولكن القو...
اخطاهم كتاب الله وكلام نبيه واصحاب...
يتعلموا منه كلام العرب وسننهم فيه ومذا...
واشتغلوا بما ربما لا يكون في شيء من ك...
العرب ولا نرى عليه اثاره من ادب...
غافلين ، وهل الظلم الا انقاص الحق ووضـ...
في غير موضعه والناس اعداء ما جهلوا ·

سلام على ابراهيم

•■•■•■•■•

بقلم الاستاذ : رمزي محمد خليل

•■•

يتلقى المسلمون سيرة الخليل ابراهيم عليه السلام بحب عظيم، يشبه حبهم سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم •• وهذا شعور اسلامي نابع من عمق ايمانهم بدينهم الحنيف •

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل الوحي على دين ابراهيم ••• (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين) آل عمران : ٦٧ •

وقد عصم الله ابراهيم منذ نشأته بالايمان بالله ، امام طغيان الشرك ، وعبادة الاوثان ، وكذلك عصم الله محمدا ، فانشأه مطهرا ، مبرأ من كل ما عليه قومه من الكفر والفسوق والعصيان ••

● ●

وابراهيم هو الذي سمانا المسلمين كما تحدث بذلك القرآن الكريم « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين » الحج : ٧٨ •

وقد خص الله تعالى كلا منهما بوصف كريم ، لم يوصف به احد من البشر •• ولا يعلم الا الله سبحانه ، مدى ما لهذا الوصف من جلال علوي ، وتكريم رباني فوق ما تدرك العقول •• فقال لرسوله الكريم •• « وانك لعلى خلق عظيم » وقال عن ابراهيم «واتخذ الله ابراهيم خليلا» •

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم شبيها في خلقه وخلقه بالخليل ابراهيم•• ولما سمع احد المؤمنين يناديه « يا خير البشر » •• قال : ذاكم ابراهيم •

وفي كل صلاة يقول المسلم « اللهم صل على محمد وال محمد ، كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم •• انك حميد مجيد •

● ● ●

وفي هذه الايام المباركة •• ايام الحج• تتعلق قلوب المؤمنين في انحاء العالم بالبيت الحرام بمكة ، سواء منهم الذين يحجون ، والذين يدعون الله ان يكتب لهم الحج ، استجابة لدعوة الخليل ابراهيم عليه السلام « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ابراهيم : ٣٧

سلام على ابراهيم

ولهذا يحلو ذكر الخليـــل ابراهيم ، وسيرته الفياضة بالخير والبركات ...

● ● ●

ولقد تعود المسلمون ان يتأملـــوا في خشوع وهيبة ، ذكرى مشهد جليـــل ، في حياة الخليل ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام .. مشهد خلده الاسلام ، وجعله عيدا للمسلمين الى يوم الدين .. وهو عيد النحر او عيد الضحيه والفداء. وحق لهم ان يتأملوا ويأخذهم البهر ، حتى لنكاد نحس توقف الانفاس ، من روعة ما يخالجهم من مشاعر .. ولعل منهم مـــن يقترب اكثر واكثر .. فيضع نفســـه في هذه المحنة البالغة .. كانسان .. وان تكن ابتلاء من الله لخليله ابراهيم وابنه البكر الوحيد اسماعيل .. الذي رزق به في شيخوخته .. حين لا يطمع الانســـان ان يكون له ولد .

يرى ابو الانبياء ابراهيم في نومه ، انه يذبح ابنه اسماعيل ، ويصدق ما رأى ، لان رؤيا الانبياء حق ، فهي وحي مـــن الله .. ويذعن الاب والابن لامر الله .. راضين قانتين مؤمنين ، اصدق ما يكون الايمان واروع ما يكـــون التسليـــم والاذعان .. حتى يتم اعداد كل شيء ويبدأ التنفيذ ..

حقا .. انه نبي يطيع امر ربه .. وابنه اسماعيل مثله مسلم طائع . الـم يصبح بعد ذلك رسولا نبيا .. ولا يمكن ان يقع منه حتى في طفولته ما ينافي هذه الرساله المقبلة .. لان الله هو الـــذي يختار رسله الى العباد .

ومع كل ذلك .. فالامر من الناحيـــة الانسانية .. امر اب شيخ بذبح ابنـــه البكر الوحيد .. ولم يدر بذهنه ان الله سينجيه ويفديه بذبح عظيم ، وانه يصبح في المستقبل رسولا نبيـــا ..

هل نقول انه امر الهى صدر الى نبي فاطاع ، وانتهى الامر ؟ ان هذا لا يكفي ولا يشفى النفوس المتطلعة الى فهم اعماق هذا المشهد النبوى الرائع ، ومحاولـــة الاقتراب من مواطن الاعجاز فيه .

لماذا يكون ابتلاء ابراهيم في ابنه .. ولماذا يكون الابتلاء في ذات حياته وليس بتضحية دونها.. ليبقى شيء من الامل..

ولماذا يقدم ابراهيم على ذبح ابنه بكل هذا الثبات ، ودون ادنى تردد .. وكيف انتصر على ابوته وهو شيخ كبير .. ثـم لماذا يذعن الابن للامر بذبحه ويسير اليه كانه ذاهب لاداء الصلاة .. وليس ذاهبا الى نهايته بيد والده وحبيبه .. كيـــف ينسى حياته الى هذه الدرجة ..

لا شك ان الاب والابن كانا يدركان قسوة الابتلاء على نفسيهما .. ولا شك ان شعور كل منهما .. كان هو ذاته شعور كل اب وكل ابن في مثل هذا الموقف ، وان هذا الامر كان واضحا لهما اكثر مما هو واضح لنا ..

البـــلاء المبـــين :

ومن هنا وصف القران الكريم هـــذا كله بانه « هو البلاء المبـــين » .. فالاب والابن يقفان بين الطاعة والعصيان .. ولكن الاعجاز في اختيار الطاعة اولا ، ثم في ادائها بهذا الاسلام الصادق العميق ..

لقد انقذنا قصر القصة من ضغط هذا البلاء المبين على قلوبنا ، وهو بلاء يهـــز كل قلب بشرى على مدى الزمان .. لانه ابتلاء في اصدق واصفى وانقى مشاعـــر الانسان ..مشاعر الابوة الرحيمة والبنوة الغالية ..

ذلك ان النهاية العاجلة في هذا الموقف اعادت الانفاس الى الصدور ، وشغلـــت الانسان بالخاتمة السعيدة ، وهي النجاة والفداء وحسن الجزاء ..

والى هنا لا نزال نتصور هذا المشهـــد الخالد من ظواهره .. ونتمثل محنة الاب وحياة الابن التي تعرض للازهاق عـــلى يديـــه ..

ولكن شمس النبوة تسطع على القضية.. فتضيء كل شيء .. فقد جاء الانبيـــا لهدايتنا والاخذ بيدنا .. لنتعلم ، وليـــت

الناس فيدققوا النظر الى ابعد مما يرون، ويمدوا اسماعهم وابصارهم الى ما وراء الواقع المحدود ، الذي يشغلهم بمتاع الحياة الدنيا ·· ويعطل طاقتهم كبشر ، خلقوا للتعامل مع الله ·· وفهم رسالات الله ·· والتطلع الى ما عند الله وهو أبقى من كل عرض زائل في هذه الحياة··

ان امتحان قمة المشاعر البشرية التي تتمثل في الابوة والبنوة ·· والانتصار في هذا الامتحان الاكبر ، يعني الانتصار على كل مادون هذه القمة من شهوات وروابط تشدنا الى الحياة وتجذبنا الى الارض ·· فتلهينا عن السماء ··

وهذه المحنة التي تبدو فوق الطاقة ·· تتحول الى عمل من ايسر الامور ، على النفس المطمئنة بالله ·· عندما يرتقي الانسان فيدرك حقا ان الله هو خالق الانسان ·· ابنا وبنتا ·· واما وابا ·· وهو خالق الحياة ورب الكون ·· فلا شان لعبد قط ·· ولا قدرة ولا علم ولا ارادة الا لله ·

والله سبحانه لا يكلف الانسان بما لا يطيق ·· ولا يطالبه الا بالادراك السليم الذي يرفعه ويرقى بسلوكه ·· حتى لا يكون شيء ولا مخلوق كائنا من كان ·· احب اليه من الله ·· وحتى لا يكون خضوع في الحياة الا لله ·· لان اى خضوع لغير الله انتقاص من حرية الانسان ، ويجب ان يبلغ الانسان غاية الحرية ·· بعبادة الله وحده ·

المال والبنون :

والمال والبنون زينة الحياة الدنيا ·· كما ذكر القرآن الكريم ·· ولكنهما يسيطران على الناس بدرجات ·· حتى تصل عند بعضهم الى درجة العبادة ، حيث تهوى بهم هذه العبادة في درك العبودية الى غير قرار ··

والتحرر ليس اهدار هذه النعم الجليلة ·· ولا تحريم الطيبات وهجرتها، ولكنه في اتخاذ كل مافي الدنيا وسائل اعداد للاخرة كما علمنا الدين ·· والافلات من سيطرتها على قلوبنا وعقولنا ·· فتكون الحرية في استعباد الدنيا لا في عبادتها ·

وقد احتاج البشر على مدى الزمان الى رسالات الانبياء ، ليعرفوا هذه الحقيقة ويعقلوا هذه الحكمة البالغة ·· كيف يتحرر الانسان من شهواته ويعلو عليها ، وكيف ان الانسان يقترب من الله على قدر بعده عن الخضوع لسواه ··

ولا تزال البشرية تحاول الوصول الى صميم هذه الحقيقة العليا ·· متعطشة الى الحرية ·· وهي تجتاز المفاوز والحروب والكروب افرادا وجماعات ··

ولكن الخليل ابراهيم حقق هذا الانتصار باشارة واحدة في لحظة واحدة ، عندما رفع يده بالسكين ينفذ امر الله في ابنه اسماعيل ·· وقد صار موقف ابراهيم للدنيا كلها اية فذة باقية ·· ومشعلا مضيئا على طريق الحرية الكاملة بصدق العبادة لله ·· واسقاط عبودية كل ما عداه ·

حياة كلها فداء :

وحياة الخليل ابراهيم ·· كلها من نوع هذا الفداء ·· منذ كان صبيا صغيرا يعلن اسقاط عبادة الاصنام ·· في وجه والده المرموق بين قومه لانه امهر صناع هذه الاصنام ·· فيهدده الاب بالقتل رجما بالحجارة ·· ويطرده من بيته ·· ويخرج مهاجرا الى الله ، فلم يكن معه احد الا الله ··

واستجاب دعاءه ان يجعل افئدة من الناس تهوى الى البيت الحرام ·· الذي رفع قواعده مع ابنه اسماعيل ·· فاصبح هذا البيت قبلة المسلمين الى يوم الدين·

وكان بعث محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، استجابة لدعوة الخليل ابراهيم « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم » ··

ان بلوغ الحرية ·· اسمى الحرية بالله ·· قبس من حياة ابراهيم الذي وفي· سلام على ابراهيم · ■ ■

بقلم الاستاذ :
عبد التواب يوسف

الحجر الاسود ـ أو الاسعد ، كما يحلو للبعض تسميته ـ موجود في الكعبة المشرفة ، منذ قامت ، وبنيت ، قبل مدة تقدر بنحو عشرين قرنا ، او الفى عام ٠٠ ما حكايته ؟ ٠٠ لقد آمن العرب قبل الاسلام وبعده انه حجر من السماء ، وبعد كل هذه القرون تأتي حقائق العلم لتؤكد ذلك ، وتثبته ، وتلقم المعترضين حجرا ، وتخرس السنتهم ٠٠ وفي هذه الدراسة الموجزة نروى قصة هذا الحجر الشريف الطاهر، ونتحدث عما حدث من مغامرات ، قبل ان تستقر قطعة منه في معامل البحوث الجيلوجية في انجلترا منذ قرن وربع القرن من الزمان •

• • •

ـ يا اسماعيل ، ان ربك قد أمرني ان ابني له بيتا •

ـ فاطع ربك فيما أمرك •

ـ قد آمرك أن تعينني عليه •

ـ اذا افعل ٠٠

دار هذا الحوار ما بين ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام ، وقد أرسل الله عز وجل ريح « السكينة » حتى انتهت الى مكة ، فتطوت على موضع البيت كتطوى الحية ، وامر سبحانه وتعالى نبيه ابراهيم ان يبنى حيث تستقر « السكينة » ٠٠

وعندما أوشك البناء ان ينتهى ، وبقي حجر واحد ، قال ابراهيم لاسماعيل

ـ يا بني ، ابغ لي حجرا ، اجعله علما

للناس ..

وجاءه اسماعيل بحجر ، لم يرض عنه ابـوه ..

- ابغني غـير هـذا .

فذهب اسماعيل ليلتمس له حجـرا ، فأتاه بحجر ، واذا به قد ركب « الحجر الاسود » في مكانه ، فقال :

- يا ابت ، من اتاك بهذا الحجر ؟ .

قال : أتاني به من لم يكلني اليـك يا بني ..

وهكذا عرفت دنيانا ذلك الحجر ، في موضعه من الكعبة الشريفة، داخل بيت الله الحرام ، في مكة المكرمة .. من اين جاء ، ومن اتى به ؟.. تتعدد الروايات ، واحدة تقول ان جبريل حمله للارض من الجنة ، واخرى تؤكد انه هبط مـن السماء .. وقبل ان نؤيد رواية على اخرى ، نلتمس وصفا لهذا الحجر الفريد ..

وصـــف الحجـــر :

الحجر الاسود حجر صقيل بيضى ، غير منتظم ، ولونه أسود يميل الى الاحمرار ، وفيه نقط بيضاء ، وتماريج صفـــراء ،

ووصفه الرحالة ابن بطوطة كما شاهده خلال زيارة لمكة قائلا .. ارتفاعه عـن الارض ستة أشبار ، فالطويل من الناس يتطامن لتقبيله ، والصغير يتطاول اليه ، وهو ملصق في الركن الذي الى جهة المشرق، وسعته ثلثا شبر ، وطوله شبر وعقـــد ، ولا يعلم قدر ما دخل منه في الركن . وفيه اربع قطع ملتصقة . وجوانب الحجـــر مشدودة بصفيحة من فضة ، يلوح بياضها على سواد الحجر الكريم ، فتجتلى منه العيون حسنا باهرا . ولتقبيله لذة ينعم بهـــا الفم. ويود لاثمه الا يفارق لثمه - خاصة مودعة فيه ، وعناية ربانية بـــه .. وفي القطعة الصحيحة من الحجر الاسود ، مما يلي جانبه الموالي ليمين مستلمه ، نقطة بيضاء صغيرة ، كأنها خال في تلك الصفحة البهية . ونرى الناس اذا طافـوا بهـــا يتساقط بعضهم على بعض ازدحاما عـلى تقبيله ، فقلما يتمكن احد من ذلك الا بعد المزاحمة الشديدة ، وكذلك يصنعون عند دخول البيت الكريم . ومن عند الحجر الاسود ابتداء الطواف . وهو اول الاركان التي يلقاها الطائف . اذا استلمه تقهقر عنه قليلا ، وجعل الكعبة الشريفة عـــن يساره ، ومضى في طوافه ، ثم يلقى بعده الركن العراقي وهو الى جهة الشمال ، ثم يلقى الركن الشامي، وهو الى جهة الغرب، ثم يلقى الركن اليماني وهو الى جهـــة الجنوب ثم يعود الى الحجر الاسود وهو الى جهة الشرق .

والمعروف ان ابن بطوطة زار مكة في رحلته الاولى عام ١٣٢٥ ميلادية ، وكان عمره لا يتجاوز واحدا وعشرين عاما حين كتب هذا الوصف للحجر الاسود .

ويصف محمد لطفى جمعه في موسوعته « ثورة الاسلام » الحجر الاسود بقولـــه : « وهبط اثناء البناء حجر من السماء ، هو الحجر الاسود ، ولعله من نوع النيازك بدليل وصفه انه كان يتلألأ نورا فاضـــاء شرقـــا وغربا وشمالا ويمينـــا الى منتهـــى انصاب الحرم ، وتلألأ الموصوف في الكتب دليل على انه كان ذا لون غير السواد ولكن بعض المؤرخـــين يعلل سواده بأنجـــاس

الجاهلية وارجاسها ، وقد ثبت ان بعض النيازك يتغير لونها بمجرد مرور الزمن عليها ، ومنها ما يتلألأ ويلمع ، والكلمة من اصل فارسي « نيزه » وهو احد اقسام الشهب . الشهاب ما يرى كانـه كوكب انقض من السماء وتكثر في شهـر آب » (اى اغسطس) .

لماذا وضع الحجر الاسود ؟

والثابت من تاريخ العرب ـ قبل الاسلام ـ انهم كانوا يقدسون الحجر الاسود لانه اثر من اثار أبيهم ابراهيم ويرون انه قد وضعه استجابة لامر ربه حين أمره برفع قواعد هذا البيت المعظم ، وربما يكون قد جعله في هذا المكان رمزا للعهد الذي قطعه على نفسه ، وعلى ولده ، بجعل هذا البيت مثابة للناس ، وامنا .. وهناك قول بانه اقامه حجة عليه وعلى ابنه بان هذاالبيت قدانتقل من ملكيتهما الى الله تعالى ، ليكون للناس مصلى ، ومسجد ، وجامع للطائفين والعاكفين والركع السجود .. وربما اختار سيدنا ابراهيم هذا المكان للحجر ، في الركن القريب من الباب ليكون اول حدود هذا البيت المكرم، الذي يبتدىء منه الطائفون .. واختير بهذا اللون ـ الاسود ـ لسهولة تعيينه وتحديد مكانه .. وقد يكون لاختياره بهذا اللون اعلانا من سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن تعاطفه مع هذا اللون الذي قد يضيق به البعض ، وتاكيدا من جانبه للمساواة بين الالوان في البشر ، والاحجار ! لكل هذا كان الحجر الاسود ولهذه الاسباب كان محترما من ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، محترما من ابنه اسماعيل عليه السلام .. مقدسا عند المسلمين الى يومنا هذا ، مقدسا عند العرب

قبل الاسلام وهذا يدل على تقديرهم له كاثر ، وابقائهم عليه في مكانه اعزازا له، ويؤكد ذلك ما شجر بينهم من خلاف عند اعادة بناء الكعبة : من منهم يفوز بشرف رفعه ووضعه حيث كان ؟ .. ولقد كانت العرب تحج الى بيت الله الحرام على مدى

تسعة عشر قرنا سابقة على الاسلام ، لانهم يعتقدون انه بيت الله .. ورغم تعدد دياناتهم ومذاهبهم ، وعبادتهم للاحجار فما عرف انهم عبدوا الكعبة او الحجر الاسود ، بل كان تقديسهم له واحترامهم ناجما عن عقيدة عندهم : انه حجر من السماء جاء به سيدنا آدم عليه السلام عند هبوطه للارض من الجنة ، وعندما لم يرض سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن الحجر الذي اتى به ابنه ، وعاد هذا يبحث عن اخر ، واذا بجبل (ابي قبيس) يصيح .

ـ يا ابراهيم ، ان لك عندى وديعة فخذها ..

وقذف جبل (ابي قبيس) بالحجر الاسود حيث يقف سيدنا ابراهيم ، وكان الجبل يحتفظ به ، وقد صانه حين حدث طوفان نوح ، الى ان سلمه ـ كوديعة ـ الى

نزول الحجر الأسود مقدسا

سيدنا ابراهيم ليرفعه الى حيث هو ، نقطة لبدء الطواف ، ونهايته . ويمكن القول انه علامة مميزة للطواف .

هذا ما حفظه لنا التاريخ الديني عن الحجر الاسود قبل الاسلام ، وقبل نزول الوحي على الرسول عليه الصلاة والسلام. وقبل ان نحكي قصة هذا الحجر مع سيدنا محمد ، نقف لحظات عند المحاولات العلمية التي جرت لمعرفة حقيقة تكوين هـذا الحجر ..

أحجار السماء :

وسؤال يطرح نفسه ..

ـ ما رأى « العلم » في موضوع نزول الحجر الاسود من السماء ؟ .

كثيرون من رجال العلم التطبيقي كالفيزيقاء والجيولوجيا ـ يقفون في صمت أمام مثل هذه القضية، بل يشعرون ازاء

بعدم الارتياح ، بل يعلن بعضهم عن عدم تصديقه لها ، متناسين ان هناك احجارا تسقط من السماء ، وان الضوء الذي يلمع وينطفىء امام ابصارنا يعلن عن ذلك ، بل ان هذه الاحجار قد يبلغ وزن الواحد منها عدة اطنان ، حتى ليقدرون ما ينزل على الارض سنويا منها نحو مليون طن ، واحدى هذه الاحجار احدثت في القشرة الارضية حفرة يصل عرضها الى الف متر ، وعمقها بلغ ما يزيد على مائة وخمسين مترا ·· والسر في ذلك انها تسقط بعنف ، بجانب ان درجة حرارتها مرتفعة جدا ، تصل الى نحو ٩٠٠ درجة مئوية (الماء يغلي في درجة مائة ودرجة حرارة الانسان الطبيعية ٣٧) ·· وهذه الاحجار تسقط من الكواكب المتسعة التي تدور حول الشمس مع كوكب الارض الذي نعيش عليه ، وهي تنفصل من الكواكب

من انجلترا الى مصر في زى مغربي ، مدعيا انه مسلم ، وكان يجيد العربية كابنائها ·· وعن طريق السويس وينبع وصل الى المدينة ثم مكة ، وهناك اندس بين الحجاج ، واستطاع ان يحصل على قطعة من الحجر الاسود حملها معه الى لندن ، وفي المعامل الجيلوجية فيها ، بدأت التجارب العلمية التي اثبتت ، واكدت ان الحجر الاسود ليس من احجار ارضنا وكوكبنا ، بل هو من احجار السماء ، وكان المسلمون عبر قرون طويلة يقولون بهذا ، فلا يصدقهم احد ، ويتصور كثيرون من الأوربيين انها مجرد رغبة في اضفاء لون من « القداسة » على هذا الحجر ·· وسجل بيرتون (١٨٢١ ـ ١٨٩٠) في كتاب له بعنوان « الحج الى مكة والمدينة » هذه القصة، ونشر هذا الكتاب عام ١٨٥٦ في لندن » ·

[illegible] البريطانية

حين تحدث فيها الانفجارات وتظل تدور حول الارض، وعندما تفقدتوازنها تسقط عليها ، وتدخل الاحجار الى مجال الهواء الجوى لتحدث لاحتكاكها به حرارة عالية ، تطيح بجانب كبير منها · وهذه الصخور تختلف في تركيبها الجيولوجي عن تركيب صخور كوكبنا وارضنا ، وفي مصر احصى العلماء ثمانية صخور سقطت من الفضاء اولها سقط عام ١٩١٢ واخرها في سنة ١٩٧٠ ·· وعلى ذلك فسقوط الاحجار·· من السماء ظاهرة علمية معروفة ومؤكدة ·· والسؤال المطروح ·· هل منها الحجر الاسود ؟ ·

تحاليل المعامل :

لقد حاول الرحالة العلامة السير ريتشارد بيرتون ان يجيب على هذا السؤال بطريقة علمية ، فتخفى عام ١٨٥٣ـورحل

واذا كان رجال العلوم التطبيقية لايثقون في تجارب بريطانيا على القطعة التي انتزعها سير ريتشارد بيرتون من الحجر الاسود ، فعليهم ان يراجعوا تلك

ر · بيرتون

القائمة العالمية « الكتالوج » الدولي ، الذي يصدر بشكل دوري ، عن طريق مجموعة من استاذة العلوم المرموقين ، ويسجل بشكل منتظم تلك الاحجار التي تسقط من السماء ، وقد تم تسجيل الحجر الاسود ، رسميا ، على انه واحد من هذه الاحجار ..

ان العلم هنا ، بل في كل شيء ، لا يتمارض مع الايمان .. لقد آمن المسلمون وصدقوا انه حجر من السماء ، واثبت العلم ذلك واكده .. بعد سنين طويلة .

الرسول والحجر الأسود :

يتبقى لنا ما نعرفه عما حدث قبل نزول الوحي بخمس سنوات ، حين شب النزاع بين القبائل حتى كادت الحرب ان تنشب بينهم لخلافهم حول من يفوز بوضع الحجر الاسود في مكانه من الكعبة وهم يعيدون بناءها ، ورضوا ان يحتكموا الى اول من يدخل ، فكان ان دخل محمد وهتفوا عند دخوله : الأمين ..

واخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم ..

« هلم الي ثوبا » .

احضروا له الثوب ، فاخذ الحجر الاسود ووضعه فيه ، وقال ..

« لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا »

وانتهى الخلاف وساد السلام ..

وقد روى (ابن شيبه) و (الدار قطني) في (العلل) عن عيسى بن طلحة انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند الحجر ، فقال ..

— « اني لأعلم انك حجر لاتضر ولاتنفع ثم قبله وهكذا فعل ابو بكر الصديق وقال ايضا اني لاعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا انـي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك »

وقال هذا القول المأثور ايضا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

— « اما والله اني لأعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع

Sir Richard F Burton

BURTON, Sir Richard Francis (1821–1890), En- ...lish traveler and Orientalist, who spent most of ...s life exploring Asia, Africa, and South America ...He is famous for his books on travel and his trans- ...ation of the *Arabian Nights*

Early Travels and Works. Burton was born near ...Elstree, Hertfordshire, on March 19, 1821, the ...son of an army colonel As a boy he accompanied ...is parents on their frequent travels about the ...Continent He later attended Oxford, where he ...was known as "Ruffian Dick" and was expelled

At 21, Burton joined the army of the East In- ...dia Company and was posted to Sind, where he ...lived with the Muslims and learned several East- ...ern languages and dialects, including Iranian, ...Hindustani, and Arabic On leave in 1853 he ...made a dangerous journey to the sacred Muslim ...cities of Medina and Mecca disguised as a Muslim ...pilgrim

ولولا أني رايت رسول الله عليه الصلاة والسلام قبلك ، ما قبلتك » .

ثم دنا فقبله : (رواه الامام احمد والبخاري ومسلم) .

● ● ●

تلك هي قصة « الحجر الأسود » .. بين حقيقة العلم ويقين الايمان .. وهي واحدة من قصص تؤكد انه لاتعارض قط ، بينهما، بل ان العلم اساس للايمان والايمان يساند العلم .. والحياة تمضي بهما معا ، وقدما للامام .. وما هذا التاريخ الذي نعرضه للحجر الاسود الا مثل لما يمكن أن يكشفه العلم لنا عما نؤمن به ، وما يمكن ان يزودنا به الايمان من علم ومعرفة ..

●●●

لَبَّيكَ اللّهُمَّ لَبَّيكَ

للدكتور : محمد فخر الدين القعقاع
ـ ليبيا
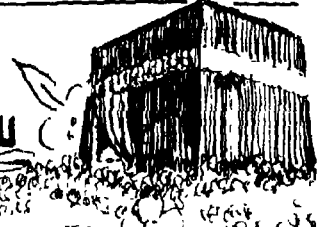
شب الجوى وسعير الوجد اضناني ... والشوق هدهدني من فيض تحناني
منذ الصبا والهوى للبيت ياسرني ... وفي فؤادي المنى تعتمل وجداني
اهفو الى حج بيت الله ملتمسا ... من الاله وصالا بعد هجران
اهفو الى الكعبة الغراء المسها ... واطوف سبعا وسبعا غير متواني
امتع الروح في قدسية الحرم ... واشبع النفس زادا بعد حرمان
القلب يخشع والاعماق ذائبة ... والعين تدمع والانوار تغشاني
اشاهد الحجر الازكي ، والثمه ... واشم فيه شذى طيب بن عدنان
وفي مقام خليل الله ·· اذكره ... ابا الحنيفية الوثقى بايمان
يا رافعا اسس التوحيد شامخة ... وبلغت بالفكر ذروة الشان
اعلنته بين ارباب ، والهة ... عموا وخبلوا وصموا كل اذان
ان الحقيقة يا قومي لساطعة ... وكيف تخفى على عقل لانسان
ان الحقيقة : رب لا شريك له ... هو واحد احد ، فرد بلا ثان
ومضيت بعد لبيت الله ترفعه ... مباركا ، وهدى للقاص والداني
سيظل للناس امنا دائما ابدا ... ويظل مثوى الورى في كل ازمان
شرفت يا كعبة الاسلام منزلة ... وعلوت قدرا وجل الواضع الباني
اقولها من حنايا النفس نابعة ... الله اكبر ، يا ربي ورحماني
لبيك ربي ، كل الحمد ارفعه ... اليك والشكر ، والنعمى وعرفاني
لبيك لبيك ربي جئت ممتثلا ... ادعوك فارحم ذنوب المذنب العاني
انت الرحيم وسعت الكل مرحمة ... انت الكريم فجد لي يوم ميزاني
من منقذي منك الا انت يا سندي ... انت الحمى ، انت غيثي ، انت ترعاني
وردني سالما للاهل منشرحا ... صدري وقد امحى رجسي وادراني
املا بذكرك انفاسي ، ترردده ... في خفقة القلب في فرحي واحزاني
واخلد الفرح ان احظى بمغفرة ... والفوز بالقرب من ربي ورضوان

مواقع المسئولية

تحديد مواقع المسئولية في الاسلام معناه : ان يقال للمحسن أحسنت ، وللمسيء أسأت بدون تمييع للمواقف ، ولا التباس للتبعات ، ولا تضييع للحقوق والواجبات ، في متاهات السؤال والجواب ، ودروب البحث عن فاعل الفعل والمفعول به ، وقائل القول بالاصالة او بالنيابة ، والبديل المقابل لذلك هو : الفوضى والتسيب والانحلال والتحلل وهذا يتنافى مع النظام العام ، والصالح الخاص ، ويتعارض مع فاعلية القوانين والدساتير الوضعية ، التي ماوضعت اساسا الا لاثبات الحقوق العينية والادبية لاصحابها ، وانتزاعها من غاصبيها ٠٠ مع ايقاع الاجزية المناسبة في احوال المخالفة والتحدى ، كما يتنافى مع أوليات الاسلام ومفاهيمه الشائعة ٠

■ ■ ■

وقد عنيت الشريعة الاسلامية عناية فائقة بتحديد معالم المسئولية الجزائية مما نراه واضحا في فقه الفقهاء ، وبحث الباحثين من علماء الامة الاعلام ، وجهابذة شريعتها النوابغ ، ومن همي الان ان القى الاضواء على مسلك الاسلام كدين في تحديد المسئوليات ، وتوضيح ملامحها ، وبيان الاسس والقواعد العامة التي انبثقت عنها ، وقامت عليها :

والاسلام جعل المسئولية على قسمين : مسئولية دنيوية ، ومسئولية اخروية ، والمسئولية الاولى قد تكفل بالبحث فيها ، واظهار اعماقها وابعادها رجال الفقه الاسلامي بما الفوا من كتب ، وما خلفوا من تراث في مواد الشريعة الغراء ، فوضع النقط فوق الحروف ، والزم المباشر والمتسبب في القول او العمل نتيجة عمله على اقدار متفاوته وبنسب متباينة ، اما المسئولية الاخروية التي لامناص منها ، ولا مندوحة عنها فقد تضمنها الكتاب الحكيم والسنة الصحيحة تناولا واضحا بينا ، ووضع كل امرىء امام هذه المسئولية وجها لوجه بلا مواربه ولا تهرب ولا مداجاة ، فقد دلت النصوص الشرعية على انقسام المسئولية الاخروية الى قسمين : مسئولية الفرد ، ومسئولية القائد ٠٠ وكل منهما يختلف عن الاخر اختلافا متميزا في واقعة ، وفي خلفياته ٠٠ فمسئولية الفرد معناها : مساءلته امام ربه يوم القيامة بطريق مباشر لاوسيط فيه ولا حجاب ، وفي الحديث الشريف : (ما منكم من احد الا سيكلمه الله تعالى ليس

في الاسلام

بقلم الدكتور/محمد محمد الشرقاوي
الاستاذ بجامعة أم درمان الاسلامية
الخرطوم ـ السودان

بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ماقدم ، وينظر اشام منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر امامه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة) . والسؤال هنا للشخص وحده وهو يتناول كل ما قدمه الانسان في سالف عمره وما اخره ، وما فعله وما تركه ، وما نطق به او كتبه او اشار اليه ، او سكت عنه بحيث لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، ولا يدع شاردة ولا واردة الا عرض لها بالتعليل، والاحاطة بأطرافها وأغوارها وادراك آثارها على المدى القريب والبعيد .. وقد يطول ذلك وقد يقصر ، وقد يكون مجرد استعراض واستنصاح . او مناقشة ومجادلة واثبات والزام وهذا أشقها .. وفي هذه الحال لا يحتاج المرء الى شهود اثبات او نفي من خارج ذاته ، لان نفسه المحددة بكيانه المستقل كافية في هذا الباب عما وراءها ، على الرغم من وجود شهود اخرين من ملائكة وانبياء ومشاهدين ، وفي القرآن الكريم تقرير لكل هذه المفاهيم في قوله تعالى : (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) الاسراء : ١٣ . اى محاسبا وكافيا بحيث لو انكر الانسان من واقعه شيئا شهدت عليه به اعضاؤه (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء) فصلت : ٢١ . (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) النور : ٢٤ . وهذه المسئولية الشخصية الفردية المحددة بنفس الذات.. لا يشترك فيها مع المسئول اى شريك من اى نوع ، فلا ينفع القريب فيها لقرابته ، ولا النسيب لاولى نسبه ، ولاالحسيب لاهل حسبه ، كما لا يغني الثراء السابق، والجاه الماضي ، والسلطان الذاهب عن صاحبه في هذا الموقف لا قليلا ولا كثيرا ، لانه سيكون مجردا عريان فقيرا محتاجا .

(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون) الانعام : ٩٤ . بل ان الاقارب والانساب سوف يظهرون للمسئول ويتعارفون بينهم ، ولكنهم حين السؤال والمحاسبة يفرون منه ، ويولون عنه ، ويضنون عليه ، (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شان يغنيه) عبس : ٣٤ . (وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) الانفطار : ١٩ .

(واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون) البقرة : ٢٨١ . (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) البقرة : ٤٨ . (ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) فاطر : ١٨ . (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) فصلت : ٤٦. (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) التكاثر .

فهذه النصوص القرآنية الصريحة تفسر نفسها بنفسها ، وتدل بمجموعها على ايقاع المسئولية على عاتق صاحبها .. فان قدم في حياته الخير والبر والصلاح والاصلاح وجد عند ربه ثوابا عظيما ونعيما مقيما ، (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) ، وان أسرف على نفسه فبدل وغير ، وفسد وأفسد ، وزرع الشر والسوء ، وجد عند ربه الشر والسوء وجزاء ذلك عذابا أليما، وحرمانا وجحيما . (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) آل عمران : ٣٠ . (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة . (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) الانبياء : ٤٧ .

وهكذا نجد ان آيات تحديد المسئولية الشخصية ، والافصاح عن طبيعتها الدقيقة المستوعبة ، ومفهومها الشامل للـذرات وحبات الخردل التي لا تكاد تدركها الابصار ، ولا تلتفت اليها الهمم ، قد تعددت في جوانب التنزيل الحكيم، واتخذت طوابع مختلفة من الاساليب الهادفة ، والعبارات المؤثرة .. حتى لا تدع امام السامع والقارىء أدنى شك في فهم المراد منها ، واصابة الهدف من تعددها وتكرارها على هذا النحو الملح المتجدد .. وحكمة ذلك تتركز في انبعاث كل الاعمال الصالحة من منبع واحد هو موقع المسئولية .. فاذ ارتبط الشعور بالواجب ، والاحساس به بثقل المسئولية وضخامة خلفياتها الدنيوية والاخروية .. كان ذلك ادعى لاستقامة العامل وصلاح العمل ، وابعث على تجنب الشبهات والشكوك فيممارسته والقيام به، وان قاوم المرء هذا الشعور بعوامل الغواية والاغراء والثراء وما الى ذلك مما تنصبه شياطين الانس والجن من أحابيل ، وما توقع فيه من شراك ، خرج العمل والعامل عن جادة الصواب ، وسلك سبيل الضلال والانحراف ، فتلاحقه بعد ذلك ايدى القصاص من كل جانب ، وتضيق عليه دعاوى الاتهام طريقه منكل زاوية، ولئن استطاع الافلات من ذلك بأعجوبة من الاعاجيب ، او حيلة من الحيل ، فهناك عنق الزجاجة في الاخرة وسوف تحبط امامه الحيل ، وتتهاوى دونه القوى والقدر .

مسئولية الحكام

.. هذا اذا كان الانسان لا تأثير له على غيره ، ولا تأثر لغيره به .. فهنا تكون المسئولية الشخصية محددة بذاتية صاحبها بلا وكس ولا شطط .. اما القسم الثاني من المسئولية فهو المسئولية القيادية .. أعني مسئولية الرؤساء أزاء مرءوسيهم ، والزعماء والقادة امام اممهم وشعوبهم ، والملوك والحكام والولاة بالنسبة الى رعاياهم ومن ينضوون تحت امرهمونهيهم، بل وكل من يعزى اليه التحكم في مجموعة من الناس قلت أم كثرت .. زادت ام نقصت .. وهذه مسئولية مزدوجة يسأل فيها الانسان مرتين ، ويأخذ من ثوابها ضعفين ان كانت ذات ثواب ، كما يصيبه من عقوبتها جزاءان ان كانت فيها عقوبة. مرة عن عمله الشخصي كفرد ، ومرة عن تسببه في افساد الاخرين او اصلاحهم كقائد .. فان استقام المتبوع واهتدى ،

ورغب فيما عند الله تعالى على ما عند الناس، فاتبع اوامره واجتنب نواهيه، والتزم بهدى رسوله ومنهجه فاهتدى بهدية الناس، وصلح بصلاحه الرعية، أخذ ثوابه الشخصي مضافا اليه ثواب التسبب في اصلاح التابعين ، وبالعكس ٠٠ لو انه انحرف وجرفه تيار الفتنة فنسي او تناسي، وجهل او تجاهل تعاليم ربه وسنن نبيه ، واثر الحياة الدنيا على الاخرة ، ففسد وفسد بفساده الاخرون فانه يجازي بذنبين : ذنبه الذاتي وذنبه السببي ، حيث انه كان سببا فعالا في اغواء الرعية ، وبهذا جاء القرآن الكريم في قوله تعالى : (وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) العنكبوت : ١٣ ٠ كما قررته السنة الصحيحة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الامير في رعيته

شقين ، وتحمل من التبعات حملين : ففي كتابه الى هرقل عظيم الروم (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ٠ سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ٠ اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم الاريسيين (الفلاحين) ، يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ٠ وقد أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم مع دحية الكلبي الذي تولى شرحه وبيانه لهرقل - كما جاء في كتاب الروض للسهيلي ص ٣٥٥ ج ٢ - ومما قاله له دحية : (فان اجبت كانت لك الدنيا والاخرة ، والا ذهبت عنك الاخرة وشوركت في الدنيا،

والرؤساء مزدوجة ويسأل عنها الإنسان مرتين ..!

راع وهو مسئول عن رعيته والرجل في بيته راع ومسئول عن رعيته والزوجة في بيت زوجها راعية ومسئولية عن رعيتها والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعية ٠٠ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ٠

وبقوله في حديث آخر : (من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من اجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من اوزارهم شيء) ٠

وفي كتب الرسول صلى الله عليه وسلم الى الملوك والرؤساء ، يدعوهم فيها الى الاسلام ، كان يوضح لهم في صلب الرسالة مدى مسئوليتهم عند الله ، ومبلغ حسابهم في موقع قيادتهم ، وانها مسئولية ذات

واعلم ان لك ربا يقصم الجبابرة ويغير النعم) ٠

وقد كتب الرسول صلى الله عليه وسلم، بذلك الى كسرى والمقوقس وغيرهما. وذلك بعد عودته من صلح الحديبية ، في اواخر السنة السادسة الهجرية ، وكل الرسائل تدور حول معنى كتاب هرقل وتنص على مضاعفة التبعة الملقاة على كاهل الرئيس ، نظرا لاثره الفعال في اتباعه ٠٠

وهكذا نجد المسئولية القيادية المضاعفة تتناول كل من ينضوى تحت سلطته جماعة من الناس ، سواء على مستوى الشعوب والامم ٠٠ ام على مستوى المنزل والاسرة، وهي اقل وحدة انسانية تخضع لرب الاسرة ٠٠ ومن هنا وجدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يستشعر هذه المسئولية القيادية ويدرك حجمها الحقيقي ٠٠ فيفارق

مضجعه وقت الظهيرة ويركب ناقته ذاهبا اتيا وسط الصحراء الملتهبة بحرارة القيظ، ولما سئل عن ذلك قال : ند بعير من ابل الصدقة فأنا أبحث عنه هنا وهناك ٠٠ والذي نفسي بيده لو ان دابة بالعراق عثرة لسئل عنها عمر ٠

ومن مجموع المسئوليتين : الشخصية والقيادية ، يكون موقع العمل للمسلم بصفته الفردية او بصفته الرئاسية، بحيث تصدر كل الخطوات عنهما بعد الاحساس بمسئوليتها المتقبلة ، وبعد الشعور الصادق بتحمل أعبائها الثقال ان اضرت بالشخص او بالناس، او بالمشاركة في اجورها الحسنة وآثارها الطيبة ٠٠ ان هي جلبت الخير والمصلحة المشروعة للفاعل او لمن يتبعه ، فاذا اضفنا الى هذا الاعلام بتوثيق المسئوليات وتسجيلها ، والعناية برصدها قولا وفعلا وعزما ، وان هناك كتابا يكتبه ملك عن اليمين للحسنات وملك عن اليسار للسيئات . (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) سورة «ق» : ١٨ (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) الانفطار : ١٠-١٢ ٠ (ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا) الكهف: ٤٩٠ عرفنا الى اى مدى عنى الاسلام بتثبيت ركائز المسئولية ، وتصوير حقيقتها، ودعم جوانبها بالحفظ والكتابة والشهادة والسجلات ، وقراءتها حتى ولو لم يعرف صاحبها القراءة ٠٠ وذلك لكي يصدر ابن آدم في اعماله واقواله وهممه وعزائمه عن قناعة ثابة بسلامة ما يقدم ، عليه وخلوصه من شوائب الاثم والضرر ٠٠ فلا يعتمد على اللامبالاة ولا على العشوائية او التلقائية او العفوية في تصرفاته ، لان هذه هي مقومات الفوضوضية او الهمجية، او المعيشية اللامسئولة ايام الجاهلية ، العصور المظلمة التي زينت فيها اوهام الرؤساء والقادة انهم فوق المسئولية، وانهم ارباب للناس من دون الله او اشباه الالهة، وان ما فعلوه هو الصواب والحق وان كان على غير هدى ، وما اتاه الانبياء والهداة فهو الضلال والتمرد وان كان على بصيرة ورشد ٠٠ وتكاد تنحصر كل مفاسد الانسانية وشرورها منذ القدم في فقدان الشعور بالمسئولية عند القادة والجماعات التي عاثت في الارض فسادا ، وسفكت دماء الابرياء ، وحطمت معالم الحضارة ٠ ولو انهم تمثلوا المسئولية كما جاء بها الاسلام ، واستشعروا معانيها كما فصلتها آيات القرآن واحاديث السنة ٠٠ اذن لكان للتاريخ وجه اخر ، ولكان للانسان مسار غير هذا المسار ٠

ماهي حقيقة

الحلقة المفقودة ؟

الدكتور رجا حسين أبو السمن

كلية هندسة النفط والتعدين
جامعة الفاتح ـ طرابلس ـ ليبيا

من الناحية العلمية المادية لم يثبت ـ برغم كل الجهود ـ اكتشاف تلك الحلقة المفقودة ، وكل ما اكتشف هو انسان الغاب ·

وحتى القردة الحالية الاليفة فانها تجمع بعض صفات الانسان في الشكل الخارجي لبعض الاعضاء والغرائز ·
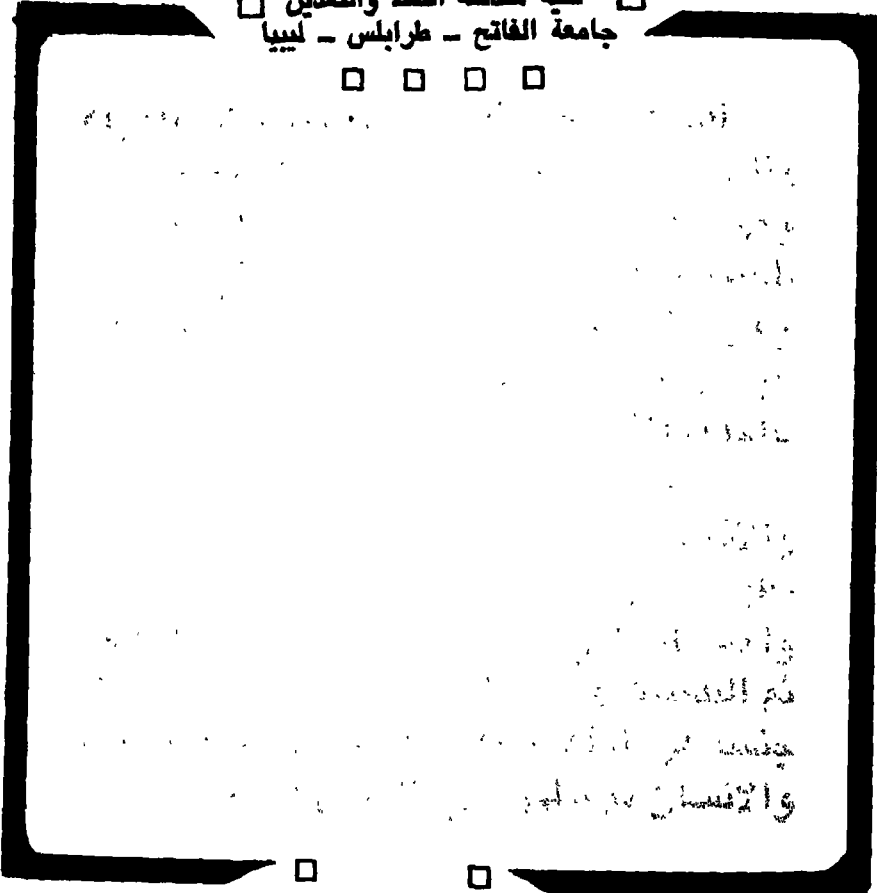
فالانسان والقرد متشابهان جدا في فترة الطفولة ، فالقردة تلد كالانسان ، وذكورها تغار على اناثها ويتم الزواج بينها وتشكيل الاسرة والعيش بمجموعات كالانسان ·

والقرد يضحك ويطرب ويغني ويتكلم وله اصابع ذات اظافر ، ويمشي احيانا

على رجليه ، وقابل للتعلم ولعينيه رموش ، ويقوم ببعض الاعمال الذكية كالحياكة وغيرها وقد تم استخدام القردة من قبل الجيش الامريكي في حرب فيتنام لاغراض عسكرية وتجسسية ٠

وانواع القردة كثيرة جدا وليس المقصود هنا الا التنويه بأن النظرية البهيمية في الخلق تصر على أن الانسان الآدمي تطور عن جده القرد وربما عن ابن عمه وهو الحلقة المفقودة بينهما والتي يبحثون عنها عبثا في ارجاء الكرة الارضية ٠

ان الله تعالى قد كرم الانسان وأنعم عليه ولكن الجاهلين والملحدين يصرون على انهم قردة اصلا ، يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»

والقرآن الكريم يشير الى أن الله تعالى قد مسخ اقواما كاليهود على صورة قردة أو خنازير كأهل السبت منهم لانهم عصوا أمر ربهم ٠

يقول الله تعالى في محكم كتابه :

« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين »٠

ويقول جل من قائل :

« قل أؤنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل»

المسخ للعاصين :

يقرر الله تعالى لنا في الآيات السابقة انه مسخ اقواما اناسا قردة وخنازير لانهم عصوا أمر ربهم وتنكروا له ، وبهذا فان علماء كثيرين يؤيدون نظرية الانبياء التي انزلها الله في كتابه العزيز فكانوا ممن هداهم الله ، وأما الماديون فانهم يعتبرون الانسان حيوانا أو قرد ولذلك تسمى نظريتهم بالبهيمية أ الحيوانية انهم يقولون بأن الانسان حيوان عاقل ، ويعنون بالعقل الدماغ أ مجموعة الشبكة والجهاز العصبي المعق للانسان والمميز له عن غيره م الحيوانات الاخرى وهذا التعريف خاطىء ، فقد حدد القرآن الكريم ا العقل في القلب وليس في الدماغ ، قال الله تعالى :

« فانها لا تعمى الابصار ولكن تعم القلوب التي في الصدور » وقال جل م قائل :

« افلم يسيروا في الارض فتكون له قلوب يعقلون بها » هذا وقد اثبتت الدراسات الحديثة ان العقل في كيا الانسان وقال فقهاء الدين قبل علماء زماننا أن الدماغ عبارة عن واسطة أو جهاز التفكير وأن مركزه القلب والآيات كثيرة في تبيان هذه الحقيقة ٠

وان أعمال البحث والتنقيب عن الجماجم في الارض والهياكل العظمية في المقابر لم تدل الا على جماجم انسان قديم أكبر من حجمه الحالي أو قردة أو فيلة ٠

الله كرم الإنسان

لقد عثر في هايدلبرغ بالمانيا الاتحا على آثار في قرية ماور على ضفاف النيكر عام ١٩٥٧ عبارة عن الفك السـ لانسان كبير جدا بالنسبة للانس الحالي وليس له بروز للذقن والفـ انساني والاسنان كبيرة جدا عن أسـ الانسان الحالي والفك لا يزال محفوظ بمعهد الجيولوجيا في جامعة هايدلبـ هذا وقد عثر على جماجم وأعضـ بشرية لانسان عملاق ، وعلى الانسـ الصيني والجاوي والنياندرتال بعد جـ

وتعب وتنقيب وتحليلكيميائي واستخدام النظائر المشعة لتقدير العمر ولكن الله تعالى يقرر لنا ذلك في القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا وبوضوح تام :

« أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها » .

ثم يذكر القرآن الكريم قوم عـاد العمالقة :

« واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة » .

ويرد في القرآن الكريم أن الله قد خلق آدم من تراب ومن طين ومن صلصال من حما مسنون .

يقول الله تعالى :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة مـن طيـن » .

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثـم اذا انتم بشر تنتشرون » .

« واذ قال ربك للملائكة اني جاعـل في الارض خليفة » .

حسن خلقه ، والعلم الذي منحه اياه ، وفضله على كل خلقه وجعله خليفـة له وهذا تكريم للانسان ايما تكريم ، فللـه الشكر والحمد والثناء .

الله يكرم الانسان والماديون يحطـون من انسانيتهم وينزلون بالقيم الانسانية الى الدرك الاسفل .

ان احتمال وجود هياكل عظمية تجمع صورتها بين القرد والانسان قائم انن من الناحية النظرية كما ورد في الآيات القرآنية الكريمة السابقة عن اهل السبت من اليهود ، كما وان الله تعالى يهـدد ويحذر المرتدين عن رسالة الله من أهل الكتاب بمسخهم وذلك بجعل افواههـم في أدبارهم يقول الله في محكم كتابه :

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنـوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبـل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكـان أمر الله مفعولا » .

الماديون نزلوا بالقيم الإنسانية الى الدرك الأسفل

تكريم الانسان :

وفي هذا تكريم للانسان اذ جعله الله خليفة له في الارض ويأبى الملحدون الا ان يكونوا قردة ، يقول جل من قائل:

« يا أيها الانسان ما غرك بربـك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك » .

« علم الانسان ما لم يعلم » .

ان نعم الله على الانسان كثيرة :

والمهم أو جوهر البحث هو كرامـة الانسان وخلافته الله في الارض ، فهل يسمو الانسان الى انسانيته وكرامتـه التي وهبها الله له ؟

المراجـــع :

١ ـ القرآن الكريـم .

٢ ـ سعيد حوى : دراسات منهجية هادفة حول الاصول الثلاثة . الشركة المتحدة للنشـر ـ بيروت ١٩٧٢ .

٣ ـ رجا ابو السمن : جريدة الندوة ـ مكـة المكرمة ـ العدد ٤٨٥٨ محرم ١٣٩٥ هـ .

رد على دعاوى الحادية

ماذا يأخذ الشباب وماذا يدع

بقلم الشيخ :
عبد العال أبو سليمة

لا ينكر أحد أن الشباب يعاني أزمة فكرية وقلقا نفسيا . وأن بعض الاوساط التي يسودها جو من الشك والحيرة ، قد يدفع البعض الى الجحود والانكار ، ان لم يجدوا ما يفتح أمامهم باب البصيرة ويزيل من نفوسهم أسباب الارتياب ويرد اليهم الثقة والايمان بالله بارىء الكون وخالقه . المتفرد بالعزة والملكوت .

والشباب وهو للامة موضع الرجاء . ومعقل الامل . مستهدف لعوامل شتى ، في نشأته وبيئته وتعليمه ، والعصر الذي يعيش فيه . يكفي بعضها لاضطراب أمره وبلبلة فكره .

فالبيت المسلم المستنير بروح الدين الحنيف ، لا يتوفر للكثير ، والبيئة التي تحمل على التقدير والاجلال ، وترفع لانظار الفتى الناشيء المثل الطيب ، والقدوة الصالحة . لم يعد يحسها فيما حوله .

وعناية التعليم العام بالمنهج الديني والتربية الاسلامية . ليست كما ينبغي . ولم تصل بعد الى أن تقدم للشباب . ما يملأ قلوبهم ووجدانهم بالمشاعر الدينية

السامية . وقناعتهم بها سلوكا وتطبيقا حتى يكون ذلك عصمة لسلوكهم وذخرا لآدابهم . وقوة في أرواحهم . ودعامة قوية لاخلاقهم وحتى يتمكنوا من خوض معترك الحياة العملية مسلحين بسلاح الايمان القوي ، فضلا عن أن العصر الذي نعيشه عصر قلق واضطراب . تيارات فكرية عاتية ، ومذاهب سياسية متعـددة ومصطرعة . هنا وهناك واكتشافات علمية رائعة ، ثم حيـ

اجتماعية صاخبة ، فالاقمار الصناعية تنقل العالم اليك في أقرب من لمح البصر . فاذا العالم بآرائه واتجاهاته ومذاهبه ودعاياته أمامك وبين يديك . والناس مختلفون منذ كانوا ولحكمة عليا كان هذا الخلاف ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك .

فماذا يأخذ الشباب ، وماذا يدع ؟

وأي منهج ينهج ؟ وأي رأي يعتنق ؟

لقد كانت الحيرة والشك والقلق في مثل هذه الحالة ولمثل هؤلاء الشباب في ظروفهم الخاصة والعامة نتيجة حتمية. تطوق أعناق القائمين على أمر الشباب. والحريصين على خيره وخير هذه الامة بواجبات ثقال . وتفرض عليهم مضاعفة الجهود ليزيلوا عنه عوامل حيرته . وتلزمهم بالعمل الجاد في سبيل تنشئته تنشئة صالحة وتزويده بالثقافة الدينية النافعة . وملأ وجدانه بالغذاء الروحي . الذي يستحيل في قلبه وفؤاده قوة وجدانية واقية وعزيمة غالبة ، تأخذ مما حولها دواعي أمنها ، ومادة ايمانها وعدة كفاحها . وتنفي عن خلاياها السموم القاتلة . كما تأخذ البنية السليمة خلاصة الغذاء . وتطرد بقاياه التالفة .

لقد كان اشبه بالمستحيلات أن يتردد في أوساط الشباب آراء يقصد بها اضعاف العقيدة الاسلامية أو التهوين من شان الاسلام . كدين سماوي خالد جاء لانقاذ البشرية مما تردت فيه من مهاوي الرذيلة التي افرزها المجتمع الجاهلي آنذاك بكل ما فيه من مساوىء.

ان الدعوة التي يتبناها البعض ويدعو اليها في أوساط الشباب بان الاسلام ما هو الا مرحلة من المراحل الحضارية منكرا رسالة الاسلام ومدعيا أن الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه ان هو الا مصلح اجتماعي .

هذا الكلام الذي يتردد بين حين وآخر ما هو الا دعوة للالحاد والاباحية وهي تشكل خطرا داهما على كيان أمتنا العزيزة البانية. ولا تزايلنا الثقة لحظة. ولا يخالج تفاؤلنا ريب في مستقبل هذا الدين وانتصاره .. « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

والاسلام الذي غزا جل هذه المعمورة من الصين والهند شرقا الى البحر الغربي المحيط في زمن يسير . لا يعرف التاريخ له نظيرا لم ينتصر قط بقوته العسكرية ولا بغلبته الحربية . وان فتحت هذه القوة أعينا كانت في حاجة اليها وازالت العوائق من طريق الاسلام نحوها . فابصرته عن قرب وعرفت حقيقته عن عيان . ودخلت في دين الله افواجا ..

وظل الاسلام قويا مظفرا وان ضعف أهله ودال سلطانهم .

لقد طوى المغول الدولة الاسلامية وارتكبوا من الفتك والتدمير والبربرية في المسلمين . ما ارتعدت لهوله فرائص التاريخ . ولكن الاسلام طواهم واتخذهم أحفادا .

ولقد سكن ريح المسلمين زمنا طويلا بما توالى عليهم من كوارث ومحن ، وزحفت قوى الغرب وجحافله . وكادت لهذا الدين كيدا طاغيا ظاهرا وخفيا . وبدلا من ان تمحوه أو تنال منه . احتفظ في بلاده بحيويته وصموده .

واندفع في سلمه يفتح المعاقل . ويشرح الصدور . وينشر نوره وهداه يمينا وشمالا ، ودلف الاستعمار الى اندونيسيا ، واستولى عليها . وكان الاسلام اذ ذاك نبته صغيرة بين ربوع البلاد . وتعاقب المستعمرون البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون والانجليز واليابان ثم طردت هولندا بعد احتلال دام أكثر من ثلاثة قرون .

وخرجت مرغمة وفي البلاد ما ينيف على السبعين مليونا من المسلمين .

فت المبادىء الاسلامية تغــزو
افريقيا مجردة من الســـــلاح
· ومظاهر المغريات تاركة جحافل
ـــن في هذه الديار بذهبهـــا
ـها ومصحاتها وحماية جيوشها·
مبهورة الانفاس ، تعض الانامل
ظ ، على نجاح الاسلام العجيب
ذاب ملايين المسلمين مــــن
ين ·
اقتحمت هذه المبادىء معاقـــل
اوربي والامريكي · فقام للاسلام
ربيون درسوه وفهموه واعتنقوا
واخذوا أنفسهم بالدعوة اليه ·
نتصار هذا الدين مع ضعف أهله
م عن حماية أنفسهم وحمايتـــه
ات على قوته وحيديته واقتداره·
أشبه انتصاره هذا بانتصــــار
لاول وحيدا فريدا على قوى الشر
ه حتى دانت لدعوته في عشرين
د العرب قاطبــــة الى مشارق
العراق ·
الاسلام ينتصر وأهله غالبون ،
لك ينتصـــر وبنوه مغلوبـــون
ون · فالقرن التاسع عشـــر
ارة الشاملة على العالم الاسلامي
و المبادىء والتبشير وهو القرن
صطلحت فيه عوامل الضعـــف
على البلاد الاسلامية بدأ هــذا
ني العالم من المسلمين نحـــو
مليون مسلم · وانتهى وعددهم
أربعمائة مليون مســـلم · لا

يكثرون من داخلهم فحسب ، ولكن بما يضمون من شعوب وأقوام ، وقد أوشك القرن العشرون على الانتهاء والمسلمون يبلغ عددهم حوالي ألف مليون مسلم ·

فالمستقبل ولا ريب لهذا الدين الذي اتخذ من العلم شعارا فأوجب في كلمـة التوحيد · وهي من هذا الدين أساسه أن تبني على العلم وقال : « فاعلم أنـــه لا اله الا الله » وأمر المسلمين بما أمر به نبيه أن يقول « رب زدني علما » ·

المستقبل ولا ريب لهذا الديــن الذي استبطن العلم قلبا · وكرمه قالبـــا · فجعل العلماء الراسخين في العلم اهل خشية الله وتقواه « انما يخشى اللـــه من عباده العلماء » ورفع المؤمنيـــن ذوي العلم قدرا « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ·

ان الاسلام دين العلم الذي استحق به الانسان ـ على ضعفه ـ خلافـــة الارض · وسخر له ما فيها وما عليها · كما سخر له الشمس والقمر والنجوم، وأعلمه أن ما تجلى من العلم وبالعلـم قليل · وأن عليه أن يطلب المزيد وأن يعتبر بما بين يديه من سنن اللـــه في خلقه لينتفع بكل هذا الذي سخر له ·

والاسلام بهذا دين عالمي · بـل هو دين العالم بأسره · والعلم يخدمـه · ويكشف من حقائق الكون ما يكون مادة بيان وبرهان · ومددا قويا في نصـره وتأييده ·

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل·

□ □ □ □
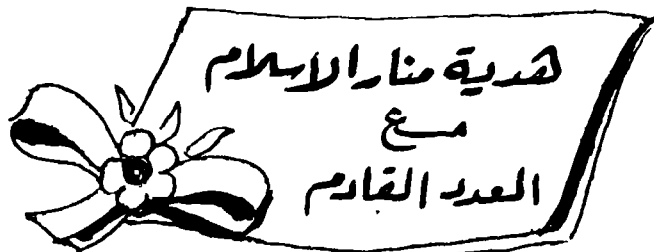
كانت الكعبة اول مبنى امر الله بانشائه، ليتجه الناس اليه حين عبادتهم لرب العالمين ، ولما زعمت اليهـــود ان بيت المقدس هو اول بيت انشيء لذلك ، كذبهم الله فانزل قوله جلا وعـلا : (ان اول بيت وضـع للناس للذي ببكـة مبـاركا وهـدى للعالمـين) ٠

ودلل على كونه اول بيت انشيء لعبادة الناس لربهم بادلة ثلاثة ذكرها في قوله : « فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومـن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » آل عمران : ٩٦ ، ٩٧ ٠٠ فمقام ابراهيم هو المكان الـذي كان ابراهيم يقوم عنده للصلاة او يقوم عليه للبناء ، وهو الاية الاولى على كون هذا البيت بناه ابراهيم ، فان الناس قد توارثوا هذه التسمية ـ خلفا عن سلف ـ وهذا يدل على ان ابراهيم كان يقوم عنده للصلاة اثناء بنائه للكعبة او زيارتـــه لاسماعيل واهله ، او يقوم عليه اثنـاء بنائه للكعبة ، حيث كان يرتفع وينخفض حسبما يقتضيه بناؤهـا من الحركـــة ـ صعودا او هبوطا ٠

والاية الثانية على ان الكعبة اول معبد للناس ، اشار اليها قوله سبحانه : « ومن دخله كان آمنا » فقد جعله الله منذ بنائه ملاذا للخائفين ، فاذا اقام خائف في رحا آمن من اعدائه ولو كانت بينه وبينهـ ترات ودماء ، اذ يلقى هنالك الرجل قاتـ ابيه او اخيه او ابنه فلا يهيجه لقاؤه و يبعثه على الانتقام منه ، وفي ذلك يقو الله تعالى : « أو لم يروا انا جعلنا حر آمنا ويتخطـــف النـاس من حولهـــم العنكبوت :٦٧ ، وهذا الامان بقية ـ شريعة ابراهيم ، جعلها الله كرامة لهـ البيت حتي يعبد الناس ربهم وهم آمنون وقد توارث الناس هذا التشريع عن ابيـ ابرهيم منذ بنائه هذا البيت ـ جيـ بعد جيل ٠

والاية الثالثة ، ان الناس يحجون الـ استجابة لاذان ابراهيم عليه الســلام فتلك ايات بينات على ان الكعبة اول بيـ وضع للناس ، وليس بيت المقدس ، لا شاهدة بانمنشئها هو ابراهيم ابوالانبيا اما بيت المقدس الذي زعم اليهود انه او

، الارض[1]؛ فقد انشاه حفيـــده
وبينهما زمن طويل ، وبذلك تظهر
لاسلام جلية ناطقه ، بان اول بيت
لة للناس هو الكعبة لا بيت المقدس،
حق منه بان تكون قبلة للعالمين لانها
ي الانبياء ابراهيم عليه السلام •
ج الشيخان ، واللفظ لمسلم ، عن
رضي الله عنه قال : « سالت رسول
لى الله عليه وسلم عن اول بيـت
لناس ؟ قال : المسجد الحــرام ،
ثم اى ؟ قال المسجد الاقصى ، قلت:
ما ؟ قال اربعون عاما ، ثم الارض
بعد، فحيثما ادركتك الصلاة فصل»•

اذا كانت الكعبة اول بيت وضـــع
، فلا وجه لتفضيل بيت المقدس عليها،
ره بان يكون القبلة دونها ، قال ابن
الجوزية ، في زاد المعاد ، تعقيبا على
الحديث الذي اخرجه الصحيحان : قد
هذا الحديث على من لم يعرف المراد
قال : معلوم ان سليمان هو الذي بنى
د الاقصى ، وبينه وبين ابراهيم اكثر
ف عام ـ قال ابن القيم ـ وهذا من
القائل ، فان سليمان كان له مــن
د الاقصى تجديده لا تاسيسه ، والذي
هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
، السلام ، بعد بناء جده ابراهيم
ة بهذا المقدار ـ اى باربعين عاما ـ
: ومع دلالة هذه الايات على اولية
، الحرام الزمنية فهي ـ كذلـك ـ
واضحة على فضله وعلو شانه •

حج الى هذا البيت احــد اركان
الخمسة ، وقد اوجبه الله عـلى
ع ، فمن استطاعه لزمه وندب اليه
، والاستطاعة تكون بوجود الزاد
لة والقدرة البدنية وامن الطريق•
ود من الزاد ما يكفيه من الطعام
ره في حجه وعودته ، زائدا على نفقة
مه نفقته ممن يعول ، والمقصود من
الراحلة وسيلة الانتقال من اى نوع كانت•

وفي وجوب الحج على المستطيــع يقول الله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين » آل عمران : ٩٧ ، اى ومن انكر فرضيته او تهاون فيها فوبال ذلك عائد عليه وحده ، لانه تعالى غني عن العالمين ، فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم ، وفي هذا النص ما يدل عـــلى اهمية فريضة الحج وعظيم منزلتها عند الله ، وان فرضيته لا يحل لاحد ان ينكرها والا كان كافرا بشريعة الله ، كما لا يجوز له ان يتكاسل عن ادائها ، حتى لا يكون كافرا بنعم الله ـ اى غير شاكر له عـلى آلائــه •

• • • • • •

قد يقول قائل : ان استقبال قبلة معينة اثناء العبادة ربما يشعر ان المولى سبحانه مقيم فيها ، فلذا يتجه الناس اليها ، مـع انه تعالى خالق الاكوان فهو اجل واعظـم من ان يكون له مكان ، فكيف يحل في هذا الحيز الضيق الصغير والمكان عليه محال ، قال تعالى « ليس كمثله شيء وهو السميع السميع البصير » الشورى : ١١ ، ومـن الامور المقررة ان كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك ، والجواب على هــذا السؤال ان اتخاذ القبلة ليس المقصود به ان يواجه المصلي ذات ربه ، ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ بل المقصود به توحيد مظهر العبادة من اهل الملة الواحدة ، فكما اتحدوا في عقيدتهم واقوالهم وافعالهـم اثناء عبادتهم ، يتحدون في قبلتهم اثناء ادائها ، حتى يتميزوا عن سواهم من اهل الاديان الباطلة ، ولكي تتميز عباداتهم•

ومن الامور المقررة في الاديان السماوية قبل ان يلحقها التبديل والتحريـف ، ان الله عز وجل منزه عن الحيز والمكان ، فهو

اجل واعظم من ان يحل بمكان مهما عظم، فهو موجود قبل خلق الزمان والمكان .

فعلى كل متدين حين يستقبل القبلة ان يشعر بهذا التنزيه ، وان يجعله عقيدته، وان يعلم انه تعالى موجود بعلمه في كل مكان يتوجهون اليه ، وهذا هو المعنى المقصود بقوله تعالى : « فاينما تولوا فثم وجه الله » البقرة : ١١٥ .

• • •

دعا الله عبادة لحج بيته الحرام ، وأعد لهم مائدة يختلفون اليها وهي مائدة الغفران والرحمة والثواب الجزيل على ما بذلوا من جهد ومال في سبيل تلبية هذه الدعوة المباركة .. روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » . وبسندهما اليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ». واخرج البزار عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأتوه، وسألوه فأعطاهم».

وبما انه تعالى صاحب الضيافة وانت لا تراه فلهذا تطوف ايها الحاج او المعتمر ببيت ضيافته ، كما يفعل المحب الهائم مع المحبوب الذي يرى نعمه ولا يرى ذاته ، وانت في طوافك لا تعظم البيت تعظيم المشركين ، بل تعظم رب البيت الذي لا تراه ، اذ تقول وانت به تطوف : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وتدعو بما شئت ، وبهذا تحول طواف الشرك وتقديس الاوثان الذي كان في عهد الجاهلية الىطواف التوحيدوتقديس رب الاكوان في عهد الاسلام .

وانت حين تستلم الحجر الاسود وتـ[illegible] لا تجعل منه شريكا لله تعالى — كما [illegible] المشركون يصنعون — بل انت تعبر [illegible] عن اشواق القلب وعظيم الحب لله ، و[illegible] تقول حين استلامه : « اللهم ايمانا بـ[illegible] وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتـ[illegible] لسنة نبيك » .

وبهذا التغيير في الذكر تحول ما عليه المشركون من الشرك الى التوحيـ[illegible] وهكذا سائر المناسك التي اصطبغت الاسلام بصبغة التوحيد وعادت الى شر[illegible] ابراهيم الخالصة ، بعد ان حولها اهـ[illegible] الجاهلية الى اشراك بالله .

ولقد اكثر الله تعالى في سورة الحج التحذير من الشرك ، وحسبك قوله تعا[illegible] « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السـ[illegible] فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مـ[illegible] سحيق » الحج : ٣١ .

ومن حكم الحج واسراره انه يجمع و[illegible] اهل الارض على توحيد الله تعالى ، و[illegible] يكون موسما لتبادل الرأى فيما ينفـ[illegible] المسلمين في دنياهم واخراهم ، ويقيـ[illegible] شرور اعدائهم ، ويؤكد الوحدة الد[illegible] والفكرية التي تجمعهم ، ويعمل على از[illegible] اسباب الفرقة بينهم ، ولهذا ذكر الله حكم تشريعه ان يشهدوا منافع لهم ، غير ذلك من الحكم والاسرار ، ولو ا[illegible] استغلال موسم الحج كما اراده الاسلا[illegible] لكان سببا لعزة المسلمين ومنعتهم .

يتزاحم على قلب من كتب له الحج . عارم لا يزال به حتى يؤدي مناسكه ، هذا الحنين سوى ترجمة للتفاعل بين [illegible] الله المنقوشة في روحه وبين الرغبة العـ[illegible] في الاستجابة ، تنفيذا المشيئة الله تعـ[illegible] ذلك التفاعل الذي ينتهي بـه الى

اول بيت وضع للناس

المناسك في زمرة المشاة والركبان ، وهم يرددون في صوت جماعي او فردى : لبيك اللهم لبيك اى اجابة لدعوتك يا الله بعد اجابة ، وقبولا لضيافتك الروحية في بيتك الحرام •

وليس كل مشتاق الى الحج يبلغ مناه ، فما اكثر من حرمتهم الاعذار وحالت دون رغباتهم الاقدار ، فاللهم اكتب ثواب النية الصالحة للمشتاقين المحرومين ، واعف عن القادرين المقصرين فانك يا مولانا ارحم الراحمين •

تقبيل الحجر الاسود :

ان للحجر الاسود سرا لا يزال مجهولا للبشر ، ولعله سيكون شاهدا للطائفين عند رب العالمين ، وقد صرح بذلك حديث اخرجه البيهقي صحيح على شرط الامام مسلم ، فقد روى بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليبعثن الله الحجر له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق » • ولا غرابة في ذلك ، بعد ان استطاع الانسان ان يجعل الحديد يتكلم ويحسب ويبرز نتائج العمليات الحسابية الكبيرة بدقة وباقصى سرعة ، وعن كلام الجماد يقول الله تعالى : « واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق » ۸۷ـ ۱۸ص •

وكان الحصى يسبح في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم والطعام كذلك، وكان اصحاب الرسول يسمعون هذا التسبيح ، ولا غرابة في ذلك ، فان عجائب الذرة وما خلق الله فيها من نواة والكترونات وسرعة رهيبة في دورانها حول النواة ، وما عرف لها بعد من اسرار وقوة مخيفة •

وبعد فان الله على كل شيء قدير ، فالارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه ، فلا يبعد على قدرته ان يجعله شاهدا لمن طاف بالبيت وبثه اسرار الحب واشواق القلب ، واتخذ منه بريدا يرفع الحب لخالق الاكوان الذي لا سبيل الى شهوده بالعيان •

[illegible] الحج [illegible] للانسان :

جعل الله الحج امارة على اخلاص العبد لربه ، وترجمانا يتحدث عنه ، فقد هجر فيه المؤمن الاوطان وفارق الاهل والخلان ولم يكترث فيه بمتاعب الرحلة ونفقاتها وطول مداها ، كما ان فيه التذكير بوجوب التزود للاخرة ، فكما انه يعتمد في رحلة الحج على التزود بالمال والطعام والشراب ، فعليه ان يعتمد في رحلة الاخرة على التزود بزاد التقوى •

والمحرم اشمت اغبر لهفان ، وكذلك يخرج الانسان من القبر حيران عريان ، ووقوف الحجيج بعرفات خائفين من عقاب الله وطامعين في رحمته يذكرهم بموقفهم في ساحة القيامة، وهم ما بين شقي وسعيد، والافاضة من المزدلفة تذكرهم بالسوق لفصل القضاء ، والمبيت بمنى يحرك قلوب المذنبين الى تمنى شفاعة الشافعين يوم الدين ، وحلق الرأس والتنظيف يذكرهم بالخروج من السيئات بالغفران المطهر من الذنوب .

نسأل الله تعالى ان يوفقنا لاجتياز مفازات الحياة برواحل الطاعة ، وان يرضى عنا ، ويغفر لنا ويرحمنا ، فانه بعباده رؤوف رحيم ••

(١) روى عن مجاهد قال : تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود : بيت المقدس افضل واعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء ، وفي الارض المقدسة ، وقال المسلمون : بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الاية « ان اول بيت وضع للناس » الاية •

بقلم الدكتور :
تقي الدين الندوي
رئاسة القضاء الشرعي
ابوظبي
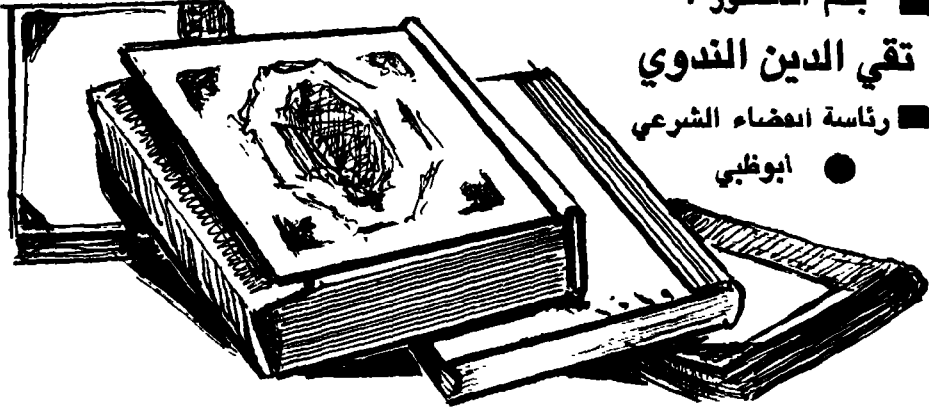
من المعروف أن المستشرقين والمضللين ومنكري السنة يبذلون جهودهم لاسقاط السنة من مكانتها الرفيعه كمصدر تشريعي ثان بعد كتاب الله العزيز اذ أنها شرحه وتفسيره وبيانه ٠

ويستهدفون من وراء ذلك هدم مجتمع الاسلام ونظامه لكي تسود الفوضى وتنتشر البلوى ، وعلى هذا التقى اعداء الاسلام ، من زنادقة الفرس وغيرهم في عصور الحضارة الاسلامية الزاهرة ، مع اعداء الاسلام اليوم ، من المستشرقين ومن لف حولهم في الحضارة الغربية الحاضرة ، لان ضوء الاسلام الباهر يغيظ اعداء الاسلام ويغشى ابصارهم فيندفعون بعصبية عمياء حمقاء لتهديم كل مايتصل به من قرآن وسنة واجتهاد ولتشويه كل من حمل لواء الاسلام، من رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى حملته من اعلام السنة والحديث ولا فساد الحقائق المتصلة به من حضارة وتاريخ ٠

ولا نشك ان هذه المعركة بين الاسلام وخصومه ، ستنتهي الى هزيمتهم وكشف مقاصدهم الخبيثة الخبيثة ٠

وسنة الله في الحياة ان ينتصر الحق والعلم والنور دائما وابدا بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكن من المؤسف ان بعض الكتاب والمثقفين من

مكانة السنة في الإسلام

المسلمين قد انخدعوا بمظاهر التحقيق العلمي الخادع ، من المستشرقين والمؤرخين والكاتبين من اعداء الاسلام الغربيين ، اما لجهلهم بحقائق التراث الاسلامي وعدم اطلاعهم على ما يكفي من ينابيعه الصافية واما لوقوعهم تحت تاثير أهواء وانحرافات فكرية، لا يجدون مجالا للتعبير الا بالتستر وراء اولئك المستشرقين والكاتبين .

ونريد كشف الشبهات التي اثيرت حول السنة من هؤلاء الذين هم أعداء الدين حتى يكون ليلها كنهارها .

السنة : في اصطلاح المحدثين هي كل ما اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، من قول او فعل او تقرير او صفة خلقية او خلقية او سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء ام بعدها .

والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوى .. ويراد بهما كل ما اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قبل البعثة وبعدها ولكنه اذا أطلق لفظ الحديث انصرف في الغالب الى ما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد النبوة ، من قوله وفعله واقراره ، وعلى هذا فالسنة اعم من الحديث .

واذا اطلق لفظ الحديث عندالاصوليين، اريد به السنة القولية لان السنة عندهم أعم من الحديث وهي تشتمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره مما يصلح ان يكون دليلا لحكم شرعي .

اذا الحديث ليس مغايرا عن السنة بل هو داخل في السنة ، ومن فرق بينهما من العلماء فهو فرق في الاصطلاح حسب اغراضهم التي تعنى بها كل فئة من اهل العلم .

وقد انزل الله القرآن على رسولهالكريم صلىالله عليه وسلم هدى للمتقين ودستورا للمسلمين وشفاء لصدور الذين اراد الله لهم الشفاء ونبراسا لمن اراد الله لهم الفلاح والضياء .

وهو مشتمل على انواع من ألاغراض التي بعث الله من اجلها الرسل ففيه التشريع والاداب ، والترغيب والترهيب والقصص والتوحيد وهو مقطوع بصحته اجمالا وتفصيلا ، وتلقاه المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة في عصر الصحابة ونقل متواترا في العصور التالية ، وقد فرض الله على رسوله تبليغ كتابه الى الناس كافة وكلفه بمهمة اخرى وهي تبيين هذا الكتاب وشرح اياته وتفصيل مجملة وبيان ما انزل اليه في الكتاب من قواعد عامة واحكام مجملة وغيرها .

ولم يغادر الرسول صلى الله عليه وسلم من امور معاشهم ومعادهم صغيرة كانت ولا كبيرة ، الا وضع قواعدها وقرر اصولها واضاء طريق الوصول الى الحق .

قال الله تعالى : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم لعلهم يتفكرون) النحل : ٤٤ .

قال الامام الشاطبي : فكانت السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني احكام الكتاب (١) .

وكل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم سوى القرآن الكريم — من بيان لاحكام الشريعة ، وتفصيل لما في الكتاب الكريم وتطبيق له — هو الحديث النبوى وهي بوحى من الله تعالى .

« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » النجم : ٣ ، ٤ .

فالسنة كالقرآن الكريم ، من جهة ان الاثنين وحي الهى ، والفرق بينهما ان القرآن الكريم وحى الهى باللفظ والمعنى المتعبد بتلاوته ، والسنة وحى غير متلو ، وحى بالمعنى دون اللفظ، لايتعبد بتلاوته ولكنه مقروء فالقرآن والسنة تشريعان متلازمان لا يمكن لمسلم ان يفهم الشريعة الا بالرجوع اليهما معا ٠

ولا شك في ان الاصل مقدم على الفرع والبيان مؤخر عن المقبين ٠

وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة ، تبين حجية الحديث وتلزم الناس باتباعها وتصرح بان الانقياد لها انقياد لله وان التمرد عليها علامة الانسلاخ من الايمان٠

● « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » الحشر : ٧ ٠

● « من يطع الرسول فقد اطاع الله » النساء : ٨٠ ٠

● « فلا وربك لايؤمنون حي يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » النساء : ٦٥ ٠

● « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر » النساء : ٥٩ ٠

بعد هذا كله لو اراد شخص ان يفرق بين السنة العملية والسنة القولية ، ويقول ان الدين العام هو ما جاء في القرآن لانه متواتر وفي السنة العملية ، لانها من حيث العمل بها اصبحت متواترة ، وما عدا ذلك ، وهي السنة القولية ، فليس يلزم العمل بها ، عداما في هذا الرأى الخطير من مخالفة صريحة لكتاب الله ومن قضاء على التراث التشريعي الاسلامي كله ، فانه يدعو الى فوضى في العقيدة والتشريع ، لا يقول بها رجل يحترم نفسه ويحترم شريعته ويحترم كيان امته الاجتماعي ابدا٠

والسنة عملية كانت او قولية واجبة الاتباع ومصدر اصيل ـ بعد القرآن ـ للاحكام الشرعية ، وعلى هذا دل القرآن وانعقد الاجتماع ومن حيث ان السنة وهي هي بمنزلة القرآن الكريم وانما تلي القرآن بالمرتبة من حيث الاعتبار لانه مقطوع به جملة وتفصيلا والسنة مقطوع بها على الجملة ، لا على التفصيل ولانه هو الاصل وهي الفرع لانها شارحة ومبينة له ،

قال ابن القيم : امر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، واعاد الفعل اعلاما بان طاعة الرسول ، تجب استقلالا من غير عرض ما امر به على الكتاب ، بل اذا امر وجبت طاعته مطلقا ، سواء كان ما امر به في الكتاب او لم يكن فيه فانه اوتى الكتاب ومثله معه ، ولم يامر بطاعة اولى الامر استقلالا ، بل حذف الفعل وجعل طاعته في ضمن طاعة الرسول ايذانا بانهم يطاعون تبعا بطاعة الرسول ، فمن امر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ومن امر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع ولا طاعة (٢)٠

كذلك الرد الى الله هو الرد الى الكتاب

والرد الى الرسول هو الرد الى سنته •

● « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا » المائدة : ٩٢ •

هذه الايات وغيرها تدل على وجوب طاعة الرسول وماطاعته الا الأذعان له في حياته والعمل بسنته والاقتداء بهديه بعد وفاته •• قال الله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) آل عمران : ١٦٤ •

قد ذهب جمهور العلماء والمفسرين الى ان الحكمة شيء اخر غير القرآن ، وهي ما اطلعه الله عليه ، من اسرار دينه واحكام شريعته ، ويعبر العلماء عنها بالسنة •

قال الامام الشافعي : ذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت من ارضى من اهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة في هذه الايات سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يشبه ما قال والله اعلم ، فلم يجز والله اعلم ان يقال : الحكمة هنا الا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انها مقرونة مع الكتاب، وان الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع امره فلا يجوز ان يقال لقول فرض الا لكتاب الله وسنة رسوله لما وصفنا من ان الله جعل الايمان برسوله مقرونا بالايمان به (٣) •

السنة مصدر تشريعي :

وكل هذا دليل على الاعتداد بالسنة وعلى اعتبارها مصدرا من مصادر التشريع في الاسلام ، وعلى ذلك اجمعت الامة الاسلاميه وتقبل المسلمون السنة ، كما تقبلوا القران الكريم لانه مصدر تشريعي بشهادة الله عز وجل في القران ، وشهدالله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بانه لا يتبع الا ما يوحى اليه ، قال تعالى : (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ، ان اتبع الا ما يوحى الى ، قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون) الانعام : ٥٠ •

لهذا كان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، يستمدون احكام الشرع من القرآن الكريم ، الذي يتلون لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذون شرحها وبيانها من رسول الله صلى الله عليه وسلم•

والاحكام التي جاءت بها السنة انواع: منها ما هو موافق لما في القرآن ومؤكد له

لا يجوز أن يقال

مثل حرمة مال الغير بغير حق ، والنهي عن الزنا وحقوق الوالدين وشهادة الزور وغير ذلك •

ومنها ما هو مبين ومفصل لمجمل القرآن كالسنة ، التي بينت عدد ركعات الصلاة وهيأتها حيث جاءت الصلاة في القرآن مجملة وكالسنة التي بينت مقادير الزكاة وشروطها واصناف المال الذي تجب فيه الزكاة •

ومنها ان من السنة ، احكاما قيدت مطلق القرآن او خصصت عامة كقطع اليد من السرقة ، جاء مطلقا في القرآن قال الله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » المائدة : ٣٨ • فان قطع اليد لم يقيد في الاية بموضع خاص ، فتطلق اليد على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع، ولكن السنة بينت هذا ، وقيدت القطع بان يكون من الرسغ ، وقد فعل ذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم عندما « اتي بسارق فقطع يده من مفصل الكف » ومثل تحرير الميتة جاء عاما في القرآن فخصصته السنة بما عدا ميتة البحر والجراد .

ومن السنة ما هو احكام جديدة ، لم يذكرها القرآن وانما جاءت بها السنة ، مثل وجوب الدية على العاقلة، ونحو ذلك.

كل هذا سنة يجب اعتبارها والعمل بها وعلىهذا جميع من يعتد بهم من علماءاللغة الاسلامية في مختلف الاوطان والازمان .

ولا خفاء بعد هذا في ان كتاب الله اصل ديننا ، وان سنة نبينا صلى الله عليه وسلم - قولية كانت او فعلية - هي الموضحة

بحفظ كتابه وشرح معانيه بقوله :
«انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» الحجر : ٩

قال ابن حزم « فلم يسع مسلما يقر بالتوحيد ، ان يرجع عند التنازع الى غير القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يتأبى عما وجد فيها فان فعل ذلك ، بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق ، واما من فعله مستحلا للخروج عن امرهما وموجبا لطاعة احد دونهما فهو كافر ، لا شك عندنا في ذلك .

●●
●

لقول "فرض" إلا لكتاب الله وسنة رسوله

لاحكامه والمفصلة لاجماله ، والهادية الى طرق تطبيقه ، فهما صنوان لا يفترقان ،

ومن عمل بالقرآن على غير المنهج ، الذي انتهجه الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون عاملا بالقرآن ، ولقد تكفل الله

١ - الموافقات ج ٤ ص ١٠ .
٢ - اعلام الموقعين ج ١ ص ٤٨ .
٣ - سبل السلام ص ٢٧ ، ٢٨ ج ٤ .
٤ - الاحكام في اصول الاحكام لابن حزم ج ٢ ص ٨٠ .

●●

مفهوم الصداق

للشيخ محمد سليمان فرج

ان المؤمن من يحلم بالمثالية وينشد الافق الاعلى دائبا يتطلع الى الفضائل السامية مؤمنا بانها سر السعادة الحقيقية، وقطب الرحى في ذلك هي تعاليم الاسلام الحنيف لانها القمة العليا في مناهج الحياة الطيبة الكريمة •

وان الانسان في المجتمع تتدفق حوله آراء وافكار متباينة تحمل الى نفسه شتى المعاني المتضاربة ،وقد تكون فوارة بالحماس مشفوعة بالتعصب ، حتى اذا ما غمرته امواج المعرفة الاسلامية وانوار الهداية السماوية ، طغت على كل هذه التيارات المختلفة الخادعة وصدت هذا السيل المنهمر الذي يملأ الافق، ويقرع ابواب الفكر •

ولقد كانت الوثبة الاولى للاسلام منذ ان خفق قلب الحياة الاجتماعية باقوى نبضاته ، ان هدمت صروح التقاليد الباغية ، واقتلعت جذور عادات الجاهلية الاولى ، حتى اشرقت الارض بنور ربها ووضعت موازين الحياة الصادقة القويمة، وقضى على اتباع الهوى وتقنين القيم والمثل حسبما يراه الصلف والغرور ، فقد كانت الشريعة المطهرة هي التي تكفلت بوضع اسمى الوان النظم الاجتماعية ورسم اجمل ايات المعاني الخلقية ، وكل ما يتصل بازدهار الحياة البشرية •

ونحن الان في القرن العشرين ولازلنا نعاني من بعض العادات الجاهلية التي استشرى خطرها في بعض المجتمعات واصبحت تهدد شبابنا وفتياتنا ، وتقف عائقا امام تكوين الاسرة وبناء لبناتها الاولى ، الا وهي مشاكل الزواج والمغالاة في المهور والاسراف البغيض في طلب الهدايا والنفقات الباهظة ، مما يؤدي ببعض الشباب الى الانحراف لعجزهم عن القيام بهذه المبالغ الطائلة ، او الذهاب لبعض الدول الاخرى للزواج منها بتكاليف اقل ونفقات ايسر ، وغالبا ما يكون الاختيار من هذه البلاد على اساس لايتفق مع مقومات الدين وابتغاء الفضيلة •

وان الصداق في الاسلام انما هو نحلة

للمرأة – اى عطية – على سبيل المـــودة والرحمة لا على سبيل المشقة والاجبار ، لذلك رغب الرسول صلى الله عليه وسلم

في يسره لسهولة القيام به •

قال الامام الشافعي – رضي الله عنه – في كتابه « الأم » •

واحب الا يزاد في المهر على ما اصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وبناته وذلك خمسمائة درهم، طلبا للبركة في موافقة كل امر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقد كره الامام مالك – رضي الله عنه – المغالاة في الصداق مع القدرة عليه لان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا تغالوا بصداق النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله ، كان اولى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما تزوج امرأة ولا زوج بنتا باكثر من ذلك •

فالصداق في الاسلام ليس مشكلة تكون حجر عثرة في طريق الشباب والشابات ، بل سمت تعاليم الاسلام بالمجتمع فوق هذه المقاييس المادية والنظرة السطحية ، فرغب الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في قلة المهر مع القدرة على الكثرة ، وجعل السعادة الزوجية وبركة العشرة وسرور الحياة ودوام اشراق شمس المودة ، مرتبطا بالتراحم والتعاطف وخفة التكاليف ويسر المهر وسهولة المئونة ، قال رسول الله صلى

وقال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه :

يستحب الا يغالي في الصـــداق لان الرسول صلى الله عليه وسلم يقـــول : « اعظم النساء بركة أيسرهن مئونة »، وفي رواية « اخفهن مئونة » •

ولقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : اثنتا عشرة أوقيـة ، والأوقية اربعون درهما ، فالجملـــة خمسمائة درهم الا قليلا ، فلا تستحب الزيادة على هذا لانه اذا اكثر ربما تعذر على الزوج فيتعــرض للضرر المادي الذي يثقل كاهلـه •

الله عليه وسلم : « اليسر في الصـــداق دليل يمنه » ، اى دليل خير وبشرى سعادة للحياة الزوجية وعنوان مشرق على اليمن والبركات ، فقد روت السيدة عائشـــة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليـه وسلم انه قال :

« خير نساء أمتي أصبحهن وجها وأقلهن مهرا » • رواه ابن حبان •

ومعنى اصبحهن وجها اى عليها من سيما الايمان واشراقة التقوى ومسحة اليقين ما يدل على التقوى والصلاح ومن ملاحـــة الوجه وجماله ما يرغب فيهاالزوج ويصده عن غيرها وأقلهن مهرا اى رضا باليسير ، لان الصداق برهان على الالفة والمودة ورمز

للتقدير والاعجاب ونحلة على سبيل التكريم لان الصداق برهان على الالفة والمودة ورمز والمحبة ، ولم يجعله الاسلام ثمنا لسلعة تجارية اوفرصة لكسب المال، وقهر الشباب فالذين يغالون في صداق بناتهم انما يرتكبون اثما كبيرا ويخالفون سنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ويعرضون حياتهم الاجتماعية للمخاطر التي تعصف بهم وتكون سببا من اسباب التفكك الاسرى الذي نعانيه اليوم في كثير من المجتمعات الاسلامية •

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها » •

رواه الامام احمد والحاكم•

فهذا الحديث الشريف يبين لنا الدعائم الاسلامية التي تكون سببا في بناء الاسرة المثالية الفاضلة ، لان الخير الحقيقي للمرأة المسلمة لكي تكون بيتا سعيدا هو تيسير خطبتها وتيسير صداقها ، لان المشاكل الكثيرة التي تنشأ خلال خطبة المرأة والتعقيدات المختلفة التي يضعها اولياء الامور بلا حذر ولا روية ، كادت ان تهوى بالمجتمع في وادى سحيق من الانحراف والخلل •

فهذا التوجيه النبوى الشريف يوضح لنا يمن المرأة وانه في تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها، اى سهولة انجابها، لان المرأة الولود دليل الخير لانها تحمل الى المجتمع من يسبح الله تعالى ويعبده •

وان المتدبر في النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة ، وما فيها من روعة اخاذة وسحر غلاب ، يستطيع ان يدرك الحكمة العميقة للاسلام في يسر الصداق وعدم المغالاة فيه ، وان الزوجة يمكنها ان تهبه لزوجها ويكون ذلك خلالا طيبا قال الله عز وجل : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » النساء : ٠٤

قال ابن عباس وقتادة : الخطاب للازواج امرهم الله تعالى بان يتبرعوا باعطاء المهور نحلة منهم لأزواجهم ، ومعنى نحلة اى عن **طيب نفس من غير تنازع •**

ومعنى قوله جل شانه (فان طبن لكم)، يدل بعمومه على ان هبة المرأة صداقها لزوجها جائز ، وبه قال جمهور الفقهاء ، وسبب الاية فيما ذكر ان قوما تحرجوا ان يرجع اليهم شيء مما دفعوه الى الزوجات فنزلت ، وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية : « فان طبن لكم عن شيء منه نفسا » ، فقال : (اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله تعالى به في الاخرة) •

ودخل رجل على علقمة وهو يأكل شيئا وهبته امرأته من مهرها ، فقال له : كل من الهنيء المريء •

والخطاب في قوله جل جلاله (فكلوه) ليس المقصود صورة الاكل ، وانما المراد به الاستباحة بأى طريق كان ، لان الاكل لما كان او في انواع التمتع بالمال ، عبر عن التصرفات بالاكل • فهذا التشريع الالهي المعجز والمنهج الرباني المحكم ، يضفي على الحياة اشراقة السعادة الزوجية، ويغرس المودة والرحمة ويثمر التعاطف والالفة •

• ■ •

• ■ •

روى النسائي ان أبا طلحة خطب أم سليم فقالت : والله يا أبا طلحة ما مثلك يرد ولكنك رجل كافر وانا امرأة مسلمة ولا يحل لي ان أتزوجك ، فان تسلم فذاك مهرى لا أسألك غيره ، فأسلم فكان ذاك مهرها ، قال ثابت : فما سمعنا بامرأة قط كانت أكرم مهرا من أم سليم فدخلت به فولدت له •

فما هذا التسامى العظيم والفهم الدقيق، الذي جعل أم سليم تدرك المعنى الجليل للصداق ، وتربطه بالايمان والهدى ، وتضرب اروع الامثلة بعملها الخالد وبصيرتها النافذة ، لان الصداق يمكن ان

يكون عملا عظيما كتعليم القرآن ، كما هو مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه، وقد روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه : ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله جئت لأهب لك نفسي فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد النظر اليها وصوبه ، ثم طأطأ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال : هل عندك من شيء ؟ قال : لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئا ، قال : انظر ولو خاتما من حديد ، فذهب ثم رجع فقال : لا والله يارسول الله ، ولا خاتما من حديد ولكن هذا ازاري فلها نصفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء ، وان لبسته لم يكن عليك منه شيء ، فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا، فأمر به فدعي فلما جاء قال : مادا معك من القرآن ، قال : معي سورة كذا وسورة كذا ـ عددها ـ قيل هي البقرة وآل عمران قال : أتقرؤهن عن ظهر قلب ؟ قال : نعم قال : اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن » . فيا لله ما أجمل هذه التيسيرات وأروع تلك المعاني الاسلامية ، التي تسمو بالمجتمع الى أفق رحيب بعيد عن الشطط والارهاق والمشقة ، وتجعل الصداق أمرا سهلا (١) مبسطا ، ليسارع الناس الى تحصين انفسهم بالزواج ، وينأوا عن زلة الشيطان ومخاطر الاهواء .

وهذا هو الامام الجليل سعيد بن المسيب يزوج ابنته على درهمين ولم ينكر عليه احد ، بل عد ذلك من مناقبه وفضائله ، وقد أراد الخليفة عبد الملك ابن مروان أن يخطبها لولي عهده الوليد فرفض، وعجل بزفافها الى طالب علم فقير لايملك الاقوت يومه .

قال يحيى بن سعيد : كان لسعيد بن المسيب جليس يقال له عبد الله بن وداعه فابطأ عنه اياما فسأل عنه وطلبه ، فأتاه معتذرا عن تأخره بمرض زوجته وموتها، فقال له : الا أعلمتنا بمرضها فنعودها او بموتها فنشهد جنازتها ، ثم قال : يا عبد الله تزوج ولا تلق الله وانت اعزب، فقال : يرحمك الله ومن يزوجني وانا فقير ؟ فقال سعيد : انا أزوجك ابنتي ، فسكت استحياء واستعظاما ، فقال سعيد : مالك سكت اسخطا واعراضا؟ قلت وأين أنا منها ، فقال قم وادع لي نفرا من الانصار ، فدعوت له فاشهدهم على النكاح ، فلما صلينا العشاء الآخرة ، توجه سعيد بابنته الى الرجل الفقير ومعها الخادم والدراهم والطعام ، والزوج لايكاد يصدق ما هو فيه .

ما أعجب هذا الموقف المدهش العجيب ، من رجل يرفض مصاهرة الخليفة ويزوج وليدته لطالب علم فقير لا يملك من مظاهر الدنيا شيئا ، والله انها لقمة المثالية الرائعة التي لا يرقى اليها الاذوو الهمم الكبيرة ، ومن غير هؤلاء الرجال الذين صنعهم الله على عينه ، ورباهم الاسلام فكانوا بهجة الوجود وسعادة الدنيا .

فالاسلام رغب في قلة المهر ، وجعل البركة في ذلك ، ولذلك قال الشافعي واحمد واسحاق وابو ثور وفقهاء المدينة من التابعين : رضي الله عنهم اجمعين.

كل ما جاز أن يكون ثمنا وقيمة لشيء جاز ان يكون صداقا .

وقال مالك : اقل الصداق ثلاثة دراهم وقال ابو حنيفة : عشرة دراهم .

فما أحوجنا الى الأخذ بتعاليم الأسلام والسير على منهاجه لتعود للحياة نضرتها وللمجتمع الاسلامي قيمه واخلاقياته البناءة .

---

١ ـ ما هو بالسهل المبسط ، فقد كان حفظ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم للقران لا كحفظ الببغاء ولكن حفظ العاملين ، ما حفظ احدهم آية حتى عمل بها فما ينتقل منها الى غيرها حتى يوفيها حقها عملا وتطبيقا : المجلة .

المعاجم

لا بد للباحث من أوليـــات يبتدأ بها دراســـته وأسس يعتمد عليها في تتبع هذه الدراسة ، ومـــن الصعب جدا ان ينجز الباحث دراسته في موضوع ما ، الا اذا توفرت لديه المراجع وأمهات المصادر التـــي تغني موضوعه بالمادة المناسبة كما تعطيه ابعـــادا واضحة فيه ، ومن أهـــم هذه الاوليات والاســـس « المعاجم » على أنواعها ، لهذا لا بد من الحديث أولا عن المعاجم قبل الحديث عن الدراسات المتنوعة ·

أولا : المعاجم (المعجمية عند المستعربين) :

واذا كانت بعض المؤلفات الاسلامية القديمة مراجع هامة لدراسات معظـــم المستعربين ، فانه من المؤكد انهم لـــم يحجموا عن الافادة من المعاجم المفهرسة التي يمكن أن تضم رؤوسا لمواضيـــع اسلامية قد لا تخطر للذهن لاول وهلة ، ومن الواضح أن الباحث يدرك اهميـــة المعاجم في أي موضوع يتناوله ، وتبدو هذه الاهمية فيما يلي :

أ ـ المعاجم المفهرسة عمل منظـــم ومركز يهدي الباحث الى معرفة أصـــول موضوع ما ، أو يدلـــه على مواضعه ومكانه ·

ب ـ المعاجم المفهرسة تطلع الباحث

على أبعاد الموضوع المعالج ، سـواء كانت هذه الابعاد في دراسة موضـوع كلي عام او جزئي محدد ٠

جـ ـ المعاجم المفهرسة تختصـر الوقت وتيسر الجهـد على المراجع ، وتمنحه القدرة على متابعة موضوعـه على الوجه المنطقي الصحيح ٠

د ـ المعجمية باشكالها المتعـددة ، مرحلة هامة من مراحل بناء البحـث الجاد ، وقلما يتمكن باحث ان يتجـاوز هذه المرحلة الى غيرها ٠

هـ ـ شملـت المعجمية انواعا من الثقافة الاسلامية باشكال متعددة ،ولكن اهمها ما يتصل بالقرآن الكريم والحديث النبو يالشريف ٠

ولهذه الاسبـاب وغيرها شـغل المستعربون باعداد المعاجم اللغويـة والتاريخية والجغرافية ، ولكنهم برزوا في اعداد المعاجم المفهرسة للمصدرين الاسـاسيين في الاسلام ، الا وهمـا القرآن والسنة ، وما يتصل بهما مـن العلوم كعلم القراءات وتاريخ القـرآن والسنة وطبقات الصحابة ٠

واذا كانت المعجمية سمة ظاهرة في اعمال المستعربين ، فانها من غير شـك تعد مرحلة متطورة في التاريخ المعجمي العربي منها وغير العربي ٠

١ ـ فهي سمة ظاهرة ، لان جمهرة منهم قدموا مؤلفات معجميـة وسلخوا لها شطرا كبيرا من حياتهم ، وانبعضهم كان يقضي عمره كله أو جله في تصنيف معجم من المعاجم ، ويكون قد وضـع اساسـا متينا في مستهـل البحث لمستشرقين معاصرين ولاحقين ، وقـد عرف هؤلاء المعجمين (مؤلفي المعاجـم والدارسين) أكثر من سبعين مستعربا٠

٢ ـ وهي سمة ظاهرة ، لان عملهم كان ابعد عن الانحراف الفكري وتشويه الحقائق ، ولانه أقـرب الى الجودة واتقـان العمل ، ولانه أدخـل في الموضوعية التي قد تحكمها عناصـر غير مباشـرة لها صلتها بالاهـداف الاستشراقية العامة ، وهذه صفة تنطبق على المعاجم اللفظية بصورة خاصة ٠

٣ ـ وهي مرحلة متطورة في التاريخ المعجمي ، حيث انهم لم يقصروا علـى اساليب جديدة في البحث العلمي بـل

افادوا من المعجميين المسلمين قبل كل شيء اكثر مما افادوه من غير المسلمين يقول محمد رشيد رضا : ووضع (علماء السنة السابقين) ، المعاجم لمفرداتها ولاوائلها لتسهيل المراجعة ، ودع ما سبقوا اليه جميع الامم من وضع التواريخ لرواتها ثم لغيرهم من العلماء ، ومن ترتيب بعضها على حروف المعجم وبعضها على الطبقات،ومن نصب ميزان الجرح والتعديل المستقيم لهم تمحيص المقبول والمردود من مروياتهم، ومن وضع كتب الاطراف المبينة لروايات كل صحابي في كل موضوع وترتيبها على الحروف (١) ، ولكن احمد محمود شاكر ، يبين ان المسلمين سبقوا في التصنيف المعجمي وبخاصة في اللغة العربية فيقول (٢) : سبق(علماء العربية) الى ذلك سائر الامم ، فان كتاب « الجمهرة » لابن دريد (ت ٩٣٢ م) ـ معجم لغوي مرتب على الحروف ـ فقد الف كتابه قبل أول « مجموعة كلمات انجليزية هجائية » بنحو سبعة قرون ، وقبل أول معجم لاتيني ظهر في أوربا بأكثر من ثلاثة قرون · ووضع المحدثون كتب التراجم على صورة معاجم ، فرتبوا فيها الاعلام على الحروف أيضا، منها تواريخ البخاري الثلاثة ، وطبقات ابن سعد ، (مما لم يعرفه المستشرقون الا حديثا) ·

٤ ـ وقد بذل الائمة المتقدمون جهدا كبيرا لارشاد الباحثين عن الاحاديث في مكانها من الدواوين الكبار كالكتب الستة وغيرها ، فالفوا نوعا من الفهارس سموه (الاطراف) ، فيجمع احدهم أحاديث الصحيحين أو احاديثهما مع احاديث باقي الكتب الستة ، ويفرد رواية كل صحابي وحده يرتب أسماء الصحابة على الحروف ثم يبين موضع كل حديث من ابواب كل كتاب ، ولم يطبع شيء من هذه الكتب ، ومن اقدمها كتاب (أطراف الصحيحين) للامام الحافظ خلف بن حمدون الواسطي ، المتوفى ٤٠١ هـ ١٠١١ م وكتاب (الاطراف) للحافظ الكبير أبي القاسم علي بن عساكر الدمشقي المتوفى ٥٧١ هـ ١١٧٦ م ·

٥ ـ والحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١ هـ ١٥٠٥ م ، صنع نوعا آخر من الفهارس لكتب الحديث ، فرتب الاحاديث على حروف المعجم باعتبار أوائل اللفظ النبوي الكريم ، وعمل في ذلك كتابيه المشهورين ، (الجامع الكبير) أو جمع الجوامع ، (والجامع الصغير) ·

٦ ـ وفي عصرنا الحاضر صنع محمد الشريف ، من علماء الآستانة كتابين هما (مفتاح صحيح البخاري) و (مفتاح صحيح مسلم) ، طبعا ١٣١٣ هـ ، رتب في كل منهما الاحاديث على أوائل اللفظ النبوي ، واشار الى موضع كل حديث في مفتاح البخاري بالابواب والكتب ، وبارقام الاجزاء والصفحات لمتن البخاري وشروحه للعيني وابن حجر والقسطلاني ، وفي مفتاح مسلم كذلك ، وشرحه للنووي ·· ثم ننهي مراحل المعجمية عند المحدثين بقوله : وانا اظن ـ بل ارجح ـ انه لو وجدت المطابع في العصور السابقة بين ايدي ائمتنا المتقدمين ، لكانت اكثر كتبهم على الطبقات ، ثم يضعون لها ما شاءوا من الفهارس على حروف المعجم ، كما فعل المستعربون فيما طبعوا كتبنا ووضعوا لها الفهارس ، ثم قلدناهم في ذلك ·

فالمعاجم المفهرسة اذا ليست بدعا في التاليف والابتكار في التصنيف ، وانما هي مرحلة متطورة سبقتها مراحل أساسية ، ويمكن أن تتبعها أعمال نافعة اخرى ··· ومن غير شك ان المعجمين

المستعربين افادوا كثيرا من المعاجم الاسلامية المتقدمة منهاجا ودقة ، مما يجب أن يدفع بالعلماء المسلمين اليوم أن يكون لهم دورهم في ميدان الفهارس والمعاجم ، بل ويبزوا المستعربين بالعمل الدائب والجهد العلمي المتواصل وليس ذلك بعزيز .

أنواع المعاجم :

ولايضاح أنواع المعاجم التي قام المستعربون بتصنيفها نذكر ما يلي :

أ ـ معاجم عامة : فقد صنف بعض المستعربين مؤلفات تحت اسم (المعاجم) وهي أقرب ما تكون الى الدراسات ، وبعضها أقرب الى التراجم ، فمثلا : المعجم العام للمستشرق هوبلر (١٦٢٥ ـ ١٦٩٥ م) فرنسي ، وهو دائرة معارف في بضعة مجلدات مرتبة على حسب حروف المعجم تبحث في علوم الشرقيين وتاريخهم وآدابهم وأديانهم ونظمهم وعاداتهم وأساطيرهم وغيرها ، الا أن قلة المصادر في عصره ، وعجز الفرد عن انشاء دائرة معارف وحده أوقعاه في بعض الاخطاء والضلالات والنواقص .

وقريب منه : معجم الاسلام بالانكليزية (لندن ١٨٨٥) للمستشرق الانكليزي (هيوز) ، وهذا المعجم ايضا أقرب الى دائرة معارف اسلامية عامة ، فهو مجموعة بحوث ودراسات اسلامية على الطريقة المعجمية (٣) ، ومثلها أيضا الموسوعات الاجنبية التي تعرض للقضايا الاسلامية ، وفي طليعتها دائرة المعارف الاسلامية ، الذي تعاون على اخراجها عدد كبير من المستشرقين العالميين من دول عديدة (٤) .

ب ـ معاجم لغوية وأدبية : كذلك عني المستعربون بتاليف معاجم لغوية وأدبية ، معتمدين في ذلك على أمهات الكتب اللغوية كالقاموس المحيط ولسان العرب ، كما ترجم بعضهم هذه القواميس الى لغاتهم الوطنية . فمن الكتب التي ألفت في الادب ، تاريخ الادب العربي لبروكلمان ، وهو مشهور لدى الاوساط الادبية واللغوية ، وكتاب : تاريخ الادب العربي في سبعة مجلدات للمستشرق هامربورجشتال ، قد ترجم لـ ٩٩١٥ أديبا وشاعرا ، حتى أن المستعربين وضعوا معاجم للهجات العربية الحديثة ، وأضخم هذه المعاجم (ى ، س ، فينشيك الروسي) (٥) (١٩٠٢ ـ ١٩٣٩) ، حيث بذل له جهدا دائبا مدة ١٥ سنة ، وتمكن من تسويد ما يقرب من ثلاثمائة ألف بطاقة ، ولكن الموت عاجله عن اتمامه ، وقد عني بالدرجة الاولى باللغة التي يتكلمها سكان سوريا ولبنان وفلسطين . ومن المعاجم ما اعتمدت على مخارج الاصوات في اللهجات ، كمعجم « فيشر » للغة العربية ، وقد قضى أربعين سنة في ترتيبه على المصادر ، وأقر المجمع اللغوي في مصر طباعته (٦) .

جـ ـ معاجم القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذه المعاجم تميزت بمزيد من الاهتمام من أفراد ومؤسسات ومجامع عالية ، لا لتخدم الاغراض المعجمية الخالصة وحسب ولكنها لتضع أمام المستعربين أوليات للبحث الاسلامي من جهة ثانية ، وليبتر اعمال المستعربين ودراساتهم المتجنية على الاسلام من جهة ثالثة ، فالمستشرق الهولندي

المسلمون سبقوا في التصنيف المعجمي سائر الأمم

الاستغراب والاستغراب

« فنسنك » الذي كان الدعامة في المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي قبل غيره من المستشرقين العالميين ، والذي سنتحدث عنه بعد قليل - يظهر انه كان يهوديا - وتولى تحرير دائرة المعارف الاسلامية بلغاتها الثلاث (١٩٢٤) فاتم الاجزاء الثلاثة الكبرى ·· وألف رسالة الدكتوراه في : موقف الرسول ويهود المدينة (١٩٠٩) ومحمد واليهود والاسرائيليات في الاسلام ، والاثر اليهودي في أصل الشعائر الاسلامية (المجلة الافريقية ١٩٥٤) ، وكثير من الكتب غيرها (٧) ·

وعلى الرغم من هذا فان المختصين بعلوم الحديث يمتدحون معجميه في الحديث النبوي قبولا للحق وتقديرا للجهد العلمي وقصدا للنفع ·يقول أحمد محمود شاكر عن « مفتاح كنوز السنة » : وهو فهرس لبعض كتب الحديث ألفه أحد كبار المستعربين ··· ولكنني فرحت به كأشد ما افرح بكتاب نفيس يقع الي ·· وفي موضع آخر يقول : وبعد مرة أخرى - فاني لا أضع القلم من يدي حتى ارجو القارئين في جميع الامم الاسلامية ان يقتنوا هذا الكتاب ، وان يقتنوا كتب الحديث الذي هو مفتاح لها ، وان يكثروا القراءة فيها ، وتفهمها ليهتدوا بهدي نبيهم الكريم ، ويستنوا بسنته العالية ، فتعود للامة الاسلامية سيرتها الاولى (٨) · وهذه المعاجم يمكن تقسيمها الى زمرتين :

١ - الزمرة الاولى : معاجم لفظية : وهي المعاجم المفهرسة لالفاظ القرآن الكريم أو الحديث ، من غير ان يعلق أو يعقب عليها مؤلفيها بشيء ، ومنها المعجم المسمى ، بنجوم الفرقان في أطراف القرآن ، لفلوجل ، والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي لـ أ ، ي ، فنسنك وآخرين (٣) · وهذه المعاجم عموما مرتبة حسب الالفاظ الهامة في الآية أو الحديث ، والمهم في هذه المعاجم الدقة والاحاطة من الناحية التصنيفية الشكلية ، وانها تجميع للنصوص التي هي من أسرة واحدة وموضوع واحد من الناحية الدرسية الموضوعية ، فما أحرى بالمسلم أن يعرف احترام الاسلام للعقل ، ودعوته للعلم وبناءه القانوي والحضاري وصلاح الحياة - وعالمية الاسلام - الى غير ذلك من القضايا الحياتية الهامة ، حين يطلع على معجم من هذه المعاجم اللفظية ، حيث يرى نماذج رائعة منها ·

ومن المفيد أن نفصل الحديث نوعا ما عن معجم لفظي للقرآن الكريم ، كما سنفصل الكلام عن معاجملفظية ومعنوية للحديث النبوي فيما بعد ، وهذا المعجم القراني هو : نجوم الفرقان في أطراف القرآن ، للمستشرق الالماني فلوبل(٩) كما ذكرت آنفا ·

أ - وهو معجم لفظي للقرآن الكريم في ٢١٩ صفحة ما عدا المقدمة والمصطلحات الخاصة ، طباعة لايسيبغ ١٨٧٥ م ·

ب - ويقتصر على اللفظة الواحدة من الآية ، ولا يورد جزءا أو جملة منها ، كما يعتمد على ارقام السور والآيات ·

جـ - ولم يهمل الكلمات الشائعة والعادية ، من مثل ان - انني - انك - الذي - كالذي - والذي ·

د - يذكر اللفظة من السورة مع أرقام الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة ، ثم ينتقل الى سورة أخرى وهكذا ، وبذلك يتقدم بمرحلة احصائية لكل كلمة قرآنية في السورة الواحدة وفي جميع السور ·

هـ - يعتمد في كتابه على اللفظ دون المعنى وفق الطريق الهجائية ، بدءا

من الحرف الاول ثم الثاني ، مثلا : باب الالف ، با بالباء ·

و ـ الارقام والمصطلحات والمقدمة باللغة الاجنبية ، وهذه من الصعوبات التي تعترض طريق المراجع ·

ز ـ اقتبس محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه (المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم) ، وكذلك اعتمد غيره على هذا الكتاب · ويعترف عبد الباقي بذلك في مقدمة معجمه حيث يقول :واذا كان خير ما ألف وأكثره استيعابا في هذا الفن دون منازع ولا معارض ، هو كتاب نجوم الفرقان ، الذي طبع أول مرة عام ١٨٤٢ ، فقد اعتضدت به وجعلته أساسا لمعجمي ·

ح ـ اضطر المستشرق فلوجل ان يطبع مصحفا خصيصا لمعجمه ، وهو مرقم من غير مستند في ذلك الى علم وثيق مما يبعث على الاختلاف في كثير من مواضع الآيات في المصاحف المعتمدة ·

ط ـ على الرغم من صغر حجم الكتاب نسبيا ، وغزارة مواده وصحته فان صعوبة استعماله والافادة من الرجوع اليه ، تدفع الباحث الى الافادة من المعاجم المفهرسة الاخرى ، التي استدرك أصحابها المسلمون أمورا يحتاجها المراجع ، كما تيسر له البحث بأيسر جهد وأقرب سبيل ·

وتصنيف هذه المعاجم بالطريقة اللفظية هام جدا من الناحية التعليمية والدراسية ، ولكن الاكثر اهمية هو الزمرة الثانية من المعاجم ·

٢ ـ الزمرة الثانية : وهي المعاجم التفصيلية التي يبني مؤلفها تصنيفه على فهم النصوص والفقه بها ، فعلى حسب المعنى والفكرة المطلوبة ، تجمع النصوص في موضع واحد وذلك وفق الاسلوب الهجائي حينا أو الاسلوب الحر احيانا ، وتبدو اهمية هذه المعاجم انها مظهر من مظاهر فهم المؤلف للنص،

نجوم الفرقان خير ما ألف في معاجم ألفاظ القرآن

فأحيانا يقتبس معانيه من مؤلفات اسلامية قديمة ، وأحيانا يجتهد في انشاء مواضيع جديدة لم يشر اليها المتقدمون ، ومن هنا يتكرر النص الواحد تبعا للمعاني الذي يتضمنها ، كما تبدو أهمية هذه المعاجم ، بأنها نوع من الاعمال الدراسية أو البحث الاسلامي عن طريق المعجم المفهرس العادي ،والذي قد ينطلق مؤلفه من عدد الافكار الخاصة المسبقة التي يحاول اثباتها بالدليل الشرعي ، كذلك لا يفوتنا ان نبين بأنه قد يبرز ناحية في الاسلام ، يشير أو يخفي نواح اساسية فيه ، ومن هذه المعاجم ، تفصيل القرآن الحكيم ، لجول لابوم ، وقد قدمت دراسة مستفيضة حول هذا الكتاب · ومنها أيضا مفتاح كنوز السنة ، ساتناوله بدراسة موجزة ، موازنا بينه وبين المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ·

أولا : الكتاب الاول : مفتاح كنوز السنة : ولدراسة هذا المعجم يمكن أن نتحدث عن جانبين :

الجانب الوصفي (١٠) ، فقد وضعه الدكتور أ ، ى فنسنك بالانكليزية ، ونقله الى العربية محمد فؤاد عبد الباقي ، وطبع في مصر (١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م) وهو فهرس لثلاثة عشر كتابا من امهات

كتب الحديث ، هي : مسند الامام احمد ابن حنبل ـ صحيح البخاري ـ صحيح مسلم ـ سنن الدارمي ـ سنن أبي داود ـ سنن الترمذي ـ سنن النسائي ـ سنن ابن ماجه . وهذه الثمانية هي أصول السنة ومصادرها الصحيحة الموثوق بها ، ويندر أن يكون حديث صحيح خارجا عنها ليس موجودا في احدها ، ثم موطأ الامام مالك ، ومسند أبي داود الطيالسي ، وهما من أقدم الكتب المؤلفة في الحديث ، ثم سيرة ابن‌هشام وهي اختصار وتهذيب لاول كتاب ألف في السيرة ، وهو كتاب محمد بن اسحق رئيس اهل المغازي المتوفى ١٥١ هـ ، ثم كتاب المغازي ، للامام محمد بن عمر الواقدي ، المتوفى ٢٠٧ هـ ، ثم أعظم كتاب جمع سيرة النبي وتراجم الصحابة والتابعين ومن أتى بعدهم ، هو كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعيد المتوفى ٢٣٠ هـ ، وهو تلميذ الواقدي وكاتبه . والكتاب الرابع عشر ، المسند المنسوب للامام زيد بن علي المتوفى ١٣٢ هـ ، وهذا الكتاب عمدة في الفقه عند علماء الزيدية والشيعة ، ولو صحت نسبته الى الامام لكان أقدم كتاب موجود من كتب الائمة المتقدمين .

٢ ـ منهاجه : وقد رتب فنسنك ، كتابه على المعاني العلمية والاعلام التاريخية ، وقسم كل معنى وترجمه الى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك ، ثم رتب عناوين الكتاب ، على حروف المعجم (حسب اللفظ وليس حسب الاصل) اللغوي والاشتقاق ، مثلا : كلمة (قاضي) في حرف القاف ثم الالف ، وكلمة (اقضية) في الالف ثم القاف وكلمة القضاء في القاف ثم الضاد .. وهكذا ..) .

٣ ـ اعتماده على طبعات معينة : واعتمد في مسند الطيالسي ، على طبعة حيدر آباد لسنة ١٣٢ هـ ، وفي مسند زيد على طبعة ميلانو سنة ١٩١٩ م ، والاحاديث في الكتابين لها أرقام متتابعة ، فاشار الى أرقامها فيها . واعتمد في مسند احمد على طبعة القاهرة ١٣١٣ هـ ، وفي طبقات ابن سعد على طبعة ليدن ١٩٠٤ ـ ١٩٠٨ ، وفي سيرة ابن هشام على طبعة غونتفن ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ م ، وفي مغازي الواقدي على ترجمتها المطبوعة في برلين ١٨٨٢ م ، واشار الى ارقام الصفحات في كل منها . ولكثرة الطبعات في سائر الكتب ، وهي الكتب الستة ـ والموطأ والدارمي ـ ما عدا صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك ـ الى كتب أو مجموعات للابواب ، وكل كتاب الى الابواب التي ذكرها مؤلفه فيه ، وجعل لكل كتاب رقما متتابعا ، ثم لكل باب من كتاب رقما متتابعا ، واشار الى مواضع الاحاديث بأرقام الكتب والابواب وأما موطأ مالك ، فان فنسنك قسمه الى كتب ، لانه لم يكن مقسما تقسيما واضحا ، ثم وضع أرقاما متتابعة للكتب والاحاديث فقط ، والطبعات المعتمدة :

البخاري طبعة ليدن ١٨٦٢ ـ ١٨٦٨ ، ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ ومسلم طبعة بولاق ١٢٩٢ والنسائي طبعة القاهرة ١٣١٢ ، وابن ماجة طبعة القاهرة ١٣١٣ ، والدارمي طبعة دلهي ١٣٣٧ ، والموطأ طبعة القاهرة ١٢٧٩ ، وقد وضع محمد فؤاد عبد الباقي جداول مفصلة للكتب والابواب والاحاديث في كل كتاب من هذه الثمانية .

٤ ـ والكتاب اخيرا يقع في ٥٤٤ صفحة ، ما عدا الفهرس والمقدمات والرموز ، واستمر في تاليفه عشر سنين بينما مكث مترجمه للعربية من أصل انكليزي أربع سنوات .

● ـ الجانب النقدي والتقويمي :

يمكن ايجاز الكلام عن هذا الجانب بالنقاط التالية :

١ ـ تحديد كتب الحديث النبوي بطبعات خاصة ، معظمها مما نشره المستشرقون واشرفوا على طبعاته ـ من الصعوبات التي يعانيها المراجع ، فمن لم يحصل على هذه الطبعات لم يفد من المعجم بشيء ، علما بانه ليس في معظم الطبعات المعتمدة اية ميزة ، مثلا اعتمد في سيرة ابن هشام والطبقات الكبرى على ارقام الصفحات ، مما يتحقق في اية طبعة أخرى .

٢ ـ اعتمد في مغازي الواقدي على الترجمة المطبوعة في برلين ، مع انه كان بامكانه الاعتماد على الاصل العربي مباشرة ، وربما اضاع المترجم او اخطأ في بعضها .

٣ ـ تقسيم المؤلف بعض كتب السنة، منها مسند الامام احمد ، هو تقسيم اجتهادي ، فقد انشاه بنسبه حسب فهمه ودرايته ، وهذا التقسيم يمكن ان يزاد عليه او ينقص منه ابواب ، اخرى مراعاة للضبط والدقة ، بالاضافة الى ان هناك مواضع تفصيلية لم تذكر في بابها مثلا : الحلق ـ الجمار ، وغيرها لم يذكرها في الحج .

٤ ـ من المؤكد ان هناك كتبا للحديث غير الكتب التي فهرسها ، وهي مشهورة ، مثل مسند الحاكم والطبراني والبيهقي ، فلماذا فهرس كتبا في السيرة النبوية مثلا ، واهمل اصولا باقية في الحديث النبوي ؟ ولماذا اعتمد على سيرة ابن هشام ، وهي مختصرة عن سيرة ابن اسحاق ، وترك الاصل ؟ وما الذي حمله لان يقرن المسند المنسوب للامام زيد بن علي ، مع الكتب الموثوقة عند اهل السنة ؟

٥ ـ لا بد ان تكون صلة المراجع بالحديث النبوي وثيقة جدا ، حتى يجد طلبته من الحديث ، كما انه لا بد له أن يتامل طويلا في معنى الحديث المراجع ، حيث لا يمكن العثور على الحديث ، الا من معنى بارز ، ولاضرب لذلك مثلا بالاحاديث التالية :

حديث : عن أم سلمة رضي الله عنها ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « انما انا بشر وانكم تختصمون الي ، ولعل بعضكم أن يكون الحق بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا ياخذه ، فانما اقطع له قطعة من النار » . اخرجه الستة .

الاستغراب والاستعراب

هذا الحديث لم يعثر عليه في بشرية الرسول ولا في الخصام ، وقد احالها الى المخاصمة ، ولا في القضاء وقد احالها الى الاقضية ، ولا في قاضي ولا في اللحن - الحجة - الحكم ، (وقد احاله الى القاضي) ، مع انه حديث مشهور ·

حديث : دع ما يريبك · فقد ذكره في الحلال والحرام والشبهات ، وليس في الريب او في موضع آخر ·

حديث : أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه · فقد ذكره ايضا في الحلال والحرام والشبهات ، وليس في الرخصة او العزيمة ··· وهكذا ·

٦ - لهذا كله أو غيره ، بادر (فنسنك وغيره) الى عمل آخر في فهرست الحديث النبوي على أساس لفظي ، وصنف معجمه المشهور ، وهو المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ، الذي سنتحدث عنه ، مع موازنته بالمفتاح(١١)

ثانيا : الكتاب الثاني : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ·

أ - الجانب الوصفي :

١ - ابتدأ بتصنيفه ، وشارك في ملازمه الاولى (فنسنك) ، الذي تقدم ذكره اكثر من مرة ، واستمر فيه (منيسنج) تلميذه ، ثم : فان لوون ، ودي هاس (١٢) ، وغيرهم من المستشرقين والمستعربين العالميين ·

٢ - وصدر المجلد الاول منه ١٩٣٦م وصدر الجزء السابع والاخير ١٩٦٩ م ، واقصر مدة لتصنيف الاجزاء وطباعتها سنتان في كل من المجلدين السادس والسابع ، واطول مدة كانت في الجزء الثالث ، حيث استغرق اثنتي عشرة سنة ، واشترك محمد فؤاد عبد الباقي بالاشراف على جزئين منه ، هما الثالث والرابع ·

٣ - والكتاب معجم مفهرس لتسعة كتب من امهات السنة النبوية ، وهي الكتب الستة ، ومسند الدارمي وموطأ مالك ، ومسند احمد بن حنبل ·

٤ - وهو من المساعدات المالية من المجامع العلمية البريطانية والدنمركية والسويدية والهولندية والاونيسكو ، والهيئة الهولندية للبحث العلمي ، والاتحاد الاممي العلمية ، (كما هو مسجل على الصفحة الاولى منه) ·

٥ - هناك عدد من أسماء المستعربين لم تذكر اسماؤهم مع المؤلفين ، منهم :

١ - جوزيف شاخت الالماني : وتولى التدريس في جامعة القاهرة ، وكان عضوا في المجمع العلمي المصري بدمشق ·

٢ - بيلا الفرنسي ، واشتهر بتضلعه بالعربية ، وله تحقيقات كثيرة ، وخاصة في آثار الجاحظ ·

٣ - برنارد لويس الانكليزي ، واشتهر بمؤلفاته التاريخية والمذهبية ، وخاصة الفرق الاسماعيلية ·

٦ - في الصفحات الاولى ثلاث تنبيهات وارشادات للمراجعين :

أولا : أوردنا الفعل ثم الاسم لكل مادة ، بمراعاة الترتيب حسب الاشتقاق وتنوع المعنى طبقا لما هو مقرر في علمي الصرف والنحو ·

ثانيا : أوردنا الحديث واتبعناه بالمكان الذي يوجد فيه لفظه ، والاماكن الاخرى باعتبار المعنى فقط ·

ثالثا : النجم المزدوج يدل على تكرار في الحديث المنقول ، أو في الباب أو في الصفحة ·

٧ - وفي مقدمة الكتاب ، فهرس لصحيح مسلم بشرح النووي طباعة مصر ١٢٨٦ ، حسب الرواة ، مع رقم الحديث ورقم الصفحة ضمن الكتاب الواحد المرقم ايضا · وفي مسند احمد

ابن حنبل اعتمد على رقم الصفحات ، وفي الموطأ على رقم الحديث ، وما عدا ذلك فعلى الكتب والابواب صراحة، وفيه اختصار عن عناوين في الموطأ ·
مثلا : باب وقوت الصلاة ·

ما يتقى من دعوة المظلوم ، دعوة المظلوم ·

العمل في السلام ، سلام ·

ب ـ الجانب النقدي والتقويمي :

١ ـ اقتصر على تسع من امهات كتب السنة وترك كتب السيرة ومسند الامام زيد بن علي ، وهذه الكتب التسع هي نفسها التي فهرس لها (فنسنك) في كتابه السابق : مفتاح كنوز السنة ·

٢ ـ اتبع هنا الاسلوب اللفظي طبقا لطريقة النحاة ، وقدم له بارشادات نافعة للمراجع · اما كتاب (مفتاح كنوز السنة) ، فقد اتبع فيه الاسلوب المعنوي ، أو الفقهي ، ومن الواضح أن الاسلوب اللفظي أسهل في البحث والرجوع ، وأبعد عن أغراض الانحراف والتشويه ·

٣ ـ لم يحدد طبعات خاصة لكتب السنة ، الا فيما يتعلق بصحيح مسلم ، بل اقتصر على ذكر الكتاب والباب صراحة ، ما لم نلاحظه في كتاب : المفتاح ·

٤ ـ هذا المعجم عمل متقن وأمين اذ لا مجال فيه للدس والتشكيك ـ وسهل المراجعة ومنظم ، وقد توفرت له الامكانات المالية والبشرية ، مما جعلته معجما عالميا قريبا من الكمال ·

٥ ـ وهذا المعجم وغيره حافز للمسلمين على مستوياتهم المتعددة ، أن يبذلوا وسعهم في خدمة الحديث النبوي ـ وما أرحب مجال خدماته ـ ويتابعوا جهود أئمتنا المتقدمين المخلصين بوسائل جديدة ونافعة في العطاء المادي والمعنوى مهما غلا العطاء ·

١ ـ من مقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة ·
٢ ـ المصدر السابق ·
٣ ـ من كتاب المستشرقون للعقيقي ·
٤ ـ سياتي الحديث عنها بالتفصيل ·
٥ ـ من كتاب الاستعراب في الاتحاد السوفيتي، ومن العجيب أن يستعمل هؤلاء (اللغة بدلا من اللهجة) ·
٦ ـ المستشرقون للعقيقي ·
٧ ـ مقتبس من كتاب المستشرقون للعقيقي·
٨ ـ مقدمة كتاب : مفتاح كنوز السنة لفنسنك·
٩ ـ لهذا المستشرق كتاب بعنوان : القرآن هو الهدى والفرقان ، ولكنني اتحفظ عن الحديث عنه ·
١٠ ـ من مقدمة للمعجم : احمد محمود شاكر
١١ ـ كان الشيخ ناصر الالباني قد بدا استدراكا عليه ولكنه لم يتمه لوجود اشياء كثيرة « كما قال » ، تحتاج الى استدراك ·
١٢ ـ المستشرقون للعقيقي ·

« أهل القران »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ان لله أهلين من الناس · قالوا من هم يا رسول الله ؟ قال أهل القران هم أهله وخاصته » ·

الأب لامانس
ومؤامراته المزعومة

بقلم الاستاذ :
محمـد فــرج

وفي هذا الكتاب تكلم لا مانس عـن مؤامرة حاك خيوطها ـ على حـد زعمة ثلاثة من أوائل رجال الاسلام ، وهـم ابو بكر وعمر وابو عبيدة .. وهي دون شك مؤامرة من نسج خياله ، وضع هـو احداثها ورتب اتفاقها دون سند تاريخي، ونحن بدورنا نتناول هذه المؤامرة في هذا المقال بالعرض والتحليل ، لنؤكد أنهـا مؤامرة مزعومة ، لم يقم لا مانس عليهـا الدليل وانما اراد بنشرها ان يسيء الى رجالات الاسلام ، وان يضعف من مكانتهم وان يشكك في ايمانهم ، وهو بذلك انما يبذل محاولة فاشلة ويسعى سعيا خائبـا لهدم بناء الاسلام الذي قام على شهادتي ان لا اله الا الله وان محمد رسـول الله ، ويوم يحيك اصحـاب الرسول الاوائـل المؤامرات بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا هو سقوط الاسلام ـ كما يريد ـ وفي ذلك القضاء عليه .

• ■ •

ذكر لامانس ان ابابكر وعمر وابا عبيدة اتفقوا فيما بينهم اتفاقا سريا ـ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يتولى الثلاثة امر المسلمين بعد وفاة الرسول ، فيعملون معا على ان يتولى ابوبكر الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ، ثم يعد الامر من بعده لعمر فيتولى الخلافة من بعده ، ويقوم عمر خلال فترة حكمه بالاعداد لتولى ابي عبيدة ، فيمهد له الطريق ويكسب له الاصدقاء ويدعم موقفه بين الصحابة، حتى اذا مات تولى ابو عبيدة ولاية المسلمين ..

ويقول لا منس شارحا المؤامرة « ان ابا بكر ادهى اصحاب محمد واكثرهم لباقة واصدقهم نظرا ، وانه كان يمني نفسه منذ زمن بعيد بعرش محمد ؟؟ .. وخلافته ، وانه كان متفقا في ذلك مع عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح ، وان الاتفاق بين الثلاثة كان يدور حول تقاسمهم الحكم في الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يكون ابوبكر اول الخلفاء لمقامه عند رسول الله واطمئنان المسلمين اليه والى اخلاصه وصدقه ، ثم كان عليه بعد ذلك وحين يصل الى عرش الخلافة ان يوطد الامر بدوره لعمر بن الخطاب ، الذي كان لشدته يخشى الكثيرون من المسلمين ولايته ويفضلون غيره عليه ، حتى اذا ذهب عمر قام ابو عبيدة مكانه ..

وذكر لا منس في حديثه عن المؤامرة ان ابابكرحين تولى امر المسلمين راح يوطد الامر لزميلية من بعده ، فعين عمر على القضاء وولى ابا عبيدة على الفيء ، واخذ يستشيرهما في امور المسلمين ويدعم مكانتهما بين الصحابة ، فلما حانت وفاته جمع الصحابة وعرض عليهم ان يتولى عمر من بعده ، واقنعهم بذلك حتى تأكد من مبايعتهم له ، بعد ان جعلهم كما يقول لامنس « امام الامر الواقع والشيء المنظور » .

وذكر لا منس ان مشروع المؤامرة اخفق في عهد عمر اذ توفي ابو عبيدة في خلافته، مما دعا عمر الى اختيار عدد من المسلمين يختار احدهم للخلافة من بعده ، ويقول لا منس : انه بعد وفاة عمر « رجع المسلمون الى الشورى التي حرموا منها في عهد ابي بكر وعمر » .

واقحم لا منس بعض النساء في هذه المؤامرة ، فقد اشرك عائشة زوج الرسول وبنت ابي بكر فيها ، ووصفها بانها امرأة ذات ذكاء ودراية ونبوغ سياسي ، واشرك ايضا حفصة زوج الرسول وبنت عمر بن الخطاب وقال « ان عائشة وحفصة حملتا رسول الله على ان يعهد لابي بكر بالصلاة بالمسلمين لما اشتد عليه المرض » .

ويزيد لا منس فيقول : « ان رسول الله كان يشعر احيانا بمؤامرة الزوجتين ، فاذا ما دعيا ابابكر وعمر ليكونا عند رسول الله ، دعا الرسول عثمان ايضا » .

هذه هي المؤامرة الوهمية التي ابتدعها الاب لامنس وجعلها موضوع كتابه « الثلاثة » .

وكان من الواجب عليه وهو رجل دين درس الاسلام ، وبحث فيه واطلع على اكثر ما كتب من مصادر ومراجع اسلامية .. كان عليه ان يتاكد من وجود هذه المؤامرة وان يؤكد وجودها بالاسانيد والبراهين ، وان يذكر المراجع التي استند اليها في روايته ، التي لم يرد عنها خبر في كتاب او مرجع ، او مصدر تناول التاريخ الاسلامي الاول رغم كثرتها ودقتها وامانة الراوين فيها .

رجال المؤامرة :

• ■ •

ليس من المعقول او المقبول ان تتم مؤامرة كهذه بين ثلاثة كانوا من قادة

الأب لامانس

الاسلام .. فأبوبكر كان اول رجل يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته ويقف الى جانبه منذ اللحظات الاولى لرسالته ، يشد من أزره ويعاونه بماله ونفسه وبكل ما يملك ، ويكون قوة له وقوة للمسلمين يواجه تحديات قريش من قوة وعنف ، ويتحمل الاذى والاهانة ويشترى العبيد المسلمين بما له ثم يطلقهم احرارا ، ويتحمل مع الرسول صلى الله عليه وسلم المشاق ويشاركه في هجرته ويكون « ثاني اثنين اذهما في الغار » ويحارب معه ويحزن لما يصيبه ويفرح لنصره ويعيش باحساساته .

ثم عمر القوى المؤمن الشجاع ، الذي حارب محمدا قبل اسلامه وكاد يقتل احته لانها تقرأ القرآن ، فلما اسلم جاهر باسلامه واعلنه على الجميع ، لم يخفه ولم يجعله سرا وانطلق مع اتباع محمد صلى الله عليه وسلم يذودون عن الاسلام ، ويدفعون عنه شر قريش ، ثم حمل سيفه وقاتل في سبيل الله وخاض المعارك، وكان مستشارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش حياته كلها امينا على دينه وفيا لرسوله دعامة قوية للاسلام .

وابو عبيدة القوى الامين الذي وعده الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، وكان في طليعة من اعتنق الاسلام ، وسارع الى نصرة الرسول ، وشارك في غزواته ، وكان معلم الاسلام في نجران ، ترك بلده الى الحبشة مهاجرا ، قال عنه الرسول الكريم « لكل امة امين وامين امتي ابو عبيدة بن الجراح » وقال عنه ابن قتيبة « ابوعبيدة من عظماء اصحاب رسول الله » .

هؤلاء الثلاثة ابطال المؤامرة المزعومة في رأس الأب لامنس ـ هم اوائل المسلمين واعظمهم ، جمعوا الى طهارة القلب عفة اللسان ونقاوة اليد وقوة الايمان ، وشدة الاخلاص ، كان الواحد منهم يتمنى ان يفتدى رسوله ودينه بحياته وباولاده وبماله.. تاريخهم نقي نظيف، واخلاصهم للرسول وللدين هو مثل للاخلاص البشرى في جميع مراحل البشرية وايمانهم فاق كل حدود للايمان .. ليس من الغريب اذن ان يكون هؤلاء الثلاثة ابعد الناس عن مؤامرة يزعمها الاب لامس ، وعن اتفاق سرى يقول به ، وكلهم كانوا زاهدين في الدنيا يرجون الاخرة ايمانا منهم بان ما عند الله خير وابقى .

عندما اختار الله رسوله الى جواره ، كان ابوبكر متغيبا عن المدينة في داره بالسنح ـ من ضواحي المدينة ـ وكان عمر بالمدينة واذهله النبأ ، فكذب من حاول اقناعه بالحقيقة المؤلمة ، ووقف في المسلمين يقول « ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات ، والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى فيقطعن ايدى رجال وارجلهم زعموا انه مات » .

ولما عاد ابوبكر قصد الى بيت عائشة ، فوجد الرسول صلى الله عليه وسلم مسجى في ناحية من البيت فكشف عن وجهه وجعل يقبله ويقول « ما اطيبك حيا وما اطيبك ميتا » وخرج الى الناس وقال فيهم خطيبا يؤكد لهم موت الرسول « ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » ثم تلا قوله تعالى « وما محمد الا رسول قد

خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » ١٤٤ : سورة آل عمران .

هنا فقط ادرك عمر حقيقة الامر ، وادرك ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات ، فلم تحمله رجلاه من وقع الصدمة فخر الى الارض جزعا هلعا ، وتخلت عنه في هذا الموقف شدته وغلظته ، وفي هذا الموقف يقول ابو هريرة : « قال عمر . فوالله ما هو الا ان سمعت ابابكر تلاها فعقرت حتى وقعت الى الارض ما تحملني رجلاى ، وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات » .

وموقف عمر هنا فيه رد بالغ على ادعاء الاب لامنس ، وينتقض نقضا صريحا ما زعمه من اشتراكه في المؤامرة ، لان عمر لم يكن ليتصور ـ في حياة الرسول ـ ان الموت جائز عليه جوازه على سائر البشر ، ودليل ذلك انه لم يصدق نبأ الوفاة بل هدد بالقتل كل من يقول به .. وهذا الشك من جانب عمر يبعد عنه فكرة التآمر على نظام الحكم بعد الوفاة ، لان الوفاة ذاتها كانت امرا مستعبدا في مخيلته وتفكيره .

عندما تحقق العرب مهاجرين وانصارا من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بدا الانصار يفكرون في امر مدينتهم، هل تبقى في ايديهم وهل يتولون هم الحكم فيها ؟ أم يترك امرها وحكمها للمهاجرين ؟؟ وكان من الطبيعي ان يكون الاتجاه عندهم ان تبقى المدينة لهم ، وان يظل امر العرب في ايديهم .

ومنذ اللحظات الاولى التي اعقبت وفاة الرسول ، اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة يتزعمهم سعد بن عبادة ، وتداولوا في الامر فقال لهم سعد « ان لكم لسابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ، ان محمدا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الانداد والاوثان ، فما آمن به من قومه الا رجال قليل ، وما كانوا يقدرون على ان يمنعوا رسول الله ولا ان يعزوا دينه ، ولا ان يدفعوا عن انفسهم حينما عملوا به ، فلما اراد لكم ربكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة ، وحصكم بالنعمة فرزقكم الله الايمان به وبرسوله والمنع له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه ، فكنتم اشد الناس على عدوه فيكم واثقله على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها ، واعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا ، وحتى اثخن الله عز وجل لرسوله بكم الارض ، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير العين ، فاستبدوا بهذا الامر دون الناس فانه لكم دون الناس » .

واقر الانصار راى سعد فقالوا « وفقت في الراى واصبت في القول ، ولن نعدو ما رأيت نوليك هذا الامر فانك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضا » الا ان البعض ـ ولعلهم من الاوس ـ اختلفوا معهم في الراى ، فقد تساءل احدهم « فان ابت مهاجرة قريش » فقالوا : « نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الاولون ونحن عشيرته واولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الامر بعده؟ » فاجابه البعض » فانا نقول اذن منا امير ومنكم امير ولن نرضى بدون هذا الامر ابدا » وعلق سعد على هذا النقاش بقوله « هذا اول الوهن » .

الاستاذ/محمود محمد ابراهيم السيد

■ كل ما في الكون وجميع مظاهر هذه الحياة وجوانبها وكلياتها وجزئياتها كل ذلك شاهد بوجود الله تعالى . ناطق بعظمته وقدرته . متحدث بارادته وحكمته ٠

وقد انزل الله الكتب السماوية على رسله وانبيائه عليهم الصلاة والسلام . وكلها تدعو الى توحيد الله وعدم عبادة غيره . فامن من آمن . وكفر من كفر . والكتب السماوية ووصايا الانبياء والرسل . واحاديثهم فيها الدليل النقلي على وجود الله تعالى . وسائر ما جاءوا به من العقائد والقصص والتشريع ٠

والى جانب الدليل النقلي، يوجد العديد من الادلة العقلية على وجود الاله الخالق لهذا الكون والمنظم لهذه الحياة ، نسوق بعضها على سبيل المثال في هذا المقال ، عسى ان يهدى الله بها قلوب الحائرين ، ولعلها تكون حجة على الملحدين المكابرين والزنادقة المفسدين الذين يريدون الحياة فوضى ويبغونها عوجا ٠

وهذه هي الادلة العقلية على وجود الله تعالى مشفوعة بما يؤيدها من ايات القرآن الكريـــم :

■ الدليل الاول :

ليس من الجائز عقلا ان يوجد شيء عن طريق الصدفة . فكل شيء موجود لابد له من موجد . والصنعة تدل على الصانــــع ، والاثر ينبىء عن المؤثر . واذا كنـــا نستبعد ـ بل لا نتصور ـ ان يوجد قلم او ساعة او مذياع او آلة تصوير مثـلا ، او اى نوع من انواع الاجهزة والآلات ، من غير ان يوجد الصانع الذي صنعهـــا والايدى التي عملتها والعقل المفكر الذي صمم تركيبها ورتب اجزاءها . اذا كنـا لاتصور ذلك في هذه الاجهــــزة والآلات الصغيرة التي هي في متناول ايدينا . فكيف نقول عن الارض وما فيها وما عليها ، وعن السموات والكواكب والاقمار والنجـــوم والمجرات ، كيف نقول عن هذا الكــون الهائل وهذه الموجودات الضخمة العظيمة : ان ذلك وليد الصدفة وليس بفعل فاعل وليس نتيجة عقل مدبر ؟ .. انت ايها الانسان قد صنعت الآلات والأجهـــزة ، وصممت وسائل النقـل وبنيت الــدور والقصور والعمائر فمن الذي اوجدك انت وآباءك واجدادك؟ ومن الذي خلق الكائنات التي هي اضخم واكبر منك ، والتي لا يد لك في وجودها ولا اثر لعقلك وفكرك في تركيبها ؟ اليس وجود هذه المخلوقات دليلا على وجود خالقهــا ؟ .

واليك في هذا الشأن قول الله تعالى ردا على المشركــين :

« ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض؟ بل لايوقنون» الطور : ٣٥ـ٣٦ .

■ الدليل الثاني :

●●

القول بان الطبيعة هي التي اوجدت الكائنات قول باطل من عدة اوجه

■ الوجه الاول :

ان الطبيعة بالنسبة للكائنات لاتخـرج عن نطاق هذه الاحتمالات الثلاثة ، وهي : ان تكون جزءا من الكائنات ، او ان تكون الكائنات جزءا منها ، او ان تكون هـــي عين الكائنات ، فعلى الزعم بانها هـــي الموجدة للكائنات ، لو افترضنا انها جزء من الكائنات لترتب على ذلك ان يكـون الجزء من الكائنات قد اوجد كل الكائنات. وهذا مستحيل ، لان الجزء من الشــــيء لايوجد الشيء ، وعلى فرض ان الكائنات جزء من الطبيعة فمن زعم ان الطبيعة هي التي اوجدتها فقد حكم بان الطبيعة ـ ككل ـ قد اوجدت بعضها وهو الكائنات ، وهذا ايضا مستحيل ، لان الكل لا يوجد الجزء ، واذا قلنا بان الطبيعة هي الكائنات وليست جزءا منها ولا كلا لها ، رفضنـــا ايضا القول بانها هي الخالقة للكائنات ، لان الشيء لا يوجد نفســه .

■ الوجــه الثاني :

ان الطبيعة ـ وجدت باشكال مختلفـة واوضاع متشعبة الى فروع مختلفة وصور شتى . مثل الحيوان والنبات والطاقـــة والكهرباء والمغناطيسية وطبقات الصخـر والالكترونات وما الى ذلك ، فهــي اذا مجزأة ومنقسمة ، فلا توصف بالالوهية ، لان الاله لا بد ان يكون ذاتا واحــدة لامركبا من عدة ذوات او مكونا منمجموعة اشياء .

الله .. والكون

ان الانسان استطاع ـ بعمله وفكره ـ ان يتغلب على مظاهر الطبيعة المختلفة واشكالها المتعددة وان يسخرها لمنفعته ويطوعها لارادته، ويكشف اسرارها ويزيل الستار عن غوامضها ، واخترع وابتكر وارتاد الفضاء ووصل الى الكواكب ، وغاص في اعماق البحار والمحيطات ومازال وسيظل يبذل الجهود تلو الجهود في هذا المجال ، مادامت الحياة ومادامت السموات والارض ، فالطبيعة مسخرة للانسان وخادمة له ، وايضا فهي لا قدرة لها ولا عقل ولا تفكير ، فهي مخلوقة لاخالقة ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « افمن يخلق كمن لا يخلق ؟ افلا تذكرون » النحل : ١٧ . ويقول ايضا مبينا ان الكون كله في خدمة الانسان : « وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعا منه . ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» الجاثية: ١٣.

هذا الكون موجود على نسق بديع ونظام دقيق : عالم الارض بما فيها من طبقات ومياه ومعادن ، وما عليها من الانسان والحيوانات والدواب والطيور والنبات والجبال ، والانهار والبحار والمحيطات وما في جوفها من اسماك وحيوانات . وعالم السموات بما فيها من الكواكب والاقمار والنجوم والشهب والمجرات ، وكل من هذه العوالم يسير بحساب سوى لا يتخلف . ولنضرب بعض الامثلة على ذلك . فدورة الارض اليومية حول نفسها والتي ينتج عنها الليل والنهار، ودورتها السنوية حول الشمس التي تتسبب عنها الفصول الاربعة، كل منهما تسير بنظام ثابت لا يتغير ولا يتوقف . ونجد الدقة والنظام ايضا في جسم الانسان بما فيه من الاعضاء ، يحويه من الاجهزة الدقيقة : كالجهـ الهضمي والجهاز الدوري والجهـ التنفسي والجهاز العصبي ، وما ذلك مما ركب في جسم الانسان وك عضو وكل جهاز يؤدي وظيفته ويقـ بمهمته ، ونجد اية ذلك في القرآن الكر في قول الله تعالى : « وفي الارض آيـ للموقنين ، وفي انفسكم افلا تبصرون » الذاريات : ٢٠ـ٢١ . وفي جماعات النـ والنمل والحيوانات والزواحف والطيور وتنسيق العمل والوظائف والعلاقات بينـ وفي ميولها وطبائعها وغرائزها ، ولغـ التخاطب واساليب التفاهم في كل جما منها ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

« وما من دابة في الارض ولا طائر يـ بجناحيه الا امم امثالكم . ما فرطنا الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون » الانعام : ٣٨ .

وفي الظواهر الكونية ايضا نجد ايـ التنسيق والتنظيم . ومن الامثلة على ذا المسافة بين الشمس والارض والتي تقد بحوالي ١٥٠ مليون كيلومتر ، فهـ المسافة كافية لان تنشر الشمس الدفء الارض وتبعث فيها الحياة ، ولو كانـ هذه المسافة ضعف ما هي عليه لتجمد شيء على وجه الارض ، ولو كانت نصـ ما هي عليه لانصهر كل شيء على وجـ الارض ، وظاهرة المطر ايضا ، فانه ينز على الارض بالقدر الكافي لارواء الانسا والحيوان والنبات ، ولو انعدمت الامطـ لمات كل كائن حي على وجه الارض ، و نقصت كميات المطر لحل باهل الارض الجوع والظمأ ، ولو تضاعفت الامطـ لغرقت الارض بما عليها ومن عليها وصدق الله العظيم اذ يقول « وانزلنا مـ السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض ، وا على ذهاب به لقادرون » المؤمنون : ١٨

ولو لا دوران الارض حول نفسها لكانت الحياة في احد نصفيها ليـ دائما وفي نصفها الاخر نهـا

مستمرا ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « قل : أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون ؟ قل : أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟ .. » القصص : ٧١-٧٢ .

هذه الظواهر وغيرها مما لا يحصى ولا يعد ، كلها ادلة ناطقة بوجود الاله المنسق لهذا الكون والمنظم لهذه الحياة ، اذيستحيل وجود النظام بدون منظم وكل شيء موجود على نسق بديع لا بد له من عقل او أوجده وفكر ابدعه ونسقه ، قال الله تعالى: « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » البقرة ١٦٥ .

توجد عند الانسان نزعتان نزعة الخير ونزعة الشر فنزعة الشر هي التي تؤدي به الى مهاوى الجرائم ، وتوقعه في فعل المنكرات . كالقتل والزنا والسرقة والربا والاغتصاب وغيرها . وترجع الرذائل في معظمها الى الصراع على المال والجنس ، والتكالب على المنافع . فنزعة الشر تقوم اساسا على حب المادة ، اما نزعة الخير التي تسمو بالانسان عن تقديس المادة وتبعده عن الرذائل ، وتجعله يتحلى بالفضائل كالجود والمرؤة والاخلاص والوفاء والصدق والامانة والايثار . فنزعة الخير اذا بعيدة عن المادة ، وهي عبارة عن احساس الانسان بوازع يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، ويحبب اليه الفضيلة ويبغض اليه الرذيلة . وهذا الوازع هو ما يعبر عنه في العرف الحديث بالضمير . واذا كان تقديس المادة والتكالب عليها هو الباعث على ارتكاب المنكرات . والمادة هي القوة الموجهة للشر .

فلا بد ايضا لنزعة الخير من قوة موجهة لها خارجة عن نطاق المادة ، وهي التي توجد الميل الى الخير (الوازع او الضمير) عند الانسان . ولا بد ان تكون هذه القوة هي المسيطرة على العالم والخالقة للكون ، وهذا يدل على وجود الله مصدر الخير كله . بدليل ان الداعين اليه يدعون الى الحق والى الصراط المستقيم . وعلى رأسهم الانبياء والرسل الذين يبلغون رسالات الله الى البشر . واذا كان الشيطان يقود انصار الشر واعوان الفساد . فالله هو موجه الداعين الى الخير والاصلاح . وهو الذي امر الناس بالمعروف ونهاهم عن المنكر على السنة الانبياء والمرسلين والمصلحين : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي

القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي· يعظكم لعلكم تذكرون » النحل : ٩٠ .

الدليل الخامس :

يضيع كثير من الحقوق في هذه الحياة ، وكثيرا ما يظهر الباطل ويختفي الحق ، ويسود اهل الشر ويضطهد الدعاة الى الخير، ونرى الابرياء توجه اليهم الاتهامات الباطلة ويعاقبون ظلما وزورا ، على جرائم لم يرتكبوها ، وعلى ذنوب لم يقترفوها ، بل

يعاقبون على حبهم للخير ودعوتهم الى العدل والاصلاح ، كما نرى كثيرا من الطغاة الظالمين وسفاكي الدماء ومغتصبي الحقوق والمعتدين على الاعراض والمنتهكين للحرمات، نرى كثيرا من اولئك المفسدين المتجبرين يرحلون عن هذه الحياة دون ان تمتد اليهم يد العدالة لتقتص منهم، وقبل ان يحاكمهم المصلحون وينصفوا المظلومين منهم ، وكثيرا ما خطىء القضاة في احكامهم ، او يقضون بين الناس بقوانين جائرة ، فهل وجدت هذه الحياة لتقوم على الظلم وتضييع فيها الحقوق ، وينتصر فيها الباطل على الحق ، ويسود فيها الشر على الخير ، من غير ان تكون هناك قوة كبرى توجهها وتسن لها الشريعة المثلى والقوانين العادلة ؟ .. ان البشر لا يخطئون في اصدار الاحكام فقط ، بل يخطئون في وضع القوانين ذاتها، ذلك ان البشر طاقتهم محدودة ، وعقولهم قاصرة عن فهم حقيقة النفس البشرية ، والتوصل الى اقوم الطرق لاصلاح المجتمعات ، ووضع القانون الموحد الذي يحقق العدالة التامة ، في الجماعات الانسانية كلها على اختلاف طبقاتها ، واجناسها وعصورها وبيئاتها ، وايضا فالنفس البشرية يغلب عليها الهوى وتتحكم فيها العواطف والميول الشخصية والانفعالات الذاتية ، والتعصب لبعض الفئات

والطبقات والجماعات والمذاهب ، فلا تصلح النفس البشرية لسن الشرائع ووضع القوانين التي تصلح شئون العالم ، واذا كان الانسان ــ وهو سيد الكائنات على هذه الارض ــ عاجزا عن اصلاح المجتمعات وغير مؤهل لان يكون هو مصدر التشريع، فما هو مصدره ؟ ومن هو صاحب هذه المهمة التي عجز عنها الانسان ؟ انه الله خالق الكون وخالق الانسان والذي لايغلبه شيء ولاتخفى عليه خافية ، وهو العليم باحوال الناس والخبير بما يقوم امورهم ويصلح شئونهم ، وهو المنزه عن الهوى والعواطف والانفعالات وغير ذلك مما يتصف به البشر من النقائص ، وهو الذي شرع لنا القوانين السماوية في كتبه المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام ، لتكون هي الحكم الذي نرجع اليه في كل مايعرض لنا من شئون حياتنا ، وما يكون موضع خلاف بيننا ، قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم · فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر · ذلك خير واحسن تأويلا » النساء : ٥٩ .

ومن ناحية اخرى ، اذا كان القضاة في الدنيا يخطئون في اصدار الاحكام ــ سواء كان ذلك نتيجة القوانين الجائرة ، او عدم وضوح القضايا ، او لهوى في نفوسهم ــ فلا بد ان يكون هناك قاض اعظم ، وحاكم اكبر لهذا العالم فوق مستوى البشر ، منزه عن الهوى ويستحيل عليه الخطأ ولا يخفى عليه شيء ، يجمع الناس في ساحة القضاء العادل بعد انتهاء هذه الحياة ، في حياة اخرى جديدة أبدية دائمة ، ويحق الحق ويبطل الباطل ، ويقيم العدل ويمحو الظلم ، ويقتص من الطغاة الظالمين للأبرياء المظلومين ، وهذا القاضي والحاكم ، هو الله الذي خلق هذا العالم واوجد هذا الوجود · وقد تحدث القرآن الكريم عن محكمة العدل الالهية ، التي تقام يوم القيامة ، وينتصر فيها الحق على الباطل ، والنور على الظلام ، في قول الله تعالى :

« وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون » الزمر . ٦٩ـ٧٠ .

الدليل السادس :

قد اهتدت جماعات بشرية عبر التاريخ وعلى مر العصور ، الى وجود الاله الخالق لهذا الكون رغم اشراكهم به ، وهذا يدل على حتمية وجود الله عند النفس البشرية، وانها بفطرتها التي أودعت فيها تميل الى الايمان بالقوة الخارجة عن المادة ، الموجدة للعالم ، الخالقة للطبيعة ، وهذا الشعور الكامن في النفوس ، وهذا الميل في القلوب الى الاعتراف بوجود الله ، لابد ان يكون ايحاء من مصدر خارج عن الطبيعة ، والهاما روحيا متحررا من قيود المادة ، اوحت به الى النفوس ، القوة المسيطرة على المادة وعلى العالم كله ، وهي الذات الالهية ، ولو ان هذه الجماعات البشرية تركت انفسها على طبيعتها ، ولم تترك الشيطان يتردى بها الى هاوية الشرك، ولم تنحدر بها الى حضيض الوثنية ، لاهتدت الى توحيد الله ، ومن امثله هذه الجماعات قدماء المصريين والعرب في الجاهلية ، فبالرغم من انهم لم يكونوا اهل كتاب ، الا انهم آمنوا بالمصدر الاول لهذا الكون ، والاله الخالق لهذا الوجود ، وان كانوا قد عبدوا معه آلهة اخرى ، على ان عقيدة التوحيد قد ظهرت عند قدماء المصريين في عهد الملك (اخناتون) ، كما ظهرت في فلسفة افلاطون (١) فكرة وجود الاله الخالق للعالم . ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى توحيد الله تعالى ، وكان بعض المشركين لا يزالون على جاهليتم ومصرين على شركهم ، واجههم الله عز وجل بما يقيم الحجة عليهم ، وسجل عليهم خطأهم في عبادة غيره مع اعترافهم بانه هو وحده الخالق لهم وللعالم كله ، والمسير لجميع الامور ، وذلك في قوله تعالى :

« ولئن سألتهم : من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر؟ ليقولن: الله ، فاني يؤفكون ؟ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له . ان الله بكل شيء عليم . ولئن سألتهم . من نزل من السماء ماء فاحيا به من بعد موتها ؟ ليقولن . الله . قل . الحمد لله . بل اكثرهم لا يعقلون » العنكبوت . ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣ . وقوله « ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ، فاني يؤفكون ؟ » الزخرف ٨٧ .

اما الذين ينكرون وجود الله تعالى فهم جاحدون مكابرون يكتمون الحق وهم يعلمون .

■ ■

وبعد ثبوت هذه الادلة على وجود الله تعالى ، قد يبدو لبعض الناس ان يوجه اسئلة في هذا الشأن ، ونحن نذكر هذه الأسئلة المتوقعة ، ونذكر معها الرد عليها :

السؤال الاول :

اذا قلنا : ان كل موجود لا بد له من موجد فمن اوجد الله ؟ .

الجواب :

هذه القضية المنطقية خاصة بالموجودات التي تحتاج الى من يوجدها ، لانها متصفة بالضعف ، وليست تامة القدرة او لاقدرة لها ، وان وجدت فيها القوة فانما تستمد قوتها من خالقها ومصدر وجودها ، سواء في ذلك الانسان وغيره من الكائنات الاخرى، اما الله تعالى فهو الا له الخالق لهذا الكون والمسيطر على هذا العالم ، وهو واهب القوة ومانح القدرة وموجد الحياة في كل كائن حي ، وحياته واجبة لذاته ، .

وقوته ذاتية كاملة لايشوبها ضعف، وقدرته غير محدودة ، فلا يحتاج الى موجد يمنحه الحياة ، ولا الى مصدر يستمد منه القوة والقدرة ، ولا يحتاج الى ما يحفظ حياته، ولا كفء له ولا نظير ، وهذا هو شأن الا له . فلا يتصف بالالوهية من يتصف بالضعف والعجز ومن يحتاج الى من يوجده.

ونستطيع ان نقول ايضا لمن يسأل عمن أوجد الله : ما هو الرقم الذي قبل رقم (١) ؟ . وستكون الاجابة قطعا بالنفي ، فرقم (١) هو الرقم الاول فلا رقم قبله ، كذلك فوجود الله تعالى وجود الاول الذي لاموجود قبله ولا موجد له . قال تعالى : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » ١١ الشوري . ، « قل . هو الله احد. الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » الاخلاص .

السؤال الثاني :

هل للزمان او المكان تعلق بوجود الله ؟

الجواب :

الله هو الذي خلق جميع الموجودات بما فيها الزمان والمكان ، والمخلوق لا يحيط بالخالق ولا يحده ، فالله لا يحده زمان ، ولا يحيط به مكان . فوجوده لا بداية له ولا نهاية ، وليس حالا بمكان ولا بجهة ، ولنضرب مثلا على ذلك من واقع حياتنا . فهل يصح ان نسال عن مكان الصانع داخل الالة التي صنعها او الجهاز الذي قام بتركيبه ؟ او نحتم بان الذي بنى بيتا يكون مقره بداخل هذا البيت ؟ ، فاذا لم يصح هذا . فمن باب اولى لا يصح السؤال عن الزمان والمكان بالنسبة لله تعالى .

ونجد في آيات القرآن الكريم ما يدل على تنزه الله عن الزمان والمكان ، مثال ذلك قوله تعالى : « وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » البقرة . ٢٥٥ ، « هو الاول والاخر والظاهر والباطن . وهو بكل شيء عليم » .

السؤال الثالث :

لماذا لا نرى الله ؟ .

الجواب :

هذه الدنيا عالم مادى مقيد بالقوانين الطبيعية . وحياتنا في هذا العالم مشوبة بالنقائص . مليئة بالسلبيات . وكثيرا ما تحدث منا الذنوب وترتكب المعاصي وتجتنب الطاعات . ورؤية الله تعالى مكرمة عظيمة . وهي اسمى امنية . ولا تليق بها هذه الحالة التي نحن عليها في الدنيا ، ولا تنبغي هذه الرؤية الاللمؤمنين به ، الطائعين له . بعد انتقالهم من هذا العالم الخاضع للماديات المشوب بالنقائص الى عالم الطهر والنقاء ، حيث يحظون بالتكريم والنعيم المقيم بجوار ربهم ، ولكن هذه الرؤية ليست كرؤية بعضنا بعضا ، او كرؤيتنا للاشياء التي تقع تحت حواسنا، وليس معناها الاحاطة بأوصافه تعالى ، لقوله عز وجل : « لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير » الانعام : ١٠٣ .

بل هي رؤية بكيفية اخرى لايعلمها الا الله ، وقد ذكرها القرآن الكريم بما يقربها الى الافهام في قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة » القيامة ٢٢-٢٣ . كما قال عن حرمان الكفار من هذه الرؤية : « كلا . انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » ١٥ : المطففين .

اما ادراك الذات الالهية على حقيقتها فهذا مما ليس في مقدور العقل البشر القاصر المحدود . قال تعالى : « يعلم مابين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون علما » طه : ١١٠ .

وبعد فهذا قليل من كثير من الادلة العقلية على وجود الله تعالى وأسأله عز وجل ان يجعل كتابتها خالصة لوجهه الكريم • وان ينفع بها الامة الاسلامية والعالم كله · انه سميع مجيب ·

(١) الا له عنر افلاطون وارسطو اله خاضع من صنع العقل الفسفي ، وهو بهذا اله عاجز فرض وجود غيره . والله الحق ، خالق قاهر قادر « هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم » سورة الحشر المجلة •

أصحاب الفيل

بعث السلطان محمود الغزنوي ، كتابا الى الخليفه ، القادر بالله يتهدده بخراب بغداد ، وأن يحمل تراب بغداد على الفيله الى غزنة . فبعث اليه برساله فيها كلمه ـ الم ـ وليس سوى ذلك ، فتحير السلطان وعلماوه ، في حل الرمز.وجمعوا كل سورد في القران في أولها ـ أ ل م ـ فلم يهتدوا الى الجواب المناسب ·

وكان في جملة كتاب السلطان ، ساب لم يعبأ به · فاستأذن بحل الرمز · فأذن له فقال : الم تهدده بالفيلة قال : نعم · قال : فكتب اليك « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » · فاستحسن السلطان جوابه وقربه ·

الطلبة المسلمون

رسالة باريس من :
محمد حسن البشير
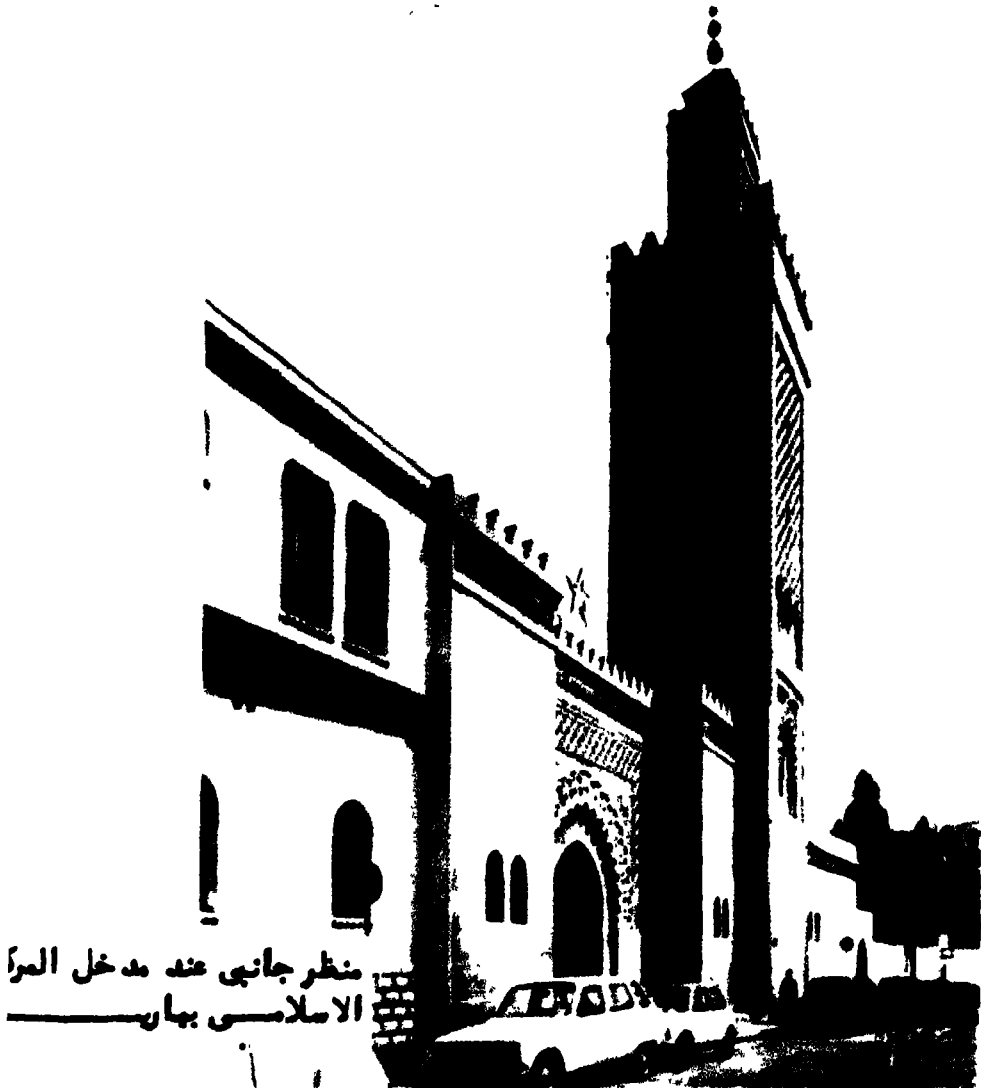
منظر جانبي عند مدخل المركز الاسلامي بباريس

فى فرنسا

أحوالهم ومشكلاتهم

■ مع المسلمين في فرنسا كانت جولة « منار الاسلام» هذا العدد٠٠زارت المجلة تجمعات المسلمين هناك واطلعت على أحوالهم ومشكلاتهم ، كما التقت بالطلبة العرب في مواقعهم الدراسية ، وبحثت معهم

■ صورة جانبية لاحدى قاعات المركز الاسلامى فى باريس

شئونهم وأحوالهم وعقدت معهم ندوة عرفت من خلالها مشكلات المبعوثين وبخاصة الطلاب المسلمين في فرنسا وأوربا الغربية ونوع التأثير والتناقض الذي يحس به المسلم وسط المجتمع الغربي كذلك زارت المجلة المركز الاسلامي ، ومسجد باريس ورأت فرحة المسلمين بالعيد ولقاء بعضهم البعض .

لم يدر في خلدي وانا اغادر البلاد الى فرنسا انني سالتقي بهذا النفر الكريم من الشباب المسلم ، كنت اتخوف من عزلة شديدة ووحشة ستنتابني في ذلك المجتمع ، الذي تتناقض قيمه ومفاهيمه مع قيم المسلم ومفاهيمه ، والذي يجد المسلم نفسه فيها غريب الوجه واليد واللسان .. غير اني كنت على موعد في فيشي مع نخبة كريمة تعبر عن ظاهرة جديدة في أوساط الشباب المسلم في ايامنا هذه .

عبر الريف الفرنسي :

تركت باريس بصخبها وضجيجها وحركتها التي لا تهدا تحت الارض وعلى ظهرها وفوقها ، الكل مسرع والكل يلهث لا احد يشتغل بغيره او يلتفت ليرى من حوله .. الفردية تدهمك في كل مرفق وكل وجه ، العلاقات لا تقوم الا على المنفعة المتبادلة ولا مكان لعواطف جماعية او ود متبادل ، وكما اصبحت الآلة هي كل شيء في حياة الاوروبي ، فقد اصبح هو نفسه آليا لا يتحرك الا بازرار ولا هدف له سوى الانتاج ثم الاستهلاك فقط ولا شيء غير ذلك .

ونستقل قطار الجنوب المتجه من باريس الى سواحل البحر الابيض المتوسط ، ويمضي وقت يمشي فيه القطار الهويني كي يخرج من باريس المترامية الاطراف والتي يبلغ عدد سكانها اثنتا عشر مليون نسمة ، ثم لا يلبث قطارنا أن يبدأ مخترقا الريف الفرنسي الجميل ، الخضرة على مد البصر ، غابات الاشجار فوق سفوح التلال والنهيرات تتخلل المزارع والوديان ، والقرى تتناثر بسقوفها الحمراء هنا وهناك وقطعان الماشية ترتع في مراعيها الغنية بعضها شبع واتكأ ..

الوصول الى فيشي :

وعندما وصل القطار الى فيشي تمنيت لو طالت الرحلة اكثر من ذلك وحزمت امتعتي ونزلت سريعا .. لاجد فيشي مدينة صغيرة هادئة تربض حول ضفتي نهر الاليي وعدد الفنادق فيها اكثر من المنازل وتزخر بالسواح من مختلف أنحاء أوروبا . وفي فيشي كانت بداية جولتي في فرنسا . لاتعرف على أحوال المسلمين والتقي باخوة لنا في الاسلام .

الطلاب العرب :

وفي معهد فيشي سمعت بعضهم

يتحدث العربية ، وسرعان ما تعرفت على عدد من الطلاب العرب جاءوا من مختلف البلدان العربية ، بعضهم في بعثات حكومية فوق الجامعية لنيل شهادة الماجستير او الدكتوراه ، ولان دراستهم ستكون باللغة الفرنسية ، يرسلون لقضاء فترة بمعهد فيشي الذي يختص بتعليم الفرنسية لغير الناطقين بها ٠

مسجد فيشي :

صلاة الجمعة بمباني المعهد :

ونسأل الطلاب القدامى هل يوجد مسجد في فيشي ؟ نعم يوجد مسجد في فيشي ولكنه مغلق هذه الايام ، وسبب ذلك أن بالمسجد غرفة ارضية يستخدمها المهاجرون العرب كمدرسة مسائية لتعليم اطفالهم اللغة العربية ومبادىء الاسلام ، وقد اعترض جهاز الاطفاء ببلدية فيشي على وضع المدرسة والمسجد بحجة صعوبة الوصول اليهما في حالة الحريق ، وقد طالب عدد من المهاجرين العرب اعادة فتحه ، وستنظر البلدية في طلبهم ، ولم يفت هذا في عضد الطلاب المسلمين فطالبوا بتخصيص احدى حجرات الدراسة كي يؤدوا فيها صلاة الجمعة ، ويوافق مدير المعهد ويصدر اعلانا للطلاب المسلمين ، بأن صلاة الجمعة ستقام بمقر المعهد ، وتضيق القاعة بالمصلين رغم أن صلاة الجمعة كانت أثناء ساعات الدراسة ، ويؤم المصلين مبعوث عراقي ، يقارن في خطبته بين الغنى الفاحش والفقر المدقع في اقطار العالم الاسلامي ، ويضرب مثلا بالعمارة التي سقطت فوق ساكنيها في احدى الدول رغم تحذير السلطات لهم وانذارهم بأن العمارة آيلة للسقوط ، ولكنهم لم يغادروها لانهم لا يجدون بديلا يرتحلون اليه كما يقارن بين البلدان التي ترسل فرقها الرياضية كي تعسكر في اوروبا استعدادا لمنافسات الموسم الرياضي وبين الدول الفقيرة التي لا يجد شعبها ما يقتات به ٠

اعادة افتتاح المسجد :

ومع تباشير قدوم رمضان يمر على فصول المعهد المبعوث العراقي زهير شكري ، ينبه الطلاب بأن المسجد أعيد افتتاحه وستقام فيه صلاة الجمعة والجماعة وقيام الليل ، وتعد مجموعة من الطلاب امساكية رمضان حسب توقيت فيشي وفيها بيان بمواقيت الصلوات الخمس وساعة الافطار والامساك ٠ وفي التاسع والعشرين من شعبان ، تهم مجموعة من الطلاب بالخروج الى أطراف المدينة لتحري رؤية شهر رمضان ، غير أن السماء كانت غائمة في ذلك اليوم ، مما جعل الطلاب يرجعون الى حجراتهم لادارة مؤشر المذياع بحثا عن الاذاعات العربية واستنطاقها عن خبر رمضان ٠

وجاء رمضان :

ورغم أن نهار رمضان كان يمتد لستة عشر ساعة ، فصيامه لم يكن شاقا كما كنا نتوقع قبل حلوله نسبة لبرودة الطقس الذي يصل أحيانا الى سبع درجات مئوية ، ونشاط الطلاب كان ذاخرا في رمضان ، فقد حرصت أغلبية ساحقة من الطلاب المسلمين على صوم رمضان وارتياد المسجد لاداء صلاة العشاء وقيام الليل ، وكانت أعداد المصلين تزداد يوما بعد يوم وتتعارف الوجوه الجديدة بالوجوه القديمة وتنشأ الفة وود عميقين بين رواد المسجد ، وتقام حلقات التجويد وتلاوة القرآن بعد

صلاة العصر وقبل صلاة العشاء ، بعدها تنعقد جلسات المناقشة ومدارسة أوضاع المسلمين في العالم في حجرات الطلاب وكأنهم يتعارفون منذ عهد بعيد « لو انفقت ما في الارض جميعا ما

ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» .
وفي ليلة السابع والعشرين ، احتفى الطلاب بليلة القدر كما لم يحتف بها من قبل ، صلوا التراويح ، ثم تحلقوا داخل المسجد يتلون القرآن ويفسرونه وأصر الشيخ الهاشمي القروي ، ـ من المغرب العربي ـ على تقديم وجبتي العشاء والسحور لجميع المصلين ليلة السابع والعشرين ، ثم نهض رواد المسجد ليواصلوا قيام الليل ، ويؤم المصلين عدنان الصباغ من ـ سوريا ـ بصوته الشجي ثم يصلي بالناس صلاة التسابيح بعد أن شرح كيفيتها ، وقبيل الفجر يختم بسنة الوتر ثم دعا في القنوت وابتهل فبكى واستبكى ، ثم يصدح صوت عبد الله عبد العزيز المصري بأذان الفجر ، وبعد صلاة الفجر جلس بعض المصلين ولم يغادروا المسجد الا بعد نافلة الضحى .

ندوة عن مشاكل الطلاب المسلمين في فرنسا وأوروبا الغربية :

وتنتهز المجلة فرصة حلقات العصر في المسجد ، لتدعو الى ندوة لمناقشة مشاكل المبعوثين العرب في أوروبا ونوع التأثير والتناقض الذي يحس به المسلم وسط المجتمع الغربي ، وكيف نستطيع أن نحافظ على ايمان وقيم المبعوث حتى

زوار مسلمون في زيارة لمسجد باريس أمام قاعة الشرف ▼

لا يرجع الى بلاده ويكون بذرة شر وأداة هدم ، يبث التغريب في بلدان الشرق كما هو حادث الآن ٠٠

الرسول لم يرسل البعوث الى فارس والروم :

يقول فهد مكي ـ السعودية ـ ان رأيه والله أعلم بالصواب ـ ان الله ربط نجاح هذه الامة وفلاحها بطريق محمد صلى الله عليه وسلم « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ٠ ففي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نقرأ قط أنه أرسل البعوث والوفود من المدينة المنورة بقصد الاستفادة من حضارة فارس والروم ، بل أمرهم بالتمسك بكتاب الله وسنته ، ولانهم تمسكوا بالقرآن والسنة أعطاهم الله وأعزهم في الدنيا قبل الآخرة ، وهذا ما وعدهم به الله عز وجل « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ٠ أما واقعنا في هذا الزمان ، فقد أصبحنا تبعا لا متبوعين ، وربطنا حضارتنا بحضارتهم وأفكارنا بأفكارهم ولذلك اضطررنا أن نمشي في ركبهم ووراءهم ٠٠ والمبعوث يمكن أن يكون تأثيره ايجابيا اذا جعل الدعوة الى الله هدفا

المهاجرون المغاربة فى مسجد
باريس وعلى اليمين قروي الهاشمي
أحد رواد المسجد

من بعثته ، واذا اعتبر دراستهوتخصصه وسيلة للدعوة الى الله ونشر الاسلام في العالم أجمع ..

مشكلة أطفال المسلمين وبناتهم .. والتخلص من الاقليمية :

أما زهير شكري - من العراق - فيقول : هناك ثلاثة فئات في فرنسا أولا طلاب مسلمون من مختلف الاقطار ، وعمال مسلمون معظمهم من المغرب العربي الى جانب أهل البلاد الفرنسيين العمال العرب معظمهم لا يهتمون بدينهم وعددهم يزيد على المليون والمشكلة الكبرى تحل بأطفالهم .. فأطفال المسلمين هنا يتفرنسون لانهم لا يجدون اللغة العربية ولا يتكلمونها الا قليلا وبناتهم يصبحنفرنسيات مظهرا وسلوكا والطلاب المبعوثون يحتاجون الى التخلص من الاقليمية ، وشعور المبعوث بأن عليه تبعة لبلاده شعور خاطيء لان التبعة يجب أن تكون كلها لله تعالى.. والطالب الذي يصل من بلاده اذا لم يجد مجموعة خيرة تحتضنه عند وصوله ، فسيكون لقمة سائغة لآفات الشر في هذا المجتمع وسيتعرض لخطر الاندماج ، في المجتمع الفرنسي والحل لهذه الظواهر هو بناء المساجد وبناء المدارس داخل المساجد او بجانبها في كل مدينة وذلك لتدريس أطفال المسلمين اللغة العربية ومبادىء الاسلام .

اختيار المبعوث يجب أن يتم على أسس دينية وأخلاقية :

يقول زكريا عبد الوهاب - مصر - ينبغي ألا يتم اختيار المبعوث علىأساس التفوق الاكاديمي والعلمي فقط ، بل يجب أن يكون هناك تقدير لشخصية المبعوث ضعفه وقوته .. هل هو ممن ينضوي تحت لواء غيره بسهولة وكيفية أن يكون تابعا أو متبوعا هل هو مؤمن بدينه وقيمه .. جامعاتنا عندما تختار المعيد لا تعطي أي اعتبار لقيمته الشخصية بل لدرجة الامتياز التي يحصل عليها .. وحبذا لو وجدت منظمة اسلامية في الدول الاوروبية مهمتها هي استقبال المبعوث لحظة وصوله لان الاستقبال الاول له أثره في نفسية القادم . كذلك مشكلة أطفال المبعوثين يمكن حلها باقامة مدرسة داخلية عربية في باريس مثلا يلتحق بها أطفال المبعوثين حتى لا يضطر المبعوثون لادخالهم المدارس الفرنسية فينسون لغتهم العربية . ويجب أن يوضع المبعوث تحت المجهر الدقيق ويراقبأثناء دراسته فاذا بدر منه ما يشين استدعي وقطعت بعثته .

ارسال المبعوثين الى الخارج أسلوب خاطيء :

يضيف زهير شكري .. بأن ابتعاث المبعوثين الى الخارج أسلوب خاطيء ولا نحتاج أبدا لابتعاث اي مبعوث ولنا في الصين واليابان أسوة في هذا المجال ، اليابان الآن تعتبر من أقوى الدول اقتصاديا لم تبعث المبعوثين للغرب كما تفعل الدول العربية ،والتقدم والتطور يجب أن يكون ذاتيا ، وابتعاث المبعوثين الى الخارج ليس سوى مظاهر براقة ، المبعوثون سيحصلون علما كثيرا وسيرجعون لبلادهم دون أن ينفذوا شيئا أو يفيدوا بلدهم بهذا العلم الذي حصلوه . هناك احصائية تقول أن نسبة الاستفادة من المهندسين الامريكيين ٧٠٪ والروس ٣٠٪ وفي وفي تقديري فان الاستفادة من

المهندسين العرب لا تزيد على ٥٪ ·
واساءة اختيار المبعوثين التي ذكرها الاخ زكريا تعود الى طبيعة الامـــة نفسها ولا اعتقد ان احدا سيعمل باقتراح

انشاء منظمـــة عربية او اسلاميـــة للمبعوثين وحتى لو قامت فسيكـــون اسمها طنانا رنانا دون مضمون او عمل وستكون مجرد لافتة كما هو الحـــال في المنظمات العربيـــة كبيرة كانت او صغيرة · ان على المبعوثين واجـــب منح جزء من وقتهـــم لتعليم ابنـــاء المسلمين المغتربين لغتهم ودينهم ·

ما هي أهداف التعليم والتطور في العالم الإسلامي ؟ :

وتدلي المجلة بدلوهـــا فتقول ·· لنتساءل اولا ما هي اهداف التعليـــم والتطور في العالم الاسلامي ؟ والاجابة هي ان اهداف التعليم اكاديمية بحتـــة وغير مربوطة بالاخلاق والقيم ،واختيار المعلم في كل المراحل الدراسية لا يقوم على اساس سلوكه وتاثيره الايجابـــي او السلبي على التلميـــذ ، والنظرة للتطور ايضا مبتورة ولا تضـــع في اعتبارها ضرورة ان يواكب التطـــور العلمي والتكنولوجي غرس القيـــم والاخلاق الفاضلة ـ اليابان عندما بدات نهضتها العلمية استوردت كل الكتـــب العلمية وترجمتها الى اللغة اليابانيـــة ومنعت ترجمة اي ادب او شعر او مذهب اجنبي حفاظا على وجدان وشخصـــية الامة ، لذلك حافظـــت اليابان على شخصيتها المتميـــزة رغم التطـــور التكنولوجي الهائل الذي حققته وهـــي الآن ثاني دولة صناعية في العالم بعـــد امريكا ··

والصين ايضا لا تؤمـــن باستيراد العلم والتكنولوجيا وغرسها في بيئـــة لم تتهيا لها نفسيا واجتماعيا ، وتؤمن ان التطور يجب أن يكون ذاتيا ودرجـــة درجة ، وكل جيل يضيف الى ما ورثه من الاجيال الماضية ، حتى لا يســـبب زرع التقنيـــة التناقض والفوضـــى واضطراب القيم الذي يحدث الآن فيما يسمى بالعالم الثالث والعالم العربـــي على وجه الخصوص حيث أصبحنـــا مثل الملابس المرقعة لان التطور غيـــر ذاتي وغير مربوط بقيم ولا اخلاق لذلك فصورة المبعوثين هي صورة الواقـــع الموجود في العالم العربي ·

ما هو هدف الدول الاوربية من هذه المنح ؟ :

ما هو هدف الدول الاوروبية من هذه المنـــح التي تتكرم بها على ما يسمى بالعالم الثالث ؟ فهذه الدول تصـــرف وتمول معظم هذه البعثات ، وهي تعرف أن هؤلاء الطلاب سيكونون قـــادة مجتمعاتهم وهي ترســـم اهدافها من استقبال هؤلاء المبعوثين حيث تقـــوم وباسلوب غير مباشر بغسل ادمغتهـــم وتهجين وتدجين افكارهم وسلوكهـــم وشخصياتهم وبالتالي بث الاســـلوب الغربي للحياة في المجتمعات الشرقيـــة واحيانا يكونون اداة لخدمة نفـــوذ البلد الذي ابتعثوا اليه حتى على حساب اوطانهم وشعوبهم والامثلة على ذلـــك شاخصة وظاهرة للعيان في البلاد التي كانت مستعمرات انجليزية او فرنسية ·

الحرية الفكرية والدينية متوفرة في أوروبا الغربية :

ويعقب زهير شكري متفقا مع المجلة في أن هناك منظمات غربيـــة لها مثل هذه الاهداف ولكن لا ننسى ان المبعوث يمكن ان يؤثر ويتأثر ، والدول الغربية توجد بها حرية للحركـــة والفكر ،

والقانون بها لا يمنع اي نشاط ديني أو فكري من أي نـوع كان والطـلاب الفارغون يتعرضون للتاثير السلبي ، اما الطلاب الجادون فيمكنهم التاثير في المجتمع الغربي ، ومثال لذلك هناك من تزوج بفرنسيات واسلمن على ايديهـم وحسن اسلامهن ·

لماذا لا تبعث أوروبا بعلمائها وأجهزتها الى بلداننا :

ويضيف زكريا عبد الوهاب بـأن التاثير لا ينقل مباشـرة ولكنه يبث بأسلوب غير مباشر ، مثل الرحـلات المختلطة التي ينظمها المعهد بأجـور زهيدة ومغرية للمشاركـة فيها ، وفي هذه الرحلات يتعلم الطالب تقاليـد تفرضها عليه المجموعة الغالبـة من الطلاب خاصة الاختـلاط الذي يفرض على الطلاب في المعهد ·· والتعاون العلمي الذي تتكرم به أوروبا كان يمكن أن يكون بواسطة ابتعاث العلمـاء والاجهزة الى بلداننا كي يتعلم الطالب داخل مجتمعه دون تأثير ضار كما يحدث الآن
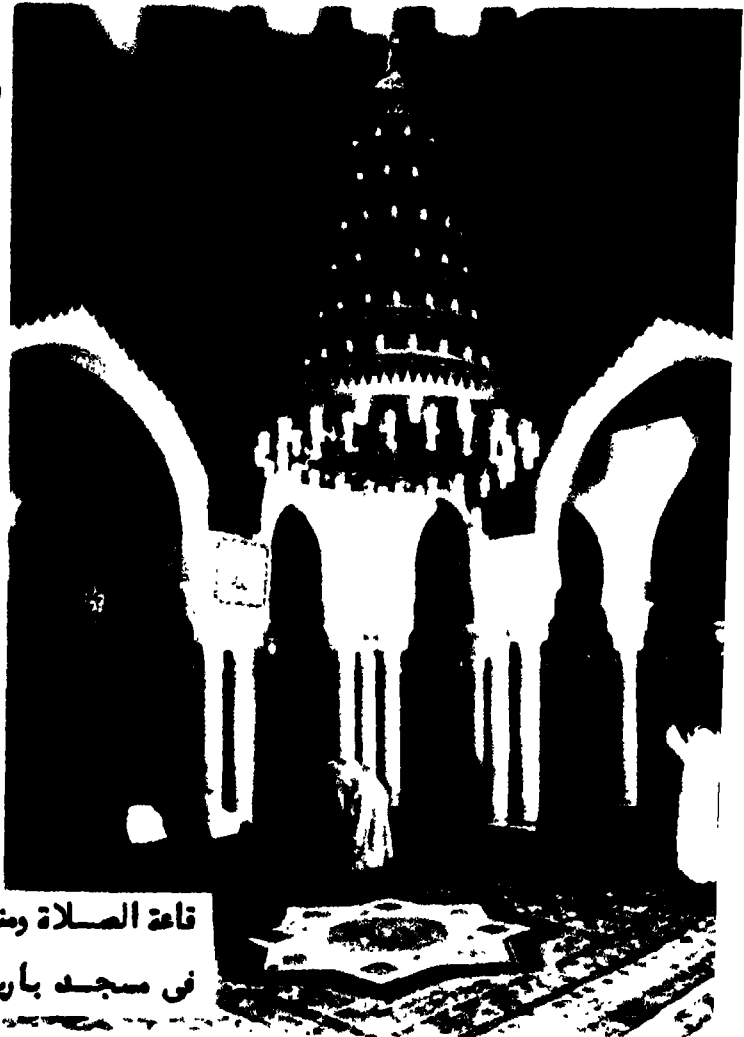
قاعة الصلاة ومنبر خطبة الجمعة في مسجد باريس

زوار ورواد المركز الاسلامي
أمام باب السلام

قاعة المكتبة
فى المركز الاسلامى

أطفال المسلمين يتعرضون للضياع :

ويقول الشيخ قروي الهاشمي من المغرب العربي ·· عندما أتيت الى فرنسا سنة ١٩٦٨ وحصلت على عمل في أحد مصانع فيشي وحان وقت الصلاة أثناء العمل تركت العمل وخرجت للصلاة ، وطلب مني عدد من العمال العرب تأخير الصلاة الى ما بعد ساعات العمل لان خروجي الآن قد يعرضني للفصل ، فأصررت على الخروج للصلاة مهما كلفني ذلك ، وجاء رقيب العمال ، ووجدني في صلاتي فلم يتعرض لي ولا بكلمة واحدة ، وعندما حان عيد الاضحى طلبت اجازة لمدة يوم واحد ، فرفض المدير فاصررت على التغيب يوم العيد حتى لو ادى ذلك الى فصلي من العمل ، فوافق المدير على منحي الاجازة ·· وانتهز عدد من زملائي العرب هذه الفرصة وطلبوا اجازة للعيد فرفض لهم المدير فاستكانوا كعادتهم ·· ومنذ هذه الحادثة وانا أخرج من العمل متى حان وقت الصلاة وأمنح اجازة في عيدي الفطر والاضحى ولا أجد عقبة أمامي في ذلك ·

ويستطرد قروي الهاشمي ·· ان اطفالنا يتعرضون للضياع ، فرغم حرصنا على التحدث بالعربية في البيت فان اطفالي أول ما ينطقون ينطقون بالفرنسية ·· فتحنا لهم مدرسة لتعليم اللغة العربية والدين ، وفي عطلة الصيف نسوا كل ما حفظوا أثناء السنة من سور القرآن ··

ويضيف زهير : قبل ستة شهور كنت أدرس الاطفال ·· حفظناهم عشر سور من القرآن ولكنهم الآن نسوا كل شيء فبجانب مؤثرات المجتمع الفرنسي حولهم فالمهاجرون العرب أنفسهم لغتهم ضعيفة، وبعض الاطفال لا يعرفون حتى أسماء ابائهم ، فقط يعرف اسمه واسم العائلة·

ضرورة خروج المبعوث متزوجا الى الخارج :

ويختم الندوة عدنان الصباغ من سوريا فيقول ·· ان مشكلة الطلاب شيء يدمي القلب · فبعضهم يخرج من بلاده وكانه خارج من سجن ، ففي بلاده توجد ضوابط ورقابة من المجتمع عليه ولكن ما ان تحط به الطائرة في مطار باريس ، حتى ينطلق دون ضابط او زاجر والجو المحيط هنا يساعد على هذا النوع من الانحراف ·

وانا انصح أي شاب ان يخرج للعلم متزوجا لان هذا افضل واضمن للحفاظ على دينه وسلوكه ·· اما ان يخرج عازبا فستقابله كثير من المشاكل . والاعزب يكون عرضة لاغراء الشيطان . الى جانب أن الدول العربية تمنح المتزوج علاوة اضافية والمعيشة في أوروبا ميسرة للمتزوج ··وحبذا لو سنت الدول الاسلامية تشريعا يفرض على المبعوث الخروج مصحوب بزوجته حتى نحافظ على شبابنا من الضياع ··

الذبيح خارج المدينة :

ومشكلة اللحوم غير المذبوحة التي يعاني منها المسلمون في المجتمعات الغربية حلتها مجموعة من الطلاب في فيشي بطريقة فريدة ·· وقد اصطحبتهم في احدى المرات وقد استقلوا سيارة عبد القادر الجزائري احد رواد المسجد الى مزرعة للضان في اطراف المدينة واشتروا خروفا من صاحبها الفرنسي الذي احضر لهم ادوات الذبح . ويوجه عبد القادر الخروف الى القبلة ويسمي الله ثم يذبحه بسكين حادة . وبعد استنزاف الدماء يعلق ويسلخ .

ويقطع اللحم ويقسم الى اكـــوام بعدد الشارين ويأخذ كل واحد منهم نصيبه فرحان جزلا لانه سيأكل لحمـــا حلالا يطمئن اليه قلبه وشهيته معا ٠٠

وفود الرحمان ووفود الشيطان :

وأثناء رمضان وصل مدينة فيشي فريق رياضي عربي كان يعســـكر في اسبانيا استعدادا للمنافسات الرياضية في بلاده ٠٠

ولم يكتفأفراد الفريق بافطار رمضان جهارا نهارا بل عاثوا في المدينة فسادا وارتكبوا كل منكر وقبيح ولست ادري كيف تسمح بعضالدول العربية لرعاياها بمثل هذا السلوك دون حســـيب أو رقيـــب ؟

وتقابل هذه الصورة السوداء صورة أخرى مشرقة بيضاء لوفد كريم ضـــم عددا من الشباب المسلم نزلوا بمسجد المدينة ، انطلقوا من المملكة العربيـــة السعودية خارجين في سبيل الله نزلوا اولا بباريس واقاموا أياما ثم ارتحلوا الى ليون ، ثم غادروها الى كلمنتفراند وفي أواخر رمضان حطوا رحلهـم في فيشي يمرون على المغتربين العرب في بيوتهم يذكرونهم بأيام الله وحقيقة لا اله الا الله ، ولا يأنفون من الامر بالمعروف والنهي عن المنكـــر داخل المقاهـــي والخمارات ، ويتحملون في نفس راضية ما يصادفهم أحيانا من أذى وتجريح ٠

خروج في سبيل الله :

وقبل أن نغادر فيشي الى باريـــس خرجنا الى محطة القطار ، نودع اربعة من الطلاب زهير وعبد الله ومحمـــد وعبد الله ،وهم يهمون بالسفر الىالمدينة المجاورة في عطلة آخر الاسبوع،واحياء لسنة الرسول عليه الصلاة والســـلام خرجوا من المسجد وعند عودتهم لـــن يذهبوا من المحطة الى حجراتهم بـــل يمرون بالمسجد ليصـــلوا فيه ركعتين ، يذهبون بعدها الى مساكنهم ، وقبل أن يتحركوا أمروا أحدهم يستأذنونه في كل حركة وسكنة ٠٠ وفي المحطة تحدث أحد مودعيهم قائلا ٠٠ لقد اعتـــــاد الناس في هذا العصر أن يسافروا من أجل سياحة أو تجارة أو صفقة مالية ، ولكنكم تخرجون الآن فقط في سبيل الله فكل حركة وخطوة محسوبة عند اللـــه تعالى ، وعندما دخل القطار المحطـــة وهموا بركوبه دعوا دعاء السفر :

« اللهم أنت الصاحب في السفر ٠٠ وأنت الخليفة في الاهل والمال والولد ٠٠ اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمـــال والولـــد » ٠

قال احد الطلاب انه ينتظم في اداء الصلاة لاول مرة في فيشي وقال آخـــر انه يصلي قيام الليل في رمضان لاول مرة في حياته ، وثالث قال انه ســـمع بصلاة التسابيح ولكنه يصليها لاولمرة هنا ، ورابع علق قائلا : انه لم يشعر بالقرب من الله في رمضان كما يشـــعر في رمضان هذا وسط مجموعة طـــلاب فيشي ٠٠ انهـــا ارهاصات البعث الاسلامي الجديد الذي ستشرق انواره حتما سواءا أبصرناها في العمـــر المحدود ٠٠ أم كان غدا في جيل آخر، ولينجزن الله وعده « وعد الله الذيـن امنوا منكم وعملـــوا الصالحـــات ليستخلفنهم في الارض كما استخلـــف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهـــم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شينا » ٠

المركز الاسلامي ومسجد باريس :

وفي التاسع والعشرين من رمضـــان

مجموعة من الطلاب المسلمين خارج قاعة المعهد بعد أداء صلاة الجمعة ▲

مجموعة من الطلاب تذبح وتسلخ خروفا اتقاء للحم غير المذبوح الذى يباع فى الأسواق ▼

امام المسجد زهير شكرى يلقى خطبة الجمعة التى أقيمت فى أحد قاعات المعهد

المصلون من الطلاب والمهاجرين يستمعون الى خطبة الجمعة

نعود الى باريس ونستمع الى اذاعة الجزائر وهي تزف ثبوت رؤية شهر شوال .. وفي صبيحة يوم العيد امتلأت شوارع الحي اللاتيني المؤدية للمركز الاسلامي بالمسلمين من مختلف الجنسيات والقارات ، وأطل سكان الحي اللاتيني من النوافذ والشرفات وهم يرقبون الشوارع والساحات وهي تموج بالمسلمين من مختلف الاقطار والامصار والالوان في ملابسهم الوطنية الزاهية الالوان والاشكال ، وداخل المسجد تجمع عشرات الالوف وهم يهدرون بذكر الله في انتظار الصلاة ، وامتلأت قاعات المركز وساحاته واكتفت مجموعات من نساء المسلمين بالوقوف خارج المركز .

كيف تأسس المركز ؟ :

يضم المركز الاسلامي « صحن المسجد وأروقته وقاعات الصلاة وتبلغ مساحته هكتارا واحدا ويقع في قلب الحي اللاتيني في ساحة لوبوي دوليرميت بباريس ، ومنارته التي تشرف على عمارات شاهقة وحدائق عديدة تبدو كأنها غريبة بين ابراج الكنائس الباريسية وقباب الكاتدرائيات العتيقة وتحيي ذكر الفن الاندلسي الاثير .

السلطان عبد الحميد أول من فكر في بناء المركز :

ويعود فضل التفكير في تأسيس مركز اسلامي ثقافي في باريس ، الى السلطان عبد الحميد رحمة الله عليه آخر خلفاء المسلمين في تركيا الذي أعرب لدى الحكومة الفرنسية عن رغبته في تأسيس مسجد يؤمه المسلمون في فرنسا لكن الحكومة الفرنسية فكرت في تبني الفكرة والقيام ببناء المركز في باريس بنفسها .

وفي أغسطس ١٩٢٠ صادق مجلسا النواب والشيوخ على بناء المركز غير أن الاعتمادات التي صادق عليها كانت دون التقديرات التي قدمها المهندسون المتخصصون في الفن الاسلامي وتبلغ

حوالي ١٥٠ مليون فرنك فرنسي ، تبرع بجزء منها رعايا الدول الاسلامية ، وتدخلت بلدية باريس لتتبرع للمركز بقطعة أرض وتتبنى المشروع باكمله .

وأوكلت مهمة ادارة وتسيير المركز الى جمعية الحرمين الشريفين التي يرأسها حاليا عميد المعهد وتنفق عليه الحكومة الفرنسية وبلدية باريس ، وتجدر الاشارة هنا الى أن بلدا اسلاميا واحدا أو جمعية اسلاميةواحدة لا تمد المركز الاسلامي ومسجد باريس بأية مساعدة مهما كان قدرها .

أوجه نشاط المركز :

وتتفرع نشاطات المركز الى ست شعب :

١ ـ الشعبة الادارية وتتضمن تسيير وتجهيز وتمويل المركز الى جانب حفظ الوثائق والمكاتبات .

٢ ـ الشعبة الدبلوماسية : وتتضمن علاقات المركز بالسفارات والقنصليات الاسلامية وغير الاسلامية .

٣ ـ الشعبة الدينية : وتعنى باقامة الشعائر في فرنسا ، الصلوات الخمس، صلاة الجمعة ، صوم رمضان واقامة الاعياد الاسلامية وتنظيم الحج الى بيت الله الحرام والدعوة للاسلام وبيع اللحم الحلال الى جانب المحاضرات

الاسلامية وتجهيز الجنائز والمقابر في باريس وعدد من المدن الرئيسية في فرنسا ·

٤ ـ الشعبة القانونية : والمركز له مجلس شرعي يقضي في الامور الاسلامية (فتاوي واستشارات دينية فيما يخص الزواج والطلاق والمواريث وأداء اليمين) ·

٥ ـ الشعبة الاجتماعية : وتهتم بمساعدة المعوزين وتسهيل العمل في المصانع والشركات واعانة النساء اللائي يفقدن عائلهن واليتامى ومقاومة الانحرافات السلوكية وسط المسلمين ··
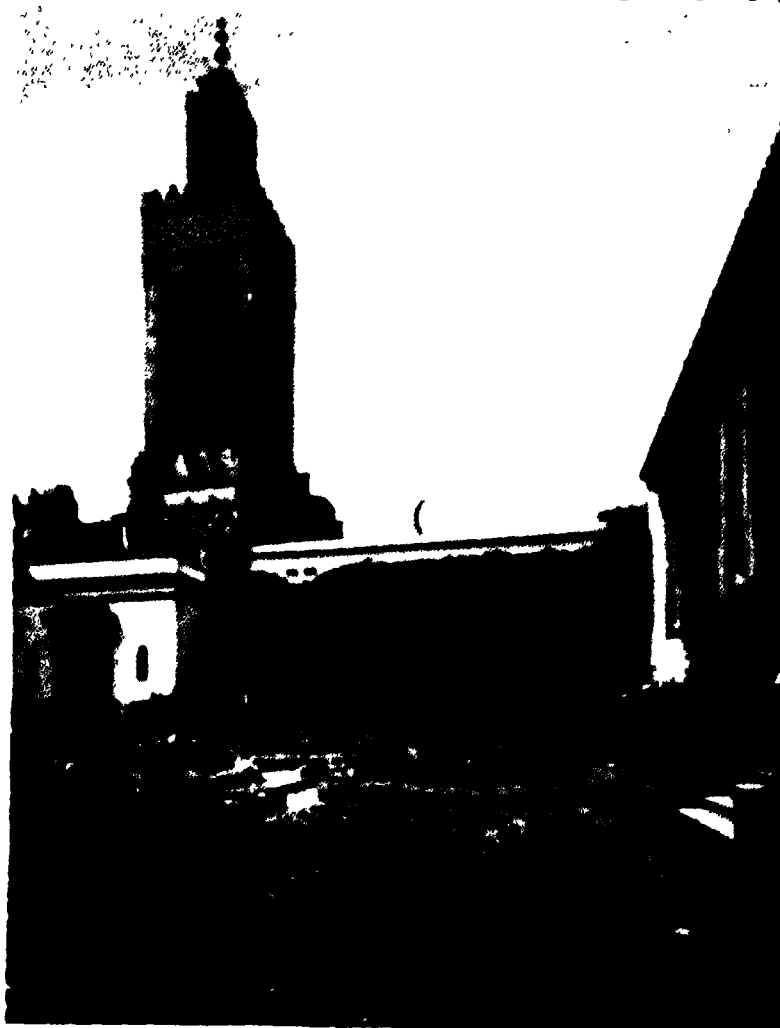
٦ ـ الشعبة الثقافية : وتقوم بتفسير القرآن ومقارنة الاديان (الاسلام ، المسيحية واليهودية) نقط الاتفاق والاختلاف العقائدي ·· الى جانب الحديث الشريف على ضوء الصحاح الستة ، كما تقوم الشعبة أيضا بتدريس اللغة العربية وتقديم محاضرات عن التاريخ والادب والحضارة الاسلامية ·

الهيئة المشتركة

بقلم :
عبد الفتاح سعيد

○ في ٣ مارس سنة ١٩٧٥ م غرست دولة الامارات العربية المتحدة بالاشتراك مع الجمهورية الليبية ، نبتة جديدة في حقل الدعوة الاسلامية سيكون لهـــا أثرها في مواجهة تيار المد الالحادي والتبشيري ، في القارة الافريقية وغيرهـــا من الدول التي أصبحت مرتعا للحملات الفكرية المضادة للفكر الاســـلامي وعقيدتـــه .

تلك النبتة هي « الهيئة المشتركـــة للمراكز الثقافية الاسلامية » التي وافق سمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، على الاشتراك فيها ودعمها وذلك في خلال زيارته للجمهورية الليبية الشقيقة في مارس عام ١٩٧٥ .

تأسيس المراكز الثقافية الاسلامية

تصوير :
سيد المغربي

مراجعة التصميمات الخاصة بالمراكز

الهيئة المشتركة
للمراكز الثقافية الاسلامية

نشاط الهيئة واختصاصها :

ومهمة هذه الهيئة هي اعداد الدراسات والابحاث الخاصة بأحوال الاقليات الاسلامية ، في كل من افريقيا وآسيا ثم غيرهما من البلاد ، وانشاء مراكز ثقافية اسلامية في بعض الدول التي يحتاج المسلمون فيها ، الى دعم تربوي اسلامي يضيء لهم الطريق الى معرفة دينهم وعقيدتهم ويساعد أبناءهم على تحصيل العلم النافع ويؤهلهم لخدمة بيئتهم ومجتمعهم .

وفي حديث عن نشاط الهيئة مع الاستاذ صقر المري مدير عام الشئون الاسلامية بدولة الامارات وعضو وفدها في الهيئة ، شرح منجزات الهيئة فقال ـ لقد قامت الهيئة بانشاء اول مركز لها في جمهورية (رواندا) بمدينة (كيجالي) العاصمة ، نظرا لوجود اقلية اسلامية فرض عليها الاستعمار في الماضي حياة جافة تتسم بالتخلف وترسف في اغلال الفقر الشديد ، وهم من اشد الجاليات حاجة الى العون المادي والمعنوي من اجل التعليم والتثقيف ، وهذا المركز الذي تكلف انشاؤه أربعة ملايين ونصف المليون من الدولارات يضم بين منشآته مسجدا ومدرسة وقاعات للندوات والمحاضرات ومكتبة عامة ومستوصفا وملاعب رياضية لكرة القدم والسلة وغيرها .

أما عن المشروعات المطروحة للتنفيذ فيقول الاستاذ صقر المري ـ ان الهيئة بسبيل تنفيذ المركز الثاني لها في كمبالا عاصمة اوغندا ، وذلك لحاجة المسلمين هناك الى مثل هذا المركز ، كما تسعى لاقامة مركزين لها في كل من توجو والجابون .

يجب أن تظل الهيئة فوق جميع الخلافات العربية :

أما رئيس الدورة الحالية للهيئة وهو سعادة السفير عبد القادر الخوجة سفير الجمهورية الليبية في دولة الامارات فانه يقول بحماس واخلاص الشباب العربي المستنير : ان هذه الهيئة يجب أن تكون فوق جميع الخلافات الموجودة على السطح العربي ، فلا ينبغي ان تقتصر عضويتها وتمويلهاعلى دولتي الامارات وليبيا . وانما ينبغي ان تسارع كافة الدول الغنية والقادرةالى الاشتراك في الهيئة ودعمها ماديا حتى توسع دائرة نشاطها بانشاء مراكز ثقافية اسلامية متكاملة في مختلف القارات ، بقصد دعم انتشار الدعوة الاسلامية وتصحيح مفاهيمها في الاقليات

- **مطلوب من الدول الاسلامية دعم الهيئة ومضاعفة امكاناتها .**
- **٥ر٤ مليون دولار تكاليف انشاء المركز الثقافي الاسلامي في رواندا .**

الاسلامية المتخلفة ، ودرء مخاطر الغزو الثقافي الفكري الالحادي عن شباب أمتنا .

الباب مفتوح للجميع :

وفي لقاء مع سعادة الدكتور عزالدين ابراهيم المستشار الثقافي لسمو رئيس الدولة ورئيس وفد الامارات ورئيس الدورة السابقة للهيئة قال - « ان باب الاشتراك في هذه الهيئة مفتوح لجميع الدول الاسلامية الراغبة في خدمة الدعوة ورفع مستوى الاقليات الاسلامية والوقوف في وجه المد الالحادي الخطير الذي يهدد المثل والقيم الروحية والخلقية ولن اشتراك المزيد من الدول الاسلامية في الهيئة سيدعم قدراتها ويضاعف من نشاطها ويزيل الكثير من العقبات التي قد تعترض شئونها .

هذا ولقد لاحظت المجلة أن أولمركز للهيئة في رواندا قد تم تاثيثه من ايطاليا ونحن نهمس للمسئولين في الهيئة بروح ملؤها الاخلاص لله ولعروبتها : الا يكون من الافضل لو أننا قمنا بتاثيث هذه المراكز من بلد اسلامي ، اسهاما في انعاش اقتصاديات المسلمين وتشجيع مؤسساتهم ومبناتهم الانتاجية كخطوة على طريق التكامل الاقتصادي بيننا ؟

نرجو أن يتم ذلك مستقبلا سائلين الله التوفيق للهيئة في اداء رسالتها السامية

الهيئة المشتركة للمراكز الثقافية الاسلامية

▲ مناقشة الرسومات الهندسية

▼ سعادة المستشار الثقافي لرئيس دولة الامارات
وفضيلة مدير الشئون الاسلامية: عضوا الهيئة

▲ أعضاء وفد الجماهيرية الليبية

▼ سعادة السفير الليبي في مراجعة بمكتبه

المرأة في الإسلام والتراث (٦)

بقلم الدكتور :
عبد الرحمن علي الحجي

حين كرم الاسلام الانسان في كل مكان ، وكافة الأجناس ذكورا واناثا من حيث هو ، فلا نتوقع من الاسلام الا أن يكرم المرأة أيضا لانها انسان ، فليس في الاسلام ظلم لاحد أو محاباة لآخر ، فشرع الله لخلق الله كافة · أظهر الاسلام دورها وأبان مكانتها وعين مسئوليتها ، ويوم كانت المرأة تهان وتنكر عليها انسانيتها ، أو ينظر اليها كمخلوق دنيء أو رديء قد يساوى بالحيوان ،كرمها الاسلام ورفع شأنها ، تكريما حقيقيا أصيلا انسانيا ، وسيبقى الاسلام متفرداً في هذا الامر كما هو في غيره · وحتى اليوم فان مكانتها الانسانية في الاسلام لا يجاريها مكان لاخواتها في الامم الاخرى ، وفي بلدانها المتحضرة مهما خدعت المظاهر ·

حين نتحدث عن ذلك يجب عدم الخلط بين الوضع الذي يريده الاسلام، وبين ما يمارس باسمه او في داره (أرضه) من تصرفات ، لقد كرم الاسلام المراة(١) أما واختا وزوجا وبنتا ، في كل امورها ، جليلها ودقيقها ، بأسلوب يغور الى الحقائق ، ينسجم والخلقة والفطرة ، مع مراعاة الخصائص كافة كانسان وكامراة ·

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم . يريد الجهاد في سبيل الله ، فقال له الرسول الكريم ، صلى الله عليه

وسلم : « هل لك من أم ؟ » قال : نعم . قال : « فالزمهـــا فان الجنـــة عند رجلها » (٢) . وأوجب الاسلام احتـرام ومراعاة الزوجة ، حتي جعل للــزوج الاجر على وضع اللقمة في فم زوجته. قال الرسول الكريم صلى اللـــه عليه وسلم ، في بيان مكانتها : « الدنيـــا (كلها) متاع وخير متاع الدنيا المراة الصالحة » (٣) .

وجعل لاحساس تربية النساء أجراء وجزاء تربية عدد منهن تربية صـالحة الجنة ، وهذا قائم على أساس الاسلام، في احسان التربية ، والتزام المربـــي بهذا المنهج ، فالله تعالى يثيبه أو يثيبها على ذلك بالجنة ، وهذا يصور أهميـة التربية الصالحة على النهج المســتقيم ــ كما يريده الله ــ واهمية الالتــزام بشرع الله ، وحين ذلك يكون فيالتربية التحري لهذا الشرع وابتغاء وجه اللـه تعالى فيه .

والله جلت قدرته لا يضيععملا لانسان مهما كان ذكرا أو انثى ، لذلك يقـول جل وعلا : « من عمل صالحا من ذكـر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبـة ولنجزينه أجرهم باحسن ما كانـــوا يعملون » النحل : ٩٧ .

كما يقول تعالى : « فاستجاب لهـم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او أنثى بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهــم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري مـــن تحتها الانهار ثوابا من عند الله واللـه عنده حسن الثواب » آل عمران : ١٩٥، والآيات في ذلك كثيرة . وجعل الاسلام للمراة حقوقا معلومة : « ولهن مثـل الذي عليهن بالمعروف » البقرة : ٢٢٨ .

هذا اذا علمنا ما كانت تعامل بـــه المرأة قبل الاسلام في المجتمعات كافة بل وبعد الاسلام وحتى اليوم ، لم يكرم المرأة كالاسلام نهج أو نظام ولا غرابة، فهو شرع الله الذي اكرم به بنيالانسان في كل ديارهم وعصورهم على تعاقـب الاجيال ، وفي القرن السابع الهجري ، (الثالث عشر الميلادي) ، اعتبـــر ريكاردو دي بيري ، (مستشار انكلتره وجامع الكتب الانكليزي المشـــهور) ، المرأة حيوانا بغيضا يكره العلم (٤) .

وفي القرن الرابع الهجري ، (العاشر الميلادي) ، ذكر لنا احمد بن فضلان ــ حين سافر الى بلاد البلغار ومناطق أوربية أخرى ــ عن عادات في مهانــة الانسان والمرأة وذلك في رسالته (٥) .

والى الآن ، ما يزال الاسلام ــ وهو دوما ــ متفرد بتكريمه للانسان ، ونظرته الصادقة الصافية السمحـــــة اليه ، وخلال القرون التي كان الاسلام موجها للمجتمع ، وكلمته نافذة فيه ، عملــت المرأة في كل ميدان يناسبها في طبيعـة تكوينها ووظيفتها ، وفي كل ذلك كانـت المرأة محافظة على دينها ملتزمة بالسمت الاسلامي المضيء ، فقد درست وعلمت وحاربت ، وكانت قبل كل شيء تنشيء الاجيال في محاضنها الاصيلة .

كل هذه الاحوال والحقوق والاوضاع لم تحصل عليها المرأة ولا المجتمـــع نتيجة لصراع ، كان هبة من الله ابتداء ونعمة منه ــ سبحانه ــ تفضل بها على الانسان ، وخلال التاريخ الاسلامـــي كانت المرأة متعلمة تعرف طبيعتها وتقوم بواجباتها في هذا الاطار الذي يناسبها ويلائم فطرتها ، ومنذ صدر الاسلام كانت المرأة المسلمة تعمل في بناء الحياة كما رأينا في امثلة كثيرة ، كما أنها قــد

أضواء على الحضارة

تعلمت وكانـــت عالمة بفنون العلم ، فيروي لنا عبـــد الواحد المراكشي ، (٦٤٧ هـ) ، في كتابه « المعجـب في تلخيص أخبار المغرب » ، بأنه « كـــان بالربض الشرقي في قرطبة مئةوسبعون امرأة ، كلهن يكتبن المصاحف بالخـط الكوفي ، هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها ؟ » (٦) ٠

من كل ما سبـــق نتعرف على أن للانسان في الاسلام المكانة الكريمـــة التي منحها الله اياها ، وأنار طريقـــه وهيأ له أسباب العلم والمعرفة ٠

خصائص الحضارة وتراثها :

من ذلك كله يتبين لنا خصائـــص الحضارة الاسلامية وتراثها العلمـــي والانســـاني العام ، بانها تقـــوم على العقيدة والايمان بالله تعالى وتوحيده ، وهي الحضارة الوحيدة التي تقوم على هذا الاساس ، وتعتبره مكينا أصـــيلا وضروريا ويقوم البناء عليه ٠

هذه الحضارة والتراث ، ذات نزعة انسانية ، جاء في الحديث الشريف بأن: « الخلق كلهم عيال الله ، فاحبهم الى الله انفعهم لعياله » ٠ ولقد بين الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، بانه ، « من أصبح وأمسى ولم يهتم بأمـــر المسلمين فليس منهم » ٠ ولذلك فالارتباط وثيق بين الناس ، كما ان هناك المساواة الكاملـــة بينهم ، بغض النظـــر عن أحسابهم وأجناسهم وألوانهم ٠ يقـــول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « انما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركـــوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، واني والذي نفسي بيده ، لو أن فاطمـــة بنت محمد سرقت لقطعت يدهـــا (٧) ٠

ساهمت المرأة المسلمة في الفنون والصناعات

فالناس سواسية كأسنان المشط ، كمـــا جاء في الحديث الشريف ، ومعلوم أن لا تفاضل بين الناس ، لان أساس التفاضل التقوى والعمل الصالح ليحوز رضـــا الله تعالى ٠

ان هذه الحضارة تقوم على الاخلاق فهي أولا وكل ما عداها يدور في هـــذا الفلك ، وانها تقوم على الخير المطلق كما تقوم على القيم ٠ كذلك تتسم بالانصاف، وتقوم على الالفة والانسجام ، وانعدام الصراع وعدم الحقد في داخل الانسان وخارجه وفيما بينهما ، وانها تعطـــي لكل ذي حق حقه ، وتوازن بين الامـــور بالنسبة لحياة الفرد وحياته مع الجماعة والجماعة مع الفرد ٠

كما تقوم على المحبة والوئام ، وهذا ليس في عالم الانسان فقط بل كذلـــك بالنسبة للحيوان ، وكل ما في الكون ٠ ونذكر في ذلك قصة زوجـــة أبي ذر

الغفاري رضي الله عنه ، حين هاجم الاعداء ، في السنة السادسة للهجرة المدينة المنورة ، وأخذوا الاسرى والابل، كان منها ابل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووقعت امرأة ابي ذر في أسرهم ، ثم لما لحق المسلمون بهم .

●●

● وأنفقت وشاركت في بناء المساجد والمدارس

أضواء على الحضارة

استردوا ما اخذوه ، وعادت امرأة أبي ذر على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء ، فلما وصلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته الخبر وقالت له ، يا رسول الله اني نذرت ان نجاني الله عليها ، ان أنحرها فآكل من كبدها وسنامها ، فتبسم وقال : « بئس ما جزيتيها ، ان حملك الله عليها ونجاك بها ، ثم تنحريها انه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، فارجعي الى أهلك على بركة الله » (٨)٠

اهتم الاسلام بعمل الخير المطلق لاي فرد ، ويتمثل ذلك في كل الظروف والميادين ، ويكون بين المسلم وعمل الخير عشق دائم يتقرب به الى الله تعالى ، بل الحرص الشديد عليه في كل الاحوال ، ولتوفيره بشكل مستمر ، وهذا يتمثل في ظواهر متعددة ، منها ما يعرف بالوقف ، وهو تشريع اجتماعي كبير ، اذ يوقف المسلم فيه مالا أو ملكا لمصلحة عامة وعلى مر الدهور أي بعد وفاته أيضا ، وينتفع به من الناس من لا صلة ولا معرفة له مع الواقف ، بل قد يولد بعد أجيال من ابتداء الوقف ، من ذلك أن الخطيب البغدادي ـ الذي مر ذكره ـ قد تصدق بجميع ماله ـ وهو مئتا دينار ـ على العلماء والفقراء ، وبثيابه أيضا ، كما أوقف كتبه على المسلمين (٩) ، والامثلة في هذا كثيرة الى حد أن البعض قد أوقف ـ على الحيوانات ـ الاراضي والمزارع (١٠) ٠

١ ـ المرأة بين الفقه والقانون مصطفى السباعي ٢٧ـ٢٨ ٠

٢ ـ جامع الاصول ١ـ٤٠٣ ٠

٣ ـ مختصر صحيح مسلم ١ـ٢٠٧ (رقم الحديث ٧٩٧) ٠

٤ ـ المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ريبيرا مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ـ١ـ٩٢ـ٩٣

٥ ـ رسالة ابن فضلان ١٥٦ـ١٦٤ ٠

٦ ـ المعجب ٤٥٦ـ٤٥٧ الربض هو الحي ، وكان في قرطبة واحد وعشرون حيا ٠

٧ ـ مختصر صحيح مسلم ٢ـ٣٩ (رقم ١٠٤٦)

٨ ـ امتاع الاسماع المقريزي ١ـ٢٦٣ (بتصرف)

٩ ـ وفيات الاعيان ١ـ٩٣ كذلك موارد الخطيب البغدادي ٠

١٠ ـ راجع من روائع حضارتنا ١٢١ـ١٢٨ ٠

• اعداد : حسين المحسي •

مكة المكرمة :

قال تعالى في حقها ، على لسان أبي الانبياء سيدنا ابراهيم الخليل : «رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام» • وقال جل وعلا : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد » •

قال المفسرون : « ان البلد الوارد ذكره بهذه الآية هو مكة • وقال صلى الله عليه وسلم : « من مات بمكة فكأنما مات في السماء الدنيا » •

وأجمع العلماء ، على أن « مكة » و « المدينة المنورة » ، أفضل بقاع الارض يليهما بيت المقدس » •

■ ■ ■

أول بيت وضع للناس

قال عثمان بن ساج : اخبرني يحيى ابن أبي أنيسة ، في قول الله عز وجل : « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا » • قال : كان موضع الكعبة قد سماه الله ـ عز وجل ـ بيتا قبل أن تكون الكعبة في الارض ، وقد بني قبله بيت ولكن الله سماه بيتا ،وجعله الله مباركا وهدى للعالمين قبلة لهم •

■ ■ ■

ما يقال عند النظر إلى الكعبة

عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : كان عمر بن الخطاب اذا رأى البيت قال : اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام •

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : « ترفع الايدي فيسبع مواطن : في بدء الصلاة واذا رأيت البيت وعلى الصفا والمروة وعشية عرفه ، وبجمع ، وعند الجمرتين وعلى الميت •

وعن ابن جريج قال : حدثت عن مكحول انه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم ، اذا رأى البيت رفع يديه فقال : « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتكريما ومهابة ، وشرفه ممن حجه واعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا » •

■ ■ ■

المسجد الحرام وفضل الصلاة فيه

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » •

وعن ابن أبي مليكة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من خمس وعشرين ألف صلاة فيما سواه من المساجد » • صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم •

■ ■ ■

فضل الطواف بالكعبة

عن جابر بن عبد الله ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا البيت دعامة الاسلام ، من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه ان يدخله الجنة ، وان رده أن يرده بأجر وغنيمة » •

بسم الله الرحمن الرحيم

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
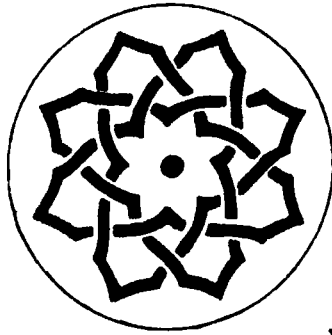
سمير سالم

١٣٩٨هـ

صدق الله العظيم

• لوحة فنية - اعداد الاستاذ سمير ابراهيم سالم

رد اعتبار للحضارة الاسلامية

○ بقلم : مسلم

١ ـ في امريكا صدرت الموسوعة الضخمة : عبقرية الحضارة العربية عن شركة امريكية بمناسبة عيدها الماسي .

٢ ـ في بريطانيا (جامعة كمبردج) موسوعة مقدمة للحضارة الاسلامية (سافوري ، شارلز ادمز ، بوزورت ، ميلارد) .

٣ ـ في فرنسا : دار موسوعة السفي بباريس : كتاب عالم الاسلام تأليف جماعة من الاساتذة الاوربيين والامريكيين .

صدرت هذه الكتب في وقت متقارب خلال العامين الاخيرين فماذا توحى هذه الظاهرة الجديدة في الفكر الغربي بعد مرحلة طويلة من العقوق والصمت والتجاهل الشديد اما اولهما فقد صدرت تحت عنوان « عبقرية الحضارة العربية » في ٥٠٠ صفحة بالاضافة الى ٧٦ لوحة بالالوان تصور المناطق الاثرية وبعض المخطوطات الدينية النادرة اشترك في تحريرها نخبة من الاساتذة العرب والاجانب قال دينس ديفيز في مقدمة الموسوعة « ان هذا الكتاب موجه الى كل من يظن خطا ان العرب فريق من المتوحشين لا حضارة لهم ولا ثقافة فهؤلاء الذين قدموا للانسانية حضارة الانسان المعاصر فمنطقة الشرق العربي التي تشهد الان صراعات عديدة يحارب فيها العرب من اجل السلام والعدل هي نفس المنطقة التي قدمت من قبل للانسانية اديانها وقدمت الكثير من العلماء في ميادين الطب والهندسة والكيمياء والعديد من الادباء والفنانين في زمن كانت فيه اوربا تعيش في ظلام العصور الوسطى الذي اضاء الطريق للانسانية واشار المستشرق الى ان هدف الموسوعة هو : « تصحيح آثار تاريخ

الشرق الإسلامي هو ميدان العقل والروح

طويل ومضيء لحضارة عانت من الاهمال زمنا طويلا حتى يمكن للمطلع التعرف على منجزات العرب وتراثهم الانساني الفريد فموضوع الموسوعة هو الحضارة العربية قديما وحديثا وقد ساهم في اعدادها نخبة من المتخصصين وضعوا خلاصة علمهـــم الواسع في عدد قليل من الصفحات باسلوب سهل واسع والموسوعة خلاصة جهد كبير بذل لالقاء الضوء على أمجاد العرب الماضية التي لا تزال تملأ الدنيا حتى يومنا هذا.

تتحدث الموسوعة باسهاب عن تاريخ العرب منذ ظهور العالم الاسلامي وبداية الفتوح العربية في القرن السابـــع الميلادي ويقدم تقييما لاسهام العـــرب في الثقافة الاسلامية مع عـــرض لبعـض المخطوطات الاسلامية النادرة ، ثم يقدم وصفا للدور الحيوى الذي لعبته الحضارة العربية كهمزة وصل بين حضارة اليونان القديمة واوربا في العصـــور الوسطـــى هذا العصر الذهبي للاسلام وما قدمه العرب خلاله من علم وحضارة وما حافظوا عليه من تراث العالم القديم خاصة تدويـــن الادب العربي ومجموعة القوانين الاسلامية العظيمة والكشوف النادرة في مجال العلوم والرياضيات والفلك والفلسفة ، وتتحدث عن نشاط العرب في مجال الاقتصادوالتجارة واسواقهم ، وهذه الموسوعة التي اشتـــرك فيها ابراهيم مدكور، ومنح خوري ومجيد فخرى واوليج جرابـــار (استاذ الفـــن والعمارة) وسامي حمارنة (استاذ علوم الحياة) وعبد الحميد صبره ودونان هيل (استاذ التكنولوجيا الميكانيكية) تعنى بالناحية العربية وتنحو نحو مفاهيم الاستشراق في نسبة الحضارة الى العرب لا الى الاسلام وهو تيار استشرى في الاربعينات ثم ضعف بعد ذلك، بعد ان كشفت الابحاث بالادلة القاطعة على ان مادة الاسلام وفكره مـــن توحيد والتزام اخلاقي وقوانين قدمهـــا القرآن الكريم هو الذي صهر العـــرب والترك والفرس في بوتقة مفهوم واحـــد جامع هوالذي صدرت عنه الثقافةالاسلامية العريقة والحضارة الاسلامية بمعناهـــا الاصيل وهي تحرير الانسان من عبوديـــة الامبراطوريات الزائلـــة (الرومانيـــة والفارسية والفرعونية وغيرها) وتحرير العقل الانساني من عبودية الوثنية وبيوت النيـــران .

ولعل موسوعة جامعة كمبردج كانـــت اصدق تعبيرا عن هذا المعنى حين اطلقت اسم (مقدمة للحضارة الاسلامية) حيـــث

يقول المشرف عليها : « ان هناك ثلاثة جوانب في هذه الحضارة لاتنال في الوقت الحاضر ما تستحقه من الدراسة هي الادب واللغة والشريعة بالرغم من ان هذه الجوانب كانت في عصر الاسلام الذهبي فقد شغلت افضل العقول في الشرق الاوسط وانتجت هذه العقول مؤلفات هي قمة في العظمة والتفصيل والدقة وقد بقي منها قدر هائل وان كان هذا لا يمثل الا جزءا منها فقد اهتمت هذه الحضارة بالدقة اللغوية والتعبير الادبي وكرست نفسها لتنظيم جميع جوانب الحياة بتشريعات فقهية .

كذلك كان الشرق الاسلامي هو في ميدان العقل والروح ولزمن طويل موطنا لتراث حي ونشيط في التفكير الديني والفلسفي، ولقد كانت اضافات المسلمين الى التراث العلمي والى الطب والرياضيات واضحة جدا ، وفي الفلك والكيمياء ذهب الفقهاء المسلمون الى اقصى مكان ممكن ان يصل اليه عالم لا يمتلك التلسكوب ولا الادراك الاوضح للبناء الكيماوى او الطريقة العلمية الحديثة وكل ما انجزوه في هذه الميادين (العلوم والطب والرياضيات) اخذه الغرب وظل بدون تغيير لعدة قرون وبعض هذه العلوم لم يعرفها الغرب كاللوغاريتمات والكسور والبصريات والتحكم في الكولسترول وغير ذلك لم يكتشفها الغرب الا بعد زمن طويل وبعد بحث وضني وكثير من العلماء المحدثين ومؤرخي العلم لا يدركون هذا ، ولكن الاسهامات الاكثر دواما التي قدمها المشرق الاسلامي للغرب هي في الاشياء المادية حيث لا زالت تسمى باسماء عربية وفارسية او تركية وقد نقلت هذه عن طريق التجارة او الحروب».

سؤال .. وجواب :

ويتساءل الاستاذ ديكنز بعد هذه المقدمة: ماالذي استعاره الغرب من الشرق ؟ .

ويجيب :«ان استعارات الغرب من الشرق الاوسط تشكل من الناحية العملية جميع نسيج الحضارة الاساسي ولولا هذه الاستعارات الاساسية من الشرق الاوسط لكنا تفتقر الى اشياء كثيرة مالم يكن لدينا القدرة والسرعة على ابتكارها بانفسنا، ومن هذه الاشياء الزراعة وتدجين الحيوانات والملبس والمواصلات ثم النسيج والحياكة والبناء وعمليات الرى والصرف وتعبيد الطرق واختراع العجلة واعمال التعدين والسفن الشراعية والمراقبة الفلكية والتقويم السنوى والكتابة وحفظ السجلات والقوانين والحياة المدنية وصك النقود او التفكير المجرد والرياضيات ومعظم افكارنا .

وتجيىء موسوعة « عالم الاسلام » التي صدرت بمناسبة المهرجان العالمي الاسلامي الذي اقيم في لندن فتقع في (٣٥٠) صفحة بصحبتها خمسمائة صورة ولوحة وخريطة تبرز المعالم الرئيسية في الحضارة الاسلامية وتاريخ الاسلام منذ نشأته الى عصرنا هذا ، وبالموسوعة ثلاثة عشر فصلا كتب كل منها استاذ متخصص في احد فروع الدراسات الاسلامية في الجامعات الاوربية والامريكية المختلفة ، وقد ركزت هذه الموسوعة على اربعة مناطق في العالم محددة بالدراسة المفصلة وهي اسبانيا وفارس والعالم العثماني والهند كما تناولت دراسات الحضارة الاسلامية والحكومة والفن والادب والموسيقي والعلوم وشئون الحرب .

وقد تناولت هذه الموسوعة بالدراسة ابطال المقاومة المسلحة في العصر الحديث امثال محمد علي ومهدى السودان والامير عبد القادر الجزائري والريسوني وبومعزة وبوحمادة وابراهيم باشا ومحمد عبده وجمال الدين الافغاني .

وبالجملة فان هذه الدراسات التي

« رد اعتبار للحضارة الاسلامية »

تشرف عليها دوائر اجنبية تحتاج الى مراجعة والى حذر شديد في تقبل ما فيها من مادة لانها بالرغم من انها تعطى في صورتها العامة ما يمكن ان يسمى التقدير او اعادة النظر او رد الاعتبار للحضارة الاسلامية بعد فترة طويلة من الصمت والتجاهل محل الاحتقار للاسلام وعقيدته وتاريخه وفكره على النحو الذي نراه في كتابات المستشرقين والمبشرين ، نقول بالرغم من انها تمثل تحولا الا انها لا تخلو ابدا من النقص والدس والغمز خاصة اذا كان من بين المشرفين عليها بعض الكتاب اليهود والغربيين الكارهين للاسلام او الموالين للصهيونية .

ونحن مع تقديرنا للجهد المبذول فان هذه الدراسات في حاجة الى مراجعة شاملة والى تصحيح ما ورد فيها من اخطاء فان برنارد لويس اليهودي وطائفة من زملائه لا يمكن بحال ان يقيموا هذه الابحاث الواسعة دون ان يدسوا من فكرهم ومفاهيمهم واحقادهم على الاسلام واهله وحضارته وتاريخه ، ومن ذلك ما نجده في كتابات برنارد لويس في موسوعة (عالم الاسلام) من تصويره السيء لخروج المسلمين من الاندلس ومن شرق اوربا ايام الدولة العثمانية فانه لا ينسى احقاده بان يصف ذلك في عبارة:الطرد واجبار على التراجع وغيرها من عبارات لا تتفق مع حقيقة الواقع . كذلك فانه يلس سمومه حين يعرض لخلافة عثمان ويصورها على انها نصر للارستقراطية الملكيه (كذا) حيث يصف امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بانه كان ينتمي الى اسرة كبيرة وانه قد اعقب ذلك انسام المسلمين والفتنة الكبرى ولا ريب ان هذا التصور خاطيء في جملته وفي تفصيله ، كذلك نجد برنارد لويس يشير الى الاسلام في بعض فصوله باسم المحمدية والى المسلمين باسم المحمديين ، وتلك دعوى باطلة فان الاسلام هو المنسوب الى اسم الدين الحق منذ انزل الله الدين ، اما غير المسلمين فهم الذين نقلوا اسم الدين (الاسلام) الى العنصر فاطلقوا عليه اليهودية او الى اسم النبي فاطلقوا عليه المسيحية اما المسلمون فانهم ثبتوا على الاسلام المنزل الكريم .

وحين يعرض برنارد لويس لتاريخ الاسلام يمر سريعا بصفحات الفتح والتوسع وفتوى الاسلام السليمة في افريقيا وجنوب شرق آسيا ويركز على بعض المواقف الصغيرة التي ليس لها اى اهمية في دلك التاريخ الضخم الواسع كخروج الاسلام من صقلية او ما يسميه طرد المسلمين من الاندلس او هزيمة الاتراك العثمانية بعد محاصرتهم لاسوار فينا وفي كتابات برنارد لويس وغيره ما يوحى بنسبة هزيمة المسلمين الى الاسلام بينما ان الحقيقة الجهيرة هو ان هزيمة المسلمين ما جاءت الا لخروجهم على قواعد الاسلام وقوانينه ، وان هزيمة المسلمين لا صلة لها مطلقا بتلك الاسس المنزلة للدين الحق والتي هي مصدر النصر لكل من تمسك بها .

وبالجملة فان هذه الدراسات بالرغم من مظهرها الذي يوحى بالتقدير والتكريم للاسلام فانها تحمل سموما كثيرة وتحتاج الى مراجعات واسعة .

صفات النفس الشعورية

للاستاذ :
عبد الرحمن حسن حبنكة
الاستاذ المساعد بكلية الشريعة
بمكة المكرمة

أولا : الهوى :

اثبت القرآن ان النفس لها هوى ، والهوى شعور يميل بها الى ما تحب من مطالب وحاجات ، أو متع ولذات وشهوات ، أو عواطف وانفعالات . وقد يكون ما تهواه شرا لها ، او اذى أو ضرا . قال الله تعالى :

« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى » النازعات ٤٠-٤١ .

وقال تعالى في معرض الكلام عن المشركين :

« ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » النجم ٢٣ .

وخاطب الله اليهود بقوله :

« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » البقرة ٨٧ .

وتحدث عنهم بقوله :

« لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » المائدة ٧٠ .

ثانيا : الشهوة :

وأثبت القرآن أن النفس لها شهوة بها تشتهي ما تستمتع به أو تلذه ، ولذلك وصف الله أهل الجنة بقوله :

« وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون» الانبياء ١٠٢ .

وخاطبهم بقوله :

« ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون » فصلت ٣١ ٠

ووصف الجنة بقوله : في سورة (الزخرف) :

« وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ٠٠٠ » ٧١ ٠

ثالثا : الحاجات والمطالب :

وأثبت القرآن أن للنفس حاجات ومطالب تسعى لقضائها ، من ذلك ما ذكره الله تعالى في شأن يعقوب عليه السلام :

« الا حاجة في نفس يعقوب قضاها » يوسف ٦٨ ٠

رابعا : الشعور بالمشقات :

وأثبت القرآن أن النفس تشعر بالمشقات ففي وصف ما خلق الله لنا من الانعام ممتنا به علينا ، قال تبارك وتعالى :

« وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم » النحل ٧ ٠

خامسا : الصبر وضده :

وأثبت القرآن أن الصبر من الصفات التي قد تتصف بها النفس ، واثبات هذا لها على سبيل الاحتمال يقتضي أنها قد لا تصبر ، أي : فهي قد تضجر ولذلك خاطب الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » الكهف ٢٨ ٠

سادسا : الجود وضده :

وأثبت القرآن أن الجود أو الشح وما بينهما من الصفات التي تتصف بها النفوس البشرية ، ففي اتصاف الانفس بالشح وانه الغالب فيها ، يقول الله تعالى :

« واحضرت الانفس الشح ٠٠٠ » النساء ١٢٨ ٠

وفي التوجيه للتخلص من شح النفوس قال تعالى في سورتي (الحشر) و (التغابن) :

« ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » (٩) / (١٦) ٠

وفي طيب نفس الزوجات بشيء من مهورهن لازواجهن ، قال الله تعالى :

« فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » النساء ٤ ٠

وفي الحث على الانفاق ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتا من الانفس لصدق اليقين بالله والثقة به ، والاخلاص له في العمل ، وتثبيتا من الانفس لخلق الجود الذي يرضى الله عنه بممارسة العطاء في كل مجال من مجالات الخير التي يبتغى بها مرضاة الله تعالى ، قال الله عز وجل :

« ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم ، كمثل جنة بربوة أصابها وابل فاتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير » البقرة ٢٦٥ ٠

سابعا : الحسد وضده :

وأثبت القرآن أن الحسد من الصفات التي تتصف بها النفوس ، وظاهر ان النفس اذا برئت من صفة الحسد اتصفت بضده ، ففي بيان حال كثير من أهل الكتاب ، قال الله تعالى :

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم

من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعدما تبين لهم الحق .. ، البقرة ١٠٩ .

ثامنا : الخوف وضده :

واثبت القرآن ان الخوف من الصفات التي تتصف بها النفوس ، وظاهر ان النفس اذا برئت من صفة الخوف اتصفت بضده ، ففي وصف حالة موسى النفسية حينما قام سحرة فرعون باعمالهم . فألقوا حبالهم وعصيهم ، وخيل اليه من سحرهم انها تسعى ، قال الله تعالى :

« فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى » طه ٦٧ـ٦٨ .

تاسعا : الكبر وضده :

واثبت القرآن ان الكبر من الصفات التي تتصف بها النفوس وظاهر ان النفس اذا برئت من صفة الكبر اتصفت بضده، ففي شان المشركين الذين لا يؤمنون باليوم الآخر . قال الله تعالى :

« وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة ، او نرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا » الفرقان ٢١ .

عاشرا: الضيق والحرج :

واثبت القرآن ان الضيق والحرج من الصفات التي قد تتصف بها النفوس ، وهذا يدل على ان ضد ذلك وهو الاتساع والانشراح من الصفات التي قد تتصف بها أيضا ، ففي ربط صدق الايمان بتحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامور القضائية التي اختلط امرها ، والتسليم التام لحكمه ، قال الله تعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » النساء ٦٥ .

وفي شأن الثلاثة الذين خلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك ، قال الله تعالى :

« وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ان لا ملجأ الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » التوبة ١١٨ .

حادي عشر : التأثر بالقول البليغ :

واثبت القران ان النفوس قد تتأثر بالقول البليغ ، فتستجيب للموعظة ودعوة الحق ، ففي شأن طائفة من المنافقين قال الله تعالى :

« اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، فاعرض عنهم ، وعظهم ، وقل لهم في انفسهمقولا بليغا » النساء ٦٣ .

ثاني عشر : مشاعر التحسر والندم :

واثبت القرآن ان مشاعر التحسر والندم من الصفات التي قد تتصف بها النفوس . قال الله تعالى لرسوله :

« فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ان الله عليم بما يصنعون » فاطر ٨ .

والنفس الظالمة هي التي تتحسر يوم القيامة على ما فرطت في جنب الله

ى الله تعالى :

« ان تقول نفس يا حسرتا على مـــا
طت في جنب اللـــــه ، وان كنت لمن
ساخرين » الزمر ٥٦ ٠

لث عشر : الادراك الى حد لاستيقان :

ودلت النصوص القرآنيـــة على أن
دراك العلمي على اختلاف مستوياته
، الصفات التي تتصف بها النفـــس
نسانية ، ففي مستوى اليقين ، نجد
القرآن قد تحدث عن الحالة النفسية
رعون وقومه ، أمام الآيات التي جاء
ا موسى عليه السلام فقال الله تعالى:

**« وجحدوا بها واستيقنتها انفسـهم
لما وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبـة
فسدين » النحل ١٤ ٠**

**وفي مستوى الظن الباطل نجـد أن
قرآن قد تحدث عما كان في نفـوس
ائفة من المنافقين في غزوة أحـــد ،
ن ظنون باطلة جاهلية دفعتهم الىالهم
طلاق مقالات الكفر والردة ، فقال الله
الى :**

**« ثم انزل عليكم من بعد الغم امنـة
اسا يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد
متهم انفسهم يظنون بالله غير الحق
ن الجاهلية ٠٠ » آل عمران ١٥٤ ٠**

**وبين هذين المستويين الاعلى والادنى
ائر المستويات الادراكية ٠**

عرفة طريقفجورها وطريق قواهــــا :

**ومن الخصائص الادراكية معرفـــة
ريق الفجور وطريق التقوى ، وقـــد**

**منح الخالق النفوس الانسانية القـدرة
على معرفة هذين الطريقين من طـــرق
سلوك الانسان في الحياة ، طريــــق
الفجور ، وطريق التقوى ، فحينما تتجه
النفس الى سلوك طريق الفجور تتجـه
اليه وهي عارفة بانه طريق شر ، فهي
بصيرة بما تعمل ، وحينما تتجه الى
سلوك طريق التقوى ، تتجه اليه وهـــي
عارفة بانه طريق خير ، فهي بصيرة بما
تعمـــــل ٠**

هذا ما دل عليه قول الله تعالى :

« ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب
من دساها » الشمس ٩.٨.٧ ٠

وقول الله تعالى :

« بل الانسان على نفسه بصيرة ولو
القى معاذيره » القيامة ١٥.١٤ ٠

لذلك فهي تعلم يوم القيامة ما قدمت
من عمل وما أخرت ، قال الله تعالى :

« واذا القبور بعثرت علمت نفس ما
قدمت وأخرت » الانفطار ٥،٤ ٠

ونظير هذا قول الله تعالى :

«علمت نفس ما أحضرت»التكوير ١٤ .

أي : ما أحضرت من عمل عملته في
فترة امتحانها ، ويكون هذا يوم الدين
بحسب ما دلت عليه الآيات السابقات ٠

واذا كانت النفس تعلم فهي تجهل
أيضــــا ٠

ومما تجهل ما تكسب غدا ، والارض
التي قدر لها أن تموت فيها ، قال اللـــه
تعالـــــى :

« وما تدري نفس ماذا كسبت غـدا
وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله

عليم خبير » لقمان ٣٤ ٠
ومما تجهل كل نفس ما أخفى الله للمؤمنين المتقين من قرة أعين في جنة النعيم . قال الله تعالى :
« انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا . وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » السجدة ١٥،١٦،١٧ ٠

رابع عشر : القدرة على اخفاء المطالب والمشاعر :

ودلت النصوص على أن من صفات النفس القدرة على اخفاء مطالبها ومشاعرها في ذاتها ٠
ففي بيان حال طائفة من المنافقين الذين أخفوا في أنفسهم اشياء يوم غزوة أحد ، قال الله تعالى لرسوله :
« يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك» آل عمران ٥٤ ٠
وخاطب الله المؤمنين بقوله :
« لله ما في السموات وما في الارض . وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله . فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . والله على كل شيء قدير » البقرة ٢٨٤ ٠
وخاطبهم أيضا بقوله :
« واعلموا أن الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور رحيم» البقرة ٢٣٥ ٠
وخاطب الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله له :
« واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك ، واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » الاحزاب ٣٧ ٠
وفي عرض قصة يوسف عليه السلام مع اخوته ، قال الله تعالى :
« قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ، فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ، قال أنتم شر مكانا ، والله أعلم بما تصفون » يوسف ٧٧ ٠
وفي شأن المنافقين وما أسروه في نفوسهم قال الله تعالى :
« فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » المائدة ٥٢ ٠
وقال عيسى لربه كما أخبرنا الله :
« ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب » المائدة ١١٦ ٠

(د) والنفس الانسانية مكلفة ومسئولة مسئولية شخصية :

وقد اثبت القرآن أن النفس الانسانية مكلفة في هذه الحياة الدنيا ، ضمن حدود الاستطاعة . وأن تكليفها يرتفع متى فقدت الاستطاعة . دل على هذه الحقيقة عدة نصوص قرآنية منها ما يلي ٠
١ ـ قول الله تعالى :
« لا تكلف نفس الا وسعها » البقرة ٢٣٣ ٠

يوم القيامة تعطى

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ٠٠٠ » البقرة ٢٨٦ ٠

٢ ـ وقول الله تعالى في سورتي (الانعام) و (الاعراف) .

« لا نكلف نفسا الا وسعها ٠٠ » (١٥٢) / (١٤٢) ٠

٣ ـ وقول الله تعالى

« ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون » المؤمنون ٦٢ ٠

٤ ـ وقول الله تعالى .

« لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ٠٠» الطلاق ٧ ٠

وكلف الله الانسان بأن يذكر ربه في نفسه تضرعا وخيفة . فقال الله تعالى :

« واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ، ودون الجهر من القول ، بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » الاعراف ٢٠٥ ٠

والتكليف يستتبع المسئولية ، ويستتبع الجزاء ، وقد أثبت القرآنذلك للنفس الانسانية ، وأثبت أن مسئوليتها مسئولية شخصية ، دل على قانون الجزاء عدة نصوص قرآنية منها ما يلي:

١ ـ قول الله تعالى :

« ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » طه ١٥ ٠

٢ ـ وقول الله تعالى :

« ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب » ابراهيم ٥١ .

٣ ـ وقول الله تعالى :

« اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب » غافر ١٧ ٠

ودل على ان مسئولية كل نفس مسئولية شخصية عدة نصوص ايضا منها ما يلي

١ ـ قول الله تعالى

« ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه . وكان الله عليما حكيما . النساء ١١١ ٠

٢ ـ وقوله تعالى

« قد جاءكم بصائر من ربكم . فمن ابصر فلنفسه . ومن عمي فعليها . وما انا عليكم بحفيظ الانعام ١٠٤ ٠

٣ ـ وقول الله تعالى

« قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم . فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه . ومن ضل فانما يضل عليها . وما انا عليكم بوكيل » يونس ١٠٨

ولما كانت مسئولية كل نفس مسئولية شخصية . لزم ان لا تجزى نفس عن نفس شيئا . دل على ذلك قول الله تعالى

« واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون » البقرة ٤٨ ٠

وقوله تعالى

« يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله » الانفطار ١٠٩ ٠

(هـ) ونفس الانسان كاسبة لاعمال الخير و لاعمال الشر :

كل نفس حول الدفاع عما كسبت

وأثبت القرآن أن النفس الانسانية كاسبة لما يصدر عن الانسان من أعمال خير وأعمال شر . وان الله يعلم ما تكسب كل نفس . . قال الله تعالى مبينا علمه بما تكسب كل نفس :

« يعلم ما تكسب كل نفس . وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار » الرعد ٤٢ .

وقال أيضا :

« أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ؟ » الرعد ٣٣ .

وأثبت القرآن أن الايمان من أعمال النفوس الانسانية . قال الله تعالى :

« هل ينظرون الا أن تاتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ؛ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في ايمانها خيرا ، قل انتظروا انا منتظرون » الانعام ١٥٨ .

وقال الله تعالى .

« وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » يونس ١٠٠ .

فالنفس على هذا تشمل في دائرتها الواسعة القلب وما يتعلق به من مفاهيم وأعمال . وسبق أن النفس تشمل أيضا ما يتعلق بالنشاط الادراكي الفكري .

ولما كانت الغاية من خلق الانسان في هذه الحياة الدنيا امتحانه ، وكانت أعماله فيها مظهرا لما تكسبه نفسه ، وكان عدل الله يقضي بتوفيته جزاءه ، كان لا بد من وجود آخرة توفى فيها كل نفس ما كسبت . قال الله تعالى :

« واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » البقرة ٢٨١ .

وقال الله تعالى :

« فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » آل عمران ٢٥ .

ونظيرها قول الله تعالى .

« ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » الزمر ٧٠ .

وقال الله تعالى :

« قل أغير الله أبغي ربا ، وهو رب كل شيء ، ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى . ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » الانعام ١٦٤ .

لذلك كانت العقوبات المعجلة التي تنزل بالانسان . انما تنزل به بسبب من نفسه ، أي . بما كسبت نفسه من ذنوب، قال الله تعالى :

« ما أصابك من حسنة فمن الله . وما أصابك من سيئة فمن نفسك » النساء ٧٩ .

ونظيرها قول الله تعالى :

« أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل . هو من عند أنفسكم . ان الله على كل شيء قدير » آل عمران ١٦٥ .

فالنفس العاقلة هي التي تحسب حساب المستقبل فتنظر ماذا قدمت له وتجتهد في تقديم الاعمال الصالحة حتى تنال الاجر العظيم عند الله . قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »الحشر ١٨ ٠

وأثبت القرآن أن كل نفس تكون يوم القيامة رهينة بما كسبت ، حتى تحاسب ويقرر مصيرها ، الا أصحاب اليمين ، فهم في جنات يتساءلون عن المجرمين، يقولون لهم : ما سلككم في سقر ؟ قال الله تعالى :

« كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر ؟ » المدثر ٣٨_٤٢ ٠

وطبيعي أن تجد يوم القيامة كل نفس ما عملت من خير أو شر محضرا، مسجلا لان ذلك هو المستند لمحاسبتها ، قال الله تعالى :

يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ، ويحذركم الله نفسه ، والله رؤوف بالعباد » آل عمران ٣٠ ٠

وهنالك تختبر كل نفس نتيجة ما أسلفت من عمل في الحياة الدنيا ، قال الله تعالى :

« هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ، وردوا الى الله مولاهم الحق ، وضل عنهم ما كانوا يفترون » يونس ٣٠ ٠

فالنفس الظالمة حين تجد هول عقابها تتمنى لو أنها تملك ما تفتدي به لافتدت به ، ولو كان ما في الارض جميعا ، قال الله تعالى :

« ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به . واسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون » يونس ٥٤ ٠

وتحقيقا لقواعد العدل الربانية تعطى يوم القيامة كل نفس حق الدفاع عما كسبت ، قال الله تعالى :

« يوم تأتي كل نفس تجادل عننفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون» النحل ١١١ ٠

ولما كان لدى كل نفس في فطرتها القدرة على تقويم اعمالها . ومحاسبة نفسها ، نظرا الى انها بصيرة بحقيقة ما عملت فانها تعطى كتاب عملها لتقرآه وتحاسب نفسها محاسبة ذاتية . قال الله تعالى .

« وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك . كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » الاسراء ١٣ . ١٤ ٠

وتسجيل اعمال النفس في الحياة الدنيا يقتضي ان تكون موضوعة موضع المراقبة الدائمة . قال الله تعالى .

« ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » ق ٢٠ . ٢١ ٠

اي : ملك يسوق الى المحشر ، وملك يشهد بالاعمال التي كان قد سجلها في الحياة الدنيا على النفس ٠

(و) والنفس ذات ارادة حرة :

ودلت النصوص القرآنية على أن النفس الانسانية ذات ارادة حرة ، تختار بها طريق هدايتها أو طريق ضلالتها . فهي غير مجبرة . نفهم هذا

من قول الله تعالى :

« ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولكن حق القول مني لاملأن جهنـم من الجنة والناس أجمعين » السجدة ١٣ ·

أي : لو شئنا أن نجعل النفوس من الجن والانس مجبرة غير مخيرة لآتينا كل نفس هداها . ولكن المشيئة قـررت التخيير ، ويلزم من التخيير أن تختـار بعض النفوس طريق هداها ، وتختـار الاخرى طريق ضلالها ، وعندئذ تقضي الحكمة بالتفريق في الجزاء ، ففريق في الجنة وفريق في السعير ·

(ز) والنفس الانسانية ذات أطراف ثلاثة أعلى وأسـفل وأوسـط :

فالطرف الاسفل من النفـس يوسوس ويسول بالسوء وممارسة مـا فيه شر وضر واثم طلبا للمتع واللذات العاجلة ، فهو امار بالسوء ، دل على هذا الطرف الشيطاني من النفس ووساوسه وتسويلاتـه وكونه امارا بالسوء عدة نصوص قرآنية ، منها ما يلـي :

١ ـ قول الله تعالى ·

ولقد خلقنا الانسان ونعلم مـا توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ق ١٦ ·

٢ ـ وقول الله تعالى حكايه عـن السامري :

« قال بصرت بما لم يبصروا بـه فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي » طـه ٩٦ ·

٣ ـ وقول الله تعالى حكايـة لقول يعقوب عليه السلام لبنيه

« وجاءوا على قميصه بدم كذب ، قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعـان على ما تصفون » يوسف ١٨ ·

٤ ـ والقاتل من ابني ادم لاخيه قـد طوعت له نفسه بوساوسها وأوامرهـا الملحة قتل اخيه فقتله ، قال الله تعالى في شانه

« فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتلـه فاصبح من الخاسرين » المائدة ٣٠ ·

٥ ـ وقال يوسف عليه السلام متحدثا عن نفسه ، حول قصته مع امراة العزيز

« وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيـم » يوسف ٥٣ ·

وقد قص الله علينا ذلك من غير تعليق فدل على اقراره ·

والطرف الاعلى من النفس يامـر بفعل الخير ، وينهى عن فعـل الشر فاذا استجابت له مراكز الارادة المنفذة في الطرف الاوسط من النفس اطمـان وسكن وذاق حلاوة فعل الخير وترك الشر ، واذا لم تستجب له مراكز الارادة المنفذة ، مسه القلق والاضطـراب وشعر بوخزات الاثم والخوف مـن العقاب ، وبدا يوجه الملام فهو في هذه الحالة الطرف اللوام وقد دل على هذا الطرف الرباني من النفس عدة نصوص من القرآن والسنة ، منها ما يلي

١ ـ قول الله تعالى

« لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسـم

فكــرة النبــوة

رأى الفلاسفة

للدكتور : محي الدين الالوائي

قالت الفلاسفة ، ان السعادة لما كانت هي المطلوبــة لذاتها ، ولا تنال الا بالحكمة ، وان الحكمة علمية وعملية ، والقسم العلمي هو علم الحق ، والقسم العملي هو عمل الخير • وقالوا ان الوصول اليهما بالعقل الكامل ، والرأى الراجح ، والانبياء عليهم الســلام ايدوا بامدادات روحانية تقريرا للقسم العملي ولطــرف ما من القسم العلمي ، والحكماء تعرضوا لامدادات عقلية تقريرا للقسم العلمي ، ولطرف ما من القسم العملي ، ثم قالوا في معرض بيــان غايةِ الحكيم وغاية النبي : ان غاية النبي ان يتجلى له نظام الكون فيقدر على ذلك مصالح العامة ، حتى يبقى نظام العالم وتنتظــم مصالح العباد ، وذلك لا يأتي الا بترغيب وترهيب ، وغاية الحكيم هو ان يتجلى لعقله كل الكون ، ويتشبه بالحق بغاية الامكان • وعلى الرغم من وجود عدد كثير من الفلاسفة والحكماء ، لايقول بالنبوات اصلا ، فان عددا كبيرا من اساطين الحكمة وعظماء الفلسفــة ، أخذوا علمهم وحكمتهم من مشكاة النبوة •

أنــواع النبــوات :

نمت فكرة النبوة في الانسانية، كما نمت فكرة الالهية منذ اقدم العصــور ، واذا تتبعنا القرآن الكريم نجد احصاءا عجيبا للنبوات الغابرة بانواعها ، حيث لم يدع منها نوعا واحدا عرفه اصحاب المقارنة بين الاديان ، ومن انواع النبوات الغابرة: نبوة السحر ، ونبوة التنجيم ، ونبــوة الكهانة ، ونبوة الجذب ونبوة الرؤيــا

في النبوة

والاحلام وما الى ذلك ، وعلى رغم اختلاف مصادرها ، ونظرة الناس اليها ، ومقدرة اثرها في اتباعها ، فكلها يدعى العلم بالغيب ، والقدرة على تسخير الطبيعة ، فنبوة السحر موكلة بالارواح الخبيثة تسعى للاطلاع على المجهول والسيطرة على الحوادث . والكاهن نبوته تتوقف على البيئة التي تنشأ فيها الهياكل والصوامع المقصودة ، ونبوة الكهانة تلبى دعوات الناس ، وترشدهم بالعلامات والاحلام الى مغالق المجهول ، واما المجذوب فينطلق لسانه بالعبادات المبهمة ، وهو لا يتقدم بالمراسيم ــ والاوضاع المصطلح عليها ، ونبوة الجذب كانت شائعة في اليونان .

كان العبريون يؤمنون بهذه النبوات جميعا ، وبينهم ظهرت الديانة الموسوية ، التي كانت اولى الديانات الكتابية .

كلمة النبوة :

اول شعب استعمل كلمة النبوة بمعنى النبوة الالهية ، لفظا ومعنى ، هو الشعب العبرى ، وقد عرفت قبائل العبريين جميع انواع النبوات السابقة ، من السحر والكهانة والتنجيم ، كما عرفتها الشعوب البدائية الاخرى العديدة . ولم تكن عند العبريين كلمة تؤدي هذا المعنى ، قبل وصولهم الى كنعان ومجاورتهم للعرب المقيمين في ارض مدين ، وكانوا يسمون النبي بالرائي او الناظر او رجل الله . فتعلموا النبوة الالهية بلفظها ومعناها من هؤلاء العرب . ومن علماء الاديان الغربيين الذين يؤيدون هذا الرأى الاستاذان « هو لشر » وشميدت اذا اكد ان كلمة النبوة دخلت في اللغة العبرية بعد وفود العبريين على فلسطين . واما اللغة العربية بوفرة كلماتها وسعة مجالها ، فلم تكن في حاجة يوما من الايام لاستعمال الكلمات المتشابهة لمعان مختلفة من جميع الوجوه ، وما كانت النبوة تلتبس في لغة العرب بالكهانة او الرؤيا او التنجيم او السحر او العرافة او العيافة ، وكذلك كلمة « النبي » ما كانت تستعمل للرائي والناظر وغيرها . فكان لكل منها مقام خاص ، ومقال معين .

والذي يتضح من الكتب المأثورة « لبني اسرائيل » انهم امنوا بهذه النبوات جميعا، وبعد ان انتشرت فيهم النبوة الموسوية ،

فكرة النبوة

لم يسلموا من الخلط بين مطالب التنجيم او السحر ، ومطالب الهداية الالهية . كما كانوا يطالبون الانبياء بدلائل وبراهين على صدق دعوتهم وفقا لمعتقداتهم القديمة من التنجيم والكشف عن المغيبات وطلب المعجزات المادية المشهودة .

استعار بنو اسرائيل فكرة النبوة من جيرانهم العرب ففهموا منذ ذلك الحين من النبوة معنى غير النبوات السائدة بينهم ، حتى اتى موسى بدعوته . وجهربها في مصر وخرج بقومه الى كنعان ، ومع جهد بالغ منه لم يعرفوا النبوة على مثال اتم ، واكمل . كما هو بين من قصة السامري وعبادة العجل . واستمرت هذه الفكرة عن النبوة في اوساط العبريين منذ اوائل عهودهم الى اواخر عهدهم . بالانبياء قبل ظهور عيسى عليه السلام ، فما كانت فكرة النبوة عندهم في تلك العهود الطويلة الا فكرة مترادفة لصناعة التنجيم ، او الفراسة التي تنذر بالكوارث المنتظرة . وهي عبارة عن استطلاع للخبايا او صيحة فزع من نقمة « يهودا » واعتقدوا فيه بانه يعاقبهم بالمصائب الحسية كلما انحرفوا عن سنته ، واشركوا بعبادته وبآخر من ارباب الشعوب التي ينازعونها على المرعي والمقام .

والسبب الحقيقي لتسرب هذه الفكرة عن النبوة هو الاخبار الواردة عن احبارهم وكتبة اسفارهم من ان الانبياء قد حلوا محل العرافين والسحرة والرقاة الذين ينقلون اقوال الالهة في غير بني اسرائيل. وجاء في « سفر التقنية » في معرض ذكر عدم تصديق بني اسرائيل باى رب غير « يهودا » رب اسرائيل : « فيقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب الهك في « حوريب » يوم الاجتماع قائلا : « لا اعود اسمع صوب الرب الهي : ولا ارى هذه النار العظيمة ايضا لئلا اموت ، قال لي الرب قد احسنوا فيما تكلموا ، اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به ، ويكون أن الانسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي ، انا اطالبه ، واما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم اوصيه ان يتكلم به ، او الذي يتكلم باسم الهة (اخرى فيموت ذلك النبي وان قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي يتكلم به الرب مما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يضر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي ، فلا تخف منه، وقرر مثل هذا الرأى انالكشف عن الغيب مرادف لمعنى النبوة - وان وقوع الغبر هو الامتحان الوحيد لصدق الانبياء فيما يتحدثون به عن الآلهة ، وان الفرق الشائع بين الانبياء والسحرة والعرافين والمنجمين ، في الامم الاخرى ، هو ان الانبياء اناس يحسنون الكشف عن الغيب، والاخرون اناس يخطئون في هذه الصناعة.

ان بني اسرائيل لم يعرفوا معنى النبوة على مثال اكمل من نبوة موسى عليه السلام، ومبلغ تصورهم من وحي الله اليه انه كان يخاطبه فما الى فم ، وعيانا بغير حجاب ، وفي هذا يقول كاتب الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج : « ان الله نزل في عمود سحاب ، ووقف في باب الخيمة ، ودعا هارون ومريم ، فخرج كلاهما ، فقال . اسمعا كلامي ان كان منكم للرب فبالرؤيا استعلم له . وفي الحلم اكلمه واما عبدى موسى فليس هكذا ، بل هو امين في كل شيء فما الى فم . وعيانا اتكلم معه ، لا بالالغاز » وكانوا يعتقدون ان موسى عليه السلام يسمع كلام الرب فما الى فم ، وعيانا بغير حجاب ، في كل قضية ، ولم يتغير معنى النبوة عندهم الى انتهاء عهد الانبياء في بني اسرائيل .

النبــوة المحمديـــة :

وبعد ستة قرون من اخر رسالة في بني اسرائيل ، جاءت نبوة «محمد بن عبد الله» صلى الله عليه وسلم ، واختار الله تعالى لرسالته الزمان والمكان المناسبين، والشخص المختار . « والله اعلم حيث يجعل رسالته. فاختار شبه الجزيرة العربية بيئة مكانية لهذه الرسالة . والزمن الذي استحصفت فيه الانسانية ، وبلغت مرحلة الرشـــد العقلي . وامة وسطا في اهم المواقــــع الاستراتيجية في الارض وبيتا هو اول بيت وضع للناس ماركا وهدى للعالمـــين . والعالم الانساني كله حينذاك ينتظـــر بفارغ الصبر وينظر شاخصا بصره الى منقذ من ضلال المادة والالحاد وعاصـــم للجنس البشري من الفساد والانحـــلال . ويعيد الى الشعوب الحائرة الطمأنينـــة نبيا - فيقول الله تعالى في شان خاتـــم رسله « قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا الا ماشاء الله . ولو كنت اعلم الغيـــب لاستكثرت من الخير . وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

وليست في نبوة محمد مساومة اواغراء، ولا وساطة ولا قرابين . لانه صـــلى الله عليه وسلم كان يخاطب ضمير الانسان وصفاته الانسانية الخالصة بالتأمل والنظر والتفكـــير يقول القران الحكيـــم « قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ، ولا علم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوي الاعمى والبصير . افلا تتفكرون » ٥٠ الانعام .

الدليل على عدم تركيز النبوة المحمدية على المعجزات والخوارق. قوله عزوجل « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا انما سكرت ابصارنا ، بل نحن قوم مسحورون » ، لان المعجزة لا تفيد عند من لا يتمتع بعقله وضميره وهي تكل الايمان الى العقل . وان صدق النبي لا يتجلى في كتابه المنزل فقط . بل هو متجل في حياته وسيرته . لانه كان المثال الاول والقـــدوة المثلى لمـــا كان يدعو اليـــه وكان يكرر دائما انه بشر مثلهم ، « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى » وان هذه النبوة تدعو الناس الى نبذ الرهبانيـــة والكهنوتية والى تحقيق حيـــاة صالحـــة للافراد والجماعات ، وليست مجرد اقوال ونظريات ، وهي لا تخالف الديانـــات الاخرى ، بل هي دين يجمع ويؤلـــف ، وتوجب على اتباعها احترام عقائد غــيرهم والايمان بان الانسانية امة واحدة تدين لاله واحد وهو رب العالمين .

ادلة وحي النبــوة المحمديـــة :

من المسلم به لدى المؤرخين، المسلمين وغير المسلمين ، ان محمدا صلى الله عليه وسلم قبل بلوغه سن الاربعين لم يكن الا رجلا صادقا امينا ، يشتغل برعي الغنم والتجارة، ولا شك في انه لم يشترك مع قومـــه في عبادة الاوثان بالكعبة ، بل كان يفضـــل الخلود الى الوحدة ، ويذهب في كثير من الاحيان الى غار حراء ، ليتامل ويفكـــر ، ولم يفعل شيئا يدل على حب الرياسة والشهرة، بل كان عزوفا معرضا عن عادات وتقاليد اترابه ، فليس من الممكن ان يقال بانـــه اتي من عند نفسه كتابا يملك زمام البلاغة والفصاحة ، ويعجز فطاحل الادب والشعر،

■ ■

■ قصـــة اسلاميـــة ■

جند النصر

بقلم :
محمد الخضري عبد الحميد

• ■ • ■ •

■ تتعالى انغام المعازف ودقـات الدفوف ، توقعهـا بنشوة حماسية انامل العازفات ، ممتزجة بشدو القيان الحسان وخطي الراقصين والراقصات، وبين الفينة والاخرى تطغي على اصوات العزف والغناء وطرقعات الصناجات ضحكة عالية طروب تتكرر برتابة فاقعة مجلجلة كأنها (اللازمة) المتممة لمقاطع تلـك الانشودة الجماعية الصاخبة يطلقها من فوق منصته الفخمـة المزدانة بالشموع والزهور ، نجـم الحفل وكوكبه اللامـع (جرجـير) !

• ■ • ■ •

كان جرجير في قمـة نشوتـه وذروة سعادته وفرحته ، فكل شيىء رائع وممتع وبهيج من حوله ، الطقس لطيف والريح رخاء واليوم زاهر واعد بمزيد من روائع العطاء ، ولا شيء على الاطلاق يمكن ان يعكس عليه صفو تلك البهجة الدافقة التي يرى انه اهل لها وجدير بها ، بلا مراء.. وذلك امر طبيعي اذ : مم يخشى (جرجير)؟ أيخشى الشعب الناقم عليه من اشياء عديدة في مقدمتها عداوته للاسلام ، وترويجـه اسوأ دعاية ارهابية ضد الاسلام والمسلمين؟ كيف وهو الذي تقبض اصابعه - بحسم واحكام - على كل الخيوط في كافة ارجاء الدولة الشاسعة ، فان علت قليلا همهمات بعض المنجذبين الى تيار الاسلام كان البطش الرهيب بالمرصاد بلا توان وبغير ابطاء ؟ فهل يخشى على المركز السامق والمقعـد الشاهق ، لا ، فانه اذا بدر اقل ملمح من استياء لدى العلية الاروام هناك في البلاط البيزنطي ، فما اسهل ان يزيد من قـدر الخراج المعلوم فتعـود الابتسامـات - المتعاطفة الراضية : تشرق بها وتهلـل وجوه كل (طاقم) العلية ممن بيدهم مقاليد الامور فتعود الى (جرجير) سراعا مبررات البقاء .. ويبقى طالما هو على هذا النحو الفعال من الحصافة والجود وصادق الولاء. صحيح ان دولته العريضة بامتداد الشمال الافريقي (من طرابلس الغرب الى طنجة

الى ساحل المحيط الاطلس) شيء هائل وخطير ولكن ماذايهم من ذلك والدولة الكبيرة المترامية الاطراف هي احدى ممالك الروم وهو الحاكم عليها من قبل بيزنطه وهو الداهية العريق الذي يحذق فن الحكم بالحديد والنار والذي يعرف ـ حين يجد الجد ـ كيف يبرهن عمليا بجيشه الجرار، ان جيش الروم لا يهزم وان (جرجير) انما هو ـ بداهة ، وببساطة ـ (الغول) الذي ينبغي ان تخشاه شعوب وجنود وقادة اية رقعة في العالم تجرؤ على ان تقتحم عليه ارضا او تحاول ان تحتل من مملكته المهولة شبرا ٠

وما يلبث (جرجير) بعد ان ظل مرارا ـ اثر كل ضحكة مدوية واخرى ـ يطرد تلك السحابة القاتمة الكئيبة عن ذهنه الرائق القرير ان يتفكر مليا في كنه ذلك الخاطر الجهم الذي لا يفتأ يلوح في مخيلته فيفسد عليه جانبا من الاستمتاع باطايب الطعام والرقص والغناء ٠٠

ولعل الخاطر ذاته كان يطيف بذهن رجل اخر في أقصى القاعة ، فيتقدم امر الجند بخطى هينة محسوبة منسابا بخفة وكياسة بين امواج الجوارى والفتيان يدارى ما يمور في دخيلته بابتسامات وامضات ينثرها في طريقه هنا وهناك حتى يصل الى المنصة فيومىء ايماءة يسيرة سرعان ما يدرك بعدها (جرجير) التفسير الوافي لكل ما كان يعتور هناءته من تعكير للصفو وتكدير للخاطر ، فلا يلبث ان يجيب على ايماءة مرءوسه المهموم بامتعاض وبخفوت ٠

آه ٠٠ تذكرت الآن ٠٠ فليدخل الرسول البيزنطي ولنرماني جعبته من انباء ٠٠ كان قد ارجأ طويلا استقبال الضيف الوافد بأخبار قيل له انها ذات اهمية ، وما ذاك الاليقينه بان كل امر بعد رسوخ قدمه وثبات حاضره وغده لا يمكن ان يوصف بانه (هام) ٠

انتحى الرجل القادم برسالته الخاصة جانبا من المنصة يهمس في اذن النجم السعيد بما لديه من آراء ٠٠ « جيش المسلمين الذي لم يكتف بفتح الاسكندرية درة بحر الروم ، واصل الزحف وهو يضم رجالا من طراز ابن الزبير ، وابن ابي السرح وعقبة بن نافع ، فاسترد طرابلس من الروم ، حتى بلغ حدود تونس ٠ صاح جرجير منفعلا لا بد انها رمية غادرة عمياء لن تتكرر ، ان جيش الروم لا يقهر فقل ـ ياهذا ـ كلاما غير هذا ، ومع هذا وهنا صدحت في الافق البعيد صيحات جموعية مدوية تترامى أصداؤها من الخارج ولا تلبث ان تعلو بغتة فيكتسح هديرها الراعد ، بقية العوار الدائر ٠ و٠٠ ويحتدم الـدوى وتتضح معالمه فاذا هو هتاف جهير موحد ٠

(الله اكـــبر ٠٠ الله اكـــبر)

تطايرت الات الطرب وفرت الجوارى والقيان فزعات. وصرخ الراقصون واندفعوا مصطرين الى كل اتجاه ٠ وجرف السيل البشرى المذعور كل ما ومن في القاعة الرحيبة التي كانت الى لحظات خلت غارقة في اللهو والطرب ومنتهى المرح والاطمئنان التام الى ان كل شييء على مايرام ٠

لم يجرؤ جيش المسلمين ـ فحسب ـ على ان يقترب من ارض جرجير بل انه طرق بليوثه الهادرة باب مملكته يدعـــوه الى التسليم او ينزل الى ساحة الصدام وينذره بانه اذا كان ثمة جيش لا يسعي ان يقهر فانما هو جيش الاسلام ٠٠

انطلق جرجير يتواثب فزعا يصـــرخ كالمحمول مناديا الأمر الذي وقف حائـرا يرتجف ذهولا ورعبـا ٠٠

الجيش ٠٠ فلتنطلق كل الكتائب بكل الاعتدة ٠٠ و ٠٠ اسمع ٠ ابعث مناديا ينادى في كل الارجاء ويقول ٠٠ ا ٠٠ ولكن قل لي ٠٠ من هوقائدهم العام ؟ ٠

ـ هو عبد الله بن سعد بن ابي السرح ٠٠

قصـــة اسلاميـــة

« جنـــد النصـــر »

ـ اه ، ليكن ، نادوا في كافة الانحاء من يقتل ابن السرح فله مائة الف دينار و٠٠ وازوجه ابنتى « آه » ابنة جرجير ٠

دارت رحى المعركة الطاحنة الجبارة ، وكان ابن ابي السرح قد سمع صوت المنادي يبشر (قاتله) بتلك الاعطية الجزيلة فمال بجواده وسط المعمعة قبالة (عبد الله بن الزبير) يسأله رأيه ، فقال ابن الزبير « لتكن المكيدة المضادة من اللون عينه ، لا تتوان ٠ جند مناديا يقول لكل جنودنا : من يقتل (جرجير) فان له مائة الف دينار ونزوجه نحن ـ ابنة جرجير » ٠

ومن الجانب الاخر صكت اسماع جرجير ، عبارات المنادي الجديد فازداد ارتجافا وانكماشا، ومضى كالمسعور الهائج يستحث رجاله ان يكونوا ـ كما كانوا دائما ـ عند حسن ظنه فيقضوا على هذه الجحافل العربية مذكرا اياهم بـ (اللحن المميز) لجيش الروم الذي ينشدونه صباح مساء (جيش الروم لا يقهر ابدا) ٠٠

وكلما كان جيش الروم في جولاته البائسة امام مناجل الموت السريع التي تدفقت على الرقاب ، يعتقد ان الوطيس الحامي قد هدأ قليلا يفاجأ بسيل عرم أحر اشد هولا واعنف صخبا يتدفق الى الميدان من جديد مهللا مكبرا : « الله اكبر ـ ٠٠ الله اكبر » ولم يك ذاك (مددا) جديدا قداقبل وانما هومن الحرب الاسلامية وهي فكرة اشاربها عبد الله بن الزبير ، ان تنحى بعض الفرق جانبا فاذا ماهدأ سعير المعركة بعض الشيىء انقضوا بغتة بالتهليل والتكبير فيخيل للعدو انه مدد غزير جديد تدفق في ساحة الميدان (الان)٠

استمر القتال حتى لاح (طيف) جرجير يتقافر بجنون خشية ان تدور عليه الدائرة و ـ من ثم ـ يبطل مفعول الاغنية، الاغنية المحفوظة القائلة بان جيشه لا يهزم اطلاقا، ٠ وهنا برز له عبد الله بن الزبير، و٠٠ ان هي الا جولة فالثانية حتى سقط (جرجير) صريعا مجزوز الرأس فتولى فلوله الادبار فارة مهزومة محطمة ومحطمة دعائم « اللحن » الرومي الى الابد فتهلل الحناجر المسلمة وتكبر عرفانا لله وشكرا ويبتسم ابن ابي السرح قائلا لان الزبير وهو يشد على يديه : من حقك الان المال الوفير ، وابنة جرجير ٠

لكن ابن الزبير يجيبه وهو يمسح قطرات العرق الممزوج بالدم من على جبينه المضيىء بقوله :

ـ مالي بشيىء من ذاك حاجة ، وانما هي العودة السريعة الى اميرالمؤمنين عثمان ابن عفان ، وفاء بوعدى له ولكي اخبره بتفاصيل هذا النصر المبين ٠٠

منكم واليكم

اعداد : موسى شرف

○ الجنة والنار :

● قال الله تعالى « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنه عرضها السموات والارض أعدت للمتقين » وأحب أن أسأل اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فأين تقع النار ثم لماذا لم يذكر طول الجنة ؟

محمد السعودي
المنامة ـ البحرين

• ■ •

ـ أ : قيل التقدير جنة عرضها كعرض السموات والارض وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت قوله تعالى « جنة عرضها السموات والارض » فأين النار؟ قال أرأيت الليل اذا لبس كل شيء فأين النهار ؟ قال حيث شاء الله قال صلى الله عليه وسلم وكذلك النار تكون حيث شاء الله .

ب ـ ذكر العرض ولم يذكر الطول لان الغالب أن الطول يغني عن ذكر العرض وان لم يدل عليه .. وقال العلماء ان الطول لا يعلمه الا الله وقال أخرون . ان الكلام جرى على كلام العرب بالاستعارة ، كما نقول للرجل هذا بحر فليس المقصود تحديد العرض ولكن أراد سبحانه ان يصفها بأنها أوسع شيء علمتموه .

○ ذو القرنين :

● من هو «ذو القرنين »الذي جاءت قصته في سورة الكهف ولماذا سمي كذلك ؟

حامد عبد الماجد قويس
الدلنجات ـ ج. م. ع

• ■ •

ـ جاء في كتب التفاسير ان ذا القرنين هو الاسكندر المقدوني الملك اليوناني وقيل انه الملك كورش ملك الفرس المتوفى عام ٥٢٩ ق.م والى الرأي الاخير اتجه مولانا ابو الكلام زاد العالم الاسلامي الشهير وغيره من العلماء المحدثين .

وجاء في دائرة معارف البستاني : « ان ذا القرنين هو الاسكندر وورد في كتب العرب انه لقب به غيره ايضا فقيل انه لقب لبعض ملوك حمير يقال له الصعب بن ذي مرثد وقيل انه من ولد يونان بن يافث واسمه هرمس وقيل انه الملك الذي كان على عهد ابراهيم ، وقال اخرون انه لقب لاثنين من الملوك احدهما كان على عهد ابراهيم وهو الذي مضى له حين حاصم اليه في بئر سبع والثاني كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام .

واختلف في تلقيب من لقب بذلك على اقوال تؤذن بانه ليس لواحد فقال بعضهم لانه ملك فارس والروم او لانه

كان في رأسه شبه قرنين وقيل لانه رأى في المنام انه اخذ بقرني الشمس وكان تاويل رؤياه انه طاف المشرق والمغرب ، وفي نقش على الصخر عند سد دربند صورة لقورش الفارسي وعلى رأسه خوذة « بيضة » ذات قرنين ٠

○ السبع المثاني :

● ما هي السبع المثاني التي وردت في قوله تعالى « ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم » وهل هناك فرق بينها وبين المثاني التي جاءت في آية أخرى وما معنى المثاني ؟

فتحي حسين
الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة

• ■ •

ـ المثاني جمع مثنى من التثنية مرة بعد مرة أي تثنى فيه الآيات والاحكام والقصص والامثال للترسيخ في الذهن والتقدير والاقناع ٠

وهكذا الآيات الكريمة تثنى في التلاوة اي يكررها المسلمون في التلاوة والاستماع حيثما كانوا على مر الزمان ولا يملونه أبدا ولا ينفذ عطاؤه ٠

والسبع المثاني هي ـ في أصح الاقوال ـ فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تثنى فتتلى كاملة في كل صلاة مرتين أو أكثر وقد خصها الله تعالى بالذكر فيما من به على رسوله صلى الله عليه وسلم

وهناك رواية أخرى في أنها السبع الطوال ويعنون البقرة ـ آل عمران ـ النساء ـ المائدة ـ الانعام ـ الاعراف ـ الانفال ، ولان فيهن الفرائض والحدود والقصص والاحكام ٠

أما المثاني التي وردت في سورة الزمر : ٢٣ في قوله تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني » ٠٠٠ الخ فتطلق على القرآن كله أي ان القرآن يشبه بعضه بعضا من حيث الاحكام والبيان والصدق والاعجاز ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كبيرا وسياقات القرآن الكريم تارة تكون في معنى واحد فهذا من المتشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة ـ الجنة ـ ثم صفة النار فهذا من المثاني والله أعلم ٠

○ صلاة الاخرس والاصم :

● متى بدأ فرض الصلاة؟ ثم كيف يصلي الاخرس والاصم ؟

علي احمد خليفة محمد
السودان ـ بركات « السوق »

• ■ •

ـ فرضت الصلوات الخمس ليلة الاسراء والمعراج وثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة والاجماع ٠

والابكم يؤدي جميع حركات

الصلاة كما لو كان ناطقا أما الاصـــم وهو من فقد السمع فان كان الداء أصابه على كبر فيصلـــي كالعادة بالنطـــق والحركات الكاملة وان كان الداء أصابه صغيرا وبذلك لا يتكلم فانه يؤدي جميع حركات الصلاة من غير كلام ، ولا يصح ان يكون احدهما اماما لغيره اذا كـــان فاقد النطق ٠

وقفة عرفات ٠٠ ويوم الجمعـــة :

● ربما تكون وقفة عرفة هذا العام في يوم الجمعة فهل صحيح ما يقال من أنه اذا اجتمع الوقوف بعرفة مع يـــوم جمعة كان لذلك فضل كبير وفائدة عظيمة للحجاج ؟

طـــه محمد البشير
أم القيوين ـ دولة الامارات العربية المتحدة

• ■ •

ـ ليس من شك في أن الفضل ثابـت والفائدة مزدوجة اذا اجتمع يوم عرفة مع يوم الجمعة والاعمال تشرف بشرف الازمنة والامكنة ، ويوم عرفة هو أفضل ايام السنة على الاطلاق ، كما أن يوم الجمعة من أفضل ايام الاسبوع ٠

ويقول الامام جلال الدين السيوطي : « ان وقفة عرفة يوم الجمعة تفضـــل غيرها من حيث أن فيها موافقة النبـــي صلى الله عليه وسلم ، فان وقفته كانت يوم جمعة كما أن فيها ساعة اجابة » ٠

وفي حديث عبد الله بنكريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة» ٠٠ الخ الحديث

وقال الزرقاني « وقع في تجريد الصحاح لرزين » زيادة في أول هذا الحديـــث « أفضل الايام يوم عرفة وافق يوم جمعة وهو افضل من سبعين حجة في غيـــر يوم الجمعة » وقد تكلم الحافظ بن حجر العسقلاني على هذا الحديث وقال ان كان له اصل احتمل أنه يريد بالسبعين، التحديد أو المبالغة في الكثرة وعلى كل حال فمنهما ثبتت المزية » ، وفي زاد المعاد لابن القيم » ما استفـــاض على ألسنة الناس أن وقفة الجمعة تعدل ثنتين وسبعين حجة » فباطل ولا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين اما الحديث الذي ذكره الزرقاني فقد ذكر في جمـــع الفوائد وقال القاري في شرح اللبـــاب « لوقفة الجمعة مزية على غيرها بسبعين حجة » ٠ والله أعلم ٠

الوقوف على عرفات :

● هل يصح للحاج ان يمر على جبل عرفات بالطائرة ، وهل يسمى هذا وقوفا ثم ماذا يفعل المريض الذي لا يقدر على الوقوف ؟

دكتور محمد عبد الخالق
دمشق ـ سوريـــا

• ■ •

ـ المراد بالوقوف هو الحضـــور ، والوقوف بعرفات يتحقق بوجود الحاج

على عرفات واقفا او جالسا او محمولا او راكبا دابة اذا كان مريضا ، امـــا المرور بالطائرة فلا يعد وقوفا ٠

تخطي الرقاب :

● في كثير من الاحيـــان وفي يوم الجمعة بالذات يحاول بعض المصلين ، الوصول الى الصـــفوف الاولى في المسجد ، برغم وصولهم متاخرين وفي هذا ايذاء لمن يجلس مبكرا فهل هـــذا العمل حرام ؟

هشـام الصادق
الكويت ـ القادسية

• ■ •

ـ يكره تخطي رقاب المصلين ، الا ان يكون اماما او يريد المصلى ان يصل الى فرجة لا يصل اليها ، الا بهـــذا التخطي ، ويحرم تخطي الرقاب اذا كان هذا العمل يترتب عليه اذى المصـــلين وانشغالهم عن الاستماع الى الخطبة او حرمة المسجد ، قال صلى الله عليـــه وسلم لرجل راه يتخطى رقاب الناس : « اجلس فقد آذيت » ٠

المسلمون في اريتريا وبورما :

● ارجو افادتي ببعـــض المعلومات الموجزة عن اخواننا المسلمين في اريتريا وبورما وما تعدادهم بالنسبة لغيرهـــم في دولهم ؟

جعفر بن محمد
شارع المقطع سيدي بلعباس ـ الجزائـر

• ■ •

ـ اريتريا دولة عربية مسلمة ، وعلى الرغم من ان المسيحية كانت اسبق اليها من الاسلام ـ بزهاء اربعة قرون ـ الا ان ٧٥٪ من الشعب الاريتري مسلمون ومتمسكون بدينهم ، وبرغم ضـــروب الاستعمار الصليبي الايطالي والبريطاني والحبشي الا انه عجز عن ان ينـال من الاسلام والمسلميـن هناك ، وكفـــاح المسلمين ما زال منتصرا ومتقدما ضـد كل القوى التي تحاربهم ٠

اما المسلمون في بورما فهم يعيشون في منطقة اراخان منذ ثلاثـــة قرون ، مشكلين طائفة تضم اكثر من مليون من المزارعين والتجار ، وتعيش وسط عشرة ملايين نسمة ينتمون الى ديانات اخرى وخاصة البوذية وكان المسلمون حتـــى عام ١٩٦٣ م يتمتعون بحقوق متساوية، مع سائر الاديان المختلفة ويعيشون في ظل العادات والتقاليد ، ولكن بعد تولي العسكريين الحكم بدأ التضييق علـــى المسلمين ، وطردوا من المناصب الادارية ومن الجيش ، ثم استولي على اراضيهم وتجارتهم واخيرا سحبت جنسيتهـــم البورمية واعطيتلهم بطاقات هوية اسوة بالاجانب ومنذ ذلك الوقت والمسلمون ، يكافحون ويجاهدون للمحافظـــة على اسلامهم ، مواجهين حرب الابـــادة الوحشية ٠

الامية والقراءة :

● قال الله تعالى : « والذين يتبعون الرسول النبي الامي » فهذا وصف للرسول صلى الله عليه وسلم ، بانه كان اميا فكيف نوفق بين ذلك وبين قوله تعالى : « اقرا باسم ربك الذي خلق » فالذي يقرا لا يكون اميا ٠٠ ؟

محمد سالم علي
المنامة ـ البحرين

• ■ •

ـ هناك اجماع من العلماء على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان لا يعرف القراءة والكتابة ، اعمالا بالنص القرآني وبقوله صلى الله عليه وسلم « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » وهناك آراء أخرى تصف الامي بانه منسوب الى أمة العرب ٠ أو أن المراد به عدم علمه ، عليه الصلاة والسلام ، بما في الكتب السماوية قبل الرسالة ولكن الصواب ما ذهب اليه الاجماع ٠

وليس هناك أي خلاف بين قوله تعالى : « الرسول النبي الامي » وقوله تعالى « اقرأ » لان المراد اقرأ ما تلقنه وتابع ما يتلى عليك ، فلم تكن مع جبريل عليه السلام ، صحيفة يأمره بالقراءة منها ، وانما كان يقرأ ويأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يتابعه في التلاوة والله أعلم بالمراد ٠

ارتداء البنطلون :

● انتشرت في بعض البلاد الاسلامية موضة لبس البنطلون بين السيدات والفتيات ، بدعوى انه استر للجسم من الثياب القصيرة فما رأيكم في هذه الظاهرة وهل هناك زي معين يشترطه الاسلام في المرأة ؟

حمدي محمود محمد
سوهاج ـ ج٠ م٠ ع

• ■ •

ـ ليس هناك زي معين للمرأة المسلمة ، وانما حرم الاسلام على المرأة أن تلبس من الثياب ما يصف وما يشف عما تحته من الجسد ومثل ذلك ما يحدد أجزاء البدن وبخاصة مواضع الفتنة منها ، فاذا كان البنطلون ضيقا ويحدد أجزاء الجسم ويبرز أماكن منه فلبسه حرام ٠ هذا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهات من النساء بالرجال ، ونهى عن أن يلبس الرجل لبسة المرأة وتلبس المرأة لبسة الرجل ٠

بالنفس اللوامة » القيامة ١ــ٢ ٠

فالنفس اللوامة هي التي توجه اللوم الداخلي على فعل الاثم . ولا تكون لوامة ما لم تكن من قبل ناصحة . امــــــرة بالخير ناهية عن الشر ، وهذا الجانب من النفس هو ما قد يسمى بالضمير ٠

٢ ــ قول الله تعالى .

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعـــي الى ربك راضية مرضية فادخلــــي في عبادي وادخلي جنتي » الفجر ٢٧ــ٣٠ ٠

فالنفس المطمئنة هي التي توجــــه النصح لفعل الصالحات ، وتامر بالخير، وتنهى عن الشر . فتستجيب مراكـــــز الارادة لها . فتطمئن للنتيجـــــة . ولا يمسها الخوف والقلق من سوء المصير. وظاهر ان هذا هو ما يسند الى الضمير من الراحة لدى فعل الخير وترك الشر٠

٣ ــ وهذا الجانب الرباني من النفس هو الذي يذوق طعم الايمان ، روى مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال : قــال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الايمــــــان من رضي بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا » ٠

٤ ــ وجاء في الحديث اثبات الواعظ الرباني الذي يعظ بالخير في قلب كل مسلم ، وطبيعي أن هذا الواعظ يقع في هذا الطرف الاعلى من النفس ٠

وأما الطرف الاوسط فهو الطرف المنفذ الذي تقع فيه الارادة الحرة ، وهو طرف يتجاذبه الطرفان الاعلى والاسفل ٠ واذ ثبت لدينا وجود الطرفين الاعلى والادنى لزم منطقيا وجود الطرف التنفيــــذي الاوسط . لان وظيفة الطرفين المتناقضين لا تتعدى الدعوة والرغبة والطلب .ودل على هذا الطرف ما اثبت الارادة الحرة المختارة للنفس ، كقول الله تعالى :

« ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » السجدة ١٣ ٠

والانسان يملك باستجابته للطــــرف الرباني تزكية نفسه ، ويملك باستجابته للطرف الشيطانــــي تدنيس نفســــه وقدسيتها . والمفلح هو من زكاهـــــا ، والخائب هو من دساها . قال اللــــه تعــــالى ٠

« ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خــــاب من دساها » الشمس ٧ــ١٠ ٠

(ح) منابع الخير و الشـــر من النفس :

من كل ما سبق يتبين لنا أن منابــــع الخير والشر لدى الانسان موجودة في زوايا نفسه . فسلوكه الظاهر وأعمالــه المختلفة ثمرة ونتيجة لحركات نفســـــه واندفاعاتها واتجاهاتها الجازمة ٠

ولما كان الجزاء الرباني المعجل في الحياة الدنيا منوطا بأعمال النـــاس ، وأعمالهم نتيجة ما في نفوسهم ، كــان من الطبيعي المنطقي أن لا يغير الله مــا بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ٠

ويعرف الشيطان هذه الحقيقـــة ، فيقول يوم القيامة للذين استجابـــوا لوساوسه وتسويلاته في الحياة الدنيا : لا تلوموني ولوموا انفسكم ٠

■●●■

حصاد الشهر

أبوظبي :

الخدمة العسكرية في دولة الامارات :

● وافق مجلس الوزراء في دولة الامارات العربية المتحدة على مشروع قانون الخدمة العسكرية الاجبارية بالنسبة للمواطنين من أبناء الدولة والذين يحملون جنسيتها ، وتسري الخدمة الاجبارية على الشباب اللائق عسكريا ممن تتراوح أعمارهم بين ١٦ ، ٣٥ سنة .

● أصدر معالي محمد عبد الرحمن البكر وزير العدل والشئون الاسلامية والاوقاف قرارا يقضي بانشاء دائرة للعلاقات الخارجية بالوزارة تتبع الوزير مباشرة وتختص بالعمل على تنظيم الاتصال بالهيئات والجامعات الاسلامية بهدف توثيق العلاقات معها ودعم الدعوة الاسلامية والاشراف على تبادل الوثائق والبحوث اللازمة لحفظ التراث الاسلامي والاتصال بالمؤتمرات الدولية الاسلامية ومتابعة نتائج اجتماعاتها كما تختص الدائرة بتنظيم الاتصال بالهيئات القضائية في العالم الاسلامي .

● تم التعاقد مع عدد من الخطباء والوعاظ من مصر وسوريا للعمل في مساجد دولة الامارات العربية المتحدة .

● تصدر قريبا أول مجلة ثقافية لدولة الامارات العربية المتحدة وسوف تصدرها وزارة الاعلام تحت اسم « المنهل الثقافي »
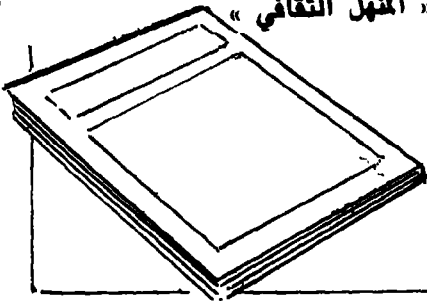
من عواصم العالم الإسلامي

مكـــة :

ادارة عالمية للدعوة الاسلامية ..

● اوصت اللجنة الاستشارية لنشر الدعوة الاسلامية التي دعا اليها صندوق التضامن الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة بانشاء ادارة عالميـة متخصصة للدعوة الاسلامية وانشـاء اذاعات خاصة للدعوة الاسلامية ومركز للصحافة الاسلامية يصدر صحـــف اسلامية خاصة بالشباب والنســاء والاطفال وانشـــاء مراكز لتجميـــع المعلومات عن احوال العالم الاسلامي .

● دعت وزارة المعارف السعوديـة المدرسين الى الامتناع عن التدخيـــن داخل أسوار المدرسةوفي الاماكن التي يتواجـــد فيها الطلبة كالمعســكرات والمسابقات الطلابية .

طهـران :

● تقرر اعادة التقويم الهجـــري الاسلامي في ايران كما تقرر اغـــلاق جميع الكازينوهات ونوادي القمار في البـــلاد .
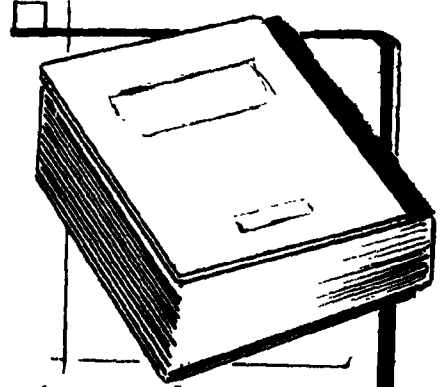
● تقوم ادارة الاوقاف والشـئون الاسلامية في دبي باعداد دليل شـامل عن المراكز الاسلامية الموجودة في جميع انحاء العالم ونشاط كل مركز ومجـالات عمله وعنوانه وذلك بهدف التعرف على هذه المراكز والربط بينها عن طريـــق المراسلات وتبادل المطبوعات .

الهنـــد

● دعيت وزارة العدل والشـــئون الاسلامية والاوقاف لحضور المهرجـان السنوي للكلية العربيـــة الاسلامية في ولاية كيرالا بالهند والذي يعقد خـــلال هذا الشهر .
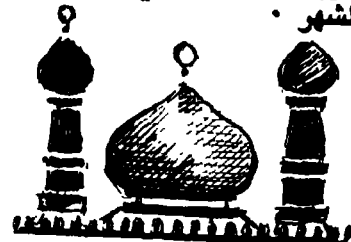
في .. هذا العدد

السنة الثالثة
١٣٩٨هـ ١٩٧٨م
مع تحيات
منار الاسلام

المادة
دراسات قرآنية

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
التقـــوى	الدكتور محمد مصطفى الزحيلي	١	١٠
حول البيان القرآني	الدكتور فضل حسن عباس	١	٢٨
مفاهيم قرآنيـــة	الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة	١	٦٨
حول التشريعات القرآنيـة	الدكتور فضل حسن عباس	٣	٩٠
المعجزة	الدكتور عبد القادر حسين	٣	٩٦
بالقرآن وليس بالشعـر	الدكتور محمد احمد العزب	٤	١١٢
الحرية الفردية والاجتماعية في القرآن	الدكتور فضل حسن عبـاس	٥	٦١
أهداف سورة التحريم	الدكتور عبد الله شحاتـة	٦	٦٨
الاعجاز العلمي للقرآن الكريـم	الدكتور عبد القادر حسـين	٦	٧٦
الاعجاز العقلي في القرآن الكريم	الدكتور نزية حمـــاد	٧	١١
القرآن والعمـــل	الشيخ عبد الله كنـون	٩	٢٤
مفاهيم قرآنيــه	الدكتور حسن عبد الرحمن حبنكة	١٢	١٠٢

المادة
حديث و

الموضوع	الكاتب	العدد
لا تقعوا على سنة نبيكـم	الدكتور غريب جمعـة	١
لمحات من منهج الدعـوة	الدكتور وهبـه الزحيلـي	٣
بالاسوة الحسنة نحيي الذكرى العطرة	الدكتور توفيق محمد شاهـين	٣
من علم السنة (اعلى مناهج النقد)	الدكتور محمد نجيب المطيعي	٤
الجامع الصحيح للبخـارى	الشيخ ابو الحسن الندوى	١٠
الادب النبوى	الشيخ ابو الحسن الندوى	١٢
مكانة السنة النبوية	الدكتور تقي الدين الندوي	١٢
قطرة النبوة	الدكتور تقي الدين الالواني	

المادة
عقيدة وتوحيد

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
ل النصارى بين الشك والظن	الاستاذ محمد عزت الطهطاوى	١	٩٧
الاديان في اصول الاعتقاد	الدكتور محمد عبد الستار نصار	٢	٢٩
يق الى الايمان بالله	الشيخ احمد عبد العزيز المبارك	٣ ، ٤	٦-٦
د من الشك في الفكر الانساني	الدكتور يحيى هاشم حسن غرغلي	٩	٣١
لة بين النبي صلى الله عليه م وبين طائفة من اهل الكتاب	الاستاذ محمد عزت الطهطاوى	١٠	٣٠
أم زرع	الدكتور محمد عبد المنعم خاطر	١٠	٧٢
القران في بناء العقيدة	الدكتور محمد عبد الستار نصار	١١	٨٦

المادة
فقه : شريعة/وقانون

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
لمسوغات الشرعية لخروج المرأة من يتهـا *	الشيخ محمد فؤاد البرازى	١	٨٢
لحيلة والحيل في الاحكام الشرعية*	الدكتور محمد رجب البيومي	٢	٧٨
لفقه الاسلامي	الشيخ هلال مصيلحي هلال	٥	٣١
لفقه الاسلامي (النجاسة)	الشيخ هلال مصيلحي هلال	٦	٩٤
لفقه الاسلامي (الوضوء)	الشيخ هلال مصيلحي هلال	٧	٧٦
دة المرأة	الاستاذة وفية محمود صالح	٧ ، ٨	٩٥-١٠٠
الفقه الاسلامي (المسح على الخفين)	الشيخ هلال مصيلحي هلال	٨	٩٥
الفقه (احكام الصوم)	الشيخ هلال مصيلحي هلال	٩	٩٧
الفقه (الغسل)	الشيخ هلال مصيلحي هلال	١٠	٩٦
الفقه (الحج)	الشيخ هلال مصيلحي هلال	١١	٥٧
ين الشريعة	الدكتور مصطفى كمال وصفي	١١	١٢
دم الصداق	الشيخ محمد سليمان فرج	١٢	٤٤

المـادة
دعوة ودعاة

الموضـوع	الكاتـب	العدد	الصفـ
الاسلام دعوة جامعـة	الشيخ علي الهاشمي	٣	٦٩
اسلوب القرآن في الدعوة	الاستاذ احمد القاسمي	٣	٧٧
اساليب الدعوة الاسلامية	الدكتور ابراهيم ابو الخشب	٦ ، ٧	٦ــ٢٧
		٨ ، ٩	١ــ٦٧

المـادة
اسلاميات

الموضـوع	الكاتـب	العدد	الصفـ
هجرة الى الله ورسوله	الدكتور عبد الحليم محمود	١	٦
هل كانت في مكة مؤاخاة قبل الهجرة	الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة	١	١٥
الهجرة خطة الفتح المبين	الاستاذ رمزي محمد خليل	١	٢٣
الصلة بين الدين والحضارة	الدكتور عبد الحليم محمود	٢	٦
الدين في عصر العلم	الدكتور يوسف القرضاوى	٢،٣،٤	١٤،١٥
		٥ ، ٦	٢١،٥
الاعتصام بحبل الله	الشيخ مصطفى الحديدي الطير	٢	٧١
المسلمون في استراليا	الاستاذ محمد حسن باجودة	٤	٨٠
الاسلام والادارة	الدكتور محمد البهى	٥ ، ٦	١ــ٦
الاسلام دين ودولة	الشيخ محمود عبد الوهاب فايد	٥	١٩
صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان	الدكتور يوسف حامد العالم	٥ ، ٦	٢٤
الامن ٠٠ والخـوف	الاستاذ عبد العظيم ابراهيم منصور	٥	١٦
الاسلام وتعليم المرأة	الدكتور محمد عبد الستار نصار	٦	٤٣
الرحلة القدسيـة	الاستاذ محمد رجاء حنفي	٧	٥
عندما سمع الشهر الاصم	الاستاذ رمزي محمد خليل	٧	١
ماضي الاسلام في قيادة الانسانية	الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة	٧	٥
الاسراء والمعراج بين الروح والجسد	الشيخ محمد سليمان فرج	٧	٢

المـادة
كتـب

المـادة
احاديث وندوات

المادة
شعر

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
ن وحى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم *	الشيخ سليمان محمود عطا	١	٣٢
تحية العام الهجري الجديد	الدكتور احمد عبد الله سامي	١	٣٤
بس من الهجرة	الاستاذ عبد العميد ربيع	١	١٢١
أم عمار	الاستاذ احمد عبد الهادي	٢	٥٣
ولد النور والهداية	الاستاذ احمد عبد الهادي	٣	٣٣
الى الفتاة المسلمة	الاستاذ احمد محمد الصديق	٣	٦٨
صرخة ألم	الدكتور محمد فخر الدين الفعقاع	٤	٣٣
عزة المسلم	الاستاذ احمد بن عبد الرحمن المانع	٥	٦٠
بين الخوف والرجاء	الاستاد على الفقي	٦	٣٢
في ذكرى الاسراء والمعراج	الاستاذ عبد الغني احمد ناجي	٧	٦٠
اسماء ذات النطاقين	الاستاذة نعمت عامر	٨	٣٥
الصوم بلسم الارواح والاجساد	الاستاذ المهدى محمود عبد الله	٩	٦٦
شهر الصوم والجهاد	الاستاذ محمود محمد ابراهيم	٩	٦٧
دعاء قلب	الاستاذ عبد الوهاب قتاية	١٠	٧١
للبي على الباب	الدكتور سعد ظلام	١١	٣١
لبيك اللهم لبيك	الدكتور فخر الدين القعقاع	١٢	٢٣

المادة
شخصيات اسلامية

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
ابن خلدون	الاستاذ محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي	١	١١١
مالك بن انس	الدكتور رءوف شلبي	٢	١١٠
الامام ابن ماجه	الدكتور تقي الدين الندوى	٤	١١٦
النعمان بن مقرن	الاستاذ محمد فرج	٥ ، ٦	٩٦-١١٦
أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث	الاستاذ منير محمد غضبان	٧	١٠٢
الامام ولي الله الدهلوي	الاستاذ ابو الليث الندوى	٨	١٠٦

المـادة
قصص اسلامية

المـادة
استطلاعات صحفية

المـادة
موضوعات متنوعة

الموضـوع	الكاتـب	العدد	الصفحة
الهجرة واخوة الايمان «افتتاحية»	التحريـــر	١	٤
قطـوف	ابو وائـل	١	٩٦
منكـم واليكـم	الاستاذ موسى صالح شرف	١	١٢٢
حصـاد الشهـر	التحريـــر	١	١٢٧
عودة بنا الى رابطة الاخوة الاسلامية	التحريـــر	٢	٤
قطـــوف	الاستاذ هلال مصيلحي هـلال	٢	٩٩
منكـم واليكـم	الاستاذ موسى صالح شرف	٢	١٢٤
حصاد الشهـر	التحريـــر	٢	١٢٨
مولد الحق والنـور	التحريـــر	٣	٤
قطـــوف	الاستاذ حسين المحسي	٣	٨١
منكـم واليكـم	الاستاذ موسى صالح شرف	٣	١٢٥
حصـاد الشهـر	التحريـــر	٣	١٢٨
الاسلام طريق الحق والقوة	التحريـــر	٤	٤
الفن الاسلامي والشخصية الاسلامية	الاستاذ محمد جمال شاهـين	٤	٥٩
قطـــوف	الاستاذ هلال مصيلحي هلال	٤	٩٧
منكـم واليكـم	الاستاذ موسى صالح شرف	٤	١٢٢
حصـاد الشهـر	التحريـــر	٤	١٢٦
دعوة الى المثقفين في عالمنا الاسلامي والعـربي •	الاستاذ سعيد عبد الله حارب « مدير التحرير »	٥	٤
قطـــوف	الاستاذ حسين المحسي	٥	٨٦
لوحـة فنيـة	الاستاذ سمير ابراهيم سالـم	٥	١٠٢
منكـم واليكـم	الاستاذ موسى صالح شرف	٥	١٢٢
حصـاد الشهـر	التحريـــر	٥	١٢٨
في غيبة الوعي الاسلامـي	الاستاذ سعيد عبد الله حارب « مدير التحرير » •	٦	٤
قطـــوف	الاستاذ عبد العال ابو سليمة	٦	١٠٠

المـادة
اسلاميات

الموضـوع	الكاتـب	العدد	الصفحة
لمسجد في الاسـلام	الاستاذ احمد محمد القاسمي	٧	٦٧
العقيدة العسكرية الاسلامية	اللواء جمال الدين محفوظ	٧،٨،١٠ـ٨٢،٧٤،٩٠	
كان الاسراء من مسجد الى مسجد	الاستاذ فؤاد الجبالي	١٠	٩٠
من القضاء في الاسـلام	الدكتور مصطفى كمال وصفي	٨	٦
م واتجاه المراة المسلمة	الدكتور محمد البهي	٨ ، ٩	١٠ـ١١ـ
		١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦	
لمجالس في الاسلام	الاستاذ احمد النشاش	٨	٢٩
النشوء والارتقاء	الاستاذ عمر الراكشـي	٨	٨٨
واجه الاسلام مشكلة النشر جريمـة ؟	الدكتور احمد المجذوب	٨	١١٧
ن يتحدث عن نفسه	الشيخ ابو الحسن الندوى	٩	٦
شاركة المراة للرجل في عمله	الشيخ عبد العزيز بن باز	٩	١٠
بين المشاهدة والحساب	الاستاذ محمد نعيـم	٩	٧٧
م الجريح في بلغاريا	الاستاذ عبد الفتاح مقلد الغنيمي	١٠	٨٢
م والنصرانيـة	الدكتور عبد الحليم محمود	١١	٦
الدين في طفل الانابيب	الشيخ مصطفى الحديدي الطير	١١	٢٤
المبرور	الدكتور عبد الحليم محمود	١٢	٦
الاسود	الاستاذ عبد التواب يوسف	١٢	١٨
يت وضع للناس	الشيخ مصطفى الحديدي الطير	١٢	٣٠
على ابراهيم	الاستاذ رمزي محمد خليل	١٢	١٥
الحلقة المفقودة	الدكتور رجا حسين السمين	١٢	٢٩
ى دعاوي الحادية	الشيخ عبد العال ابو سليمة	١٢	٣٢
لمسؤولية	الدكتور محمد الشرقاوي	١٢	٢٤
الكون	الاستاذ محمد محمود الفيـم	١٢	٦٢

المـادة
تاريخ

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
...اءعلى الحضارة	الدكتور عبد الرحمن العجي	٤،٥،٦،٩،١١	٩١،٧٥،٨٨، ١١٣،١٠٠
... مكـة	الاستاذ محمد رجاء حنفي المتجلي	٩	٨٤
...رات لامانس	الاستاذ محمد فرج	١٢	٥٨

المـادة
اقتصاد

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
المصارف الاسلاميـة	الدكتور غريب الجمـال	٨	٧١

المـادة
فلسفة وادب
وفكر اسلامي

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
...ة الفكر الاسلامي الحديث	الدكتور احمد عبيد الكبيسي	٤	٧٥
... هو الخطـر	الاستاذ انور الجنـدي	٥	٦٥
...ر الاسلامي والعلمانية	الاستاذ طه محمد كسبـه	٧	٩٠
...ف المسلمين من الفكر المعاصر	الدكتور عبد الرحمن عميرة	٨	٨٠
...ستغراب والاستغـراب	الاستاذ نذير حمدان	٩-١٠	١٠٢-٢٣-
		١٢	٤٨

المـادة
تربية واخلاقيا

المـادة
علوم كونية

اسلامية . ثقافية . شهرية

Manar Al Islam

تصدرها

وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف

دولة الإمارات العربية المتحدة

في غرة كل شهر عربي

مدير التحرير

سعيد عبدالله حارب

العدد الاول — السنة الرابعة

محرم ١٣٩٩ هـ

ديسمبر ١٩٧٨ م

اقرأ في هذا العدد

■ **الهجرة النبوية الشريفة :**

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة حولت مجرى التاريخ وقوضت دعائم الشرك والجهل وكانت انتصارا للحق والنور . وعن هذه المناسبة الكريمة يحدثنا الكتاب موضحين اهدافها وغاياتها وبطولاتها الرائعة .

■ **خصائص العقيدة الاسلامية :**

للعقيدة الاسلامية خصائصها، كما أن لها اثارها وتأثيرها في حياة الفرد والمجتمع والأمة .

■ **بين الروح والمادة :**

ما هو موقف الاسلام ورسالته من الذين يسعون الى اصلاح المجتمعات ، عن طريق الروح او طريق المادة وايهما على صواب ؟ .

■ **غزو الفضاء :**

هل نجح الانسان فعلا في غزو الفضاء ؟ وما الرأى في الآيات القرآنية التي تشير الى عجز الانسان عن قدرته على غزو اقطار السموات والارض ؟ .

هذا ما يشرحه الكاتب في بحثه عن اقطار السموات والارض .

■ **القاهرة .. عاصمة العواصم :**

استطلاع صحفي مصور عن مدينة القاهرة التي تضم مدنا تعود الى ما قبل استضاءتها بنور الاسلام .

يستقبل المسلمون عامهم الهجري الجديد فرحين مستبشرين آملين في نصر الله لهم ، وفي مسح الحزن عن قلوبهم فالله الذي نصر رسوله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين هو الذي افرغ قلب رسوله من الحزن وملأه بالايمان الوضيء، الذي سكنت به القلوب وزادت به ايمانا ويقينا ، وبهذا الايمان وهذه السكينة والجنود غير المرئية التي انزلها الله كانت كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ·

ودائما تعلو كلمة الله بوسائل يمد بها اولياءه بعد ان يقنط المرسلون واتباعهم من نصر البشر « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم كذبوا جاءهم نصرنا » ·

فليتخلص المسلمون من حزن الماضي وهم المستقبل ويستقبلوا حياتهم بالايمان الصادق والامل الباسم والنصر للمؤمنين مضمون بنص الآيات البينات « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » ·

منار الاسلام

بداية هذا الشهر ، يطوي التاريخ صفحة من صفحاته ليفتح اخرى ، فهذا الشهر هو بداية النهاية للقرن الرابع عشر الهجري ، حيث يودع المسلمون قرنا هجريا ، ويستقبلون آخر ٠٠ ولا شك أن القرن الماضي قد حفل باحداث لا تقل اهمية عن القرن الاول للهجرة ، فلئن كان ذلك القرن هو بداية النور الذي سطع فاضاء للدنيا شمس الاسلام ، الذي اخرج الناس من الضلال الى الهدى ، ومن التفرق الى الوحدة ، فامتدت دولتهم فيما بين المحيطين الهادي والاطلسي ، ووقفت جيوش المسلمين على سواح الفلبين واندونيسيا شرقا ، ونصبت خيامهم تحت ظلال اشجار الاندلس غربا ، فما ذلك الا بتوفيق من الله ثم بعمل المخلصين من المسلمين ، ولقد تقلبت الدولة الاسلامية خلال القرون الماضية بين القوة والضعف فحين تتفرق الامة الى دويلات متناثرة ، تتصارع فيما بينها ، وتغفل عن واجبها تجاه حماية الاسلام ودفعهخطوات الى الامام، ثم تستعين بالاعداء على مقاتلة الاشقاء ، في ذلك الوقت يبعث الله لهذه الامة من يجدد لها دينها ويجمعها على كلمة التقوى ، ويمخر بسفينة الاسلام في خضم الاحداث المتلاطمة حتى تصل الى بر الامان ، ولقد هيأ الله لهذه الامة من القادة من أخذ بيدها الى النصر المؤزر باذن الله ، فنحن لا ننسى خالدا وسعدا وطارقا وقطز وصلاح الدين ٠٠ وغيرهم ممن ضاع عملهم في الدنيا ولكنه عند الله باق ٠

اما القرن الحالي ٠٠ فقد زخر أيضا باحداث ، ولكنها للاسف صور عكسية لذلك الماضي المشرق ففي هذا القرن ، ولاول مرة في تاريخ الامة الاسلامية ، تلغى الخلافة على يد الصهيونية العالمية وربائبها فحين اكتشفت القوى المعادية للاسلام انها لا تستطيع أن تقارع الاسلام بالسلاح او الحجة ، لجات الى الدسائس والمؤامرات ، وبدأت تعمل خلف الكواليس وتخطط لليوم الموعود ، وأوصلت من ربتهم على يديها الى القيادات في الدولة العثمانية حتى يبدأوا بالهدم من الداخل، وقد تم لهم ما أرادوا حيث انتهت الخلافة الاسلامية رسميا عام ١٩٢٤ ميلادية ،

وان كانت في حقيقتها لا تمثل الصورة الصحيحة للخلافة الاسلامية بل كانت صورة مشوهة أخرجها المتآمرون على الاسلام حتى يتمكنوا من تنفيذ مؤامراتهم ، ولكن وجود الخلافة مهما كانت حالتها يعتبر رمزا يجمع الامة تحت لوائه ، فاذا سقط ذلك اللواء انهارت الامة ، وهذا ما حدث حين الغيت الخلافة ، فقد انكشف الغطاء ، وبدأت دول الشرق والغرب تنهش في جسم الامة الاسلامية ، وما هي الا سنوات قليلة حتى كان العالم الاسلامي مقسما الى اجزاء يتداخل بعضـها مع بعض ويجلس على رقعة منها استعمار شرقي أو غربي ، ونستطيع أن نحيط باهمية الخلافة حين نعلم ، كم بذل المسلمون من جهد حتى تحرروا من سيطرة الاستعمار ؟ فقد استشهد الآلاف بل الملايين ، وتشردت الشعوب وتخلفت عـن ركب الحضارة المدنية، سنوات طويلة ،حتى أصبحت لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وما زالت قطعة غالية من أرض الاسلام ترزح تحت سيطرة استعمار بغيض، الا وهي فلسطين ... التي كانت محط الاحداث الماضية ، فحين كانت الخلافة قائمة ، لم تفرط في شبر من أرضها مع أن الثمن لذلك كان مغريا ، الا أن القوة الاسلامية الدامغة رفضت أن تلبي مطلب اليهود في احتلال شبر من أرض فلسطين فقد وقف الخليفة الاسلامي السلطان عبد الحميد ، وقفة لو لم تكن له الا تلك الوقفة لكفته فخرا .. فقد رد على هرتزل الزعيم اليهودي الذي جاء ليشـتري فلسطين بقوله : « اخبروا الدكتور هرتزل بأن فلسطين ليسـت حقا لي حتى اتصرف فيه بل هي للمسلمين ، ولن تقوم لليهـود قدم في فلسطين الا على أشـلائي » .

ولقد وفى بوعده ، فما استأسد اليهود بفلسطين الا بعد اسقاط السـلطان عبد الحميد ، ولذا يجب على الامة الاسلامية وهي تستقبل قرنا جديدا أن تفتح صفحة القرن الماضي لكي تدقق النظر فيها فتستخرج منها العبر والدروس التي تكون نبراسا لها في طريقها الى استقبال قرن جديد .

خصائص العقيدة الاسلامية

لفضيلة الشيخ
مناع القطان
مدير المعهد العالي للقضاء
بجامعة الامام محمد بن
مسعود بالرياض

للعقيدة الاسلامية خصائصها التي تميزها ، كما أن لها آثارها في حياة الفرد والمجتمع والأمة ٠ ومن أهم وأخص ماتتميز به العقيدة الاسلامية أمور :

الأمر الأول :

انها عقيدة الفطرة : ان كل انسان قد فطره الله سبحانه وتعالى على خليقة جبل عليها ، تلك الخليقة تنزع به الى الاحساس من داخل نفسه بان هذا الوجود الفسيح بما فيه من كائنات ، ما كان ليوجد عبثا ، وما كان ليوجد بمحض الصدفة، فان دلائل الصنعة فيه تدل دلالة قاطعة على وجود صانع مبدع قدير يتصف بصفات الكمال ويتنزه عن كل نقص ، ويشعر هذاالانسان بفطرته كذلك مهما أوتي من قوة وقدرة ، في مواقف عدة بالعجز والضعف ، وان ما لديه من طاقات لا يمكنه من تحقيق ما يريد ، فهو عاجز عن أن يلبي طلبات نفسه ، وعاجز عن أن يتلاشى ما يعترضه من صروف الحياة ، ومن وعثاء طريقها في سفره الطويل او القصير ، وهذا الشعور يلجئه بالضرورة الى الاعتقاد بوجود قوة عليا هي التي ينبغي ان يكون اليها الملجا ، وهي التي يستعين بهاالانسان في سرائه وضرائه ، وفي قوته وضعفه وفي صحته ومرضه ، هذه القوة الخفية التي يدرك آثارها ويجدها عميقة في نفسه، هي القدرة الالهية ويدرك الانسان كذلك بفطرته وطبيعته وجبلته ، ان هذه الحياة، ما وجدت عبثا، وانها لابد من ان تنتهي الى نهاية ، وان نهايتها تقتضي وجود مصير يحقق العدل والانصاف بين الناس، ويعطى

كل انسان حقه ، فان تفاوت ما يناله كل انسان في هذه الحياة من رفعة وضعة ، وما يناله كل انسان في هذه الحياة من غنى وفقر ، وما يناله كل انسان في هذه الحياة من حظوظ او حرمان ، ان هذا كله لايمكن ان ينتهي على الصورة التي يشهدها الناس في حياتهم دون ان يكون هناك مصير للجزاء العادل توفى فيه كل نفس بما كسبت ، وهذه المعاني ونظائرها هي التي نعبر عنها بالفطرة ، فهي المشاعر العميقة في نفس الانسان ، التي توحي اليه بتلك الامور وغيرها مما يجذب هذه النفس الى خالقها وبارئها ويجذب هذه النفس الى مالك الضر والنفع ويجذب هذه النفس الى من بيده ملكوت السماوات والارض ومن ينفرد بالملك كله في اليوم الاخر : (لمن الملك اليوم ·· لله الواحد القهار) ، وهذا هو الميثاق ·· الذي اخذه الله على البشر كلهم وذكره عز وجل في قوله : (واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) ·

ميثــاق الفطــرة :

وللعلماء في تفسيرالاية مذهبان في بيان ميثاق الفطرة ، فمنهم من يرى ان الله سبحانه وتعالى قد أخذ هذا الميثاق على البشرية كلها في عالم الذر ، واشهدها على توحيده سبحانه وتعالى فاقرت على نفسها بذلك ، وهذا التفسير له اثاره التي تدل عليه من ان الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم مسح ظهره ثم كان هذا العهد ، اما التفسير الثاني ، فيرى ان ميثاق الفطرة هو ما أودعه الله تعالى في هذا الانسان من عقل يتمكن به من النظر في كائنات الله

وفي مخلوقاته ، ثم يتوصل بهذا النظر في كائنات الله وخلقه الى الايمان بالله الخالق المدبر الذي لا يستحق العبادة سواه ، وقد قال الله تعالى في الاية الاخرى : (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) · ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله « كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » ·

والتعبير بالابوين ، تعبير عن البيئة الاخص التي تؤثر على الفطرة ، فان اخص بيئة تحيط بالطفل منذ نشأته هي بيئة الابوين ولهذه البيئة تأثيرها ، كما لغيرها كذلك من البيئات ·· بيئة المجتمع ·· وبيئة المدرسة ·· هذا التأثير ، والرسول عليه الصلاة والسلام يبين في الحديث ان الفطرة هي اصل الخلقة عند الانسان، وان العدول عنها الى غيرها الى اى ملة من الملل او نحلة من النحل ، انما هو تأثير لعارض من العوارض، « فأبواه يهودانه اوينصرانه او يمجسانه » ، اى يجعلانه يهوديا ان كانا

يهوديين ويجعلانه نصرانيا ان كانا نصرانيين ويجعلانه مجوسيا ان كانا مجوسيين . ولم يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم او يسلمانه اى يجعلانه مسلما ان كانا مسلمين ، مما يدل على ان الاسلام هو دين الفطرة ، وهذا التمثيل في الحديث لا يعني الوقوف عند المعتقدات التي ذكرها رسولنا صلى الله عليه وسلم ، بل في حكمها سائر المعتقدات التي دانت بها فئات من البشر في القديم والحديث على السواء ، « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » ، ولم يقل او يسلمانه اى يجعلانه مسلما ، لان الاسلام هو دين الفطرة .

الأمر الثاني :

الأمر الثاني : الذي تتميز به العقيدة الاسلامية ، ان منهج هذه العقيدة في الاستدلال عليها هو منهج الفطرة كذلك. ان عقيدة الايمان بالله سبحانه وتعالى انما تكون عن فكر ونظر ، ولذلك فان علماءنا رضي الله عنهم ، قالوا انه لا يصح التقليد في العقيدة ومنهج الاسلام في الدعوة الى عقيدته منهج يلائم الفطرة البشرية في خاصة نفسها وفي الحياة التي تحيط بها ، وفي وجوه النفع التي تعود عليها في هذه الحياة ، فلا يسلك الاسلام في الاستدلال على عقيدته مسلك الجدل العقلي او الفلسفة النظرية ، انما يسلك مسلك الفطرة البشرية بما يلائم طبيعة كل مجتمع ، ونحن اذ ننظر الى ايات القرآن الكريم في العهد المكي ، نرى ان طرائق الاستدلال التي ذكرها الحق تبارك .. وتعالى للمشركين ، تخاطب منهم صميم حياتهم ودافع مجتمعهم مما يشهدون اثره ويلحظونه صباح مساء في غدوهم ورواحهم وفي وسائل كسبهم، فترى مثلا قوله تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) . وهذه الامور التي ذكرها الله في الايات شديدة الالتصاق بحياة الانسان العربي في الابل التي يركبها ويحمل عليها أثقاله ، وفي السماء التي يتطلع اليها فيهتدى بنجومها في الليل ، ويرقب نزول المطر منها حتى ينبت الكلأ ،

وفي الجبال التي تحيط به يمنة ويسرى، ويتخذها اعلاما في بعض الحالات ، وفي الارض التي يمشى عليها فيتجول في وهادها ونجادها ويستفيد من خيراتها ، وهذه الامور هي التي يشعر بها الانسان العربي في حياته الاولى شعورا قويا: (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر) ، ويذكر الله عقيدة الوحدانية في الوهيته سبحانه وتعالى ، ثم يتبعها بمنهج هذا الاستدلال الفطرى في النظر في كائناته ، يقول عز وجل :

« والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . أن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » .

ونتابع ايات القرآن في منهج الاستدلال على العقيدة بعناصرها المختلفة في البعث وما يعقبه ، فنجد الايات الكثيرة التي يسوقها الله في الاستدلال على البعث بانبات الارض بعد ان كانت ميتة ، فهو كذلك يحيى الموتى ، وهي ظاهرة يلحظها الانسان في الارض القفر ينزل عليها المطر ويلقى الزراع فيها البذر فلا تلبث حتى تنمو وتحيا وتنبت فيها هذه البذور ، كذلك عودة الانسان ، فترى هذه الايات في صدر سورة (ق) ، حيث يقول تعالى « فأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » . ويقول تعالى: « ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيى الموتى » .

وفي سياق الاستدلال العقلي يك[...] التقسيم المنطقي الذي يلائم الفطرة ، د[...] اعمال نظر فلسفي ودون قياس ج[...] منطقي : (أم خلقوا من غير شيء ام الخالقون ، ام خلقوا السماوات والار[...] بل لا يوقنون ، أم عندهم خزائن ربك هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون [...] فليأت مستمعهم بسلطان مبين ام له البن[...] ولكم البنون ، أم تسالهم أجرا فهم م[...] مغرم مثقلون ، ام عندهم الغيب فه[...] يكتبون ، ام يريدون كيدا فالذين كفر[...] هم المكيدون ، أم لهم اله غير الله سبح[...] الله عما يشركون) . فهذا التقسي[...] العقلي ـ وهو نمط من أنماط الاستدلال القرآن الكريم ـ يتسق مع الفطرة البشر[...] ايضا ، ففي كل اية من هذه الايات نج[...] التقسيم الذي يرد على صاحبه بالنكير حت[...] يؤمن بالله واحد لا شريك له ، فلم يوج[...] هذا الخلق دون خالق . ولم يكن ه[...] الخلق ليخلق نفسه ، وليس لدى أولئ[...] المكذبين من وثائق للعلم والمعرفة عن طري[...] من الطرق يحتجون بها على ما هم عليه [...] شرك ووثنية ، ولكنه الكيد للاسلام واه[...] ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فمثل هذا هو الاسلوب الفطري في الاستدلا[...] على عقيدة الفطرة .

الامر الثالث :

الامر الثالث : ان هذه العقيدة عقيد[...] الرسل . فما من رسول بعثه الله الا وكان[...] دعوته موجهة الى قومه ليعبدوا الله وحد[...] لا شريك له ، فالعقيدة هي ل[...] الاديان السماوية . والقرآن الكري[...] يذكر لنا ان رسولنا صلى ال[...] عليه وسلم ، انما بعث بما بعث ب[...] الانبياء من قبله لتصحيح هذه العقيدة [...]

نفوس الناس : (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنـــا فاعبدون) . (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيمــوا الدين ولا تتفرقوا فيه) . فعقيدة الانبياء واحدة ودينهم واحد ، وما بعث به كــل رسول يرتكز على دعوة قومه أو دعــوة الناس في رسالة محمد صلى الله عليــه وسلم ، الى اعادة هذه البشرية لفطرتها ، لفطرة توحيده ، لفطرة الايمان به سبحانه والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره بقوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربــه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبـه ورسله لا نفرق بين احد مــن رسله) . ويقول : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتــاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتى الــزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئــك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) .

الأمر الرابع : الذي تتميز به العقيدة الاسلامية ان الايمان بها يقتضى الايمان بجميع الرسل ، فالذى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبالعقيدة التي بعث بها والشريعة التي أوحى الله بها اليه ، يؤمن بجميع الانبياء والمرسلين ، من ذكر منهم بأسمائهم ومن لم يذكر ، وقد جاء الامر بهذا في ايتين كريمتين . احداهما جاءالامر فيها موجها الى هذه الامة : (قولوا آمنــا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن لــه مسلمون) . وفي الآية الاخرى ، جاء الامر فيها موجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما وجه الى رسول الله فهو موجه الى أمته فيما لا يكون من اختصاصاته .

(قل آمنا بالله وما أنزل علينا وماأنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب.. والاسباط وما أوتى موســى وعيســى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) . والكتاب الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ، جاء مهيمنا ومصدقا على الكتب السماوية كلها ، يقول تعالى : (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) . والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة عــلى رسل الله . « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب » ، اى من جنس الكتاب الموحى به الى رسول مــن الرسل ومهيمنا عليه . ولذا كانت هــذه العقيدة الاسلامية وما يتبعها من شريعــة ناسخة لما قبلها لانها عقيدة الانبياء كلهم ولان الايمان بها يقتضي الايمان بالانبياء جميعا ، بل ان الله سبحانه وتعالى قد أخذ الميثاق على الانبياء السابقين ان يأخــذوا على أتباعهم العهد ، ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، اذا بعث فيهم فأقروا على انفسهم بذلك .. وشهد الله عليهــم كما جاء في الاية الكريمة : « واذ أخــذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصرى . قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

للبحث صلــة :

بقلم فضيلة الدكتور
يوسف القرضاوي
رئيس
قسم الدراسات الاسلامية
بجامعة قطر

تمتاز الشريعة الاسلامية عن القوانين الوضعية بما لها من صفة « ربانية » وصبغة دينية ، تفرغ على تشريعاتها قدسية لانظير لها ، وتغرس في نفوس اتباعها حبها واحترامها ، احتراما نابعا من الايمان بكمالها وسموها وخلودها من رهبة السلطة التنفيذية واجهزتها ، فان شارع هذه القوانين والاحكام ليس بشرا يحكمه القصور والعجز البشرى ، والتاثر بمؤثرات المكان والزمان والحال، ومؤثرات الوراثة والمزاج والهوى والعواطف ، وانما شارعها هو صاحب الخلق والامر في هذا الكون ، ورب كل من فيه وما فيه ، الذي خلق الناس وهو اعلم بما ينفعهم ويرفعهم ، وما يصلح لهم ويصلحهم ٠ « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » الملك : ١٤ ٠

ولهذه الربانية في تشريع الاسلام وقوانينه لم يكن لمسلم خيار في الاعراض عنها ، حاكما كان او محكوما فأما الحاكم فقد قال تعالى « ومن لم يحكم بما انزل الله فألئك هم الكافرون ، ٠٠ فالئك هم الظالمون ٠٠ فالئك هم الفاسقون » المائدة : ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٧ ٠

واما المحكوم فقد قال تعالى « واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » النساء : ٦١ وقال : « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وألئك هم المفلحون » النور : ٥١ ٠ « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» الاحزاب: ٣٦

[illegible] القبول للأحكام

[illegible]

وبسبب هذه الربانية تجد تشريعات الاسلام وقوانينه في أنفس المسلمين من الاحترام والقبول والانقياد والطاعة لها

مالا يجده اى تشريع اخر يضعه البشر بعضهم لبعض ، لان المسلم حين يطيع هذا التشريع وينفذه ، يعتقد انه يتعبد لربه ، عز وجل ، ويتقرب به اليه ، وهذا هو موجب الايمان ، ومقتضى الاسلام « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » النساء ٦٥ ·

كما يعتقد المسلم في قرارة نفسه ان احكام هذه الشريعة الربانية هي اعدل الاحكام وأكملها وأوفاها بتحقيق كل خير، ودرء كل شر وأقدرها على اقامة الحق وابطال الباطل واشاعة الصلاح وقطع دابر الفساد فلهذا ينفذها عن اقتناع تام بعدالتها وخيريتها ·

ويوقن المسلم كذلك من اعماق قلبه ان الله ـ تعالى ـ مراقبه ومطلع عليه ، وهو ينفذ هذه الشريعة ، او حين يحاول التهرب من التزاماتها ·· وانه ـ تعالى ـ محاسبه على ذلك يوم يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » الزلزلة : ٧ ، ٨ ·

لهذه المعاني كلها يسارع المسلم الى التقيد بأحكام الشريعة وتنفيذ اوامرها واجتناب نواهيها راضيا مسلما مطمئن القلب، مدفوعا بصوت الضمير من الداخل،

ليس على الاعمى حرج

حرم الله على المؤمنات تبرج

لا بسوط الشرطي من الخارج حتى اذا غلبه هواه او أنانيته يوما ، فخالف ماأمرت به الشريعة او اقترف ما نهت عنه ، فانه سيظل شاعرا بالاثم حتى يتوب ويطهر نفسه مما قدمت يداه ·

وقد رأينا في عصر النبوة من يجيء طائعا مختارا يسلم نفسه الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لينفذ فيه عقوبة الشرع على جريمة اقترفها خفية ، لم يضبطه فيها شرطي ، ولا قدم احد شكوى ضده وانما هو الذي حملته قدماه بدافع من ايمانه وحده ، ليطالب في الحاح أن يقام عليه حد الله ليلقى ربه يوم القيامة طاهرا ·

وهكذا عاش المسلمون طوال عصور استقلالهم وسيادتهم على ارضهم يتقبلون احكام الشريعة عامة ، وحدودها وعقوباتها خاصة : شعارهم « ان الاصبع التي تقطعها الشريعة لاتتالم » اى لان الذي امر بقطعها هو الله أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ·

ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج

الجاهلية الأولى ، وأمرهن أن يتميزن عن نساء الجاهلية

ونستطيع ان نضرب امثلة عديدة لتاثير الشريعة في نفوس اتباعها وعجائب انقيادهم

تفرض قوانين الدول الحديثة الخدمة العسكرية الاجبارية على القادرين ، من ابنائها مدة معينة من الزمن ، سنتين او ثلاث او اقل او اكثر وتعتبر ذلك واجبا وطنيا وشرفا لصاحبه .

ومع ذلك نرى الكثيرين في بلاد شتى يساقون الى هذه الجندية المفروضة كرها لا طوعا . ومنهم من يحتال للفرار منها بكل سبيل . ومنهم من يؤديها أداء اليا حتى اذا انتهت المدة تنفس الصعداء وعاد الى موطنه كالخارج من سجن طويل .

فاذا قسنا هذا السلوك بمظهره الحسي، ومخبره النفسي بسلوك المسلمين تجاه ما فرض عليهم من الجهاد في سبيله ، نجد البون شاسعا والفارق بعيدا .

انما نجد الغلام منهم ، لم يبلغ الحلم بعد ، ولم يزل طرى العود ، يزاحم الكتف بالمناكب، ليفوز بشرف الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا .

فاذا رده النبي صلى الله عليه وسلم - لصغر سنه ذهب الى أبيه يبكي ، ويطلب اليه ان يشفع له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونجد الرجل وابنه يتنافسان على الغزو حتى يقترع الرجل وابنه ، ايهما يخرج للجهاد وأيهما يبقى لشئون البيت والاسرة .

ونجد شيخا اعرج كعمرو بن الجموح الانصاري يأبى الا ان يخرج للمشاركة في غزوة احد مع ان الله عذره في كتابه حين قال : « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » الفتح : ١٧ . ومع ان له اربعة بنين يشهدون المعارك خلفا له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه يسعى وراء امنية غالية هي الشهادة وقد حققها الله له .

ويروى ابن عباس عن ابي طلحة في قوله تعالى « انفروا خفافا وثقالا »

التوبة : ٤١ · قال : شبانا وكهولا ماسمع الله عذر احد ، فخرج الى الشام فجاهد حتى مات رضي الله عنه ·

وعن انس : ان أبا طلحة قرأ سورة براءة ، فأتى على هذه الاية « انفروا خفافا وثقالا » فقال : « اى بني جهزوني » « اى بعدة الحرب » فقال بنوه : يرحمك الله ·· فقد غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات فنحن نغزو عنك · قال : لا· جهزوني فغزا في البحر فمات في البحر ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة ايام فدفنوه فيها ·

وقال الزهرى : خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له: انك عليل · فقال استنفر الله الخفيف والثقيل ، فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع (١) ·

وفي الالتزامات المالية نجد المكلفين بدفع الضرائب يتهربون منها باساليب شتى بناء على بواعث كثيرة حتى شكا من ذلك رجال الادارة المالية في معظم الدول ·

وكثيرا ما عالجوا هذا بزيادة الضرائب، تغطية للعجز الناشيء من كثرة المتهربين· وذكر بعض الباحثين ان امريكا ـ وهي بلد الضرائب ، ظهرت فيها جملة كتب تعلم الممولين كيف يحتالون على الحكومة ويفرون من الضريبة المفروضة بطريقة قانونية ·

وقد عجزت كل الضمانات التأديبية والتنظيمية عن سد هذه الثغرة الخطيرة في دنيا الضرائب · وازاء هذه الصورة القاتمة في عالم الضرائب الوضعية اسجل هذه الصورة الوضيئة للزكاة الاسلامية وموقف المؤمنين من ادائها ·

عن ابي بن كعب قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مصدقا فمررت برجل فلما جمع لي ماله ، لم اجد عليه فيه الا ابنة مخاض فقلت له : اد ابنة مخاض فانها صدقتك ، فقال : ذاك مالالبن فيه ولا ظهر ولكن هذه ناقة فتية عظيمة سمينة ، قال : فخذها ، فقلت له : ما أنا بآخذ مالم أو مر به ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منك قريب ، فان أحببت ان تأتيه ، فتعرض عليه ما عرضت علي ، فافعل فان قبله منك قبلته ، وان رده عليه رددته ، قال : فاني فاعل ، فخرج معي ، وخرج بالناقة التي عرض علي حتى قدمنا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يانبي الله ، أتاني رسولك ليأخذ مني صدقة مالي ، وايم الله ما قام في مالي رسول الله ولا رسوله قط قبله ، فجمعت له مالي ، فزعم ان ماعلي فيه ابنة مخاض، وذلك مالا لبن فيه ولا ظهر ، وقد عرضت عليه ناقة عظيمة فتية ليأخذها فأبي وردها علي وماهي ذه ، قد جئتك بها يا رسول الله ، خذها فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ذاك الذي عليك ، فان تطوعت بخير أجرك الله فيه ، وقبلناه منك » قال : فها هي ذه يا رسول الله ، قد جئتك بها فخذها ، فأمر رسول الله ـ صلى

الله عليه وسلم ـ بقبضها ، ودعا له في ماله بالبركة » (٢) •

وفي رواية الامام احمد لهذا الحديث ان الرجل قال « ما كنت لا قرض الله مالا لبن فيه ولا طهر ، فهو يرى ان العلاقه بينه وبين الله تعالى ، قبل ان تكون بينه وبين الحكومة او الادارة المالية •

وكثيرا ما وجدنا اناسا مؤمنين ياتون الى ولي الامر المسلم ، طائعين مختارين ، يطلبون منه ان يأخذ منهم الزكاة من مال لم يطالبهم احد بزكاته ، او لا يرى أولو الامر انفسهم ان فيه زكاة واجبة •

نجد جماعة من اهل الشام ياتون الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، يطلبون منه ان يأخذ منهم زكاة عن خيل ملكوها ، ويقولون انا اصبنا اموالا ، ونحب ان يكون لنا فيها زكاة وطهور •

ويأتي رجل بمشر ما أحرج نحله من عسل ، طالبا من عمر أن يقبله منه قائلا . لا خير في مال لا يزكى (٣) •

وفي مجال المنهيات والمحرمات يحسن بي ان أذكر موقفين اسلاميين هما من أروع المواقف التاريخية الانسانية في المسارعه الى الانقياد للشريعة ، واجتناب ما نهت عنه بلا تردد ولا ابطاء •

اولهما : موقف العرب بعد اسلامهم من تحريم الخمر • وقد كان لهم في الجاهلية ولع بشربها واقداحها ومجالسها حتى سموها نحو مائة اسم او تزيد ، وقد علم الله ذلك منهم ، فأخذهم بسنة التدرج في تحريمها ، الى ان نزلت الاية الفاصلة من سورة المائدة تحرمها تحريما باتا ، وتعلن انها « رجس من عمل الشيطان » المائدة : ٩٠ • وبهذا حرم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شربها وبيعها ، واهداءها لغير المسلمين • فما كان من المسلمين حينذاك الا ان جاءوا بما عندهم من مخزون الخمر واوعيتها ، فاراقوها في طرق المدينة اعلانا عن براءتهم منها •

ومن عجيب امر الانقياد ، لشرع الله ان فريقا منهم حين بلغته هذه الاية ، كان منهم من في يده الكاس قد شرب بعضها ، وبقي بعضها في يده ، فرمى بها من فيه ، وقال ـ اجابة لقول الله : « فهل انتم منتهون » المائدة : ٩١ • قد انتهينا يارب• قد انتهينا يا رب ••

ولو وازنا هذا النصر المبين ، في محاربة الخمر والقضاء عليها في البيئة الاسلامية بالفشل الذريع الذي منيت به الولايات المتحدة (٤) • حين أرادت يوما ان تحارب الخمر بالقوانين والاساطيل ـ لعرفنا ان البشر لا يصلحهم الا تشريع السماء ، الذي يعتمد على الضمير والايمان قبل الاعتماد على القوة والسلطان •

وثانيهما: موقف النساء المسلمات الاول مما حرم الله عليهن من تبرج الجاهلية ، وما اوجب عليهن من الاحتشام والتستر ، فقد كانت المرأة في الجاهلية تمر بين الرجال مسفحة بصدرها ، لايواريه شيء، وكثيرا ما أظهرت عنقها وذوائب شعرها، و

اقراط آذانها ، فحرم الله على المؤمنات
رج الجاهلية الاولى ، وامرهن ان يتميزن
ن نساء الجاهلية ، ويخالفن شعارهن ،
يلزمن الستر والادب في هيئاتهن
احوالهن ، بان يضربن بخمرهن على
يوبهن، اي يشددن اغطية رؤوسهن بحيث
نطي فتحة الثوب من الصدر ، فتوارى
نحر والعنق والاذن ٠

وهنا تروى لنا السيدة عائشة أم المؤمنين
ضي الله عنها ــ كيف استقبل نساء
لهاجرين والانصار في المجتمع الاسلامي
لاول ، هذا التشريع الالهي الذي يتعلق
تغيير شيء هام في حياة النساء ، وهو
لهيئة والزينة والثياب ٠

قالت عائشة : يرحم الله النساء
لمهاجرات الاول ٠ لما أنزل الله « وليضربن
خمرهن على جيوبهن » شققن مروطهن
أكسية من صوف او خز) فاختمرن
بها (٥) ٠

وجلس اليها بعض النساء يوما، فذكرن
ساء قريش وفضلهن ، فقالت : ان لنساء
ريش لفضلا ، واني والله ما رأيت افضل
ن نساء الانصار ، ولا اشد تصديقا
كتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل ٠ لقد
نزلت سورة النور : « وليضربن بخمرهن
على جيوبهن » فانقلب رجالهن اليهن
يتلون عليهن ما انزل الله اليهن فيها ،
يتلو الرجل على امرأته وابنته واخته ،
كل ذي قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت
لى مرطها المرحل (المزخرف الذي فيه
تصاوير) فاعتجرت به (شدته على رأسها)
تصديقا وايمانا بما انزل الله من كتابه،
فاصبحن وراء رسول الله ــ صلى الله عليه
وسلم ــ معتجرات كأن على رؤوسهن
الغربان » (٦) ٠

هذا هو موقف النساء المؤمنات ، مما
شرع الله لهن ٠ موقف المسارعة الى تنفيذ
ما أمر ، واجتناب ما نهي ، بلا تردد ولا
توقف ولا انتظار ٠

اجل لم ينتظرون يوما او يومين او
اكثر حتى يشترين او يخطن أكسية جديده
تلائم غطاء الرؤوس ، وتتسع لتضرب على
الجيوب ٠ بل اى كساء وجد ، واى لون
تيسر ، فهو الملائم والموافق ، فان لم يوجد
شققن من ثيابهن ومروطهن ، وشددنها على
رءوسهن ، غير مباليات بمظهرهن الذي
يبدون به كأن على رءوسهن الغربان ٠ كما
وصفت أم المؤمنين (٧) ٠

وليس احترام هذه الشريعة والادعان
لها مقصورا على الشعب والرعية ، فان
الخلفاء والامراء ، والحكام والقادة لا
يملكون ازاءها الا الخضوع لاحكامها
طائعين مسلمين ، لانها تمثل سلطة اعلى
من سلطتهم ، سلطة من له الخلق والامر ،
وله الحكم ، واليه المصير ، وهو الله
تعالى ٠

ويحضرني هنا مثال يحسن الاستشهاد
به في هذا المقام٠ في عهد الحجاج بن يوسف
الثقفي بالعراق ، جيء رجل من عشيرة

جناية ثم اختفى ، فطلبه رجال الحجاج ، فلم يعثروا له على اثر . فما كان منهم الا ان أخذوا رجلا اخر من عرض عشيرة الرجل الهارب رهينة حتى يحضر الجاني ، وحبسوه أياما ، ثم مثل أمام الحجاج فسأله : ما شأنك ؟ .

قال . جنى جان من عرض العشيرة فأخذت به .

فقال الحجاج : ألم تسمع قول الشاعر .

جانيك من يجني عليك ، وقد
تعدى الصحاح مبارك الجرب ..
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة
ونجا المقارف صاحب الذنب ..

فقال الرجل ولكني – ايها الامير – سمعت الله تعالى يقول غير ما قال الشاعر .

فلم يملك الحجاج الطاغية المتجبر الا ان يسأل الرجل . وماذا قال الله تعالى ؟ هنالك قرأ عليه الرجل من سورة يوسف قوله تعالى قالوا « يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا ، فخذ احدنا مكانه ، انا نراك من المحسنين » . قال « معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ، انا اذا لظالمون » يوسف ٧٨ ، ٧٩ .

فما ان سمعها الحجاج حتى قال صدق الله ، وكذب الشاعر .. وامر بالرجل ان يخلى سبيله .

والحجاج هو الذي يكفي ذكر اسمه فتتذكر معه مظالمه وطغيانه ، ومع هذا خشع امام النص الرباني ، واستجاب لمضمونه غير متلكئ .

وهذا الاحترام والتوقير لاحكام الشريعة الغراء ، ليس مقصورا على الاحكام المنصوص عليها ، المستمدة من الكتاب والسنة فحسب . بل يشمل الاحكام الاجتهادية التنظيمية ، المتعلقة بالسياسة الشرعية مما يستمده اولو الامر من المصالح المرسلة ، كقوانين تنظيم السير والمرور مثلا ، او تنظيم البناء وشئون البلديات ونحوها ، فان طاعة هذه القوانين واجبة شرعا متى صدر بها مرسوم من السلطة الشرعية ، حتى ذكر المتاخرون من فقهاء الحنفية ان السلطان لو أمر الناس في حال غلاء او وباء او مجاعة بصيام يوم مثلا ، وجب عليهم ديانة ان يصوموه ، ويكون قربة لهم عند الله ، ولا يحل لهم مخالفته بغير عذر .

واساس هذا ان طاعة ولي الامر الشرعي – في غير المعصية – واجبة دينا ، بنص القرآن والسنة .

ففي القرآن يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، واولى الامر منكم » النساء : ٥٩ .

وفي السنة يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – « من اطاع الامير فقد اطاعني ، ومن عصى الامير فقد عصاني » ويقول : « السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما احب وكره ، مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وبهذه الصفة الربانية ـ او الدينية ـ كان للشريعة الاسلامية فضل على القوانين الوضعية لاكثر من معنى وفي اكثر من جهة ·

ان القوانين الوضعية انظمة مدنية دنيوية فحسب ، فكل احكامها مقصورة على مراعاة الظواهر ، وكل اعتمادها على قوة السلطة الزمنية ، وكل اجزيتها وعقوباتها محصورة في الناحية الدنيوية ، فلا مكان فيها لفكرة الحلال والحرام ، ولا لبواطن الامور ، ونيات القلوب ولعقيدة الحساب بين يدى الله ودخول الجنة او النار ·

ولهذا اذا ضعفت السلطة التنفيذية او اخطأت الهيئة القضائية ، او انحرفت احداهما او كلتاهما ، وامكن المواطن ان يفلت من يد العدالة بالقوة او الحيلة ، او ذلاقة اللسان فانه سيفعل ذلك دون ان يشعر بكثير من الاثم او الحرج فيما فعل·

اما الشريعة الاسلامية فهي نظام روحي ومدني ، ديني ودنيوى ، لهذا تعتمد على وازع الايمان والخلق بجوار اعتمادها على قوة السلطان ورقابة الدولة وهي تضع الجزاء الاخروى مع الجزاء الدنيوى جنبا الى جنب وهي تقيد المسلم بفكرة الحلال والحرام في كل عمل ، فالقوانين تقتصر على بيان ان هذا صحيح او فاسد او نافذ او موقوف ، ولكن الشريعة تضيف الى ذلك ان هذا حلال وهذا حرام ، وهذه طاعة وهذه معصية ، وتجعل حل الاشياء مرتبطا بالحقائق والبواطن لا بالصور والظواهر التي يبنى عليها القضاء حكمه بالضرورة·

فمن قضت له المحكمة بشيىء بناء على سبب ظاهر ، وكان في حقيقة الامر مبطلا بان كان الشهود كذبة او كانت وثائقه مزورة باحكام ، او رفضت دعوى خصمه بسبب التقادم ـ كمرور ثلاثين سنة مثلا عليها ـ وكان الحق لم يزل في ذمته بالفعل، فان قضاء المحكمة وان اعتبر نافذا في الظاهر لا يسوغ له اكل الحرام واخذ حقوق الغير بالاثم · وهذا ثابت بالقرآن والسنة ·

اما القرآن فقوله تعالى : « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام ، لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » البقرة : ١٨٨ ·

واما السنة فقوله ـ صلى الله عليه وسلم « انكم لتختصمون الي ، وانما انا بشر وعسي ان يكون بعضكم الحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشيء من حق اخيه (اى بناء على الظاهر) فانما اقطع له قطعة من النار فليأخذها او ليتركها » ·

وبناء على هذا الاصل كانت احكام المعاملات في الشريعة الاسلامية ذات اعتبارين : اعتبار قضائي واعتبار ديني·

ونجد الفقهاء في كثير من المسائل يقولون : هذا نافذ قضاء غير نافذ ديانة او بالعكس ، فالامر الواحد قد يختلف

حكمه في القضاء عنه في الديانة .

« فمن طلق زوجته مخطئا بأن جرى على لسانه لفظ الطلاق ، غير قاصد اليه ، بل الى لفظ آخر ، يعتبر الطلاق منه واقعا قضاء ، ان يقضي القاضي بوقوعه عملا بالظاهر ، ولكنه لا يقع ديانة فيفتيه المفتي بجواز بقائه مع امرأته فتوى معلقة على ذمته في زعم الخطأ .

وكذلك لو أبرأ أحد مدينه ولم يخبره ، ثم ادعى عليه بالدين، وكتم ابراءه، وقضى له به ، فان له التنفيذ والاستيفاء قضاء لا ديانة .

وبناء على ذلك اختلفت في الاوضاع والترتيبات الشرعية مهمة القضاء عنمهمة الافتاء ، اى وظيفة القاضي عن وظيفة المفتي :

فالقاضي يجرى على الاعتبار القضائي للاعمال والاحكام ، ولا ينظر الى الاعتبار الديني .

اما المفتي فيبحث عن الواقع ، وينظر الى الاعتبارين ، فان اختلف اتجاههما ، افتى الانسان بالاعتبار الدياني وبهذه المناسبة يقول الاستاذ الجليل مصطفى الزرقا :

« ان الوازع الديني في صيانة الحقوق مهما ابتعدت عنه الامم في نزعتها المادية بنظامها الاجتماعي اليوم فقد اضطرت اليه في تشريعها القانوني الوضعي المحض، وبنت عليه نواحي من قضائها ، لم تستطع فيها الا الالتجاء الى الضمانة الدينية ، والوجدان الروحي .

ويتجلى ذلك في تحليفهم الخصم اليمين عند عجز المدعى عن اثبات دعواه ، وعند تذرع المدعى عليه . وتمسكه بالتقادم التجاري القصير على سند مالي تجاري يدعى عليه به (٨) .

١ ـ ذكر هذه الروايات القرطبي في تفسير آية : « انفروا خفافا وثقالا » من سورة التوبة .

٢ ـ رواه الامام احمد وابو داود واللفظ له والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

٣ ـ انظر : كتابنا « فقه الزكاة » ج ٢ ص ١٠٦٥ فصل « ضمانات الضريبة وضمانات الزكاة » .

٤ ـ اقرأ هذه الموازنة في كتابنا : « الايمان والحياة » . في موضوع « الايمان والاخلاق » .

٥ ـ البخاري .

٦ ـ ذكره ابن كثير في تفسير آية عن ابن ابي حاتم .

٧ ـ من خاتمة كتابي « الحلال والحرام في الاسلام » .

٨ ـ انظر « المدخل الفقهي العام » ج ١ ص ٦٣ ـ ٦٥ ط ثالثة .

بقلم الاستاذ :
عبد الستار جاد الرب

قال المؤرخون ، والكتاب والعلماء الكثير عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ٠٠ وسؤال طرحناه على أنفسنا ، لماذا لا ندع الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يحدثنا عن هجرته خاصة والهجرة عامة ؟ اننا بذلك نعود الى النبع الاصيل ، ومناجل

ذلك راجعنا كتـــب الاحاديث وفي مقدمتهـــا الصحيحان : البخاري ومســلم ، باحثين عــن كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم ، حــول ذلك الحدث الاسلامي الكبير ، الذي نؤرخ به ، فهو بداية نجاح الدعوة وهو الخطوة الاولى ، في سبيل انتشار دين الله ، وانطلاقا منه بدأت « دولة الاسلام » في المدينة تقاتل الشر والكفـر في بدر وأحد والخندق الى أن فتح اللـــه على المسلمين وفتحوا مكة ..

اننا هنا سنكتفي بأن « نربط » بيـن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ببضع كلمات لا اكثر ، تاركين احاديثه الشريفة الطاهرة تحكي لنا في ايجازها المعجز ، قصة من أروع قصص التاريخ.

قبل الهجرة :

تحدث الرسول عليه الصلاةوالسلام عن الهجرة قبل ان تقع قال : « رايـت في المنام اني اهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلي الى انها (اليمامة) أو (هجر) فاذا هي المدينة (يثرب) ».

ولم يكن ذلك هو الحديث الوحيد ، بعد الرؤية التي رآها عليـــه الصـلاة والسلام ، لكن حديث الهجرة تكرر . « اني اريت دار هجرتكم ، ذات نخل، بين لابتين ، وهما الحرتان » .

وانطلق المسلمون سرا يهاجرون ، ورجع عامة من هاجر لارض الحبشـة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة ،

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « على رسلك فاني أرجو أن يوذن لي » فقال أبوبكر : « وهل ترجو ذلك ، بأبي

والله إنك ولولا أن أهلك

...مي ؟ » قال الرسول : « نعم » ٠

...يل الهجرة :

قالت عائشة : جاء رسول الله ...لى الله عليه وسلم ، فاستأذن ، فأذن فدخل : فقال النبي لابي بكر ، «أخرج ... عندك » قال ابو بكر : انما هم أهلك بابي انت ـ يا رسول الله ٠

قال : فاني قد اذن لي في الخروج ، ...ال ابو بكر : الصحبة ـ بابي انت ... رسول الله ٠

قال رسول الله صلى الله عليه ...سلم : نعم ٠

قال ابو بكر : فخذ بابي انت يا رسول ...ه احدى راحلتي هاتين ٠

قال رسول صلى الله عليه وسلم : بالثمن » ٠٠

وقد كان ، دفع عليه الصلاة والسلام ...ن الناقة التي سيركبها الى المدينة ...نال عليه الصلاة والسلام « اتاني ...بريل عليه السلام فقال : لا تبت هذه ...ليلة على فراشك الذي تبيت فيه » ٠ ...ستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم ...نزل عليه من الروح الامين وكان ان ...ل مكانه ابن عمه علي بن ابي طالب٠

وعندما بدأ الركب يتحرك قال عليه ...صلاة والسلام اجمل الكلمات عن ...مكة » خاصة وعن « الوطن » عامة ٠٠

« والله انك لاحب ارض الله الي ٠٠ وانك لاحب ارض الله الى الله ، ولولا ان اهلك اخرجوني منك ، ما خرجت » ٠

خلال الهجرة :

في غار ثور ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا ابا بكر ما ظنك باثنين، الله ثالثهما ؟ » « لا تحزن ان الله معنا» وفي ذلك يقول الله في كتابه العزيز : « الا تنصروه ، فقد نصره الله ، اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم » صدق الله العظيم ٠

عقب الوصول الى يثرب :

وعندما وصل الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة استقبل أروع استقبال بذلك النشيد الحلو من اطفال يثرب :

طلع البدر علينا ٠٠ من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ٠٠ ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ٠٠ جئت بالامر المطاع

وأمسك كثيرون بحبل الناقة التي كان عليها الرسول صلى الله عليه

لأحب أرض الله إلى الله

أخرجوني منك ما خرجت

وسلم ، كل منهم يريد أن ينزل الرسول ضيفا عليه وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرغب في ألا يشعر واحد فيهم ، أنه مفضل على الآخرين ، لذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن رغبوا في أن يقتادوا الناقة الى دورهم : « دعوها بارك الله فيها ، انها مأمورة » ٠

ومضت الناقة الى ذلك المكان الذي شاءه الله لها ـ حيث بنى الرسول صلى الله عليه وسلم مسجده الشريف فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « اني أنزل على اخوال المطلب » اكرمهم بذلك ٠ أي بيوتهم اقرب ؟ » ٠

وكانت دار ابي أيوب ، الذي سعد باستضافة الرسول صلى الله عليه وسلم في يثرب ، التي اصبحت منذ ذلك اليوم « المدينة المنورة » ٠ وقال عنها صلى الله عليه وسلم المدينة مهجري فيها مضجعي وفيها مبعثي ٠

ويتحدثون عن الاعلان العالمي لحقوق الانسان ذلك الاعلان الذي صدر عقب الحرب العالمية الثانية ، وينسون أن ذلك الاعلان ، قد صدر قبل ذلك بنحو اربعة عشر قرنا ، وكان ذلك على لسان نبي الله المصطفى عليه الصلاة والسلام في أول خطبة القاها على الناس عند وصوله الى المدينة قال « أيها الناس ، افشوا السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلون الجنة بسلام » ٠

الغزوات :

هذا وكانت الهجرة النبوية الشريفة بداية انطلاق للمد الاسلامي ٠ وبعد الهجرة بدأت الغزوات والفتوحات الاسلامية وفي هذه المناسبة نستعرض بعض الغزوات التي كانت الهجرة مقدمة لها ٠

غزوة بدر :

في العام الثاني للهجرة ، علم الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأن قافلة لقريش في طريقها من مكة للشام ولكنه لم يستطع اللحاق بها فانتظر عودتها وقال للمسلمين : « هذه عير قريش ، فيها أموالكم ، فاخرجوا اليها، لعل الله أن يغنمكموها » ٠

خرج المسلمون ، في الثامن من رمضان الى بدر ، وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بخروج قريش من مكة لقتاله ، فاستشار اصحابه فاذا بهم يقررون أن يخوضوا الحرب بجانبه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « سيروا ٠٠ وابشروا ، فان الله قد وعدني احدى

صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن الهجرة

الطائفتين ، والله لكأني الآن انظر مصارع القوم » ·

وقرب « بئر بدر » سأل الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، ارأيت هذا المنزل منزلا انزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، أو نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » · قال الحباب : يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تاتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نبني عليه حوضا فلنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرت بالرأي » ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فقال : « اللهم ، هذه قريش قد أتت بخيلها وخيلائها ، اللهم فنصرك الذي وعدتني » ··

وبدأت معركة بدر يوم الجمعة السابععشر من رمضان عام اثنينهجرية وخلالها كان الرسول يهتف بالمسلمين : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » ·

وكان النصر للمسلمين ·· وأمر الرسول بدفن قتلى المشركين في القليب، ووقف عليه الصلاة والسلام يقول لهم بعد أن ودعوا الحياة « يا أهل القليب (أي البئر) بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وأواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس » ·

غزوة أحد :

خرجت قريش لكي تنتقم لهزيمتها في بدر واقتربت من « المدينة » ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبقى فيها ويدافع عنها وقال لاصحابه : «اني اخاف عليكم من الهزيمة » ورأت الاغلبية أن يخرج المسلمون الى قريش ، فلبس الرسول صلى الله عليه وسلم درعه وطلع عليهم ، ورغبوا في أن يرجعوا عن رأيهم فقال عليه الصلاة والسلام ، « قد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم وما ينبغي لنبي اذا لبس لامته (أي اذا لبس درعه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه · وانظروا ما آمركم به فاتبعوه والنصر لكم ما صبرتم » · وكان بعض اليهود قد خرجوا مع المسلمين لقتال قريش ، وعندما رآهم الرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا يستنصر بأهل الشرك ما لم يسلموا »

فرجعوا الى المدينة بينما انطلـــق المسلمون الى جبل أحد ونظموا أنفسهم عنده ، وكانت هناك ثغرة وراءهــم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الرمـاة أن يحموها قائلا « احموا لنا ظهورنا ، فاننا نخاف ان يجيئوا مــن ورائنا ، والزموا مكانكم، ولا تبرحـوا منه وان رأيتمونا نهزمهم ، حتى ندخـل عسكرهم ، فلا تفارقوا أماكنكـم ، وان رأيتمونا نقتل ، فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا ، وانما عليكم ان ترشقوا خيلهــم بالنبال ، فان الخيل لا تقدم على النبل»·

وبدأت المعركة وانتصر المســلمون واذا بالرماة يتركون مواقعهـم ودارت قريش ـ بقيادة خالد بن الوليد ـ لكي تفاجيء المسلمين من الخلف فاضطربت صفوفهم خاصة عندما أشيع ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قتل ، ولكــن المؤمنين ثبتوا من حوله وكان عليــه الصلاة والسلام ينادي فيهم « مــــن يشتري لنا نفسه ؟ » ·

وكان الصمود من جانب المسلمين ، السبيل الاوحد لتفادي الهزيمة المنكرة ، ثم انسحبوا يحتمون بالجبل فاذا ببعض المشركين فوقه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم انهم لا ينبغـي ان يعلونا » وطارد المسلمون هــــؤلاء المشركين وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة حزينا على عمه حمزه ابن عبد المطلب وقال عليه الصـــلاة والسلام « لن أصاب بمثلك أبدا ، مـــا وقفت موقفا قط أغيظ من هذا » ·

غزوة الخندق :

زحفت قريش من مكة على المدينـــة وحفر المسلمون ، حولها خندقا واشترك الفارسي ، فأخذ الرسول صلى اللـــه الرسول صلى اللـــه عليه وسلم ، في الحفر ، واستعصت صخرة على سلمان عليه وسلم الفأس وضربها عدة ضربات وتطايرت منها ثلاث شرارات ، لمعت في سرعة سأل عنها سلمان الفارســـي الرسول عليه الصلاة والسلام فقـــال « أما الاولى فان الله فتح علي بها اليمن، أما الثانية فان الله فتح علي بها الشام ، أما الثالثـــة فان الله فتح علي بهـــا المشرق » ·

ويستدعي الرسول عليه الصـــلاة والسلام « نعيم بن مسعود » وهو مشهود له بالكيد والخدعة ويقول له صلى الله عليه وسلم « انما أنت فينا رجـل واحد فخذل عنا ان استطعت » أي اجعل عدونا يتخاذل ويخاف « فان الحرب خدعة »

صلى الله عليه وسلم

يحدثنا عن الهجرة

جح نعيم في الايقاع ما بين قريش اليهود ، وهبت ريح جعلت قريشا سحب عائدة الى مكة بخفي حنين د ضاع املها في النصر ٠

صلح الحديبية :

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ي السنة السادسة للهجرة ، يبغي عمرة لكن قريشا رفضت دخوله كة وعندما علم بذلك قال : « يا ويح يش ، لقد اهلكتهم الحرب ، فما عليهم خلوا ما بيني وبين سائر العرب ، ن هم اصابوني كان ذلك الذي ارادوا ، ان اظهرني الله عليهم دخلوا في لاسلام وافدين ، وان لم يفعلوا قاتلوا بهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا ال اجاهد على الذي بعثني الله ، حتى يظهره الله او تنفرد هذه سالفة » ٠

وجاءت اخبار من مكةان «عثمان بن فان » الذي بعث به رسول الله صلى له عليه وسلم الى قريش ، قد قتل غضب المسلمون وقال الرسول صلى له عليه وسلم « لا نبرح حتى نناجز قوم » وبايع المسلمون الرسول صلى له عليه وسلم على القتال واعلنوا ميعا تحت شجرة الحديبية ، انهم على ستعداد للتضحية بأرواحهم من أجل دين الله ، وبعد قليل عاد « عثمان بن عفان » سالما يحمل عرض قريش بعقد صلح مع المسلمين وقد املاه الرسول عليه الصلاة والسلام على سيدنا علي ابن ابي طالب :

« هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، واصطلحا علي وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهم الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على انه من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه (اي سيده) رده عليهم ٠ ومن جاء قريشا ممن مع محمد، لم يردوه عليه ، وان بيننا عيبة مكفوفة (اي أن يكف الطرفان عن الشر) وانه لا اسلال ولا اغلال (لا اسلال تعني لا غارات ولا تسلل ولا اغلال ولا حقد ولا خيانة) وانه من احب ان يدخل في عهد محمد ، دخل فيه ومن احب ان يدخل في عهد قريش ، دخل فيه ، وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل ،خرجنا عنها فتدخلها بأصحابك يقيمون فيها ثلاثا معكم سلاح الراكب ، السيوف في القرب ولا تدخلها بغيرها » ٠

فتح مكة :

نقض المشركون صلح الحديبية فزحف الرسول عليه الصلاة والسلام

على مكة في عشرة آلاف مقاتل وخلال الطريق اليها اسلم ابوسفيان ، وأعلن الرسول عليه الصلاة والسلام « من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، من دخل داره فهو آمن » ·

وبذلك حدد الرسول اقامة كل اهل مكة في الحرم حيث لا قتال ، في دار ابي سفيان حيث يصبحون تحت الرقابة والمتابعة ، وكل منهم في داره وحده ولا يشكل بذلك خطورة على جيش المسلمين الذي دخل مكة ، ومضى الرسول صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء يطوف البيت الحرام حول الكعبة المكرمة ، وتنهار الاصنام ويتجمع المسلمون حول الرسول صلى الله عليه وسلم ليسمعوه يقول « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ،ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده ، يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية ، الناس من آدم وآدم من تراب · يا معشر قريش : ماذا تظنون اني فاعل بكم ؟ قالوا خيرا : اخ كريم وابن اخ كريم · قال : اذهبوا فانتم الطلقاء » ·

وتهتز مكة ، بل الجزيرة كلها ، بل عالمنا بأسره لأروع صيحة في تاريخ الانسانية والحرية ، صيحة تقول للذين آذوه وأخرجوه من بلد أحب بلاد الله الى الله وأحب بلاد الله اليه ، وحاربوه وقاتلوه ، وها هو ذا اليوم قادر على أن يثأر ويرد على كل ما فعلوه به ، واذا به يعفو عن كل ذلك ، يعفو عن الجميع ·

ـ اذهبوا فانتم الطلقاء ··

عبارة تلخص كل ما في الاسلام من سمو ورفعة وتكشف عما فيه من قيم ومبادىء ·

بعد الفتح المبين :

قال عليه الصلاة والسلام :

« لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله تعالى والى رسوله مخافة أن يفتن عليه ، فاما اليوم فقد اظهر الله الاسلام ، واليوم يعبد ربه حيث شاء ، ولكن جهاد ونية » ·

نعم ، لا هجرة اليوم ··

فقد اعز الله دينه وثبت دعائمه ، وليس بالمسلمين حاجة الى الهجرة فانهم ان اونوا في بيوتهم وديارهم فهم لا يبرحونها وانما يقاتلون دفاعا عنها ويستبسلون ذودا عن دينهم ووطنهم بعد ان اظهر الله الاسلام ·

المؤاخاة كانت

ورداً على هذا الرأي وتمحيصاً لهذا الموضوع ، سوف نبين احوال اهل مكة والمدينة ، ونذكر دواعي المؤاخاة التي رآها الاستاذ الكريم ، ونعقب عليها بالدواعي الحقيقية لمؤاخاة المدينة ، ثم نستعرض رأيه وأدلته التي استشهد بها ونناقشها ونستخلص بعض النتائج تصحيحاً للمسار التاريخي للدعوة الاسلامية •

أولا : الحالة في مكة :

يصور ابراهيم عليه الصلاة والسلام مكة وهو يتجه بكليته الى الله سبحانه وتعالى ، في عبير عاطفي خالد وهو يودع مكة ، فلذة كبده اسماعيل وأمه « ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ابراهيم : ٣٧ •

وقد يتصور البعض ان مكة كانت بائسة محرومة ، لأنها في واد غير ذي زرع ، وقليل منهم يعلمون انها في وقت ظهور الدعوة الاسلامية كانت من أغنى القرى ، بل كانت سوقاً من أربح اسواق التجارة في العالم القديم وكانت قريش فيها من أعظم التجار همة ، واخبرهم بحال من حولهم من الامم ، ولعل الموقع نفسه والحرمان الطبيعي هو الذي حفز هممهم وضاعف نشاطهم فساحوا في الارض وابتغوا التجارة » (١) •

لقد استفادت من موقعها المتوسط على محور الواحات الممتد بين اليمن والشام وبين البحر الاحمر والخليج ، واستطاعت رحلة الشتاء الى اليمن والحبشة ورحلة الصيف الى الشام وفارس ان تهيء اقتصاداً قوياً •

وكان تنظيم هذه القوافل مظهراً لتضامن قريش وتعاونها الاقتصادي وكان بعض القرشيين قبل تنظيم هذه القوافل التجارية • اذا اصاب واحداً منهم فقر خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على
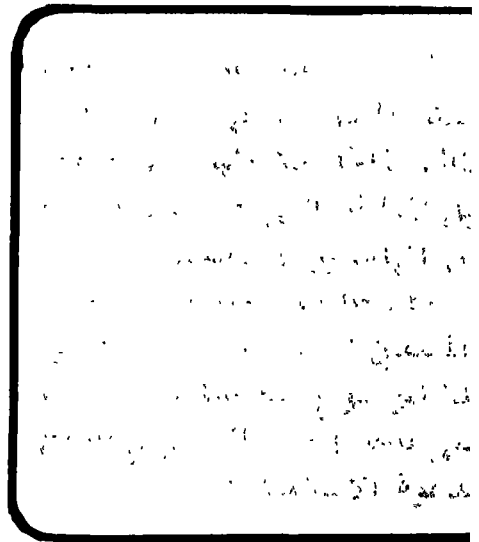
في المدينة

بقلم الدكتور
سعد ظلام
الاستاذ
بجامعة الأزهر

انفسهم خباء حتى يموتوا ويؤثرون الموت على سؤال الناس واذلال نفوسهم الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فانكر ما يفعله هذا البعض ووجه القرشيين الى تنظيم روابطهم التجارية مع الشمال والجنوب فما ربحه الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان غنيهم كفقيرهم.

وجاء الاسلام وهم على ذلك ، فلم يكن في العرب بنو أب اكثر مالا ولا اعز من قريش والى هذا يشير شاعرهم :

والخالطون فقيرهم بغنيهم
حتى يكون غنيهم كالكافي (٢)

كان اهل مكة في بسطة من الرزق ومتاع بكل ما لذ وطاب ، من منتجات العالم القديم ، والى ذلك تشير الآية الكريمة « اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون » القصص : ٥٧ .

ولقد قدرت صادرات مكة وقت الهجرة بخمسين ومائتي الف دينار ، من الذهب واذا كانت هذه قيمة الصادرات ادركنا مقدار البضائع ، التي كانت تتبادلها مكة وهي وسيط بين اليمن والحبشة والامبراطوريتين الرومانية والفارسية ، وكانت هذه التجارة الواسعة غير محصورة في بيت او فريق من الناس (٣) .

كان المكيون يشتركون في قوافل التجارة كل حسب قدرته المالية ، ولهذا كانت القوافل كبيرة والقافلة التي حاول المسلمون اعتراضها والتي كانت سببا في غزوة « بدر » كانت مكونة من الف بعير فيها اموال عظام تقدر بخمسين الف دينار (٤) .

وروى أن ابا سفيان لما أحس الخطر على القافلة ، قبيل بدر استنهض مكة كلها، فخرج اليه الف من المقاتلة معها مائة من الخيل وسبعمائة من الابل ولما اصيبت قريش في بدر وتبرع أهل مكة بقافلة ابي سفيان كلها ليعدوا بها ، للانتقام من محمد واصحابه ، وقد كانت ارباح مكة من هذه التجارة الواسعة ، تقدر بخمسين في المائة من رأس المال مما اتاح لها حياة من البذخ لوحظ في كرم اهلها وهم يضيفون حاج الجزيرة كله ويسرفون في اللهو بالخمر والميسر والقيان والطرب (٥) كانت هذه احوال مكة قبل الاسلام وبعده ، وبعد ان هاجر المهاجرون الى المدينة .

ثانيا اما احوال اهل المدينة : فلم تكن بهذه المثابة ، لقد اصاب اهلها جهد شديد بعد الهجرة ، لم يسلم منه الرسول نفسه ، يؤيد ذلك ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتاه رجل فقال : يا رسول الله اصابني الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الانصار فقال : انا يا رسول الله ، فذهب

المؤاخاة في

الى اهله فقال لامرأته : هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا فقالت : والله ما عندي الا قوت الصبية قال : فاذا اراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فاطفئي السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ، ثم غدا الرجل على رسول الله فقال : لقد عجب الله عز وجل او ضحك من فلان وفلانة وانزل الله تعالى « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة» الحشر: ٩ ٠

والمهاجرون وقد صودرت اموالهم ومساكنهم في مكة ، جاءوا المدينة وليس لهم من الدنيا غير ايمانهم ، فهذا مصعب بن عمير لا يجد ما يتستر به ، وهذا على ابن ابي طالب ليطل من ثقب الباب على يهودي ليعمل في بستانه كلما نزع دلوا نال تمرة حتى نال حفنة ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى المسجد فيجد ابابكر وعمر فيقول : ما اخرجكما ؟ فيقولان الجوع ، فيقول : وما اخرجني الا الجوع ٠

وفي المدينة ايضا اصيب المهاجرون بحمى يثرب من اول حولهمفيها ، وتشاءموا من عقم نسائهم ، حتى ان امرأة الزبير لما ولدت كان نفاسها عيدا، وصحبهم الفقر بعد ان تركوا اموالهم في مكة ، ذلك الامر الذي لا مخرج منه الا بالجد والعمل ، ورسول الله قد برهن فيه على فيض من العقل وحسن السياسة لم يؤت مثله مصلح ولا فاتح في زمن من الازمان (٦) ٠

ولقد كانوا في وحشة الفراق والاهل ، وفي شدة وضيق وقد كانت العوامل النفسية والاجتماعية تعمل في نفوسهم، وبدأ النزوع الفطرى الى الوطن والاهل، يراودهم صباح مساء وزود قلقهم ما هم فيه من ضيق واشتدت عليهم الظروف المادية والاجتماعية، حتى شعر الرسول صلى الله عليه وسلم بما يشعرون واحس بما يحسبون ، فدعا ربه وكثيرا ما كان يدعوه « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد » ولم تكن الزكاة قد فرضت بعد ، فلم تفرض الا في السنة الثانية للهجرة على الأصح وانما هناك الصدقة ، والزكاة التي في السور المكية مراد بها الصدقة لا الزكاة الواجبة بشروطها واركانها على الوجه الذي فرضت عليه بعد ٠

المؤاخاة :

ثالثا : دواعي المؤاخاة يذكر الباحث الكريم ان المؤاخاة في مكة كانت ضرورية لتقوية صفوف المسلمين ولزيادة تعاونهم في مجالات الدعوة والعقيدة والحياة ولتثبيت قلوب المسلمين ٠ « وان اضطهاد قريش للمسلمين في مكة دعا رسول الله الى ان يقيم بين المسلمين فيها مؤاخاة كريمة نبيلة يتقاسم فيها المسلمون ما يملكون من مال ، حفظا للحياة وقياما بمؤونة الاهل وسدا لحاجات الاطفال والنساء ومعاونة على مواصلة الجهاد في سبيل الله والعقيدة والقرآن » ٠

وهذا لم يثبت ولم يرد ولم يصح ، بل العكس هو الثابت وهو الصحيح ، فقريش كانت قدراتها المالية كلها ، موجهة بصفة اساسية الى النظام التجاري الذي حددنا كل حسب طاقته اى انها كلها مشتركة في

مكة كانت ضرورية لتقوية صفوف المسلمين

القوافل وكانت وحدة القبيلة وتماسكها يمنعان تلك المؤاخاة بما تحوى من تناصر وتآزر استغناء بالعصبية القبلية فقريش عندما حاصرت رسول الله وابا طالب وقاطعتهما اقتصاديا وارادت الضغط ليتوقف الرسول عن الدعوة لم تكن شروط المقاطعة التي اتفقوا عليها في صحيفتهم المشهورة قاصرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى طالب وحدهما وانما شملت بني هاشم وبني المطلب ، ولم يخرج الا ابو لهب ، وقد نال بني هاشم وبني المطلب جهد شديد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي طالب لولا ابو البختري وحكيم بن حزام ومطعم بن عدى النوفلي (٧) .

ويذكر الكاتب من دواعي المؤاخاة في المدينة بعد الهجرة حالة المهاجرين فقد كانوا غرباء دون مال ودون متاع ودون دور يقول ، وفي المدينة وبعد الهجرة حدثت مؤاخاة ثانية شارك الانصار المهاجرين، فيها اموالهم ودورهم ومتاجرهم وكل ما يملكون مواساة للذين قدموا عليهم من المهاجرين من صحابة رسول الله ممن فاتوا ديارهم واموالهم ودورهم وتجارتهم واراضيهم ومساكنهم .

وهذا ما نوافقه عليه عدا قوله مؤاخاة ثانية .

لان المؤاخاة استدعتها دواع كثيرة بعد الهجرة ، وهذا نتفق جميعا عليه ، اما في مكة فلم يكن هناك داع ويؤكد ما ذهبنا اليه الاسباب الاتية الى جانب الاسباب التي سبقت .

اولا : الايات التي سبقت آية المؤاخات مباشرة والتي وقعت آية المؤاخاة في حيزها وسياقها تتعرض للناحية المادية وتؤكد عليها .

وآية المؤاخاة في سورة الحشر وهي تصور ما حدث لبني النضير ، عندما اجلوا عن المدينة وتتعرض لغنائمهم وفيئهم، « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب ، للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » الحشر : ٧ ــ ٩ .

فقد ذكرت الايات ان الفيىء الذي غنمه المسلمون من بني النضير ، من غير قتال ، هو لله ولرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يئول الى الاغنياء وهم الانصار .

يقول ابن كثير : اى جعلنا هذه المصارف لمال الفيىء كيلا يبقى مأكلة يتقلب فيها الاغنياء ثم ذكر ان من مصارف هذا الفيىء

المؤاخاة

الفقراء المهاجرين الذين اخرجوا مندیارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله » .

وقد قدم صفة الفقراء على المهاجرين ، وهي ابلغ مما لو قيل المهاجرين الفقراء ليدل ذلك على شدة حاجتهم للمال ، وهو ادنى من المسكنة واشد منها ، فالمسكين من عنده قوت يومه والفقير من لا يملكه ثم وصف المهاجرين بانهم الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ، وهو دليل عظيم على حالتهم النفسية والاقتصادية والاجتماعية .

ثم ذكر بعد ذلك الانصار ، وقد وصفهم اولا بانهم تبوأوا الدار والايمان ، وهذا اشارة الى بقائهم في دارهم ثم وصفهم بالايثار الحق النابع من عمق احساسهم وصدق مشاعرهم ، فهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يبغضونه ولا يحسدون المهاجرين ، على ما اعطاهم الله من فضله من فيء بنى النضير دونهم ، يؤيد ذلك ما رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال . قالت الانصار لرسول الله . اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل ، قال لا فقالوا أتكفونا المئونة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا واطعنا (٨) .

فآية المؤاخاة وقعت في سياق التعبير عن الجانب المادى والنفسي والاجتماعي القلق في حياة المهاجرين وان الله حين اسهم لهم في الفيء وصف الانصار بما يقوى جانب اليقين في نفوسهم ، فلا يضيقون ولا يحسدون : روى الامام احمد عن انس قال : قال المهاجرون يا رسول الله : ما راينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في قليل ولا احسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤنة واشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله قال : لا .. ماأثنيتم عليهم دعوتم الله لهم ..

ثانيا : الآية التي أذن فيها للمسلمين بالقتال وهي قوله تعالى : اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله .. هذه الاية تعلل للاذن بالجهاد والقتال بان المسلمين قد ظلموا وانهم اخرجوا من ديارهم بغير حق وبغير سبب ، الا ايمانهم واعتقادهم الحق ، والظلم والاخراج من الديار بغير حق سببان كافيان للاذن بالقتال لرد الظلم والحصول على معادل ـ لاموالهم ومتاعهم ودورهم المصادرة ... وهي حقوق مادية للمهاجرين .

ثالثا : ولقد بلغ من اعتناء الاسلام بالمؤاخاة ان جعلها من موجبات الارث دون ذوى الارحام كما يقول ابن القيم في زاد المعاد (٩) .

ووصل بهذا التآخى في العقيدة الى مقام اسمى من اخوة الدم تقدمه عليها ، وجعل الميرات للاخ في العقيدة دون الابناء والاباء من غيرها (١٠) .

وقد بقيت المؤاخاة موجبا من موجبات الارث الى حين وقعة بدر حتى نزل قوله تعالى : « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ».. وقد ذكر ابن هشام انها بقيت الى عهد عمر ، وقد قال القرطبي عنه قوله سبحانه وتعالى : والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم .. الآية .

قال : عندما أجلى الرسول بنى النضير واخذ غنائمهم جاء الى الانصار فقال لهم : تاخذون انتم والمهاجرون هذا الفيء ، انتم النصف وهم النصف ويبقون معكم في منازلكم أوأعطيه للمهاجرين كلهويستقلون عنكم ؟ فقالوا : بل اعطه للمهاجرين ويستقلون عنا اى في دور خاصة بهم ومتاع خاص بهم .

وهذا النص ، الى جانب ما ذكره ابن القيم يفيد امرين .

الامر الاول : ان السبب الاصيل للمؤاخاة هو قلة ما بايدي المهاجرين من مال ومتاع ، يستطيعون به مواجهة الحياة ومتطلباتها .

الأمر الثاني : ان هذا العامل الملح ظل باقيا حتى غزوة بدر ، كما قال ابن القيم حتى نزلت الآية « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض » او حتى جلاء بني النضير حيث استقل المهاجرون بالفيء الذي استطاعوا به مواجهة الحياة .

رابعا : ولقد كان العرب اهل عصبية يعتزون بها ويتفاخرون ، وقد شعر المهاجرون بانهم ضعفاء غرباء ليست لهم تلك العصبية ، وكان لابد من تدارك هذا الامر .

ويذكر الاستاذ عبد الرحمن عزام ان رسول الله بعد هجرته ، رأى هذا الخليط من اتباعه في يثرب عرضة لدعوة العصبية، فدعاه الى التآخي ، وجعل للرجل من قريش اخا من الاوس وللآخر اخا من الخزرج ، وما زال يؤاخي بين هذا وذاك ، ويعقد بينهم اواصر اخوة في الله حتى شمل القبائل والبطون ووصل بهذا التآخي في العقيدة الى مقام اسمى من اخوة الدم ، فقدمه عليها ، وجعل الميراث للاخ في العقيدة دون الابناء والآباء من غيرها .

هذه دواعي المؤاخاة ، وهي كلها تشير الى الحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية القلقة التي كان يحياها المهاجرون في المدينة والتي من اجلها كانت المؤاخاة التي حلت محل العصبية القبلية في الفخر ومحل الارحام في الارث : لقد اقامها الرسول تثبيتا للالفة واواصر الاخوة واقامة لقواعد المجتمع على اسس من المحبة والرحمة ، بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم شعر بعد البيعة الثانية ان العصبية بين الاوس والخزرج في حاجة الى دعم وتقوية ، فقرر نوعا من التكافل او الكفالة العامة بين الانصار اوسهم وخزرجهم ، لدفن ما كان بينهم من حروب ونسيان ما كان يسودهم من احن وخلافات . فبعد ان بايع النقباء رسول الله ، بيعه العقبة الثانية قال لهم كما يرويه ابن اسحق : « انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وانا كفيل على قومي ، يعني المسلمين قالوا : نعم » (١١) .

النصوص التي اوردها الباحث الفاضل في هذا الشان ، والتي استشهد بها ، فيها اضطراب كثير ، فقد نقل عن ابن الاثير من كتابه اسد الغابة ج ٢ ص ٢٧٩ وذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين الزبير بن العوام وبين عبد الله ابن مسعود ، لما آخى بين المهاجرين بمكة ، فلما قدم الزبير المدينة ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين المهاجرين والانصار آخى بينه وبين سلامة بن وقش.

ثم ينقل عن المصدر ج ٣ ص ٢٩ قوله: « لما اسلم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، آخى رسول الله بينهما بمكة قبل الهجرة ، فلما هاجر المسلمون الى المدينة ، آخى رسول الله بين طلحة وبين ابي أيوب الانصاري .

والاضطراب في الرواية ظاهر : وهو في الحق لم يقف عند ابن الاثير ، بل ان ابن هشام اضطرب فيما يرويه عن ابي اسحق حين يذكر ان الرسول جعل الزبير ابن العوام وسلامة بن سلامة بن وقش

المؤاخاة

اخوبني عبد الاشهل اخوين ، وقال : بل ان الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة كانا اخوين ، فالتعبير بقولـــه : « يقال » يفيد الشك ، فان الزبير وابن مسعود كانا اخوين في المدينة لا في مكة ، وهو ما يؤكده الباحث في صدر حديثه انه كان ابن الزبير وعبد الله بن مسعـــود اخوين •

اما طلحة بن عبيد الله الذي ينقـــل الاستاذ الكريم ، عن ابن الاثير عنه ، ان الرسول آخى بينه وبين ابي ايوب الانصاري في المدينة ، فان ابن هشام في سيرته يذكر ان طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك كانا اخوين ، ومصعب بن عمير بن هاشم وابو ايوب خالد بن زيد اخو بني النجار اخوين (١٢) •

ويشير ابن القيم في زاد المعاد (١٣) الى انه « قد قيل انه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانيا، واتخذ عليا اخا »•

فهو قد اشار الى هذه المؤاخاة ، التي قيل انها حدثت في مكة ، وذكر انها روايه ضعيفة ، لاستغنائهم باخوة الاسلام في مكة واخوة الدار ، وقرابة النسب ، وماحدث في مكة ياخذ صفة الصداقـة والتآخـــي والتآزر ، وبين اصدقاء اسلموا مع بعضهم كطلحة والزبير •

خاتمـة بالنتائـج :

١ ـ كان هدف المؤاخاة ايجاد نوع من الالفة بين العناصر الجديدة ، المهاجـرة التي زرعت في مجتمع جديد لم تالفه وبين هذا المجتمع ، وتقوية جبهة المسلمـــين ، تغلبا على المشاكل الاقتصادية والنفسيـــة والاجتماعية التي تواجههم ، وتلافيا لما قد يصيب المهاجرين والانصار معا من خلاف محتمل وقد قرر الرسول نوعا من التكافل بين الانصار انفسهم بعد بيعة العقبـــة الثانية تلافيا لخلافاتهم الماضية •

٢ ـ المؤاخاة التي ذكر الكاتب الفاضل، انها حدثت في مكة والتي ذكر انها مجهولة، لم يشر اليها احد من مؤرخي السيرة على الاطلاق ، ولم يكشف عن فكرتها احد من قبل ، ولم يكتب عنها شيء قبل بحثه هذه المؤاخاة تحدث عنها ابن القيم في زاد المعاد وضعفها ورفضها ، واثبت بالدليل ضعفها ورفضها ، ويكون عدم اشارة المؤرخين او تعرضها لهم لذلك السبب •

٣ ـ لو ثبتت هذه المؤاخاة لكانت ذات مظهر بارز في تاريخ الاسلام ، ولا يمكن تجاهلها ، وتاريخ الدعوة الاسلاميـة لا يؤرخ له بخبر الواحد •

٤ ـ من يقول بوجود تلك المؤاخاة في مكة ، لا ينظر الى الحياة المكية بوحدتها وتماسكها وعصبيتها •

٥ ـ المؤاخاة لم تكن لها دواعيـها في مكة ، لان المسلمين كانوا في دارهم واموالهم وبين اهليهم وكانوا يستغنون باخوة الاسلام واخوة الدار وقرابة النسب اما في المدينه فالامر مختلف تماما ، وقد اراد الرسول ان يلغي الاعتماد على العصبية وان يوجد نوعا من التآخي في العقيدة يحل محل اخوة الدم ويصبح موجبا للارث حتى تقـوى العلائق وتزداد تمكنا •

٦ ـ النصوص القرآنية والنبوية التي وصفت حال المهاجرين ، تصور فقرهـم واخراجهم من الاهل والمال وشعورهـــم بالقلق والضيق المادي والنفس •

٧ ـ الاذن بالقتال ، علل بان المهاجرين ظلموا وصودرت اموالهم وممتلكاتهم •

٨ ـ النصوص التي استشهد بها الباحث الكريم ، لوحظ عليها الاضطراب وهـــي ليست قطعية ومطعون فيها •

٩ ـ ما ذكره الباحث ، لا يبدو ان يكون نوعا من الصداقة ، بين رجلين كانا صديقين قبل الاسلام واسلما معا فاخى الرسول بينهما تاكيدا لتلك الصلة ، ولو كانت المؤاخاة موجودة في مكة بصورة عامة لضربتها قريش وحاربتها ، وهو مالم نسمع عنه •

من هذا كله يتضح لنا ان المؤاخاة كانت في المدينة للدواعي التي ذكرناها ، وكانت غايتها تقوية بناء المجتمع المسلم ليصمد في وجه المشكلات الملحة والاحداث العارضة ، وايجاد نوع من المحبة والالفة بين عناصره المختلفة في النشاة والبيئة ، تمهيدا للدولة الاسلامية والادارة الاسلامية •

ولقد كان المهاجرون غرسا زرع في غير بيئته يلزمه الرعاية والتعهد، وكان فراقهم لكل معطيات الحياة يجعلهم قلقين ، فاقام النبي هذه المؤاخاة ، ليجعل من الانصار والمهاجرين ، جبهة واحدة ، ويدا واحدة يخرج بهم على الناس جميعا قوة يفك بها نطاق الشرك المضروب حول المدينة ، ويؤمن بها المدينة نفسها من الفتن التي يثيرها اليهود بين الاوس والخزرج ، وبين المشركين والمسلمين عامة ، وليقم دولة الاسلام على أسس من الحب والتضحية والايثار ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

١ ـ بطل الابطال لعبد الرحمن عزام ط ٢ ١٩٥٤ دار الكتاب العربي مصر ص ٨٢ •
٢ ـ راجع بلوغ الاب من احوال العرب للالوسي ج ٣ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ طبع الاهلية مصر •
٣ ـ بطل الابطال لعبد الوهاب عزام ص ٨٣•
٤ ـ راجع امتاع الاسماع للمقريزي ج ١ ص ٦٦ تحقيق وشرح محمود شاكر طبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر •
٥ ـ محمد بطل الابطال عبد الرحمن عزام ص ٨٣ •
٦ ـ بطل الابطال ص ٨٢ ، ٨٣ •
٧ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣ ـ ٥ •
٨ ـ رواه البخاري •
٩ ـ ج ٢ ص ٥٦ •
١٠ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٠ •
١١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٦ •
١٢ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٩ •
١٣ ـ ج ٢ ص ٥٦ •

للاستاذ الدكتور :
معــروف الدواليبي
مستشار
جلالة الملك خالد بن عبد العزيز

وفي حديثنا عن حقوق الانســا
ومكانته وحرياته في الاسلام ، نبدأ أو
بتقديم موجز عن هذه الحقوق كمــــ
أوجزته نصوص الشريعة الاسلامية عل
النحو التالي :

« كرامة الانسان » عملا بنص القرآ
الكريم الذي جاء فيه « ولقد كرمنا بن
آدم » الاسراء : ٧٠ .

« عدم التمييز في الكرامـــــة وفي
الحقوق الاساسية ما بين انسان وآخر
بسبب العرق . أو الجنس . أو القوم
أو المال . عملا بقول رسول الاســـلا
صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعرب
على عجمي ، ولا لابيض على أسـود
الا بالتقوى » ، وقوله أيضا « النســا
شقائق الرجال » .

، النداء بوحدة الاسرة الانسانية عل
اختلاف شعوبها وأعراقها ، والاعلان بأ

اهتم الاسلام بحقوق الانسان ومكانته وحرياته ، وجعله خليفة في الارض مسئولا عن عمارتها واصلاحها ·· وحريات الانسان الاساسية في الاسلام وبخاصة حرية الكلمة ، من أعظم أركان الكرامة الانسانية ·· كذلك اهتم الاسلام وركز على المجاهرة بكلمة الخير من أجل خير الانسان ·

خير بني الانسان عند الله هو أكثرهم نفعا لهذ الاسرة . عملا بقول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم · « الخلق كلهم عيال الله . وأحبهم اليه انفعهم لعياله » ·

« الدعوة الى التعارف والتعاون بين الشعوب على ما فيه خيرهم » ، وتقديم جميع أنواع البر الى جميع بني الانسان دون النظر الى جنسيته أو دينه ، عملا بقول القرآن الكريم : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا · ان أكرمكم عند الله أتقاكم » الحجرات : ١٣ ، وقوله أيضا : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » المتحنة : ٨ ·

« حرية الانسان في عقيدته ، وعدم جواز ممارسة الاكراه فيها » ، عملا بقول القرآن الكريم : « لا اكراه في الدين » البقرة : ٢٥٦ ، وعملا بقوله أيضا . « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » يونس : ٩٩ ·

« حرمة العدوان على مال الانسان وعلى دمه » ، عملا بقول رسول الاسلام· « ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام » ·

« حصانة البيت حماية لحرية الانسان » ، عملا بقول القرآن الكريم : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » النور : ٢٧ ، ٢٨ ·

« التكافل فيما بين أبناء المجتمع في حق كل انسان بالحياة الكريمة ، والتحرر من الحاجة والفقر ، وذلك بفرض حق معلوم » ، في أموال القادرين ليصرف لذوي الحاجة على اختلاف حاجاتهم ، عملا بقول القرآن الكريم في المؤمنين . « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » الذاريات:١٩

« ايجاب العلم على كل مسلم » من أجل القضاء على الجهل ، عملا بقول

رسول الاسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، أي على كل من أسلم ، ويشمل ذلك الذكور والاناث ، مع فتح افاق السماء والارض للنظر والبحث فيها ، والنفاذ اليها عملا بقول القرآن الكريم : « قل انظروا ماذا في السموات والارض » يونس : ١٠١ ، وقوله : « ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان » الرحمن : ٣٣ ، أي بسلطان العلم ٠

عقاب ٠٠ الجاهل :

« امكان فرض العقوبة على المتنعين عن التعلم والتعليم » ، وهذا ما لم تصل اليه حقوق الانسان في اية دولة متقدمة حتى اليوم ٠

« فرض الحجر الصحي » في حالات الامراض المعدية منذ اربعة عشر قرنا ، وقبل ان تتنبه أية دولة حينذاك لادخاله في تشريعها ، وذلك مبالغة من قبل الاسلام في حماية الصحة العامة من المرض ، الى جانب حماية المجتمع من الفقر والجهل كما تقدم ، عملا بقول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم أيضا : « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليها ، واذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها » ٠

وهناك كثير من النصوص التشريعية الاسلامية التي لا تحصى لحماية هذه الحقوق التي أشرنا اليها اعلاه ، وهي في مجملها تشرح حقوق الانسان الاساسية التي لا يجوز للانسان الانتقاص منها ، كما تتناول بالتفصيل جميع حقوقه المعروفة في مواثيق حقوق الانسان الدولية ، من اقتصادية واجتماعية ، وثقافية٠ التي لا تميز،ولا تسمح أن يميز فيها ما بين انسان وآخر بأي نوع من أنواع التمييز ، وخاصة بسبب الامور التي نص عليها « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » ، وهي : « الجنس ، واللون ، واللغة ، والدين ، والرأي ، والاصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة ، أو البلاد » ٠

بل نزيد عليه ما لم يجرؤ واضعو ميثاق حقوق الانسان على الدعوة اليه٠

وقد نص عليه القرآن الكريم بقوله : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » ، وفي آية أخرى يقول : « ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب » المائدة : ٨٢ ٠

ويؤخذ من هذه النصوص الشرعية الصريحة حرمة التمييز أيضا في هذه الحقوق ، وحرمة العدوان عليها بسبب الحقد والعداء ، في حين أن القوانين العالمية والدولية وتطبيقاتها لم تحترم للعدو أي حق من حقوقه الخاصة ،

العلم، العقل، والفكر في كل زمان ومكان

فضـــلا عن حقوقه الانسانية الاساسية العامـــة ٠

ويتضح من جميع هذه النصـــوص التشريعية في الاسلام ، مقدار غيـــرة الاسلام على حقوق الانسان الاساسية، ومقدار عناية الاسلام بحقوقه المتفرعة عنها ، من اقتصادية واجتماعية وثقافية، وان الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ، قـد سبق المنظمات الدولية في اعلان هـذه الحقوق بل في ايجابها ، مما نحـــن اليوم في أشد الحاجة اليها في عالمنـا الحاضر من أجل سلم الانسان وسعادته ولذلك قد أقام الاسلام دعوته الاسلامية عليها من أجل « خير الانسان » ، وأمر القرآن الكريم بذلك فقال : « ولتكـــن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ٠ ولم يكن للاسلام هذا السبق الا لقيام شريعـــة الاسلام على مسلمات « العلم ، والعقل ، والفكر » في كل زمان ، ولقيامها على « الدعوة الواجبة من خلال ذلك الـى الحياة والخير والسلام ، والى التعارف والتعاون ، والى البر بمن خالفك ما لم يقاتلك ، والى الامر بالمعروف الذي لا يصلح المجتمع الا به ، والى النهي عن المنكر الذي يقوض أركان المجتمع ، ولا تستقيم معه الحياة الكريمة لاحد » ٠

خصائص حقوق الانسان ومميزاتها في الاسلام :

غير أن حقوق الانسان في الاســـلام تتميز على حقوق الانسان في المواثيـق الدولية بمميزات اساسية لا بد مـــن الاشارة اليها ، او التوقف عندها بقليل من الايضاح أحيانا ، وذلك للتاكيد على تلك النواحي الجديدة من حقوق الانسان في الاسلام ، وامتيازه بها على سـائر المواثيق الدولية في حقوق الانسان ٠

الميزة الاولى أنها أوامر لا وصايا :

وان أولى هذه الخصائـــص التي تمتاز بها حقوق الانسان في الاسلام هي انها « اوامر تشريعية » اولا ، ثم انها « مقرونة بنصوص تشريعية لضـمان تنفيذها » ثانيا ، وذلك بما منحتــه تلك النصوص لرجال السلطة والقضاء من حق تقدير العقوبة اللازمة كلما انتهكت هذه الحقوق ٠ وهذا هو الجديد مـــن حقوق الانسان في الاسلام ، وهو ما لم تصل اليه بعد نصوص « الاعلان العالمي لحقـــوق الانســـان » ، ولا نصوص

« الميثـاق الدولي الخاص بالحقـوق الاقتصاديـة والاجتماعية والثقافيـة للانسان » ، حيث قد ظلت هذه النصوص الدولية في مرتبة التوصيات الادبيـة التي لا ضـامن لها من الضمانـات التشريعية ، لا على المستوى الدولي ، ولا على المستوى القومي ·

الميزة الثانية ان كل انسان مسؤول:

وأما الخاصة الثانية التي تمتاز بها حقوق الانسان في الاسلام فهي صادرة عن « النظـرة الخاصة بالاسـلام للانسان » ، وهي نظرة أساسـية في الاسلام،وعنها يتفرع كل ما على الانسان من واجبات ، وما له من حقوق ، وتلك النظرة تقوم على « فكرة استخلاف الله للانسان على الارض » منذ خلق اللـه الانسان عليها ، وذلك :

- ليكون خليفة مسؤولا فيها ·
- وليكون فيها من عباد الرحمـن الذين وصفهـم القرآن فقال فيهـم : « وعباد الرحمن الذيـن يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلـون قالوا سلاما » ·
- ولياكل من طيباتها ، وليتمتـع بزينتها ، في حدود شريعـة الله في حاجات الفم والجنس والملك ·

خلافة الانسان في الارض :

ومن هنا كانت « كرامة الانسان على الله » · وان هذه الخلافة الممنوحـة للانسان على الارض هي :

أولا : « خلافة عامة » لكل انسان ·

ثانيـا : هي خلافة قائمة على أساس « التساوي فيها » ، ومن غير وساطةبين الله وبين الانسان ·

ثالثا : وهي لذلك ليست خلافة «لعرق من الاعراق ، ولا لطبقة من الطبقات ، ولا لفئة معينة من الحكام » ، وانمـا الحكام فيها هم « مندوبون عن الشعب ، وبارادة الشعب ، ولمصلحـة الشعب » الشعب » جملة وتفصيلا ·

رابعا : ولذلك فهي خلافة بعيدة كل البعد عن معاني « الحكم البيروقراطي » في الارض الذي يرفضه الاسلام ·

خامسا : وأخيرا فهي خلافة «مقيدة» بمبادىء شريعة الله المصلحية العامة ، وبأحكامها التفصيلية ، مثلها مثل أيـة «سلطة ديموقراطية» حديثة اليوم على الارض ، عندما تقيد تصرفاتها بالمبادىء العامة المصلحية الدستورية ، وبالاحكام التفصيلية في قوانينها ، محاربة لايـة سلطة مطلقة غير مراقبة ·

وهكذا فان فكرة « استخلاف اللـه للانسان على الارض » كما جـاءت في الاسلام ، من غير تمييز ما بين انسـان وآخر ، ولا بين شعب وآخر ، قد سوت في الاسلام ما بين جميع افراد الانسان والشعوب في حقوق الانسـان ، وذلك عملا بحكم العقيدة الاسلامية واوامرها التشريعية ، وهذا أيضا من مميـزات حقوق الانسان في الاسلام ·

الميزة الثالثة دعوتها لوحدة الاسرة البشرية :

وأما الخاصية الثالثة التي امتازت بها حقوق الانسان في الاسلام فهي مجاهرة الاسلام « بوحدة الاسرة البشرية » ، واعلانه بأن خير بني الانسان عند الله هو أكثرهم نفعا لهذه الاسرة ، ودعوته الصريحة الى التعارف والتعاون بين الشعوب على ما فيه خيرهم ، وتقديم جميع أنواع البر الى جميع بني الانسان من غير تمييز ما بين انسان وانسان ، عملا بقول دستورنا القرآني : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وعملا بقول رسول الاسلام : الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » ، مع تأكيد القرآن بصورة خاصة على « سيادة روح السلام » في حياة الانسان ، عملا بأمر القرآن حين قال : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان » .

نظرة الى الماضي :

هذا ولا بد لنا اذا أردنا فهم أبعاد نظرة الاسلام الى « وحدة الاسرة البشرية في الاسلام » ، و « وحدة كرامتها على الله » ، من أن ننظر نظرة سريعة الى المرض الاجتماعي العالمي الخبيث السائد في ذلك العصر الذي ظهر فيه الاسلام ، وكان ذلك المرض شاملا لجميع الشعوب والامم ، ويقوم :

- اما على أساس « التعالي في الانساب » ، كما كان الامر فيما بين قبائل العرب أولا ، ثم فيما بين بيوت كل قبيلة ثانيا .

- واما على أساس « نظام الطبقات » وتفاوت كل طبقة عن الاخرى في الحقوق والكرامة ، كما كان عليه الامر في مختلف الشعوب الهندية الآرية ، وخاصة في الهند حتى اليوم ، وكذلك في فارس ، وفي اليونان ، ولدى الرومان كما هو معروف في تاريخ العالم الاجتماعي والديني حينذاك .

- واما على أساس « التفاضل بين الشعوب نفسها في الاعراق والالوان » .

- وأخيرا ، وفي كل هذه الاحوال ، ولدى جميع الامم لم يكن للمرأة مكان الى جانب الرجل : لا في الاهلية ، ولا في الحقوق ، بل ولا في معاني الانسانية نفسها .

وهكذا جاء الاسلام والعالم كله ممزق اجتماعيا من جراء ذلك ، وفي حروب داخلية أو خارجية تاتي على الارواح البشرية ، كما تاتي النار على كل ما تجد في طريقها ، ولا تخلف وراءها الا خرابا ، ومواتا ، وبؤسا ، وشقاء . ولم تكن المرأة في كل ذلك الا متاعا لا قيمة له ، أو عارا على أهلها وذويها في أذيال الحروب والغزوات .

وقد اعتبر الاسلام هذه الامراض الاجتماعية في مقدمة مشكلات الانسانية الحيوية ، التي اخذ الاسلام على عاتقه معالجتها منذ ذلك الوقت بكل جرأة وصراحة ، كعنصر اساسي من

عناصر الدعوة الى الاسلام والايمان بالله · ولذلك أطلق الاسلام على دعوته في صريح القرآن اسم « الدعوة الى الحياة » ، وقال في ذلك : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » ، واعتبر الاسلام حل تلك المشاكل الانسانية الحيوية « ملازما لدعوة الاسلام والايمان بالله رب العالمين » ·

ولذلك كان على الاسلام أن يقوم باصلاح جذري شامل في كل هذه الميادين الحيوية التي تعثرت فيها الامم والشعوب قديما وحديثا ، وان يقيم اصلاحاته كلها على أساس من الكرامة والعدالة والمساواة بين الجميع في الحقوق وفي الواجبات ، بل وعلى أساس دعوة القرآن للمسلمين للبر بمن يخالفهم في الدين ما لم يقاتلوهم في دينهم ، أو يخرجوهم من ديارهم ، أو أو يظاهروا على اخراجهم ·

وكذلك فعل الاسلام فيمن انضم اليه، أو عاش في ظل حكمه · وفي ذلك كان أول أسرار عظمة الاسلام في نظرته الى « حقوق الانسان » ، من خلال دعوته في آن واحد الى « الحياة » والى « الايمان بالله » ، رب الناس أجمعين ، لا رب طائفة فقط من المخلوقين ، وبذلك أيضا حطم الاسلام الحواجز التي كانت تفصل ما بين الاجناس والاعراق والانساب ·

معجزة تاريخية :

وهكذا يكون الاسلام قد حقق معجزة .

الاسلام أعطى حرية وأنكار الظلم مأثم

تاريخية في وحدة الاسرة البشرية،حين كان جميع الناس يتنافسون بالاجناس والاعراق والانساب ، ويتفاوتون في حقوق الحياة وفي الكرامة ، اذ جعلهم جميعا يعيشون تحت شعار الهي نادى به الاسلام منذ ظهوره ، وأكده محمد من جديد بكل صراحة وصلابة في وداعه الاخير للحياة حين قال : « ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لابيض على أسود الا بالتقوى ··· وان دماءكم وأموالكم عليكم حرام » ثم ختم محمد وصاياه الاخيرة هذه للمسلمين ،فتوجه الى الله وأعلن قائلا : « ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » ·

الميزة الرابعة ايجاب حرية كلمة الخير وحمايتها :

واخيرا فان أبرز خاصة امتازت بها حقوق الانسان في الاسلام فيما يتعلق بحريات الانسان الاساسية التي ذكرناها بانواعها في خلاصة حقوق الانسان في الاسلام ، تلك هي :

أولا : « ايجاب كلمة الخير » التي تجمعها دعوة الاسلام ·

ثانيا : حماية « حرية » هذه الكلمة بضوامن تشريعية ·

ولقد أعطى الاسلام لهذا المبدأ من « ايجاب كلمة الخير وحماية حريتها »

الا الانسان الاساسية وخاصة حرية كلمة الخير ..

تعطه اي دولة من دول العالم ...

مكانا أساسيا في دعوة الاسلام وفي شريعة الاسلام ، وهذا ما قد قامت عليه في الاصل منظمة الامم المتحدة بعد حرب عالمية ضارية كادت تستاصل البشرية ٠ ولكن هذه المنظمة ظلت تعمل من أجل هذا المبدأ في حدود النصائح والوصايا ، ولم تضع له حتى الآن ضامنا تشريعيا لحمايته ، في حين أن الاسلام قد أوجب « القتال » من أجل ضمان هذا المبدأ في « وجوب حماية حرية كلمة الخير » ، وأعلن الجهاد » من أجلها فقط عندما نمنع من تأديتها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفي الوقت نفسه « حرم القتال » من أجل الاكراه في الدين ، وذلك ضمانا لحرية الاعتقاد المقدسة في الاسلام ، ولكن العالم قد أساء فهم هذا المبدأ الاسلامي ، ولم يفهمه الا من خلال الحروب المقدسة المسيحية من أجل التنصر أو الموت مما يرفضه الاسلام ٠

وهكذا يكون الاسلام بتشريعه « الجهاد » ، من أجل حماية « حرية كلمة الخير » عندما نمنع عن قولها قد أعطى حريات الانسان الاساسية ، وخاصة « حرية كلمة الخير وانكار الظلم » ما لم تعطه أية دولة من دول العالم ، لا قديما ولا حديثا حتى الآن ، ولا أية منظمة دولية عالمية وفي مقدمتها منظمة الامم المتحدة ، وهذا هو أيضا من الجديد في الاسلام حول ممارسة حقوق الانسان ٠

ولذلك فان الاسلام قد دعا أولا الى « الحوار السلمي » و « القول الحسن »، واتخذ منهما الاسلوب الوحيد « لحرية كلمة الخير » ما لم نمنع منها ، وخطط للحوار بالبدء بنقاط « الوفاق » لا بنقاط « الخلاف » ، وقال في ذلك لمخالفيه : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : ان لا نعبد الا الله، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » آل عمران٦٤ وقال أيضا : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » العنكبوت : ٤٦ ٠ كما قال أيضا بصورة عامة : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » النحل :١٢٥ وقال أيضا : « وقولوا للناس حسنا البقرة : ٨٣ ٠ وهذا هو أيضا من الجديد في طريقة الحوار الانساني الذي جاء به الاسلام ٠

هذا . ولولا خشية الاطالة حول « ايجاب حرية كلمة الخير » و «حمايتها» لاسهبت في ذكر تطبيقات هذا المبدأ من حقوق الانسان في الاسلام بما يسجل

للاستاذ :
مصطفى عبد الرحمن

فيه لهذا المبدأ الاسلامي أعظم آيات الاعجاب ، ويكفينا في هذا المقام ذكر حادثة واحدة حدثت في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، من أصحاب رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ، ما يجعل ذلك درسا خالدا على مدى الدهر ، ولدى مختلف الشعوب .

وهذه الحادثة هي ما وقع لشاب مسيحي من اقباط مصر حينما اشترك في سباق الخيل مع ابن أمير مصر وفاتحها حينذاك عمرو بن العاص ،حيث أخذ ابن أمير مصر يضرب بعصاه رأس الشاب المسيحي الذي تقدم عليه في السبق ، ويقول له : « أتسبق ابن الاكرمين ؟ » .. فما كان من هذا الشاب الا أن ترك مصر وتوجه الى المدينة عاصمة الخلافة حينذاك وشكا الظلم الذي وقع عليه ، واذا بالخليفة عمر بن الخطاب يكتب الى أمير مصر وفاتحها ويأمره بالحضور فورا مع ابنه. ولما وصل الى عاصمة الخلافة ، دعا الخليفة المسلمين الى اجتماع عام ، وأعطى العصا الى الشاب المسيحي القبطي وأمره بأن يضرب ابن الاكرمين ففعل ، ثم أمره بأن يضرب أباه ايضا : فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد ضربت من ضربني ، فوقف عندئذ عمر بن الخطاب خطيبا في المسلمين ، ومنددا بعمرو بن العاص حاكم مصر وفاتحها ، وقال كلمته التاريخية الخالدة : « انني ما أرسلتكم لتضربوا أبشار الناس وتذلوهم .. ولكن لتعلموهم دينهم . منذ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

ليلـــة الغار حدثـــي وأعيـــدي	قصة الحـــق للزمـــان أعيـــدي
عن حبيبيـــن في دجى الليل سـارا	خوف كيـــد من حاسد وحقـــود
ذهبـــا يضـــربان والليـــل داج	في وهـــاد فسيحة ونجـــود
واذا كل فرحـــة تســبق الاخـــ	ـــرى على ذلك الفضـــاء المديد
واذا الطيـــر صـــادح يملأ الافـــ	ـــق بصـــوت منغـــم الترديـــد
واذا الصبح هاتـــف بالامانـــي	ينشـــر الا من بين خفـــق البنـود
واذا دعـــوة النبـــي تجلـــت	فاضـــاءت ظـــلام هـــذا الوجود

★ ★★

يا هـــلال الســـماء حدث فانـــا	في اشـــتياق لكـــل قـــول سديد
قد رايت الزمـــان وهـــو وليـــد	فتحـــدث عن ســـر ذاك الوليـــد
واذكر الشـــرق ســـيدا وامامـــا	ومنـــارا للســـالك المجهـــود
واذكر الهجـــرة الشـــريفة لمـــا	قـــام يدعو محمـــد في الوجـــود
جحـــدوه في مكـــة وتغالـــوا	ومن الاهـــل ما راى من جحـــود
فتـــولى الى المدينـــة يســـعى	ضـــاربا دونهـــا عباب البيـــد
طاردتـــه قريـــش في غسق الشـــ	ـــرك فما مال عن ســـنا التوحيـــد
طاردتـــه فـــردا فعـــاد اليهـــا	في كـــرام مـــن الهداة حشـــود
انه نعمـــة الســـماء ونور اللـــ	ـــه قـــد ضـــاء في الظلام الشـــديد
شـــرعة تلهـــم الفضيـــلة والخـــ	ـــير وتهدي الى الطريق السديـــد
قد اظلت بفيئهـــا الزمن العاتـــي	ورادتـــه فوق عيـــش رغيـــد

للمصلحين الاجتماعيين
على اختلاف نزعاتهم ـ
غاية واحدة : هي النهوض
بالمجتمع البشري والوصول
به الى أقصى درجات الكمال
الانساني ، غير أنهم
للوصول الى هذه الغاية ـ
سلكوا سبيلين مختلفين ،
وانقسموا قسمين
وافترقوا فريقين : فريق
يسعى للاصلاح من ناحية
الروح ، وفريق يسعى اليه
من جهة المادة .

فالروحيون يرون أن الروح هي الجزء الاهم في الانسان ، فهو الاجدر بالعناية والرعاية والخدمة لذلك كان الدين عندهم هو الوسيلة الى اصلاح البشرية ، ثقة منهم بان الانسان لا يطمئن في الحياة ـ ولا يتغلب على صعابها ، الا اذا امتلأ قلبه ايمانا ، وعمرت نفسه بالتدين الذي يرافقه في خلوته فيزجره ويعصمه من الشر والاجرام ، من غير قانون يخشاه ، ويعزيه في حرمانه فيجعله راضيا . وبذلك تحقق له السعادة التي تعجز عن تحصيلها الاموال الطائلة والقوى الهائلة والعلوم والمعارف .

يرى الروحيون أن الاصلاح الاجتماعي انما يكون عن طريق تهذيب النفوس، وتطهير القلوب من الاحقاد والاضغان ومن الانانية والعدوان ويغرس المحبة والميل الى الخير في النفوس وتوجيهها الى الله تعالى الذي يحفظ المؤمن من كل ما يخشى ويحقق له كل ما يطلب .

هذا ما قام به الروحيون في خدمة البشرية ، ولهم فضلهم ، والانسانية مدينة لهم بما صنعوا فقد عملوا لتهذيب النفوس وتطهير القلوب وانارة العقول وايقاظ الضمير الانساني الذي يقود الى الخير ويصد عن الشر وهذا حسن من علماء الدين يذكر لهم دائما مقرونا بالاعجاب والتقدير ، غير أن فريقا من الروحيين قد غلا في دعوته ، واندفع في طريقه حتى جاوز الغاية فحقر من شان المادة ودعا الناس الى الانصراف عنها والعزوف عن الدنيا والزهد فيها

وصرف الوقت كله « ليله ونهاره » في تغذية روحه بالعبادة فانصرف الناس بذلك عن العمل في الدنيا ·

ومنهم من عبث بالعقول فعاقها عن التفكير ، ودعا الى التقليد المطلق ، وقاد الافكار الى اعتقاد الخرافات والضلال · وهؤلاء قد اساءوا الى البشرية بما ألحقوا بها من بالغ الضرر والى الدين بما أحدثوا فيه من تحريف وتشويه ·

ولقد كان ذلك سببا في ثورة بعض المفكرين على الدين ومناهضة الروحيين وانتشار النزعة المادية واعلان اهلها العصيان والتمرد على الاديان واتهموا الشرائع السماوية بانها غل في عنق الانسان وقيد يعوقه عن التقدم الى الامام ·

وصفوا الدين بانه مخدر ورموا أهله بالجمود والاستسلام الى الخيال والاوهام واتهموا زعماءه وقادته بانهم يدعون الناس الى الكسل والخمول والتواكل ويقتلون فيهم روح العمل ويغرسون فيهم الاثرة وحب الذات لانهم يحملونهم على طلب السعادة لانفسهم بالعبادات ناسين أن عليهم حقا للعالم الذي يعيشون فيه ويتمتعون فيه بكل خير ولا يقدمون له من الخدمة شيئا ما ·· وتلك هي الانانية بعينها ·

ومن ثم تنكر الماديون للاديان وطاردوا رجالها واغلقوا المعابد وفصل بعضهم الدين عن الدولة واغمضوا اعينهم عن الروحيات ·

هؤلاء هم الماديون أصحاب المذهب الثاني الذي يعالج المجتمع عن طريق المادة : اعتمدوا في معالجة المشاكل الاجتماعية على وسائل مادية بحتة ٠ ٠ فعملوا على توفير الثروة في البلاد وزيادة الانتاج الزراعي والصناعي وتنظيم توزيعها وسن القوانين التي تؤدي الى ازدهار العمران وايجاد نوع من العدالة يضمن للعامل والصانع عيشة راضية وحياة طبيعية طيبة ٠

وفي مقدمة ما يهتمون به انشاء الملاجيء والمدارس والمصحات ٠٠ أسلموا للعلم قيادهم وجعلوه أداة استنبطوا بها مكنونات المادة من اسرار وقـــوى استخدموها لخير الانسانية هدفهم اسعاد الانسانية عن طريق الغنى والمعرفة والقوة ٠ وهم بذلك يعملون للقضاء على الاعداء الثلاثة : الفقر والجهـــل والمـــرض ٠

ظن هؤلاء الماديون انهم بخدمة الجانب المادي للانسان يحققون للمجتمع مثله الاعلى : السعادة المنشودة ٠ وما دروا أن العلم والمال وحدهما لا يغنيـان الانسان ولا يحققان له شيئا من هناءة الروح واطمئنان النفس ، بل كثيرا مـا يسببان للانسان الشقاء بما يجلبان عليه من مهلكات التفرق المفضي الى الحروب المدمرة التي تقضي عليه وعلى علمه وعلى ماله ٠

وحسبنا دليلا على ذلك ما حدث في هذا القرن من وقوع حربين عظيمتين كان العلم والمال أمضى اسلحتهما واسح لنا مما بيناه أن كل واحد من المذهبين لايستقل على انفراد باصلاح المجتمع لهذا يمكننا أن نطرح النزعة المادية المتطرفة جانبا ٠٠ كما نطرح النزعة الروحية المتطرفة ٠

وهنا نقف بالاصلاح الاجتماعـــي موقفا وسطا فلا نصل به مع الغـلاة المتطرفين من الفريقين بل الخير كل الخير في الاخذ بالمادة الى قدر مقـــدور والاستمساك بعرى الدين في حدود تعاليمه الصحيحة ٠

نستطيع اذن أن نوافق الماديين الى حد ما : نقرهم على ضرورة استخدام العلوم والانتفاع بثمارها من المخترعات التي تقوم في المصانع مقام اليد العاملة فتزيد الانتاج الصناعي والزراعي وتحمل عن الانسان ما يتكبد من عناء العمل ٠٠

ونوافقهم أيضا على اقامة المؤسسات اللازمة لاصلاح المجتمـــع من المدارس والمصانع والملاجيء والمساكن الصحية وانشاء القرى على نظام جديد وتعميم نظام التعاون فيها ٠

نستطيع أن نوافقهم على هذا كله ، ولكننا ننكر عليهم شططهم الى حـــد الخروج عن الدين ٠٠ والثورة على القوانين السماوية التي ثبتت صلاحيتها لكل

زمان ومكان كنظام الميراث ونظام الاسرة واحترام الملكية ·

أما استخدام العلوم والانتفاع بثمارها فهو أمر نقره ايضا ، اذ لا يصادم العلم الصحيح الدين ابدا بل الدين يحث عليه ويرفع من شأنه ولا يقف حجر عثرة في سبيله ·

ومن الاصول العامة التي جرى عليها العمل بين المسلمين انه اذا أوهم ظاهر النص معارضته للعقل او لاصل من أصول العلم وجب تأويله بما يجمع بينهما ·

ومثال ذلك ما جاء في الكتاب العزيز من قوله تعالى · « كل شيء هالك الا وجهه » وقوله تعالى · «يد الله فوق أيديهم » وقوله تعالى · « والارض بعد ذلك دحاها » اي بسطها ·

لا يعقل ان يكون لله تعالى وجه او يد ·· وقد اثبت العلم أن الارض كروية فعمد المسلمون ـ اتباعا للاصل المقرر في دينهم الى تاويل هذه الالفاظ : أولوا الوجه بالذات واليد بالقدرة ، وقالوا ان المراد بالدحو البسط فيما يراه الرائي لا في الشكل الكلي ، فلا ينافي هذا ان الارض في حقيقة الامر كروية ···

والاستمساك بعرى الدين في حدود تعاليمه الصحيحة يحملنا على النهوض بالاصلاحات الاجتماعية والقيام بالمشروعات العمرانية لان الدين الاسلامي يعمل على اصلاح شأن الناس في دينهم ودنياهم على السواء قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وفي الآثار الصحيحة : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ·

يحث الاسلام على العمل ويحارب البطالة والكسل ويرغب في مزاولة الصناعة والتجارة والزراعة ·· وروي عن المقداد ـ رضي الله عنه ـ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ·· وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » ·

قال تعالى : « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » وقال صلى الله عليه وسلم : « لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ·

وفي الآثار الصحيحة أيضا : ان الله يحب التاجر الصدوق والصانع الناصح ·· ونظر عمر رضي الله عنه الى أبي رافع وهو يقرأ ويصوغ فقال : « يا أبا رافع أنت خير مني ، تؤدي حق الله وحق مواليك » · وقال تعالى :

« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » وقال تعالى : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ٠

ليس الدين الاسلامي دينا روحيا فحسب بل هو دين جد وعمل كذلك ، يدل لهذا أن الشريعة الاسلامية نظمت للناس شئون حياتهم الاجتماعية بما سنت لهم من الاحكام والقوانين الاقتصادية والزراعية والتجارية وقوانين الاحوال الشخصية وغيرها ٠

ففي الدين الاسلامي قوانين لتنظيم البيع والشراء والاجارة والسلم والقرض والقراض والمزارعة والشركة والزواج والطلاق والعدة والنفقات وغيرها ٠

لقد رسم الاسلام سياسة المجتمع البشري على أحكم خطة وأحسن تقويم٠٠ جاءت الشريعة الاسلامية بمبادىء وأحكام ترمي الى دعم بناء المجتمع ووقايته والى علاج ما ينتابه من أمراض وعلل ٠٠ مبادىء لو استمسك بها الناس وعنوا بها لعاشوا في أمن ودعة ولظلوا في رغد من العيش وبسطة من الهناءة والنعيم والغبطة والسعادة ٠

ان الدين الاسلامي أمر بعموم الفضائل ونهى جميع الرذائل ٠ ودعا الى التآخي والتواصل وحذر من التدابر والتقاطع وقرر حفظ النفس والدين والمال والعقل والنسب ٠

أمور خمسة قرر الدين الاسلامي حفظها والذود عنها ، ابقاء على كيان المجتمع لان في بقائها بقاءه وفي اهمالها انحلاله وفناءه ٠

وقد سمى الاصوليون هذه الاشياء الخمسة بالكليات الخمس لان كل الاديان السماوية اتفقت على أن تحافظ عليها وفي سبيل المحافظة على هذه الامور شرع الاسلام القصاص لحفظ النفس والجهاد لحفظ الدين والحدود المختلفة لحفظ المال والعقل والنسب ٠

عني الاسلام بالاسرة لان الامة مجموعة من الاسرة والاسرة صورة مصغرة من الامة فاذا تألفت الامة من أسر قوية كانت قوية وان تألفت من أسر ضعيفة كانت ضعيفة وان لم تكن أسرة فليست هناك أمة ٠٠ لذلك عني الاسلام بتوطيد دعائم الاسرة فسن نظاما قويا يحفظ كيانها ويشد عضدها ، ويقوي أواصرها ويضمن لها حياة سعيدة حميدة موفقة ٠

ربط الزوجين برباط من السماء وجعل لكل منهما على الآخر حقوقا قررها الشارع وبينها كما جعل للوالدين على أولادهم حقوقا وللاولاد على والديهم

حقوقا ، وسن لهم نظام الميراث ليؤكد الصلة بينهم ويقوي الرابطة فيهم وأمـر الآباء بالعدل بين أبنائهم حتى في القبل كي لا تتولد في قلوبهم الضغينـــة من الصغر ولينشأوا على الشعور بالحب المتبادل بينهم منذ الطفولة ٠

أي شيء ترمي اليه الشريعة الاسلامية من وراء ذلك كله سوى خير البشر واسعاده وحياطة المجتمع الانساني وتثبيت دعائمه حتى لا ينهار ؟

ومن الامور التي قررها الدين الاسلامي حفظ المال بشتى الوسائل فالشرع قطع يد السارق وأجاز دفع الصائل حتى الموت ٠

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال : « فلا تعطه مالك » قال : أرأيت ان قاتلني ؟ قال : قاتله » قال : أرأيت ان قتلني ؟ قال : «فأنت شهيد»قال:أرأيت ان قتلته ؟ قال : « هوى في النار » رواه مسلم وأحمد ٠

وعن عبد الله بن عمرـرضي الله عنهما ـ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل دون ماله فهو شهيد » متفق عليه ٠ وفي لفظ « من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد » ٠

ومن هذه الاحاديث الصحيحة نعلم أن الدين الاسلامي يحترم الملكية ولا يهدرها ويجعل لصاحب المال الحق كل الحق في الذود عن ماله ولو أدى ذلك الى سفك دمه وقتل المعتدي ٠

نعم اقتضت حكمة الله تعالى ـ أن يكون الناس متفاوتين في الثروة « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » ، « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » ٠

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ أنه سبحانه وتعالى لم يفوض قسمة أسباب معيشة الخلق اليهم لعلمه بعجزهم عن تدبيرها . فقسم الارزاق قسمة تقتضيها مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ورفع بعضهم فوق بعض درجات متفاوتة في الرزق وسائر وسائل المعاش فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم « ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » أي يصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهامهم ٠

اذ لو كانوا في مستوى واحد من المعيشة لاختل التوازن وتعطل دولاب الحياة على أن الدين الاسلامي لم يترك للغني ماله من غير أن يجعل للفقـــراء والمساكين نصيبا فيه ، يسد منه عوزهم ويطعم جائعهم ويكسي عاريهم ، قـال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم

بهـا ، وقال تعالى : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقال تعالى . « كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده » ·

فرض الله على الاغنياء نصيبا في اموالهم يؤدى للفقراء والمساكين وغيرهم · وهو نصيب لا يتحيف مال الغني ولا يقصر في الوفاء بحاجة الفقير· فلو أن الغني شعر بواجبه وحسنت نيته ورقت عاطفته وحاسب نفسه فأدى الى الفقير حقه في ماله ما رأينا فقيرا يتلوى من الجوع ·

ومن أجل المبادىء التي عني بها الاسلام فكرة الاخوة الانسانية فقد نبه القرآن الكريم الى وحدة الابوين الداعية الى التعاون والتعارف والتناصر والتحاب بين بني الانسان ونهى عن التفاخر بالانساب ووضع مقياس التفاضل بين الناس فجعله التقوى لا الجنس ولا المال ولا القوى قال تعالى · « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع : « يا أيها الناس كلكم من آدم وآدم من تراب ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى » ·

ومن مبادىء الاسلام السامية احسان معاشرة المسلمين لغيرهم من أهل الاديان والمذاهب الا في حالة العدوان وفي القرآن الكريم · « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » ·

وقد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده على وفق هذه المبادىء السامية حتى أبيح الاصهار الى اهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من اقامة شعائر دينها ·

ومن أسمى المبادىء القويمة للدين الاسلامي اقامة العدل بين الناس حتى غير المسلمين منهم ·· قال تعالى · « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » . وقال تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » ·

لقد عرف الشرق بروحيته وبأنه مهبط الوحي ومنبع الديانات ومبعث النبوات ومواطن الفضائل فيه غرست وفيه نمت وترعرعت ·

عرف الشرق بهذا بينما عرف الغرب بماديته وانه مشرق العلوم ومهد الاختراعات ومنبع الاكتشافات وهذا ما حمل بعض الناس على أن يجعل تقدم الغرب نتيجة لماديته وتأخر الشرق نتيجة لروحيته فاخذ ينظر الى الغرب نظرة

اعظام واكبار ، والى الشرق نظرة ازدراء واحتقار وان نظرة واحدة الى الشرق: الى الجزء الممتد منه بين المحيط الاطلسي غربا وحدود الصين شرقا ترينا كيف استفادت الانسانية من الروحية وكيف أثرت الروحية في الاجناس المختلفة فأزالت ما بينها من فوارق جنسية وقطعت ما بينها من حواجز طبيعية فهذه المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، ومصر ، وسوريا ، والسودان ، وفلسطين ، ولبنان ، وتركيا ، وشرق الاردن وجزيرة العرب والعراق وايران والهند وباكستان وأفغانستان وأندونيسيا وتركستان • أمم متعددة والسنة مختلفة وألوان متغايرة وطبائع متباينة وعادات متنوعة •

ومع هذا قد أصبحت هذه الامم كلها أمة واحدة بفضل الروحية التي أذابت هذه الاختلافات فليس لامة أن تعتدي على ارض أمة أخرى او تحاول تسخيرها او استغلالها أو التسلط عليها •

بل يجب أن يعيش الجمع القليل كالجمع الكثير والضعيف كالقوي في تحرز من الخوف والعوز والعدوان ولهذا نجد بين أمم الشرق من التحاب والتواد ورغبة كل منها في خير الاخرى ما تقر به عين الانسان •

أما الغرب المغالي في ماديته فانه يجني المر من ثمارها فقد قطعت أوصاله وجعلته شيعا متنافرة وأحلت بينها العداوة والبغضاء والحسد يتربص بعضها ببعض الدوائر ويحاول أن يبني مجده على أنقاض غيره ، وليس هذا بين الامم التي تباعدت أصولها فحسب بل بين الامم التي يجمعها أصل واحد •

فهذه الدول التي تنتهي الى الاصل اللاتيني في أوروبا كالتي تنتهي الى الاصل الجرماني نرى بينها من النزاع والصراع ما قضى على وحدة الاصل وجعل من الاخوين عدوين يتمنى كل منهما لاخيه الهلاك والدمار •

اذا حكمنا على الغرب هذا الحكم فان ذلك ليس على سبيل التعميم فانا لا أعتقد أن الامم الغربية كلها مادية لان الانسان بطبيعته لا يمكنه أن يكون ماديا صرفا فهنالك ما يزال المثل الاعلى للنشاط الانساني روحيا فالاوروبي ينفق عمره في فهم المعارف وخدمة الوطن والانسانية والمادي مهما غلا في ماديته لا يمكن أن ينكر أو يتجاهل ما يترتب على عمله من خدمة للبشرية •

وقد لاحظت – وأنا في أوروبا – في أوساط كثيرة اتجاها روحيا يزداد على مر الايام ويتسع نطاقه وشاهدت كثيرا من المتدينين يصدرون في أعمالهم عن روح دينية عميقة بل شاهدت في غير المتدينين استعدادا عظيما لفهم الروحية والاعتراف بفضلها والاخذ بها ، ويعتقد الكثيرون منهم أن ما أصاب الانسانية من الويلات انما هو نتيجة ترك الدين ولهذا أخذ الميل الى الدين يتجدد ويقوى والشعور الديني يزداد ويعظم في النفوس الى حد أن تألفت أحزاب سياسية أطلقت عليها أسماء دينية •

وانا ليسرنا أن نرى الشرق ينهض عاملا على مجاراة الغرب اخذا بأسباب مدنيته بما فيها من مادية لا بد منها كما يسرنا أن نسجل للغرب سريان الروحية في حضارته المادية •

يسرنا أن نرى هذا التوفيق الجديد بين الدين والعلم •• بين الروح والمادة •

خطوات في الهجرة

يطالع المسلمين من العــام للعام ، ذكرى حدث الاحداث وهو الهجرة،فهو في تاريخنا رمز للتضحية حين تبلـــغ قمتها ، والفدائية حين تصل الى ذروتها والرجولة حيــن تكون نمطا فذا يعــز على الناس دركه ، فهي من الزمن أيام ولكنها غرته ، وهو من الاحداث حدث لكنــه واسطة عقدها · انها علامــة على البلوغ بالارادة القويــــة للرسول صلى الله عليـــه وسلم ، ولقلة معه ما لا تبلغه جيوش أعتى الدول · وانها لسمة حية على أن الفـــرد بعقيدته يصنع ما لا تصنعــه أمة بدون عقيدة ، فبالعقيدة يستعلي المرء فوق شهواته ، فيسمو في عينيهمعنى الحياة ويرى أنه لم يخلــق للبقاء الدنيويوانما للخلود الابدي وهو بهذا ارادة الله وقــدره في الارض ·

للاستاذ :
محمد محمود
متولي

صلالة ـ سلطنة عمان

في الهجرة برزت بطولات
هزت الدنيا لشباب وكهول ولنساء

وقد كانت الهجـــرة استعلاء على الرغبات الدنيا من مال وولد ووطن ، وصمـــودا في وجه الطغيان البشري وتحديا للآلهة المزيفة والسادنين لهـا ، وفرارا من الجبت والطاغوت الى حمى الله سبحانه ·

وفي الهجرةبرزت بطولات هزت الدنيا لشباب ولكهول ولنساء ، لا يعلـــم الا الله أي عاطفة جياشة تلك التي ملأت قلوبهم حبا لهذا الدين ·

ويأتي بعد الرسول الكريم في ترتيب البطولات رجل دقيق الجسم رقيـــق الحاشية ، وديع لين ولكنه حين يكـون مخيرا بين دنيا ودين فان الدعتواللين يتحولان الى عزم لا يفتر وحمـــاس لا يهدأ ، والرجل مذ أسـلم برز في فعاله الاصرار على نصرة هذا الدين ، وقـد كان في الهجرة كاتم سرها ورجلهـــا الثاني ومحولها ، فلم يعلم بساعتهـــا سواه ، والذين عايشــوا هذا الحدث الاجل أدركتهم لحظة من لحظــــات الالهام فوقر في قلوبهم أن مصير الاسلام مرهون بمصيره ، ووجود أمته الابـدي مرتبط به · ويبرز أمام البصيرة منظـر مكة · حركة دءوب في هدوء ، قلـوب حذرة وعيـــون رقوب وقلـــوب ملأى بالغضب على صاحب الرسالة وصحبه وقلوب ملأى بالايمان بالله القـــوي القاهـــر ·

وأبو بكر بطلنا في صدره وعى ذلك كله ،وقد جهز الرواحل وانتظر الاذن من رسول الله صـــلى الله عليه وسلم بالرحيل ، وهو ساعة تتحجر فيهـــا مشاعر من لم يخلقوا للبطولة ، وتطوف بالملأ الاعلى قلوب تدق للفداء وتهـش للعظائم · تقول عائشة رضي اللـــه عنها : فلم اكن أعلم أن أحدا يبكي مـن الفرح حتى رأيت أبي وهو يبكي منه · وفي منتصف ليلة ، تحول الكـون الى عيون ترقب وقلوب تحذر ،خرج أبوبكر الى مكان حدده له الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ثابت الجنان رابـط الجاش ، ولكن هدوءه مشـوب بالحذر وثباته محوط بالثقة في ربه وفي رسوله ويصل الى المكـان ، فيجد بطل الابطال صلى الله عليه وسلم ، ليبدأ معا رحلة الجهاد والهجرة ، وتبرز أثناء الهجـرة بطولة أبي بكر رضي الله عنه ، انـــه يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسـلم مطلوب ومرصود ، وأن الخطر قد يأتي من الامام أو من الخلف أو من اليمين أو اليسار ، ولو استطاع أن يفتق مـــن نفسه أشخاصا تحيط برسول الله صلى الله عليه وسلم لفعل ، ولكنه لا يستطيع

بطولات في الهجرة

فيسير مرة أمام الرسول ، ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله ·

ويسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول له : يا رسول الله انكر الطلب فأكون خلفك وأذكر الرصد فأكون أمامك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك· انه يريد أن يتلقى الطعنات فداء لقائده، وهذه هي ذروة البطولة ، وهي لا تكون الا من ثمار العقيدة السليمة ، وآثار الايمان القوي ·

البطولة الحقة :

والطريق الى الغار وعر · صخور شديدة ، وعرة المسالك ، والرسول صلى الله عليه وسلم يغالب نفسه في الصعود حتى حفيت قدماه ، وينظر الصديق الى قرة عينه فلا يطيق رؤيته يتألم ، فيحمله حتى يصل الى فم الغار ، ويطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن ينتظر حتى يتأكد من خلو الغار من وحوش الصحراء وهوامها ، لان الوديعة غالية ، ويقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله انني ان مت فأنا فرد واحد ، وأما أنت فان موتك موت أمة وفقدك فقد دين ·

ومن دوحة أبي بكر السامقة تبرز بطلة عطر ذكرها الزمن من يوم الهجرة حتى الآن وما بعده ، فالبطولة ليست بنت زمن ولا وطن ولا جنس ولا لون ، وانما هي قيمة مشتركة بين الناس جميعا، هذه الفتاة هي ذات النطاقين ، أسماء ، ولها في الهجرة ثبات الجبل الاشم ، وكياسة المؤمنة الفطنة ، وقد عاشت حياتها بطلة يطأطيء الطغاة أمامها رؤوسهم ، فبعد رحيل الصديق جن جنون رجالات قريش ، وتساءلوا من ذا الذي يعرف أين توجها ـ الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ـ وذهب بعضهم الى بيت أبي بكر وعلى رأسهم أبو جهل ، فلم يجدوا الا بنتيه أسماء وعائشة رضي الله عنهما ، وسأل أبو جهل أسماء : أين أبوها ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصوته ينفث حقدا ويقطر غيظا ، وماذا تفعل فتاة عزلاء أمام طاغية ؟ لكن أسماء ردت بهدوء معجب : لا أعرف · واستحثها على النطق فلم تشفه بجواب ، فتطاولت يد جللها العار الى وجه الفتاة الطاهرة بصفعة مؤلمة ، وبدلا من الاستخذاء زادت اصرارا ، وأجابت البطلة : والله اني لاعرف أين مكانهما ولكن لن أجيبك ويحس مشرك أخر بالعار من لطم الفتاة فيسحب الاحمق من المكان دون ظفر منها بطائل ·

وفي فترة الغار،حملت أسماء الطعام أياما ثلاثة الى الغار في حذر ويقظة ، وكانت تعلم أن خطواتها مرصودة وحركاتها محسوبة ، ولكن لا يستطيع أحد أن يغافلها فيعرف منها مكان المهاجرين العظيمين ،فيا لهؤلاء المسلمين من أي المعادن كانوا ؟

ومن نفس الدوحة يبرز عبد الله ، فتى من بيت أراد الله أن يحيط المجد به من قمة رأسه الى أخمصه ، فقد ربط مصيره بمصيره • وكان عبد الله في الهجرة هو ادارة الاستخبارات ، يمكث في مكة نهارا يسمع ويحصي ويسجل كل ما يدور حوله ، لامحا ما توحي به نظرات العيون وخطرات الخواطر ، حتى اذا جن الليل ، نقل صورة لما حدث الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر• وللبطولة في سلفنا الصالح منابع ثرة فياضة ، ومن ينابيعها الدفاقة ينبوع الفاروق عمر رضي الله عنه • فان الرجل الذي فرق الله به بين الحق والباطل ، وأجرى الحق على لسانه وقلبه ، وأرهب الشيطان منه ، له موقف في الهجرة ، فالبطل لا يعرف الخوف ولا الخور ، وقد هاجر بعض الناس سرا ، خوفا من بطش قريش ، ولكن عمر لا يفعل ذلك ، فقد أراد الله أن يذل به كبرياء قريش ، ويكفكف من غلوائها فلا تستطيع أن ترد عليه ، وقد خرج بسيفه مارا على مجالس قريش مهددا متوعدا من يتبعه ، فلم يتبعه أحد •

فتى الفتيان :

وبعد عمر ياتي فتى الفتيان ، وهو من خط سطور بطولته بحب الحق والذود عنه ، ونذر روحه فداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم • فالرجل يعلم أن ،ربعين سيفا تنتظر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو من يبيت مكانه عطشى الى دمه ، شرهة الى لحمه ، ولكن من الذي يستغلي دمه على دم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ؟ ومع كل ذلك ينام علي كرم الله وجهه ، ويتغطى بالبرد الحضرمي الاخضر ، باذلا نفسه فداء لنفس قائده ، مؤثرا فناءه ببقائه• وفي الصباح تقتحم قريش الدار ، فينهض الامام علي وقد القى الله عليه السكينة والمهابة • ولا يحفظ لنا المؤرخون انه ارتعد أو خاف ، فهو ابن الاسلام ، ربي في حجره ، ورضع لبان التوحيد الصافية • وحين ينفض سامر الموت عائدا بخيبة الامل القاتلة ، يؤدي علي ودائع كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى اصحابها ، ثم ييمم وجهه شطر المدينة ، قاطعا الطريق وحده ، فاي بطل كان واي رجل ! !

لا عجب انه ابن الاسلام • وقد تعدت البطولة العرب الى الموالي ، الذين اسلموا ، فها هو ذا صهيب الرومي،هدى قلبه للاسلام وأراد الهجرة ، فاعتقلته قريش بحجة انه اتى فقيرا فغني بمكة ، فعرض عليهم أن يترك لهم ماله على أن يخلوا بينه وبين الهجرة فقبلوا،فاعطاه صاحب الرسالة وسام الربح حين قال : « ربح البيع صهيب ربح البيع صهيب »•

ولم تقتصر البطولة على من هاجر ، وانما هناك من ظل يبكي عاما كاملا ليهاجر ، وهو موقف شامخ لام سلمة رضي الله عنها ، سيدة هاجر زوجها

بطولات في الهجرة

وتريد الهجرة مثله ، فيمنعها أهلها قائلين لزوجها : هذه نفسك قد غلبتنا عليها فلن تغلبنا على ابنتنا . ويريد ابو سلمة أخذ ابنه ، اذ هو لا يأمن عليه أن ينشأ في ظل المشركين ولو كانوا عشيرته أو عشيرة امه . وتتجاذب الايدي الغلام وتتشبث به ويسرع قدر الله الى احدى ذراعيه فتنخلع في الايدي المتجاذبة ، ويرى الوالد ذلك فينخلع قلبه ، وترى الام ذلك فيدمى قلبها ، ويحترق كبدها الذي طالما عليه استراح ، ولا تبرح أم سلمة تبكي عاما كاملا على فراق زوجها وولدها ، حتى يرق لها أحد ذويها فيحملها الى المدينة، حيث تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها هي وابنها .

هذه بطولات سطرها الابطال بدمائهم وعبر كتبوها بجهودهم . وفي ذكرى الهجرة لا بد من عمل للاسلام ، فالهجرة حدث ، والعمل جهاد بالدم وبالكلمة ، وبالمال ، وصدق الله حيث قال : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .
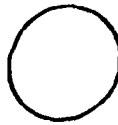
يقول الحق تبارك وتعالى :
« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » التوبة : ٤٠
صدق الله العظيم

وكلما تمادوا في الاذى اشتد الرسول ومن معه اصرارا وتصميما

مع اطلالة شهر المحرم تتجدد ذكرى الهجرة النبوية الشريفة ، التي حولت مجرى التاريخ وقوضت دعائم الشرك والجهالة واقامت صروح المعرفة والتوحيد ·· وفي حضور هذه الذكرى تزدحم النفس بأروع أمثلة الشجاعة والتضحية في سبيل نصرة دين الله ، واسترخاص كل غال ونفيس من أجل اعلاء رايته ونشر تعاليمه الخالدة ··

الصبر والصمود في مواجهة الباطل :

فقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة بعد ان اصطفاه الله أمينا على وحيه ، اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر ، وبضعة أيام لم ينقطع يوما فيها، عن تبليغ رسالة الله ، ودعوة أهله وعشيرته الى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع··

ولكن قريشا قابلت دعوته بالتشكيك والاستهجان ، وصورت لهم نفوسهم المريضة ، أن وسائل الاغراء والمساومة ربما تصرف الرسول عن رسالته الحقة·

فقالوا له : ان كنت تريد مالا جمعنا لك المال الوفير فصرت أكثرنا مالا ·· وان كنت تريد السيادة والملك نادينا بك سيدنا ومليكنا ··

فماذا كان جواب الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ ··

لمحات من الهجرة

« والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هــذا الامر ، ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونــه » .

كان الحق بين يديه ..

وقريش تعيش في الباطل .. مــن جاهلية وشرك وعبادة الاوثان ..

أراد لهم الخــلاص والهدايــة والصلاح ..

ولكنهم استعلوا واســتكبروا .. وقالوا كيف تسفــه آلهتنا وتسب دين آبائنــا .. ؟

واشتد ايذاء قريش للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته .. وكلما تمادوا في الاذى ، ازداد الرسول صلى اللــه عليه وسلم ومن معه اصرارا وتصميما على اظهار دين الحق .. شهروا بــه وقالوا : « يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون » .. وصفوه بالسحر .. لم يتركوا مقالة سوء الا آذوا بها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ..

فلما أعجزهم الامر عمدوا الى وسائل التعذيب والاعتداء .. فقام عقبة بن أبي معيط الى الرسول صلى اللــه عليه وسلم وهو يصلي فخنقه بردائه خنقــا شديدا يريد قتله ، لولا أن دفعه عنــه أبو بكر وقال : « أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » .

وكان من أشد المشركين ، ايــذاء للرسول صلى الله عليه وسلم عمــرو ابن هشام ، الذي لقب بأبي جهل لكثرة جهله عليه ، قال يوما : يا معشر قريش ان محمدا قد أتى ما ترون من عيــب دينكم وآلهتكم ، وتسفيه عقولكم وســب آبائكم ، لو جلست له غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه . فاسلمونــي عند ذلــك أو امنعوني .. فليصنع بنو عبد مناف ، ما بدا لهم ، فلما أصبح أخذ حجرا ، وجلس ينتظر رسول الله صلى اللــه عليه وسلم ، وهو قادم لصلاة الغداة ، وقريش في أنديتهم ينتظرون ، ما هــو فاعل ، فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كعادته الى المسجد للصلاة ، فلما سجد أقبل أبو جهل ، بالحجر ليرضخ به رأسه ، فلما دنا منه رجع مهزوما ممتقعا لونه ، فاقبل اليه رجال من قريــش يسألونه :

.. مالك يا أبا الحكم ، فقال : عرض لي فحل من الابل ما رأيت مثله هم أن يأكلني ..

فلما ذكر هذا للرسول صلى الله عليه وسلم قال : « هذا جبريل ولو دنــا لاخذه » .

ويتحمل الرسول صلوات الله وسلامه عليه الكثير والكثير من صنوف الاذى والبلاء والشدة من قوم تحجرت قلوبهم وأضلتها الجهالة والوثنية .. ويهــون عليه كل شيء أمام ثقته في الله ..

ويموت عمه أبو طالب ، وكان لــه عضدا وحصنا وناصرا على قومــه ،

طهر قلوب الأوس والخزرج مما كان بينهم من الأحقاد التي دامت سنين

ثم تموت زوجه خديجة رضي الله عنها فيحزن الرسول صلى الله عليه وسلم ويتألم لفقدها لما كانت عليه من صدق الايمان وخالص الوفاء ومباعدة الكفار عنه بما لها من الجاه في عشيرتها بني زهرة ·· حتى سمي هذا العام بعام الاحزان ··

وفي مزدحم الآلام وشدة الكروب يتجه الرسول صلى الله عليه وسلم بالثقة الراسخة في الله داعيا :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين ، الى من تكلني، الى عدو بعيد يتجهمني ، أم الى صديق قريب ملكته أمري ، ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي » ··

ويجيء أمر الله لرسوله الامين بمبايعة أهل يثرب له ، وطلبهم النزول بينهم ، ويتجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى نقل دعوتهمن ميدان الى ميدان آخر ·· ومن بيئة فاسدة ، الى تربة صالحة ·· ومن طريق ضيق ، الى طريق أرحب للجهاد ·· ولم يكن ابدا هروبا بالدين كما يخطيء البعض القول ··

وتتجلى في هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة آيات تأييد الله له ·· ثم أي مثل في التضحية والفداء أروع من :

★ علي بن أبي طالب يبيت ليلة الهجرة ، في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ويتغطى ببردته ، وهو يعلم ، ان المشركين محيطون بالمنزل بسيوفهم ، ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ويحولوا بينه وبين هجرته ··

★ وأبو بكر ينطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين غار ثور، ليختفيا فيه حتى ينقطع قصاص أثرهما عن المشركين ·· كان أبو بكر يمشي أمامه ساعة ، ومن خلفه ساعة ، ولما

وصلا الى الغار قال أبو بكر : والـذي بعثك بالحق ، لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك ٠٠ فدخـل وجعل يمس بيده أرض الغار ، وكلمـا رأى جحرا سده بقطعة من ثوبه ، حتى قطع أحد ثوبيه ، ثم قال : ادخل يا رسول الله فاني سويت لك مكانا ٠٠

★ الصحابة جميعا يؤثرونه علـى أنفسهم ويفدونه بأرواحهم ويضحون في سبيله بما يملكون ٠٠ تركوا الاهـــل والمال والولد في مكة وهاجــروا الى المدينة ليكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠

ثم ماذا كان موقف الرسول صـــلى الله عليه وسلم وفتيان قريش ، على باب الغار يجدون في طلبـــه ويسعون الى قتله ٠٠ قال أبو بكر : يا رسول اللـــه ، لو أن أحدهم نظر الى ما تحـــت قدميه لابصرنا ٠٠ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ٠ لا تحزن ان الله معنا »٠

ويقيم رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وصاحبه في الغـار ثلاث ليال ، فلما يمتنع الطلـــب عنهما يرتحلان ويتابعان سيرهما الى المدينة ٠

ويبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عمله بتوحيـــد صفوف المســـلمين وتطهير نفوسهم وقلوبهم من آثـــار الاختلاف والعداوة والبغضاء ٠٠ فقد ورد في كتب السيرة : ان رسول اللـه صلى الله عليه وسلم لما وصل الى المدينة مهاجرا ، من مكة بدأ فبنـى مسجده ، ليكون متعبدا ومجتمعا للمسلمين ، ثم أخذ في توثيق عرى المودة والاخـــاء بين المسلمين ، فآخى بيـــن المهاجرين بعضهم البعض ٠ وقال لهم : تاخوا في الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب وقال : هذا أخي ، وآخـــى بين الانصار ، وطهـــر قلوب الاوس والخزرج مما كان بينهم من الاحقـــاد التي دامـــت سنين ، وآخـــى بيـن المهاجرين والانصار ، وصار لكل مهاجر أخ من الانصار له حقوق الاخ وواجباته

وبهذا أصبح المسلمون كتلة واحدة٠٠ وبناء قويا متماسكا ، واتجهت جهودهم جميعا الى غاية واحدة هي : نصـــرة الاسلام وعزة المسلمين ٠٠

وخفقت راية الاسلام ٠٠ راية القرآن تعلوها لا اله الا الله محمد رسول الله ٠٠ في مكة أولا ثم امتدت بعد ذلـــك فتوحات المسلمين شرقا وغربا٠٠واقاموا حضارة فاقت كل الحضارات ٠٠

وعند مشـــارف يثرب ، يخـــرج الانصار لاستقبال الرسول صلى اللـــه عليه وسلم وصاحبه مرحبين بقدومه٠٠
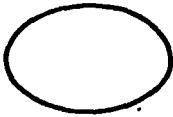
دبلوماسية الإسلام والدول الإسلامية حتى نهاية الدولة الأموية في الأندلس

للدكتور عباس حلمي الحلي

أستهل هذا البحث باستعراض المفاهيم التي تصورها الباحثون الغربيون التقليديون للدبلوماسية والتعاريف التي حددوها لها ونظرا لكثرتها مبنى وتقاربها معنى فاني ساكتفي بنماذج مشهورة عنها ثم أقوم بتحليل قيود هذه التعاريف وألقي الاضواء على ما تعانيه من خلل ونقص بسبب عدم مواكبتها لتطور العلاقات مستشهدا بالواقع الدولي والاراء والافكار المستنبطة منه ثم انتهي الى تحديد مفاهيم متطورة للدبلوماسية نجد جذورها في دبلوماسية المسلمين والدول الاسلامية وأختم الحديث بعرض صور رائعة عنها ..

يعتبر هارولد نيكلسون الدبلوماسي البريطاني الممتهن أشهر من ألف في الدبلوماسية فقد طبع كتابه مرات عديدة وترجم الى معظم لغات العالم يقول فيه ما ترجمته بعد مقدمة « ان الدبلوماسية لا تعني السياسة الخارجية ولا القانون الدولي وانما تعني فن المفاوضة كما وأن أسلوب المفاوضة لا يقتصر على الممارسة المطبقة وحدها وانما يشمل كذلك النظرية العامة التي تصوغ مبادىء هذه الممارسة وترسم اتجاهها) ..

ويقول اللورد هانكي بانها (مرادفة للمفاوضات السلمية ونقيضها حالة الحرب) ويعرفها الاستاذ البلجيكي فان دراين بانها (مجموعة القواعد الموضوعة والاعراف القانونية التي تجب مراعاتها في أزمنة السلم من أجل تنظيم العلاقات بين الدول ذات السيادة) ويحددها الاستاذ جاكويني الامريكي فيقول بانها (فن التاثير والتعامل مع الحكومات الاجنبية بوسائل لا تمتد الى الحرب) .. ويضيف القاموس الدولي الجديد الى (فن ادارة المفاوضات آداب العمل الدبلوماسي أو فن العناية بالعلاقات الدولية وما ينبغي لها من لباقة واسلوب) ويشرح الاستاذ ساتو وهو دبلوماسي مجرب منطوق الدبلوماسية بانها (الاستعانة بالذكاء والفطنة في تسيير العلاقات الرسمية بين الحكومات المستقلة وبقدر ما تسمح به الظروف غير المستقلة منها . ومجمل القول ان الدبلوماسية هي اسلوب العناية باقامة العلاقات بين الدول بالوسائل السلمية) ويتفق جميع الباحثين في تاريخ الدبلوماسية أن الدبلوماسية المعاصرة هي الدبلوماسية الدائمة التي ولدت وترعرعت في دول المدن الايطالية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر اذ كانت متكافئة بالحول والطول ولذلك اختارت المفاوضات السلمية وسيلة لادارة علاقاتها مع بعضها وأقامت ممثلين دائمين لهذا الغرض ..

ان ما أوردناه لا يقتصر على كتب المؤلفين وانما نجد هذه التعاريف في صيغة أو أخرى مدونة في الموسوعات الغربية وفي الكتب الدراسية في الجامعات وكلها تمثل التعريف التقليدي للدبلوماسية الذي يجمع القيود الآتية :

١ ـ أن الدبلوماسية ساحة أخرى منفصلة عن القانون الدولي ثم انها اداة لتنفيذ السياسة الخارجية التي لا يشملها تعريف الدبلوماسية .

٢ ـ انها تعني المفاوضات في حالة السلم لا الحرب .

٣ ـ انها آداب عمل وتعامل مهذب يقوم على أساس العناية بالعلاقات الدولية ويعتمد الدبلوماسي على الذكاء والفطنة .

٤ ـ انها تقتصر على الحكومات المستقلة وغير المستقلة اذا اقتضت الظروف .

٥ ـ ان الدبلوماسية المعاصرة تعني العلاقات الدائمة التي تطورت بين دول المدن الايطالية .

بعد هذه المقدمة الوجيزة يقتضينا الموقف أن نقوم بتحليل هذه العناصر الخمسة وتقدير موقف دبلوماسية

الاسلام والدول الاسلامية منها وفق ما أوردناه من تسلسل ·

أولا : العلاقة بين الدبلوماسية والقانون الدولي والسياسة الخارجية:

الدبلوماسية في نظر الفكر الغربي تنتسب الى السياسة وليس الى القانون كما أن دورها بالنسبة للسياسة الخارجية دور المنفذ لا المخطط لان السياسة الخارجية ترسمها وتأمر بتنفيذها الحكومة وهي تنطلق في ذلك من مصلحة الدولة كما يتراى لها أما الجهاز الدبلوماسي فواجبه تنفيذ هذه السياسة على أفضل أسلوب ممكن وقد يمد الحكومة بالمعلومات والملاحظات التي تساعد على اتخاذ قراراتها وقد يشير الى موقف القانون الدولي من السياسة التي تنوي الحكومة اتباعها فاذا صدر قرار الحكومة على خلاف ما أشار تحول الجهاز الدبلوماسي الى تحري ما يدعم القرار المتخذ واذا وجد أنه يخالف مبدأ قانونيا لجأ الى التكييف والتأويل والتفسير شأنه شأن المحامي الذي يريد كسب القضية بأية وسيلة ··هذه الصورة للعلاقة بين الدبلوماسية والقانون الدولي والسياسة الخارجية بالمفهوم الغربي تناقضها صورة أخرى في الاسلام ·

فالقانون الدولي الاسلامي هو فرع من فروع الشريعة الاسلامية ولا بد من التنويه بأن أول من اعتبر القانون الدولي فرعا متميزا بين فروع القانون هو الامام محمد بن الحسن الشيباني الذي سبق الاوائل من فقهاء القانون الدولي الغربيين أمثال فيتوريا وايالا وكروشيوس بثمانية قرون حيث ميز القانون الدولي الاسلامي بتسميته بالسير والمغازي في كتابه الشهير (بالسير الكبير) ويستدل من تاريخ حياة فيتوريا انه كان تلميذا للبابا سلفستر الثاني الذي تعلم العربية ودرس العلوم الاسلامية في الاندلس كما أن تحقيقات أجراها البروفيسور (ششل) عن اللغات التي كان كروشيوس يتقنها فعد اللغة العربية منها ومما يؤكد اطلاع كروشيوس على الفقه الاسلامي الدولي اذ أنه لم يذكر مصدرا أوروبيا اقتبس منه ما دونه عن قانون الحرب عند المسلمين كما فعل في المواضيع الاخرى الامر الذي يستدل منه ان اطلاعه على قانون الحرب الاسلامي كان مباشرا ان لم يكن وجود مصدر ، تعمد أن لا يذكره ·

ثم ان مهمة القانون الدولي الاسلامي هي حضارية وتنظيمية في حين ان مهمه القانون الدولي الغربي تنظيمية · فالقانون الاسلامي يستهدف اقامة مجتمع انساني واحد يؤمن بالله ولا يفرق بين الناس من ناحية اللغة والعنصر والدين واللون ويشمل تصرفات الانسان والدول أمرا أو قبولا فالدبلوماسية والقانون الدولي والسياسة الخارجية ان هي الا توزيع اختصاص ضمن وحدة العلاقات الدولية التي تستقي من منهل واحد

هو الشريعة الاسلامية وقد اخذ بعض الباحثين الغربيين على القانون الاسلامي الدولي أنه اقتصر على تحديد العلاقات بين المسلمين كوحدة وبين غير المسلمين دون ان يتناول العلاقات بين دول اسلامية متعددة والجواب على هذا المأخذ ان الاسلام في جوهره يسعى لتوحيد العالم فاذا وجدت دول اسلامية متعددة في زمن ما فان هذا يؤلف حالة مرحلية يعود تنظيم شئونها الى من يعيشونها وان الاسلام لم يلزمهم بقبول هذه الحالة كما أنه لم يمنعهم من تنظيم علاقاتهم خلالها وفق قواعد لا تخالف أحكام الدين ٠

لقد هول الباحثون الغربيون موضوع كون العلاقات الدولية في نظر الاسلام تقوم على أساس الجهاد الذي يقسم العالم الى منطقتين أولاها منطقة الاسلام أو دار الاسلام وهي في حالة حرب دائمة مع المنطقة الثانية التي تشمل غير المسلمين وتعتبر دارالحرب ولا سطع حالة الجهاد الا معاهدات مرحلية سميت بمعاهدات الموادعة أو الامان التي تقتضيها ظروف مرحلية عسكرية أو سياسية وتنتهي بانتهائها ٠٠ وأرى من المفيد بهذا الصدد أن أذكر أن الاستاذ حميد الله وهو عالم هندي مسلم درس الفقه في لاهور والازهر ثم درس القانون الدولي في جامعات فرنسا والمانيا وانجلترا ونال من جميعها درجة الدكتوراه فقد وضع مؤلفا عام ١٩٤٥ عنوانه « سيرة الدولة الاسلامية » ونوه بأن الاسلام قد طلع على العالم بنظام دولي انساني يشمل القانون الدولي والدبلوماسية ومبادىء السياسة الخارجية ومنه اقتبس الغرب نظام الدبلوماسية وفن المفاوضة وقد اهتم اساتذة الجامعات الغربية بما جاء في هذا الكتاب فحبذوا لطلابهم في نيل درجة الدكتوراه في القانون الدولي ان يكتبوا اطروحاتهم حول المواضيع التي وردت في كتاب الدكتور حميد الله فقدم الدكتور (كروزة) رسالة نال بها الدكتوراه من جامعة (كوتنجن) الالمانية وعنوانها « علم القانون الدولي في الاسلام » وجعل مصدره الرئيسي كتاب « السير الكبير » للامام الشيباني الذي امتدحه واعتبره أبا للقانون الدولي الاسلامي لا العالمي كما أكد الدكتور حميد الله ونوه بالجانب الانساني لقانون الحرب عند المسلمين ولكنه أخفق في تصور أحكام الجهاد قائلا « ان الفقه الاسلامي لا يعترف بسوى مجتمع اسلامي واحد وانه يعالج علاقات هذا المجتمع بالعالم غير المسلم الذي تقوم العلاقات معه على أساس الحرب المقدسة وتعتبر حالات السلم استثناء من هذه الحرب وان الفقهاء يعرفونها بانها مجرد ايقاف لحالة الحرب واقتبس من كتاب السير الكبير وصفا لدار الحرب « بانها دار الظلم والبطش والخلاف في العقيدة » ثم تابع بحثه في دار الحرب وقال انها أخذت تنحسر عن حدتها مع الزمن وتتحول عن طريق المعاهدات الى دار الامان التي

تعني الامن المتبادل استنادا الى احكام معاهدة ويرى كروزة أن القانون الدولي الاسلامي يصح استنباطه من نصوص هذه المعاهدات التي يشترط الفقه الاسلامي لعقدها مع دولة غير مسلمة أن يكون الدافع ضرورة عسكرية أو سياسية لذا فان القانون الدولي الاسلامي يصح أن يطلق عليه كونه قانونا مرحليا ٠٠ » وأنه ينظم العلاقات بين مجتمعين متناقضين استنادا الى معاهدات الموادعة وقد أسس الدكتور كروزه جمعية دعاها « جمعية الشيباني للقانون الدولي » كان رئيسها الخالد الذكر الدكتور عبد الحميد بدوي عضو محكمة العدل الدولية وبين أعضائها الاستاذ حميد الله وكاتب هذا البحث ٠

وفي عام ١٩٥٥ ألقى (الدكتور باتسن) رسالة دكتوراه موضوعها « العلاقات القانونية والايديولوجية بين الاسلام والغرب في مجال القانون الدولي » قدمها الى جامعة بيرن في سويسره التي قبلتها وفي هذه الرسالة يخالف الدكتور باتسن ما ذهب اليه الدكتور كروزة في موضوع المقارنة بين الفقه الدولي الاسلامي والقانون الدولي الغربي اذ يرى باتسن أن الفرق الظاهري الذي يبدو لاول وهلة وكانه فرق خطير يكون القانون الاسلامي يعتبر الجهاد ضد غير المسلمين هو الحالة الاعتيادية وان السلم ما هو الا حالة استثناية في حين ان القانون الدولي الغربي يقوم على أساس العكس لا أهمية له من الناحية العملية التطبيقية طالما كان النظامان كلاهما لا يجدان الحالتين الاعتيادية والاستثنائية في مكان وزمان متحد ٠ ويعلل باتسن وجهة نظره بأن قانون السلم في الاسلام قد أوقف مفعول الجهاد وان كان هذا الايقاف يعتبر من الوجهة النظرية بمثابة حالة استثنائية وهكذا يصبح الفرق في السند الشرعي مجرد فرق في التعاريف وليست ثمه فرق بين ان تكون حالة السلم هي الحالة الاعتيادية وحالة الحرب هي الحاله الاستثنائية وبالعكس وان التطبيق الاسلامي الذي دام قرونا متعددة قد انتهى الى مفهوم للجهاد ادى الى اشاعه التسامح خلال القرون الوسطى ثم يضيف الدكتور باتسن الى ما تقدم «ان مما لا ريب فيه أن القانون الدولي الاسلامي الحربي كان له اثر عظيم في التكييف الانساني لقواعد الحرب في اوروبا » وفي عام ١٩٥٨ وضع الدكتور « انكل » رسالة لنيل دكتوراه الاستاذيه عنوانها«العالم الغربي والعالم السرايني اي الاسلامي » وتقابل دكتوراه الاستاذية عند الالمان درجة (الاكريكاسيون) الفرعية التي تخول الحائز عليها ان يكون أساتذا مساعدا في الجامعات واهم ما ورد فيها تخريج للجهاد بانه يشمل الحرب والامان معا وان عقد الامان هو شكل من اشكال الجهاد وليس ايقافا له ثم ان تعامل المسلم مع غير المسلم يخضع عند المسلمين الى قانون في حين لم يوجد في العالم المسيحي نظير له ٠

والآن نعود الى علاقة الدبلوماسية

بالسلم والحرب بمفهومها الاستراتيجي ذي الاثر العظيم في تسيير العلاقـــات الدولية يقول « كلاوزفيتز » الذي يعتبر معلم الاستراتيجية والذي يعتبر من أهم مصادر الدراسة في الكليات والمدارس العسكرية في العالم يقول في كتابـــه الشهير « عن الحرب » المطبـــوع عام ١٨٣٠ « ان الحرب ليست سوى متابعة الاتصالات السياسية بمزجها بوسـائل أخرى واننـــا نعني بذلك أن هـــذه الاتصالات السياسية لا تنقطع بمجـرد الحرب وانما هي من حيث الجوهـــر متابعة هـــذه الاتصالات بالشكل الذي تقتضيه الوسائل التي تكفل تحقيـــق اغراضهـــا وان الخطوط الرئيسية لماجريات الحرب تبقى مرتبطة بها الى ان يتحقق الصلح ولا يمكن تصور غير ذلك » الى أن يقول « ان الحرب قواعـد ولكن ليس لها منطق خاص بهـــا اذ يبقى منطقها مرتبطا بالسياسه » وقـــد بنى كلاوزفيتز نظريه هذه على دراساته في تاريخ الحروب ٠

ومجمل القول فان حصر العمـــل الدبلوماسي بحالة السلم وحدها تصور قديم وان الحرب العالميه الثانيه قـــد غيرت هذا المفهوم وصـــدرت مؤلفات عديده منها كتاب « كوردون كريـــت » « الحرب والسياسة والدبلوماسيـــه » وكتاب « باول سبيوري » الاستاذ في جامعة كاليفورنيا « القوة والحريـــه والدبلوماسية » ومذكرات الدبلوماسي الامريكي « مارفي »وعنوانها «دبلوماسي في الحرب » وغيرها ولكي لا نطيـــل الكلام نقـــول ان الدبلوماسيه التي مارستها الدول الاسلامية تجمع بيـــن دبلوماسيتي السلم والحـــرب وسنقدم الامثلة على ذلك فيما يلي :

٣ ـ اداب عمل وتعامل مهذب :

سنستعـــرض الصور الرائعـــة لدبلوماسية الاسلام والدول الاسلاميـــه في هذا الصدد ٠

٤ ـ اقتصار الدبلوماســـية على الحكومات وحدها وتعتبر الدبلوماسيـة التقليديه متخلفه في هذا الباب عن الواقع الدولي بعد نشوء منظمات وهيـــات وحركات تحرير وشخصيات يجـــدر بالدبلوماسية ان تفاوضها وسنستعرض كيف ان الدبلوماسية الاسلاميه قـــد منحتها صفة المفاوض ٠

٥ ـ الدبلوماسيـــة الدائمه وعدم وجودها في الدبلوماسية الاسلاميـــه لقد اثار هذه النقطة الدكتـــور كروزة بقوله ان العلاقات الدولية الاسلاميه لم تعرف الدبلوماسية الدائمة وقـــد رد عليه الدكتور انكل بأن الدبلوماســـيه الدائمة التي نشات لاول وهلة في المدن الايطاليـة مدينة بوجودها للـــدول الاسلامية التي سمحت لكل من جنوى والبندقية بقبول ممثلين دائمين عنهمـا لدى الدول الاسلامية فكان ذلك بدايـة للدول الايطالية لايفاد مبعوثيـــن دائمين الى البلاد الاخرى ٠

وفقدنا علماً من أعلام الإسلام

فقد العالم الاسلامي علما من أعلامه الخافقة وذروة من ذراه الشامخة فضيلة المرحوم الامام الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر ، امتاز على أمثاله في دنيا الناس هذه باستحضار الآخرة في كل تصرفاته ومسئولياته فعاش دنياه مستعدا عاملا لاخراه ، وامتاز أيضا بالتطبيق الكامل لشرع الله فلم يرض رحمه الله وأسكنه فسيح جناته بأن يكون العلم الاسلامي كلاما يحفظ ويردد ولا بأن يكون التصوف الاسلامي سلوكا تلوكه الالسن ومواعظ تقف عند الآذان بل حول كل ذلك الى واقع ملموس وفكر مدروس ·

ان الفكر الاسلامي يشهد لفقيدنا الكريم بصفحات الضيـــاء مشرقة بنور السماء مجلاة بخير العطاء محلاة بصدق القصد واخلاص النية وكأنه بكلماته الوضاءة كان يرسم طريق السلام والسلامة للبشرية ·

تخلى طيب الله ثراه وأجزل مثوبته ، عن كل ما يذم به الناس ، فلا حقـــد يملأ قلبه ولا كبر يثقل ذنبه ولا احن ولا خصومة وكأنـــه رحمة كان يمشي في طريق معلومـــة ·

عاش رحمه الله حياة طويلة جليلة متعلما ثم معلما يشهد له تلاميذه بسعة العلم ووفرة الحلم والتواضع الجم ، ثم ولي المناصب العليا في الازهر الشريف، فازداد تواضعه وانتشر فضله وسمقت في أعين الدنيا فضائله جعل همـــه كله القيام على ثغرات الاسلام يدفع عنها بنحره ويدافع ما تكره بلسانه وبيانـه وجاهه وصولجانه فدافع جهل المسلمين بعلمه ودافع عيوبهم باخلاصه ودافـع عن الاقليات الاسلامية في كل مكان بما أوتي من جهد وسلطان ·

ومجلة منار الاسلام اذ تذكر بالفخر فضائله وأفضاله ومآثره وأمجـــاده ترجو للفقيد الكريم واسع الرحمة ووافر المغفرة وتقدم لآل الفقيد خالص العزاء وللمسلمين الامل والرجاء في أن يقيض الله لمنصب شيخ الازهـــر خير من في المسلمين علما وفضلا وخلقا حتى تستمر المسيرة على الدرب وحتى يصـــل المسلمون ساعين الى عز كريم ونصر عزيز · والله يتولى المخلصين ·

مدينة كانت عواصم متفرقة . وجمعها الاسلام وعمران اهله ودالت دول عصورها القديمة . فاحياها الاسلام وبه استمرت قلعة من قلاع العلم والمعرفة ، بدات صغيرة في بقعة من ارض النيـــل العظيم هبة الله . وظلت تتسع مع تعدد دول الاسلام التي تعاقبت على ارض الكنانـــة .

واختارت منار الاسلام ان تستطلع بين عمق الماضي واصالته وضخامة الحاضر والامل لله والاسلام فيه . مدينة المآذن الالف .. عاصمة العواصم الاسلامية في مصر العربيـة .

نـــور الاسلام في مصـــر :

لم تكن بداية المدينة عندما قدم عمرو ابن العاص على رأس جيش مسلم ، حاملا لواءا وعقيدة ، لواء أمير مسلم على رأس جيش هاد لدين الاسلام ، وعقيدة خالصة تدعو الى التوحيد ، ويجاهدالجيش لنشرها، بازاحة كابوس الرومـــان عن أرض الله ذات الخير الوفـير .

وانما كانت هناك يومئذ عاصمتـــان « أون » عين شمس عاصمة قديمة احنى عليها الدهر ومنف عاصمة اخرى مازالت ترزح تحت وطأة احتلال الحامية الرومانية في حصن بابليون ، وعند عين شمس، كانت احدى المناوشات التي تعرض لها جيش عمرو الفاتح ، وعند منف انتهت المرحلة الاولى للفتح الاسلامي لمصر .

وبين العاصمتين ــ الشمالية ــ عـين شمس ــ والجنوبية ــ منف ، هناك فضـاء شاسع يمتد اكثر من اربعين كيلومترا ، تتخلله قرى ام دنين والريدانية وغيرهما . حيث توقف جيش عمرو بن العاص قليلا لينهي مقاومة الحاميات الرومانية عندها .

وبالقرب من منف ، وعند اقدام حصن بابليون او قصر الشمع . كان النيـل في ذروة فيضانه يحيط بالحصن . فلم ينال عمرو بن العاص ، ونصب فسطاطه وحوله

عاصمة العواصم

دراسة وتصوير
دكتور عبد المجيد وافي
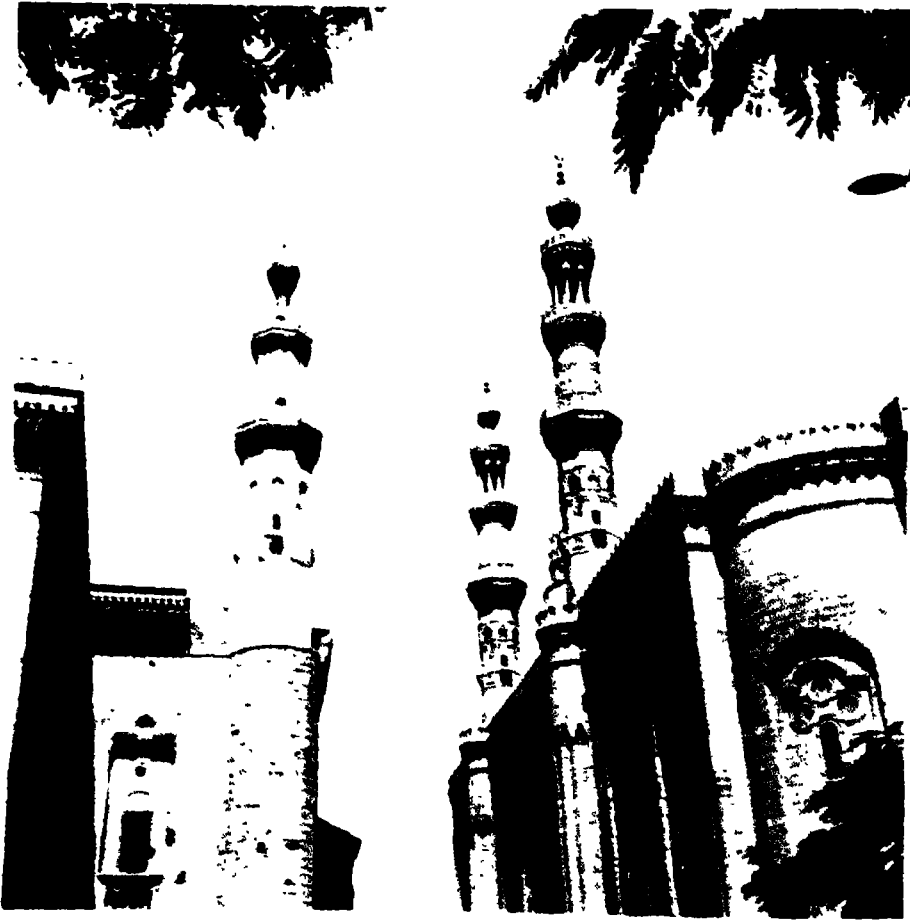
استقر الجند وقد احكموا حصارهم ، وعمرو أول محارب عربي مسلم مارس حروب الحصار ·

وتحرك عمرو بجزء من الجيش ـ تاركا فسطاطه ـ ليشغله بالجهاد ، حتى ينحسر ماء الفيضان، وقاد بنفسه فتح الاسكندرية ـ عاصمة الاحتلال الروماني في مصر ·

هكذا كانت الارض التي اصبحت قاهرة القرن العشرين . فضاء تتخلله القرى بين عاصمتين تاريخيتين « أون » و « منف » حتى اتم عمرو فتح مصر في ربيع الثاني سنة ٢٠ هـ ابريل ٦٤١ م ·

فسطاط عمرو بن العاص :

الفسطاط كلمة عربية معناها بيت البدو المصنوع من الشعر . وهكذا كانت خيام الجند في جيش المسلمين ، والفسطاط المقصود هنا خيمة عمرو بن العاص ، الذي كان واسعا ليتسع لاركان الجيش ومشاوري القائد ، وحوله توزعت خيام الجند والقواد وامام الفسطاط خطط عمرو بن العاص مسجد الجيش ·

فلما أفاء الله عليه بفتح مصر شرع عمرو في بناء المسجد ٢١هـ ـ ٦٤٢م وكان يومئذ يسمى مسجد الفتح ، ومسجد النصر ، فلما عمره الولاة وزادوا فيه سمى تاج المساجد ، فعل ذلك عمرو اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دخل المدينة فكان اول عمل فعله هو تأسيس المسجد ·

بنى المسجد يومئذ بالطوب اللبن · وسقف الجريد وجعلت عمده من جذوع النخل طوله خمسون ذراعا ـ قريب من ٢٥ مترا ـ وعرضه ثلاثون زراعا ـ قريب من ١٥ مترا ، مقدم المسجد ـ رواق الصلاة ـ مسقوف ، ومؤخره صحن مكشوف محدود المساحة ، مواد بنائه هي نفس مواد بناء المسجد النبوى الاول ، وهو يومئذ أول مسجد بنى للاسلام في افريقية ·

وحول المسجد ، تقاسمت قبائل جيش المسلمين الاخطاط ، فكان منها خطة مهرة وحطة رعين ، وبنى غافق ، وبنى وائل وبنى سبأ ، ثم تسابق الناس بعدئذ على بناء الدور والمساجد ·

وأمام المسجد ، ومكان الفسطاط اقام عمرو دارا له ، شمالي المسجد وبينهما كان طريق بعرض سبعة أذرع ، ثم اصبحت دار عمرو دارا للامارة سنوات بعد عمرو ·

بين مسجد عمرو والمسجد النبوى:

كان المسجد النبوى الاول يتكون من بناء مربع او قريب من مربع يحوى سقيفتين بينهما ساحة مكشوفة ، والعامل في وجود السقيفتين كان تحويل القبلة حيث كان مقدم المسجد المسقوف يتجه الى بيت المقدس ، فلما حولت القبلة الى الكعبة المشرفة ، سقف مؤخر المسجد وصار هو المقدم ، واصبحت السقيفة الشمالية، سكن اهل الصفة ، ومستودع الصدقات . بينما

أسس مسجد عمرو وله سقيفة واحـــدة متجهة الى الكعبـــة ٠

هــل الفسطاط كلمة بيزنطيـــة :

كانما المسلمون قوم اصحاب انتحــــال واقتباس ، لااصالة لهم في راى او صنـــع ، هكذا يريدنا بعض المستشرقين ان نصدق ونقتنع ، فيقولون ان بقايا حصن بيزنطى كان بين خيام عمرو وجنده ، واسم ذلك الحصن «بساطوم او فساطوم»

ومن موقعه أخذت العاصمة الاسلاميـــة العتيقة اسمها بعد ان حرفه المسلمون الى فسطاط والحقيقة ان الحصن كان موجودا ولكن اسمه بابليون او وقد الشمع ٠

وكأنما يريد لنا هؤلاء المستشرقـــون المستعرقون ان ننسى ان في لغتنا العربية اسما لبيوت الشعر او الوبر ــ الخيام ــ من قديم قبل قدوم جند المسلمين الى مصر ، ومهما يكن من أمر التسمية ، فان المدينة المستحدثة ، لم يتصل مظهر عمرانها بما كان للمصريين من اساليب وطرز قبل عمارة الفسطاط ، وانما اخذت في السمو على هدى المبادىء الاجتماعية في الاســلام ٠

فقد أرسل عمرو الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، يسأله رأيه في ارتفاع البناء لاكثر من طابق ــ وكان هذا مــن أساليب العمارة لبنائي مصر ــ فاجابـــه برجوع البريد ــ أعلى ــ اى اصعــــد ــ البناء ، فان كشف حرمات الجار فامنعه ، والا فلا باس من العلو بالبناء ، وهكـــذا بدأت اخلاقيات جديدة ، أملت مبادئهـــا على البنائين والصناع ٠

ولم يمض زمن طويل حتى صــــارت الفسطاط » غاية في العمارة ونهاية الحسن ، بها الآدر الانيقه والمساجد القائمـــــة ، والحمامات الباهية ، والقياسر الزاهية ــ جمع قيسارية ــ وهي الاسواق المتخصصة في بضائع معينة ، والمستنزهات الرائعة » وان الناس وصلوا اليها من سائر الاقطار ، وقصدوها من جميع الجهـات ، فغـــص الفسطاط بسكانه وضاق فضاؤه الرحيب عن قطانـــــه ٠

وكان يقابل الفسطاط في النيـــل ، جزيرة عرفت باسم جزيرة الصناعة » اى صناعة العمائر » ، وفيها كان يحرق الطوب للبناء ، وهي جزيرة الروضة المعروفـة الآن ٠

العسكر بعد الفسطاط :

وبعد مائة عام وقريب من اثنى عشر عاما ، دالت دولة بنى أمية وقامت دولة بني العباس ١٣٢هـ ٧٤٩م وقدم واليهم صالح بن علي الى مصر ، فبدا يعمر في الفسطاط وتاج المساجد ، ولكن خلفــه ابو عون ١١٤هـ ــ ٧٥١م ، لم يشـــأ ان يقيم في الفسطاط ، وانما وقع اختياره على رحبة من الفضاء شمالي الفسطاط بشرق تحت سفح المقطم ، وهناك اختط خططا لسكن الجند ، فعرفت بالنسبــــــة للفسطاط باسم العسكر ثم اختص نفسه بدار بين الخطط لم تلبث ان صارت من بعده دارا للولاة ٠

ولم يمض طويل وقت حتى خالط عمران العسكر امتداد الفسطاط وصارت » مدينة ذات اسواق ودور عظيمة ومساجد ، واصبح المسجد العتيق » ، » جامع عمرو » متطرفا عن دار الامارة ، فأنشأ الفضل بن صالح بن علي سنة ١٦٩هـ ٧٨٥م مسجدا جامعا بالعسكر عدا مساجد الاحياء والاخطاط والدور الانيقة ذات الرواء ، كدار حاتم بن هرثمة ١٩٤هـ ــ ٨١٠م والتي اشتهرت باسم » قبة الهواء » ٠
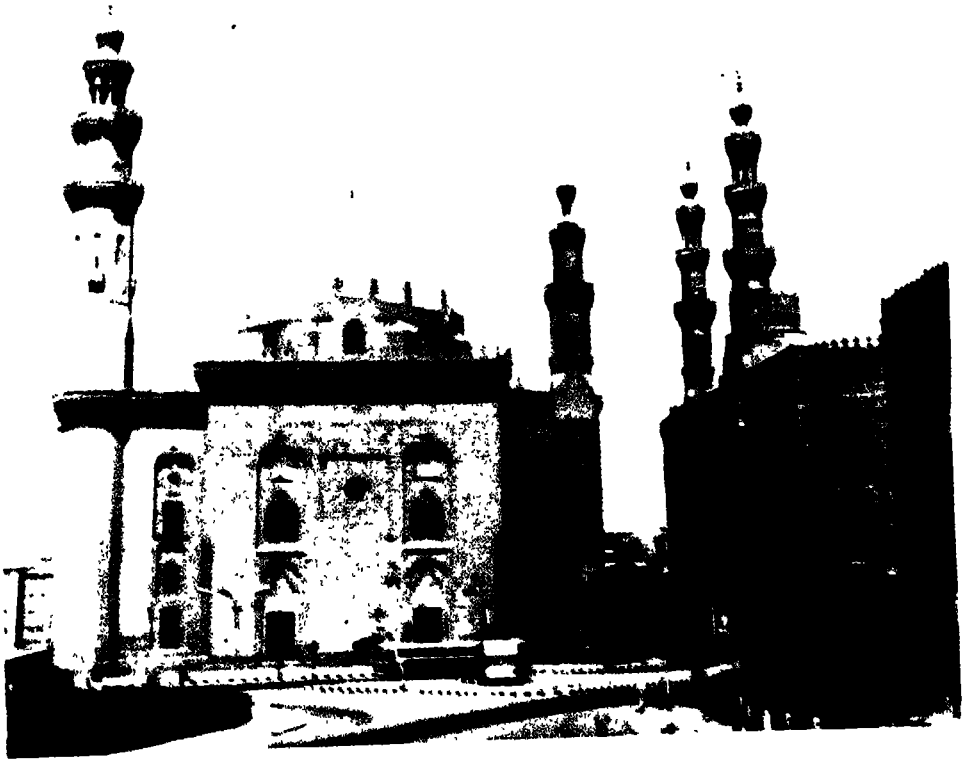
مساجد كالقلاع وفي واجهة قبة السلطان حسـن على يسار الصورة ثقوب قنابل نابليون لم تؤثر الا في سطح الحجر .

وهكذا شارف القرن الثاني للهجرة على نهايته وقدامتد العمران بالعاصمةالمزدوجة شمالا بشرق بامتداد اربعة أميـال .

احمد بن طولـون والقطائـع :

والمدن كالناس ، اقدارها في صعـود وأفول ، علو وازدهار ، ثم انحناء وانطواء حيث اردهرت المدينة المزدوجة ، وتفاخر ولاتها في بناء الدور الفخيمة والمساجد ، وتنافس الناس تنافس ولاتهم بما تمكنهم منه اموالهم وارزاقهم حتى ولي مصر احمد ابن طولون ٢٥٤ هـ ـ ٨٦٨ م .

كان احمد ابنا لقائد الحرس الحلافي في بغداد ، تربى في البلاط الخليفـي ، وتولى كأبيه قيادة الجند للخليفة المعتز بالله ثم المعتمد على الله ، وارسل الى مصر نائبا عن القائد التركي « باكباك » ثـم عين واليا ، وقد ازدهته ابهة الملـك ، واعتزم منافسة بغداد في البهاء والرواء ، وكان قد مل العسكر وبدأ يفكر في مدينة تنسب الى اسمه، وبها يتميز عصره وحكمه،

ولم يشغله امر بغداد طالما تصل الهدايا والخراج ، تباعا بما يسكت ويغض البصر . وتخطت انظاره عمران العسكر الى سفح جبل يشكر ، حيث رحبة واسعة بينه وبين المقطم ، شمال شرقي العاصمة المزدوجة . وهناك وضع اساس قصر عظيم يحيط به ميدان واسع فعرف بقصر الميدان .

واقطع اتباعه وجنده القطائع ، واختطوا عمران المدينة الجديدة . فكانت هناك قطيعة السودان ، وقطيعة الروم ، وقطيعة الفراشين ، فعرفت المدينة الجديدة بالقطائع .

مسجد احمد بن طولون :

وابتنى احمد بن طولون مسجده الجامع ،

مسجد محمد علي بالقلعة مسجد غني بالرقة والدقة والفخامة ويستحق دراسة مستقلة .

وهو القطعة الحية الباقية الى الآن من قطائع ابن طولون بل يكاد يجمع المؤرخون والاثريون على ان صورته ما تزال باقية رغم ما تعرض له منَ عواد ، وتداول الخراب فيه والعمران على مدى اكثر من الف عام ومئة ٠

ولقد ابتني احمد بن طولون مسجده الجامع بنفس تخطيطه ونظامه الموجود الآن ، محتفظا بمعظم عناصره المعمارية والزخرفية ، حيث يمكن ان نستدل منها على حاله الاول وتخطيطه وهيئته الكامله يوم تم بناؤه ، لم يزد فيه وال من بعد احمد ولا توسع فيه من اعاد ترميمه من بعده ٠

بدأ البناء فيه سنة تسع وخمسين ومائتين ، كما يروى ابن دقماق في « كتاب الانتصار » وانتهى بناؤه كما هو مسجل في لوحته التأسيسية :

« أمر الامير ابو العباس احمد بن طولون ٠٠٠ ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاءالله عليه وطيبه، لجماعة المسلمين ، ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة في شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين » (مايو سنة ٨٧٩)٠

أما ان المسجد على غير مثال فذاك يظهر من عمارته التي لم يرفع سقفه فيها اسطوان من رخام ، فسقفه محمل على عقود عظيمة الهامات تحملها اكتاف ضخمة بنيت بالآجر وجصصت بالجص وجعلت زوايا الاكتاف على شكل عمدان لا صقة بالاكتاف ، وتميز باطن العقود بزخارف نباتية وهندسية هي شبيه بزخارف « سر من رأى » المحفورة في الجص بلا تلوين او اصباغ ٠

المنارة الفريدة :

اما منارته فما تزال بشكلها المتفرد الذي لم تشبهه مئذنة في مصر او العالم الاسلامي ، اللهم الا منارة « سر من رأى » او « سامرا » المشهورة باسم الملوية حيث جعل درج الصعود الى اعلاها من خارجها ٠

ورغم ترميمات المستنصر بالله الفاطمى ٤٧٠هـ ــ ١٠٧٧م للمسجد بعد هجرانه وتخريبه بعد اناخطلت القاهرة الفاطمية، وترميمات الامير لاجين المنصورى التي قام بتنفيذها والاشراف عليها : علاء سنجر الدوادار سنة ٦٩٦هـ ــ ١٢٩٦م ٠

فان روح العمارة الاصلية لم يصبه كثير تغيير اللهم الا في عمارة المنارة حيث زيد الرأس المبخرى ــ طابع المدن في نهاية العصر الايوبي وبداية عصر المماليك ــ واستبدال الحجر المنجور بالاجر في البناء ٠

نازر ونكاتف البنيان :

وارتفعت على جدران المسجد شرفات من الآجر فريدة التعبير ، كانما تمثل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . « مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم كمثل البنيان الواحد ٠٠ الخ الحديث » حيث اشبهت الشرفات اشكالا مجردة تشابكت كتشابك الاكتاف ولا تشبه الانسان ولكن توحى بتعاضد البنيان ، وانكتف الجص عن كثير منها واكد التعبير الرائع على طول ما عمر المسجد من زمان ٠

عود الى المسجد العتيق :

معذرة أيها القارىء ان تخطينا تاج الجوامع « جامع عمرو » وكدنا ان نطيل الوقوف عند جامع بن طولون بعد تخطينا لجامع العسكر ايضا . ولعل العذر في تخطينا ، هو اندثار اثار مسجد العسكر تماما ، بينما لم يبق من عمارة جامع عمرو الاولى شيء الا البقعة التي أقيم عليها حيث الحقت به الزيادات على تعاقب عصور الولاة ، حتى لم يكد يبقى من

« كالبنيان يشد بعضه بعضا » شرفات مسجد
احمد بن طولون وخلفها منارة صرغتمش "

عمرانه الاول شيء (١) ، الا ان جامع عمرو صار ذكرى اول بناء للاسلام يبنى في افريقية ، واخر معالم الفسطاط بعد حريقها المشهور ٥٦٤هـ ١١٦٨م في اواخر ايام الدولة الفاطمية ·

عوادى الايام والدهـــر :

وببناء القطائع بدأ الناس ينصرفـون عن الفسطاط والعسكر وان ظلتا تحتفظان باهميتهما التجارية والعمرانية ·

حيث يذكر « ناصر وخسرو » الرحالة الفارسي عن زيارته للفسطاط والعسكـر ٤٣٩هـ ١٠٤٧م انه كان بالفسطاط سبعـة مساجد عدا المسجد العتيق وهو أجلهـا ، وانها كانت عامرة بالناس والبضائـــع والاسواق عظيمة المباني ، زاهرة الصناعة، زاهية المظاهر ··
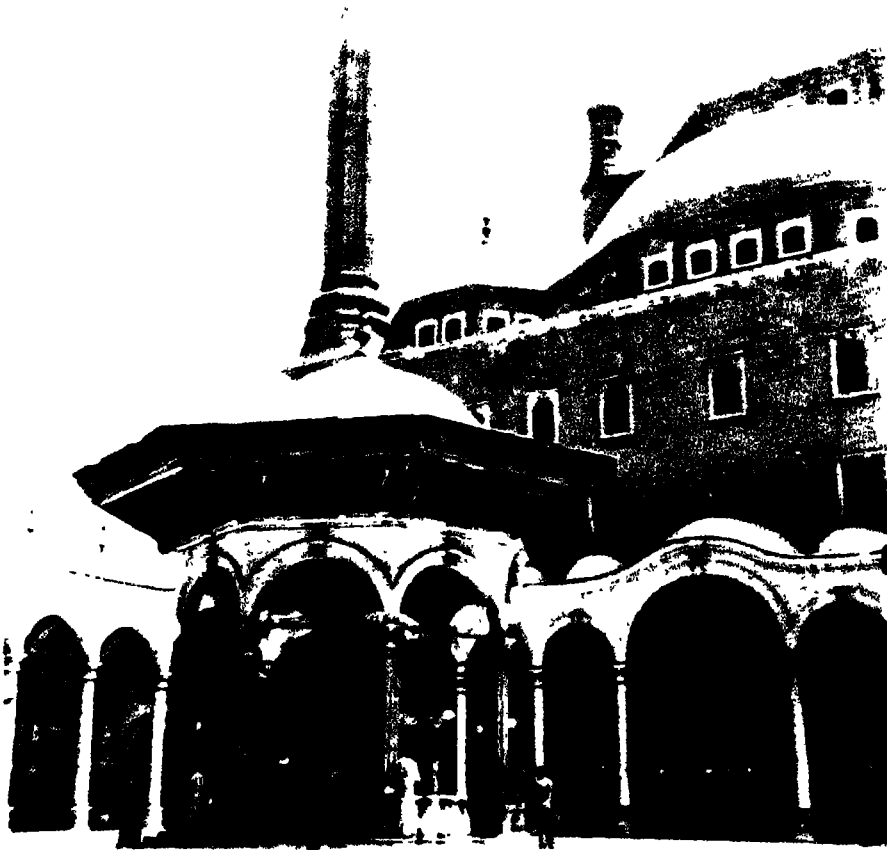
ساحة الوضوء بين أروقة المسجد كلها من الالبستر المصـــري ·

كارثة عاصمة عمرو بن العاص :

كان دخول الصليبيين والفرنجة الى مصر سنة ٥٦٤هـ ١١٦٨م الذي واكبه قـــدوم صلاح الدين الايوبي وجيوش نور الدين محمود بقيادة اسد الدين شيركوه ، سببا في تصرف الوزير الفاطمي شاور السعدى وزير اخر الفاطميين الذي طلب حمايـة الفرنجة وخاف غدرهم . وافزعه وصول صلاح الدين فأمر بعشرين الف قارورة نفط وعشرة الاف مشعل نار فرق دلـك فيها فارتفعت السنة اللهب في مشهد رهيب « فصار منظرا مهولا واستمرت النيران تاتى على مساكن الفسطاط من اليـــوم التاسع والعشرين من صفر ٥٦٤ الى تمام اربعة وخمسين يوما » .

وهكذا افل نجم طالما أزهر ، وكوكب

منارتا مسجد المؤيد شيخ فوق ابراج بـــاب زويلة .
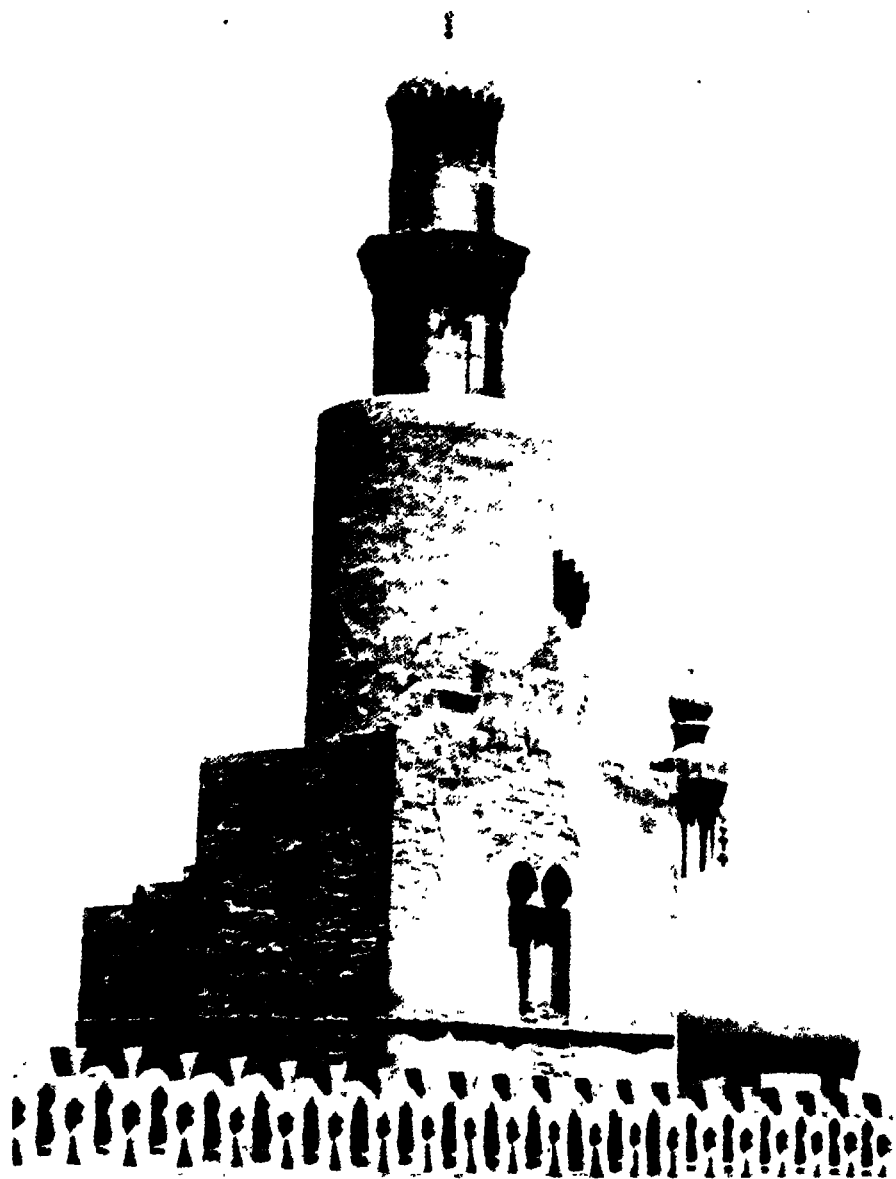
رؤية كاملة للمنارة الطولونية وشرفات المسجد
الفريدة المتكاتفة .
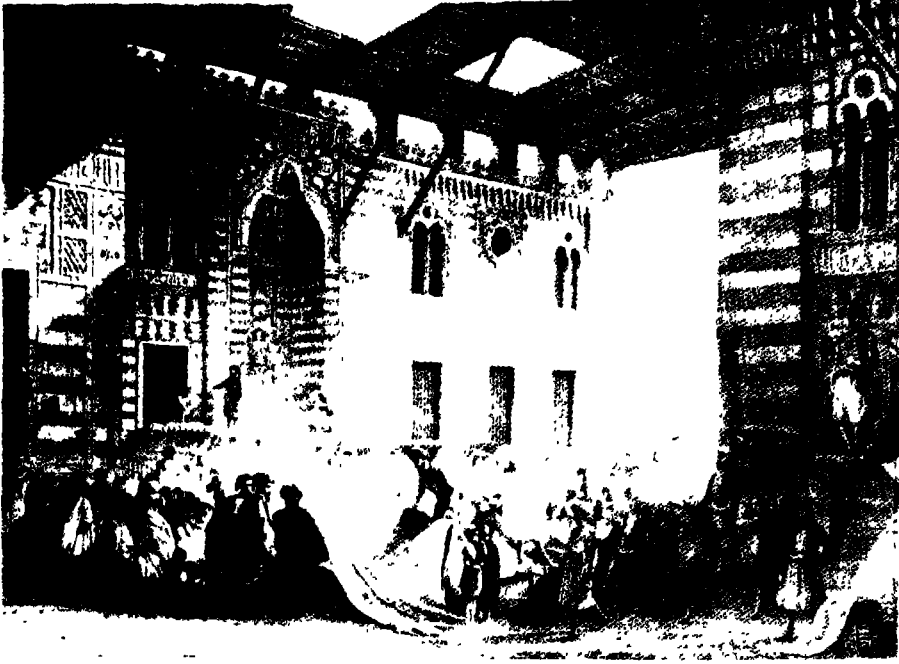
سوق قصبة رضوان المسقوف قبل مائتي عام نقلا عن بريز دافين .

ساطع ، ودرة العواصم الثلاثة الاولى .

خرائب الفسطاط :

وقد كشفت الحفائر التي اجريت في مطلع هذا القرن ، عن نظام للدور بديع سخلله الحدائق والنوافير والحمامات البديعة ، ونظام لتوزيع المياه والصرف دقيق عجيب . بينما كانت الأبهاء والمجالس نحفها الزخارف والنقوش الجصيةوافاريز الاخشاب المحفورة من عناصر نباتية وهندسية .

هذا عدا ما كشفته الحفائر من روائع الاواني الخزفية البديعةالصناعة والتلوين، وفاخر الزجاج والاقمشة والمعادن ، مما يؤيد اوصاف المؤرخين عن تقدم الصناعات وامتداد العمران بالعاصمة العتيقة .

قاهرة المعز قاهرة العواصم :

انها البدر الذي طلع في الافق ليطغى بنوره على درر الكواكب ، ورابعة العواصم التي توسطت ما بين منف واون عاصمتى ما قبل انهيار الحضارة الفرعونية ، وواسطة العقد في العمران الوسيط والمعاصر ، وقلب العالم الاسلامي النابض، اريد لها انتكون عاصمة للدعوة الفاطمية، وشاء الله ان تكون دار الاسلام في وقت تدافعت قوى الصليبيين لتقضى على عواصم المسلمين .

وكان ذلك التاريخ في شعبان من عام ٣٥٨هـ يوليو ٩٦٩م عندما نزل شمالي القطائع - بعد ان عبر النيل جيش مغربي قادم من المهدية عاصمة الفاطميين في تونس ، بقيادة جوهر الصقلي . وكأنما كانت مصر في نهاية العهد الاخشيدى ارضا

محراب السلطان حسن والمنبر الرخاميان وفوقهما طراز الكتابة المورق ٠

مفتوحة تنتظر الفاتح فكان هو جوهر وجيشه ، ولم يضيع جوهر وقته فبدأ يعمل على تنفيذ وصية سيده المعز لدين الله الذي أمره بتاسيس مدينة تكون مقر الخلافة ، وكان يعلم حق العلم المواصفات التي ترضى سيده من حيث الموقع والتخطيط ٠

حيث وقع اختياره على منطقة فضاء في احصان المقطم جنوبي منطقة المناخ حيث عسكر جنده ، اما مخططه فكان انشاء مدينة ملكية على مساحة من الارض تكاد تكون مربعة وتبلغ اربعمائة فدان ، يحيطها سور عال حصين وتحتوى على قصر الخلافة ومساكن الجند والحاشية الخاصة من القبائل الوافدة مع الخليفة ٠

القاهرة والقاهر :

القاهر اسم كوكب المريخ عند فلكيى
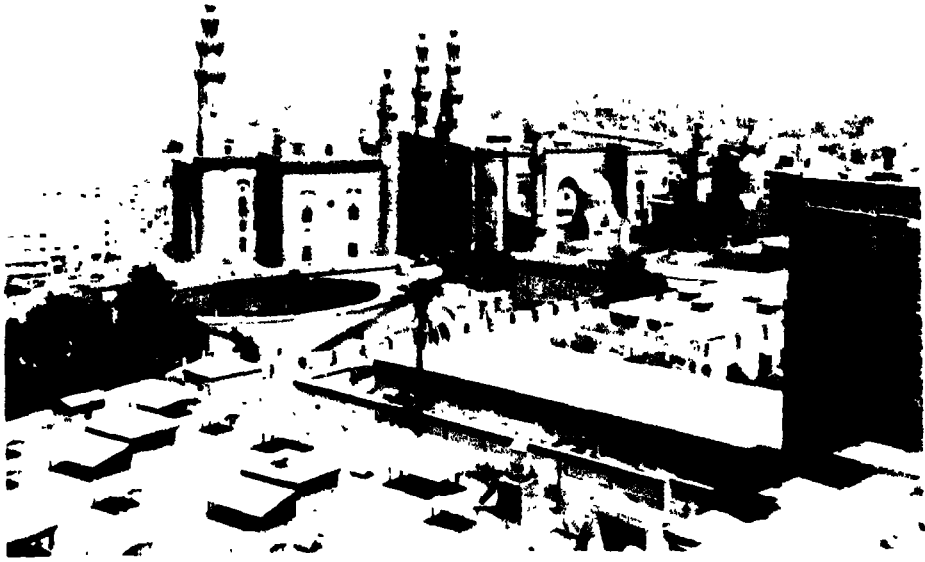
منظر عام لساحة الرميلة من فوق القلعة وحولها مساجد السلطان حسـن والرفاعي وقاني باي الرماح والمحمودية .

العرب والمسلمين ، وصادف ظهوره وضع الاساسات في ابراج اسوار القاهرة ، وليس كما تروى كتب التاريخ قصصا اسطوريا عن حشود المنجمين ، لرصد طالع السعد لوضع الاساس في بناء المدينة، ولعل قصة الغراب الذي حط على حبال اجراس التنبيه لبدء البناء عندما يعطى العرافون الاشارة بالبدء ، انما تدل على سذاجة الراوى وسذاجة من يصدقه ، بل ربما قصد بها الى السخرية ممن يصدقون مثل هذه الاساطير . وارتفعت اسوار « المنصورية » او « المحروسة » هكذا كان اسمها فلما قدم المعز الى عاصمته اسماها « القاهرة » .

ولم يمض عام حتى اذن العمل على تمامه فعلت الاسوار وابتنيت القصور ومع

السنة الاسلامية الثابتة لم يكمل للعمل معناه الابتمام بناء الجامع الازهر ٣٦١هـ ـ ٩٧٢م .

ونزلت قبائل الفتح حيث انزلها جوهر من أخطاط المدينة الملكية ، حول القصر الشرقي الكبير . وفي عام ٣٦٢هـ ـ ٩٧٣م قدم المعز لدين الله ، وفي ركابه جميع اهله وخاصته ، حتى رفات اجداده حمله معه ، لينقل ثقل ملكه من منتصف الشاطىء الافريقي على البحر المتوسط ، الى هـذا الركن من الارض المصرية حيث الموقع الممتاز لملتقى القوافل التجارية بين البلاد الاسلامية .

ازدهار عاصمة وكسوف ثلاثـة :

وتألق طالع القاهرة وتقهقر حـال الفسطاط والعسكر والقطائع ، ولم يكن دلك هدف المعز وتابعه جوهر . فما كان يقصد من بناء المدينة ذات الاسوار ، ان تسحب العمران والحيوية من الفسطـاط وشقيقتيها . وانما هذا حال الناس يلتفون حول الجديد لعلهـم بشيء من فضلـه يسعدون ، فسرعان ما شاد الناس حـول اسوار القاهرة وقريبا من ساحتها دورا لهم، وكان هذا بداية الالتحام بين الشقيقات العتيقات ، ورصيفتهم الجديدة .

وبعد ثمانين عاما من بـدء انشـاء القاهرة . زار الرحالة الفارسي « ناصر خسرو » سنة ٤٤٠هـ ١٠٤٨م ويترك لنا هذا الوصف الدقيـق البهي في كتابـه « سفرنامه » .

يقول : « بيوت القاهرة من النظافـة والبهاء ، بحيث تقول انها بنيت مـن الجواهر الثمنية لا من الجص والآجـر والحجارة ، وهي بعيدة عن بعضها ، فـلا تنمو اشجار بيت على سور بيت آخر .. ومعظم العمارات تتألف من خمس أوست طبقات .. وبها مالا يقل عن عشرين الف دكان .. وكانت الاربطـة والحمامـات والابنية الاخرى كثيرة لا يحدها الحصر وكلها ملك للخليفة ، اذ ليس لاحـد ان يملك عقارا او بيتا الا المنازل ، وما يكون الفرد قد بناه لنفسه » .

« وكانت بها البساتين والاشجار بـين القصور تسقى من الآبار ، وبساتين قصر الخلافة لا نظير لها نصبت السواقي لريها، وغرست الاشجار فوق الاسطح فصـارت متنزهات » (٢) .

شارع المعز لدين الله :

اذا انطلق زائر القاهرة المعاصرة من حيث يقع الجامع الطولوني جنوب القاهرة، متجها شرقا مائتى خطوة تحف به المساجد والمدارس المملوكية على الجانبين ، ليتقاطع به المسير مع بداية اطول طريق مرصوف منذ اكثر من الف عام ، حيث يترك طريقه الصاعد الى ميدان الرماحة « هكذا كان يسمى » واسمه الآن ميدان القلعـة او المنشية او الرميلة ، وينحرف يسـارا في شارع السيوفية ليستمر سائرا بين آثـار ايوبية ومملوكية وتركية تجل عن الوصف او الحصر تنادى من يحب تاريخه ليأخذ بيدها بالترميم قبل ان تنهار وما يلبث ان يقاطعه طريق حديث « شارع محمد علي » شقه الخديو اسماعيل في نهاية القـرن التاسع عشر ، ويستمر السائر متجها الى « باب زويلة » احد ابواب القاهـرة الفاطمية ، لايبلغه الا بعد ان يعبر طريق المغربلين ، ثم قصبة رضوان او «الخيامية» التي ماتزال تحتفظ بسقفها الخشبي الذي يرتفع مظللا الطريق ، وعلى جانبيه الدور العتيقه ذات المشربيات الخشبية الدقيقـة الصناعة ، ثم ما يلبث ان يصل الى أثر فاطمي ما زال واضح السمات بعـد ان تناولته ادارة الاثار العربية بالترميم منذ نصف قرن مع ما اسدت من أيادى بيضاء

الى الآثار الاسلامية في مصر

جامع الصالح طلائــع وبــاب زويلـــة :

ذلك الاثر الجليل هو جامع الصالــح طلائع بن رزيك ، وزير الفائز بنصر الله الفاطمي « بناه بين عامي ٥٤٩هـ ١١٥٤م، ٥٥٥هـ ، ١١٦٠م بناه معلقا ، حيث بنيت تحته حوانيت تغل بسكناها نفقة المسجد وقد حفل ذلك الجامع بدقيق الصناعـة والحفر على الاخشاب والحجارة في داخله وخارجه ، كتبت على جدرانه آيات القرآن بخط كوفي فاطمي بديع الطراز، من داخله وخارجه ، ويحف المدخل حجاب خشبي اعيد تجديده على نظام الخشب المخروط وطبقا لاصله في صنعة رائعة كاد ان يندثر صناعها الآن .

يقع المسجد على يمــين المتجه الى باب زويلة ، الذي اشتهر بين العامة ببـــاب متولى ، والباب بناء قلاعي مرتفع الجدران
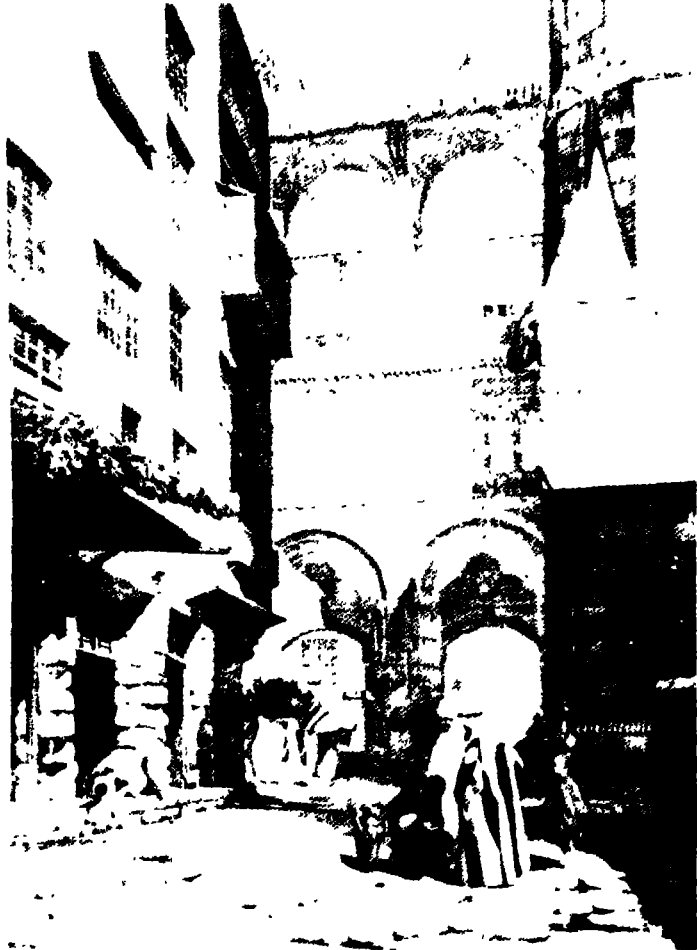
باب الازهر كما كان يبدو منذ مائتي عام ، نقلا عن بريز دالفين ويلاحظ خطا الرسام حيث جعل المصلى مستدبر القبلة .

مدخل شارع المعز لدين الله من داخل باب زويلة وبيوته ذات المشرفيات الدقيقة ·

الى ما يقرب من خمسة وعشرين مترا، وهو مكون من برجين بارزين عن مستوى سور المدينة بشكل نصف دائري يكتنفان بابا يرتفع عقده اكثر من اثني عشر مترا هو واحد من ثمانية ابواب كبيرة كانت في اسوار القاهرة ·

وهذا الباب يتقدم قريبا من مائة متر عن موقع الباب القديم الذي كان مبنيـا بالآجر على عهد جوهر الصقلي اما الباب الحجري فهو من عمارة بدر الجمالي ايام المستنصر بالله ، وبدأ بناء السور الجديد والابواب ٤٨٠هـ ١٠٨٧م وباب زويلة من آخر هذه الابواب بناء حتى تـــم ٤٨٥هـ ١٠٩٢م ·

عمارة القــلاع الفريدة :

ويعتبر باب زويلة ، كشقيقيه ، باب النصر والفتوح من روائع العمائر الحربية الدفاعية بنيت على طراز فريد من حجارة اشتهرت باسم « العجالي » نسبة الى العجول التي كانت تجرها على بكر خشبي كبير ،

صفت صفوفا منتظمة تبلغ حتى القمة حوالي اربعين صفا « مدماكا » طول الحجر بين متر ومتر ونصف وعرضه بين ٤٠، ٦٠ سنتيمترا ، وقد استحدثت في تماسك البنيان عمد حجرية أفقية تخترق الحجارة لزيادة التماسك وتزيد من بهاء التوزيع الحجري ·

ويبلغ عمق ممر البوابة عشرون مترا تعلوه قبة عقدت على مقرنصات ثلاثية ، وخلف فتحة الباب مباشرة وقبل استدارة القبة ، فتحة بأعلى العقد مربعة كانت تستعمل لالقاء الزيت المغلي والرصاص المصهور على الغزاة في حالة تغلبهم على الباب الخشبي الضخم وكسره ، وما كان

ابراج باب زويلة وفوق ابدانها منارتا المؤيد تمثلان دقة المعماري ابن القزاز ·

ذلك بممكن حيث كانت تتقدم المدخل زلاقة كبيرة ، لا تمكن سنابك الخيل ولا نعال الجند من عبورها الا بعد تغطيتها بسطائح خشبية .

مآذن المؤيد شيخ :

تغيرت تلك المعالم ولم يبق الا الباب بأبراجه، تعلوه مئذنتان رشيقتان شامختان بناهمها المؤيد شيخ « السلطان المملوكي » عندما بنى مسجده العظيم خلف اسوار البوابة مباشرة سنة ٨١٩هـ ١٤١٧م .

وكانت ابراج الباب أكثر ارتفاعا كما يروى المقريزي الا ان المؤيد هدم جزءا من علوهما ليقيم المئذنتين ويعد المسجد من تحف القاهرة المعمارية ، كان موضعه سجنا رهيبا عرف باسم « خزانة شمائل » سجن فيه المؤيد زمنا وقاسي الشدائد والاهوال، فنذر لله ان فرج كربه ليبنين مكانه مسجدا وقد فعل اذ آتاه الله ملك مصر ٨١٥هـ ١٤١٢م فهدم السجن واشترى بعض الدور والقيساريات وبنى المسجد الذي وصفه المقريزي بانه « الجامع لمحاسن البنيان » يحتقر الناظر اليه عرش بلقيس وايوان كسرى ، ويستصغر من تأمل بديع اسطوانة الخورنق وقصر غمدان » .

واذا كان الظن بالمقريزي المبالغة فان السلطان سليم الاول العثماني لما زاره بعد مائة سنة من عمارته قال فيه « هذه عمارة الملوك » قال ذلك بعد فتح العثمانيين لمصر ودخول السلطان زائرا ظافرا .

وهو احد المساجد النادرة في مصر الذي تتوسطه حديقة شجراء ، على غرار مساجد الاندلس ، ولا يعيبه الا انه نقل الباب النحاسي الكبير ذى الصنعة الدقيقة المكفتة بالذهب والفضة ، من مسجد السلطان حسن ، دون ان يفكر في تغيير طراز الكتاب في اعلى الباب واسفله والللتان تؤرخان لصناعته باسم السلطان حسن بن محمد بن قلاوون .

اما الحجار الفنان البناء الذي ابدع بناء المنارتين وزخارفهما ، فقد سجل اسمه على كل منهما بتاريخ مختلف حيث كتب على المنارة الشرقية : عمل هذه المئذنة المباركة العبد الفقير الى الله تعالى محمد ابن القزاز ، وكان الفراغ اول رجب سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة « اما الفراغ من الثانية » في شهر شعبان المعظم قدره سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة » .

روائع العمارة وبدائع العصور :

لقد دخلنا باب زويلة ، اول ما يطالع الداخل في شارع المعز لدين الله، والشارع يكاد يكون مستقيما الا من انحر افات قليلة تتخلل طوله الذي ينتهي الى باب الفتوح الباب الشمالي والمواجه تماما لباب زويلة في جدار السور الكبير . وكان هذا الشارع او الطريق اول بناء القاهرة يتوسطه ـ على جانبيه القصر الشرقي الكبير، يواجهه ميدان فسيح بني في نهايته القصر الغربي الصغير ، فعرف الطريق بينهما باسم « بين القصرين » ولم يبق من هذه القصور التي ابدع المؤرخون في وصفها وما حوت من بدائع الصنائع حتى افرد لها المقريزي ما عرف باسم « الكنوز الفاطمية » لم يبق منها الا بعض احجار منقوشة واخشاب محفورة بالصور الملونة حفظت بالمتحف الاسلامي بالقاهرة ، تشهد بصدق ما صاغ المؤرخون من اوصاف .

كما لم يبق من عما ثر الفاطميين على جانبي الطريق الا الجامع الافخر «الفاكهاني» بناه الخليفة الظافر بنصر الله ٥٤٣هـ ١١٤٨م ، ولم يبق من عمارته الاولى الا مصراعا بابه ، بنقوشها العميقة الحفر البديعة النقش على الاحشاب ، والمسجد

على يمين السائر من باب زويلة الى باب الفتوح ·

ثم الجامع الاقمر ـ على يمين السائر ايضا ـ بناه الآمر باحكام الله بن المستعلى بالله ٥١٩هـ ١١٢٥م وهو من البقايا الفريدة لمفردات العمارة الفاطمية الطراز من نقوش وزخارف على الحجارة والاخشاب داخل المسجد وخارجه ، وطرز الكتابة الكوفية البديعة ·

واخيرا الجامع الحاكمي خلف جدار السور القديم الواصل بين بابى الفتوح والنصر ، والذي امر بنائه العزيز بالله بن المعز ٣٨٠هـ ٩٩٠م وتم على اشراف ولده الحاكم بامر الله بين عامى ٣٩٣هـ ١٠٠٣م ، ٤٠٣هـ ١٠١٢م فسمى المسجد باسمه ·

وقد تخرب هذا الجامع الواسع المهاب وما زالت بجدرانه بقايا بدائع النقش الجصى والحفر الرائع على الاوتار الخشبية بين دعائم العقود وهو احد المساجد التي لم ترفع سقوفها على عمد الرخام ·

على أنقاض القصور :

ومع توالى العصور لم تسلم قصور الفاطميين من الخراب ، وقامت على ارضها قصور ومساجد ومدارس اشهرها المجموعة القلاوونية التي تتمثل في القبة والمدرسة والبيمارستان التي بدىء في عمارتها ٦٨٣هـ ١٢٨٣م وصاحبها ومنشؤها هو المنصور سيف الدين قلاوون احد سلاطين دولة المماليك البحرية . وقد حكم وحده احد عشر عاما وتوارث ابناؤه الحكم في مصر والشام مدة قرن من الزمان . ولهم منشآت عظيمة في القاهرة وخارج اسوارها اشهرها هذه المجموعة . ومسجد ابنه الناصر محمد امام مسجد محمد على بالقلعة ومسجد ومدرسة حفيده السلطان حسن بن محمد بن قلاوون · ولعل اولى هذه

محراب مسجد الناصر بن قلاوون قبل ان يتخرب المسجد ·

المجموعة بالحديث هو المجموعة القلاوونية التي بنيت على انقاض القصور الفاطمية ، واستغلت كثيرا من انقاضها واخشابها المنقوشة والمحفورة في زينة اواوين البيمارستان ·

وقد استولى المنصور على دار « ست الملك » الفاطمية التي آلت ملكيتها الى الاميرة مؤنسة القطبية « الايوبية » واستعمل ناظره على العمل عددا كبيرا من الاسرى ونقل كثيرا من عناصرها من قلعة الروضة للصالح نجم الدين ·

واقيمت قبة باذخة الزخرف رفيعة التصميم ، ثم مدرسة للمذاهب الاربعة بينهما ممر مسقوف كانت تشغله الزخارف

الجامع الازهر وكل مئذنة لها تاريخ وعصر زاد في عمران المسجد لتكون صوتا للاسلام يدوي بشهادة التوحيد ٠

المذهبة ويغلق على الممر باب نحاسي يعد تحفة من فن الحفر والتلبيس والتطعيم وتحوى القبة والمدرسة عددا من العمد الجرانيتية الوردية الضخمة العالية الارتفاع ٠

ثم يجاور هذه المدرسة بيمارستانه « المستشفى » الذي اعتبره المؤرخون نموذجا لاحدث اساليب الرعاية الطبية والعناية بالمرضى صحيا واجتماعيا حتى يغادروا المستشفى فقدكان المريض يتقاضى نفقة يومية مدة اقامته غير المشروبات العلاجية والطعام والثياب ٠

مدرسة أم قلعة :

واذا تجاوزنا الحديث عن قبة الناصر قلاوون ومسجده المجاورين لقبة ابيه ومسجده المبنى بقلعة الجبل الذي ينفرد برحارف الخزف الملون في مآذنه ـ ورقبة قبته ، تقليدا لفنون سمرقند ، فان اولى المدارس او المساجد بالتنويه هو مسجد السلطان حسن والذي يقع في ميدان الرميلة

« القلعــة » ويرى شامخا ضخما امام قلعة صلاح الدين ·

ولقد استخدم هذا المسجد في صـراع المماليك على السلطة والحكم كمركز من مراكز الهجوم والدفاع حيث كانت المدافع تنصب فوقه لتضرب القلعة وتسبب ذلـك في تخرب بعض اجزائه تم تعميرها ، كما اغلق بابه الكبير في بعض الفترات ٥١ عاما ·

والمسجد رائع التصميم دقيق العماره حوى كل بديع من اعمال الصناعة الحجرية والرخام والاخشاب والجص مالم تحظ به بناية مملوكية ، ويصفه المقريزي بقوله « لا يعرف في بلاد الاسلام معبد من معابد

مجموعة من المنارات والقباب السمرقندية في حي سيدي جلال الدين السيوطي المؤرخ والمفسر كلها من عصر الناصر محمد بن قلاوون ·

المسلمين يحاكي هذا الجامع وقبته التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها » حتى نسب الى السلطان حسن قوله « لو لا ان يقال ان ملك مصر عجز عن اتمام بناء لتركت بناء هذاالجامع من كثرة ما صرف عليه » ولن اطيل في الوصف ولكن يكفيني ان اذكر ثلاثة امثلة من امثلة الفن الاسلامي الرفيع بهـــذا المسجـد ·

١ ـ سورة الفتح في رواق القبلة:

كتبت آيات مـن الســورة الكريمـة بطراز كوفي مزهر الخلفية في اسلوب رائع لم يسبقه مثل ، بامتداد جـدران رواق القبلة ، واستدار طراز الكتابة فوق المنبر الرخامي الملون البديع والمحراب المجوف يبهر الناظر بجمال نقوشه ورخامه الملون· ويعتبر الطراز الكوفي في رواق المحراب نمطا استخدمه عمال الجص في تاريخ انشاء المدارس الاربعة المتعامدة على ساحةالمدرسة الواسعة المهيبــة ·

وفي المدرسة الحنفية وفي احد سطـور كتاباتها اسم مهندس المدرسة محمد بـن بيليك المحسني « ذلك المهندس الذي قال عنه احد المعنيين بالعمارة الاسلامية » ان العبقرية هي التي اتاحت لصاحبهاالسيطرة على الاشكال الهندسية فبث فيها روح فنه ، فاصبح لكل رحرف او شكل طابع خاص تميزت به » ·

٢ ـ المنـــارة :

كان تخطيط المدرسة يحتوى على اربعة مادن بنفس حجم المادنة التي على يمـين القبة ، اثنتان على اكتاف الباب الرئيسي واثنتان على جانبي القبة . وقد بنيت ثلاث مادن سقطت اولاها من على يمين الباب فابطل السلطان حسن بناء الرابعة بينما بقيت المذنتان على يمين القبة ويسارها ، ثم شاء الله ان تسقط احداهما على سوق الرميلة اسفل المسجد في بداية العصر التركي ، ثم بنيت على غير نمط شقيقتها ، وارتفاع المنارة الباقية يعلو عن ٩٠ مترا وهـي رشيقة عامرة بالزخارف والكتابات رغـم ضخامتها وارتفاعها ومقاومتها للـــزلازل وضربات مدافع نابليون الذي ما تـزال بعض قنابله مستقرة في جدار القبة من الخارج ·

صناعــة الابــواب :

وكانت صناعات النحاس المنقــوش والمخرم والمكفت بالذهب من اظهر الروائع التي حواها هذا المسجد ، فاختار المؤيـد لمسجده باب المدرسة كما ذكرنا ولم يبق من هذه البدائع الا احد ابواب القبة ما زالت زخارفه المذهبة تنم عن دقة ومهارة صناع مصر بينما سرقت صفائح البـاب الثاني قطعة قطعة لتهرب الى احد المتاحف خارج مصر ·

جامعة علم على احـدث النظـم :

يعتبر النظام الذي حوته المدرسة من مساكن للطلاب في مدارسها الاربع ومنافع، ومناوبين للمراقبة والمراجعة عدا مدرسي التفسير والحديث والفقه على المذاهـب الاربعة ومفتي للمدرسة ، ومعلم للقرآن على القراءات السبع ومحفظي القــرآن والموكلين بالنفقة واطعام الطلاب والكساوى التي تصرف لهم شتاء وصيفا ، والمكافآت التي تسنح للمجدين والحفظة · ولم ينس منشيء المدرسة الاطباء والجراحين واطباء العيون لعلاج الطلاب والعاملين عدا رواتب الاساتذة والطلاب والقومة وهدايا المواسم والاعياد ·

بقي ان نعرف ان بداية هذه المدرسة كان ٧٥٧هـ ١٣٥٦م ومات عنها صاحبها دون ان يتم كل ما اشتمل عليه تصميـم البناء من رخام وتلبيس الحجارة ·

حصن بابليون الذي حاصره عمرو عند فتح مصر
كما كان يبدو منذ مائتي عام ٠

المدارس والمساجد في شارع المعز:

وليست المجموعة القلاوونية هي فريدة شارع المعز ، فان قبة الغوري ومدرسة عند تقاطع الطريق مع شارع الازهر واللتان بنيتا بين ٩٠٧هـ ١٥٠١م ، ٩١٠هـ ١٥٠٥م تعد من الروائع الباقية ولكن سليم الاول الذي انتصر على الغوري في مرج دابق ٩٢٢هـ ١٥١٦م وصف عمارته بأنها عمارة تاجر ، لما حوت من ازدحام الرفاهية في عناصر البناء والزخرفة ٠ وهناك المدرسة الاشرفية والبرقوقية وبقايا قصر بشتاك وسبيل كتخدا ومسجد السلحدار ، كما يتفرع منه عديد من الطرقات الصغيرة التي تحمل عطر التاريخ كحارة بورجوان التي سكنها المقريزي وخوش قدم حيث بيت جمال الذهبي ، والدرب الاصفر حيث بيت السحيمي ودار المسافر خانة ، انها دور ما تزال تحتفظ بسمتها ومظهرها داخلا وخارجا بحدائقها ومجالسها ونوافيرها ٠ بل ان بيت السحيمي ما زال يحتفظ ببعض اواني العصر من الصيني الملون البديع ذي الرنين الصافي كرنين الكريستال والفضة والذهب ٠ انها آثار يستحق كل منها حديثا مفردا وصورا كثيرة ولعل لنا لبعض ذلك عود ان شاء الله ونترك شارع المعز لدين الله لننظر الروائع خارجه ٠

هل نسينا عمارة الازهر :

اول مسجد من مساجد القاهرة وضع اساسه جوهر الصقلي ٣٦١هـ بنى ليكون مسجدا جامعا ورتب فيه فقهاء الشيعة ودعاتها للتدريس ولكن الله سبحانه وتعالى اراد له ان يكون جامعة اسلامية تستقطب العلماء ، والطلاب من جميع انحاء العالم الاسلامي للدراسة والتدريس ، هل نسيناه وتجاوزناه لنصف غيره من مساجد القاهرة التي بنيت بعده ؟ ٠٠ انه اولى بدراسة منفردة لاحجاره وعمرانه وعمارته فانه بذلك جدير ٠

بين ماض وحاضر :

كانت القاهرة في عصورها الماضية ، تضاء ليلا بعد ان تغلق ابواب حاراتها ، فقد كان لكل حارة باب يغلق بعد العشاء الاخرة وله حارس لا يفتح لطارق الا اذا عرفه من اهل الحارة ، وقد ظلت هذه الابواب حتى هدمها جيش نابليون ليمنع الاهالي من الاحتماء بدوروبهم في ثوراتهم على جند الاحتلال الفرنسي ٠ وكان اهل كل حارة يوكلون من يقوم بنظافتها ورشها

بالمياه وخاصة في الصيف· وعمارة المنازل كانت تتميز بواجهاتها ذات المشربيات الخشبية التي جعلت لها طابعا يميزها عن مدن الشرق اجمع ومنها انتقلت الى مكة والمدينة وجدة التي ما تزال ببعض مشربياتها ذات الطراز الفريد · اما داخل المنازل ففيها المجالس الرائعة الزخرف والنقش تتوسطها النافورات البديعة تمج ماءها لترطب المجالس في حرارة الصيف ، وساحاتها المكشوفة تحيط بها اواوين الدار وفي الساحات النخيل والزهور وبعض اشجار الفواكه ·

اما المناظر التي كانت تنشأ في الضواحي للنزهة كمنازل العز والبستان الكافوري وبركة الحبش فانها امور يدخل الحديث عنها في شرح طويل ·

والمساجد الزاهرة العامرة بالمصلين وطلاب العلم ومناراتها العالية التي جعلت للقاهرة شهرة بمأذنها الالف تراها قد ازدهرت بالقناديل تضاء ليلا في رمضان وعاشوراء ومولد الرسول صلى الله عليه وسلم ·

اصبح كل ذلك ماضيا بعد ان اتسع عمران القاهرة وزحفت معلبات الخرسانة حتى على القاهرة العتيقة واصبحت عمائرها المرتفعة الضخمة تنافس المآذن في ارتفاعها ان لم تغط عيها ·

المدن الحديثة :

ولم يقف عمران القاهرة على حدود اسوارها الفاطمية فقد امتدت شمالا حتى بلغت مشارف القليوبية واصبحت طولا تبدأ من القناطر الخيرية شمالا الى حلوان في الجنوب ، زاخرة بالمعاهد والجامعات والمصانع ·

وعرضا قريبا من عشرين كيلومترا ضمت مدنا جديدة كمصر الجديدة التي عمرت في مطلع القرن العشرين ومدينة نصر التي عمرت في الستينات ومدينة الاوقاف غربي النيل والجزيرة والزمالك تكاد كل منها تكون مدينة منفصلة تصل بينها الجسور عبر النيل من اقصاها الى اقصاها ·

مدينة كان تعداد سكانها عندما بناها جوهر عشرة آلاف حارس غير الامراء والخدم والحشم والوزراء والقواد فاذا اضيف اليها سكان الفسطاط والعسكر والقطائع في ايام عزها جميعا لم تبلغ ثلاثمائة الف ·

انها الآن مدينة الملايين الثمانية يدخلها كل يوم بوسائل المواصلات المختلفة مليونان صباحا ويخرج منها نفس العدد ويعود كل ذلك مساء الخارجون والداخلون ·

مدينة تأكل نفسها وتضيء للآخرين :

مدينة تستهلك من الكهرباء ربع طاقة كهرباء السد العالي رغم وجود اربع من محطات التغذية الكهربائية المستقلة وتشرب من الماء قريبا ، من نصف مليار من الامتار المكعبة وتأكل آلاف الاطنان من الخضروات والفواكه والخبز والزيوت والدهون واللحوم ·

حتى الشاى واللبن ·· كلا ليس هذا بهدفنا انما كان هدفنا هو بعض التعريف بالعواصم التي تكونت منها عاصمة العواصم بين الازدهار والاحتضار ، لم تكف ابدا

مسجد محمد علي وامامه مسجد السيدة عائشة بناء المسجد منقول بدقة من مكان اخر ليعـــاد بناؤه بدقة فائقة ٠

حتى في عصر اضمحلالها ايام الحكم العثماني الذي حشد مهرة الصناع ونقلهم الى تركيا لينشروا الثراء الصناعـــي والفنـــي في استانبول على ضفاف البوسفور ، لم تكف ابدا عن العطاء العلمي والفني في كل ميدان من ميادين المعرفة ٠

لا اظنني قد وفيتك حقك يا عاصمـــة العواصم، يا قاهرة اون ومنف والفسطاس والعسكر والقطائع وكاسفة العمــــران الحديث بازدحام مساجدك بالعابديـــــن والدارسين واسواقك بالتجار والصنـــاع والحرفيـــين ٠

عليك سلام الله يا قاهرة كانت بدايتك بالاسلام ولن يعود اليك حق بهائـــك الا بالاسلام يا قاهرة ٠

(١) اقرا العدد الثاني من مجلة منار الاسلام صفر ١٣٩٦هـ فبراير ١٩٧٦م جامـــع عمرو بن العـــاص ٠

(٢) سفرنامة ترجمة الدكتور يحيى الخشـاب طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٥ ٠
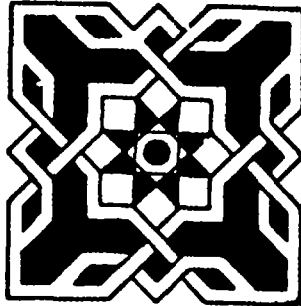
زار دولة الامارات العربية المتحدة مؤخرا ، وفد من منظمة المؤتمر الاسلامي لصندوق القدس برئاسة الاستاذ قاسم الزهيري ، الامين العام المساعد لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، وقد ضم الوفد في عضويته السادة السفراء فاضل مقيم سفير باكستان في المملكة العربية السعودية ، ورئيس لجنة القدس بالمنظمة ، عباس غزاوي سفير بالخارجية السعودية ، والاستاذ احسان صالحة ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ، والمعتمد في كل اجتماعات المنظمة ، وفي ختام الزيارة لدولة الامارات العربية المتحدة ، عقد السادة اعضاء الوفد مؤتمرا صحفيا بابو ظبي ، شارك فيه ممثلو الاذاعة والتلفزيون والصحافة المحلية ، كما حضر اللقاء الصحفي الاستاذ الدكتور عز الدين ابراهيم المستشار الثقافي لسمو رئيس الدولة ٠

والزيارة هذه للوفد تدخل في اطار الجولة التي قررها مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في « داكار » لكافة الاعضاء ، والبلاد في المنظمة وذلك لدعم صندوق القدس ـ وهو جهاز انشأه وزراء خارجية الدول الاسلامية في المؤتمر السابع الذي انعقد في اسطنبول سنة ١٩٧٥م من اجل دعم صمود الشعب الفلسطيني ومنع صهينة القدس والاراضي الفلسطينية ولاحباط المخططات الصهيونية الرامية الى محو آثار المعالم الاسلامية في الاراضي المقدسة ٠ لذا فدعم صندوق القدس هو اساس زيارة الوفد لدولة الامارات العربية المتحدة ، هذا البلد الاصيل الذي بذل وما زال يبذل الكثير للذود عن فلسطين قضية وشعبا ، وفي سبيل دعم ونشر الدعوة الاسلامية في جميع انحاء العالم على انفراد وبصفة اسلامية وعربية كذلك ، فبفضل اسهام دولة الامارات العربية المتحدة في صندوق التضامن الاسلامي امكن لمنظمة المؤتمر الاسلامي ان تحقق الكثير من الانجازات ٠

اهداف الزيارة :

وعن اهداف الزيارة تحدث الاستاذ قاسم الزهيري رئيس الوفد فقال : جولة وفد منظمة المؤتمر الاسلامي لها هدفان ٠

الهدف الاول : طلب المزيد من الدعم

لصندوق القدس وذلك لشل يد الصهيونية حتى لا تغير معالم القدس •

اما الهدف الثاني : فهو الحصـــول على مساهمات كثيرة ، على اكثر ما يمكن من المساهمات من الدول الاعضاء في رأس مال صندوق التضامن الاسلامي •

وغني عن البيان ، ان دولة الامارات العربية المتحدة تسهـم بالكثير في هـــذا الصندوق ، وقد قدمت وحتى الساعة ثلاث مساهمات بمبلغ ستة عشر مليون دولار ، والمعروف ان صندوق التضامن الاسلامـي انشيء سنة ١٩٧٢م في مؤتمر القمة الثاني الذي انعقد في لاهور ، ويقصد من هـــذا الصندوق رفع مستوى المسلمين الفكـرى والمادي في العالم أجمع ، والحفـــاظ على عقيدتهم ، وتقديم المساعدة المادية للدول والاقليات الاسلامية المفتقـرة الى تلـــك المساعدات في الميادين الروحية والاجتماعية والثقافيه ، وذلك عن طريق انشــاء ، او المساعدة في انشاء المراكـز الثقافيــــة والمدارس والجامعـــات الاسلامية ونشـر الدعوة ومبادىء الاسلام في داخـل الدول الاعضاء وخارجها ، ولقد كان من جملة ما قام به او يقوم به الآن صندوق التضامن الاسلامي ، الاعداد للاحتفال بالقـــرن الخامس عشر، هذه المناسبة التي لانعتبرها مناسبة دينية فحسب ، بل نعتبرها مناسبة حضارية • سوف تستغلها منظمة المؤتمر الاسلامي ، لكي تبرز دور الاســـلام في الحضارة الاسلامية • ويتـــولى رئاســـة الصندوق الدكتور عز الدين ابراهيـــم المستشار الثقافي لسمو رئيس الدولة •

عرض وتلخيص :
حســين المحسي
تصويــر :
سيد المغربــي

في اطار هذين الهدفين ، جاء وفد منظمة المؤتمر الاسلامي الى هذه البلاد كي يطلب من المسئولين فيها ان يقدموا العون لهذين الصندوقين • ولقد وجدنا تفهما عميقـــا من المسئولين ، وعـــلى اعلى مستـــوى ، واستطعنا ان نتذاكر معهم الامور المهمـــة المتعلقة بهذا الصندوق ، ولمسنا منهـــم تفهما عميقا لما جئنا من اجله ، ووعدونا بالكثير ، وخاصة فيما يتعلق بدعم صندوق القدس ، وهذا الامر ليس بمستغرب من دولة معروفة ببذلها وعطائها في سبيـــل القضية الفلسطينية ، والقضايا العربيـة عموما• فأصالة عن نفسي ونيابة عن جميع اعضاء وفد المؤتمر الاسلامي والامانـــة العامة ، اتقدم بجزيل الشكر لكافـــــة المسئولين ، لتفهمهم لما جئنا من اجلـــه ، ولوعودهم التي لا نشك في انها ستترجـم الى انجاز وعمل ، والشكر كله خاصة لسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وعرفاننا لما يقدم سموه في هذا السبيل •

ثم تحـدث السادة اعضـــاء الوفد ، فشكروا سمو الشيــخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدوله لمـا يوليـــه من اهتمام ورعايه لكل المؤسسات الاسلامية، وغيرته الاسلاميـــة وحرصـــه

الاستاذ قاسم الزهيري ، الامين العام المساعد لمنظمة صندوق التضامن الاسلامي ، ورئيس وفد منظمة المؤتمر الاسلامي ، يفتتح المؤتمر الصحفي للوفـــد •

الاستاذ قاسم الزهيري ، رئيس وفد منظمة المؤتمر الاسلامي ، يبدو في الصورة ، متوسطا السادة : مقيم خان مندوب الباكستان ، وعباس غـزاوى مندوب السعودية •

الشديد على المقدسات الاسلامية بفلسطين المحتلة • وكذلك توجهوا بالشكر لكل المسئولين في الدوله على تفهمهم لقضيه القدس والتي هي قضية كل مسلم غيور على اسلامه والحفاظ على مقدساته ، ولقد كانت كلمه الاستاذ احسان صالحة ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ، كانت كلمه عميقة ، تناولت قضية احقية الشعب الفلسطيني في أرضه المغتصبة ، فقضية القدس ، هي القضية الاولى ، ليست امام المسلمين والعرب فحسب وانما امام العالم كله ، وكل ما جاءت به الهيئات والجهات من حلول تغفل حق الشعب الفلسطيني كانت نتيجتها الفشل الذريع ، ولا بد بالتالي من التضامن الاسلامي والعربي ، والعمل الجاد السريع لمواجهة المؤامرات التي لا تعطى وعودا لليهود باقامه وطن قومي ، بل انما جاءت لتثبت هذه الوعود عمليا •

اتخذ القرار للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، والمقصود من هذا القرار انه قد مضى على الاسلام اربعة عشر قرنا وهو ثابت كالطود وعطاؤه للافراد والجماعات والحكومات عطاء فياض، وبهذه المناسبة ، مناسبة اكتمال اربعة عشر قرنا وبداية القرن الخامس عشر ، يحسن بالمسلمين ان يتوقفوا ليتذكروا ماضيهم ، ويتذكروا مستقبلهم • وقد وضع منظمة المؤتمر الاسلامي برنامجا على المستوى العالمي وبرنامجا آخر على مستوى الاقطار الاسلامية ، اما على مستوى الاقطار الاسلامية ، فتوجد في كل دولة اسلامية لجنة وطنية عليا برئاسة وزير ، ويوجد فيها ممثلون عن شتى القطاعات ، وفيها ممثلون عن وزارات الداخلية والاعلام والمواصلات والشئون الدينية وكافة الوزارات المعنية بهذه المناسبة •

وتضع اللجان الوطنية برنامجا للقطر الذي توجد فيه ، وهذا البرنامج يتضمن امورا تربوية في المدارس كما يتضمن انشطة ثقافية ومطبوعات • وكذلك استخدام وسائل الاعلام بكافة انواعها لتخدم هذه المناسبة ، وكذلك ستصدر وزارات المالية عملات معدنيه وعملات ورقية لهذه المناسبة • وستحصل مباريات فنية وأدبيه ورياضية في انحاء العالم الاسلامي ، والمقصود من ذلك ان يشعر الجميع ان هذه المناسبة تدعوهم الى التفكير في واقعهم ومستقبلهم الحضاري •

اما على المستوى العالمي ، فسوف تعقد مؤتمرات وندوات وتصدر افلام كلها تعرف بالاسلام هذه المؤتمرات سوف توزع على العواصم الحضارية للعالم الاسلامي •

ويوضح الاستاذ الدكتور عز الدين ابراهيم ، هذا المعنى بقوله . ونعني بالعواصم الحضارية ، ان الاسلام اول ما بدأ كانت عاصمته الاولى في المدينة ، ثم بعد ذلك انتقلت العاصمة الى دمشق ثم بعد ذلك انتقلت الى بغداد وتوالت العواصم الاسلامية بعد ذلك • وهنالك من يمكن ان تعتبر عواصم سياسية • وهي المدن التي ذكرتها ، وهنالك مدن لم تكن عواصم سياسية ، ولكنها كانت عواصم حضارية ، فنذكر القاهرة وفاس واسطنبول واصفهان ولاهور ، هذه جميعا تعتبر عواصم للاسلام احيانا بالمفهوم السياسي ، واحيانا بالمفهوم الحضاري واحيانا بالمفهومين معا • وبكل عاصمة من هذه العواصم سوف تقام احتفالات عالمية • وهنالك مؤتمر للشريعة مقره الطبيعي القاهرة ، وهنالك مؤتمر للغة العربية مقره الطبيعي بغداد، وهنالك مؤتمر عن الاقليات الاسلامية مقره الطبيعي اوربا ، وسيعقد في لندن، ومؤتمر عن الفن الاسلامي ، قد يكون في اسطنبول او اصفهان ، ومؤتمر الجامعات الاسلامية سوف يكون بالضرورة في فاس • هذه

العواصم الاسلامية سوف تتزين لهـذه المناسبة تزينا حضاريا ، واجهزة الاعـلام سوف تهيىء وتتابع وتعرف بكل هـذه الاحتفالات ٠

ويضيف الاستاذ قاسم الزهيري بـأن هنالك برنامجا يتعلق بالقدس الشريف ، وسيعقد مؤتمر حول القدس بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري ، ذلك ان المرحلة التي نعيشها اليوم مرحلة صعبـة جدا ، وهي تستدعي من الجميع فـرادي وجماعات ، ومن جميع الدول الاسلامية والعربية ، ان يهتموا اهتماما جادا بها ٠ ومنظمة المؤتمر الاسلامي أول من يهتـم بهذا الموضوع، لان منظمة المؤتمر الاسلامي لم تنبثق الا من القدس ، فولدت هـذه المنظمة يوم احرق المسجد الاقصى المبارك٠

وقد تعهد جميع من اجتمع في مؤتمـر القمة الاول ، بان يعمل على تحريـر القدس ، وميثاق منظمة المؤتمر الاسلامي ، لم يذكر بلدا بالذات ، ولا مدينة بالذات مثلما ذكر فلسطين والقدس ٠ ففي الفقرة الخامسة من المادة الثانية بالذات لميثـاق منظمة المؤتمر الاسلامي نتلو ما يلـي : تنسيق العمل من اجل الحفاظ على سلامة الاماكن المقدسة وتحريرها ودعم كفـاح الشعب الفلسطيني ومساعدته علىاسترجاع حقوقه وتحرير أراضيه٠ فالمؤتمرالاسلامي يدعم فلسطين ، وقد اتخذ عدة قرارات في هذا الصدد ، ولن يحيد ابدا عن هـذا المبدأ الى ان تتحرر فلسطين ويرجـع الفلسطينيون الى بلدهم ، وتنشأ دولـة فلسطينية مستقلـة ٠

بطبيعة الحال تقرر المواقف السياسيـة بعض التطورات التي تستلزم منـا ان نبحث مثل التطورات التي حدثت قبـل بضعة اسابيع ، وقد دعا رئيس منظمـة التحرير الفلسطينية، السيد ياسر عرفات، دعا الامين العام للمنظمة كي يستدعـي وزراء خارجية الدول الاسلامية والعربية ليتدارسوا الموقف ، وبمجرد وصول الدعوة من رئيس منظمة التحرير الفلسطينيـة عممت رسالة الى جميع الدول الاسلامية ، لعقد مؤتمرلوزراء خارجية الدولالاسلامية لبحث الموضوع وستتم المشاورات وينعقـد هذا المؤتمر باذن الله ، وتتخذ القرارات ، وستكون هذه القرارات كلها متناسقة مع المبادىء والاهداف التي خطتها منظمـة المؤتمر الاسلامـي ٠

وقد تبنى المؤتمر الاسلامي اقتـراح مجلة منار الاسلام الرامى الى تكثيف الجهد لمواجهة الاكاذيب الصهيونية الراميـة الى تهويد القدس ، ودحض افتراءاتها وذلك بتبسيط وعرض الكتب التي ألفت حـول القدس ، ونشرها على مستوى العالـم ، وانتاج الافلام والشرائح التلفزيونيـة ، وتركيز وسائل الاعلام المختلفة على هذا الموضوع الهام حتى يكون شبابنا في العالم الموضوع الهام يكون شبابنا في العالـم الاسلامي على التصاق بقضيه القدس ، وان الواجب الاسلامي يحتم على كل مسلم ان يسعى الى رد الاعتبار اليها بالعمـل على تحريرها والمحافظة عليها ٠

واكد كل هذه المعاني الدكتور عز الدين ابراهيم المستشـار الثقافي لسمو رئيس الدولة الذي ركز الحديث على الجنب الذي تحدث عن عروبة القـدس ، نظرا لحملات التشكيك٠ فهنالك كتاب جيد للاستاذ العابـدي ، عنوانه « القدس العربيـة » ٠ وكتاب اخر اكثر تفصيلا عنوانه « القدس الخالدة » ٠ وهنالـك الموسوعه التي كتبها اليهـودي الذي اسلم وسمي بعدذلك باسم احمد سوسة ٠ الموسوعة المسماة « باليهود في التاريخ » ٠ وهي موسوعه مطولة مكونة من جزءين وفيها فصل مطول جدا ، لا يقـل عن مائتي صفحة من القـدس وجذورها التاريخيه يثبت فيهـا الباحث احمد سوسة اسلاميـة وعروبةالقدس من قديم، ويبطل

دعاوى اليهود في القدس حتى من الناحية الدينية .

ولا ننسى ايضا الكتابات العميقة والمستفيضة ، التي كتبها احد زعماء فلسطين التاريخيين ، هو الحاج محمد أمين الحسيني رحمه الله . فقد اصدر عدة بيانات وكتب عدة مقالات جمعت في كتيبات بعضها بعنوان « جريمة احراق المسجد الاقصى » . وبعضها بعنوان « المقدسات الاسلامية في القدس » .

ونشرت هذه البيانات قديما ، باصدار الهيئة العليا لتحرير فلسطين ، وهي الهيئة المعروفة بذلك الدور التاريخي الماضي .

هذه البيانات ولها اشباه كثيرة ، يجدر فعلا بمنظمة المؤتمر الاسلامي ان تجمعها ، وان يسهم صندوق القدس في تمويل طباعتها واداعتها ونشرها على الناس ، لان اليهود وصلوا درجة من الصفاقة حتى يقول رجل مثل بيجن والمعروف عنه انه من مواليد بولندا ـ انه فلسطيني يهودي . وهذه من مغالطات الصفاقة . بل هناك مغالطات تكون لعدم المعرفة ، او لتشويه التاريخ ، اما هذه المغالطة فهي من قبيل الصفاقة ، لان هدا الرجل واشباهه من يهود شرق اوربا ، لاينتمون الى هذه الارض المقدسة باى نسب ، ولا باى عرق ؛ ولا باى شكل . والحديث عن كونهم فلسطينين ولكن يهود هو من قبيل الصفاقة .

واعتقد ان اقتراح مجله منار الاسلام . اقتراح مهم جدا ، لان قضية القدس قضية طويلة ، فالتشويش قد لا يؤثر على عقول من يتابعون هذه القضية في هذا الوقت لان الحق فيها واضح، ولكن الذين لايتابعونها، والاجانب ، وابناؤنا في المستقبل ، قد تخفى عليهم الحقائق .

ويضيف الاستاذ احسان صالحة، مندوب منظمة التحرير الفلسطينية بان هناك كتابا مهما ، صدر ونشر مؤخرا في الاردن، يتحدث في شكل وثائقي ، وتحليل دقيق ومستفيض ، تحت عنوان ، « مؤامرات اليهود على العرب والاسلام » ، للاستاذ محمد حمدى طاهر ، فلسطيني الاصل ، وهذا الكتاب موجود في كل المكتبات ، وهو من اجمل ما كتب حول هذا الموضوع .

ويستطرد الدكتور عز الدين ابراهيم في الحديث ، موضحا ناحيتين مختلفتين تغيب عن معظم الناس. الناحية الاولى: ان قضية القدس قضية متعددة الجوانب . فهي قضية وطنية لاهل القدس العرب . وهي قضية قومية لكل العرب ، ثم هي قضية اسلامية لكل المسلمين . فحينما كون المؤتمر الاسلامي صندوق القدس، وحينما اهتم بقضية القدس ، اهتم بها لهذه المعاني جميعا ، ولكنه يركز بحكم كونه مؤتمرا اسلاميا يضم الدول الاسلامية ـ يركز على المعنى الاسلامي للقدس . واؤكد رغم اهتمامي بالمعنى الاسلامي انه ليس المعنى الوحيد .

فالقدس قضية وطنية لاهلها وسكانها ، بما لا يحتاج الى مشاحنة . ويكفي ان نقول ، انه حينما تولى الانجليز مهمة الانتداب في فلسطين، اثبتوا العائلات الموجودة في مدينة القدس . ومعروف من الوثائق ، انه في **ذلك الوقت لم تكن هناك عائلات يهودية ابدا في القدس ، وثبت بعد اعوام قليلة وجود عائلات يهودية لا تزيد عن عشر عائلات . وهذا قبل ثلاثين او اربعين سنة، القدس كانت دائما ، لسكانها العرب ـ المسلمين والمسيحيين ـ وهذا ينقلني الى الصفة الثانية : وهي ان القدس قضية قومية، لان العرب ـ بمسلميهم ومسيحييهم ـ سكنوا هذه الارض ، التي بارك الله حولها من قديم . هذه ارض كنعان ، وكان العرب يسكنونها قبل مجيء الاسلام ، ولما جاء الاسلام ، ودخل هذه الاراضي واستقر فيها ، استقرت فيها العروبة والاسلام معا. فقد همت القومية بالاسلام ، وتقوى الاسلام بالجهود العربية التي كانت موجودة من قبل .**

صورة تجمع الاستاذين احسان صالحة ، مندوب منظمة التحرير الفلسطينية ، ومقيم خان ، وحديث من الاستاذ احسان صالحة عن التوسعات الصهيونية في القـدس ٠

هذان المعنيان بديهيان ٠ المعنى الوطني والمعنى القومي ٠ اما المعنى الاسلامي فلا بد من جلائه ايضا ، لانه حين نقـول : القدس قضية اسلامية ، نربطها رأسا بالدين ٠ فالقدس قضية اسلامية من عدة نواح : اولا : لان القدس ، اولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ٠ فقـد كان للاسلام في تاريخه قبلتان ٠ القبلة الاولى هي المسجد الاقصى ، ولم يتحـول الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاته الى الكعبة الا في المدينة ٠ فلذلك هي اولى القبلتين هذا معنى من معاني اسلاميـة القدس ٠

والمعنى الثاني : انه محل الاسـراء ، ومبتدأ المعراج ٠ وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذلك في قرآنه ٠ فمحل الاسراء والمعراج له قداسة دينية ، لا يجوز لمسلم يؤمن باسراء الرسول ـ صلى الله عليـه وسلم ـ ومعراجه ، ويؤمن بقداسة وقوفه على الصخرة ، والعروج به بعد ذلك ويؤمن بصلاته بالانبياء في المسجد الاقصـى ، لا يجوز له ان ينظر الى هذه القضية ، الا من هذا المنظار الاسلامي ، وان يشعر بان التفريط في هذه الارض ، هو تفريط في مقدس اسلامـي ٠

معنى ثالث في اسلامية هذه المدينة ٠ هو ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يبارك في محل الاسراء فقط ، ولكن بارك حول محل الاسراء ، وبارك في ارض الاسراء ٠ الله سبحانه وتعالى يقول : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حولـه » ٠ فالمباركة للمسجد ، والمباركة لمحل الاسراء والمعراج ، والمباركة لما حوله ٠ ووردت احاديث تفسر معنى حولـه ، اذ وردت احاديث تقول : « بارك الله حول العريش والفرات » ووردت احاديث تشير الى ان ارض الشام ، هي ارض رباط في سبيل الله الى يوم القيامة ٠ وارض الشام هـي ارض فلسطين ، وارض الشام بالمفهـوم التاريخي لكلمة الشـام ، لابالمفهـوم الاستعماري ، حينما قسم هذه المنطقة ، واعطى جزءا منها لاسرائيل ٠ فهذه ارض مباركة بالقرآن ٠ وحددت الاحاديـث النبوية مجال ومدى المباركة ٠

المعنى الرابع في اسلامية القدس : انه قد وصف مسجدها ، بأنه احد المساجد التي تشد اليها الرحال ٠ فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا تشد الرحال الا

الى ثلاث ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الاقصى » • وفي حديث ميمونة ، سئل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ افتنا يا رسول الله في المسجد الاقصى ـ فقال : اذا اتيتموه فصلوا ، واذا لم يأتوه فأرسلوا الى قناديله بالزيت • الحديث مروى بمعناه •

فالمسجد الاقصى تشد اليه الرحال ، بمعنى ان الناس تقصده من بعيد ليصلوا فيه •

وبالاضافة الى هذه المعاني الاربعة ، فقد حرص المسلمون على ان تظل القدس في ايديهم ، واستشهدوا على ارضها من اجل هذا الحفاظ • واستشهد الصحابة ، واستشهد التابعون ، واستشهد الاولياء الصالحون واستشهد الآلاف على مرالسنين• وروت كتب التاريخ ، انه في كل حالة كر وفر ، ان مئات الآلاف من المسلمين قد استشهدوا في هذه الارض ، فهذه الارض ، ارض دماء الشهداء ، وارض الشهداء الذين حاولوا انيحرصوا عليها حتى ماتوا، ثم اسلموها الينا ففرطنا فيها •

من هذه المعاني جميعا ، يتضح ان القدس بالنسبة للمسلم هي قضية اسلامية، بالاضافة الى كونها قضية وطنية ، والى كونها قضية قومية ، والحفاظ عليها جزء من التدين • هذا الذي يجعل بلدا مثل باكستان ، وهي وان كانت تتسم بالحضارة الاسلامية واضافت الى الحضارة الاسلامية وبجهود علمائها الافذاذ على مر التاريخ ، الا انها ليست موصوفة بانها دولة عربية • هذهالدولة تعتز بالقدس، وتعتز بفلسطين،

ولكن اعتزازها بالمسجد الاقصى لا يمكن ان يؤول بانه اعتزاز عروبة ، وانما يؤول على انه اعتزاز اسلام •

ومثل موقف باكستان ، موقف بقية الدول الاسلامية في افريقيا وآسيا • موقفها من القدس وفلسطين . موقفها من ارض مقدسة • مقدسة بالمعنى الديني • وهذا الكلام ليس من خيال الشعراء ، وانما من كلام الفقهاء المضبوط • فهذا هو المعنى الاسلامي للقدس •

ما هو المطلوب لتحرير القدس ؟ :

ويتردد كثيرا السؤال التقليدي ، وما هو الحل اذن ؟ •

ويعطينا الاجابة الدكتور عز الدين ابراهيم ، الذي يوضح اسلوب العمل لتحرير القدس ، فيقول : بطبيعة الحال من المبالغة والمغالطة ان نقول ، ان قضية القدس يمكن ان تنفذ بصندوق يتكون من مائة مليون دولار • ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، تعلم ان هذا الصندوق عمل محدود ، لكنه واحد من مئات الاعمال التي ينبغي ان تقدم لصندوق القدس • وعن كيفية انفاق هذه الاموال اضاف قائلا : هذه الاموال ليس المقصود منها ان تعبيء الجيوش ، لان مائة مليون لا تعبيء جيشا صغيرا • وانما المقصود مقاومة اجراءات تهويد المدينة على المستوى الممكن ، على المستوى المدني والحضاري • بمعنى ان القدس فيها أوقاف اسلامية معرضة للضياع • والقدس بها مقدسات ومساجد اسلامية معرضة للتبديل ، والقدس فيها مستشفيات لصالح المسلمين ، معرضة للتخريب ، ولعدم الاستمرار والقدس بها مدارس للمسلمين ، لا يمكن ان تستمر الا اذا دعمت اسلاميا وماليا • والقدس فيها عائلات اسلامية ، وسكانها ـ من المسلمين والمسيحيين ـ الذين اذا لم يدعموا في معاشهم ، وفي دكاكينهم ، وفي مخازنهم ، وبيوتاتهم ـ لا يستطيعون ان يصمدوا ـ وهم معرضون كل يوم الى تدمير منازلهم ، ودكاكينهم ، وتدمير عقاراتهم ، وهم محتاجون الى من يدعمهم حتى يثبتوا ، والا فانهم اذا اضطروا للانتقال من القدس الى مكان اخر ـ وهذا هو قصد اليهود ـ لا نستطيع ان نعتب عليهم جديا • حقيقة ، نحن نستمر في العتاب ، لكن بالمشروطات• ولذلك وقبل ان نعتب عليهم اذا تحركوا، حاول ان تثبتهم ، وان تثبتهم ماليا • ثم هؤلاء الآلاف الذين دخلوا ويدخلون السجون ، والذين يستشهدون ، من الذي يرعى عائلاتهم ؟ •• الالاف من اليتامى الذين تركوا من جراء حوادث الاصطدام، ومن اجراءات القتال ضد اليهود • من

الدكتور عز الدين ابراهيم يصغـي باهتمام الى اقتراح مجلة منار الاسلام .

الذي سيرعاهم ! .. انهم يحتاجـون الى ملاجىء والى مـــدارس ، والى بعثـــات تعليميـــة .

صندوق القدس بكل تواضع . وبكـل واقعية ، ودون ادنى مبالغة يقول : سوف نحاول ان نسهم في هذا المضمار . فقـد تقدم بالدعم المالي للانسان ، تقـدم بالدعم المالي للمستشفيات ، يتقدم بالدعم المالي لمراكز التدريب ، وللمدارس . يحـاول بان يشترى الاراضي المعرضة للبيـع . يحاول ان يرمم الاوقاف المعرضة للدمار . ويحاول ان يعوض العائلات التي تضطهد، وان يرعى الايتام الذين يخلفون . فهـذا جهد يمكن ان نسميه بجهد ما خلف صفوف القتال . لاننا لو اردنا ان نزعم بان هذا جهد قتال . فمائة مليون رقم مخجل . ومع ذلك ارجو ان تكتبوا في صحفكم ، باننـا لم نوفق حتى الان في جمع المال .

ومهمة هذا الوفد ، هو مناشدة الدول الاسلامية والعربية ، ان تتقدم بالمائـــة مليون، وهي الحد الادنى من المال المطلوب.

وكانت خاتمة هذا اللقاء الصحفـــي الهام ، اضافات تفضل بها الاستاذ احسان صالحة ، اذ اوضح بان صندوق القدس ، ليس للقدس فحسب ، وانما هو ايضـــا لبقية المناطق المحتلة ، التي تحكى صمود الشعب الفلسطيني ، ولكن بالاخـص في مدينة القدس . فهذا الصنـدوق ــ اى صندوق القدس ــ هو في الاصل لدعم كفاح الشعب الفلسطيني في القدس اولا ، وفي بقية الاراضي المحتلة ثانيا. وهذا ما ينص عليه الميثاق الاساسي واللائحة الداخلية .

شيء اخير بالنسبة للقدس ، اردت ان اقوله ، ذلك انه قبل اسبوع ، علمنا بان هناك مشروعا جديدا لدى سلطات الاحتلال الصهيونية ، بان تقيم قلعة ثانية حـول مدينة القدس. والمعروف سلفا ان قرارات الامم المتحدة نصت على عدم تغيير معالـم القدس . لكن العدو والصهيوني ، مازال سادرا في غيه ، يقيـــم المستعمـــرات ، والعمارات السكنية . وحقيقة يجب ان نتنبه اليها ، وهي ان مدينة القدس ، بها من المباني السكنيـــة الصهيونية ، غـير الآهلة بالسكان ، اكثر مما في اية مدينـة في العالم . ومع ذلك يريدون ان يقيموا قلعة او سورا جديدا ــ كمايقولون ــ حول المباني التي اقاموها . هذا ما تناقلتـــه الانباء مؤخرا . والعدو عودنا بطبيعـة الحال ــ انه حينما يعلن ، يكون قد بدأ التنفيـذ .

ومـــاذا بعـــد ؟ :

القدس الجريحة ، ما زالت تشكو الى الله ظلم اليهود ، والمقدسات الاسلامية ، عاث فيها العدو الصهيوني فسادا ، ولـم تتق فيها حرمة ولادينا، ولا أبسط الاخلاق الانسانية . فـلا بد اذن من التكاتـــف والتعاضد ، لان في ذلك التعاضد النصـر المبين باذن الله ، فيجب على الامة الاسلامية والعربية ان تضع في الاعتبار ان العـدو واحـد ، فعليها اذن ان تنصر نفسهـــا باتحادها ، وان تأخذ القدوة من السلـف الصالح ، الذين ما فرطوا في القدس لحظة واحدة ، فيجب ان تقتدى بهم ، فلا راية للجهاد الحق في سبيل القدس ، غير راية الاسلام راية العزة والاباء ، وحينئـــذ ستعود القدس عزيزة كريمة ، وصدق الله حيث قال في سورة الصف :

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

بقلم :
دكتور عبد المحسن صالح

أحيانا يتحدث الناس عن جهل تارة ، وعن هوى تارة أخرى !
فأما الجهل فمردود عليه ، وكذلك الهوى ، وان كان الهوى أشد وأعتى ، لانه مقصود به غواية الناس ، ثم النيل من عقائدهم ، والتشكيك في كتابهم ودينهم بطرق ذكية وخبيثة وملتوية ، وهذا ما لا تجوز أموره الا على ضعاف العقول !

نقول قولنا هذا بعد أن انتشرت في السنوات الماضية بعض آراء هدامة ارادت أن تنال من شموخ القرآن الكريم، أو بالتحديد من بعض آيات أشارت الى عجز الانسان عن قدرته على غزو الفضاء ، ثم تتخذ من هذا العجز حجة فتقول : ولكن الانسان قد نجح بالفعل في هذا الغزو الذي نراه الآن على هيئة صواريخ واقمار صناعية تنطلق الى القمر والمريخ والزهرة والمشتري ... الخ ، ثم نجاح الانسان نفسه في الصعود الى القمر ، والتجول على سطحه ، ثم الرجوع سالما الى ارضه !

والى هنا يتساءل المغرضون وأصحاب الهوى فيقولون : أو ليس ذلك دليلا على أن الانسان قد بدا يتجول بالفعل في انحاء السماء ؟ .. ثم يردفون فيقولون : ومع ذلك ، فهناك آية وردت في كتاب المسلمين تشير الى عدم تمكن الانسان من ذلك ، حتى ولو ملك سلطان العلم ، اذ انه ـ فيهذه الحالة ـ سوف لا ينتصر ، وسترسل عليه نيران ومعادن ملتهبة ، فتحرقه حرقا ، وهو بالفعل لم يحترق عندما صعد ونفذ !

على أية حال دعنا لا نستبق الحوادث، ولنبدأ دراستنا هذه بعرض الآية أو الآيات التي يستند اليها المغرضون في النيل من القرآن الكريم .. اذ يقول عز من قائل « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات

والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » الرحمن آيات : ٣٣ـ٣٥ ٠

وعلى كلمة « لا تنتصران » يركز أهل الهوى هجومهم ، فيرددون ، لا أحد ينكر ان الانسان قد نجح في غزو الفضاء ، فكيف ينفي القرآن ذلك ؟ » ٠

ويرد عليهم الذين لا يعلمون من العلم الا قشوره فيقولون : ان الله لم يمنع ذلك ، فالذين نفذوا وصعدوا قد فعلوا ذلك بسلطان العلم ، وهو ما يشير اليه جزء صريح من الآية « فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » !

ويعود المغرضون فيقولون : كأنكم بهذا تقولون « لا تقربوا الصلاة » ٠٠ ثم لا تكملون الآية فتقولون « وأنتم سكارى » ، ولو أكملتم بدوركم ما تنطوي عليه آيات النفاذ ، لوجدتم أن هذا النفاذ لن يتم ، رغم أنه قد تم ، بدليل قول الآية « فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ٠٠ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ٠

المفتاح في كلمة ! :

والى هنا يعجز عن الرد كل من أوتي قليلا من العلم ، وهنا أيضا قد يفرك أهل الهوى أكفهم سرورا وطربا ، وكأنهم قد نجحوا في النيل من هذا الصرح العظيم ، الذي يتمثل لنا في القرآن الكريم !

وعلى هذه الافتراءات ، جاءت بعض ردود مهزوزة لم تستطع بحق أن تتبين المعنى العظيم الذي تنطوي عليه هذه

القبلة لا ايدروجينية

الآية الكريمة ، فمفتاح الآية كلها يكمن في كلمة واحدة هي : أقطار ٠

ولقد ورد في تفاسير القرآن التي اطلعنا عليها أن كلمة قطر ـ جمعها أقطار ـ تعني ـ في عرف الذين فسروا ـ الناحية أو الجانب ، هذا رغم أن كلمة القطر في تعاريفنا الحديثة قد تعني أيضا الخط الذي يمتد بين ناحية من دائرة ، ليصل الى الناحية الاخرى ، ومارا بمركز هذه الدائرة ، ولهذا فان خط القطر هو أطول خط أو قطر في مجال الدائرة ، ولو طبقنا ذلك على الارض والسماوات ، لتبين لنا الامر ليس تلاعبا بالالفاظ ، ولا هو هزل ليتلاعب به أهل الهوى على بعض العقول الضعيفة ، بل هي آيات بينات تعني ما تقول حرفا حرفا ، وكلمة كلمة « وانه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت : ٤١ـ٤٢

فالارض كما نعرفها كروية ، ولها قطر أو أقطار بقدر ما على سطحها من نقط أو مواقع ، ولكي ينفذ الانسان من نقطة على سطح الارض الى نقطة أخرى مقابلة ، فلا بد أن يمر بمركز الارض ٠٠ فهل مر أحد بهذا المركز ؟

الواقع أن الانسان قد تجول في الفضاء ، ونجح ـ الى حد ما ـ في ذلك ، لكنه لم يستطع أن ينفذ في الارض الا لمسافات هي ـ بالنسبة لقطرها ـ

قد صنعها الانسان لتبيد الحياة

ليست شيئا مذكورا ، أو كانما الانسان هنا بالنسبة لارضه ، بمثابة طفل يلعب على شاطيء بحـــر واسع ، دون أن يستطيع الغوص الى أعماقه ·

لكن ·· هل يستطيع الانسان يومــا أن ينفذ من أقطار الارض ؟ وما الذي يمنع ، رغم أن الارض بالنسبة للكـون ليست الا حصاة صغيـــرة في فلاة أو صحراء واسعة ؟

الواقع أن المعنى الباطن لهذه الآيــة الكريمة لا يفسر التفسير الواضـــح والصحيح الا من خلال علومنا الحديثة ، كما أن الاجابة على هذه الاسئلة يستلزم منا أن نستعرض باختصار شديد طبقات الارض مارين بقطر واحد من أقطارها ، ومن خلال هذا القطر سنعرف ما هــو الشواظ الذي ورد ذكره في تلك الآية ، وماذا يحول بيننا وبين النفاذ ، أو لماذا لا ننتصر في هذا المجال ، وعندئذ يكون ردنا على هؤلاء المضللين قائـــم على أساس من علم له وزنه وثقله ، فيكون ذلك مصداقا لقوله تعالى « قل هـــل يستوي الذيـــــن يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ !

لا بد من التحديد أولا ! :

بادىء ذ يبدىء نقول : ان معلوماتنا عن باطن ذلك الكوكب ـ أي أرضنا ـ اقل من معلوماتنا عن باطن الشمس التي تبعد عنا ٩٣ مليونا من الاميال ، او اقل من معلوماتنا عن باطن نجوم الكـــون أو شموسه التي تبعد ملايين الملايين مــن الاميال ، فنحن نعرف مثلا كثيرا مـــن التفاعلات النووية الجبارة التي تتم في اتون الشمس ، لتهبنا الضوء والحرارة، وليست القنبلة الايدروجينية الا تجسيدا حقيقيا وبدائيا لما هو عليه حال شمسنا مع فارق جوهري وهام ، ذلك أن الشمس قد جاءت لتدفـــــع عجلة الحياة على أرضنـــــا ، في حين أن هذه اللعبــة « الشيطانية » الصغيرة الممثلـــة في القنبلة الايدروجينية قد صنعها الانسان لتبيد الحيـــاة ، وشتان بيـــن ما فعل الانسان ، وما صنع الله !

لكن ، لا علينا من كل ذلك ، فالكلام فيه قد يتفرع ويتشعب ويطول ، وعلينا الآن أن نعود الى « تشريح » الارض ، بداية من « جلدها » ، حتى ننتهـــي « بقلبها » ، مع الاشارة مرة أخــرى الى أن الوصول الى هذا القلب يتطلـب منا أن نمر بواحد من اقطارهـــا ، والا لكنا ـ في هذه الحالة ـ نتهرب مما تعنيه الآية حقا ·

ولكي نوضح اكثر ، كـــان لا بد ان نشير انه بالامكان أن نبتغي في الارض نفقا قد يستمر آلاف الاميال ، وان ننفذ في هذا النفق من ناحية ، ثم نخرج من الناحية الاخرى دون أن يمسنا السوء، أو دون أن نتقابل مع شواظ من نـــار ونحاس ، ذلك أن هذا النفق قد يمتـــد

بالفعل في باطن الارض ، وعلى عمق يقدر بآلاف الاقدام ، وقد ننطلق فيه من مصر حتى نصل الى المغرب أو دول الخليج أو اي مكان على سطح الارض تشاء ، هذا لو امكن تشييد هذا النفق الطويل جدا ، والعميق جدا (أي بعمق عدة آلاف من الاقدام تحت سطح الارض » ، لكن ذلك ليس نفقا قطريا على اية حال ، حتى ولو امتد لعشرات الآلاف من الاميال ، ذلك اننا نسير في نفق محيطي ، اي يقع تحت محيط الارض او في قشرتها ، ولا يمر بقطرها ، اذ من المستحيل أن نشيد نفقا يمر بمركز الارض مهما كانت امكانياتنا وعلومنا وتقدمنا في معارفنا التكنولوجية الحالية والمستقبلة ·

نعيش فوق سعير مقيم ! :

علينا أن نبدأ أولا من سطح الارض ، ونتعمق الى داخلها من خلال نفق خيالي يمر بمركزها ، لنعرف مم تتكون، ولماذا لا ننتصر اذا أردنا لاقطارها اختراقا أو نفاذا !

فقطر الارض يبلغ ثمانية آلاف ميل ، أي أن المسافة بين سطحها ومركزها يصل الى أربعة آلاف ميل (نصف قطر الارض) ، وما بين السطح والمركز تتوالى طبقات الارض طبقة من تحت طبقة ، حتى يصل عددها الى خمسة !

وأول هذه الطبقات تعرف باسم القشرة ، ويبلغ سمكها ما بين ٢٠ الى ٤٠ ميلا ، وتتكون من صخور البازلت والجرانيت أساسا ، وهي طبقة صلبة متماسكة ، وتحت هذه الطبقة تأتي طبقة الحجاب أو الغلاف ، ويبلغ سمكها ١٨٠٥ ميل ، وهي بدورها تنقسم الى طبقتين : الحجاب الخارجي وسمكه ١٥٠٠ ميلا ، والحجاب الداخلي وسمكه ٣٠٠ ميل ، وهو يتكون من حمم ومصهورات شديدة الحرارة ، ثم يأتي ـ بعد ذلك ـ جوف الارض أو قلبها ، ويتميز أيضا الى طبقتين ، فأما الجوف الخارجي فسمكه ١٣٦٠ ميلا ، والجوف الداخلي المحيط بالمركز فسمكه ٧٩٠ ميلا !

والواقع أن أحدا لم يتعمق في باطن الارض حتى يصل الى قلبها ، أو الى الاغلفة المحيطة بذاك القلب ، لكن هذه المعلومات أمكن الحصول عليها من أجهزة رصد الزلازل ، اذ أن انهيار كتل جبارة من القشرة الارضية وسقوطها في أتون جوف الارض المنصهر يؤدي الى احداث اهتزازات أو موجات تتردد بين قلب الارض وبين القشرة ، وأنه يمكن معرفة بعض ما يجري في الباطن وطبيعته من خلال قياسات ومعادلات خاصة،أي كأنما علماء طبقات الارض هنا بمثابة الطبيب الذي يعرف العلة الداخلية من الكشف الظاهري على المريض !

لكن لا علينا من كل ذلك ، فالذي يهمنا في الموضوع أن القشرة الارضية بما عليها من جبال هائلة ، وهضاب عالية ، وقارات واسعة ، وكتل مائية يصل عمقها الى آلاف الامتار ، كل هذا وغيره يضغط على قلب الارض من الخارج، لكن هذا الضغط لا يعتبر شيئ

مذكورا بالنسبة لما يلي القشرة الارضية من طبقات ، اذ أن سمك هذه القشرة بالنسبة للارض لا يزيد عن سمك قشرة التفاحة بالنسبة لجسم التفاحة !

ان كتلة الارض تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٨٨٢ر٥ طن (أي حوالي ستة آلاف مليون مليون مليون طن) ٠٠ اذن ، فأين تروح الجبال والهضاب مهما ارتفعت بالنسبة لهذه الكتل الجبارة التي تفوق التصور؟

على اية حال ، فان كتلة هذه القشرة (والتي يبلغ سمكها ما بين ٢٠و٤٠ ميلا) لا تزيد عن جزء ونصف جزء بالمائة من الكتلة الارضية ، في حين أن طبقتي الحجاب أو الغلاف التي تليها تشكل ٨٠٪ من كتلة الارض ، والباقي للقلب ، وعلى القلب يتمركز الضغط فيرفع الحرارة الى درجات قد تهون بجوارها درجات السعير ، وكأنما ينطبق عليها القول الكريم«وقودها الناس والحجارة» ٠٠ اذ أن كل ما يهبط فيها لا يبقى على حال ٠٠ لا الحديد ولا الصلب ولا الحجارة ولا الصخور ، فكل هذا يذوب ويتحول الى سوائل لو أنها ظهرت على الارض ، لدمرت الاخضر واليابس !

محا لأن ننفذ من أقطار الارض ! :

والواقع أن الانسان الذي يدرك ما يجري في باطن الارض لا يستطيع أن يفكر يوما ـ مهما كان ذلك اليوم بعيدا ـ في النفاذ من الارض مارا بمركزها ، ولا حتى يتصور امكان حدوث ذلك مهما بلغ علمه وتكنولوجيته من تقدم وازدهار ، اذ هو ـ لا محالة ـ مفقود٠٠ مفقود ٠٠ مفقود ٠٠ مهما تسلح ببنات افكاره ، وأدوات علمه !

فكلما تعمق الانسان في الباطن زاد الضغط وارتفعت الحرارة،فما بين طبقات الغلاف والقلب يبلغ الضغط على كل بوصة مربعة ما يقدر بالضغط الناتج من عشرة آلاف طن ، وهذا يعني أن الضغط الواقع على جسم الانسان يصل الى ملايين الاطنان ، فباية قوة في الارض يستطيع الانسان أن يحمي نفسه من هذا البلاء العظيم ؟

لكن الامر لم ينته عند هذا الحد ، فلكي يتحقق المعنى الدقيق الذي تقصده الآية الكريمة ، كان لا بد أن يمر بمركز الارض ، ليكتمل بذلك نفاذه من خلال القطر او الاقطار التي ورد ذكرها ٠٠ وهناك ـ أي في مركز الارض ـ سوف تصبح الضغوط أدهى وأمر ، فعلى كل سطح من سطوح البوصة المكعبة يصل الضغط الى عشرين الف طن ويزيد ، وهذا ما لا قبل لاحد به ٠٠ لا في الحقيقة ، ولا في الخيال !

ومع ذلك دعنا نفترض ـ مجرد فرض ـ أن الانسان قد صنع لنفسه كبسولة خيالية ليمر بها داخل هذا الجحيم مخترقا أقطاره ، ودون أن تتهشم تحت ذلك الضغط الرهيب ،عندئذ سوف يتحول ـ في التو واللحظة ـ الى ذرات متناثرة ، فلا يبقى فيه ذاك الجحيم ولا يذر ، اذ أن حرارة هذا الاتون المنصهر تتراوح ما بين ٢٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ درجة مئوية ، ويقال انها قد تصل الى ستة آلاف درجة مئوية ـ اي قريبة من درجة الحرارة عند سطح الشمس ، وهذا ما لا يمكن ايضا تصوره ـ مجرد تصوره ، فاحيانا ما يصيب القصور عقولنا وخيالنا ، فلا نكاد نعرف في مثل تلك الامور رؤوسنا من ارجلنا ٠٠ «وكان الانسان اكثر شيء جدلا » !

« وأخرجت الارض أثقالها »!

وقد يتفلسف الانسان ويجادل ويقول : لكن ما يدرينا ان كل هذه المعلومات صحيحة ما دمنا لم ننفذ من أقطار الارض ، ولم تقع عين من قبل على محتوياتها ؟

على الذي يريد أن يتفلسف ويتأكد ، أن يذهب الى بركان ثائر ، وأن تأتيه الشجاعة لكي يقف في طريق المصهورات المعدنية التي تنطلق على الارض كجحيم لا قبل لاحد به ، وعندئذ لن يتفلسف بعدها أبدا ، ولن ينطق أبدا ، لانه سيتحول الى غازات ودخان في غمضة عين ، أو ربما أقصر اذ أن درجة حرارة المصهورات قد تصل الى أكثر من ١٤٠٠ درجة مئوية ،وهذه أبرد من جوف الارض بأكثر من ثلاث مرات !

والواقع أن المصهورات والحمم التي تخرج من باطن الارض هي « القيء » الحقيقي الذي ينبئنا بما فيها ، وربما كان ذلك المقصود بالآيات الكريمة « اذا زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أثقالها ، وقال الانسان مالها ، يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها » ٠٠

وقد يقول قائل : ان هذا الوصف ينطبق على يوم القيامة ، والذي يعتقد في ذلك قد يكون على حق ، والذي يعتقد في الشمول القرآني هو أيضا على حق، فلبعض الآيات ظاهر وباطن ، كما أن ما تنطوي عليه من معان تساير درجات التفكير عند الانسان ، بمعنى أن كل واحد منا ينهل من هذه المعاني بقدر ما

جمع وحصل من علوم دينه ودنياه ٠٠
والوحي للارض ، كالوحي للنحل ، كالوحي للسماوات ٠٠ الخ ، فكل نظام من هذه النظم يوحي اليه بما فيه صلاحه وصموده ، والارض بلا شك واقعة في ضنك شديد ، وقد ينسفها هذا الضنك نسفا ، وكان لا بد من شيء يخفف عليها ضنكها ، فكانت الزلازل والاثقال (الحمم) التي تخرج من جوفها ، وفي كليهما تحدثنا الارض بأنبائها ، فنستنبط الوسائل والاجهزة والمعادلات لنعرف المزيد من هذه الانباء ، ولندرك ما غم علينا من أمورها التي أوحى الله فيها نواميسه بالحق والميزان . حتى تتوازن الارض بما فيه صلاح الحياة !

على أية حال ٠٠ لقد سقنا هذه المعلومات القليلة لنضع أمام الناس معنى الاقطار التي قصدها القرآن الكريم وهي التي يضلل بها المضللون عن غير علم ، وما يضلون الا أنفسهم ، فاذا استطاعوا أن يقدموا دليلا واحدا على امكان النفاذ من أقطار الارض بما فيها من أهوال وأخطار ، فنحن منتظرون أدلتهم . وها هو ذا واحد من أساطين علماء طبقات الارض ـ دكتور أرثر بيزر ـ يقول بالحرف الواحد « ان ولوج الانسان الى باطن الارض شيء لا يمكن تصديقه ولا تخيله . اللهم الا في الروايات الخيالية » !

وماذا عن اقطار السماوات اذن ؟

آه ٠٠ لهذه دراسة أخرى قادمة ، لنعلم ما لم نكن نعلم . وما أكثر ما لا نعلم ٠٠ « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ٠
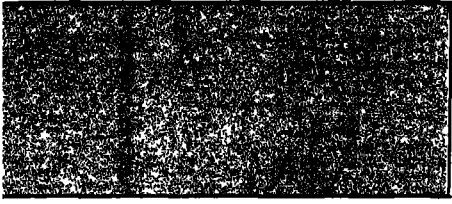
تفسير آية :

قال بعض المفسرين في قوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» ·

انما خص هذه الاعضاء بالذكر دون غيرها ، لان السائل اذا جاء الى رب المال تغير وجهه ، فيساله ثانيا فينحرف بجنبه ، فيساله ثالثا ، فيوليه ظهره ·

وقال الرازي : ظاهر الآية انهم يكوون بجميع المال ، لا بقدر الزكاة فقط لتعلقها بالجميع ·

القرآن والحديث القدسي :

قال الكرماني ، في أول كتاب الصوم: القرآن لفظ معجز ونزل بواسطة جبريل عليه السلام ، والحديث القدسي غير معجز واوحي بدون واسطة ، ومثله يسمى بالحديث القدسي والالهي والرباني ·

والفرق بين الحديث القدسي وسائر الاحاديث ، أن القدسي مضاف الى الله تعالى ـ ومروي عنه بخلاف غيره ، فانه لا يضاف الى الله تعالى ـ ولا يروى عنه ، او ان القدسي ما يتعلق بتبرئة ذاته ـ سبحانه ـ وصفاته الجلالية والكمالية ·

والاحاديث القدسية كما يقول ابن علان الصديقي في « دليل الصالحين » أكثر من مائة حديث ، جمعها بعضهم في جزء كبير ، وليس للاحاديث ما للقرآن من أحكام ، كحرمة حمله ومسه على المحدث ، وقراءته على الجنب وبيعه في رواية عن أحمد ، وكراهته عند الشافعية وحصول الثواب على كل حرف لقارئه بعشر حسنات وغير ذلك · والحديث القدسي يروى كما يلي :

١ ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : ···· وهي عبارة السلف في رواية الاحاديث القدسية ·

٢ ـ قال الله تعالى ـ فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

والمعنى واحد ·

دلالة آية :

قال الرازي : دلت الآية « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » على أن الاستغفار أمان من العذاب ·

وقال ابن عباس : كان فيهم امانان : الرسول والاستغفار ، اما الرسول فقد

مضى ، وأما الاستغفار فباق ٠

وأما قوله تعالى « وما لهم الا يعذبهم الله » ٠ اي في الآخرة بخلاف عذاب الدنيا ، فقد دفعه الله عنهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ٠

اضافة الولد الى الزوجة :

قال تعالى « وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة » ٠ قال القرطبي في تفسيره وجود الولد من الزوجين ، انما اضافه الى الزوجة لانه يخرج منها كاملا ، ويخرج من الاب نطفة لا قيمة لها ، ومثل رجل اكل تمرا في ارض غيره فسقطت منه نواة فصارت نخلة فانها لصاحب الارض باجماع الامة ٠

اي أن المرأة مثل تلك الارض ، وفي هذا تكريم للمرأة اي تكريم !

تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم :

دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فارتعد من هيبته فقال له « هون عليك ، فانما انا ابن امراة كانت تاكل القديد » ٠ قال الماوردي في «آداب الدنيا والدين » : أراد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك حسم موارد الكبر وقطع ذرائع العجب ٠

وفي كتاب شرف المصطفى : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، أمر أصحابه في سفر بذبح شاة فقال رجل : علي ذبحها ، وقال آخر علي سلخها ، وقال آخر علي طبخها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وعلى أن أجمع لكم الحطب » ٠

جار السوء :

ذكر ابن الجوزي : أن رجلا قال : يا رسول الله ان لي جارا يؤذيني ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انطلق واخرج متاعك الى الطريق » فانطلق الرجل فاخرج متاعه ، فاجتمع الناس اليه فقالوا له : ما شأنك ؟ قال : لي جار يؤذيني : فجعلوا يقولون : اللهم العنه ، اللهم اخزه ، اللهم اخرجه !

فبلغه ذلك فاتاه وقال له : ارجع الى بيتك فوالله لا أوذيك بعدها ٠

سؤال العافية :

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة » ٠ قالوا فما نقول ؟ قال : « اسألوا الله العافية في الدنيا والآخرة » رواه الترمذي وحسنه٠

منذ وقت بعيد وعلى ألسنة عدد من العلماء والباحثين المسيحيين تتردد الدعوة الى اعلان بشرية المسيح وبنوته للخالق تبارك وتعالى ، ومعارضة ما تردده التفسيرات المسيحية التي تتحدث عن ما يسمى بألوهية السيد المسيح .. ولقد ظلت هذه الدعوة خافتة حتى جاءت ظاهرتان خطيرتان في الايام الاخيرة ، احداهما ذلك الكتاب الذي صدر في باريس تحت اسم :

« أسطورة تجسيد الله » ، والذي كتبه سبعة من كبار رجال الكهنوت ، يعلنون فيه انكار الوهية السيد المسيح ويقرون ببشريته فقط . أما الامر الآخر ، فهو تلك المخطوطات التي اكتشفت في كهف « قمران » والتي تثبت ان السيد المسيح نبي مرسل من عند الله ، وليس الها ولا ابن الاله ، وانما هو بشر اختاره الله تبارك وتعالى ، واصطفاه بالنبوة وأرسله لبني اسرائيل .

بقلم : مسلم

وترجع نسبة الاريوسية الى أريوس الاسقف المصري، الذي عارض محاولات تفسير الديانة المسيحية ونسبتها الى مفاهيم قديمة بالتثليث أو ما يسمى « بالطبيعة المزدوجة » ، وكلها مذاهب وفلسفات قديمة كانت قبل المسيحية ، وكان ان اقتبسها بولس في تفسيراته للمسيحية ، وبها نقلها من الديانة الربانية السماوية الى ديانة بشرية ، ويقرر الاستاذ رشعه سليم الخوري في وصيته (تموز ١٩٧٧) ، أن الكنيسة المسيحية ظلت حتى القرن الرابع الميلادي تعبد الله على أنه الواحد الاحد، وأن يسوع المسيح عبده ورسوله حتى تنصر قسطنطين عاهل الروم وتبعه خلق كثير من رعاياه اليونان والرومان ، فادخلوا عليها بدعة التثليث . وجعلوا لله سبحانه وتعالى أندادا شاركوه منذ الازل في خلق السموات والارض وتدبير الاكوان ، ومالاهم الاسقف الانطاكي مكاريوس الذي لقب نفسه ارثوذكس ، (أي مستقيم الرأي) ، فثار زميله الاسقف آريوس على هذه البدعة ثورة عنيفة ، شطرت الكنيسة واتسع بين الطائفتين نطاق الجدل حتى أدى الى الاقتتال ، فانعقدت المجامع للحوار وفاز اريوس بالحجة القاطعة فوزا مبينا · بيد أن السلطة التي هي أصل البلاء ، وضعت ثقلها في الميزان فأسكتت صوت الحق ونفذت الباطل ، واستمر المسيحيون يعمون في ضلالتهم والحق يتململ في قيده منتظرا اريوسا جديدا يعيده الى نصابه ··

وكانت صيحة الشاعر القروي ، تتمثل في قوله « لكم أتمنى وأنا الارثوذكسي المولد ، أن يكون هذا الاريوس بطريركا ارثوذكسيا بطلا ، ليصلح ما أفسده سلفه القديم ، ويمحو عنا خطيئة ألصقها بنا غرباء غربيون ، ولطالما كان الغرب ولا يزال مصدرا لمعظم عللنا في السياسة ، وفي الدين على السواء » ·

هذه هي صيحة الضمير التي هزت من الاعماق ، كثيــرا من المسيحيين المثقفين والعلماء ، وفي مقدمة هــؤلاء الخمسة ، نفر من رجال الكهنوت الذين أصدروا كتابهم الذي هز الحياة الفكرية والاجتماعية في أوربا هزا عنيفا ٠ اذ أن هذه الصيحة انما جاءت بعـــد ارهاصات كثيرة متعددة ، سبقهـــا ظهور فئة من رجال الدين في اليونـــان ترفض القول بألوهية المسيح ٠

وسبقها ظهور كتاب لاستاذ في جامعة « السربون » ، هو الاستاذ شـــارل كينيير ، وسبقه ما أعلنه القس دافيد ادواردز ، من كنيسة وستمنستر ٠ أما هؤلاء الخمسة ، ففي طليعتهم القـس موريس ولز ، رئيس لجنة المعتقدات في كنيسة انجلترا ، وأستاذ الالهيات في جامعة اكسفورد ، وكلها تتبنـى الرأي الاسلامي القائل بان السيد المسيح لم يتخذ لنفسه طابع الالوهية ، وانما جعل الها فيما بعد بتاثيرات وثنية في أوائل القرون الاولى للمسيحية ، وتقرر هذه الآراء في مجموعها كما لخصها الدكتور معروف الدواليبي ، بأن القول بالوهية المسيح وبالتثليث وبأنه ابن اللــه ، لم يعرف شيء من تلك في حياة المســيح نفسه ، وتجزم هذه الآراء في مجموعها بان القول بأن المسيح ابن الله وانه اله وانه واحد من ثلاثة ، انما هو صـــورة للعقائد الوثنية في الهند والشـــرق الاقصى ، نقلت الى اوربا وخاصــة الى روما في هجرات الشعوب « الهندو أوربيـــة » ، ثم أدخلت في عهـــد الامبراطورية الرومانية على الديانـــة المسيحية ، لتحل في شكلها الجديد محل عقيدة التثليث في عقائد روما الوثنيـة من غير تبديل الا في الاسماء ، وهذا هو ما سهل على الروم بعد ذلك قبـــول المسيحية في نفس روما الوثنية من غير تبديل الا في الاسماء وهذا هو ما سهل على الروم بعد ذلك قبول المسـيحية في نفـس شـكل الوثنيـة عندهـم ، وكل ذلك كان مجهولا في بلاد المسيح خاصة ، وقد أرسل المسيح الى بنـــي اسرائيل ولم يكن لديهم حينذاك شيء من ذلك بل كانوا موحدين » ٠

(٢)

فاذا أضفنا الى هذه الظاهرة ظاهرة اخرى أشد قوة ، هـــي أن مخطوطـات قديمة ظهرت فجاة في كهف قمـــران ، وكلها تؤكد بشرية السيد المسيح،وتنفي عنه الالوهية ، وأن هذه المخطوطـــات مكتوبة في القرن الاول للسيد المسيح ، عرفنا الى حد ـ يتجلى اليــوم ـ هذه الحقيقة التي ظلت مطموسة أكثر مـــن ستة عشر قرنا ، أي منذ عقد مؤتمـــر نبقة عام ٣٥٠ ميلادية ، وقرر أن السيد المسيح اله وابن اله مخالفا بذلك كـل النصوص والوثائق والكتـب الموجودة

في ذلك العهد ·

ولقد كان من أخطر الاحداث ، ذلك الكشف الاثري الخطير الذي وقع عام ١٩٤٧ ، على شاطيء البحر الميت ، عندما عثر أحد البدو حينما ضلت عنزاته ، فاهتدى في احد الكهوف على تلك الجرار الغريبة التي تشتمل على مخطوطات دينية أذهلت العالم المسيحي بأسره ، وقد أطلق عليها كشوف شاطيء البحر الميت ، أو خربة قمران التي تقع جنوب مدينة اريحا (ثمانية أميال) · وقد عرف من بعد ، أن هذه الكتابات مما لا يقدر بثمن ، لانها ألقت الضوء على مرحلة خطيرة من تاريخ المسيحية وتاريخ السيد المسيح نفسه ، التي كتبت قبل مولد السيد المسيح بسنين طويلة ، وقد أسرعت بعثات الجامعات والفاتيكان الى الحصول على هذه الملفات او أجزاء منها ، وأنفقت الحكومة الاردنية خمسة عشر ألف دينار في سنة واحدة لشراء هذه المخلفات الاثرية العظيمة ، وقد أجريت فحوص دقيقة على هذه المخطوطات من قبل مؤتمر للمستشرقين عقد في باريس ، أثبتت فيها أنها وثائق حقيقية لا زيف فيها ولا تلاعب ، وقد وصفها واحد من أعظم علماء الآثار من المتخصصين في آثار التوراة ، هو الدكتور البرايت من الولايات المتحدة بقوله :

« انها أعظم اكتشاف للمخطوطات في العصر الحديث ، وأفضل تاريخ يمكن أن تكون قد كتبت فيه هو مائة سنة قبل الميلاد بالحساب التقديري المعروف الآن » · وقد تبين كما يقول الدكتور صبحي الدجاني : ان هذه الملفات كتبت بأيدي كتبة في « دير الاسينيين » ، الذي ما زالت خرائبه وأطلاله وبقاياه بادية للعيان الى يومنا هذا ، على مقربة من الكهف الذي اكتشفت فيه أول مجموعة من هذه الملفات · هؤلاء الاسينيون ،كانوا طائفة يعتقدون أنهم ورثة عهد النبوة ، وكانت طقوسهم وتعاليمهم وثيقة الصلةبتعاليم الدين المسيحي ، وقد أودعوا جميع ما عندهم من ملفات في الكهوف ، عندما فروا ليأمنوا شر الاضطهاد الروماني الذي كان واقعا عليهم في ذلك الحين · ويقول العلماء ، ان السيد المسيح عليه السلام ، ربما يكون واحدا من هؤلاء الاسينيين ، وانه كان متأثرا الى حد بعيد بطقوسهم وعقائدهم · وكان الاسينيون يعتبرون ثروتهم حصة مشتركة بينهم ، وانهم يعتقدون بخلود الروح ، وتتحدث نصوصهم عن واحد منهم يعلو عليهم كثيرا ويسمونه « السيد الاكبر » المدهون بالزيت ، أو المسيح الذي اختاره الله ، وتتحدث وثائق الاسينيين الذين كانوا يقيمون في الدير على مقربة من البحر الميت ، انهم كانوا يشعرون بتسام روحي ، له شكر موجه الى الله تبارك وتعالى الواحد الاحد ·

وتتحدث الوثائق عن حياة هذا السيد بما يشبه حياة السيد المسيح ، وقد استقرت في الاذهان فكرة مؤداها أن هذا السيد أو المعلم هو الذي

و

كان ينزل عليه الوحي · ويقول (ج· ل· تيتشر) أحد أساتذة كمبردج ، انه في احد المراجع الاساسية في ملفات البحر الاسود : ان معلم البر والتقوى الذي يتحدث عنه الاسينيون ، هو نفسه يسوع المسيح ولا أحد غيره · ويقول جون كلارك ، صاحب بحث ضافعن الوثائق انه من الممكن أن المسيح قد عاش قبل مائة سنة قبل التاريخ الذي أجمع الناس عليه حتى الآن ، وان في ذلك جواب مقنع للذين طالما أعربوا عن شكوكهم في الادلة التاريخية الواردة عن مولد السيد المسيح لانها قليلة ومليئة بالمتناقضات·

ويقول ابراهيم مطر ان هذه المكتشفات قد اقتضت دراسة استمرت سنوات طويلة ولا تزال . ويعتقد العلماء أنه نزحت جماعة من الناس المحبة للعزلة الى تلك التلال الواقعة بجوار البحر الميت ، فرارا من المدن الصاخبة ، سكنت هذا الغور المقفر عند طرف الصحراء الموحشة . فالتجأت الى نظام رهباني شديد وحياة مشتركة شاملة ·

وقد هزت هذه المكتشفات الاوساط المسيحية والغربية ورجال الآثار ، حيث وجدت أدراج وأطمار ومخطوطات متنوعة وقطع من النقود الوفيرةوالاواني المطبخية والجرار الفخارية ، كما عثر على مختلف أسفار العهد القديم ما عدا سفر (استنير) ، فضلا عن بضعة آلاف من المخطوطات المنوعة ذات القيمة التاريخية والاثر العظيم ، وجملة القول أن كشوف كهف قمران تؤكد وجود السيد المسيح البشر النبي المرسل الى اليهود ·

وقد استتبع هذا الكشف ، هجرة عدد من علماء اللاهوت المسيحيين لدراسة هذه المخطوطات ، وقد نشرت مجلة (تايم) ، في عددها المؤرخ ـ ١١ نوفمبر ١٩٦٦) ، بحثا مطولا تحت عنوان (انقلاب او ثورة اجراها القس المسيحي ستار بايك) ، وقد صدرت غلاف المجلة صورته ـ وهو قس أمريكي قالت المجلة انه يتسم لا بالجمود الفكري ولا بالجمود العقائدي بل بالبحث عن الحقيقة ـ وكان قد ذهب بعد ذلك وفقد هنالك · وألفت زوجته كتابا في البحث عنه . ويقول الاستاذ محمد عزه دروزه : ان البحث قد كشف عن ان فرقا من النصارى ظلت محافظة على عقيدة التوحيد ، وظل لبعضها اتباع كثيرون حتى أواخر القرن السادس الميلادي ، ثم انقرضت كلها بعد ذلك بسبب اضطهاد الدولة الرومانية بعد ان قضت على عقيدة التوحيد واعتنقت عقيدة التثليث رسميا في مؤتمر نبقة ٣٢٥ · ومن اهم هذه الفرق

(الاريسيون) ، وهم أتباع أريـــوس واليه ينسبون ، والمعروف أن أريـــوس كان قسيسا في مدينة الاسكندريــــة في أوائل القرن الرابع الميلادي ، وكان داعيا قوي التاثير في سامعيه ، واضح الحجة جريئا في المجاهرة برأيــه ، وقد قـاوم وقتئذ ما ذهب اليه بطريرك الاسكندرية (مكاريوس) ، من القول بالوهيـــة المسيح وبنوته لله ، اذ قام اريوس يقرر ويعلن ان المسيح ليس الها ولا ابنا للاله، وانما هو بشر مخلوق ورسول اللـــه ، وأنكر كل ما جاء في جميع الكتب الاربعة (أناجيل متي ومرقص ولوقا ويوحنا) وما الحق بها من رسائل ٠

وهناك فرقة ميلتوس ، وكان قسيسا في كنيسة أسيوط ، يرى ما يـــــراه الاريسيون من أن المسيح عليه السلام ليس الها ولا ابنا للاله ، وانما هو بشر رسول ومخلوق ٠

وقد ذكر ابن البطريق في تاريخــه وهو من رجال القرن الثالث الهجري ، وكان من مترجمي الخليفة المامون قـال في بيان مذهب اريوس : انه كان يقول ان الاب وحده هو الله ، وان الابــن مخلوق مصنوع ، وقد كان الاب حينمـا لم يكن الابن ٠ وقد تبعـــه مشايعون كثيرون ، وكانت كنيسة أسيوط علـى هذا الراي وعلى رأسها ميلتوس ٠وكان أنصاره في الاسكندرية نفسها ، وتبعه خلق كثيـــر في فلسطين ومقدونيـــة والقسطنطينية ، وحكم عليه بالطرد من الكنيسة في مجتمع نيقة ٣٢٥ ، وتكفيره بعد أن أصـــدر ذلك المجمع قــراره بألوهية المسيـــح ٠ وهناك بولـــس الشمشاطي ، تحدث عنه ابن حزم في كتابه « الفصل بين الملل والنحل » ،وكان يقول « وان عيسى عبد الله ورسولـــه كأحد الانبياء عليهم السلام ، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر ، وانـــه انسان لا الهية فيه » ٠ وقد أشار القرآن الى تلك الفرق النصرانية التي حافظت على عقيدة التوحيد النقي وانقرضــت قبل ظهور الاسلام ، واثنى عليها القرآن وحكم بنجاة أفرادها من العذاب :

« ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر » الآية من سورة آل عمران : ١١٢ـ١١٣ ٠

« ان الذين آمنوا والذين هـادوا والنصارى والصابئين من آمن باللـــه واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم » الآية من سورة البقرة:٦٢ ٠

« وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان اللـــه سريع الحســـاب » الآية من ســـورة ال عمران : ١٩٩ ٠

وقد اثبتت الابحـــاث الجاده انــه بتقليب « الكتاب المقدس » ، يتبين أنه لا يوجد به أي شيء من عقائد النصارى الحالية ، اي لا يوجد فيها قصص الاب والابن والثالوث ، والوهيـــة المسيح وصلبه أو موته وقيامته ، أو المعمودية بمفهوم النصرانية للغفران من خطيئـة

آدم ، أو ما يشير الى اتحاد الابن الازلي بالاب ، أو ما شابه ذلك » ·

وان عقائد النصرانية المشار اليها ، لا توجد في اقوال المسيح ولا في أقوال تلاميذه الذين آمنوا به وسمعوا عنـــه تعاليمه ، مما يعتقد معه أن مسائـــل التثليث وتأليه المسيح وتأليه روح القدس امور لا أصل لها في كتـــب الله وفي جوهر الديانة ، ولكنها أمور مخترعة ، بعضها اخترع بمعرفة بولس : الـــذي كان عدوا للمسيح واتباعه في أول أمره، كما أن المسيح لم يختره من تلاميذه ، فضلا عن أنه لم ير المسيح ولم يسمع عنه مواعظه · وبعض الامـــور اخترع بمعرفة آباء الكنيسة ومجامعها المسكونية في القرون التاليـــة للمسيحية ، وان بشارات الانبياء التـــي أعلنت مجيء المسيح في العهد القديم ، ما ذكرت عنه الا كونه نبيا من البشر دون أي اشارة الى أنه سيقتل أو يصلب ·

وتقول دائرة معـارف لاروس : ان تلاميذ المسيح الاولين الذيـــن عرفوا شخصيته وسمعوا قوله ، كانوا أبعـــد الناس في الاعتقاد بأنه أحد الاقانيـــم الثلاثة المكونة لذات الخالق ، وما كـــان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكبر من رجل يوحي اليه من عند الله ، وأشار هربرت ولز الى أن هذه المبـــادىء والشعائر موضوعة ولا سند لهـــا في الاناجيل ، ومن العسير أن نجد أيـــة كلمة تنسب فعلا الى المسيح ، فسر فيها مبادىء الكفارة والفداء ، أو حض فيها اتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء رباني ·

ويقول ان كلمة · « أقنـــوم » ، لا وجود لها حتى في تلك الاناجيـــل أو الرسائل الملحقة بها ، بل ولا في العهد القديـــم ·

وقد كشف الباحثون بما لا يدع مجالا للشك ، بأن المطلـع على الاناجيل الثلاثـــه الاولى المنسوبة الى متي ومرقـــص ولوقا يجد أنها لا تحـوي أي اشارة عن التثليث أو ألوهيـــة المسيح ، أو ألوهية روح‌القدس أو عقيدة الفداء (وهي تجسد الابن ، وتظهره بمظهر البشر ليصلب تكفيرا لخطيئة آدم) ، كما يزعمون ·

وأما ما جاء في ألوهيـــة المسيح فقد جاء بانجيل‌يوحنا، وهذا الانجيل لا يسلم بـــه محققو النصرانية ، فعلمـــاء النصرانية في أواخر القـــرن الثاني الميلادي ، أنكروا نسبة هذا الانجيـــل الى يوحنـــا الحواري ، وهذا يقطـــع بأن الانجيل المنسوب الى يوحنـــا مزور النسبة الى يوحنـــا

الحواري ٠

وقال العالم استاولن ، في العصور المتأخرة (لعله صاحب كاتلك المجلد ٧ المطبوع ١٩٤٤) ان كافة انجيل يوحنا ، تصنيف احد طلبة مدرسة الاسكندرية في ذلك الوقت : تلك المدرسة التي اعتنقت مبادىء الثالوث والوهية المسيح والروح والقدس وبشرت بها ، جاء ذلك في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تاليفها ٥٠٠ من علماء النصرانية ما نصه اما انجيل يوحنا فانه لا مرية ولا شك كتاب مزور ٠٠٠ يقول ، اكهارن ، في مقدمة ابحاثه ، ان كثيرا من العلماء كانوا شاكين في الاجزاء الكثيرة من اناجيلنا ، لذلك كان من التجوز اضافة مجموع العهد الجديد الى الله أو الى المسيح ، بل انه يضاف الى مصنفه فقط كما يقال حاليا، انجيل كذا ورسالة كذا ٠

كذلك فان المسيح ما جاء أساسا الا لشعب اليهود ، يدعوهم الى عبادة الله وحده ، والى ترك ما هم فيه من شرور وآثام ، وقد ورد في (انجيل متى اصحاح ١٥) ، لم أرسل الا الى خراف بني اسرائيل الضالة ٠ وقد دعا المسيح تلاميذه الاثني عشر الى تبشير بني اسرائيل فقط ، لذلك لم تكن رسالة المسيح الا رسالة قومية يهودية أي لقومه من اليهود ، وليست رسالة عالمية ، كما يزعم الرهبان والقساوسة حاليا ، بل ان هذا من مخترعاتهم التي لا اساس لها ٠ والاشارة السابقة تؤكد هذا النظر ، ذلك أن هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا ٠ الى طريق أم لا تمضوا ، والى مدينة ليسامريين ! تدخلوا ، بل اذهبوا بالجري الى خراف بيت اسرائيل الضالة ، وقد حسم القرآن الكريم الموقف في قوله تعالى (ورسولا الى بني اسرائيل) ٠

وقد أدلت مجلة تايم (فبراير ١٩٧٨ بحثا هاما اشتغلت به دوائر جامعات وكنائس العالم العربي ، وهو ٠ ظاهر الدعوة الى انسانية المسيح أو بشرية المسيح ، والمعارضة لالوهية المسيح مقالت ان موجة الرفض لفكرة الوهية السيد المسيح ، أو ازدواج طبيعته تزداد قوة وانتشارا في أوساط المفكرين اللاهوتيين ، سواء في الجامعات او في الكنائس العربية ، وهؤلاء الرافضون يعلقون انه لا توجد في الانجيل ، ولم يثبت عن السيد المسيح القول بالوهيته ويؤكدون أنه عليه السلام بشر عادي وتقول مجلة تايم ٠ ان هؤلاء الرافضين يمثلون مجموعة دولية تطالب الكنيسة الكاثوليكية باتخاذ موقف شجاع في هذه القضية ٠

فاذا عرفنا أن مخطوطات كهف قمران ، قد أهيل عليها التراب بعد قليل وحجبت عن البحث الحر ، ومات القس الذي ذهب الى هناك ، ولم يستطع أحد التوصل الى شيء ، عرفنا الى أي مدى تحاول دوائر الغرب مواجهة الموقف على طريقة النعامة التي تدفن رأسها في الرمال ، ولكن الى متى ؟ ماذا اضفنا الى هذا كله ما أعلنه دكتور بوكاي في كتابه عن زيف النصوص الموجودة في العـ

القديم عن خلق الكون وغيره ، عرفنا الى اي حد تتهاوى هذه الكتب . ذلك ان الكتب القديمة تواجه تحديا خطيرا نتيجة بروز منهج العلم والبحث العلمي القائم على التجربة والنظر والمقارنة ، وقد جاءت الكشوف الاثرية في السنوات الاخيرة فكشفت عن زيف كثير من دعاوي الصهيونية عن ابراهيم واسماعيل ، وتجاهلها وحجبها لرحلتهما الى الحجاز واعادة بناء الكعبة ٠

ويقول رودلف بولتمان استاذ علم اللاهوت في جامعة ماربورج (المدينة الالمانية العتيقة) ان العهد الجديد (اي الانجيل) ، يجب ان يجرد من العناصر الميثولوجية (الاسطورية) ، التي فيه اذا كنا نريد لهذا الكتاب المقدس ان يعني شيئا حقيقيا ما بالنسبة الى الرجل العادي اليوم . ويقول ان عالم الاناجيل تبدو في نظر الرجل المعاصر مختلفا عن عالمنا اختلاف المريخ عن الارض ، فالكون في العهد الجديد اشبه ما يكون ببيت مكتظ ٠ ويقول ان لغة الميثولوجيا التي كانت ذات مغزى في أيام العهد الجديد ، والمستمدة في الدرجة الاولى من الغنوصية الاغريقية والرؤية النهوية (كرؤيا يوحنا وما اليها) ،

ويعتقد اننا لو توقعنا من العصريين من الناس الايمان بذلك كشيء حقيقي ، يكون توقعنا هذا عملا أحمقا ٠

وهكذا نرى أن البحث العلمي الغربي أصبح ينظر الى الكتاب المقدس من كل النواحي ، التاريخية والاثرية والعلمية، نظرة مغايرة لنظرة التسليم القديمة التي كانت تقوم على الايمان أولا ثم التفكير ثانيا ، وهنا يبرز مدى الخلاف بين القرآن الكريم الذي يقوم على البرهان والدليل وتقديم سنن الله في الكون والامم والحضارات ، والتأمل في خلق الله والنظر في الكون لتكون وسيلة الى الايمان بالله ، دين هذا الاسلوب ٠

ومن هنا نرى أن الشاعر القروي : رشيد سليم خوري ، قد تفتح قلبه على هذه المعاني وقال : انه كان ينوي اعلان اسلامه ولكنه رأى أن يقوم بدور هام في المسيحية ، يكون قد قدمه لاخوانه أدباء النصرانية ، وتلك عبارته : وهو أن أصحح خطأ طارئا على ديننا ، قررت أن تكون الخطوة الاولى في ايقاظ (الاريوسية الموحدة) من رقادها الطويل ، حتى تزول العقبة المفتعلة بين الاسلام والنصرانية ٠ وقال اني أعلن عزوفي عن أرثونكسيتي الى الارثوذكسية الاريوسية ، ومطالبة الارثوذكسية بالعودة الى أصلها التوحيدي الفطري ، الى الجناح الذي كان يمثله « آريوس » الذي رفض التثليث ، ويقول :

لكم اتمنى انا الارثونكسي المولد ، أن يكون هذا الاريوس

بطريركيا ارثوذكسيا بطلا ، ليصلح ما أفسده سلفه القديم، ويمحو عنا خطيئة ألصقها بنا غرباء غربيون ، وطالما كان الغرب ولا يزال مصدرا لمعظم عللنا في السياسة وفي الدين على السواء ٠

هذه الاريوسية التي ذكرها الشاعر القروي ، والتي تتردد الآن على ألسنة الباحثين اللاهوت . هي التي أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه الى قيصر الروم ، حين وجه اليه الدعوة الى دخول الاسلام ، حين قال : « فان أبيت فعليك اثم الاريسيين » ٠وقد وقد حاول مفسرو الحديث تفسيرها فقيل ، انهم العشارون أو الاكارون أي، الفلاحون أو الحراثون ، وقيل الضعفاء والاتباع أو أهل المكوس ، وبمراجعة كتب الرسول صلى الله عليه وسلم الى المقوقس وكسرى والنجاشي ، نجد أن العبارة ترد هكذا : والا فعليك اثم القبط، اثم المجوس ، اثم النصارى من قومك ٠

فهي تحمل الملوك تبعة أهل دينهم . ولم يرد فيها أي ذكر للفلاحين او الاكاريين، وهكذا وصل الدكتور الدواليبي الى ان الخطاب حمل هرقل تبعة أهل دينه وخاصة الاريسيين (اتباع أريوس) . ممن ثبت انهم كانوا الفئة الغالبة لدى الروم ، وانهم كانوا يؤمنون ببشرية المسيح وينكرون الوهيته ، والتثليث والحلول ، وانهم كانوا يكرهون على القول ضد ذلك والا فالقتل والتنكيل والتحريق لهم ولكتبتهم ومعابدهم ، وهي تعني في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ان في رهط هرقل فرقة تعرف بالاريوسية ، فجاء النسب اليهم كما أورده ابن الاثير حين قال : « قوله »

الاريسيين هو جمع أريسي وهو منسوب الى اريس بوزن فعيل ٠ وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، خبر اريوس عن كتب النصارى انفسهم حينذاك ، كما قال : « ان التابعين لاريوس والقائلين بمقالته قد سموا اريوسيين » ، مشتقا من اسمه ، وكان اريوس من كبار رجال النصرانية من أهل الاسكندرية ولد ٢٨٥ ، بعد الميلاد وتوفى ٢٢٦ ميلادية ، وكان معاصرا لقسطنطين قد وقف بكل قواه ضد قرارات المجمع المسكوني الاول ، الذي دعا اليه قسطنطين ، والذي تبنوا فيه « وثنية » روما في شكل مسيحي ، في اجتماع لرجال الدين ، ضم نحوا من الفين وخمسمائة رجل ، حيث رفضت اناجيلهم التي بلغت المائة ، ومنها انجيل الحواري « برنابا » ، ولم يقبل منها غير الاربعة المعروفة اليوم ، والمقبولة فقط من قبل نحو مائتين من أصل الحاضرين الذين بلغ عددهم نحوا من الفين وخمسمائة رجل ، وهكذا ولدت الديانة الجديدة الكاثوليكية منذ ذلك التاريخ في مطالع القرن الرابع بقرار من نحو مائتين من كهنوت الروم مدعمين بسلطة قسطنطين ، ولم يسمح بعد ذلك بالاعتماد على واقع المسيحية وتاريخها و

السابقين أو على احد اناجيلها الباقية والبالغة « ٩٦ أنجيلا » · وقد عارض اريوس بكل عنف قرارات المجمع المسكوني بألوهية المسيح وبعقيدة التثليث . معلنا بشرية المسيح . مجاهرا بان الله واحد ومنزه عن الحلول باحد وقد هزت وقفته الجبارة هذه الامبراطور قسطنطين نفسه . لذلك عقد المجمع الثاني ممن قالوا بالوهية المسيح والتثليث وبنوة المسيح لله فقط . ليناقشوا اريوس فيما يدعو اليه ولكن اريوس ظل كالطود في عقيدته . فحكموا عليه بالكفر والنفي واخذوا ينكلون بمن كان يقول بقوله . ويحرقون اناجيلهم وكنائسهم ، حتى ارغموا الناس على التظاهر بقبول العقيدة الكاثوليكية ، وقد كان في الامبراطورية الرومانية ثلاثة بطاركة في « استنبول » وانطاكية والاسكندرية . وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية عن كتبهم في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، فقال · انه كلما عين الامبراطور بطرقا على هذه المدن الثلاث ، لا يلبث أن يظهر لهم انه « اريوس) ، فيقتل أو يطرد ، وينكل به وباصحابه · حدث هذا وظل مستمرا حتى جاءت دعوة الاسلام ، وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم الى هرقل ، يقول . « فاني أدعوك بدعاية الاسلام : أسلم تسلم فان توليت فعليك اثم الاريسيين » · وهكذا ارتفع صوت رسول الاسلام لحماية الاريسيين من مذابح الكاثوليكية ، ومهد لدعوة الاسلام بالقبول الفوري لدى النصارى في كل من سوريا ومصر من بعد ·

وقد ظل تاريخ الاريوسية مجهولا . كما يقول الدكتور الدواليبي . الذي نقلنا عنه هذه النصوص التاريخية .حتى جاء اليوم الذي يتحدث فيه كتاب العرب من لاهوتيين وغيرهم . عن هذه الدعوة التي وادتها الكاثوليكية . وبعد أن كشفت الابحاث العلمية ومفاهيم الاسلام المقبولة الى الفكر العربي عن فساد التفسيرات التي اضافها بولس وغيره الى حقيقة الدين المنزل على السيد المسيح ، وانها معارضة للفطرة ولسنن الله في الكون والمجتمعات · وعلت اليوم الصيحة التي سوف تجتاح في السنوات القادمة كل ذلك الركام البشري دعوة . بشرية المسيح » ووحدانية الله من غير حلول ولا تثليث ·

● ظاهرة لعب الشطرنج انتشرت في البيوت والمقاهي ، بل اصبحت لها مسابقات دولية ومحلية ومن الغريب أن بعض العلماء يلعبون الشطرنج في منازلهم فهل يعني هذا أن لعب الشطرنج حلال ؟

يوسف الخالدي
الدوحة ـ قطر

ـ قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ان هذه الآية تدل على تحريم اللعب بالنرد والشطرنج قمارا أو غير قمار ، وكل لهو دعا قليله الى كثير ، وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه ، وصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهو كالخمر ، ووجب أن يكون حراما مثله ، فان قيل ان شرب الخمر يورث السكر فلا يقدر معه على الصلاة ، وليس هذا في اللعب بالشطرنج ، قيل أن اللعب بالشطرنج يورث الغفلة وتقوم هذه مقام السكر فان كانت الخمر انما حرمت لانها تسكر فتصد بالاسكار عن الصلاة ، فليحرم اللعب بالنرد والشطرنج لانه يغفل ويلهي فيصد بذلك عن الصلاة ٠

ويقول الامام الذهبي في « كتاب الكبائر » ان أكثر العلماء على تحريم اللعب بالشطرنج ، سواء برهان أو بغيره والدليل على تحريمه قول الاكثرين في قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » الى قوله : «وأن تستقسموا بالازلام » ان الازلام هي الشطرنج ٠

وابن تيمية قال ان جمهور العلماء مالك وأصحابه وأبا حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وكثيرين من أصحاب الشافعي ، على أنه حرام وقال هؤلاء ان الشافعي لم يقطع بانه حلال بل كرهه ٠

وابن القيم في كتاب الفروسية عندما ذكر تحريم الخمر والميسر قال وكذلك المغالبات التي تكون بلا منفعة كالنرد والشطرنج وأمثالهما والشطرنج اشد شغلا للقلب ٠

هذا وقد أباح بعض العلماء المحدثين اللعب بالشطرنج ومن بين هؤلاء فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حين

يقول عنه « ان الاصل فيما علمناه الاباحة ولم يجيء نص على تحريمه ، على أن فيه فوق اللهو والتسلية رياضة للذهن وتدريبا للفكر »، وذكر فضيلته شروطا لاباحته هي :

١ ـ ألا تؤخر بسببه الصلاة عن وقتها ٠

٢ ـ ألا يخالطه قمار ٠

٣ ـ أن يحفظ اللاعب لسانه عن الكلام الفارغ ٠

مصافحة النساء :

● في وقتنا الحاضر تضطرنا الظروف الى مصافحة النساء للسلام والتحية ، فهل ينقض بذلك الوضوء ؟ ثم ما حكم مس الفرج وهل يجب على الانسان أن يتوضأ عقب ذلك ؟

محمد عبد العاطي بهلول
ج٠ م٠ ع ـ أجا دقهلية

ـ اختلف أهل العلم في ايجاب الوضوء من لمس النساء باليد أو غيرها من الاعضاء ٠ قال الشافعي وأصحابه « الوضوء منه على اللامس والملموس أو على اللامس دون الملموس في قول آخر ، وقال أبو حنيفة لا يجب الوضوء منه لان قوله « لامستم » في الآية يعني الجماع ، ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقبل أزواجه ثم يصلي ولا يتوضأ ٠ وقال مالك وأصحابه ينتقض الوضوء اذا قارنت اللمس شهوة ٠ والمشهور من مذهب أحمد بن حنبل أن لمس النساء بشهوة ينقض الوضوء ٠ ولا ينقضه لغير شهوة وكذلك اللمس من فوق حائل كثيف وأوسط المذاهب ، والله أعلم ، مذهب من يرى أن اللمس بشهوة هو الذي ينقض الوضوء ٠٠

أما عن المصافحة ذاتها فخير ما فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصافح امرأة أجنبية قط ٠

وعندما جاءت النساء ليبايعنه قلن يا رسول الله ألا تصافحنا ٠ قال « اني لا أصافح النساء ، انما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة » ٠

أما مس الفرج بدون حائل فينقض الوضوء بدليل ما ورد عن أم حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مس فرجه فليتوضأ » وقال صلى الله عليه وسلم : « أيما رجل مس فرجه فليتوضأ وأيما امرأة مست فرجها فلتتوضأ » والاحناف لا يقولون بنقض الوضوء بمس الفرج اعتمادا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن ذلك فقال لا ٠ هل هو الا بضعة منك ٠

التاريخ الهجري :

● متى بدأ التاريخ الهجري ؟ وكيف كان يؤرخ العرب قبل الاسلام ؟

ياسر أحمد علي
أبوظبي

ـ العرب قبل الاسلام كانوا يؤرخون بالحوادث الهامة ، كعام الفيل ـ حرب البسوس ٠ واستمر ذلك الى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد جاءه دائن يشكو مدينه ، الذي تعهد بأداء دينه في شهر شعبان ولكنه لم يؤد الدين في الميعاد وتساءل أي شعبان ؟ هذا أو الفائت أو القادم ؟ *واستشار عمر أصحاب رسول الله*

صلى الله عليه وسلم . في اختيار حادث في الاسلام يؤرخون به ، فاتفقت كلمتهم على أن يؤرخوا بحادثة الهجرة ، الى المدينة المنورة ، ولئن كانت الهجرة قد تمت في شهر ربيـــع الاول ، فان أول السنة العربية يبدأ بشهر المحرم ، وكان الاتفاق على التأريخ الهجري في السنة السادسة عشرة أو السابعة عشرة مـن الهجرة النبوية ٠

● كلام كثير يتردد حـول سيدنا عيسى عليه السلام ٠من النـــاس من يقـــول أنـــه مـــا زال حيـــا ورفعـه الله تعالى اليـــه ، وآخرون يقولون أنه توفى فعلا ٠ أمـل ارشادي الى الحقيقة .بايجاز شديد ، وبعيدا عن الخلافـات الكلامية حول هذا الموضوع ٠

حسن فارس الرحماني
عجمان ـ دولة الامارات

ـ سيدنا عيسى عليه السلام ، نبـي الله ورسوله وأكرمه الله تعالى ، بـأن أجرى على يديه بعض المعجزات ٠٠٠ وجمهور علماء المسلمين ، يجمعون على أن اللـــه سبحانه وتعالى بعد أن نجـى عيسى ، من محاولة قتله رفعه الـــى السماء بجسمه وروحه ، وأنه يحيـــا فيها الى أن ينزل في آخر الزمان ، الى الارض ويحكم بشريعة الله ٠ ويقـــول فريق من العلماء ان توفى عيسى معناه الموت وأن المقصود برفعه هو رفع روحه بعد موته ، أو رفع درجته ومنزلته عند اللـــه ٠

مقترحات ٠٠ وملاحظات :

● اقترح أولا زيادة العدد المطبوع من المجلة ، حتىتغطي جميع مكتبات العالم الاسلامي، وبخاصـــة مكتبات دولـــة الامارات العربية المتحـــدة ، كما أرجو تبويـب موضوعـات المجلة والتوسع في الرد على الاستفسارات الدينية واصدار مجلد سنوي للمجلة مع عـدد ممتاز بموضوع معين كل عام٠

عبيد محمد ابراهيم مبارك
المعهد العلمي الاسلامي
عجمـان

ردود قصـيرة

● علاء أحمد الرجيلي ـ النجـف الاشرف ـ شارع الستين العراق :

ـ المجلة ترحب بكل كاتب وصفحاتها مفتوحة لكل مفكر مسلم ، وليست هناك اية قيود على الكتابة سوى أن تكـون اسلامية الهدف والموضوع ٠

● جمال عبد الرشيد ـ ٤٥ نهـج مصطفى بن بولعيد ولاية مسلية :

ـ في العدد العاشر للسنة الثالثة قدمنا موضوعا عن المسلمين في بلغاريا وسنحاول تلبية رغباتك في اعداد قادمة ان شاء الله تعالى ٠

● محمد شحوش ـ الجزائـــر ـ القرادة ـ ولاية الاغواط :

ـ ابعث لنا بما تشاء من موضوعات مصورة ، وان حازت القبول تنشر ٠

أبوظبي :

● بعث صاحب السمو الشيخ زايد ابن سلطان آل نهيان رئيس الدولةببرقية تعزية الى فخامة الرئيس محمد انور السادات رئيس جمهورية مصر العربية بوفاة المغفور له فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر هذا نصها :

« بالم بالغ وحزن عميق تلقيت نبأ وفاة العالم الجليل المغفور له فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر ولقد كان رحمه الله وطيب ثراه نصيرا للحق والدين ففي جنة الخلد مثواه مع الابرار والصالحين وانني اذ أبعث لفخامتكم بخالص عزائي وصادق مواساتي لابتهل الى الله جلت قدرته أن يلهمكم وذويه جميل الصبر : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » .

كما بعث سموه حفظه الله ببرقية تعزية مماثلة الى أسرة الفقيد الكريم .

● تحدد يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٧٨ موعدا لبدء الموسم الثقافي . ولقد

وافق العالم الجليل الشيخ أبو الحسن الندوي الداعية الاسلامي الكبير وأمين جامعة دار العلوم بلكهنو الهند وعضو رابطة العالم الاسلامي على القاء عدد من المحاضرات في هذا الموسم تتناول العديد من القضايا الاسلامية .

● أشهر ثمانية عشر شخصا اسلامهم أمام سماحة الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك رئيس القضاء الشرعي ولقد قام سماحته بتوضيح أركان الاسلام لهم وتحدث اليهم عن المعاملات الاسلامية ونظام الحياة في ظل الاسلام .

مكة المكرمة :

● قدم الى مكة حجاج بيت الله الحرام ألوفا مؤلفة ولقد أعدت الحكومة

السعودية لهم كل وسائل الراحة وهيات لهم كل ما يلزم من مساكن وتموين ومواصلات ونظم الحج بطريقة مخططة مدروسة .

● وصل الى مكة وفد دولة الامارات العربية المتحدة وبعثتها الرسمية المكونة من اكثر من مائتي حاج وتضم البعثة وعاظا واطباء وصيادلة وممرضين وممرضات وتولى رئاسة البعثة فضيلة الشيخ صقر المري مدير دائرة الشئون الاسلامية والاوقاف .

● عقد في مكة المكرمة مؤتمر اسلامي لمناقشة الاستطاعة الشرعية لفريضة الحج وقد حضر هذا المؤتمر رؤساء البعثات الرسمية لدول العالم الاسلامي ومثل دولة الامارات العربية المتحدة الاستاذ أحمد ناصر النعيمي وقد توصل المؤتمر الى توصيات بهدف التيسير على ملايين المسلمين في كافة الدول الاسلامية .

القاهرة :

● **فقد العالم العربي والاسلامي علما من اعلامه ورائدا من مفكريه وقادته وهو الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر وكان وقعه شديدا ومصاب مصر فيه كبـ وقد هرع ملوك العالم الاسلا ورؤساؤه وقادته السياسيون وغيره الى العزاء فيه واظهار الاسف عليـ طيب الله ثراه وجعل في عليين مثواه**

● **اصدر فضيلة الدكتور الشـ عبد المنعم النمر وكيل الازهر قـر بتعديل مناهج الدراسة في المعاهـ الازهرية حتى يعود الازهر الى سا عهده ويتوفر لطلابه الوقت والجهـ للتفرغ للدراسات الاسلامية والعربية**

الكويت :

● تفتتح وزارة الاوقاف والشئ الاسلامية هذا العام معهد الدراسـ الاسلامية لاعداد وتخريج الدعاة ويستقبل المعهد الطلبات من خريجـ دار القرآن الكريم التابعة للوزارة ممن يحملون مؤهلا دينيا .

● مع بدء العام الدراسي بـ اهتمام المسئولين عن التعليم بضرو أداة الصلوات وقد روعي تخصيص و لا يقل عن عشرين دقيقة ليكون كافيـ لاداء هذه الشعيرة الهامة حتى يـ الطالب ملتزما بها .

خطوط : نزار عبد الرحمن الدوري

منار الاسلام

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها

وزارة العدل والشئون الاسلامية والأوقاف

دولة الامارات العربية المتحدة

في غرة كل شهر عربي

مدير التحرير

سعيد عبدالله حارب

العدد الثاني — السنة الرابعة

صفـــر ١٣٩٩هـ

المطبعه العصرية — الامارات العربية المتحدة

يوم تبيض وجوه
بسم الله الرحمن الرحيم
ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم
أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله
هم فيها
خالدون
من
سورة آل عمران

من أساسيات الدعوة الاسلامية أن تسودها روح المحبة والتسا
خاصة بين أفراد المجتمع المسلم ، الذين يشكلون اللبنات الاساسية
بنيانه وكيانه ، والامة التي تتجاذبها الخلافات وتمزق صفها عوامـ
التفرقة ، هي امة ضائعة بلا شك ،منهارة لا محالة ، ولئن صمدت يو
أو آخر فمصيرها محتوم ومستقبلها مظلم ·

وأمة الاسلام منحها الله سبحانه وتعالى استخلاف الارض ومكـ
لها لا لانها تملك المقدرات الذاتية بل لان الله سبحانه أراد بحكمتـه ا
تكون هذه الامة خاتمة الامم ، ولذا ارسل محمدا صلى الله عليه وسـ
هاديا ومبشرا ونذيرا ، فجاء من العرب ولكن للناس كافة ، ومن هنـ
تاتي عظمة المسئولية الملقاة على الامة العربية كحاملة لراية الاسلام
وحين تلتزم الامة بتلك الاوامر الالهية المبينة لها سلوك الطريق ، فانه
بلا شك تصل الى الهدف المرجو منها ، اما حين تتنكب الطريق وتضـ
خطواتها في المتاهات فلا شك انها امة خاسرة منهارة ·

لقد جربت الامة العربية جميع ألوان الحياة والمناهج شرقيهـ
وغربيها ، ولكن ثبت بالتجربة القاطعة ان هذه الامة لن يصلح آخرهـ
الا بما صلح به أولها ، وما أصدق الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضـ
الله عنه حين يقول : « نحن قوم أعزنا الله بالاسلام ومهما طلبنا العز
بغيره اذلنا الله » ·

ولقد حدد لنا الخالق سبحانه وتعالى طريق الرشاد الذي ان سلكنا
حزنا الخير في الدنيا وفزنا بالنجاة في الآخرة فقال تعالى « كنتم خيـ
امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله
فدعائم الخير التي اختص الله بها أمة الاسلام هي الامر بالمعروف والنهـ
عن المنكر والايمان بالله ، فاذا سقط اي ركن منها انهار البناء وخسـر
الامـــة ·

في نشر الاسلام

ومما يقف عنده فهم كثير من الناس حين يتصورون أن خيرية هذه الامة تكون بما اعطاها الله ، من ثروة او من طاقة بشرية أو من موقـع استراتيجي ، فان هذا قصور في الفهم ، فجميع تلك العوامل انما هـي جزء من فضل الله الواسع ولكنه لا يرقى بالامة الى مستوى الخيرية ، ويوم ان تخلت الامة عن ايمانها وتغافلت عن الامر بالمعروف وسكتت عن النهي بالمنكر سلط الله عليها من المصائب والفتن ما أشغلها كثيرا حتى تشعبت فيها الاهداف واختلفت المسالك واصبح بأس الامة بين بعضـها شديد وعلى عدوها رحيم ، والله يناديها قائلا : « ان هذه امتكم امـة واحـدة » ٠

وان مما يفرح القلب ويشرحه تلك الانوار التي بدأت تشع من جديد ، فمن بين ظلمات الغيوم الحالكة ووسط بحر الخلافات المتلاطمة تبرز فئة العائدين الى دينهم المتمسكين بنهج نبيهم ، ولا شك أن الامل معقود على هذه الفئة لكي تقف في وجه التيار الجارف ، من المشاكل والخلافات التي تنهش في جسم الامة ٠٠ ولكن على هذه الفئة أن تعي الطريق جيـدا وتنظر الى مواقع أقدامها وتسير بهذا الاسلام في يسر وسكينة بعيدا عن اي شطط قريبا من الطريق الذي سا ر فيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو أسلم طريق لخير سالك ، اما اذا انحرفنا عن هذا الخط المرسوم فلا شك أن الامواج ستاخذنا في تيارها وتقذف بنا بعيدا عن شاطيء الاسلام وان كان يعتقد بانه يقف على ارض الاسلام ٠٠

الدولة في خط

إن الاسلام دين ودولة ، وعبادة وقيادة •
ولكن واقع المسلمين المعاصر يجعل هذه البدهيات من المعضلات !
ويقوم على مبدأ وافد من وراء الحدود هو : فصل الدين عن الدولة !
وقد آن لأمتنا أن تتوب إلى دينها العظيم بعد طول شرود !
فتتعرف على حقائقه ، وتأخذ الكتاب بقوة واعتزاز •
وتخلع آثار الكفار من قلوبها وواقعها على سواء •

المنهاج الشمولي : -

الدولة هي : رقعة من الارض يقوم عليها مجتمع ثابت ، تنظمه سلطة ما ، على أساس شريعة معينة •

وهذا ينطبق على من استجمع شروطه ، دون نظر إلى المستوى الحضاري بين الدول ، والذي يرجع في جملته إلى فرق في الدرجة لا في النوع ، إذ هدف الجميع : تنظيم العلاقات بين الناس على وجه ثابت ومطرد ، يحقق مصالحهم ويحترمه المجتمع طوعا أو كرها •

والاسلام في العهد المكي مر بمرحلة بالغة القسوة ، حتى اذا تهيأت له عناصر أمة جديدة - استخلصها من براثن الجاهلية - آواهم الله تعالى وأيدهم بالمدينة (ارضها وانصارها) فقامت « دولة الاسلام » بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتتابع نزول التشريع التفصيلي فاستكملت الدولة كل عناصرها : (الأرض ، الامة ، الشريعة ، الحكومة)•

بقلم الدكتور :
عبد الستار سعيد
المدرس بالمعهد العالى
للدعوة الاسلامية بالرياض

ذلك لان الدين العظيم منهاج شمولي ، انزله ربنا لتكون له الكلمة العليا في حياة الفرد والمجتمع، ومن ثم فمن يقين القول ان هذا الدين يقرر قيام الدولة، والسلطة التي تنظم شئونها ، بل يجاوز حدود التقرير النظرى الى الايجاب والالزام حماية للدين والدنيا معا .

أوامر القرآن الكريم :

وليس ادل على ذلك من اوامر القرآن الصريحة ، التي تكلف النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالقيام بشئون الحكم والسياسة من : تعبئة الجيش ، واعلان الحرب ، وابرام معاهدات الصلح ، والهدنة ، او نقضها ، وجباية الأموال وانفاقها ، واقامة الحدود والقصاص ، ومعاملة الاسرى ، وطاعة اولى الامر بشروطها .. الخ .

ولنقرأ - على سبيل المثال - قول الله تبارك وتعالى :

١ - في ابرام المعاهدات : (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون) الانفال : ٥٦ .

٢ - وفي اعلان الحرب : (فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) الانفال : ٥٧ .

٣ - وفي الغاء المعاهدات بلا غدر من جانب القيادة المسلمة رغم خيانة الاعداء : (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنـ الانفال : ٥٨ .

٤ - وفي اعداد القوة الحربيـ (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعد الانفال : ٦٠ .

٥ - وفي اقامة الحدود (والسـ والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء به بما كسبا) المائدة : ٣٨ .

٦ - وفي شان الاساري : (حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا ب واما فداء حتى تضع الحرب اوزارهـ محمد : ٤ .

٧ - وفي تقرير مبدأ الحكومة ، وو طاعتها ، وخضوع الحاكم والمحكوم بشر الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم تنازعتم في شيء فردوه الى الل والرسول) النساء : ٥٩، ثم يطالب ا بالرجوع في الشئون العامة اليها : (

جاءهم امر من الامن او الخوف اذا اعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) النساء : ٨٣ .

وهذا غيض من فيض ، وكله بداهة من اللباب في شئون الحكم ، وسياسة الدول ، ولم يوضع كمبادىء مجردة ، او شعارات نظرية ، وانما وضع موضع التنفيذ في واقع رائع ، ومجتمع كريم .

التطبيق النبوي :

فقد اقترنت الاوامر القرآنية بالتطبيق المعصوم في العهد النبوي ، وقامت عليها كل شئون الحياة تحت رعاية الوحي الاعلى، وزاول النبي صلى الله عليه وسلم ــ تنفيذا لامر الله ــ كل ما هو من خصائص الدولة، ومهام الحكومة ، فكان يبعث البعوث ، ويقود الجيوش ، ويستقبل الوفود ، ويولى القضاة والولاة ، ويعين القواد والجباة ويوجه الكتب الى ملوك العالم ،ورؤساء الناس (١) .

سنة الراشدين :

ومن المهم ملاحظة كثرة توجيه الامر والخطاب لجماعة المؤمنين ، وليس فقط لذات النبي صلى الله عليه وسلم ، مما يقطع بان قضية الدولة والحكم امر منوط بالمؤمنين في كل زمان ، وليس قاصرا على العهد الاول ، وهذا عين مافهمه خير اصحابه رضي الله عنهم ، فقد قدموا اختيار الخليفة على تجهيز النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال ابو بكر رضي الله عنه كلمته الحكيمة : « لا بد لهذا الامر من قائم يقوم به » .

وما اعظم كلمة امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،حين انكر الخوارج ضرورة الخلافة فقال :

« لا بد للناس من امارة برة كانت فاجرة ، فقيل يا أمير المؤمنين : هذه البر قد عرفناها فما بال الفاجرة ؟ فقال تقام بها الحدود ، وتأمن بها السبل ويجاهد بها العدو ، ويقسم بها الفيء (٢) .

وعلى هذا النهج البار قامت دولة الخلفاء الراشدين من بعده صلى الله عليه وسلم بنمطها الاسلامي المتفرد الذي يقرره الامام الماوردي في كلمات رصينة :

« الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين ، وسياسة الدنيا » (٣) .

ولذلك كانت دولتهم رضوان الله عليهم امتدادا امينا لمواريث النبوة ، مبرأة من وصمة القومية، او العصبية ، او الاحتراف السياسي بمعانيها المظلمة الشائعة في النظم الوضعية الجاهلية !!

شريعة معجزة ودولة سباقة :

اننا لا نقول بفرضية الحكومة والدولة في هذا الدين فحسب ، بل نزيد على ذلك فنقرر بحق : إن هذه الشريعة الالهية المعجزة قد فتحت امام دولتها من الآفاق ، والزمتها من المهمات ، وكلفتها من المسئوليات ــ والواجبات مالم يكن للعالم القديم به عهد بجميع اشكال ونظم الحكم فيه .

بل إن العالم الى الآن لم يلحق بنظام الدولة الاسلامية الا في بعض جوانبه ،

... من نظام : الدولة الاسلامية

باطل ولا يكون ملزما للائمة ، ولا للقضاة

رغم تعدد القرون ، وكثرة التجارب ، ولا يزال النمط الاسلامي ذاطابع فريد وسباق على ما عرف حتى اليوم من نظم الحكم والسياسة ، لانه نظام عقيدة وعبادة ، ودولة اخلاق وهداية ، ينبع منها قانونها العام والخاص ، وتلزم به قادتها وجهازها التنفيذي ، وتطالبهم برعايته ومتابعته ، وجعله مهمة حياتهم ، وغاية وجودهم •

ان على رأس مهمات هذه الدولة نشر دعوة الاسلام ، وتقرير عبودية الناس لربهم في الارض ، واستخراجهم من عبادة العبيد الى عبادة الله وحده ، ومقاومة الرذائل والمنكرات الفردية والاجتماعية ، وحراسة الاخلاق الصالحة ، وتوفير المناخ الملائم لنموها وازدهارها، ورعاية الفقراء والمعوزين في شتى جوانب الحياة كتحرير الرقيق ، واعانة الغارمين (٤) وولاية العقود لمن لا ولي له، ولم يحدث في التاريخ كله قبل الاسلام،ان قاتلت دولة ما من اجل حقوق الفقراء وامثالهم في اموال الاغنياء،كما صنع ابو بكر والصحابة رضوان الله عليهم في قتال ما نعي الزكاة ، ولم يكن ذلك ابتداعا منهم ، وانما كان انصياعا لشريعة ربهم الذي فرض الزكاة، وقرنها بالصلاة وجعلهما معا من اركان الاسلام واسسه ، ولذلك قال ابو بكر رضي الله عنه : « والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » •

هدايــة لا ثــورة :

وهذه ألوان من المهام لم تعرفها «ال...
الا حديثا تحت وطاة المظالم الفادحة ...
صحبت عصر التحول الصناعي في اور...
وحينئذ اخذت الافكار الاشتراكية، وا...
الخدمات الاجتماعية تنتشر وتتبناها ال...
رويدا رويدا، ثم نفذت الى دائرة التشر...
الدستورية والقانونية ، فنمت واتـ...
مهمة الدول ، ولا تزال تضيف الى مه...
جديدا من الوان الرعاية الاجتماعية ...
ما كانت الدول قبل تعيرها كبير نظـ...
اما النبي صلى الله عليه وسلم فلم ...
لديه هو او اصحابه ثورة صناعية ، ...
افكار ثورية حملتهم على هذا السبـ...
الاجتماعي الفريد ، وانما هو تشريـ...
العليم الخبير ، ورحمته وهداه لعبـاد...
وذلك هو الذي جعل هذا النبي الأمي ...
في عصر ساده الظلم الاجتماعي، والاستب...
الطبقي ليقرر نوعا من الرعاية لم تصـ...
إليه دولة في الارض الى الآن ، على كثر...
فيها من برامج التأمين الاجتماعي ، ...
دعاوي الاشتراكية واشباهها :

يقول النبي صلى الله عليه وسلـ...
« ما من مؤمن الا أنا أولى به في الدني...
والاخرة،اقرأوا ان شئتم قول الله : (ا...
اولى بالمؤمنين من انفسهم) فأيما مؤ...
مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانو...

ومن ترك دنيا او ضياعا فليأتنـــي فانا مولاه » (٥) ٠

وتأتي دولة الراشدين – على اثره صلى الله عليه وسلم – لتطبق اعظم ما عـرف من الوان الرعاية ، والموازنة بين مصالـح الدولة وطبقات الامة ، فضلا عن الشعور الغامر بالمسئولية الدينية ، ورقابة الله عز وجـل ٠

ومن ذلك ما رواه اسلم مولى عمر رضي الله : « أن عمر استعمل مولى له يدعى (هنيا) على الحمى فقال : ياهني اضمـم جناحك على المسلمين ، واتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة ، وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة ، واياى ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان ، فانهما ان تهلـك ماشيتهما يرجعان الى نخل وزرع ، ورب الصريمة ورب الغنيمة ان تهلك ماشيتهما يأتني ببنيه يقول: ياأميرالمؤمنين٠٠افتاركهم انا لا ابالك ؟ فالماء والكلأ ايسر على من الذهب والورق ، وايم الله انهـم ليرون اني قد ظلمتهم ، انها لبلادهم قاتلـوا عليها في الجاهلية واسلموا عليها في الاسلام والذي نفسي بيده لولا المال الذي احمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم مـن بلادهم شيئا » (٦) ٠

وهذا الأثر العظيم يقرر معاني عـلى غاية الجلال ، فهو مشرب ابتداء بـروح الحكومة الاسلامية الرحيمة التي تضـم جناحيها على المسلمين، وتتقى دعوةالمظلوم، وتستهدف الموازنة بين المصالح الخاصـة والعامة ، ولاتستأثر بضم الاملاك اليهـا الا لضرورة المصلحة العامة ، واولها رعاية حقوق الفقراء والضعفاء: تثميرا لاموالهم عند وجودها ، وتجديدا لها عند ملاكها ، وتفضيل مصلحتهم الاجتماعية على قـدر حاجتهم ومعاشهـم ٠

وهذه معان جديدة كل الجدة على الد يومئذ ، .بل لم تعرف قبل قرن واحد الا كتب الفلاسفة ، واحلام المصلحين ، وك العرف المستقر على عكس ذلك تماما ، ف تكن الحكومات يعنيها – غالبا – الاجبا الاموال ، وفرض المكوس ، وتسخـ الفقراء لخدمة الكبراء والاغنياء كما جـ في الانجيل : « من له يعطى ويزاد ، ومـ ليس له يؤخذ منه » !!

خصائص وسمات هـذه الدولة

وهذه الدولة التي اوجب الله تعالـ قيامها ، وناط بها هذا العمل الخطير وضـ لها ادق القواعد والاسس والخصائـص والسمات التي تهيمن على سيرها وتميزه عن سائر النظم والحكومات المعروفة ومـ ذلـك :

أ – انها دولة عقيدة تقوم على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر٠

ب – ان دين الله تعالى هـو منهاجهـا ودستورها وشريعتها التي يجب على الحاكم والمحكوم التزامه ٠

جـ – ان امر التشريـــع هو لله رب العالمين ، وكل تشريع يخالف ذلك يولـد ميتا باطلا مهما تكن الجهة التي اصدرته، ولا يكون ملزما للامة ، ولا للقضاة بـل يحرم تنفيذه وطاعتـــه ٠

د – لا مجال في دولة الاسلام لقيـام « سلطة تشريعية » وانما تقوم فيهـا سلطات للاجتهاد في اطار الشريعة الالهية ، ملتزمه بنصوصها واصولهـا وقواعـدها العامـــة ٠

هـ – يقوم النظام السياسي والاجتماعي في الدولة على اساس مبدأ : الشـــورى ، والاخاء ، والتعاون ٠

و – طاعة اولى الامر واجبة في المعروف، وتحرم الطاعة في المعاصي وشريعة الله هي

مرجع الحكم عند التنازع •

ز - يجب على الامة مراقبة الحكومة ، ومناصحتها ، ومعارضتها ان اخطات، وعلى الحاكم ان يكفل ذلك وجوبا، وهي مسئولية دينية على الطرفين، وليست امرا اختياريا•

ح - على رأس مهام الدولــة تدعيم شريعة الله تعالى في الداخل والخارج (٧)، والدفاع عنها ، والدعوة اليها ، والعمل على نشرها بين العالمين •

فصل الدين عن الدولــة :

كانت هذه القواعد مقررات مسلمـة لدى امتنا فكريا ، وعمليا ، منذ العهــد النبوي الى مشارف هذا العصر ، لا يجادل فيها احد ، بل لم تخطر على بال مسلـم تلك البدعة المستحدثة من « فصل الدين عن الدولة » بمعنى : قصر الدين عــلى مسائل محدودة في العبــادات والأحــوال الشخصية ، ثم اطلاق يد الدولة لتضــع لنفسها دستورا وقانونا ينظم بقيـة شئون الحياة على اى وجه تختاره ، ولو صــادم الدين وعارضــه !!

فالقضية طارئة على امتنا ، وافدة اليها من خارج حدودها مع موجات الغزوالفكري التي مهدت طريق الكفار لاحتلال العقول والقلوب ، وتخريب الشخصية الاسلامية ، تخريبا غير مسبوق ، واعادة صياغتها من جديد على افسد المناهج والمعايير !!

ضرورة في الغــرب :

ولقد كان فصل الدين عن الدولة امرا لاخيار لأوربا فيه ، بعد الحرب الجامعــة التي شنتها الكنيسة الجاهلة على طلائــع ورواد عصر النهضة ، والتي انتهت كما هو معروف بانتصار العلم على الجهل ، وعزل الكنيسة عن ميدان السياسة والحكم ، بــل بفصل الدين نفسه عن الدولة ، واعطائه مصطلحا خطيرا جديدا وهو انه علاقــة شخصية بين الفرد وربه ، ولا شأن [...] بالسياســة •

كان لذلك اذن مبرراته التاريخيــ[...] المتمثل في الاضطهاد الوحشي الذي [...] رجال الكهنوت على المفكرين والعلماء [...]

وكان له مبرراته الموضوعية : حيث [...] يكن لدى الكنيسة منهاج صحيح يصلح [...] يكون اساسا للانطلاق الحضاري بعد [...] « السلطة الكهنوتية » • فعقيدتها : [...] من الاساطير المظلمة التي لا تثبت [...] النظر العقلي السليم• وشرائعها : اخـ[...] من بقايا الرومان واضاليل اليهــو[...] وتحريفات الاحيار والرهبان !! •

ولم يكن لدى الكنيسة يومئذ من تعا[...] الوحي الالهي الا النذر القليل المغمــور [...] طوفان هذه الاباطيل •

ومن ثم كان اطراح الكنيسة ودينه[...] الزائف ضرورة حياة وحضارة ، تحررت [...] اوربا من الاغلال والاصفاد ، لتنطلـ[...] في مدارج الرقي المادي بلا دين ، الا [...] الالحاد والملذات الذي دمرت به القيـ[...] العليا ، وصرفت به الناس عن خط الو[...] الصحيح ••

وضلالة في الشرق :

ولكن الامر في الاسلام يختلف عن ذ[...] تماما ، اذ لم يعرف ايا من هذه الظرو[...] التاريخية او الموضوعية التي نكب بـ[...] الغــرب ••

فهو اولا : منهاج الهي كامل للحيا[...] توافرت له كل ضروب الصحة ، والحفـ[...] من عبث التحريف والتزييف •

وهو ثانيا : لم يعرف سلطة من رجـ[...] الدين طوال تاريخه ، بل لا وجود لطبقة [...] من هذا النوع فيه ، لان طبيعة مبادئـ[...] تابى ذلك تماما •

وهو ثالثا : دعوة مفتوحة للحوار البصير ، والفقه الواعي ، والفكر المستنير القائم على الاستدلال والبرهان ، والنظر والحجة ، ومن ثم فلم يصادر رأيا ولا فكرا، بل في مساجده ومدارسه كانت تبحث اكثر الفلسفات الحادا ، ويتولى علماؤه مقارعتها بالحجة حتى تتهافت ، يمدهم معين لا ينضب من وحي الله المحفوظ ، وكتابه المنير .

فقياس الاسلام بدين الكنيسة عبث وهراء ، وقضية لا تصح في نظر الفكر ، او الواقع التاريخي ، او المبادىء المجردة على سواء ..

ولكن المسلمين ادركتهم غمرة من دنياهم ، وغفلة عن دينهم العظيم ، فبدات تزحف عليهم وساوس الالحاد الاوربي الصاعد ، وارث الكنيسة في حقدها الرهيب على الاسلام وامته ، ولقد خيل هذا الالحاد الحقود لابناء المسلمين ان ما ينطبق على دين كنيستهم ينسحب ــ كقاعدة كلية ــ على كل دين ، وان سبيلهم الى التقدم الحضاري هو سبيل اوربا في نبذ الدين ، واقامة الدولة على اساس « لاديني » يتستر تحت اسم خداع هو (العلمانية) بينما هو في جملته وتفصيله عين ما سماه الوحي الالهي باسمه الصحيح الصريح: «الجاهلية»

وقد تمكنت التربية الاوربية من تخريج اجيال ــ من جلدتنا ــ تؤمن بهذا الفكر الفاسد ، وبواسطتها استطاعوا ان يفصلوا الدين عن الدولة عمليا في معظم اقطار المسلمين ، وعلى احسن الظروف اصبح الدين قطاعا مع غيره من القطاعات ، وليس ــ كما اراده الله عز وجل ــ حاكما ومهيمنا على سائر الاتجاهات والمعاملات والاخلاق والعلاقات في الدولة !!

محاولة « تأصيل » الضلالة

ولقد بلغت الغفلة والجرأة غاية المد حين انطلقت دعوات فكرية جامحة ــ من داخل المسلمين انفسهم ــ تنادى بهذا الباطل ، وتحاول تأصيله فكريا ، فتؤلف فيه الكتب ، وتجادل عنه ، وتحاج في الله من بعدما استجيب له !!

ومن هنا رأينا اعجب شيء في تاريخ المسلمين ، اذ قام واحد ممن يتسمى باسم « العلماء » ومتخرج من اعظم معاهد الاسلام العلمية ــ فيملن على رؤوس الاشهاد تجريد الاسلام من جوانب الحكم والتنفيذ ، ويرده الى مفهوم اوربي المولد والمنشأ ، وينتهي به الى معنى محدود ، فيزعم انه : « رسالة لا حكم ، ودين لا دولة » (٨) !!

ويتجاوز هذا كله حين يتخذ من القرآن الكريم ادلة ، يعتسف تأويلها ، ويحرف فيها الكلم عن مواضعه !!

وكان هذا العمل في صميمه تقريرا وتأييدا للفكر الاوربي الوافد ، ودعما مباشرا لمؤامرات اعداء الاسلام الرامية الى هدمه في نفوس امته بالتحوير والتحريف ، حتى يمكن عزله عن مجالات المجتمع الحيوية (٩) .

ولقد كان هذا واضحا من جرأة الشيخ على الحقائق ، ولَيّه أعناق النصوص ليًّا يقطع بانه يهدف الى غرض مريب ، يريد تحقيقه مهما التوت به السبل !!

حجتهم داحضة عند ربهم :

وما كنا لنناقش امثال هذا الفكر التحريفي لولا انه يقوم عليه الآن واقع ثقيل يغشى بظلماته الامة المسلمة على امتداد رقعتها ، فضلا عن بهرجته المتكررة

العلمانية هي الجاهلية والدعوة لها : تأصيل الضلالة

من اشياع التبعية الفكرية ، والتي لاتزال تستقطب ببريقها الزائف عديدا من المثقفين المخدوعين ..

ولنأخذ مثالا من كتاب : « الاسلام واصول الحكم » يكون نموذجا لغيره، حتى تستبين القيمة العلمية لادلةالذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق .

يقول الشيخ على عبد الرازق :

« لم يبق امامك بعد الذي سبق الا مذهب واحد .. ذلك هو القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان الا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ، ولا دعوة لدولة ، وانه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ملك ولا حكومة ، وانه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها ، وما كان الا رسولا كاخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكا ، ولا مؤسس دولة ، ولا داعيا الى ملك » .

ويستشعر الشيخ جرأته وشناعة دعواه فيحاول ان يمعن في التمويه فيقول :

« قول غير معروف ، وربما استكرهه سمع المسلم بيد ان له حظا كبيرا من النظر وقوة الدليل » (١٠) .

وهذا كلام كثيره باطل ، وبعضه حق اريد به باطل ، لذلك كان ـ كما وصفه به صاحبه ـ مستكرها غير معروف ، وكان دليله على شاكلته من الخلط ، والمغالطة !!

نعم لم يكن صلى الله عليه وسلم ملكا جبارا ، ولم يأت بها كسروية او قيصرية، ولا شرقية ولا غربية ، وانما كان في دولة الاسلام اماما، وحاكما، وقائدا على النمط الاسلامي المتفرد في الرحمة والتواضع ، او كما قال صلى الله عليه وسلم : « آكل كما ياكل العبد ، واجلس كما يجلس العبد » (١١) .

ولكن هل منعه ذلك ان يكون هو قائد الجند ، وباعث السرايا للجهاد والحرب ، ومنفذ الحدود والقصاص ومولى الامراء والعمال والقضاة ، وقابض الزكاة والجزية ، والفيء والمغانم ، وقاسم الاموال ، ومكاتب الملوك والرؤساء كما هو قاضي المسلمين ، والمبلغ عن رب العالمين ؟ !

وما قدمناه من آيات القرآن الكريم فيه فوق الكفاية لطالب الهداية ، وحسبنا ان نذكر هنا بعض ما جاء فيه عن اخوانه الرسل ممن اتيحت لهم فرصة اقامة الدولة لنعلم ان « الدولة » فريضة الهية في دين الله على مر العصور .

يقول الله تعالى عن داود عليه السلام : « وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة » البقرة : ٢٥١

وكان من مهمات هذا الملك الحكم بين

الناس بالحق :
« يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق » ص : ٢٦ ٠
اما سليمان عليه السلام فيسأل ربه هذا الملك : (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) ص : ٣٥ ٠
فعلم منطق الطير ، وسخرت له الريح والجن ، وبلغ هذا الملك شأوا غير مسبوق ولا ملحوق كما قرر القرآن العظيم : (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) النمل ١٧
ولكنه الملك على نمطه الاسلامي الذي شعاره مع الناس : (الا تعلوا على وأتوني مسلمين) النمل : ٣١
على اننا ننبه هنا الى ان اخوانه عليهم السلام لم يكونوا مثله صلى الله عيله وسلم في الدعوة العالمية ، ولا في الرسالة الجامعة الخاتمة ، ولذلك هيأ الله تعالى بفضله لمحمد صلى الله عليه وسلم اقامة الاساس المكين لأخطر واكبر دولة نبوية في التاريخ ، والتي بلغت على يد خلفائه واصحابه مداها العالمي البعيد ، والتي فاقت به ملك سليمان في الاثر والمدى ، وان لم تصل الى ما سخر له من وسائل الملك العظيم ٠

بين البداية والنهاية :

ولا يفوتنا في هذا المقام ان نشير الى كتاب أخر آلف بعد الكتاب السابق بنحو ربع قرن ، ليضيف الى هموم امته العانية هما جديدا وليعاود الحديث في قضية الدولة والدين ، بعد ان ظل دعاة الاسلام في فترة ما بين الكتابين يبذلون اقصى طاقات الفكر والحركة حتى ربوا جيلا مؤمنا على اساس من الشمول الاسلامي ، ولا يزال هذا الجيل يخوض معارك مشبوبة الاوار حتى يكون الد[ين] كله لرب العالمين ٠
اصدر خالد محمد خالد كتاب[ه] من « هنا نبدأ » سنة ١٣٦٨هـ ، وانب[رى] كثير من العلماء والكتاب الاسلامي[ين] يفندون ما فيه كما صنع اسلافهم الكر[ام] مع كتاب علي عبد الرازق من قبل ٠
وقد اطال الله ـ بفضله ـ عمر الش[يخ] خالد حتى اسعد المسلمين بمقاله الاخ[ير] في شهر رمضان الماضي ، فكان ابلغ رد [على] كتابه السابق ، وكان اشجع ما فيه تصري[حه] الجلي عن البواعث الخفية المسمومة ، وال[تي] اضلت جيلا كثيرا من المثقفين في امتن[ا] العانية ٠
ولنقرأ كلمات للشيخ في مقاله الـ[ـذي] جعل عنوانه : « دين ودولة ٠٠ وعباد[ة] وخلافة » (١٢) ٠
« ٠٠ واني لارجو ان يجيء كلام[ي] هذا ـ رغم اختصاره ـ تصحيحا لـرأ[ي] ابديته من قبل في كتابي : « من هنا نبدأ » اذ قلت يومها : ان الدين لا يعنيه ان يكون دولة، ولا يعنيه ان يتدخل في بناء الدولة٠
ويبدو انني يومها كنت متأثرا بتصور مسيحي عن الحكومات الدينية ، لاسيما تلك التي قامت تحت ظل الكنيسة في اوربا في عصور الظلام ، ناسيا يومها ان الاسلام مختلف جدا ، وان الدولة بشكلها وبمضمونها كانت تعنيه الى ابعد مدى ، وانه خاطبها بمسئولياتها كما خاطب الفرد والجماعة ٠٠ بمسئولياتهما ٠
وفي الاسلام بالذات لا يمكن عزل الدين عن الدولة ، الا اذا امكن عز الدين عن الدين » ٠اهـ

الحق قديم :

وهكذا أكرم الله تعالى الشيخ بهذه العودة الكريمة الى الحق الابلج الذي

فرغ علماؤنا الصالحون ـ نضر الله وجوههم في الدارين ـ من تأصيله، وتدوينه، بفطنة علمية بارعة، تضع كل تصرف نبوي في موضعه الدقيق من الامامة، او القضاء، او التبليغ.

ولنأخذ مثالا واحدا مما يقوله الامام القرافي رحمه الله:

« واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الامام الاعظم، والقاضي الاحكم والمفتي الاعلم، فهو صلى الله عليه وسلم امام الائمة، وقاضي القضاة، وعالم العلماء، فجميع المناصب الدينية فوضها الله تعالى اليه في رسالته » ..

ثم يقول مفرقا بين الامور الثلاثة، ومبينا ما هو من خصائص الحكم والسياسة:

(المسألة الاولى) : بعث الجيوش لقتال الكفار والخوارج، ومن تعين قتاله، وصرف اموال بيت المال في جهاتها، وجمعها من محالها، وتولية القضاة والولاة الولاية العامة، وقسمة الغنائم، وعقد العهود للكفار ذمة وصلحا هذا شأن الخليفة والامام الاعظم ... الخ » (١٣).

وهذه الجهات الثلاث خلط بينها بعض الاغرار ـ عمدا او جهلا ـ وذهبوا يهدمون الاصل الاصيل في شمول الاسلام للدين والدنيا معا ـ كما فعل الشيخ علي عبد الرزاق في غمرة انتقاده لبعض الخلفاء، وانحرافاتهم في الحكم، مع ان الاسلام هو اول من يبرأ منها، ويدين اصحابها !!

نظام الحكم بين الثبات والتغير :

بقيت كلمة اخيرة في تلك الشبهة التي شوشت على بعض الناس، واتخذوها حجة لغلو الاسلام من النظام السياسي لانه لم ينص على نظام بعينه، ولم يأت به محددا على شكل الدساتير المعروفة.

والاسلام حقا لم ينص على شكل ثابت ولا اسلوب جامد لنظام الحكم، ولكنه نص على المبادىء، والقواعد، والمقومات الاساسية للحكم والدولة فجمع بذلك بين « ثبات الاصول » وبين « مرونة الاشكال والاساليب ».

ولقد كان هذا من فضل الله، وتمام هدايته للمسلمين اذ كفاهم وعورة التجارب فيما يجب له الثبات كالشوري والعدل وتحديد مصدر الاحكام، ثم المنهاج الكامل الذي وضع بين ايديهم ليكون حاكما في الوقائع، وحكما عند التنازع.

ثم في الجانب الآخر ترك لهم « اساليب ووسائل التطبيق » مفتوحة ليجتهدوا دائما، وليبتكروا او يقتبسوا كل صالح مفيد من الصور والاشكال في اطار القواعد والمبادىء التأسيسية عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها » (١٤).

وهذا منهج غاية في السلامة والاستقامة يتيح لهذه الامة اطراد التقدم، وازدهار الحياة، ويجنبها عثرات الجمود والخمول وما وقعت في ذلك الا حين خالفت عن امر دينها العظيم !!

ولكن هذه الحسنة الفريدة قلبها الاغرار على النظام الاسلامي، وجعلوها ذريعة لدعوى يائسة، ترمي الى هدم نظامه السياسي الحكيم الذي لو قال كلمة تحدد وتثبت الاشكال المتغيرة لسد الطريق على المسلمين الى يوم القيامة، ولجمدهم على مكانتهم الا ان يخرجوا عن دينهم، كما فعلت اوربا في فورة نهضتها مع دين الكنيسة الجاهلة !!

والله تعالى هو الاحكم والاعلم، وهو الذي شرع هذا الدين على علم وحكمة
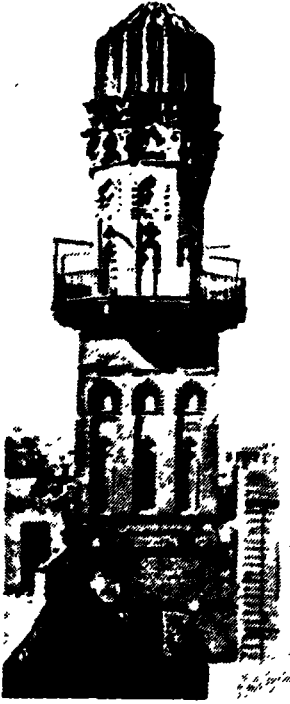
بالغة ، وقد جاءت دلائل التاريخ كلهـا مصدقة لهذا النظام الالهي ، وشاهـدة بانه الحق المبين ، لان التاريخ لم يعـرف نظاما من انظمة الحكم يكون صالحا لجميع الأزمنة والأمكنة الا اذا تحرر من قيـود الأشكال والصور التي تتغير وتتقلـب باطـراد ..

بين العجز والاعجـاز :

ولقد كان اولى بالناس ان يعترفـوا بعجزهم امام هذه الحقائق الغلابة ، وان يذعنوا لدلائل الاعجاز البادية في هـذا النظام الاسلامي ، فان ظهور هذا النظام على لسان رجل عربي امي بما فيه مـن غاية التوازن بين عناصر «الثبات والمرونة» لهو دليل على صدوره من افق اعلى مـن البشر ، وانه من لدن خالق القوى والقدر وعالم الغيب والشهادة .

ولا ندرى اى منطق داحض هذا الذي يجعل ذلك الاعجاز المتفرد سيئة في ميزان هذا الدين ؟ وذريعة للطعن في شمولـه ، ونظامه السياسي ؟ مع ان هذا النظام هو الاساس في تنفيذ الدين ، وحراسة اخلاقه، واقامة الحق في الارض ، ومقارعة الباطل واهلـه .

وصدق الامام الغزالي حيث قـال : « الدين اصل ، والسلطان حارس ، ومالا اصل له فمهدوم، ومالا حارس له فضائع» .

وبعـد :

فان الاسلام العظيم ليس مبادىء مجردة، معلقة في فراغ النظريات او المثاليـات الخيالية ، وانما هو منهاج شامل وضـع موضع التطبيق المعصوم في العهد النبوى ، والتنفيذ الامين في عهد الراشدين ، وكان

له نمطه الخاص في رجال دولته الذي يبلغ بهم ذروة الكمال اذا كان الحاكم نبيـا ويتمرد بين العالمين اذا كان الحاكم صالحا تقيا كالراشدين من بعده صلى الله عليه وسلم ، ومن سار على منوالهم من أئمة الاسلام ، وكل هذا يعطينا فيضا من السوابق الدستورية ، والسنن التطبيقية المتكاملـة .

فرصيدنا من المبادىء ، والرجال اشرف رصيد على مر التاريخ ..

وانه لعار على امته ان تستبدل بـه شتات المذاهب والمناهـج ..

وقد جعلها الله تعالى به شهيدة عـلى الناس ، ووصية على الامم ..

(وانه لذكر لك ولقومك وسـوف تسألون) الزخرف : ٤٤

حاشية

١ - كتب السنة حافلة بتفصيل هذا ، وراجع على سبيل المثال : (بعث ابي موسى ومعاذ الى اليمن قبل حجة الوداع) ، (بعث على وخالد الى اليمن) •• البخاري ج ٥ ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ •

٢ - السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٥٧ ، ورحم الله أمير المؤمنين فماذا كان يسمى الاوضاع الحاضرة في بلاد المسلمين التي تعطل الحدود ، وتسالم العدو ؟ ••

٣ - الاحكام السلطانية ص ٥ •

٤ - كما هو مقرر في الآية رقم ٦٠ من سورة التوبة • والغارم المدين الذي لا يجد قضاء لدينه• فيعطى من الزكاة التي هي ركن الاسلام الثالث •

٥ - رواه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ، واما ما ورد عن عدم صلاته صلى الله عليه وسلم على المدين حتى يقضى عنه الدين فقد كان ذلك قبل الفتوح ، اما بعدها فكان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يقوم بهذه المهمة باعتبار الامامة ، وقد صرح بذلك ابو هريرة نفسه في حديث آخر رواه البخاري (ج ٣ ص ١٢٨ باب الدين) •

٦ - راجع كتاب نيل الاوطار للشوكاني ج ٥ ص ٣٤٦ باب : الحمى لدواب بيت المال • والصريمة : القطعة الصغيرة من الابل ، والغنيمة : القطعة الصغيرة من الغنم• والاثر رواه البخاري•

٧ - لا نعنى بكلمة « شريعة » المعنى الاصطلاحي المحدود ، والذي يراد به احيانا ما يسمى «بالاحوال الشخصية» او المعاملات المدنية • وانما نعنى بالشريعة هنا المعنى الكلي الشامل لدين الله تعالى عقيدة واخلاقا ، وعبادات ومعاملات ، وهذ هو الاستعمال القراني لهذا اللفظ (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها) الجاثية : ١٨ (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) المائدة : ٤٨ •

٨ - هذا عنوان الباب الثالث من كتاب « الاسلام واصول الحكم » للشيخ علي عبدالرازق ص ٦٤ وما بعدها •

٩ - راجع الظروف المؤثرة في هذا في كتابنا : « الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام » ويذكر الدكتور محمد محمد حسين امثلة تفصيليا لاعتماد على عبدالرزاق على المستشرقين حتى في امور الاسلام وتاريخه (الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ج ٢ ص ٧٤) ويذكر كذلك الدكتور محمد البهي اعتماده على الفكر الغربي ، وخاصة كتاب : « الخلافة » لتوماس ارنولد (الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، فصل : « دين لا دولة » ، وانظر ايضا ص ٢٥٢ منه) •

١٠ - « الاسلام واصول الحكم » ص ٦٤ ، ٦٥

١١ - رواه ابن حبان في صحيحة ، وابو يعلى في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها •

١٢ - نشر في جريدة « الاخبار » المصرية بتاريخ ٩ من رمضان ١٣٩٧هـ (١٩٧٧/٨/٢٣) •

١٣ - كتاب الفروق لابي العباس احمد بن ادريس الصنهاجي الشهير « بالقرافي » ، براجع ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٧ •

١٤ - رواه الترمذي في العلم ، وابن ماجة في الزهد كلاهما عن ابي هريرة رضي الله عنه •

في العدد الماضي وضحنا خصائص العقيدة الاسلامية [illegible] التي تميزها وبينا انها عقيدة الفطرة [illegible] الفكر والنظر وانها [illegible] الانسان [illegible] وفي هذا العدد [illegible] العقيدة الاسلامية في حياة الفرد والجماعة والامم ..

ومن اهم آثارها في حياة الفرد أمــور نوضحها فيما يلــي :

الأمـــــر الأول :

انها تحقق التوازن النفسي لدى المسلم : اذ شاءت ارادة الله سبحانــه وتعالى ان تنطوى نفس هذا الانسان على كثير مــن الميول والغرائز التي تتجاذبه يمنه ويسرة وهذا هو موضع الابتلاء ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويقع هذا الانسان في حياته تحت التأثيرات المتعددة من عوامل البيئـة ونزعات النفس والهوى والشهوة ·· ولكن العقيدة الاسلامية اذا رسخت في نفـس المسلم تجعل هذه النفس متجردة من شوائب الحياة كلها متجهة بقوامها الى الله سبحانه وتعالى وحده ، حيث يعتقد المسلم بان كل شيء في هذه الحياة انما هو بارادته عــز وجل وقدرته وان حياته الخاصـــة وما يعرض له فيها من عوارض الدنيا مقدرة عليه فليس له من سبيل الا ان يستسلم لله ويخضع لقضائه وقدره وان يؤمن بان ما اصابه لم يكن ليخطئه ، وان ما اخطأه يكن ليصيبه (ما اصاب من مصيبـــة الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من ؟ ان نبرأها ان ذلك على الله يسير ، لكي تأســـوا على ما فاتكـم ولا تفرحــ بما آتاكم) الحديد : ٢٢ ، ٢٣ · فتكو نفس المسلـم نفســا رضية في الرخــ والشدة ، في الغنى والفقر ، في الصحــ والمرض ، وهو يؤمن في قرارة نفسه بـ تستوجبة عقيدة الايمان ! (الذي خلقنـ فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين ، والذي اطمع ان يغفــر لي خطيئتي يوم الدين) الشعراء : ٧٨ـ٨٢ ·

ويقول تعالى في الآية الاخرى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك امرت وانا أول المسلمين) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣ · والعقيدة الاسلاميـــة تنفي عن النفـس البشريـــة كل أمر يكـــون مدعـــاة

في حياة الفرد والمجتمع والأمة

عقيدتنا تحقق التوازن النفسي لدى المسلم ، وتبني شخصيته على القيم ، والمثل العليا

لان تتعلق به هذه النفس حتى تبرأ من ضروب الشرك كلها ومن كل مؤثر خارجي يؤثر عليها ·· فنرى مايكتنف هذه العقيدة من وجوب البراءة من شرك الزلفى والتقرب فليس بين الله وبين خلقه واسطة والله أقرب الى عباده كما قال تعالى من جبل الوريد وهو يسمع نداء عبادة في الليل والنهار في السر والعلانية (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) وليس هناك شفعاء او وسطاء على النحو الذي آل اليه امر الاديان السابقة بعد ان دخلها ما دخلها من تغيير وتبديل ويتبرأ المسلم من شرك المحبة ، فالحب والبغض لله وفي الله فان أحب شيئا فانما يحبه طاعة لله وان كره شيئا فانما يكرهه طاعة لله (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه)

المجادلة : ٢٢ · ويتبرأ المسلم من شرك الطاعة فالطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم او في سبيل الله وفي سبيل رسوله صلى الله عليه وسلم (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) آل عمران : ٦٤ وفي الآية الاخرى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) التوبة : ٣١ ·

وجاء حديث ابن حاتم ليفسر هذا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعبدهم من دون الله فقال له عليه الصلاة والسلام « اليسوا كانوا يحلون لكم ماحرم الله فتحلونه ويحرمون عليكم ما احل الله فتحرمونه » قال نعم قال « فتلك عبادتكم اياهم » والنفس التي تدين بهذه العقيدة وتتجرد من كل شيء الا من خضوعها لله

واذعانها له، هي النفس السوية التي تتلقى امرا واحدا من طريق واحد فتمثله، وهي تذعن لمنهج واحد هو منهج الله، وشريعة واحدة هي شريعة الله ، وما جاءها عن رسول واحد هو محمد صلى الله عليه وسلم فلا تتقاسمها الاهواء والنزعات، او تتقاسمها الارباب الشتى وقد ضرب الله سبحانه مثلا لهذا بعبدين مشرك وموحد اما العبد المشرك فان نفسه تكون موزعة اشتاتا للارباب المتعددين الذين يسيطرون على هذه النفس ويأمرونها بأوامر يقابل بعضها بعضا فهي نفس ممزقة كالعبد المملوك لشركاء متشاكسين ، فهذا الشريك يأمره بأمر وهذا يأمره بآخر وذلك يأمره بثالث وهكذا دواليك ، فان اطاع احد الشركاء فانه يعصى الشركاء الآخرين اما العبد المؤمن فانه يتلقى امرا واحدا من منهج واحد له، اله واحد ورسول واحد فمثله في ذلك مثل العبد المملوك لشخص واحد فهو لا يتلقى أوامر شتى بل يخضع لسلطان وامر واحد، يقول تعالى في هذا المثل (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) الزمر : ٢٩ فهذا هو الاثر الاول الذي تحققه العقيدة في نفس المسلم وهو التوازن النفسي فلا تتمزق هذه النفس اربا ولا تتوزع اشتاتا ، انها نفس خالصة لله ، طائعة لله، يرضيها ما يرضى الله في شدتها ورخائها في غناها وفقرها ، (عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له) ٠

الأمر الثاني :

من آثار العقيدة الاسلامية في نفس المسلم ان من يؤمن بهذه العقيدة يبنى شخصيته على القيم والمثل في أعلى ماتتصوره التربية الفردية في بناء الشخصية ان الناس يتحدثون مثلا عن العزة والكرامة والاباء ويرون ان هذه الصفات من معالم الشخصية القوية في حياة الفرد والعقيدة الاسلامية تربي الفرد على هذه المعاني في صورة معدومة النظير ، ان الناس تذل نفوسهم في هذه الحياة لامور متعددة تذل نفوسهم تحت وطأة الفقر والحاجة والمسلم يعتقد ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وان احدا لا يمتلك من امره شيئا وان الاسباب التي يجريها الله سبحانه وتعالى في الرزق على يدى عباده انما هي وسائل : أما الرزق الحقيقي فهو من الله عز وجل فلا يتاثر المسلم بالفاقة والفقر حتي تذل نفسه وهو يرى ان هذه العقيدة تدعوه الى ان يدفع عن نفسه ذل المسالة ما استطاع الى ذلك سبيلا « والذي نفسي بيده لان يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان ياتي رجلا فيساله اعطاه أو منعه » يقع المرء كذلك تحت الهوان والذل خوفا على حياته من سلطان مستبد او حاكم غاشم يبطش به فيخشى من وطاته فيذل لسلطانه وجبروته وعسفه، والاسلام في عقيدته يربي المسلم على الاعتقاد بان هذا السلطان الدنيوى انما هو سلطان عارض ، وأن السلطان الحقيقي لله (قل اللهم مالك الملك تؤتى من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) آل عمران : ٢٦ ويعتقد المسلم بأن الآجال

بيد الله وان جراته في الجهر بالحق لن تقصر من عمره كما ان جبنه لن يطيل من عمره كذلك،فسيدركه الموت اينمـا كان (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) النساء : ٧٨،فهـو عزيـز النفـس يابى الضيـم ، ولا يستكين ولا يذل ولا يخضع ، فالارزاق بيد الله والآجال بيد الله (وفي السماء رزقكم وما توعدون) (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) هود : ٦ ٠

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولذا فان بعض الصالحين عندما قرأ آيـة البيعة (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقـا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) التوبة : ١١١ عندما قرأ هذه الاية قال نعمت الصفقـة الرابحة ، أنفس هو خالقها ، واموال هو رازقها ، ثم يمنحنا عليها الجنـة نعمت الصفقة الرابحة ٠

٠٠ أما آثار العقيدة في حياة المجتمع وفي حياة الامة، فان الناس لهم اصطلاحات في تعريف المجتمع وفي تعريف الامـة وفي تعريف الدولة،فالمجتمع في الاصـل مكان الاجتماع ويطلق ويراد به جماعة مـن الناس ، قلت هذه الجماعة او كثـرت ، والامة جماعة من الناس تربطهم رابطـة ويختلفون في هذه الرابطة،اهي رابطـة الجنس ام رابطة اللغة ام الدين ام المصالح المشتركة ام جميع هذه الروابط ، ولكنهم يفرقون بين المجتمع والامة وبين الدولة لان الدولة تعني وجود جماعة من الناس في مكان يقيمون فيه اقامة دائمة لهم سلطة ذات سيادة وسوف نعتبر الامة بمعنـى المجتمع والمجتمع بمعنى الامة ٠

فللعقيدة الاسلامية آثارهـا في حيـاة المجتمع أو الامة وفي مقدمة هذه الآثـار ان مجتمعها هو مجتمع العقيدة وان امتها هي امة العقيدة والذين يتحدثون عن الامة ويتحدثون عن ضرورة وجود رابطة لهـا فيذكرون رابطة الجنس وهي التي تسمى بالرابطة القومية ويذكرون رابطة اللغة ويذكرون رابطة الدين ، ويذكرون رابطة الآمال والمصالح المشتركة،هؤلاء يعرفـون الامة بمفهومهم الخاص ، ومفهوم المجتمع والامة في العقيدة الاسلامية يتجاوز تلك الروابط كلهاويخترق هذه الحواجز المصطنعة في فوارق الجنس اوفوارق اللغة واللون او فوارق الارض والوطن ليجعل العقيـدة وحدها هي الرابط التي تقوم عليها امة الاسلام ، اى يقوم عليها المجتمع المسلم ، وهذه ضرورة تقتضيها العقيدة الاسلامية والشريعة التي بعث بها محمد صـلى الله عليه وسلم ، فقد خص الله محمدا عليه الصلاة والسلام بانه خاتم النبيين (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الاحزاب: ٤٠ وختم برسالته رسالات الانبياء، وجعل هذه الرسالة عامة الى البشرية كلها ، فليست لجنس دون جنس ، ولا للون دون لون ولا للغة دون لغة ولا لوطن دون وطن ، ولكنها للناس كافـة والقرآن الكريم يحكي رسالات الانبيـاء السابقين بعنوان القومية الخاصة (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) ٠

(انا ارسلنا نوحا الى قومـه) (والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غـيره) هود : ٦١ ٠ (ولوطا اذ قال لقومـه) وهكذا امـا محمد صلى الله عليه وسلـم فانه يعلـن

المية دعوته (قل يا ايها الناس اني رسول لله اليكم جميعا) (وما ارسلناك الا كافة لناس بشيرا ونذيرا) فرسالة عامة الى بشرية كلها انما تكون الرابطة بين بنائها واتباعها على عقيدة هذه الرسالة حدها؛ فلم يبعث محمد صلى الله عليه سلم للعرب وحدهم ، ولا للجزيرة العربية ما حولها ، ولا لجنس من اجناس البشرية ون ، جنس ، وانما بعث عليه الصلاة السلام للناس كافة، والاسلام في هذه رد البشرية الى اصل نشأتها الاولى من آدم حواء ثم كان منهما النسل الكثير الذى ناسل بعد ، (يا ايها الناس اتقوا ربكم لذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها وجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) لنساء : ١؛ اما هذه العوارض التي يعتبرها ناس روابط فهي مفهوم الامة ، ليتميز جتمع عن مجتمع، ولتتميز أمة عن اخرى هي روابط عارضة كروابط اللغة اوروابط وابط عارضة لا يعتبرها الاسلام ، وفي لمجتمع الاسلامي الاول ننظر الى من حول سول الله صلى الله عليه وسلم فنرى با بكر القرشي بجانب بلال الحبشي ، سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، بل ن الاسلام رفع من شأن هؤلاء واعتبر لدعوة الى العنصرية اوالعصبية من دعاوى لجاهلية ، وقال فيها صلى الله عليه وسلم ذه الكلمة :

« أبدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم ؛ ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.. دعوها فانها منتنة» ولم يات تقرير هذا من رسول الله اثر حادثة من رواسب عصبية القوم والجنس وعصبيات الجاهلية الاولى، وانما كانت نزعة من نزعات التعصب لصفة من صفات الاسلام فقد كسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال الانصاري ياللانصار وقال المهاجري

يا للمهاجرين ، والهجرة صفة اسلامية والنصرة صفة اسلامية ولكن لما اتخذ من هذه الصفة وتلك ما ينزع بالمسلمين الى دعوى الجاهلية الاولى في العصبية، اعتبرها الرسول صلى الله عليه وسلم من دعوى الجاهلية، فسارع اليهم وقال : أبدعوى الجاهلية وانا بين أظهركم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض دعوها فانها منتنة » فكل من يذعن لعقيدة الاسلام ويؤمن بها مهما كان جنسه ومهما كانت لغته او كان لونه ووطنه فهو من امة الاسلام .

(ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) وفي الآية الاخرى « وان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون » ولذا آخى الاسلام بين ابناء عقيدته جميعا وكان لهذه الاخوة في صدر الاسلام آثارها قبل نزول آيات المواريث من الارث والنصرة كما في الايات الاخيرة من سورة الانفال ، ونحن ندرك فيما نعرفه من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بدأ عليه الصلاة والسلام بناء المجتمع الاول في المدينة، فآخى بين المهاجرين والانصار فكان المهاجري ينزل على اخيه الانصارى فيشاطره ماله وبلغ بهم هذا مبلغ الايثار حتى قال تعالى فيهم » والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » الحشر : ١٠ .

ويخطئ اولئك الذين يظنون ان الحياة
شرية في عهودها الاولى كانت حياة بدائية
ن المجتمع البشرى الاول لم يقم علـى
يدة فان سنة الله تعالى في المجتمعات ان
دم هذه المجتمعات على العقيدة ، ومنذ
ق الله آدم وحواء كان آدم عليه الصلاة
لسلام نبيا ، فبعث بعقيدة ، وهذا يدل
لة قاطعة على ان المجتمعات في سنة الله
لى انما هي مجتمعات عقيدة ، واذا كان
بع العالم الحديث في امه ومجتمعاته
تميز بما يدين به من عقائد فان أمة
سلام هي أمة العقيدة ، أمة العقيـدة
صحيحة والرابطة بينهما هي رابطـة
يدتها في أقصى المشرق وفي اقصى المغرب،
وحد هذه العقيدة بين ابناء الاسلام في
، صقع من اصقاع الارض كالجسد الواحد
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهـم
ماطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى
ـو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر
لحمى » وهذا هو الاثر الاول للعقيدة
سلامية في حياة المجتمع المسلم اى الامة
سلمة فهو مجتمع عقيدة وامة عقيـدة
لانتماء اليه انما هو انتماء الى عقيدته.

ان هذه العقيدة تجعل مجتمعها وتجعل
نها عابدة لله وحده ، واعني بذلـك
عبادة بمفهومها العام التي تشمل ـ كما
رها شيخ الاسلام ابن تيمية ـ كل ما
به الله ويرضاه من الاقوال والافعال .
نها الامور التعبدية المحضة التي نسميها
الاصطلاح الفقهي بالعبادات ومنهـا
ثر تصرفات الانسان في حياته حتى في
عمه ومشربه وملبسه لأنه لا يتناول اى
ـ من الامور في حياته الا اذا كان هذا
مر وفق شريعة الله يتسق مع العقيدة
ي يدين بها والتي بعث بها محمد صلى
ه عليه وسلم ، ولذلك فاننا لا نجد اى
تصرف يمارسه الانسان الا وفيه هدى من
هدى نبينا عليه الصلاة والسلام حتى في
الامور المباحة يأكل الانسان فيجد آداب
الطعام والشراب .. ويلبس فيجد آداب
اللباس .. وينام فيجد آداب النوم وادعية
النوم .. ويستيقظ فيجد آداب الاستيقاظ
وادعيته ، ويمسي فيجد ادعية المساء ..
ويصبح فيجد ادعية الصباح ويخرج مـن
بيته فيجد الادعية .. ويركب في السفر
فيجد الادعية .. يعود من سفر فيجـد
الادعية ، وهكذا يكون المجتمع الاسلامي
خاضعا لله ، متعبدا لله لانه يدين باله
واحد، فيحكم ما جاء عن الله وعن رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم في كل شان من
شئون حياته، وفي مقدمة ذلك ما يسمـى
بنظام الحكم ، فان الحكم بما انزل الله
من صميم العقيدة وليس امرا ثانويا ،
وتحكيم شريعة الله من اسس الايمـان
وعقائده ويوشك من لا يذعن لذلك ان
يخرج من الايمان كله يقول تعالى (فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ فيبدأ الله
الاية بالقسم والقسم يدل على تعظيم المقسم
به فينفي الايمان « فلا وربك لا يؤمنون »
عمن لا يحكمون شرع الله سبحانه وتعالى
ولا يحكمون نبيه صلى الله عليه وسلـم
(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم) والاية تنطوى على كثير من
المبالغات المبالغة الاولى هي القسم والقسم
يدل على تعظيم المقسم به وتأكيـده ..
المبالغة الثانية ان هذا القسم جاء مقرونا ـ
بلا النافية « فلا وربك » ويذكر العلماء ان
اقتران النفي بالقسم يأتى اذا كان المقسم
به منفيا لتأكيد نفي المقسم عليه ، وهو
هنا نفي للايمان .

فمعنى هذا ان وجود لا النافيـة في

القسم يؤكد نفي الايمان عمن لا يمتثلون
ما في حيز هذا القسم « فلا وربك لا
يؤمنون » التاكيد الثالث قوله « حتى
يحكموك فيما شجر بينهم » .

وما هذه من صيغ العموم فهي تعني
التحكيم في كل شان من شئون الحياة يحصل
فيه شجار « فيما شجر بينهم » التاكيد
الرابع انه لا يكتفى بهذا حتى يكون
التسليم والرضا وعدم الحرج « ثم لا
يجدوا في انفسهم حرجا مماقضيت ويسلموا
تسليما » .

والحرج يعني الشعور بالضيق من الحكم
« ويسلموا تسليما » وهذه الجملة اشتملت
على مصدر مؤكد لعامله يعني ويسلموا
تسليما مطلقا .. فهذه الوجوه الكثيرة من
وجوه التاكيد في الاية تنفي الايمان عمن
لا يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما جاء به من شريعته (فلا وربك لا
يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما) ومرجع هذا الحكم الى
العقيدة نفسها حتى يكون الحكم لله
(ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه)
(افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من
الله حكما لقوم يوقنون) فمن آثار العقيدة
الاسلامية في المجتمع او الامة ان تكون الامة
امة عابدة وان يكون المجتمع مجتمعا عابدا،
بمعنى ان تخضع الامة في كل شئونها لدين
الله وان تستوحى كل امر من امور حياتها
من العقيدة التي بعث بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم
الخيرة من أمرهم) .

فعلى جميع المسلمين ان يعوا خصائص
عقيدتهم، ويربوا انفسهم عليها، وينتقلوا
من ذلك الى تحقيق اثارها في حياتهم الفردية
وفي حياة امتهم حتى يكون الدين لله
(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

العقيدة وازالة الفوارق الاجتماعية

للدكتور
صلاح التيجاني حمودي
كلية التربية / جامعة الخرطوم

عيوب بعض المجتمعات الإسلامية

لا تمت للإسلام بصلة وليست من مبادئه

أود في البداية أن اقرر حقيقتين هامتين : (١) اولا ، ان الأسس والمبادئي التي وضعها الاسلام للمساواة بين البشر في الصورة التي يتطلع اليها كل انسان لم يسبق اليها •

(٢) ثانيا ، ان ما نراه اليوم في بعض المجتمعات الاسلامية من نقائص ومعايب اجتماعية ، لا تمت للاسلام بصلة وليست من مبادئه أو تعاليمه ، ولذلك يجب ألا تعلق به لكون مرتكبيها من المسلمين •

وحتى نستطيع ان نؤكد هاتين الحقيقتين ينبغي ان نعود الى اصل وبداية الاسلام لنرى اى مجتمع كان يسود مكة وشبه جزيرة العرب آنذاك ، وكيف عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على هدم هذا البناء الاجتماعي المتهالك وتشييده من جديد على اسس ومبادىء الاسلام •

ورد في كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (١) ان الذين آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وتبعوه في بداية دعوته كانوا « احداث الرجال وضعفاء الناس » • والمقصود بالاحدث هنا الشبان صغار السن من قريش (٢)• اما الضعفاء اوالمستضعفون فقد عرفهم ابن سعد بقوله :

المستضعفون قوم لا عشائر لهم بمكة وليست لهم منعة ولا قوة (٣) •

كذلك جاء على لسان ابي سفيان بن حرب ، عندما استدعاه القيصر وهو ببلاد الشام وسأله عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، جاء قوله : « تبعه (اى محمد) منا الضعفاء والمساكين والاحداث واما ذوو النسب والشرف فما تبعه منهم احد » (٤)•

وبما اننا بصدد الحديث عن الفوارق الاجتماعية في مكة فلا بد لنا من التعرف على هؤلاء المستضعفين لمعرفة وضعهم الاجتماعي في مكة قبل الاسلام ، والمستضعفون هم :

عمار بن ياسر :

كان عمار من المستضعفين (٥) وهو من حلفاء بني مخزوم للجوار الذي كان بين ابيه ياسروابي حذيفة المخزومي،دخل عمار في الاسلام في وقت مبكر فتعرض هو واسرته للاضطهاد من بني مخزوم مما يؤكد ان الحليف اصبح لا يتمتع في مجتمع مكة بالحماية والاحترام اللذين يتمتع بهما رصيفه عند القبائل البدوية فكان ابوجهل واشراف بني مخزوم لا يرون في عمار الا عبدا وفي أمه سمية الا أمة لابي حذيفة •

خباب بن الارت :

يقال ان الارت والد خباب كان سواديا، اى من سواد العراق ، من بني سعد بن زيد بن مناة (٧) وحدث ان هاجم اناس من بني ربيعة ديارهم واسروا الارت واخرين واحضروه الى الحجاز حيث باعوه هناك

فاشتراه سباع بن عبد العزى ، احد حلفاء بني زهرة ، فاهداه لأم انمار بنت سباع فاعتقتـه ·

وتقول رواية احرى ان الارت كان من سكان كسكر ، احدى مدن العراق · وهكذا تحتلف الروايات عن اصل هذه الاسرة · ولكن الذي لا شك فيه ان خبابا كان ، ابان ظهور الدعوة الاسلامية يعمل قينا «حدادا» بمكة وعندما اعلن اسلامه كانت ام انمار تعذبه في دلك (٨) مما يدل على انه لا زال مملوكا لها كما كان ابوه من قبل · ويذكر كذلك ان الذي كان يضرب خبابا بسبب اسلامه هو عتبه بن ابي وقاص من بنـي زهرة ، او الاسود بن عبد يغوث (٩) ·

تدكر المصادر ان سنانا والد صهيب كان عاملا على مدينة الابلة من قبل كســرى فارس (١٠) ·

ويتمى سان واسرته الى قبيلة النمر بن قاسط احدى القبائل العربية التي كانت تسكن بالقرب من الموصل · ويقــال ان صهيبا ·

وقع في اسر البيزنطيين الذين اغاروا علـي ديار قبيلته ، فظل اسيرا لديهم حتى اشتراه رجل من بني كلب فأتى به مكه وباعه الى عبد الله بن جدعان التيمي الذي اعتقه فيما بعد (١١) · اما اهل صهيـب فيدعـون انه هرب من اسـر البيزنطيين فجاء مكه وتحالف مع ابن حدعان (١٢) ومعنى دلك انهم يحاولون نفى العبودية عنــه ·

وكان صهيب احمر شديد الحمرة ولهذا وبسبب بقائه مع البيزنطين كان يسمى الرومي (١٣) · غير ان هنالك رواية احرى تنفي وجود اية صلة لصهيب مــع البيز نطيين ، وما تسميته بالرومي الالشدة حمرته (١٤) ومهما يكن من أمر فان احدى هذه الروايات ، ان صحت ، توضح ان صهيبا كان على معرفة بالديانة المسيحية مما كان له اكبر الاثر في قبوله للاسلام ·

وبالرغم من ان صهيـــبا كان مـــن المستضعفين في مكة ، الا ان حالته المالية كانت احسن من عمار وحباب ، فالراجح انه كان يعمل عملا مريحا في مكة · ويقال انه عندما نوى صهيب الهجرة الى المديـــنة اعترض القرشيون سبيله وقالوا له اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك والان تريـــد ان تلحق بمحمد فتنازل لهم عن كل ثروته فخلوا سبيله ·

كان بلال بن رباح في الجاهلية عبدا لامية بن خلف الجمحي · فاسلم بلال مما عرضه لتعذيب شديد من أمية بن خلف ، وبقي على دلك حتى اشتراه منه ابو بكر الصديق واعتقه ·

اما عامر بن فهيرة فكان ايضا عــبدا للطفيل بن الحارث ، احي عائشــة بنت ابى بكر لامها · وقد اسلم عامر مبكرا ولكن المصادر لم تذكر لنا انه عـــذب في اسلامه · هذا وقد صحب عامر الرسول صلى الله عليه وسلم وابا بكر في الهجرة الى المدينة ·

ابو فكيهة افلـــح :

كان ابو فكيهه عبدا لصفوان بن اميه الجمحي ، وكان اميه بن خلف يعذبـــه لدخوله في الاسلام حتى اشتراه منه ابوبكر واعتقه ·

لم يقتصر تعذيب المستضعفين من المسلمين على الرجال فقط وانما شمل كذلك النساء • ولبينة هذه كانت أمة لبني المؤمل من بني عدى ويقال ان عمر بن الخطاب كان يعذبها لاسلامها ، قبل ان يدخل في الاسلام •

وهذه اينما من اماء بني عدى (أو مخزوم) وقد عذبت في اسلامها حتى اشتراها ابو بكر واعتقها • كما اشترى ابو بكر واعتق اماء احريات منهن النهدية وام عبس •

من النص الذي ورد في كتاب ابن سعد ومن قول أبي سفيان ، ومن سيرة هؤلاء المستضعفين نستطيع ان نصل الى الحقائق التالية عن المجتمع في مكة ، في الوقت الذي بدأت فيه الدعوة الاسلامية :

- اولا : يدل ورود كلمتي شريف وضعيف في هذه النصوص على وجود طبقتين اجتماعيتين ، احداهما عليا وهي طبقة الاشراف والاخرى سفلي وهي طبقة الضعفاء ، مما يؤكد حقيقة اخرى وهي ان التغييرات التي حدثت في المجتمع في مكة أدت الى انحلال وزوال التكوين القبلي فالمجتمع في مكة لم يعد مجتمعا قبليا تحكمه نفس الروابط والعلاقات التي تحكم المجتمعات البدوية في الجزيرة العربية آنذاك •
- ثانيا : فان ظهور هذه الطبقة السفلى ، وهي طبقة الضعفاء المستضعفين ، كان مرتبطا الى حد كبير بتركيز الثروة في ايدي افراد قلائل من اشراف قريش • وكان هؤلاء الاشراف هم الذين يسيطرون على المناصب العليا في مكة فهم السادة وهم الملأ • وترتب على ذلك حقيقة اخرى هامة وهي ان الضعيف في مجتمع مكة اصبح مضطهدا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا • وهذا هو الوضع الذي وجد الاسلام المجتمع المكي يعيش فيه •

وبظهور الدعوة الاسلامية ووضوح مبادئها التي تدعو الى المساواة بين جميع البشر ، وجد فيها هؤلاء المستضعفون المخرج والملجأ من الاضطهاد الاجتماعي الذي كانوا يعانون منه في مكة قبل الاسلام•

هذا وقد اثبت سبحانه وتعالى حق هؤلاء المستضعفين في المساواة في كثير من الايات القرانية نذكر منها على سبيل المثال الاية التالية لارتباطها بحادثه معينة :

جاء في سورة الانعام (الاية ٥٢) :
« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » •

وقد جاء في مناسبة نزول هذه الآية ان بعض المستضعفين امثال عمار بن ياسر وخباب بن الارت وبلال بن رباح وصهيب بن سنان وسلمان الفارسي كانوا يجلسون مع الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة فجاء بعض سادة وزعماء القبائل والعشائر ورفضوا ان يجلسوا معه الا اذا طرد هؤلاء « الاعبد » على حد تعبيرهم ولهذا نزلت الاية (١٥) •

وقصة اخرى توضح كيف ان الرسول صلى الله عليه وسلم حرص على وضع مبدأ الاسلام في المساواة الاجتماعية موضع التنفيذ ، واجتثاث جذور التفرقة من نفوس المجتمع الاسلامي ، فبعد ان فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة أمر بلالا ان يؤذن من فوق الكعبة ، وهو الذي كان من قبل عبدا لا يحلم بمجالسه سادة قريش او الاقتراب من الكعبة ، ناهيك عن الصعود فوق ظهرها •

وليس ادل على ذلك من تعليقات بعض اشراف قريش عندما رأوا بلالا يؤذن فقال خالد ابن أسيد : الحمد لله الذي اكرم ابي فلم يسمع هذا اليوم •
وقال الحارث بن هشام • واثكلاه ليتني مت قبل هذا اليوم ، اسمع بلالا ينهق فوق الكعبة • وقال الحكم بن ابي العاص • هذا والله الحدث العظيم ان يصيح عبد بني جمح على بنية ابي طلحة • قال سهيل بن عمرو : ان كان هذا سخط الله فسيغيره وان كان رضاء الله فسيقره• اما ابوسفيان فقال• اما انا فلا اقول شيئا له،لوقلت شيئا لاخبرته هذه الحصباء ، فاتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرهم (١٦) •
وفي مكة ايضا وبعد الفتح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم في اهالي قريش مؤكدا لهم هذه المساواه الاجتماعية التي أتى بها الاسلام وكان مما قاله : « ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الاية « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١٧) •

واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم القول بالفعل فاشرك الكثيرين من الذين كانوا مستضعفين من قبل في ادارة شئون الامة الاسلامية فكان بلال خازنا للرسول صلى الله عليه وسلم وأمينا على بيت ماله ، وتولى خباب بن الارت الاشراف على الغنائم في غزوة بدر • وحمل عمار بن ياسر اللواء في احدى السرايا وهو شرف لم يكن ليناله في الجاهلية ، وغير ذلك من المناصب والاعمال •

١ ـ محمد بن سعد : كتاب الطبقات الكبرى (بيروة ١٩٦٠) ١/١٩٩ •
٢ ـ انظر عبدا لمتعال الصعيدي : شباب قريش في بدء الاسلام الطبعة الثالثة، القاهره (١٩٦٠) ص ٣٣ •
٣ ـ ابن سعد : ٣/٢٤٨ •
٤ ـ انظر صحيح البخاري بشرح القسطلاني : الجزء الاول ص ١٩١ •
٥ ـ ابن سعد : ٣/٢٤٨
٦ ـ ابن سعد : ٣/١٦٤ ، البلاذري : انساب الاشراف ص ١/١٧٦ •
٧ ـ البلاذري : نفسه : ص ١٧٨ •
٨ ـ البلاذري : نفسه ١٧٩ •
٩ ـ البلاذري : نفسه ١٨١، ابن سعد : ٣/٢٢٦
١٠ ـ ابن سعد : ٣/٢٢٦ •
١١ ـ ابن سعد : ٣/٢٢٦ • البلاذري : ١/١٨٠
١٢ البلاذري : ١/١٨٠
١٣ ـ المصدر السابق •
١٤ ـ الطبري : جامع البيان عن تاويل القرآن: ٧/٢٠٠ ـ ٢٠٣ ابن هشام : السيرة النبوية : ١/٢٦٠ •
١٥ ـ الواقدي: كتاب المغازي (اكسفورد ١٩٦٦) ٢/٨٤٦ •
١٦، ١٧ ـ راجع ابن هشام : السيرة : ٢/٤١٢ •

بقلم الاستاذ :
عبد التواب يوسف

يحتفل العالم كله ، بالعام الدولي للطفل ·· وما من دين رعى الطفولة ، كالاسلام ·· وما من نبي احب الاطفال ورعاهم كما فعل رسول الله : محمد : عليه الصلاة والسلام·· ومن هنا ، فليس لنا في مناسبة مرور عشرين عاما على الاعلان العالمي لحقوق الطفل الا ان نتذكر هديته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الآباء ، والى الابناء معا ··

« الخلـــق كلهم عـــيال الله ·
واحبهم الى الله انفعهم لعـياله »
« حديث شريف »

● الى الابناء

● والى الابنـاء

توجه الرسول الكريم الى الابوين ـ الاب والام معا ـ بالكثير من تعاليمه ووضع لهما سبل تربية ورعاية الابنـــاء وتوجيههم الى ما فيه سواء السبيل ٠٠ ان الابناء ليسوا ملكية خاصة للآباء ، وليس من حــق هؤلاء وادهم ، او اهمالهم ٠ قال تعـــالى :

« واذا المؤودة سئلت٠ بأي ذنب قتلت »٠٠ ويقول تعالى « يوصيكم الله في اولادكم » ويقول الرسول ٠٠ « اكرمـوا اولادكم واحسنوا آدابهم فان اولادكم هدية الله اليكم » ٠

وهدية الله ، يجب ان تكون موضـع اهتمامنا ، وحفاوتنا ، ولا بد وان تكون موضع حمدنا وشكرنا له ، سبحانه وتعالى٠ واكرامنا لاولادنا ليس بمجرد حبهم ، بل علينا ان نعطيهم الكثير : ماديا ومعنويا ، وعلينا ان نحسن تاديبـــهم وتربيتهـــم وتعليمهـــم ٠

ومجال العطاء للابناء كبير٠٠ وكثيرون من الاباء يشغلون عنهم لسبب او لاخر ٠٠ وقد نذكر ذلك الوالي الذي دخل على عمر رضي الله عنه ليجده يلاعب ابناءه ، وقد اعتلى احدهم ظهره ، وابدى الوالي دهشته فساله عمر : وماذا تفعل انت مع ابنائك ؟ قال الرجـــل : اذا دخلت البيت صمـت الجميع ، فلا نسمع انفاسهم ٠ وعزلـــه عمر قائلا : اذا كان هـــذا حاله مـــع ابنائه ، فكيف هو مع الاخرين ؟ ٠٠ وكان عمـر هنا يتبع سنة محمد عليه الصلاة

والسلام حين رآه الاقرع بن حابس ، وكان الرسول يقبل حفيـــده الحسن ، وقال الاقرع : ـ ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ٠

فقال عليه الصلاة والسلام : ان مـن لا يرحم ، لا يرحم ٠٠

دستور التربية :

٠٠ ان الرسول هنا يرسم لنا دستورنا مع ابنائنا ٠٠ ان نرحمهم ونعطف عليهم وان نعدل بينهم ٠٠ وهو القائل « ساووا بين اولادكم في العطية » ٠

ويقول ايضا « ان الله يجب ان تعدلوا بين اولادكم حتى في القبل » ٠

اننا نجد انفسنا هنا امام مسئوليـــة « الحب » ومسئوليـــة « العدالـة » ٠٠ ومسئولية « العطاء » ٠٠ ونمضى مـــع رسول الاســـلام وهو يخطط للابـــاء هذه المسئوليات ويحددها « حق الو لد على الوالد ان يعلمه » :

- الكتابـــة :
- السباحـة :
- الرمايـة :

٠٠٠٠ والا يرزقه الا حلالا طيبا :

ان الرسول الذي رأى ان « الولد من ريحان الجنة » ، يحمل الوالد ـ قبل ان توجد المدرسة ـ ان يكون هو المدرسة فيعلم ابنه اشياء ثلاثة ، من الواضح جيدا انها ترمز الى ما هو ابعد منها ، فالكتابة تعنى كل ما يختص بالعلـــم والدين ٠٠ والسباحة تعنى كل ما يختص بالرياضة واللعب ٠٠ والرماية تعنى كل ما يختص بالحرب والدفاع عن النفس ٠٠ ان هذه الاشياء تستهدف العقل ، وبناء الجسم سليما صحيحا ، والتدريب على مواجهـــة الاخرين ، ولو وصل الامر للحـــرب ٠٠ وهذه الحقوق الثلاثة للولد على الوالـــد لا تعفيه منها « المدرسة » فيعصرنا الحاضر

ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله

فانها باقية في عنق الاب ، اذا قصـرت المدرسة في جانب منها ، او لم تتحمـل مسئوليتها تجاهها كاملة .. حقوق يجب الا تنتقص في اى مكان ولا في اى زمان .. والرسول يطالب بأن يكون الاب : معلما للكتابة ، مدرسا للسباحـة ، استـاذا للرماية .. وندرك من هذا ان الاب يجب ان يكون بالتالي متفوقا في كل ذلك ، بارعا فيـه ..

وتبقى تلك الكلمات القليلة من ذلـك الحديث الشريف ، تلك الكلمات التـي يبلغ فيها الرسول قمة سامقة شامخـة ، فينادى الاب ، ويناشده الا يرزق ابنه الا حلالا ، اى الا يدخل عليه في بيته الا كل حلال .. والحلال بين ، والحرام بـين ، والرزق الحلال هو ما يأتي ثمرة الجهـد والعرق .. والرسول لا يحب للابناء ان يطعموا السم ، فان الحرام سم زعـاف ، يحمله الاب ليقتل به فلذات كبده .. وهنا نشعر ان الرسول « يوظف » الطفولـة ، لتطهير الاباء ، وحتى لا تمتد ايديهم الا الى ما هو حلال . شريف . نظيـف . ان الطفولة هنا تحولت الى « مدرسة للاباء » . ليكسب الاباء حلالا .. ولينفقوا عـلى ابنائهم في يسر ..

« ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عيالـه » .

وقد تكررت في احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام مسئوليات الاباء تجـاه الابناء ، مع ان حديثه السابق جامع مانع ، الا انه يريد ان يؤكد ..

« علموا بنيكم الرمى : فانه نكايـة العـدو » .

« احب اللهو الى الله : اجراء الخيـل والرمى » .

ويحمل الرسول صلى الله عليه وسلم الاباء مهمة تعليم ابنائهم الدين ، والصلاة وينبه الى ضرورة ان يكون ذلك في سـن مبكرة .. انه يطلب ان نعلمهم الصلاة وهم في سن السابعة ، ونضربهم عليها وهم في سن العاشرة . لان تعويدهم عليهـا في الطفولة يجعلهم يؤدونها على مدى عمرهم كله .. انهم لبنة سهلة التشكيل ، والتعليم في الصغر كالنقش على الحجر ، يثبت ويظل ابدا .. خاصة اذا فهمنا « الطفولـة » وادركنا مفاهيمها واحتياجاتها ..

وبعض الاباء يتصورون ابناءهم رجالا صغارا ، ويعاملونهم على هذا الاسـاس ولقد توصل عليه الصلاة والسـلام ا[illegible] حقيقة علمية ، لم يتعرف اليـها علما[ء] النفس الا منذ وقت قريب .. تلك ه[ي] ان الطفولة لها عالمها وتفكيرها الخاص ومفاهيمها ودنياها الخاصة .. وان ع[لى] الآباء ان يدركوا هذا ، لكي يستطيعـ[وا] التعامل معها ، ويتمكنوا من تربيتها .. ويقدم الرسول عليه الصلاة والسلام مفاه[يم] مبكرة سبقهم بها بمئات السنـين ، يقدمها في عبارة موجزة مركزة مذهلة يقول ..

انه يطالب الوالد بان ينزل الى مست[وى]

● الى الآبـــاء
● والى الابنــاء

صبيه ، ويلاعبه ، ويداعبه ، تطييبا لنفسه وادخالا للسرور على قلبه٠٠ فليس متيسرا ان يرفع الاب ابنه الى مستواه العقلـي ، والادراكي ، فان للطفولة حدودا لاتتعداها في الفهم والادراك ، ولها عالمها الذي يصعب خروجها منه ، وعلينا ان نبذل ـ نحـــن الاباء والامهات ـ جهدنا لكي نقترب من هذا العالم ، ونحاول الدخـــول اليـــه بخبراتنا ٠٠ وليس معنى هذا ان ندعـي « السذاجة » فان امرها مكشوف للصغار ، بل المطلوب ان « نتصابى » لهم ، فان ذلك هو السبيل الوحيد للتربية ، وللتعليم ٠٠ بان التباسط ، والتبسيط ، هما وسيلتنا الى اجتذاب ابنائنا ، وتقديم المعرفة لهم بكشف يزيدهم ارتباطا بنا ، ويوثـــق ما بيننا وما بينهم ٠٠ ان التعالي عـــلى الطفولة وتجاوزها سيخلق هوة واسعة بين الكبار والصغار وثغرة ينفذ من بينها كل مالا يمت للتربية بصلة ٠٠ لذلك فــان الرسول الكريم قد نجح في ان ينبه قبـل مئات السنين الى هذه القضية الجوهريـة التي يجب ان تحظى منا بكل اهتمام، ويجب ان تطبق بكل دقـــة ووعي باحتياجـات الصبية ومتطلباتهم لكى نحقق مسئولياتنا تجاههـم ٠

لقد حمل الرسول الكريـــم الآبـــاء مسئوليات كبار ، ان لم يناشدهم ان يحبوا ابناءهم ، لانه غرس هذا الحب في قلوبهم حين خلقها ، فالبنون زينة الحياة الدنيا٠٠ وازاء كل هذه المسئوليات ، كان لابد وان يكون للآباء حقوق عبر عنها القرآن الكريم في سورة الاحقاف ، بقوله ٠

« ووصينا الانسان بوالديـه احسانا ، حملته امه كرها ٠ ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ٠ حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال : رب اوزعنـي ان اشكر نعمتك التي انعمت على وعلى والدى، وان اعمل صالحا ترضاه واصلـح لي في ذريتي٠ أني تبت اليك واني من المسلمين» ٠

وتكررت وصايا الله ، ورسول الله الى الابناء برعاية الآباء ، حقا واجبا ملزما ، وبقدر ما اعطوا لابد وان يأخذوا٠٠ والله تعالى يقول في سورة الاسراء ٠٠

« وقضى ربك الا تعبـــدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ،

اما يبلغن عندك الكبـــر احدهما او كلاهما ، فلا تقل لهما اف ، ولا تنهر هما وقل لهما قولا كريما ٠ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كمـا ربياني صغيرا » ٠

٠٠ وكان الحديث الشريف ـ بعد آيات الله ـ مناشدة رائعة للابناء ، لكي يعرفوا حق آبائهم وامهاتهم ، ويعترفوا بفضلهم واحسانهم ٠٠ وقد تجاوزت احاديـــث الرسول للابناء تلك التي تحدث بها الى الآباء ٠٠

عشرات من الاحاديث الشريفة تـدور حول الوالدين ومسئولياتهما ٠٠ وكـــل مسئولية تقابلها حقوق ، لذلك يفيــض قلب الرسول رحمة ، وحنانا ، وهو يطالب الابناء بحقوق الاباء ٠٠ سيرا على منهج « وبالوالدين احسانا » فهو يروى القصص، والحكايات ، وهو يلقى بالاحاديث والعظات التي تكشف عما في نفسه مـــن احســاس عميق بالابوة والامومة ، وقد حرم مـــن الشعور بالبنوة ، فقد ولد يتيم الاب ، ولحقت امه بأبيه وهو طفل صغير ، ولم تتح له الظروف ان يبرهما ، ويرد لهمـا كبير عطائهما ، لذلك افاض في التنبيه الى اهمية طاعة الابناء للامهات والاباء ، وهو في ذلك قرآني المنهج ٠٠

«وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » ـ سورة الاسراء ٠

« قال الم نربك فينا وليدا، ولبثت فينا

من عمرك سنين » ـ سورة الشعراء ٠

وقد حفظ لنا التاريخ الكثير من حكاياته واحاديثه في هذا المجال ، فقد جاءه رجل يريد الجهاد ، وسأله الرسول صلى الله عليه وسلم :

ـ أحي والداك ؟

قال : نعم ::

فقال عليه الصلاة والسلام : ففيهما ، فجاهد ٠٠

ان رعاية الابوين جهاد في سبيل الله ، كالقتال والنضال٠٠ وعندما يقرن الرسول الكريم العلاقة بين هذه الرعاية وبين العبادة يقول في عبارة مشرقة رائعة :

٠ « نظر الرجل الى والديه حبالهما : عبادة » ٠

وتتوالى كلماته عليه الصلاة والسلام حول هذا الامر بشكل عذب ، مؤثر ٠٠

٠ « انما سماهم الله الابرار ، لانهم بروا الاباء والامهات والابناء ٠

وكما ان لوالديك عليك حقا ، كذلك لابنك عليك حق » ٠

ويفجر الرسول المشاعر الحلوة الطيبة في قلوب المؤمنين بما يرويه ويحكيه عن السلف الصالح بالنسبة لقضايا الابوة والامومة ، وكلها حكايات تهز النفس ، وتشعرها بمدى عمق هذه العلاقة الانسانية، ومدى روعتها ٠٠ خاصة ومجتمع الجزيرة في ذلك الحين لاتستوقفه طويلا مثل هذه الامور ، بل تشده الحرب ، ويدور في فلك القبيلة ، ويهتم بنفسه، متعته ، وتجارته، وشرابه، اكثر مما يهتم لمثل هذه العلاقات٠

عن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كانت امرأتان معهما ابناهما ٠ جاء الذئب فذهب بابن احداهما : فقالت صاحبتها :

ـ انما ذهب بابنك ٠٠

وقالت الاخرى : انما ذهب بابنك

فتحاكما الى داود فقضى للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال :

ـ ائتوني بالسكين اشقه بينهما

فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله٠ هوابنها ٠

فقضى به للصغرى ٠

ان الرسول هنا يقدم « الامومة » في أحلى صورها ٠٠ التضحية ٠٠ الايثار ٠٠ وهذه القصة لاتحتاج منا الى تعليق او تعقيب ، فانها تفتح القلب الانساني لفهم واستيعاب مشاعر الامومة ، التي لم يقيض الله لرجل ان يحسها او يعيشها ٠٠ وهو خلال نضاله لكي يفجر ينابيع الحب والحنان في قلوب صحراوية جرداء، لاينسى ان « يوظف » هذا الحب ، ويرشده ، فهو لا يريد حبا اعمى ، انما يود ان يترجم هذا الحب الى عطاء ٠٠ ويقول عليه الصلاة والسلام ٠٠٠

٠ « مشيك الى المسجد وانصرافك الى اهلك في الاجر سواء » ٠٠

انه يساوى بين الذهاب للصلاة ، والذهاب للاهل ٠٠ ان صلة الرحم فيما يراه عبادة لا تقل عن الصلاة ٠٠ وهو ـ عليه الصلاة والسلام لا ينسى انه معلم ٠٠

٠ « ارجعوا الى اهليكم : فعلموهم » ٠٠

انه هنا يحمل الاسرة باكملها مسئولية التعليم والتربية ٠٠ لقد قام هو بهذا الدور في عائلته ، وهو يطالب كل مسلم بذلك

أيام مع ضيوف الرحمن في مكة ٠٠ والمدينة

٠٠ وعاد ملايين المسلمين من ضيوف الرحمن كل الى وطنه ، بعد ان أدوا مناسك الحج وزاروا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعاشوا اياما خالدة مشهودة ، تنوعت فيها اجسادهم وتوحدت ارواحهم وافعالهم واقوالهم ٠٠ ووقفوا على عرفات ، الكل يبكى ويدعو بقلب خاشع في أروع لحظة لقاء بين الله والنفس ، وتعطلت لغة الالسنة بين الناس ، ولم تبق الا الدموع تناجي الخالق ، وتضرع اليه طالبة المغفرة والرضوان وان يجمع كلمة المسلمين ويوحد بين صفوفهم وان يلتقى الجميع على كلمة سواء ٠٠ والقلوب والافئدة والجوارح كلها مع الله ٠
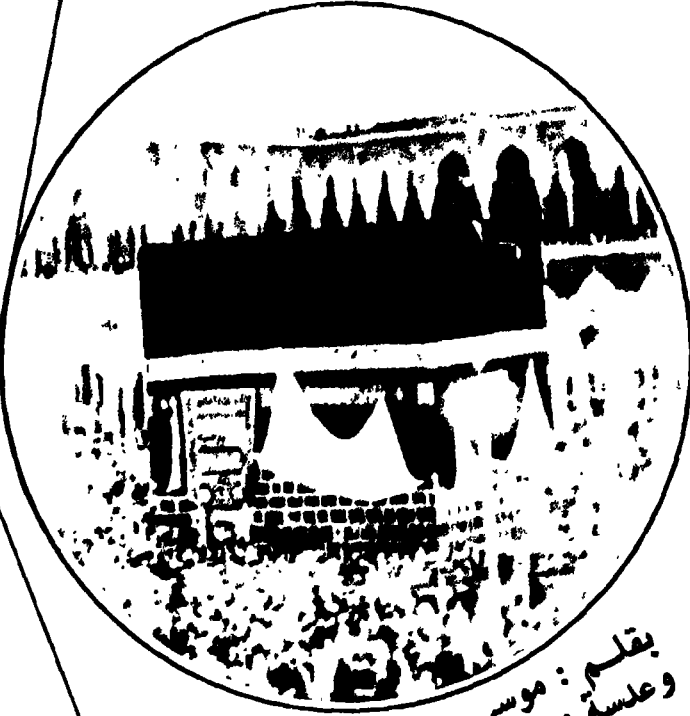
استطلاع بقلم : موسى صالح شرف

وعدسة : عبد الفتاح سعيد

وفي خلال ايام الحج نسي الجميع انفسهم ، ولم يذكروا الا شيئا واحدا هو انهم في ضيافة الرحمن وفي رحابه ومن يرى مكة وعرفات ومنى ، في موسم الحج ، لا يرى الا ارضا مزروعة بالبشر ⋅⋅ الملايين من الرجال والنساء من جميع انحاء العالم ، تتجمع في مكان واحد كل يهتف : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك وفي الشارع الواحد ، بل في المنزل الواحد تعيش اكثر من جنسية ولكنهم يبدون وكأنهم اسرة واحدة لا شيىء يفرق بينهم حتى مشكلة اللغات يمكن التغلب عليها حينما تهتف الجموع الله اكبر ⋅⋅ لبيك اللهم لبيك ⋅

⋅⋅ والكل في الحج على اختلاف لغاتهم واجناسهم وتباعد اوطانهم ، جاءوا لهدف واحد وعاشوا اياما فنيت فيها انفسهم وشعروا انهم في اكمل لحظات الايمان والروحانية وأنهم قريبون من رحمة الله و « ان رحمة الله قريب من المحسنين » ⋅

⋅⋅ ومن بين ملايين المسلمين الذين سعدوا باداء فريضة الحج هذا العام، كانت بعثة الحج الرسمية لدولة الامارات العربية المتحدة ⋅

ومع البعثة ومع حجاج بيت الله الحرام، سوف نقدم في خلال هذاالاستطلاع بالكلمة والصورة انطباعاتنا ومشاعرنا تجاه هذه الشعيرة المباركة ⋅

والبداية كانت في مطار ابوظبي الدولي حيث تجمع افراد البعثة في موكب ديني مهيب وبعد وداع رسمي استقل الجميع الطائرة ولا شيىء يشغلهم الا استعجال الوقت ، للوصول الى الاراضي المقدسة استجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام ، ربنا واجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ⋅

وطوال هذه الفترة كان الكل مستغرقا في تأمل وصمت وشوق وخشوع، وخلال

لحظات الصمت كان الاحوةالعلماء والدعاة ينبهون الى بداية النسك عند محاذاة الميقات ، واعمال الاحرام هي اول شعائر الحج ⋅

وعندما وصلنا الى الميقات أحرم اعضاء البعثة ممن سيتوجهون رأسا الى مكةالمكرمة، وعلى الفور اهتزت جنبات الطائرة بالتهليل والتكبير والتلبية ⋅

وفي جدة توجه فريق الى مكة المكرمة وفريق اخر توجه الى المدينة المنورة وذلك وفقا للتنظيم الاداري الذي وضعه مسئولو البعثة ⋅

⋅⋅ وعندما وصلنا الى مشارف مكة وظهرت مبانيها ، هتفت القلوب بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم اجعل لنا بها نورا وارزقنا فيها رزقا حلالا ، اللهم ان هذا الحرم حرمك والبلد بلدك والامن امنك والعبد عبدك، جئناك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة واعمال سيئة، فنسألك مسألة المضطرين اليك المشفقين من عذابك ، ان تستقبلنا بمحض عفوك وان تدخلنا فسيح جنانك ، اللهم ان هذا الحرم حرمك والأمن امنك فحرم لحومنا ودمائنا وعظامنا على النار، وآمنا من عذابك يوم تبعث عبادك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ⋅

[illegible] بيت الله :

وبعد استراحة قصيرة في مقر البعثة توجه الجميع الى بيت الله الحرام يجذبهم الشوق وتغمرهم الفرحة ، وبين التلبية والتكبير وصلنا الى المسجد الحرام ودخلناه من باب السلام مرددين « ربنا ادخلنا مدخل صدق واخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام وادخلنا الجنة دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ، اللهم افتح لنا ابواب رحمتك ومغفرتك ، وادخلنا فيها وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وعند رؤية الكعبة المشرفة لم يتمالك الحجاج انفسهم فعلت اصواتهم بالتكبير والتهليل وارتفعت الحناجر بالدعاء مستحضرين في هذا الموقف الرهيب عظمة رب هذا البيت ، وفي صوت واحد كان دعاؤنا اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ورفعة وبرا وزد يا رب من شرفه وعظمه وكرمه ممن حجه او اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما .

ونتجه الى الكعبة المشرفة من ناحية باب بني شيبة، ثم نسير نحو اليسار متجهين الى الحجر الاسود، ومن اكرمه الله قبله ابتغاء للصلة الروحية بالقبلة النبوية حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله بشفتيه ومن منعه الزحام استلمه بيده اليمنى وقبلها .

[illegible] كالذرات البيضاء :

ثم بدأنا الطواف حول الكعبة سبعة اشواط داعين في كل شوط ، وكنا نطوف حول الكعبة المشرفة في زحام وطوفان بشرى الالوف المؤلفة تدور كالذرات البيضاء حول بيت الله الحرام وكانت لحظات روحية عظيمة .

وننتهي من الطواف ونذهب الى الملتزم وهو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة ، ودعونا بما شئنا ثم صلينا ركعتين في مقام ابراهيم ، وبعد الصلاة توجهنا الى بئر زمزم وشربنا من مائها عملا بقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « خير ماء على وجه الارض ماء زمزم » وقوله « ماء زمزم لما شرب له » ثم سألنا الله العلم النافع والرزق الواسع والشفاء من كل داء .

[illegible] :

وذهبنا الى المسعى وهو المكان بين الصفا والمروة وأدينا مناسك السعي بين الصفا والمروة سبعة اشواط كاملة .

وبعد ذلك انتهت اعمال العمرة وبعد الحلق او التقصير تحلل المتمتع ، وبقي على احرامه من كان محرما منا بالحج او قارنا بين العمرة والحج .

ونبقى في المسجد الحرام ، الى الفجر وكانت لحظات من العمر يعجز الانسان حقا ان يصف شعوره نحوها ، وبين قراءة

سمو الشيخ راشد بن حميد عضو المجلس الاعلى حاكم امارة عجمان اثناء زيارته لمقر البعثة في مكـــة المكرمة ٠

احد اعضاء بعثة الحج السودانية في زيارة لمقر البعثة في مكة المكرمة ·

الاستاذ « احمد ناصر النعيمي » نائب رئيس البعثة ، اثناء لقائه ببعض الوفود الزائرة لمقر البعثة ·

القرآن الكريم والدعاء،لا تجد حولك الا قلوبا خاشعة ونفوسا وجلة لا هموم ولا مشاكل ، الكل مشغول حتى عن نفسه ، الجميع يجلسون في الحرم الشريف في سكينة لا تزلزلها الجبال وفي صفاء نفسي لا يشعر به الانسان في غير هذا المكان الطاهر .

وعندما ارتفع نداء المؤذن لصلاة الفجر رددته جبال مكة بل ردده الكون ترديدا يهز اعماق النفوس وهنا كانت لحظات بالدعاء وفاضت العيون بالبكاء .

ونؤدي الصلاة ثم ننصرف افرادا وجماعات ...

نشاطات بعثة دولة الامارات .

وفي اليوم التالي لوصولنا مباشرة تبدأ بعثة دولة الامارات العربية اعمالها لخدمة حجاج بيت الله الحرام من كل بقاع الارض ، وبصفة خاصة حجاج دولة الامارات العربية المتحدة ، والعمل على راحتهم ورعايتهم دينيا وصحيا وامنيا واداريا .

وعلى الفور اقامت البعثة الطبية ، في مكة والمدينة ، عياداتها الطبية لاستقبال اي حاج ورعايته صحيا ، وكان الاقبال على عيادات البعثة الطبية كبيرا،ولما كانت الخدمة الصحية جيدة فان البعثة كانت تستقبل في اليوم الواحد بمكة ما يزيد على الف حاج من جنسيات متعددة ، والى جانب ذلك كان اعضاء البعثة من اطباء وممرضين يلبون اى نداء للعلاج خارج مقر البعثة وفي اي مكان ، كما كانوا يقفون على اهبة الاستعداد — ليلا ونهارا — لنجدة اى مريض والمساهمة في انقاذ المصابين في اية حادثة او حريق طارىء .

التوعية الدينية :

اما رجال الدعوة والوعظ والارشاد من اعضاء البعثة في مكة والمدينة ، فكانوا محور النشاط ودائرة الثقل،خاصة و[illegible] الحجاج يكونون قلقين وفي شوق الى معر[illegible] كل صغيرة وكبيرة عن مناسك الحج واداء[illegible] صحيحة وفي يسر وسهولة .

وكان العلماء يقومون بنشاط ضخ[illegible] طوال اليوم ، في التوجيه الديني والارشاد ففي الصباح يتوجه بعض العلماء الى حجا[illegible] دولة الامارات في مواقعهم خارج مقـ[illegible] البعثة ، لتفقد احوالهم وتعريفهم بمناس[illegible] الحج ويجيبون على اى سؤال خاص بالح[illegible] او في اية مسألة دينية اخرى .

وبعد صلاة العصر والمغرب ، يقـ[illegible] الوعاظ بالقاء المحاضرات والـدرو[illegible] الدينية ، في المساجد القريبة من مقـ[illegible] البعثة والتي كان يحضرها المئات من حجا[illegible] دولة الامارات وغيرهم من الدول الاخرى

اما في المساء وبعد صلاة العشاء فكان[illegible] تعقد يوميا في مقر البعثة ندوات دينية يوم للرجال ويوم للسيدات — ويقوم فيـ[illegible] العلماء بتوضيح مناسك الحج والاجابة ع[illegible] أية اسئلة،وكانت الندوات تستمر حتـ[illegible] منتصف الليل في حوار ديني مستنير .

لأول مرة :

والى جانب ذلك أعدت ادارة البعثة ولاول مرة — رحلات استطلاعية الى مناسـ[illegible] الحج على الطبيعة ليتعرف الحجاج عليهـ[illegible] قبل اداء الفريضة،وذلك حرصا على سلا[illegible] التادية ومراعاة لشروط الشرع الحنيف وكان العلماء يصحبون مئات الحجاج يوم[illegible] — على افواج — الى جبل عرفات والى مز[illegible] والمزدلفة والمشعر الحرام واماكن رمـ[illegible] الجمرات،شارحين لهم كيفية اداء المناسـ[illegible] في يسر وسهولة،وفي خلال هذه الرحلة كا[illegible] الحجاج يتعرفون على مسجد نمرة وواد[illegible] عرفة ووادي محسر،الذي أهلك فيه اصحا[illegible] الفيل ، ويعتبر هذا بمثابة التطبيق العمـ[illegible] لاداء المناسك .

رحلات استطلاعية الى مناسك الحج قبل اداء الفريضة

وكان لهذه الرحلات الاستطلاعية اثر كبير في تفهم الحجاج لاعمال الفريضة وبخاصه من يؤدونها لاول مرة ٠

ولم تكن هذه فقط مهمة رجال الوعظ والارشاد من أعضاء البعثة ، فقد كان لهم دور هام في المؤتمرات الاسلامية التي تعقد بالمملكة السعودية ،خلال موسم الحج وفي اللقاءات مع الشخصيات الاسلامية العالميه وفي التوعية الاسلامية لضيوف الرحمن،من خلال الاجتماعات واللقاءات التي نوقشت فيها الامور التي تهم المسلمين وقضاياالفكر الاسلامي المعاصر ٠

ندوة الاستطاعة للحج :

وقد اشترك وفد من أعضاء البعثة برئاسة الاستاذ احمد ناصر النعيمي نائب رئيس البعثة ، في الندوة الاسلامية التي عقدتها الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة ، وكان موضوعها « الاستطاعة الشرعية للحج » وانتهت الندوة في قراراتها الى ان الاستطاعة الشرعية في الحج شرط لوجوب الحج وسنة العمرة،وانه لا يصح منع من سبق له الحج من القدوم لاداء الفريضة مرة اخرى على اطلاقه اذ ان ذلك قد يفتح الباب للحد من الحج،ورات الندوة ان تتم توعية المسلمين وافهام الذين سبق لهم اداء الفريضة ان الواجب قد سقط عنهم وان لهم ان ينفقوا اموالهم في نشر الاسلام والدفاع عنه والجهاد في سبيل الله واوجه الخير والنفع ٠

لقاءات .. ومؤتمرات :

كذلك اشترك وفد آخر من البعثة برئاسة الاستاذ عبيد راشد العقروبي مسئول الشئون المالية والادارية في البعثة في عقد عدة لقاءات مع اعضاء رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وحضور موسمها الثقافي الاسلامي ، الذي تناول ثلاثة موضوعات رئيسية هي تطبيق الشريعة الاسلامية في المملكة العربية السعودية والتحديات التي تواجه الامة الاسلامية في الداخل والخارج وقضية القدس وفلسطين٠

ومن بين اللقاءات التي تمت في مكة المكرمة لقاء مع فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن باز رئيس هيئة البحوث والفتوى والارشاد بالمملكة السعودية ولقاءات مع الشيخ محمد صفوت السقا الامين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي والدكتور عبد الصبور مرزوق مدير الرابطة وعدد من اعضاء الرابطة من مصر وسوريا والعراق وقطر والكويت وبعض رؤساء بعثات الحج الرسمية ٠

زيارات للاماكن التاريخية في مكة:

وفي الاوقات التي كانت تخلو من العبادة او المحاضرات واللقاءات،كان بعض افراد البعثة يقومون بزيارة لبعض الاماكن التي لها تاريخ في مكة المكرمة لتمجيد الذكريات

الاستاذ احمد ناصر النعيمي ممثلا لدولة الامارات
في مؤتمر الاستطاعة الشرعية للحج بمكة المكرمة.

الدكتور عز الدين ابراهيم مستشار سمو رئيس
الدولة في حديث روحي بمخيم البعثة في منى .

على عرفات ·· بين يدي الله ، نخبة من سيداتنا في دعائهن الى الله ان يتقبل منهن بالرحمـــة والمغفـــرة ·

الرعاية الصحية للحجاج ·· تقدمها البعثة الطبية لجميع المسلمين بلا تمييز او تفرقة ·

الدينية مثل ٠
ـ دار السيدة خديجة، وقد اقام بها الرسول صلى الله عليه وسلم منذ زواجه بها حتى هاجر الى المدينة وفيها ولد جميع اولاده صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة، وفيها ماتت قبل الهجرة باربع سنين وفيها بات صلى الله عليه وسلم ليلة اعتزم الهجرة الى المدينة المنورة، وهي الآن تستعمل كمدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ٠
ـ دار الارقم المخزومي : وفي هذه الدار كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو للاسلام خفية ويجتمع بمن آمن وفيها اسلم عمر بن الخطاب ٠
ـ دار ام هانيء التي كان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ٠
ـ مقبرة المعلى وهي مقبرة مكة، وتوجد في الشمال الشرقي منها، وبها دفنت السيدتان خديجة رضي الله عنها، واسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ٠
ـ غار حراء الذي كان يتعبد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهو في قمة جبل النور على يسار الذاهب الى عرفة على بعد ثلاثة اميال من مكة وفي هذا الغار نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠
ـ غار ثور على قمة جبل ثور جنوبي مكة في الطريق منها الى اليمن وهو الغار الذي لجأ اليه الرسول صلى الله عليه وسلم مع صاحبه ابي بكر الصديق رضي الله عنه عندما تآمرت قريش على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

ـ جبل ابي قبيس ويطل على الحرم المكي وعند قمته اعلن الاسلام بمكة وعند الوصول الى قمته تجد مسجد بلال بن رباح رضي الله عنه ٠

وفي مكة المكرمة ايضا مساجد كان لها اثرها في التاريخ ، فهناك مسجد الجن الذي كان يستمع فيه الجن الى القرآن الكريم ، ومسجد الراية بالقرب من مقبرة المعلى الذي ركز رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانه رايته عام فتح مكة ومسجد الشجرة ومسجد الرضوان ٠

اما اعضاء البعثة الآخرون فكانوا على مستوى المسئولية كل يؤدي عمله وواجبه في خدمة اخوانه الحجاج، فهناك من كان مكلفا من الاداريين بالمرور على حجاج المقاولين لتفقد احوالهم ونظافة مساكنهم ومدى التزام المقاولين بالشروط من توفير وسائل السكن والاقامة والنقل للحجاج مع التزامهم بالخدمات الصحية والطبية وتقديم تقارير بذلك للمسئولين ٠
كذلك قام رجال الامن والكشافة بواجبهم من حيث حراسة مقر البعثة والتواجد في الحرم الشريف لارشاد التائهين واصطحابهم الى مقار اقامتهم وتقديم العون للحجاج في مكة والمدنية ٠
اما رجال الاعلام فكانوا في كل موقع ومع كل حدث سواء في مكة او المدينة او جدة، الى جانب قيامهم بتغطية نشاطات البعثة وموسم الحج ، كما اعدت لهم البعثة جولات وزيارات للمسئولين في المملكة السعودية وكبار الشخصيات الاسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة ٠
ومع قيام اعضاء البعثة بواجباتهم ونشاطاتهم فانهم لم ينشغلوا عن زيارة بيت الله الحرام والطواف حول الكعبة واداء الصلوات في الحرم المكي فقد كانت الترتيبات معدة بحيث لا يطغى جانب على اخر، او يحرم حاج من التمتع بالتواجد في بيت الله الحرام والصلاة فيه جماعة ٠

الاستعداد ليوم عرفة :

وتمضى الايام سراعا وتمر الساعات كلحظات والكل في انفعال وشوق وعواطف جياشة وقلوب خاشعة ، ونقترب من يوم السابع من ذى الحجة ويتجمع جميع افراد بعثة دولة الامارات العربية المتحدة في مكة استعدادالتأدية مناسك الحج ·

يوم التروية :

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية) غادرنا مكة الى منى وادينا فيها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وفجر اليوم التاسع (يوم عرفة) ·

الى عرفات :

وبعد طلوع شمس يوم التاسع من ذى الحجة توجهنا الى عرفات ·

وهناك في الوادى الفسيح المترامى الاطراف ، تجمع الملايين ، حتى لاتكاد ترى موضعا لقدم او مكانا خاليا ويوم عرفة هو يوم الحج الاكبر ، الذي يجتمع فيه المسلمون من مشارق الارض ومغاربها على اختلاف السنتهم والوانهم وتباعد ديارهم،استجابة لدعوة الله الواحد الاحد ، سعوا اليه من مكة مشاة وركبانا غطت باعدادهم المهولة الاباطح،حتى ما يبين لون الجبال بعد ان صبغه بياض ثياب الحجاج يصعدون شرفا ويهبطون واديا ، رغبة في ثواب الله ورحمته المنزلة على عرفات

وعند الظهر نستمع الى خطيب مسجد نمرة وهو يعظ الحجاج ويوضح لهم مايجب عليهم اداؤه في هذا اليوم والذي بعده ويأمرهم بالتقوى ويحذرهم من محارم الله · وبعدها نصلى الظهر والعصر جمع تقديم · ثم نبدأ في الوقوف بعرفات ·

والوقوف بعرفات يذكرنا بيوم الموقف العظيم حيث لا ترى الا ازدحام الخلق واختلاف اللغات وارتفاع الاصوات بالدعاء والتهليل والاستغفار ومن يرى الحجاج في هذا اليوم وهم في ملابس احرامهم يجأرون الى الله بصوت واحد ، لن ينسى ابدا هذا المنظر الرائع · الحجاج على الجبل وفي الوادي كالحمام في ثياب بيض لا تعرف الفقير من الغنى او الاندونيسي من العربي او الافريقي من غيره · اختفت الجنسيات والازياء واللغات والكل يدعو بلسان واحد ويشعر في قرارة نفسه انه يخاطب الله وانه في ضيافته وفي رحابه وانه ضعيف وفي حاجة الى عون الله وفي هذا المكان لا احد قوى · ولا احد غني· الجميع

● الرعاية الطبية لحجاج الامارات ، ليست قاصرة على زمان ومكان ، فهذا حاج مريض اقتضت حالته ان يظل في رعاية الاطباء حتى يصل الى بيته واسرته ، ويرى هنا في صحبة رئيس الاطباء بالبعثة ·

بالاحضان ، وكيل الوزارة سعادة محمد جمعة سالم يعانق الاستاذ صقر المري رئيس البعثة مهنئا بسلامة العودة .

في الطائرة .. بعد اداء الفريضة وعلى الوجوه ابتسامة الرضا وراحة النفس المطمئنة .
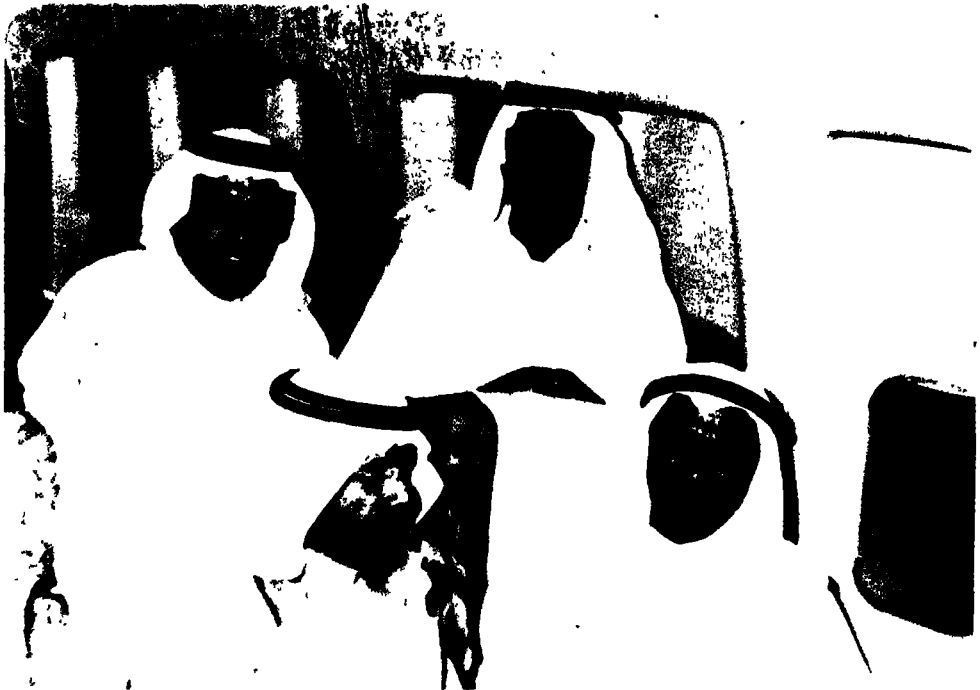
● الأستاذ صقر المري .. رئيس البعثة .. بملابس الاحرام في مخيم البعثة في منى يوم التروية

صلاة العشاء في مزدلفة ،والشيخ سيد عبدالراضي « عضو البعثة » يلقي درسا قبل الصلاة عن اداء مناسك الحج بعد عرفات ·

ضعاف واذلاء وفقراء الى خالقهم، يسعون اليه بعقولهم وقلوبهم ويبكي الملايين وينوبون خشوعا لله خالق السموات والارض •

انه موقف يرقق القلوب ، ويطهر النفوس من ادران الحقد والحسد ويزكيها من عناصر الكبر والغطرسة والطغيان وتعالى الناس بعضهم على بعض •

والوقت هنا غال الكل يحرص عليه ولا يضيعه في غير ما ينفع• وتلتفت حولك في الخيام فلا تجد الا ذاكرا او داعيا او قارئا للقران الكريم ، مظهر يمثل فناء الدنيا والتجرد من متعها وزخارفها • فالجميع مقبل على الله باخلاص وصدق في عبادته ودعائه شاعرين بلذة القرب من خالقهم تبارك وتعالى •

الافاضة الى المزدلفة :

وبعد غروب شمس ذلك اليوم الكبير نبدأ في الافاضة من عرفة الى المزدلفة الملايين من البشر والآلاف من السيارات جميعهم في طريق واحد « كيوم الحشر » وتتم النفرة في هدوء وفي سكينة وصبر وتحمل وتراحم وتعاون لن تجد له مثيلا في اى مكان بالعالم •

ونصل المزدلفة ونصلى فيها المغرب والعشاء جمع تاخير ونبقى في المزدلفة حتى الفجر ونصليه بها جماعة ثم نتجه الى المشعر الحرام ــ حيث وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وندعو الله ونذكره بكل قلوبنا وجوارحنا استجابة لقوله تعالى « فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين،ثم افيضوا من حيث افاض الناس » •

جمرة العقبة :

ويجمع بعضنا حصى رمي جمرة العقبة من المزدلفة ثم نتجه جميعا الى منى مكبرين من التلبية ونصل منى بعد طلوع شمس يوم العيد فنرمي جمرة العقبة وبعضنا يحلق او يقصر او ينحر الهدى ثم يتحلل التحلل الاصغر •

وبعد ذلك نزحف الى مكة ونتجه الى الكعبة المشرفة لنطوف طواف الافاضة وبه تنتهي اركان الحج ويسعى من لم يسبق له السعي بين الصفا والمروة •

ونرتدى ملابسنا العادية ونعود الى منى ونبيت بها ليلتين او ثلاثا وفي خلال هذه الايام كنا نرمي الجمرات الثلاث الصغرى والوسطى والكبرى •

وبعد ان انتهينا من ذلك كله نكون قد ادينا جميع مناسك الحج بتوفيق من الله جلت قدرته •

في المدينة المنورة :

وبعد ختام الحج يتوجه اعضاء البعثة ــ ممن كانوا في مكة المكرمة ــ الى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم • وللقيام باداء واجبهم نحو خدمة زوار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم •

والطريق من مكة الى المدينة يخترق سلسلة من الجبال بعضها جبال ترابية وبعضها جبال صخرية تلمع فيها عروق المرمر والرخام وبعضها تكسوه غبرة حديدية حمراء تدل على تربة معدنية غنية، وتلتف حنايا الطريق وتنعطف في انحناءات خطرة وصعبة ، تتأنى عندها عجلات السيارات مخافة حوادث الطريق •

وفي الطريق الى المدينة المنورة نمر على معالم تاريخية لها اثرها في مسار الدعوة الاسلامية فعلى بعد ١٧٠ كيلومترا تقريبا من المدينة نشاهد «قرية بدر» والى جوارها مقبرة القليب حيث دفنت قريش قتلاها والى جوار ذلك ، نرى مكان العريش الذي

ناه المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان يقود اول معركة بين المسلمين ومشركي مكة ، في اليوم السابع عشر من رمضان من العام الثاني للهجرة وفيهـــا انتصر المسلمون على المشركين وفي هـــذه المعركة الخالدة نزل قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة » .

وكانت بدر سوقا من أسواق العرب وماء على طريق القوافل قبل الغزوة الكبـــرى المسماة باسمها .
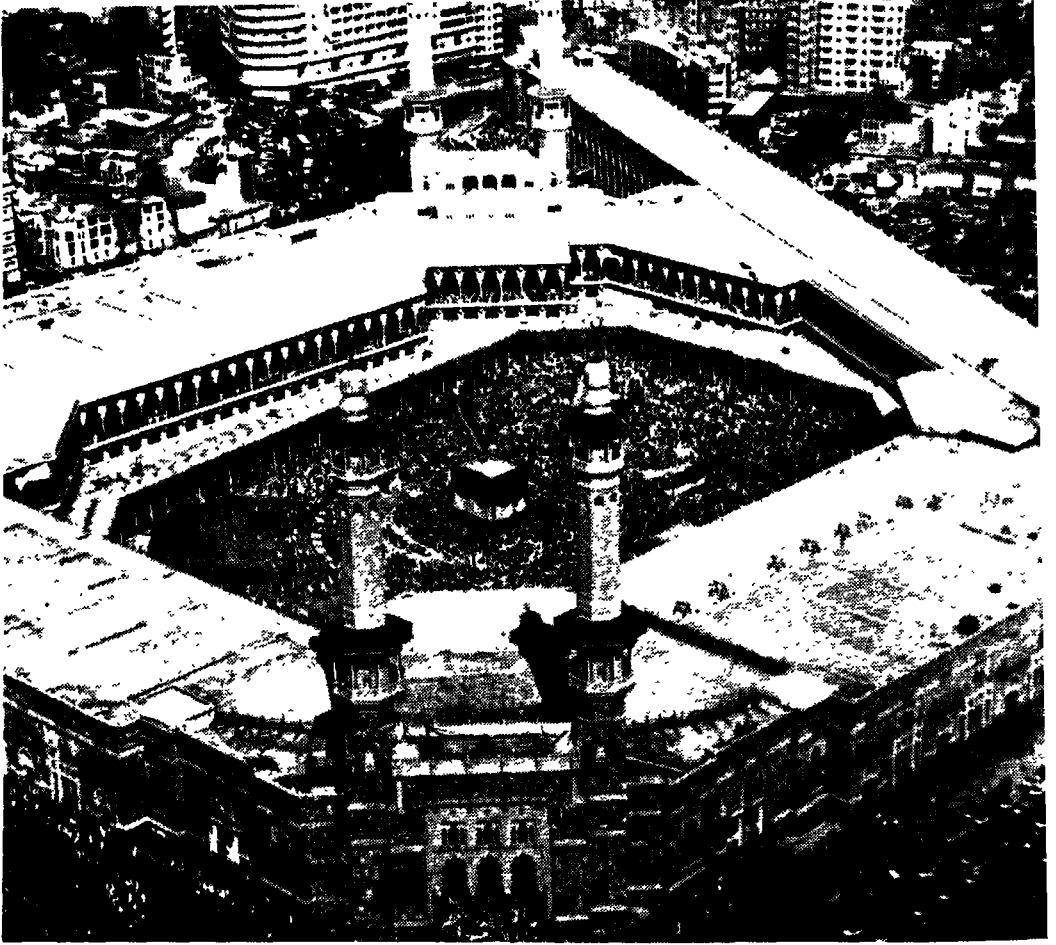
ونمر في طريقنا ايضا برابغ ومستورة وبئر الشيخ والمسيجيد .

وقرب المدينة المنورة « آبار علي » وهي ذو الحليفة ميقات اهل المدينة وننزل عندها ونتوضأ بها استعدادا لدخول مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والامل يملأ قلوبنا باننا سنحظى بزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وان الله سيمن علينـــا بالقبول والرضوان .

على أبـــواب المدينــة :

وعندما تظهر لنا مباني المدينة نكثر من ذكر الله والصلاة على رسوله صلى الله
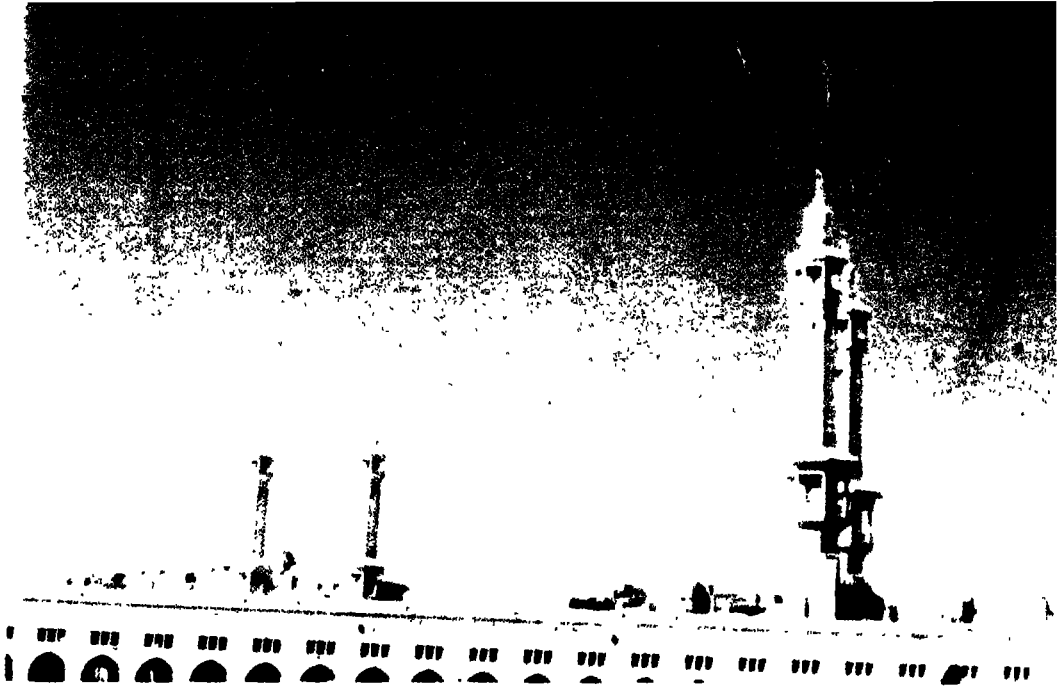
اربعة ماذن من ماذن الحرم المكي الشريف ٠

ماذن الحرم المكي في لقطة فريدة من قمة الجبل
المجاور للمسجد الحرام ٠
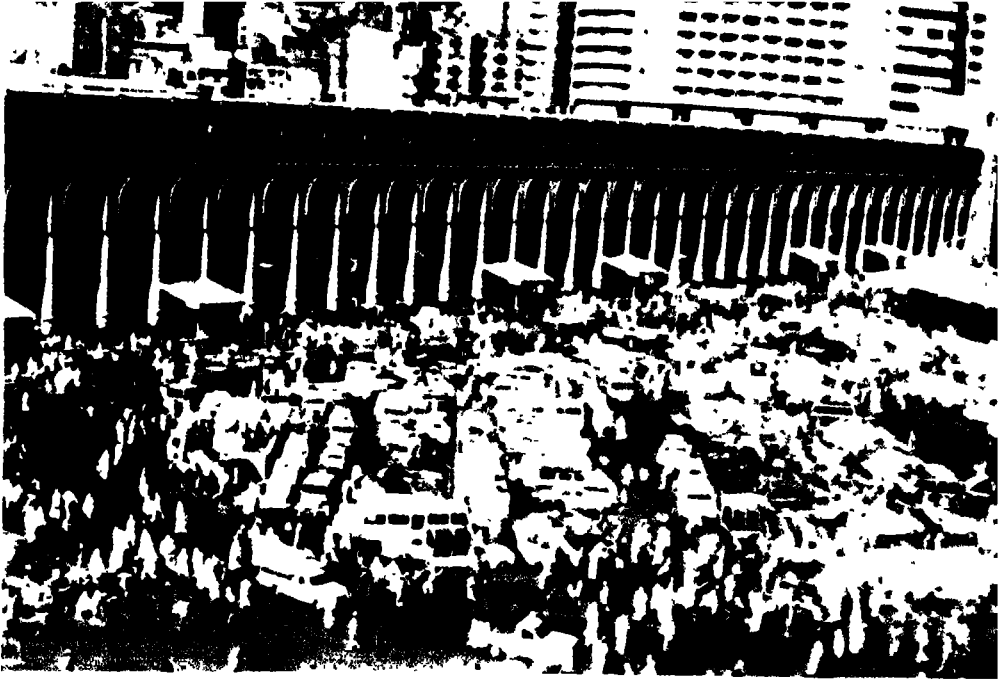
لزحام في غير اوقات الصلاة أمام ابواب المسجد
لحـرام ٠

مسجد بلال يطل على المسجد الحرام من قمـة
الجبـل ٠

عليه وسلم .

ونصل المدينة ثم نتجه من فورنا الى المسجد النبوي الشريف في شوق ولهفة ونقصد الروضة الشريفة ونصلي بها ركعتين تحية المسجد عند منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وندعو الله بما وفقنا اليه .

ونتوجه في خشوع الى مثواه صلى الله عليه وسلم ونقف امامه مستحضرين عظيم منزلته ورفيع درجته ونسلم عليه في صوت هامس قائلين « السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، نشهد انك رسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصرت الامة وجاهدت في امر الله فجزاك الله عنا خيرا الجزاء وصلى الله عليك افضل صلاة وازكاها .. ثم نتجه يمينا حيث قبر ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ونسلم عليهما .

ثم نعود الى محرابه صلى الله عليه وسلم ونصلي ركعتين عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » .

زيارات في المدينة :

وطوال أيام وجودنا في المدينة المنورة كنا نكثر من الزيارة لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والصلاة فيه . والاوقات التي كنا نقضيها خارج الحرم النبوي ، كانت حافلة بزيارة الاماكن الحبيبة الى كل قلب ونفس ففي المدينة المنورة زرنا :

- مسجد قباء جنوب المدينة وعلى بعد خمسة كيلومترات منها وهو اول مسجد اسس في الاسلام وفيه نزل قوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه . فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين » وقد بناه النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه عند قدومه مهاجرا من مكة الى المدينة وبناؤه اليوم من عمارة الخلافة العثمانية .

- مسجد الجمعة : في طريق قباء وهو اول مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم اول جمعة بالناس .

- مسجد القبلتين : وهو المسجد الذي صلى فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، مع اصحابه نحو بيت المقدس وفيه امر بتحويل القبلة الى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فلم يقطع صلاته واتمها «نصفها الى المسجد الاقصى» والنصف الاخر الى المسجد الحرام .

مسجد الفتح :

ويسمى ايضا مسجد الاحزاب وقد أقيم في المكان الذي دعا فيه الرسول على الاحزاب في غزوة الخندق فاستجيب له وفي غربه أثر الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه لصد المشركين .

مسجد الغمامة :

وسمي كذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى في مكانه في يوم شديد الحرارة فظللته من الشمس غمامة مدة صلاته .

البقيع :

وهو مقبرة المدينه الوحيدة منذ عصر الرسالة الى اليوم وفيه دفن ما يقرب من عشرة آلاف صحابي وفيها مدافن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ما عداالسيدة خديجة وميمونة وفيه دفن اولاد الرسول صلى الله عليه وسلم وعمه العباس وعثمان بن عفان وسعد ابن وقاص والامام مالك بن انس رضي الله عنهم اجمعين .

جبل أحد :

ومن الامكنة التي حرصنا على زيارتها بالمدينة المنورة جبل احد حيث دارت المعركة التاريخية بين ٧٠٠ من المسلمين وثلاثة آلاف من المشركين والذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « احد جبل يحبنا
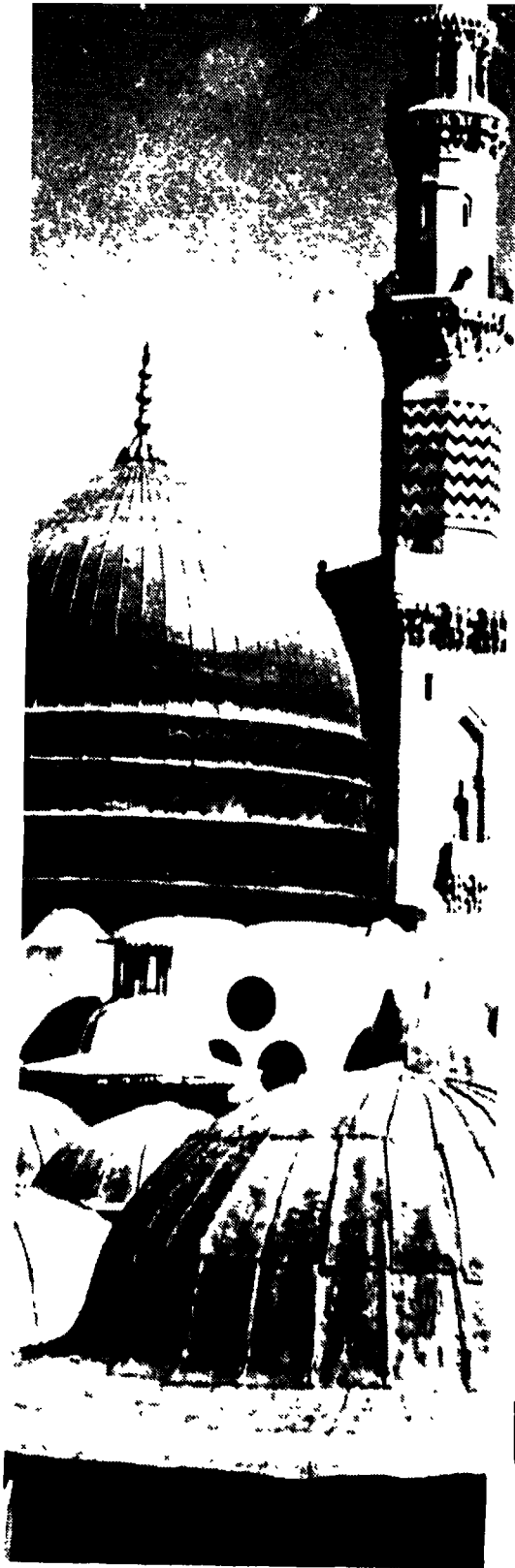
ونحبه » وفي الجبل الاشهم نتذكر حمزة سيد الشهداء وطلحة بن ابي طلحة وسعد بن الربيع وانس بن النضر وغيرهم ونرى « جبل الرماة » حيث اوصى النبي صلى الله عليه وسلم الرماة ان يرابطوا لحماية ظهر الجيش المهاجر ولا يفارقوا نبالهم ٠

وعلى مقبرة من احد توجد أماكن لهـا ذكريات تاريخية مجيدة فهنا المكان الـذي لبس فيه الرسول صلى الله عليه وسلـم درعين استعدادا للحرب وهناك المكان الذي كسرت فيه ثنيته ٠ والمكان الذي استراح فيه بعد المعركة ٠ وهنا المكان الذي دفن فيه حمزة ٠

دار ابي ايــوب الانصــاري :

وهي الدار التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما وصل الى المدينة مهاجرا من مكة وتقع شرقي المسجد النبوي والى جوار المسجد النبوي توجد دور اخرى منها دار عثمان بن عفان ودار عمرو بن العاص ودار خالد بن الوليد ٠

والمدينة المنورة كلها آثار وذكريـات خالدة ٠

وقبل ان نغادر المدينة المنورة زرنـا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ودعونا قائلين : « اللهم لا تجعل هذا اخر العهد بحرم رسولك صلى الله عليه وسلم وسهل لنا العود الى الحرمين سبيلا سهلة » وودعنا المسجد بالصلاة ركعتـين في الروضـة الشريفـة ٠

طـواف الــوداع :

ونعود من نفس الطريق الى مكة المكرمة وعندما حان موعد سفرنا الى ديارنا قمنا بالطواف حول الكعبة المشرفة طواف الوداع وقلوبنا معلقة به وكل آمالنا ان يمن الله علينا بالعودة الى رحابه المقدسة مـرات ومرات وبعد الطواف نصلي ركعتين ثم ندعو الله سبحانه وتعالى قائلين « اللهم ان البيت

الجسور الجديدة التي خففت الزحام الشديد في منى ومكة وطريق المدينة ·

جبل الرحمة وقد امتلأ بالتائبين يرجون رحمة ربهم بعد أن غص وادي عرفة بمليوني حاج من جميع البلاد ·

لولا عناية الله ورحمته ، لادى هذا الحريق الى خسائر فادحة ، ولكن طائرات الهليوكبتر المجهزة للاطفاء من فوق وسيارات الاطفاء من اسفل ، اسرعت فاخمدت النيران ·
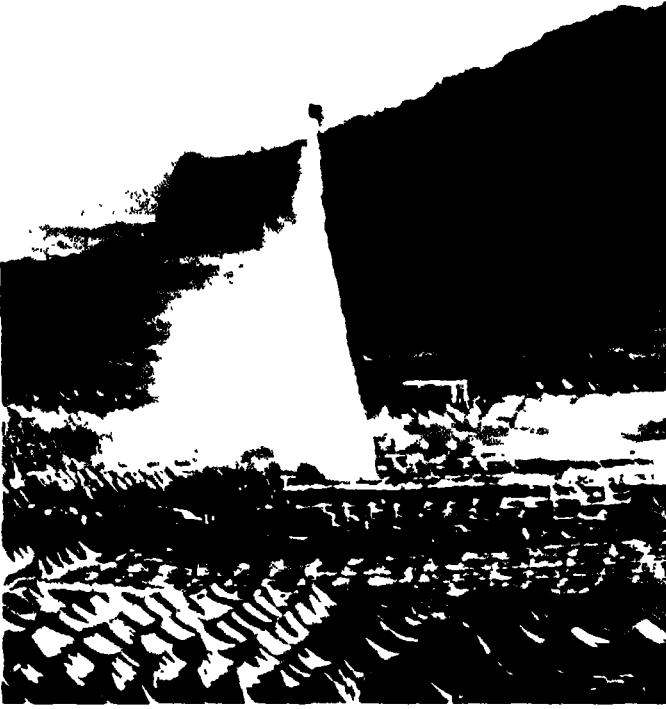
جانب من وادي منى ليس فيه شبر يخلو من البشر انها ارض مزروعة بالبشر ·

بيتك وانا عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك وسيرتني في بلادك حتى بلغتني بنعمتك الى بيتك واعنتني على اداء نسكي ، فان كنت رضيت عني فازدد ، عني رضا والا فمن الان وقبل ان تنأى عنك داري ، وهذا أوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغبا عنك ولا عن بيتك اللهم فاصحبني العافية في بدني والصحة في جسمي والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني العمل بطاعتك ما ابقيتني واجمع لي خيري الدنيا والاخرة انك قادر على ذلك » .

ونغادر المسجد الحرام ونحن في اشد اللوعة والاسف والحزن لفراقنا اشرف بقعة على وجه الارض لكن الامل في الله قريب وكبير في ان يكتب لنا العودة الى حرمه وبيته مرات ومرات: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده » .

وها نحن مع الملايين نعود الى اوطاننا ونستانف اعمالنا وحياتنا منجديد وليست العبرة في الحج باداء مناسكه ولكن الهدف الاسمى هو ان يستمر الحاج بعد عودته الى بلده في طهره وصفائه وتجرده وان يحرص على ان تكون ايامه كلها هجرة الى الله جلت قدرته واعماله جميعها خالصة والله مع المخلصين الصادقين .

رئاسة بعثة الحج :

شكلت بعثة الحج لدولة الامارات العربية المتحدة ، هذا العام من الاساتذة صقر المرى مدير الشئون الاسلامية رئيسا واحمد ناصر النعيمي مدير العلاقات الخارجية بوزارة العدل والشئون الاسلامية وراشد عبيد العقروبي مدير الاوقاف مسئولا للشئون المالية والادارية كما ضمت البعثة ٢٠٠ عضو من رجال الوعظ والارشاد والصحة والداخلية والشباب والاداريين .

مقترحات :

على الرغم من الجهود الكبيرة والمخلصة التي تبذلها المملكةالعربية السعودية لخدمة حجاج بيت الله الحرام وتسهيل اداء المناسك . وبرغم الخدمات التي تقدمها بعثات الدول لحجاجها ، الا ان هناك بعض المقترحات والآراء ، التي ينبغي دراستها اسهاما في توفير اكبر قدر ممكن من الراحة للحجاج .

● ينبغي النظر الىالامور نظرة واقعية وعلىالطبيعة وعلى العلماء المسلمين من مختلف انحاء العالم انيجتهدوا دون خروج على النصوص – فيما يسهل على ملايين المسلمين اداء الفريضة في غير مشقة اوجهد مضاعف او معاناة تفقد الحجاج ارواحهم.

● عدم الاكثار من الفتاوى والآراء المتضاربة بين العلماء مع الدعوة الىالتيسير

على الناس ، والاتفاق على رأى موحد بين العلماء الذين يرافقون الحجاج •

● بالنسبة للطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة يمكن تنظيم ادائهما بطريقة افضل، بحيث تحدد البداية لمجموعة من الحجاج وعندما تنتهي تدخل اخرى وهكذا بدلا من التضارب والتزاحم بين الداخلين والخارجين •

● يمكن تجميع بعثات كل دولة في بعثة واحدة ـ كما تفعل دول الخليج ـ بدلا من كثرة البعثات التي تمثل الجمعيات والوزارات والمصالح في الدولة الواحدة •

في سطور :

● بلغ حجاج دولة الامارات العربية المتحدة هذا العام ٥١٨٣ حاجا •

● زار مقر بعثة دولة الامارات ، عدد كبير من رؤساء بعثات الحج وقد تبادلوا المطبوعات والآراء التي تهم المسلمين •

● جندت سفارة دولة الامارات العربية المتحدة في جدة ، كل امكاناتها لخدمة الحجاج وكان سعادة السفير احمد ابو رحيمة على اتصال مستمر بالبعثة ، لتذليل أية عقبة وحل اية مشكلة قد تواجه الحجاج •

● بلغ عدد الحجاج هذا العام من خارج المملكة العربية السعودية ٨٣٠ الفا و ٢٣٦ حاجا قدموا من ١٢٠ دولة وكان اكبر عدد منهم من اليمن الشمالية ١٢٣٨٣٥ حاجا •

● وصلت ساعة الذروة في مكة المكرمة مساء يوم الثلاثاء ٧ من ذى الحجة حيث توافد عليها جميع الحجاج، منالجو والبحر والبر ، وكلهم يقصد المسجد الحرام للصلاة ، او الطواف قبل التوجه الى منى وعرفات •

● يبلغ عدد أبواب الحرم المكي ٢٣ بابا •

● كان سعادة محمد جمعة سالم وكيل وزارة العدل والشئول الاسلامية والاوقاف وسعيد عبد الله حارب مدير مجلة منار الاسلام وكبار المسئولين بالوزارة في وداع واستقبال اعضاء البعثة بمطار ابوظبي الدولي •

● قامت العلاقات العامة بوزارة العدل والشئون الاسلامية والأوقاف باداء واجبها كاملا نحو خدمة الحجاج وتسهيل اجراءات سفرهم •

مئات الآلاف ساعية لرمي الجمرات خضوعـــا وامتثالا لاوامر الله ٠

علم دولة الامارات يرفرف فوق مخيم بعثة الحج الرسمية في منى ٠

زحام حتى فوق حافلات نقل الحجاج وكله في
سبيل الله يهون ·

مقر البعثة الرسمية لدولة
الامارات في المدينة المنـــورة

صورة مشرفة من :

جهاد المسلمين المغتربين

الناس والهجرة :
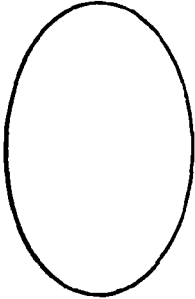
عندما تضطر الحياة الانسان الى الهجرة طلبا للعلم أو للرزق ، في فجاج الارض الواسعة ، فانه يواجه عديدا من المواقف الحرجة ، التي تحتاج الى حسم مباشر دون ارجاء ، وعندما يكون هذا الانسان مسلما ملتزما بدينه متمسكا بقيمه وعقائده ، فان هذه المواقف تكون أوضح ظهورا في أفقه ، وخاصة اذا كانت هجرته الى الولايات المتحدة التي بارت فيها القيم، وتحكم في سلوك مجتمعاتها التحلل والانحلال ، رغم التقدم الحضاري المادي ، والتطور العلمي والعمراني الباهر ٠

أدرك هذا الامر جماعة من الشباب المسلم الغيور على دينه ولغته، والحريص على أن يحتفظ اخوانه وأبناؤهم بصبغتهم الاسلامية ، ليجدوا من خلال مفاهيمها القدرة ، على مواجهة الانهيار الاخلاقي والاجتماعي اللذين ولدتهما مادية الحضارة ، وسرعة الآلة في ركب الحياة ٠

في الولايات المتحدة الأمريكية

اعداد : التحريـــر
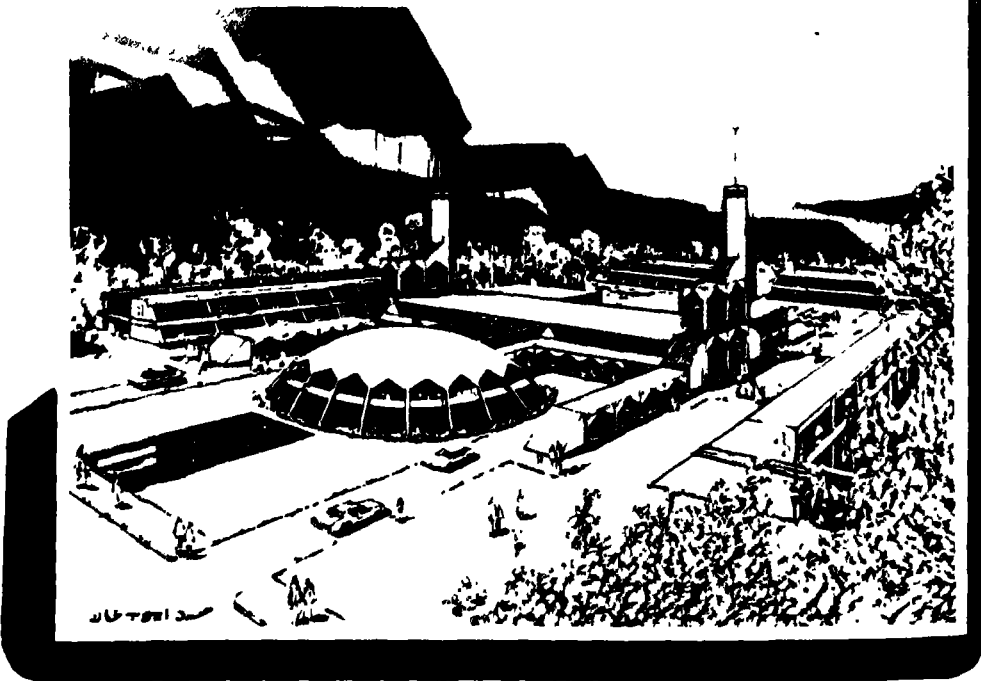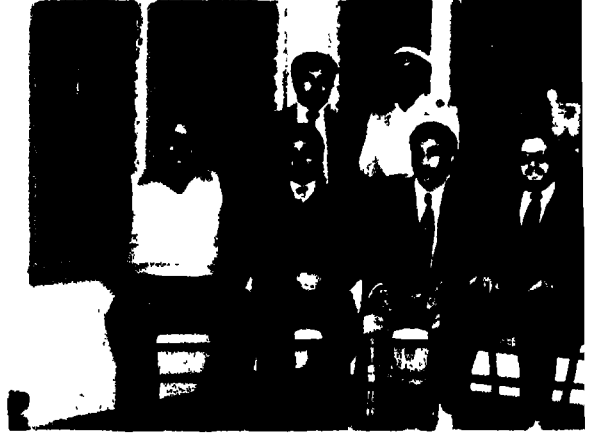
مظاهر نشاط المسلمين المغتربين
فى غرب الولايات المتحدة
تربية وتدريب ونشاط اجتماعى
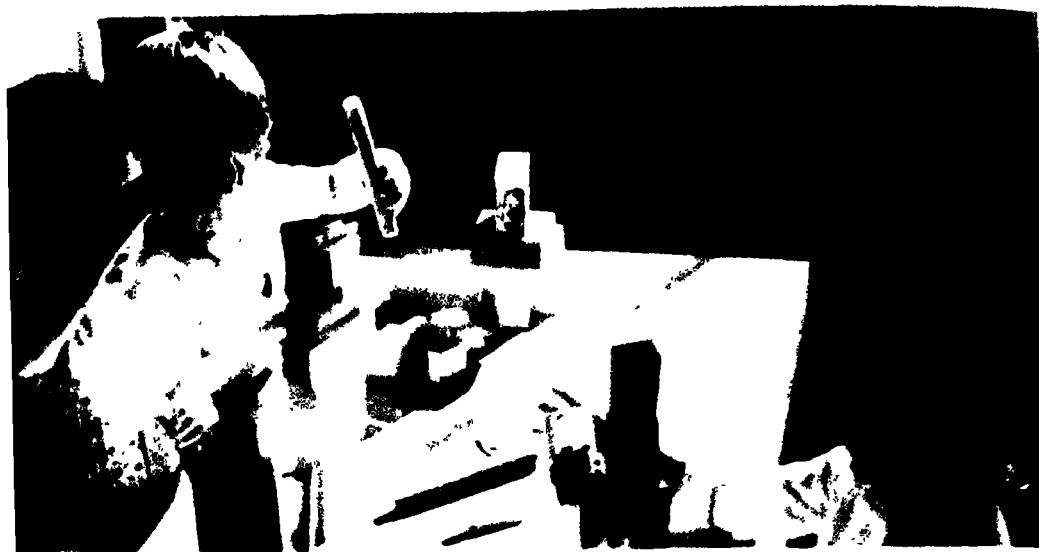
المسلمون في الغرب الامريكي :

وفي ولاية كاليفورنيا ، على مشارف المحيط الهادي من الولايات المتحدة الامريكية ، وفي مدينة لوس انجيلوس وما حولها من قرى وتجمعات ، توجد أكبر جالية اسلامية في الغرب الامريكي، واجهت تحديات المجتمع المادي وحاولت الحفاظ على اسلامها ولغتها ، وأخلاقها الاسلامية ٠

وجدت الجماعة المسلمة أنه من الواجب عليها بناء قاعدة قوية فيها لكي تكون منطلقا للحركة التعليمية الاسلامية والعربية في غرب الولايات المتحدة ، بالاضافة الى أن كثيرا من غير المسلمين والعرب هناك لديهم الرغبة الاكيدة في الاطلاع على الفكر الاسلامي ، ومعرفة عقيدته وتطبيقاته ودراسة تاريخه ، مع تعلم اللغة العربية ٠

كما أن موضوع التعريب وتدريس اللغة العربية للمسلمين من غير العرب، ربما لا تتوفر لخدمة الجميع في تلك الاقطار ، الى أنها وسيلة هامة تمكن من فهم الدين واحسانه واتقانه ٠

معهد الدراسات الاسلامية :

وبجهد جهيد وجهاد ناجح تأسس معهد الدراسات الاسلامية سنة ١٩٧٥ ولم يقم المعهد او يؤسس بصفة عرفية ، بل حظي باعتراف حكومة ولاية كاليفورنيا وكذلك اعترفت به الحكومة الفيدرالية « الاتحادية » ٠

وقد عمد مجلس الادارة الذي يمثل المسلمين والعرب في الغرب الامريكي ، الى تأكيد هوية المعهد التعليميةالاسلامية والعربية بناء على ما واجهه المسلمون والعرب رجالا وشبابا وأطفالا ، من تدهور مستوى الثقافة العربية والاسلامية ، وضعف المستوى اللغوي العربي ، بعد تغلب الصيغة التعليمية الامريكية عليهم ٠

كما أن انتظام أطفال المسلمينوالعرب في المدارس الامريكية ، يجعلهم عرضة للتاثر بسلوكيات الطلاب الامريكيين ، الذين بلغ سوء سلوكهم الى حد استعمال المخدرات والاعتداء على الاساتذة والمدرسين ، مما يتنافى مع قيم ومثل واخلاقيات أطفال المسلمين ٠

وقد كان هدف مجلس الادارة من انشاء المعهد هدفا مزدوج الوظيفة من المحافظة على الاخلاقيات ، الى تنمية الدراسات اللغوية والاسلامية ، الى أن هناك هدفا أسمى ، وهو أن يجد المجتمع الامريكي أمامه مجتمعا اسلاميا حيا يتمثل في مجموعة الدارسين والمترددين على المعهد الاسلامي ، تبدو فيه صورة القيم الاسلامية والتراث العربي على سجيتها ٠

محاور العمل الاسلامي في المعهد :

١ ـ وقد بدأ المعهد بداية عملية بافتتاح أول مدرسة تضم المراحل الثلاث روضة الاطفال ، والابتدائية والاعدادية سميت مدرسة قرطبة ٠

وتدرس في هذه المراحل : العلوم

الاسلامية واللغة العربية ، بالاضـــافة الى المناهج الامريكية ـ التي لا تتعارض مع الاسلام ـ والتي تؤهل الطالـــب المتخرج للالتحاق بالجامعات الامريكية٠

٢ ـ وقد ركز المعهد على رفع مستوى الدراسة الانجليزية لدى الطلاب العرب والمسلمين الوافدين مما يساعدهم على تحقيق مستوى اكاديمي ممتاز ٠

٣ ـ وبما أن الجانب الاجتماعي من حياة المســلمين في دار اغترابهـــم . أمر يجب الا يفتقده المسلمون ، كان من الواجب ان يعطى المعهد الاسلامي في انجازاته المتتالية أهمية للمشاريع الآتية كحاجة ملحة عاجلة ٠

أ ـ معهد اللغات العربية والانجليزية ـ والدراسات الاسلامية ، بحيث قـــد استوعب قسم اللغة الانجليزية الطلاب العر ب الوافدين في موسم ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ الدراسي ٠

ب ـ الاعداد لمشروع اقامة مجمـــع اسلامي في منطقــــة لوس انجيلوس ، يشتمل على مسجد ومدارس للبنيـــن ، والبنات ، كما يضم جناحا لمعهد اللغات والدراسات العربية والاسلامية ٠

جهاد عامين ونصف :

وما أن استوى العمل في بدايــــة ١٩٧٦ ونهاية ١٩٧٥ حتى مر على هذا الجهد الآن ما يزيد على عامين ونصف العام ، اتصف الجهاد فيها بالذاتيـــة والطاقة الدافقة من أموال ومســـاهمة المسلمين هناك بكل ما يمثلون من فروع الامة شرقا وغربا ، لا يميزهم لون أو انتساب الى قطر معين ، ويوحدهـــم الانتساب الاسلامي الخالص ، بعيدا عن اي نحلة سياسيـــة او قومية ، ولا أدل على نجاح الجهد المبذول من اعتراف الحكومتين المحلية والاتحادية واعتمادها نظام الدراسة كسبيل للانتساب بعدها في الجامعات الامريكية وهو نجاح لـم يحظ بمثله معاهد نوعية مختلفـــة في الولايات المتحدة الامريكية ٠

ثواب الله لمن عاون وأعطى:

ان هذا الجهاد الرائد ، لا يسنده الا تحمس المسلمين من خارج الولايـــات المتحدة ، وتأييدهم بالعمل الجاد وجمع ما يكفل استمرار المعهد ومؤسســـاته قائما فعالا منتجا ، من نفقات مادية ، ومعاونة تخصصية من العاملين فيحقول الدراسات الاسلامية الخالصة ، معاونة مالية وبشرية ٠

وحسبنا أن نرى القائمين على الجهد قد اتخذوا شعارا لهم القرآن الكريـــم مفتوح الصدر لابنائه المؤمنين ، معنونا لهذا الشعار المرسوم بالآية الكريمـــة « الله نور السموات والارض » ٠

فهل نبتغي وجه الله تعالى ونمـــد يدنا الى اخوتنا في الاسلام معاونيـــن بالمال والكتاب ٠ وعنوان الجماعة هو :

3435 OVERLAND • AVE
LOS ANGLOS,
CALIFORNIA - 90035.

أهداف ومنجزات :

● نشر الاسلام وتسهيل تعليمـــه

لكافة المستويات والطبقات في المجتمع الامريكي ·

● نشر اللغة العربية وتيسيرهـــا للمتعلميـــن عن طريق معاهد تقـوم خصيصا لهذا الغـــرض وتحت ادارة مختصين في اللغة ·

● نشر واحياء التراث الاســلامي العربي بين المثقفين ·

● فتح مدارس ومعاهد للمســلمين والعرب المقيمين والقادمين وفق مناهج اسلامية عربية وتحت اشراف نخبة من المربين والمتخصصين في مجال التربية والتعليـــم ·

● ترجمة الكتب والبحوث منالعربية واليها ·

● تقديم العون لطلبتنا الدارسين في الجامعات في مجال دراساتهم وبحوثهم·

● تم افتتاح أول مدرسة اسلامية عربية تابعة للمعهد ذات منهج تعليمـي متكامل في الولايات المتحدة ·

للشاعر : على الفقـــي

مولای حکمك في الـــوری — مــاض وحکمــك عــادل
واذا قضيـت فــلا مــرد — وليـس دونـك حائــل
فالطف بعبدك في قضائــك
وامنن بعفـــوك في بلائــك
انت الكريـم ولـن يـــرد — ببــاب جــودك سائـــل

★ ★ ★

انا في الطريـــق اليك يحـدوني الرجــاء الــى رحابــك
اقفـــو ركاب الطائفـين العاكفـــين عـلى كتابــك
هبنـي رضـــاك ونجنـــي — يوم القيامـة من عذابـك
واحجب عن الاهواء نفسي ؟
واغمر بفيض سناك حسي
انت الكريـــم ولــن يــرد — ببـــاب جـــودك سائـــل

★ ★ ★

ما حيلتـي يا رب ما حولـي — اذا ضلـت خُطَايَـــا ؟ !!
ورمـى بي الشيـطان في ليـــل المســـاوىء والخَطَايَـــا
والنفس تدفعني فيزجرهـا الضمـــير عـــن الدنـايـــا !!
ولخـــاف زلات الضمـير اذا استبــد بــه هوايـــا
ربــاه عــدت الى رحابــك
ووقفت معتصما ببابــك
انــت الكريـم ولــن يـــرد — ببـــاب جـــودك سائـــل

★ ★ ★

من للمسـيء اذا انــاب وجـــاء يطمـــع في رضـــــاك ؟ !
من للـــذي ضـــل الطريـــق وعـــاد ملتمســا هـــداك ؟ !
من لـــي ســـواك وما لجـــات من الحيـــاة الـــى ســـواك ؟
رباه جئــت الى حمـــاك وانـــت لـي نعـم الدليـــل
رباه عبدك لــن يضــام ولن يضيـــق بــه السبيـــل
ربــاه لــن اخشـى الطريـــق وانت لي نعـم الوكيـــل
انا لـن اضـام وانت جاهي
فامنن بعفـــو يــا الهـــي
انت الكريـم ولـن يـــرد — ببـــاب جـــودك سائـــل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من استعان
سفير قيصر الروم وجد عمر بن الخطاب

ان اول من استعان بالدبلوماسية في الاسلام كان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه وسلم اذ بعث برسل الى بيزانطية وفارس ومصر والحبشة وبلاد اخرى، ويروى مؤرخو السير وكتاب التاريخ الاسلامي اسماء الرسل الذين اوفدهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم شجاع بن وهب الاسدى الى شمر بن الحارث ملك الغساسنة بالشام، وحاطب ابن ابي بلتعة الى المقوقس صاحب مصر، وعمر بن العاص الى جيفر. وعباد الاسديين في عمان ودحية الكلبي الى قيصر ملك الروم، وعمرو بن امية الضمري الى النجاشي في الحبشة، والعلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدى واهل البحرين والمهاجر بن ابن ابي امية المخزومي الى الحارث بن عبد كلال ملك اليمن وعبد الله بن حذافة الى كسرى ملك الفرس .

في التاريخ الإسلامي

للدكتور عباس حلمي الحلى

بالدبلوماسية والرسل والمبعوثين السفراء

نائماً تحت شجرة ..

وزودهم بكتب هي وثائق تؤيد صحة انتدابهم كما توضح الغرض منه، كما بعث النبي الامين المبعوثين السريين الموثوق بهم الى البلاد التي يهتم بمعرفة احوالها، فقد عين عمه العباس مبعوثا سريا في مكة والمنذر بن عمرو بن ساعدى المكني (اعنق اليبوث) في نجد وكانت مهمة المبعوثين السريين تزويد النبي بالمعلومات عن احوال واحداث الجهة التي بعثوا اليها، هذا من الجهة الاسلامية ، اما من الجهة المقابلة فقد عرف الاسلام في بداية اشراقه وفي عهد الرسول الكريم نظام استقبال السفراء والرسل، وكان صلوات الله عليه يستقبلهم في الجامع الكبير في المدينة، وجاء في سيرة ابن هشام (ص ٦٢٢) ان الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يلبسون احسن الثياب عند استقبالهم الوفود والرسل .. غير ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يتقيد بهذا الاسلوب من الرسميات ومارس البساطة حتى ان سفير قيصر الروم لما وفده وجده نائما تحت شجرة، وفي رأيي ان الخليفة عمر قد اراد ان يري سفير قيصر الروم الفرق الشاسع بين البساطة التي يعيشها خليفة المسلمين، وبين الابهة والترف اللذين يعيشهما القيصر البيزنطي ويضرب بهما الامثال واللذين لاتزال تعاني الدبلوماسية العالمية من تاثيرها فيها .

وكان صاحب الرسالة يستقبل الوفود باحتفال وفق المراسيم والعادات العربية

دبلوماسية الإسلام

وكان سفراء الدول الاسلامية يحترمـون تقاليد الدول التي يوفـدون اليهـا ولا يخرجون عنها،الا اذا تعارضت مع احكام الدين، كعادة السجود للملوك التي كانت شائعة في العهود القديمة ٠

وكان المسلمون يعترفون للمبعـوث الاجنبي بالحصانة دون حصوله على وثيقة امان ولم يقصر المسلمون صفة المفاوض الدبلوماسي على ممثلي الملوك والحكومات بل كان التسامح الاسلامي يتسع الى حد اضفاء صفة المفاوض على كل من يجادل في موضوع يخص الدعوة الاسلامية،حتى ان هذا التسامح شمل بامر من النبي صلوات الله عليه وسلامه مبعوثي مسيلمـة الكذاب مع انهما اساءا القـول ٠

وقد اجمعت كتب السير على ذكر رواية ابي رافع الذي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم موفدا من قريش وبعد مثوله بين يديه امن وعزم على ان لا يرجع،فقال له النبي (ارجع فان كان في قلبك الذي فيه الان فارجع الينا) وهذا الحادث يدل على مدى تقدير الرسول الاعظم للامانة التـي يجب ان يتخلق بها السفـير والزامـه بتأديتها باخلاص ٠

ومن اهم المصادر عن تاريخ دبلوماسية الاسلام والدول الاسلامية،الكتاب الـذي وضعه ابو علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء ، واسمه (رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة) وهو يتناول بالتفصيل كيف رفع فقهاء المسلمين منزلة الرسول والسفير،واعتبروا انها تستمـد حرمتها من مكانة الرسل الذين يبعث بهم الله عز وجل الى عباده،وليبلغوا رسالته ناهيا عن التعرض لمهمتهم والمسـاس باشخاصهم،وقد استنبطوا من نواهي الدين واوامره تجاه تعظيم الرسل اساسا لمعاملة رسل الملوك والخلفاء معاملة كريمـة مستشهدين بالايات الكريمة العديدة التي يحتويها القرآن في هذا الصدد منها ما ورد في سورة المزمل (انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخـذا وبيلا) ومنها، وماورد في سورة النساء (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) ويعلق ابن الفراء على هذه الاية الكريمة مستنتجا ان يكون السفير قادرا على تفهم لغة من يرسل اليهم،وقد اعتبر الاسـلام المفاوضة شرطا اساسيا لا بد من تـوفره قبل اللجوء الى الحرب،وذلك اتباعا لمـا جاء في قوله تعالى في سورة الاسراء (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله تعالى في سورة القصص (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا) ويعلق ابن الفراء على هاتين الايتين بقوله : وقد فضل الله سبحانه المرسلين من انبيائـه على غير المرسلين لتبليغ الرسالة،وتحمل ثقة الامانة والصبر على اذى الكافريـن وتكذيب الجاحدين ، واورد ابن الفراء ما اسماه بالحكمة التي تقول (ان الكتاب يد والرسول لسان) وان الواجب على الملوك ان يقرنوا كتبهم بالرسل،لما في ذلك مـن اكتمال الفائدة ووجود الحجة،ولقطـع الرسول الامر اذا كان مأمورا من غـير مراجعة،ولا احتيـاج لاستئذان مرسلـه واستشهد بقول عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ٠٠

اذا كنـت في حاجـة مرسـلا
فارسـل حكيمـا ولا توصـه

وقد جاء في كتاب (اخلاق الملـوك) للجاحظ المتوفي عام ٢٥٥ هجرية تحت عنوان اداب السفير ما نصه (ومن الحق على الملك ان يكون رسوله صحيح الفطرة والمزاج،ذا بيان وعبارة،بصيرا بمخـارج الكلام واجوبتـه،مؤديـا لالفاظ الملـك

ومعانيها صادق اللهجة، لا يميل الى طمع او طَبَع حافظا لما حمل، وعلى الملك ان يمتحن رسوله محنة طويلة قبل ان يجعله رسولا) .

وقد وضع الدكتور نجيب الارمنازي رسالة دكتوراه في جامعة باريس موضوعها (الشرع الدولي في الاسلام) عام ١٩٣٠ وقد عالج فيها مواضيع تتعلق بالدبلوماسية الاسلامية تبدأ بعدم جواز القتال ما لم تبلغ الدعوة، ويجر التفاوض من اجلها، ثم مبدأ التحكيم وما يقتضيه من مفاوضه والمعاهدات التي عقدها المسلمون مع الروم في العهدين الاموى والعباسي، عن طريق ايفاد مبعوثين يتولون مهمة دبلوماسية معينة .

ويستنتج من ذلك ان المسلمين اتبعوا اسلوب الدبلوماسية المتقطعة لا الدائمة كما تناول كيفية ارسال السفراء واستقبالهم وما يواكب ذلك من مراسيم واصول، ثم المراسلات السياسية والتجارية وكيف انها كانت تجرى باساليب ورسوم متقنة الوضع ونوه بما جاء في كتاب الخراج للامام ابو يوسف، والسير الكبير للامام محمد بن الحسن الشيباني، من اعفاء الدبلوماسيين من الضرائب الا اذا كانَ هالديهم يستهدف التجارة فتؤخذ الرسوم عليه . ومما يسترعي الاهتمام اقتباس اللغات الاوروبية عن اللغة العربية كلمة تعرفة للرسوم الجمركية كما اقتبس الغربيون كلمة (اميرال) من التركيب العربي (امير الماء) .

ومن المعلومات الطريفة حول النشاط الدبلوماسي الاسلامي العربي في العصور الوسطى، ما اختاره الدكتور ابراهيم احمد العدوى في كتابه (السفارات الاسلامية الى اوربا في العصور الوسطى) وقد ضمنه معلومات تاريخية قيمة بداها بحقوق الجوار التي كانت تقوم على اساسها العلاقات بين الدولة الاسلامية وبيزانطيه وفيها مثل طيب للتعايش السلمي الذي بدأ منذ قيام الدولة الاموية واتخاذها دمشق عاصمة لخلافتها، واستقرار حدودها عند سلسلتي جبال طوروس التي غدت حدا فاصلا بين المسلمين والروم، ثم انتقل الدكتور العدوى الى دبلوماسية التوازن الدولي الذي حدث بنتيجة انفصال الاندلس عن الدولة الاسلامية عام ٧٥١ م اثر قيام العباسيين على عرش الخلافة، فاصبحت في العالم دولتان عربيتان مسلمتان تقابلهما دولتان مسيحيتان هما امبراطورية الروم البيزنطية ودولة الفرنجة في اوربا والتي بلغت اوج مجدها في عهد شارلمان او (كارل الكبير) كما يسميه الالمان عام ٨٠٠ م واصبحت منافسا خطيرا لاباطرة الروم في ميدان الرعاية على العالم المسيحي مستعينة بدعم البابوية الروحي لها وقد ادى ذلك الى تدهور مركز امبراطورية الروم الشرقية في العالم المسيحي، حيث فقدت زعامتها على مسيحيي غرب اوربا ان هذا الوضع السياسي الجديد قد ادى

الى ازدياد في النشاط الدبلوماسي، ذلك ان الخلافة العباسية في بغداد لم تعد ترسل سفاراتها الى القسطنطينية فحسب وانما بدأت تبعث الى بلاط الفرنجه لتجعل من تلك القوة الجديدة سندا لها في منافستها للامويين في الاندلس، وفي نفس الوقت لم يعد الروم يرسلون سفاراتهم الى بغداد فحسب وانما اخذوا يرسلونها الى قرطبة عاصمة الدولة الاموية، ليجعلوا منها عضدا لهم، واقتبس المؤلف رسالة وجهها امبراطور الروم (تيوفيل ٨٢٩م) الى الخليفة العباسي المامون بشأن تبادل الاسرى واعادة الحياة الاقتصادية بين المسلمين والروم وجاء في تلك الرسالة (وقد كتبت اليك داعيا الى المسالمة راغبا في فضيلة المهادنة

لنضع اوزار الحرب عنا ويكون كل واحد لكل واحد وليسا حزبا مع اتصال المرافق والفسيح في المتاجر وفك المستأسر وامن الطريق) ٠

ورد الخليفة المامون مجيبا طلب الامبراطور البيزنطي « حتى تعود الحياة بين الطرفين الى مجراها الطبيعي » وكان يسمح لحاملي تلك الرسائل بزيارة معسكرات اعتقال الاسرى،ليتاكدوا من حسن معاملتهم،وليتعرفوا على كل منهم وكان من اغراض الدبلوماسية الاسلامية محاولة معرفة قوة جيرانهم،ومدى باسهم والتاكد من صحة طلب الفريق الاخر للصلح او للمهادنة او تبادل الاسرى ٠

وكان من مهمة السفراء ان يعلموا حالة الطرق والامكنة التي توجد فيها المروج والاعشاب والحشائش للعلف،وكذلك قوة الجيش ومؤونته في العدد والعتاد وفي الدفاع والهجوم،وان يعرفوا كل مايتعلق بامور البلاد الاجنبية من النواحي الشخصية والعامة،كما ان الدبلوماسية الاسلامية في العهد العباسي كانت تتوخى من سفاراتها اغراضا علمية،ومن امثلة ذلك ان الخليفة المامون علم ان في القسطينطية استاذا مشهورا بالرياضيات فارسل الى الامبراطور البيزنطي (تيوفيل) سفارة خاصة تحمل رسالة شخصية تطلب منه ان يسمح للاستاذ (ليو) بالحضور الى بغداد لفترة قصيرة،وقال المامون في رسالته

(انه يعتبر ذلك عملا وديا ويعرض على الدولة البيزنطية صلحا دائما والفي قطعة ذهبية في مقابل ذلك) غير ان الامبراطور البيزنطي رفض هذا العرض السخي لان بعض ابحاث العلماء كانت تعتبر في ذلك العهد من اسرار الدولة » وقد قامت في العهد العباسي بين العباسيين وروما ومملكة البلغار والهند والصين،بالاضافة الى القسطنطينية والفرنجة علاقات دبلوماسية٠

ومن نشاطات الدبلوماسية العربية العلمية ما قام به الخليفة العباسي الواثق بالله ٨٤٢ـ٨٤٧ اذ ارسل وفدا الى الامبراطور دقليد يانوس لزيارة الكهف الوارد ذكره في القرآن الكريم وقد بحث

المولف الدكتور العدوى موضوع تشكيل السفارة، وطرق اختيار السفراء وصفاتهم وما يجب ان يتمتعوا به من مواهب ومميزات، والم بالمراسيم الدبلوماسية وتقديم اوراق الاعتماد وجوازات السفر والحصانة، ومراسيم الاستقبال والتعليمات التي كان يزود بها السفراء، وتحدث عن السفارات الاسلامية المبكرة مع الروم كسفارة عامر بين شراحيل الشعبي في عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان وعرض صورة رائعة للدعايات الدبلوماسية التي كان يقوم بها السفراء العرب في تمثيل بلادهم، وعرض وصفا دقيقا للاستعدادات التي كانت تقوم بها بغداد في عهد الخليفة المقتدر العباسي تجاه سفارات الامبراطور قسطنطين السابع، وحفل تقديم اوراق الاعتماد، وبرامج الترفيه وصورة رائعة اخرى لسفارة الخليفة هارون الرشيد للامبراطور شارلمان، والهدايا التي حملتها معها تلك السفارة من مراسيم وخطب سياسية اخاذة، ولعل ابهى لوحه رسمها المؤلف في كتابه هذا تلك التي اختصت بسفارة يحيى بن حكم الغزال الى الجزر البريطانية موفدا من الدولة الاموية في الاندلس، وكانت بريطانيا آنذاك يحكمها (النورمان) وملكها اسمه (توركايوس) وعاصمته في شمال ايرلندا، ان هذه اللوحة جديرة بان تعرض على مسارح التمثيل والسينما، لانها تمثل علاقات تاريخية نادرة في دبلوماسية القرون الوسطى .

ونختتم بحثنا هذا في دبلوماسية المسلمين بانها تمثل مرحلة متقدمة في تطور الدبلوماسية في العالم، فانها قد استوفت اهم خصائص الدبلوماسية الحديثة التي تقوم على ارتباط وثيق بين السياسة والقانون والاستراتيجية والاقتصاد، وان الروح التي سادت الدبلوماسية جاءت منطبقة على الحديث الشريف (انا نبي الرحمة انا نبي الملحمة) هذا الحديث الكريم الذي يوفق بين الرحمة والعدل والسياسة والحرب، كما ان الدبلوماسية الاسلامية ـ العربية كانت مرنة وقامت على اساس تقدير مصالح الدولة والدفاع عن كيانها، فقد دخل صلاح الدين الايوبي في تحالف مع بيزانطية المسيحية ضد الغزو الصليبي بين عامي ١١٨٥ و١١٨٨م .

ولا زالت الدبلوماسية الاسلامية في حاجة الى مزيد من البحث والتحقق، ولم اطلع على عناية للفقهاء المتأخرين في الاستزادة في البحوث ذات العلاقة بالدبلوماسية الاسلامية . وفق الله العاملين على احياء تراث الاسلام وما اداه من رسالة في تنظيم المجتمع الانساني ورفع قيمة .

خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال*: « الحمد لله احمده وأستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفر به ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة ، وقرب من الاجل .

من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصي الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا ، وأوصيكم بتقوى الله ، فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وان يامره بتقوى الله ، واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به (١) على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة .

ومن يصلح الذي بينه وبين ربه من امره في السر والعلانية لا ينوي الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره ،وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم،وما كان مما سوى ذلك (٢) يود لو أن بينه وبينه امدا بعيدا : « ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد » .
هو الذي صدق قوله ، وأنجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول : « ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد » فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله ، في السر والعلانية ، فانه « من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما .

وان تقوى الله تبيض الوجوه

بقلم الاستاذ :
أحمد بن محمد طاحون
جدة ـ البنك الاسلامي للتنمية

وترضي الرب ، وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ٠

فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه ٠ الله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٠٠

هذه الخطبة النبوية الشريفة تضمنت منهاج السعادة وأسباب الفوز والنجاة وهي من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وفيها يوجه المؤمنين ويرشدهم لخيري الدنيا والآخرة ٠

فقد أرسله ربه بالهدى والرشاد والنور، وهو الآيات البينات يهدي بها الله من اتبع رضوانه سبل الخير وينقذهم بها من الضلالة والحيرة ويهديهم الى صراط مستقيم لا عوج فيه ولا انحراف ٠٠ مستقيم في العقيدة وفي العبادة وفي الاخلاق وفي المعاملات

أرسله ربه بدين الحق الدين الثابت الذي رضيه الله لعباده ولا يقبل منهم غيره حتى تقوم الساعة ، أرسله بهذا الدين لينقذ الناس من الجهل والضلالة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم اذ ضل الناس ، وشاعت بينهم المفاسد وفشا الظلم وهضم القوي

الضعيف وصار الناس في اضطراب من الامر واعتزام من الفتن حتى أنقذهم الله بالاسلام ٠

وحث الحبيب الهادي صلى الله عليه وسلم على طاعة الله ورسوله ففي طاعتهما الرشاد والصواب والسداد وسلوك الطريق الصحيح المؤدي لخيري الدنيا والآخرة ٠

أما معصية الله ورسوله فهي أصل كل بلاء وسبب كل شر يصيب الانسان في عاجل أمره وآجله ، فمن عصى الله فقد غوى أي : أمعن في الضلال والبعد عن الصواب والحق، وفرط أي قصر وضيع حتى فاته الخير وهو بهذا ضل ضلالا بعيدا أي : بعد عن الصواب وعن أسباب السعادة وسبل النجاة بعدا عظيما ٠

وبين لنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أن خير هدية يقدمها المسلم لاخيه المسلم هي ان يوصيه بتقوى الله، والاستعداد لليوم الآخر بزاد من التقوى والعمل الصالح فتقوى الله عون وصدق على ما نريده من أمر الآخرة ٠

وأرشد الهادي الحبيب صلى الله عليه وسلم المؤمن الى اصلاح الذي بينه وبين ربه من أمره في سره وعلانيته مع اخلاص النية وابتغاء رحمة الله وفضله ٠

في طاعة الله

تقوى الله خير هدية

وانما يصلح المرء ما بينه وبين ربه بالاجتهاد في طاعة الله ودوام المراقبة لله واستحضار عظمته وخشيته وبالبعد عن معاصيه ، وكلما وقع المؤمن في ذنب بادر الى التوبة وأسرع الى الندم على حد قوله تعالى :

« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ٠

وهذه الآية الكريمة جاءت في صفات المتقين الذين يصلحون الذي بينهم وبين ربهم فهم بعد صحة العقيدة ، والاخلاص والطاعة ينفقون من حر مالهم في وجوه الخير ، ويكظمون الغيظ ولا يستفزهم الغضب بل يعفون ويصفحون عمن أساء اليهم من اخوانهم المؤمنين ، ثم هم اذا زلت بهم القدم ووقعوا في الخطأ بادروا الى توبة نصوح وغسلوا بدموع الندم ادران الذنوب وتحصنوا بالاستغفار وألحوا على الله بطلب العفو والعافية وقبول التوبة ولم يعقدوا العزم على الرجوع للذنب بعد أن ذاقوا مرارة الندم ٠

وان الذي يفعل ذلك يحفظه الله في دنياه ويكون عمله الصالح ذخرا له فيما

ورسوله الرشاد والصواب والسداد

يقدمها المسلم لأخيه المسلم

بعد الموت حين يجد المرء نفسه في أشد الحاجة الى كل حسنة عملها وكل عمل صالح قدمه ، أما ما يجده المرء من عمله غير الصالح فانه يكون عليه حسـرة ووبالا ويود لو أن بينه ، وبينه مسافات ومسافات ، ويندم متحسرا على ما كان قائلا : « يا ليتني قدمت لحياتي » ٠

فليحذر المؤمن غضب ربه وانتقامه من العصاة وليعلم ان له ربا رؤوفـا بعباده رحيما بهم يقبل توبتهم ويعفـو عن سيئاتهم اذا تابوا وندموا واستغفروا

وأمر الحبيب المصطفى صلى اللـه عليه وسلم بالتقوى في السر والعلانية فتقوى الله هي أساس كل فوز وسبب كل فلاح ذلك أنه : « من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » والتقي يفوز برضوان الله ورحمته وما أعظمه من فوز ٠٠ وتقوى الله هي حصن المؤمـن يحميه من غضب الرب ويقيه سـخطه ويحفظه من عقوبته ٠

والاتقياء تتلألأ وجوههم بالنور يـوم القيامة ويحظـون برضوان ربهم ، وبالتقوى ترفع درجاتهم في جنات النعيم فعلى المؤمن أن يأخذ بحظه من تقـوى الله والعمل الصالح ، وأن يجتنـب معاصي الله حتى لا يتحسر يـوم

القيامة قائلا : « يا حسرتا على مـا فرطت في جنب الله » ٠

فليس لاحد عذر اذا تنكب الطريق السوي بعد أن أنزل الله كتابه وبيـن للناس طريق الهداية والرشاد ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ٠

ثم أمر رسول الله صلى الله عليـه وسلم المؤمنين بالاحسـان في القول والعمل، شكرا لله الذي أحسن اليهـم وهداهم وبالاسلام أنقذهم ، كما أمرهم أن يجاهدوا في الله حق جهاده للدفاع عن العقيدة وصيانة الحق ورفع رايـة الاسلام ، « ليهلك من هلك عن بينـة ويحيا من حي عن بينة » ٠

وفي ختام خطبته صلى الله عليـه وسلم جاءت الوصية بأن يظل لسـان

المؤمن رطبا بذكر الله تعالى وبأن يقبل المؤمن على الطاعة والعبادة والتقرب الى الله بأنواع القربات استعدادا لما بعد الموت حيث لا ينفع مال ولا بنون ولا أهل ولا أصحاب « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » ·

والمرء اذا أصلح ما بينه وبين ربه كان في حفظ الله ورعايته واعانه ربه ونصره وكفاه ما بينه وبين الناس ذلك بأن الامر لله وحده ونحن منه وله « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » وهو سبحانه يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه سبحانه وتعالى جل شأنه وعظم سلطانه والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » ·

فطوبى لمن أطاع ربه واتقاه وأحسن التوكل عليه وأطاع رسوله واقتدى به وتمسك بسنته ·

طوبى للشاكرين الذاكرين التائبين طوبى لهم وحسن مآب ، نسأل الله أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فانما نحن به وله ·

● هذه أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة في أول جمعة جمعها بأصحابه وكان ذلك حين قدم صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقباء على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ، فاقام صلى الله عليه وسلم بقباء الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا ، فجمع بهم وخطب خطبته السابقة صلى الله عليه وسلم ·

١ ــ لمن عمل به أي لمن استجاب للامر بالتقوى وعمل بمقتضاه ·

٢ ــ أي وما يجده العبد يوم القيامة من عمله غير الصالح ·

يفهمها الناس على غير وجهها الصحيح

بقلم الدكتور :
عبد المنعم سيد حسن
المدرس بكلية أصول الدين جامعة الازهر
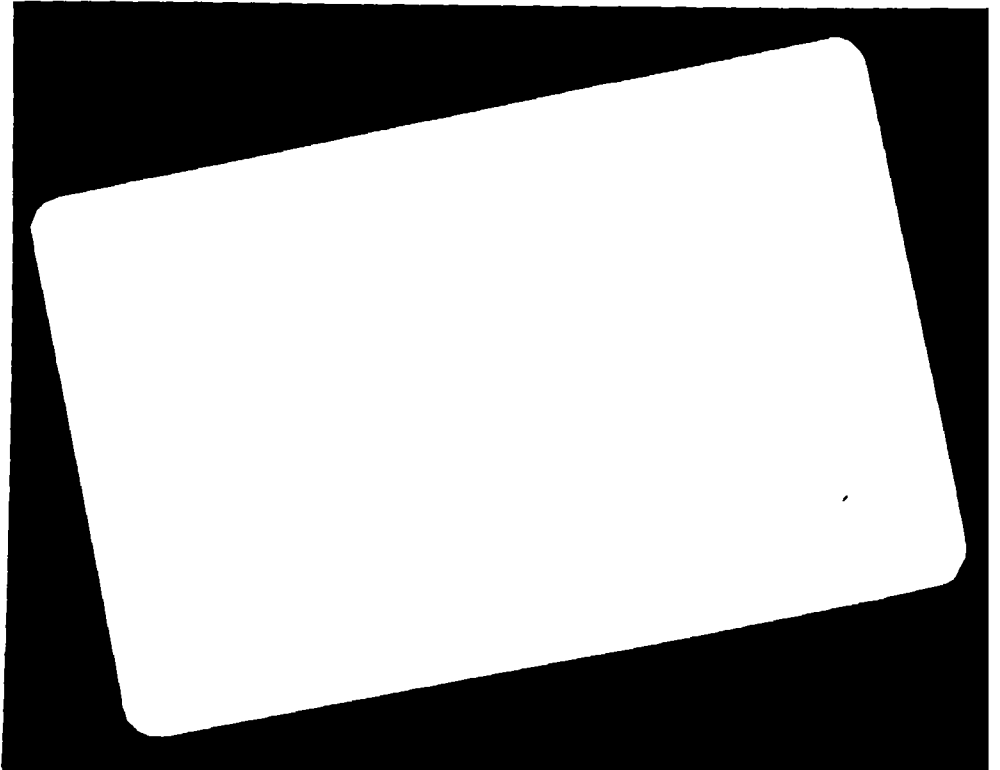
وغني عن البيان أن لتفسير القرآن الكريم عدته اللغوية والعقلية والعلمية، التي تأخذ قوامها من نحو ثمانين علما ، تتصل كلها بتحليل النص القرآني وتعين عليه ، على ما قرره العلماء ذوو التخصص الدقيق في الاحاطة بأبعاد النص القرآني وتذوقه ، وادراك ما يتيسر لهم من مراميه ، ولسنا في هذه العجالة بصدد الابانة عن تلك العلوم أو التطواف في مقاصدها وغاياتها ، لكن الذي نريد أن نعجل اليه قبل أن نأخذ أنفسنا بموضوع هذا المقال ان نسارع فنقرر أن أدنى ما يلزم المتصدي لتفسير بعض النصوص القرآنية أن يلم به ويعض عليه بالنواجذ أمران :

أولهما :

ربط النص القرآني بسياقه وسباقه ، والاحاطة بمدلولات ألفاظه اللغوية وما يتصور أن تتسع له أو تحيط به والبعد بالنص القرآني ، عما لا يتلاءم مع المألوف من مبادىء القرآن وتوجيهاته ، والوقوف على سبب نزول النص القرآني وملابساته ان كان من النصوص التي ارتبطت بوقائع معينة ، أو نزلت ردا على استفسارات خاصة أو بيانا لحكم في قضية بذاتها ·

ثانيهما :

ألا يتبع الهوى فيما يقصد الى تحليله أو استكناه سره من كلام الله تبارك اسمه فذلك أمر حذر القرآن منه في مواطن شتى من آياته وأجمع ما ورد في ذلك بخاصة وفي النهي عن التورط فيما تفتقد فيه الطاقة العلمية بعامة ، قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان مسئولا » الاسراء : ٣٦ ·

وأحسب أن هذا النص القرآني يمثل أدق ما عرف البشر من المناهج العلمية ويهيب بالانسان أن يتحرى الصدق بما أوتي من وسائل العلم فيما يعلم ، وانا ان شاء الله لمتناولون في هذا المقال بعض النصوص القرآنية التي باشر لفيف من الناس تفسيرها أو فهمها على غير وجهها الصحيح · على قدر ما تسمح به المساحة الممنوحة لمثل هذا المقال من هذه المجلة الغراء ·

■ وفي بداية ما نفرغ اليه في هذا المقام أن نناشد المسلمين ربهم،ألا يخوضوا في آيات الله بغير علم فان ذلك مما حرمه الله وجعله في التحريم صنو الفواحش والاثم والبغي والشرك بالله « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » الاعراف : ٣٣ ·

● وأول ما يثب الى الذهن من تلك النصوص القرآنية التي منيت بخصوص العامة وانصاف المثقفين فيها بغير علم قوله تعالى «ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة» البقرة : ١٩٥ ، فقد درجت ثلة من الناس على الاستشهاد بهذه الفقرة القرآنية في غير موضعها وحملها على ما يلائم أهواءهم وأمزجتهم فاذا ندب احدهم مثلا الى الجهاد في سبيل الله ذودا عن دينه أو حياض وطنه وكان وحيد ابويه أو اثيرا عندهما أسرع ابواه أو أحدهما او احد خلصائهما او مخالطيهما الى ترديد هذه الجملة ، واذا تطوع شاب غيور على دينه أو كرامة وطنه الاكبر بالانضمام الى كتائب المجاهدين حفاظا على الاسلام في ثغر من الثغور تطوع في مقابل عزمته الصادقة تلك من يسوق اليه هذا النص القرآني في شكل نصيحة ، واذا طمح أحدهم الى عمل لا فكاك لمؤديه من ركوب البحر أو الجو ابتدره من يرهب استعمال هاتين الوسيلتين بتلك الآية التي نحن بصددها ، ومفاد هذا النص القرآني براء من تلك الافكار الضاربة في الاوهام او الضلالات كما يشهد لذلك ما رواه الثقاة من سبب نزوله ٠

فقد ذكر الشعبي أن هذه الآية نزلت في الانصار لما امسكوا بعض الوقت عن الانفاق في سبيل الله ، وقال الحكم بن عمران « كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم وصففنا لهم صفا عظيما من المسلمين ، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم ، ثم خرج الينا مقبلا فصاح الناس فقالوا:سبحان الله ألقى بيديه الى التهلكة ، فقام أبو أيوب الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ايها الناس انكم تتاولون هذه الآية على غير التأويل ، وانما أنزلت هذه الآية فينا معشر الانصار ، انا لما أعز الله تعالى دينه وكثر ناصريه،قلنا بعضنا لبعض سرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان اموالنا قد ضاعت فلو انا أقمنا فيها وأصلحنا ما ضاع منها . فانزل الله تعالى في كتابه يرد علينا ما هممنا به فقال : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » في الاقامة التي اردنا ان نقيم في الاموال فنصلحها فأمرنا بالغزو ، فما زال أبو ايوب غازيا في سبيل الله حتى قبضه الله عز وجل ٠

وبدهي انه يفهم مما اوردناه في سبب نزول هذا التوجيه الالهي المحكم أن التهلكة التي نهى القرآن الناس عن الالقاء بايديهم اليها ، تتمثل أول ما تتمثل في النكوص عن مباشرة البر واسبابه ، ويعين على هذا ان هذا النص محوط بأمرين الهيين : الانفاق في سبيل الله ، والاحسان في أعم وجوهه اذ يقول

الله عز وجل:« وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين » ولا يعني ذلك اننا نقول بتخطئة من يسترشد بهذا النص في النهي عن مباشرة ما يضر بالانسان في صحته أو ماله ، لكننا نمنع ان يقصر مفهوم النص على ما اعتاد الناس ان يقصروه عليه مما مثلنا به واشباهه .

● ■ ومما اعتاد الناس ترديده على غير بينة ما حلا لهم من المقارنة بين وصف القرآن كيد النساء بالعظم في قوله تعالى على لسان عزيز مصر « ان كيدكن عظيم » يوسف : ٢٨ ، ووصفه كيد الشيطان بالضعف في قوله « فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » النساء : ٧٦ ، وقد استساغ الخائضون فيما لا يعلمون ان يبنوا على ما تخيلوه من تلك المقارنة الخاطئة ، حكما خاطئا بدوره : اذ حكموا على النساء بأن حظهن من الشر أكبر واوفر من حظ الشيطان.

ولب الحقيقة والله اعلم بالصواب ، يتمثل في : ان للامر في هذه المقارنة لو وجهت وجهتها الصحيحة يدور فيما يدور فيما احسب ، على أن من شأن المؤمنين ان يحذروا الشيطان وكيده ، فخطر كيده على نفوسهم مأمون المغبة حيث يستعيذون منه بالقول والعمل ، وهذا هو منشأ ضعف كيده ويعين على هذا ان قوله تعالى « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » متفرع على قوله قبل هذه الفقرة من الآية « فقاتلوا اولياء الشيطان » والمعنى فيما أقدر ، أن الله سبحانه يعد المؤمنين بالتغلب على كيد الشيطان ويبشرهم بعدم صموده في مواجهة ايمانهم.

فأما كيد النساء فقد اكتسب العظم وقوة الخطر من جراء ما ألف من حيلهن التي لا يؤخذ الحذر منها ، حيث لا تحمل ظواهرهن على أخذ الحذر من بواطنهن ، وحيث تطبع اعمالهن في الاعم الاغلب بما ينسي الحيطة ويلهي عن الانــــاة .

ومن خير ما يستأنس به في محاولة تصويب ذلك،ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال : « لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم المرض قيل له : الصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة ان أبا بكر رقيق القلب واقترحت على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يولي عمر امامة الناس في الصلاة بدلا من أبي بكر، فقال صلى الله عليه وسلم:مروا أبا بكر فليصل ، فعاودته فقال:مروه فليصل فانكن صواحب يوسف » أخرجه الشيخان أراد بقوله (صواحب يوسف) امرأة العزيز والنساء اللاتي قطعن أيديهن ، أي انكن تحسن للرجل ما لا يجوز وتغلبنه على رأيه .

وقد قرر بعض الباحثين في سياق وصف كيد النساء بالعظم ان القليل من حيل النساء أسبق الى قلوب الرجال من كثير من حيل الرجال .

● ■ ومما فهمه البعض من نصوص القرآن على غير وجههالحقيقي بحمله عليه، قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » التغابن : ١٤ ·

ذلك بأنهم استباحوا لعقولهم ان تتصور ان التحذير القرآني الوارد في هذا النص تجاه بعض الازواج والاولاد على اطلاقه . ومضوا في هذا الخطا المحرف للكلم عن مواضعه ، فاستحلوا بعض الفعال المرذولة التي من شانها ان تصدع كيان الاسرة ، وتلقي ظلالا كئيبة من الشك على سلوك افرادها تجاه بعضهم ، وحسبوا انه لا جناح على الرجل بناء على ادراكهم المجانب للصواب ، ان يكتم عن زوجه ما يشاء او يحبس عنها الكثير من شئون حياته ، زاعما ان ذلك يصلح من أمره وأن يتأبى على مشاورتها او الاستعانة برأيها مستشعرا مغبة الخوف من عداوتها التي تحدثت عنها الآية المذكورة آنفا من وجهة نظره القوية ·

وحقيقة العداوة المحذر منها في هذه الآية ، تتمثل في نزول الزوج على ارادة زوجه حين تحول بينه وبين ممارسة ما يعقب من ورائه نفعا في الدنيا أو مثوبة في الآخرة ، قال غير واحد في تفسير هذه الآيـــة ، ان عداوة الازواج والاولاد من حيث انهم يحولون بينهم وبين الطاعات والامور النافعـــة لهم في آخرتهم ، وقد يحملونهم على السعي في اكتساب الحرام وارتكاب الآثام لمنفعة انفسهم كما روى عنه صلى الله عليه وسلم ، « ياتي زمان على أمتي يكون فيه هلاك الرجل على يد زوجه وولده يعيرانه بالفقر فيركب مركب السوء فيهلك » ·

ومن الناس من يحملهم حبهم لازواجهم واولادهم والشفقة عليهم ، علم
ان يكونوا في عيش رغد في حياته وبعد مماته ، فيرتكب المحظورات لتحصسيا
ما يكون سببا لذلك ، وان لم يطلبوه منه فيهلك وسبب النزول اوفق بهذا ٠
اخرجه الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وغيرهم عن ابن عبساس
قال : نزلت هذه الآية « يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم ٠٠ الخ » في قو
من اهل مكة اسلموا وارادوا ان يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى ازواجه
واولادهم ان يدعوهم ، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا الناس
قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى الآية ، وفي رواية اخر
عنه انه قال كان الرجل يريد الهجرة فيحبسه امرأته وولده فيقول : اما والله
لئن جمع الله تعالى بيني وبينكم في دار الهجرة لافعلن ولافعلن فجمع الله ع
وجل بينهم في دار الهجرة فانزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان مـ
ازواجكم » الآية ٠
وقيل انهم قالوا لهم لئن جمعنا الله تعالى في دار الهجرة لم نصبكم بخير
فلما هاجروا منعوهم الخير فنزلت هذه الآية ٠ ويرشح هذا الرأي عن ابن عباس
رضي الله عنه تتمة الآية « وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم »
وعن عطاء بن أبي رباح ان عوف بن مالك الاشجعي اراد الغزو مع النبي
صلى الله عليه وسلم ، فاجتمع اهله وأولاده فثبطوا وشكوا اليه فراقه فرق ول
يغز ، ثم انه ندم ، فهم بمعاقبتهم فنزلت هذه الآية ٠
وفي ضوء ذلك كله يتحتم أن يفهم تحذير الله ورسوله مضادتهم أو غبنه
فما وصف القرآن لبعضهن بالعداوة لازواجهن الا من قبيل وصف الامـوا
والاولاد بالفتنة في قوله سبحانه بعد هذه الآية « انما اموالكم وأولادكم فتنـ
والله عنده أجر عظيم » وبدهي ان ذلك لا يقتضي حمل المؤمنين على كره المـا
والولد او تزهيدهم فيهما بل يقتضي التحذير من ان ينحى بالاستمتاع بهمـ
منحى غير الذي يحبه الله ورسوله ، وقصارى القول ان من حق المرأة الا تتر
نهبا للجانب المدمر من طبيعتها والا تطاع ولا يركن اليها حين لا تؤمن بوائق
والله أعلم ٠
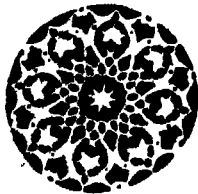
اللبنة الاولى في بناء أي مجتمع ، هي الاسرة ، فاذا كانت هـــذه اللبنة مفككة منهارة ، فلا بـــد أن يكون المجتمع مفككا منهارا ٠

واذا كانت هذه الاســرة صلبة متماسكة ، فلا بد أن يكون المجتمع المتكون منهـــا صلبا متماسكا كذلك ٠

ولما كان الاسلام الحنيف ، يعمل على تكوين المجتمع الاسلامي القوي ، فقــد حرص على تدعيم اللبنـــة الاولى في البنيان الاجتمـــاعي ، وهي الاسرة ٠ وعمل على اسعادها وعلى تقويتها ٠

وفي هذا الصدد جاء بالمبـــادىء والقوانيـــــن التي تعمل على احكام العلاقات والروابط داخل الاسرة ٠وعلى تقويتها وحفظها من الضعف والانهيار ، وأوجب على المجتمع أن ينفذ هـــذه المبادىء والقوانين ٠

قال اللـــه تعالى : « والمؤمنـــون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمـــون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون اللــه ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان اللــه عزيز حكيم » التوبة : ٧٠ ٠

ففي مجال العلاقة بين الزوجيـــن يحرص الاسلام على أن تكون هـــذه العلاقة أقوى ما تكون ٠

ولهذا كان الزواج في الاســـلام ، مؤسسة اجتماعية دينية يدخل فيهـــا الرجل والمرأة قصدا لتحقيق مصـــالح مشتركة بين الطرفين ٠

وأهم هذه المصالح بالنسبة للزوجين هي توفير وضع اجتماعي ، يتمتع فيـه الطرفان بثمرات المودة والمحبة وارضاء النزعات الطبيعية للانسان . بصـــورة كريمة مستقرة ٠

كما يرضيان الغريزة الوالدية التي تتطلع دائما الى الاولاد ، وتدفـــع الى العناية بهم وتوفير أسباب النمـــو والازدهار لهم ٠

الاسرة في الاسلام

وبالنسبة للاولاد فالاسرة « الزوج والزوجة » البيئة الطبيعية الضرورية لوجودهم وحصولهم على أسباب النمو العقلي والجسمي ، والرقي ، والوعي الثقافي · ولا شك أن أوضاع الاسرة الاسلامية ، قد أخذت الطابع الاصيل الذي يجعلها خير وسيلة لاغراض الاسرة ومهمتها في المجتمع ·

ولهذا كان الزواج في الاسم (ميثاقا غليظا) وعهدا متينا ، ربط الله به بين (رجل وامرأة) وأصبح كلاهما يسمى زوجا ، بعد أن كان فردا ·

قال الله سبحانه وتعالى : « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » النساء : ٢٠،٢١ ·

والذي يتتبع كلمة « ميثاق » ومواضعها التي وردت فيها ، لا يكاد يجدها تأخذ مكانها في التعبير القرآني الا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده ، والاخذ بشرائعه وأحكامه ·

ويستطيع الباحث والمتتبع لكلمة « ميثاق » وقد جاءت في شأن الزواج، أن يدرك المكانة السامية التي وضع الله الزواج فيها ·

قال تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها

الأسرة هى اللبنة

كلمة ميثاق جاءت

وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذ لآيات لقوم يتفكرون » الروم ٢١ ، وه الميثاق الذي ربط الله به بين الزوجي أقيم على ركائز : من التعارف ، والمود والرحمة ، والعفة ، والكرامة والصيانة ·

وهذا هو الزواج الانساني ا وضعه الصحيح من جهة الافراد ، و جهة المجتمع ·

وسبيل مودة ورحمة بين الرجـ والمرأة ·

وفضيلة هذه العلاقة بين الرجـ والمرأة ، أنها علاقة سكن » تستر فيها النفوس الى النفوس ، وتتصل ب المودة ، والرحمة ، والمشاركة ، القلب والوجدانية ·

ومن ثم يراد الزواج : لتهذيب النف الانسانية واستزادة ثروتها من الر والرحمة ، ومن العطف والسمو ، و مساجلة الشعور بين الجنسين بمـ ركب فيهما من تنوع الاحساس · وتنو القدرة على الايناس والحب ، ولهـ الركائز ، راعى الاسلام أن تؤسـ الاسرة منذ البداية على الرغبة والرة والاختيار (١) ·

فوضع عناصر أصيلة لبناء الاس

الأولى في بناء أي مجتمع ..

في القرآن بشأن الزواج لمكانته السامية

السليمة وتكاملها في المجتمع الاسلامي وهذه العناصر اذا روعيت ، كانت قوة للاسرة الاسلامية ، وتدعيما ونجاحا • ووصلت الاسرة المسلمة الى ذروة ما قدر لها من الاستقرار والامن•

وهذه العناصر نجدها في الترغيب في الزواج والاهتمام بحسن اختيار كل من الزوجين للآخر وحقوق الزوجة على زوجها • وحقوق الزوج على زوجته ومكانة الزوج في الاسلام بالنسبة لزوجته • والحقوق المشتركة بين الزوجين•وعلاج ما يحدث بين الزوجين من خلاف • وسنتناول كل عنصر بكلمة خاصة تتبين من خلالها مزايا الاسلام وتشريعه الخالد ، في حفظ الاسرة ، ووضع المرأة في مكانها اللائق بها ، حتى لا تتعرض للابتذال والارتخاص والميوعة ، والانحلال وحتى لا تكون في وضع الطريد •

قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب » سورة الرعد : ٣٨ •

قال ابن كثير في التعليق على هذه الآية : يقول الله : ، وكما أرسلناك يا محمد رسولا بشريا ، كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ، ويأتون الزوجات ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية » (٢) •

وقال تعالى : « وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تقولوا » النساء : ٣ •

وقال تعالى : « وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » النور : ٣٢ •

وعن انس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم • يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كانهم تقالوها •

فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر •

فقال احدهم : أما انا فاني أصلي الليل أبدا •

الاسرة في الاسلام

وقال آخر : انا أصوم الدهـــر ولا افطــــر ٠

وقال آخر : أنا اعتزل النســاء فلا أتزوج أبدا ٠

فجاء رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر ٠ وأصلي وأرقـــد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتـــي فليس مني » رواه الشيخان والنسائي ٠

وعن أيوب رضي الله عنـــه ، عـــن النبي صلى الله عليه وسلم : « أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطـر ، والسواك ، والنكاح » (٣) ٠

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حبب الى من الدنيا النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » (٤) ٠ والاسلام بهذه النصوص الصريحة ، يعرب في وضوح عن دعوته الى الزواج والترغيب فيـــه فترتبط المرأة والرجل برباط يتم عـــن طريق زواج شرعي ، وعقد صـــحيح تترتب عليه التزامات من كلا الطرفين ٠

والاســـــلام الحنيف بهذا الادب ، يتسامى بالمجتمع ويصعد به الى مراقي الاطمئنان ، اذ الاسلام لا يعتـــرف بالامومة غير الشرعية لانه لا يريد أن تشيع في المجتمع الانساني، اذ بانتشارها تختلط الانساب من جانب ، وتضـــيع الالتزامات الشرعية التي على الرجـــل قبل الولد وأمه من جانب آخر ٠

والمجتمع حينئذ لا يستطيع أن يتكا بهذه الالتزامات نيابة عن الآبـــــ المجهولين ٠٠

ومن هذا يتضح أن الاسلام ينظر الـ المجتمع الاسلامي ، نظرة انسانية فيـ من الشرف ، والكرامة ، والابـــاء والشـــمم ، ما يملأ الجوانب أمنـ وطمأنينة ٠

ينظر الاسلام الى المجتمع على انـــ وحدة متفاعلة متجاوبة متعاونة علـــ أساس من الدين والخلق والمودة ٠

وليس المجتمع في نظر الاسلام مركـ تركيبا ماديا صرفا ٠ بل هناك من القيـ الانسانية الهادفة ما هو كفيل بـســعاد المجتمـــع ٠

وان أهداف الزواج في الاســـــلا نجدها :

أولا : في بقاء النوع الانسانـــــ وتقوية الروابط في المجتمع ٠

ثانيا : في التســـامي بالغريـــز النوعية ٠

ثالثا : في تحديد المسئولية بالنسبـ لتربية الاولاد ٠

رابعا : في الاستقرار النفســـــ والشعور بالتجاوب العاطفي ٠

والواقع أن بقاء النوع الانســـاني وتقوية الروابط بين أبنـــاء المجتمـ الاسلامي من أهم أهـــداف الزواج فـ شريعة الاسلام ٠٠

قال الله تعالى : « وهو الذي خلق مـ الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكـــا ربك قديرا » الفرقان : ٥٤ ٠

وقال تعالى : « والذين يقولون ربنا ب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين اجعلنا للمتقين اماما » الفرقان : ٧٤ ٠
يعني الذين يسألون الله ان يخرج من صلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده حده لا شريك له (٥) ٠

وقال تعالى : « يا ايها الناس اتقوا بكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق نها زوجها وبث منهما رجالا ونساءا اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ن الله كان عليكم رقيبا » النساء : ١ ٠

وقال تعالى : « والله جعل لكم من نفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم نين وحفدة ورزقكم من الطيبات » لنحل : ٧٢ ٠

يذكر الله تعالى نعمه على عبيده بان عل لهم من أنفسهم أزواجا منجنسهم شكلهم ، ولو جعل الازواج من نوع خر ، ما حصل الائتلاف ، والمودة الرحمي ، ولكن من رحمته ، خلق من ني آدم ذكورا واناثا ، وجعل الاناث زواجا للذكور ، ثم ذكر الله تعالى انه عل من الازواج البنين والحفدة وهم لاد البنين (٦) ٠

قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، قال ابن جبير عن ابن عباس : « بنين حفدة » هم الولد وولد الولد ٠ وقال يضا عن عكرمة : بنوك حيث حفدونك (٧) ويرفدونك (٨) ويعينونك يخدمونك (٩) ٠

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه، ال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أصبت امرأة ذات جمال وحسب ، وانها لا تلد أفاتزوجها ؟ قال : لا ٠ ثم أتاه الثانية ، فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال : تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم » (١٠) ٠

فالاسلام الحنيف يحافظ على بقاء النوع الانساني ويدعو الى التزاوج القائم على روابط الاخلاص والمودة ليكثر النسل في ظل الاسلام ، ويعم الخير الانسانية كلها ٠

بعد هذا ننتقل الى الهدف الثاني من أهداف الزواج في الاسلام ، فنرى ان المجتمع الطبيعي ، هو الذي يقوم على أساس من الفطرة ، ويدرك احكامها ومقتضياتها ٠

ولا ينبغي أن يفهم من هذا ان المجتمع الطبيعي هو الذي يطلق لنفسه العنان ، فلا يتقيد بقيد ، ولا يحاول أن يهذب جموح الغريزة ويرد ما عسى أن يكون لها من شطط ، لا ينبغي أن يفهم هذا ، لان الاسترسال في وضع من الاوضاع دون كبح أو تهذيب ، لا بد ان يعكس هذا الوضع في النهاية ٠

فكان لا بد من تهذيب الغرائز ، والتسامي بها حتى لا تندفع ، والغرائز من طبيعتها تأبى أن تقاوم أو تكبت ، ويفرض عليها ما لا يلائمها ٠ فكان لا بد في الاسلام من تهذيبها والسمو بها ٠ بل ان ذلك من مزايا الاسلام اذ انه يدرك هذه الامور حق الادراك ،ولهذا كان من أهداف الزواج في الاسلام التسامي بالغريزة النوعية ، قال الله

الأسرة في الإسلام

تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين » المؤمنون : ٥، ٦·
دلت الآية على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه ، وتضمنت هذه الآية وما بعدها ثلاثة أمور : من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين ، وانه من الملومين ، ومن العادين ، ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم·

فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك ، وقد أمر الله نبيه أن يأمر المؤمنين بغض ابصارهم ، وحفظ فروجهم ، وان يعلمهم أنه مشاهد لاعمالهم ، مطلع عليها ، يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور · ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج ، فان الحوادث مبدؤها من النظر ، كما أن معظم النار من مستصغر الشرر (١١)·

ويقول القاسمي : تكون نظرة ، ثم تكون خطرة ثم خطوة ، ثم خطيئة ولهذا قيل : من حفظ هذه الاربعة أحرز دينه اللحظات ، والخطرات ، واللفظات ، والخطوات·فينبغي للعبد أن يكون بوا.. نفسه على هذه الابواب الاربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبرماعلوا تتبيرا (١٢) ·

وعن عبد الله رضي الله عنه : قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (١٣) فليتزوج . فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » (١٤) ·

وعن أبي ايوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ثلاثة حق على الله عونهم · المكاتب الذي يريد الاداء ، والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله » (١٥) ·

وعن أنس رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر (١٦) دينه . فليتق الله في الشطر الباقي (١٧) ·

وفي رواية البيهقي : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا تزوج العبد . فقد استكمل نصف الدين. فليتق الله في النصف الباقي » (١٨) ·

ومن اجل التسامي بالغريزة ، حرم الاسلام ، جلوس الناس في الطرقات

فاديا من أن يمتد نظر الجالس الى الاجنبيات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اياكم والجلوس في الطرقات ، قالوا : مالنا بد من الجلوس فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاذا ابيتم الا المجلس ، فاعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال غض البصر وكف الاذى ، ورد السلام ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » ..

ومن اجل التسامي بالغريزة حرم الاسلام الخلوة بالمراة الاجنبية ، لما يترتب على الاختلاط بها من تحريك نزعات الشيطان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يخلون أحدكم بامراة الا مع ذي محرم » (١٩).

ومن اجل التسامي ايضا نهى الاسلام عن سفر المرأة وحدها ، أو مع غير ذي محرم منها ، وذلك خوفا على عفافها وكرامتها ، وصيانة لها ، قال رجل : يا رسول الله اني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامراتي تريد الحج . فقال صلى الله عليه وسلم : « اخرج معها » (٢٠) .

فيا حبذا لو اننا تتبعنا اسرار التشريع الاسلامي . واتبعنا تلك الارشادات ، وتمسكنا بادب الاسلام وسلكنا طريق الحق .

اننا ان فعلنا ذلك ، تقدمنا ولكان لنا من وراء ذلك خير كثير . والى لقاء مع هدف آخر من أهداف الزواج في الاسلام .

١ ـ سماحة الاسلام للدكتور الحوفي .
٢ ـ تفسير ابن كثير جـ ٢ .
٣ ـ فيض القدر جـ ١ .
٤ ـ التاج جـ ٢ .
٥ ـ تفسير ابن كثير جـ ٣ .
٦ ـ تفسير ابن كثير جـ ٢ .
٧ ـ يحفدونك : ينصرونك .
٨ ـ يرفدونك : يطيعونك .
٩ ـ تفسير ابن كثير جـ ٢ .
١٠ ـ رواه ابو داود والنسائي والحاكم .
١١ ، ١٢ ـ تفسير القاسمي .
١٣ ـ الباءة : النكاح ونفقات الزوجية .
١٤ ـ الوجاء : القاطع لفوران الشهوة .
١٥ ـ رواه الترمذي والنسائي والحاكم .
١٦ ـ شطر : نصف .
١٧ ـ رواه الطبراني .
١٨ ـ الترغيب جـ ٣ .
١٩ ، ٢٠ ـ رواهما البخاري .
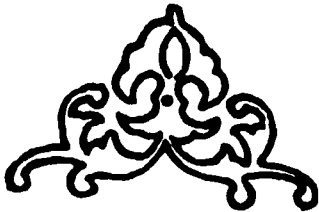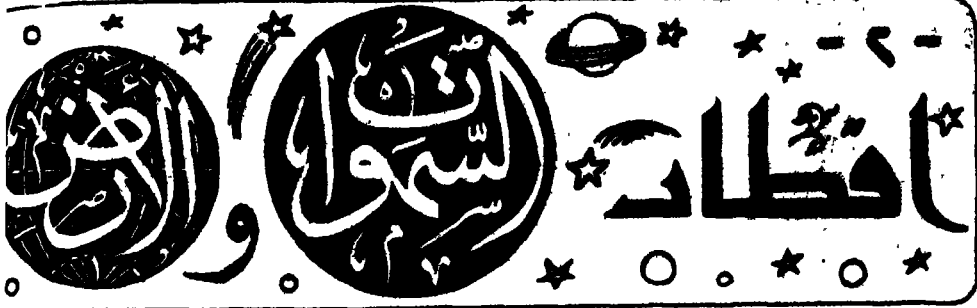
بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

تعرضنا في العدد السابق لمعنى أقطار الارض التي وردت في سورة الرحمن ، ومع أقطار الارض وردت أيضا أقطار السماوات التي ستكون موضوع دراستنا في هذا المقال ٠٠ اذ تشير هذه الآيات البينات الى معان اتخذها بعض المغرضين مادة يدللون بها على أن القرآن الكريم قد أوضح أن الانسان لن ينجح في غزو الفضاء ، رغم أنه قد نجح ، وواضح أن التناقض في ذلك يرجع الى سوء تقدير في أنماط تفكير من يدعون على كتاب الله كذبا ٠٠ « ولدينا كتاب ينطق بالحق » المؤمنون : ٦٢ ٠٠ « وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم » البقرة : ١٤٤ ٠

ولقد أوضحنا في الدراسة السابقة دلائل دامغة على أن الانسان لن ينفذ من أقطار الارض ، كما أنه لن ينفذ أيضا من أقطار السموات ٠٠ وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى « يا معشر ا... ـن والانس ان استطعتم ان تنفذوا ... اقطار السماوات والارض ، فانفذوا ... تنفذون الا بسلطان ، فباي آلاء ربكم... ـبان ،

أين أقطار السموات المقصودة؟

الانسان لم ولن ينجح في غزو الفضاء

بالمعنى الذي حدّده القرآن الكريم
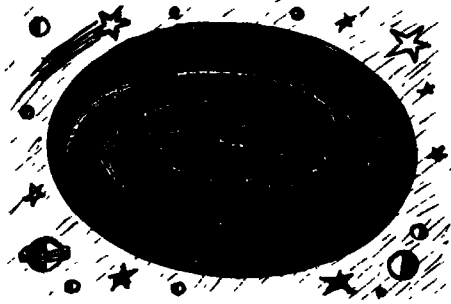
يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » الرحمن : ٣٣_٣٥ .
فما هو وجه الخلاف ؟ وماذا ارادوا من القرآن مثلا ؟

★ ★ ★

يقول المغرضون باختصار شديد : أن الانسان قد استطاع أن يرسل صواريخه وأقماره الى السماء ، فانطلقت بنجاح الى الزهرة والمريخ وزحل والمشتري ، كما انه نجح في وضع الرواد على القمر وسوف ينجح في الصعود بنفسه الى المريخ والزهرة .. كل ما في الامر ان المسالة مسالة وقت واستعداد ، وهذا - على أية حال - دليل على أن الانسان قد انطلق الى السماء ، وفي أرجائها أو جنباتها قد نفذ ، وفي ذلك انتصار حقيقي لمعشر الانس ، كما انه احدى التحديات الصارخة للآية التي تقول « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس

فلا تنتصران » !
، اذن ، فمن على حق ؟ .. القرآن أم الانسان ؟ هكذا يتساءلون .
والجواب الذي لا لبس فيه ولا غموض ان الانسان لم ولن ينجح في غزو الفضاء بالمعنى الحقيقي الذي حددته الآية الكريمة ، فجوهرها يكمن في كلمة واحدة واضحة هي : اقطار !
اذن ما هي اقطار السماوات التي يعنيها الخالق عز وجل ؟
الواقع أن اللبس قد يرجع الى تفسير بعض المفسرين لهذه الكلمة ، فأمامي

تفسيران حديثان ، أحدهما يقول : أقطار جمع قطر وهي الناحية والجانب (تفسير محمد فريد وجدي) ، والثاني يذكر : ان القطر بمعنى الناحية (تفسير ابن الخطيب) .

ومع أنه لا يحق لي أن ألج في تفاسير ولغويات لها أربابها ، ولا أن أتدخل في مجال غير مجالي خشية الزلل أو الشطط ، الا أنه من الواضح أن تفسير القطر أو الاقطار بالمعنى الذي ورد في هذه التفاسير ، قد يعطينا الانطباع بأن نفاذ الانسان الى ناحية أو جانب من السماوات قد تم بالفعل ، فالقمر في ناحية من السماء ، وقد صعد اليه الانسان فعلا وتجول على سطحه وعاد ، دون أن يرسل عليه « شواظ من نار ونحاس » ، وأنه في ذلك قد حقق انتصارا .. وهنا قد يبدو لنا أن هناك تناقضا بين العلم والدين ، لكن التناقض هنا ظاهري فقط ، لاننا أخذنا المعنى بظاهر كلمة اقطار ، لا بحقيقتها .

والمريخ أيضا في ناحية من السماء ، وكذلك كوكب الزهرة وعطارد والمشتري وزحل ... الخ ، وكلها كواكب قد غزاها الانسان بأقماره وصواريخه ليتجسس عليها بعيون علمية غير عيوننا ، فتنقل الينا أنباءها دون أن نتحرك من مكاننا .. والعلماء يسعون الآن لتجهيز رحلة كبيرة تحمل بشرا الى كوكب المريخ ، وهنا يكون الانسان قد نفذ الى ناحية أبعد في السماء ، وهذا ما يناقض أيضا ، ما جاء في القرآن !

لكن الاقطار بمفهومنا الحديث عن الكون وما حوى ، والفضاء وما طوى ، لا تعني الجوانب بل تعني قطر الدائرة أو الكرة ، أو هي الخط أو الخطوط الواصلة بين نقط على الحافة أو الحدود مارة بمركز الدائرة .

لو أننا أخذنا بهذا المعنى العلمي الحديث للكلمة في عصرنا الحديث ، لتبين لنا في التو واللحظة أن الانسان لن ينجح اطلاقا في النفاذ خلال أقطار السماوات وأن ما حققه حتى الآن أو سيحققه بعد الآن ، لا يعد شيئا مذكورا ، أو كأنما هو بمثابة طفل يلعب ويلهو على شاطيء محيط واسع ، لا يعرف له سطحا من قاع ، ولا طولا من عرض ، ولا حدا من الحدود التي تجثم على عقولنا المحدودة !

واضح أن القمر والشمس والمريخ والزهرة والنجوم تنتشر في السماء ، وواضح أيضا أن الكواكب التي نعرفها (زحل والمشتري وعطارد والمريخ ونبتون ... الخ) تبدو مع النجوم كبقع ضوئية متلألئة ، وواضح أن هذه البقع متجاورة ، وأنه لا يفصلها عن بعضها الا عدة أشبار أو أمتار . كل هذا يبدو للعين البشرية واضحا لا لبس فيه ولا غموض !

لكن العين تخدعنا خدعة كبر[ى] ، فما نراه بعيوننا لا يمثل الحـ[...] على الاطلاق ، بل اننا في الواقع [...] الى

أكوان من وراء أكوان من وراء أكوان، يعز على العقول استيعاب ضخامتها ، أو حتى تصور اتساع جنباتها !

فالقمر هو أقرب جيراننا من الاجرام السماوية ، اذ لا يفصلنا عن هــذا الجار الا مسافة ٤٠٠ ألف كيلومتر .. صحيح أن هذه المسافة تعتبر ـ بمعاييرنا الارضية ـ شيئا هائلا ، الا أنها ليست كذلك بالنسبة للمعايير الكونية ، وحتى لا تغم علينا الصورة ، وتتوه العقول بعد ذلك ، دعنا نضع للكون نموذجا مبسطا يقربنا من الحقيقة ، ولنفرض هنا أن كل ميل من المسافات الكونية قد انكمــش ليصبح قدما واحدة ، عندئذ ستصبح المسافة بيننا وبين القمر ـ على هــذا النمــوذج ـ ثلث شبر لا غيــر ، أو بالتحديد سبعة سنتيمترات ونصــف سنتيمتر (وتكون الارض في هذه الحالة كبلية صغيرة قطرهــا ربع سنتيمتر لا غير) ، ثم يأتي كوكب الزهرة ليقع على مسافة ٢٥ قدما من الارض (أي حوالي سبعة أمتار ونصف) ، والمريخ على مسافة ٣٥ قدما ، وزحل على مسافة ثلث ميل (أي حوالي ١٧٥٠ قدما) ، وبلوتو آخـر وأبعد كوكب في المجموعة الشمسية ـ يقع على مسافة ثلثي ميل ، ثم لن نجد بعد ذلك الا فراغا رهيبــا يفصلنا عن أقرب نجم في السماء ، اذ سيكون هذا النجم على نموذجنا المبسط على مسافة خمسة آلاف ميل من الارض! أما اذا أردتها مسافة حقيقية ، فيكـون أقرب نجم الينا على مسافة تقدر بحوالي ٢٦ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ميــل (أي ٢٦ مليون مليون) !

قارن هذه المسافة الهائلة التي تفصل بيننا وبين أقرب نجم في السماء ، مع المسافة التي تفصل بيننا وبين القمــر (أي ٢٤٠ ألف ميل) ، تجد أنها أبعد من قمرنا بأكثر من مائة مليون مرة !

★ ★ ★

على أن هذا كله قد يهون اذا مــا تعمقنا في الكون العظيم ، أو نراه كما ترصده لنا أجهزة العلم الحديثـة ، لكن قبل أن نذهب الى أبعد وأبعد ، دعنا نعود الى عرض ما بذله الانسان لكي يغـزو هذه السنتيمترات السبعة (والنصـف اذا راق لك ذلك) على نموذجنا المبسط، ثم ما قد يبذله مستقبلا ليصل الى أقرب نجم الينا في السماء ، ولنرى ان كـان سيصل أم لا يصل !

لقد بلغت ميزانية مشروع « أبولو » لوضع أول انسان على القمــر حوالي ٢٥ ألف مليون دولار وقتذاك ، واشترك في تنفيذه حوالي ٢٠ ألف شركة وهيئا ومؤسسة علمية ، وبلغ عدد الذيــز ساهموا في هذا المشروع الجبار حوالي ٣٠٠ ألف عالم ومهندس وجيولوجــي وفني واداري ... الخ ، ووصل طوا هذا الصاروخ ١١١ مترا ، وكان وزن قبل الانطلاق ٣٣٩٣ طنا ، ودفع هــذ الكتلة الهائلة الى الفضاء خمس نفاثا، جبارة ، وكان كل نفاث منها يستهلــ من الوقود قدر ما تستهلكه ٦٠٠ ألــ سيارة وهي تندفع بأقصى سرعتهــا

وحرق الصاروخ حوالي ٢٠٠٠ طن من الوقود في مرحلتــه الاولى التي لم تستغرق أكثر من دقيقتين ونصف دقيقة، وبلغت قوته الاجمالية الدافعة حوالي ١٧٥ مليون حصان !

ونحن لا نريد أن نسترسل في ذكـر المزيد ، فما أكثر ما كتب عن ذلك ، لكننا ذكرنا بعض الارقام ذكرا عابرا ليتبين لك أن الامور ليست سهلة ، حتى مـع ثلث شبر في الفضاء (على نموذجنـا المبسط) ، أو سدس خطوة متواضعة ، ولكي نخطو الخطوات التالية الىجارنا المريخ أو الزهرة ، فلا بد من امكانيات أعظم ، وجهود أضخم ، وطاقات أكبر، وعلم أعمق ·

ان غزو القمر والرجوع الى كوكبنا لم يستغرق الا أياما قليلة تعد علىأصابع اليد الواحدة ، في حين ان المريـــخ ـ أقرب الكواكب الينا بعد كوكـــــب الزهـرة ـ يحتاج الى ستة شهور في الذهاب ، ومثلها في الاياب ، وستحمل السفينة الفضائية اليه سبعة من الرواد، وهذا يستلزم مكانا أوسع ، ودفعا أكبر، وسفينة أضخم وأثقل !

ولكي يتوصل الانسان الى غـــزو الكواكب الاخرى الابعد ، فلا بد مـن استعدادات تفوق تصوراتنا الحالية ·· صحيح أن خطط غزو كواكب المجموعة الشمسية محسوبة ومقدرة ، لكنهـا لا زالت حبرا على ورق ، فآخر كوكب من كواكب المجموعة الشمسية يبعد عنـــا بحوالي ٣٧٠٠ مليون ميل (ثلثا ميـل على نموذجنا المبسط)ولكييصل الانسان الى هذا الكوكب البعيد وهو ينطلـــق اليه بسرعة ٣٨ ألف ميل في الســاعة (بالمقارنة الى ٢٥ ألف ميل في الساعة الى القمر) ، فانه سيصل اليه بعد ٤٧ عاما ، ومثلها وزيادة في العودة ··· هذا ان عاد ، لانه سيكون قد مات مـن الشيخوخة ، ان لم يكن بأخطار لـــم يضعها الانسان في الحسبان !

★ ★ ★

وماذا بعد الكواكب ؟

الواقع انه ليس أمامنا بعـد ذلك الا النجوم ، وعلينا أن نكون متواضعيـن ونتعرض فقط لنجوم مجرتنا ، ولا شأن لنا بالمجرات الاخرى ·

وقد تتساءلون : وما دخل كل هذا بأقطار السماوات التي ورد ذكرهـا في القرآن الكريم ؟

له دخل ·· فهناك أقطـار من وراء أقطار،أقطار من وراء أقطار ، وهـــذا يستلزم وجود سماوات من بعد سماوات من بعد سماوات ، أو أكوان من وراء أكوان من وراء أكوان ، حتى نصـــل الى حدود تعجز مناظيرنا الحالية عـن اكتشاف ما وراءها من سرار !

فشمسنا نجم متوسط الحجم ، وحول هذا النجم تدور كواكب تسعة فيمدارات ولهذه المدارات أقطار ، وقطر مدارنـــا حول الشمس يقع في حدود ١٨٦ مليونا من الاميال ، ولعطــــارد القريب من الشمس قطر أصغر ، وللمريخ الابعـد قطر اكبر ، ولزحل والمشتري ونبتـــون

وبلوتو مدارات أبعد وأطول واكبر ٠٠ انها اقطار من خارج أقطار ، ومع ذلك فلم نخرج بعد من مجموعتنا الشمسية ، لان هذه الاقطار ليست ــ في الواقــع ــ شيئا مذكورا اذا ما قيست باقطـــار المجرة التي تسبح في الكون بنجومهـا التي تبدو لنا ــ لبعدها الرهيب عنـا ــ كبقع ضوئية !!

والمجرة مجموعة هائلة جدا مــن النجوم التي تكون « سـفينة » كونية ، أو « جزيرة » فضائية سابحة في ملكوت الله العظيم ٠٠ فعدد النجـــوم التي تحتويها مجرتنا أكثر من مائة ألف مليون نجم ، وقد نحسب هذا الحشد الهائل من النجوم في السماء متقاربا ، لكنه ليس في الواقع كذلك ، اذ يفصل بين نجومه مسافات هائلة ــ مسافات نعبر عنهــا عادة ــ لضخامتها ــ بالسنوات الضوئية ومسافة السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها شعاع من الضوء في سنة كاملة وهو ينطلق بسرعته الثابتة والمعهودة ــ أي ١٨٦ ألف ميل في الثانية ! ٠٠٠ ولهذا فان مسافة السنة الضوئية تقــع في حدود ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٨٨٠ر٥ميل (أي حوالي ٦ مليون مليون ميل !) ٠

هذا ، وأقرب نجم الينا (بعـــد الشمس بطبيعة الحال ، لانها نجمنا الذي نطوف حوله في مـــدار) يبعد عنـا مسافة ٣ر٤ سنة ضوئية ، والذي بعده على مسافة ١ر٦ سنة ضوئية ، والذي بعده على مسافة ٧ر٨ سنة ضوئيــة ، والذي بعده وبعده وبعده على مسافات تقدر بعشرات ومئات وآلاف السـنوات الضوئية !

ومجرتنا ــ أو جزيرتنا السابحـــة بنجومها في الفضاء ــ لها مركز ، ولها أقطار ، ولها أيضا عمق أو سمك ، أو قل أنها أشبه بكعكة تشبه العدسة المحدبة (أنظر الشكل) ٠٠ فأما قطرها مــن الحافة للحافة ــ مارا بمركزها ــ فيبلغ طوله مائة ألف سنة ضوئية ، وسمكها أو عمها فيقدر بعشرة آلاف سنة ضوئية، ونحن بشمسنا « التائهة » وسط هــذا الحشد الهائل نقع في الثلث الاخير مـن المجرة ــ أي على مسافة ٣٢ ألف سنة ضوئية من المركز ، قارن كل هـــذه المسافات الهائلة التي تقدر بعشـرات الالوف من السنوات الضوئية ، بتلـك المسافة الهزيلة التي تحتلها المجموعـة الشمسية بكاملها في ذلك الخضـــم الكوني العظيم ، والتي لا يزيد قطرها عن ١١ ساعة ضوئية فقط لا غير ، ثم قارن ذلك بالمسافة التي تفصلنا عن القمـــر والتي تقدر بثانية وثلث ضوئية بالكاد، وهي التي يهلل لها المهللون ويقولون : لقد غزونا الفضاء ، وجبنا أقطـــار السماوات ، رغم أن هذه الثانيةوالثلث ثانية الضوئية قد أخذت من عمرنــا وجهدنا ومالنا وطاقاتنا الشيء الكثير!

★ ★ ★

لا علينا من كل ذلك ، فالحديث فيه مثير وطويل ، لكن علينا أن نعود ونقول ان كل هذا الحشد الهائل من النجـــوم ــ نجوم مجرتنا فقط ــ يدور في مدارات ثابتة حول مركز المجرة ، وهذا يعنـــي

اننا نتعامل مع أقطار جديدة على النجوم والمجرة ، فشمسنا مثلا (ونحن طبعا معها) تقطع دورتها حول مركز المجرة في حوالي مائتي مليون عام ٠٠ أطال الله في أعماركم !!

وطبيعي أن لكل نجم مداره وسرعته وأقطاره ومكانه ، لكن كل هذا قد لا يهمنا الآن بقدر ما يهمنا أن نتساءل : كم تكلفنا الرحلة الفضائية الى أبعد نجم في مجرتنا ، ودعك الآن من ملايين المجرات الاخرى التي تنتشر في كون لا نعرف له بداية من نهاية ، ولا أول من آخر ؟ !

لنكن متواضعين ، وعلينا أن نختار رحلة لاقرب نجم ، ودعك الآن من أبعد نجم ، فأقرب نجم الينا ـ كما سبق ان ذكرنا ـ يبعد عنا ٣ر٤ سنة ضوئية ،أو ما يعادل ٢٦ مليون مليون ميل !

طبيعي أن الصواريخ الحالية لا تنفعنا في الوصول الى أقرب نجم ، بل لا بد من صواريخ متطورة جدا ، وضخمة جدا ، ودعنا نتصور ونتخير أحسنها (رغم أنها لا زالت حبرا على ورق) ، ودعنا نأمل في صاروخ ينطلق بالطاقة النووية أو البلازما ٠٠ ولنأمل مرة أخرى في صاروخ يندفع بسرعة تصل الى ٢٠٠ ألف ميل في الساعة (أي لو انطلق حول الارض لمدار حولها في ثمان دقائق لا غير) ، ومع هذا الامل الذي يشبه أمل ابليس في الجنة ـ كما يقولون ـ دعنا نتساءل : بعد كم من الوقت سنصل بهذا الصاروخ السريع الجبار الى أقرب نجم ؟

بعد ١٥ ألف عام !!!

هذا عن أقرب نجم ، ونترك لكم الخيار لتحسبوها لابعد نجم في مجرتنا، ولا شأن لكم ولنا بالنجوم الاخرى التي تقع في مجرات أو جزر كونية جد نائية ، لان المسافات بيننا وبينها تقع فيما وراء حدود العقل والخيال ٠٠ مسافات تقدر بملايين وبلايين السنوات الضوئية !

ومع ذلك ، فلا مانع من أن نذكر أن العلماء قد رصدوا منذ سنتين أبعد مجرة يمكن أن تسبح عند حافة الكون، وطبيعي أن الكون ليس له حافة ولا حدود ، لكنها حافة مجال رؤية أجهزتنا المتطورة ، فأبعد جسم مرصود يقع منا على مسافة قدروها بحوالي ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٠٠ر١٥ سنة ضوئية ، أو اذا فضلتها بالاميال، فعليك أن تقرأ هذا الرقم الرهيب ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٧٠٠ر٩١ ميل !!! (أي حوالي ٩٢ ألف مليون مليون مليون ميل)

★ ★ ★

اذن ٠٠ فالقمر يدور حول الارض في مدار محدد ، ولهذا المدار قطر ، والارض بدورها (مع قمرها) تدور حول الشمس في مدار آخر ، ولذاك المدار قطر ، وللكواكب الثمانية مدارات وأقطار تختلف باختلاف مواقعها عن مركز المجموعة الشمسية ، ولكل نجم من نجوم

مجرتنا مدار حول مركز المجرة ، ولهذه الآلاف من من ملايين النجوم أقطار ، وخارج مجرتنا ملايين فوق ملايين من المجرات الاخرى التي تسبح في كون لا نعرف له بداية من نهاية ·· كل ما نعرفه ان آخر حدود هذا الكون المنظور (أو أقطاره بالنسبة لنا) يقع في حدود ١٥ ألف مليون سنة ضوئية ·· فهل يعني صعودنا في أقطار لا تتعدى ثانية وثلث ثانية ضوئية (في حالة غزو القمر أو عدة دقائق ضوئية ، أو حتى عدة ساعات ضوئية ·· هل يعني هذا اننا نفذنا من أقطار السماوات التي لا يعلم حدودها الا خالق هذه الاكوان ؟!

لقد وقع أمامي بحث طريف لاحد علماء الفضاء ، وفي هذا البحث راح يقدر بالمعادلات والارقام رحلة فضائية تنطلق بسرعة قريبة من سرعة الضوء (أي في حدود ١٦٠ ألف ميل في الثانية ·· أي تدور حول الكرة الارضية مرةكل سدس ثانية) ·· فهذه هي الوسيلة الوحيدة التي قد تسعفنا في التجول بين نجوم مجرتنا فقط (لان المجرة المجاورة لنا تبعد عنا حوالي مليونين من السنوات الضوئية !! ، ويذهب هذا العالم فيقول : لكي يتم لنا ذلك ، كان لا بد من بناء مدينة مصغرة طائرة لكي تحتوي على كل ما يلزمرواد الفضاء من مهمات في رحلات تستغرق آلاف السنوات ، ولا بد والحال كذلك أن يكون وزن السفينة على أقل تقدير مائة ألف طن ، ولكي ندفعها بهذه السرعة الرهيبة - القريبة من سرعة الضوء - فانه يلزمنا بناء صواريخ تبلغ كتلتها وكتلة وقودها ١٠ر٠٠٠ مليون مليون مليون طن ·· علما بأن كتلة أرضنا التي نعيش عليها تبلغ ٦ر٠٠٠ مليون مليون مليون طن ·· أي أن وزن صواريخنا الدافعة سيكون أكبر من وزن أرضنا « المسكينة » بمرة ونصف مرة !!

فهل يمكن لعاقل أن يستوعب ذلك أو يصدقه ؟

★ ★ ★

وماذا اذن عن الشواظ من النار والنحاس ؟

الواقع أن ذلك أيضا مقدر ومحسوب ومعروف ·· فالاشعة الكونية المدمرة نوع من الاشعاع القاتل لكل صور الحياة ، فاذا قارنا هذا الاشعاع بالاشعاع الحراري المنطلق من نار موقدة ، لتبين ان طاقة الاشعة الكونية اقوى من طاقة اشعاعاتنا الحرارية بملايين المرات ، وطبيعي أن الذين يتجولون في هذه المسافة الكونية الضئيلة أي الثانية وثلث ضوئية ، وهي مدار القمر حول الارض) يلبسون حللا فضائية خاصة لتمنع عنهم هذا البلاء المنهمر عليهم من أرجاء السماء !

لكن العالم الذي قدر وحسب لرحلة فضائية تنطلق بسرعة شبه ضوئية ، يسوق لنا معلومات طريفة وجديدة ، وفيها توضيح أكثر لمعنى الشواظ الذي جاء ذكره في الآية الكريمة ·

انه يقول : دعنا نفترض أن سفينة فضائية تنطلق بمثل هذه السرعة الرهيبة (أي ١٦٠ الف ميل في الثانية أو ٨٦٪ من سرعة الضوء) ٠٠ عندئذ لو اصطدمت بحبيبة وزنها جزء من الف جزء من الجرام ، فان الصدمة ستكون صدمة أعنف مما تتصوره عقول البشر ، وستؤدي الى تبخير عشرة أطنان من جسم السفينة في التو واللحظة !

ثم يعود ليقول : دعنا نتفاءل ونفترض ان السفينة لم تتقابل مع أية حبيبة أو شهاب ـ رغم اننا لا نعرف يقينا حتى الآن ماذا يمكن أن تحويه هذه الفراغات الهائلة من أخطار ـ ولكنها ستشق طريقها وسط فراغ تنطلق فيه جسيمات ذرية شاردة هنا وهناك ، وسوف تستقبل على كل سنتيمتر مربع من سطحها عشرة آلاف مليون جسيم في كل ثانية ، وعندئذ ستكون الجسيمات ـ من عنف الصدمة ـ بمثابة رصاصات ذرية دقيقة تفتك بجسم السفينة ، فتحولها الى اشعاعات قاتلة

● وما نهاية المطاف اذن ؟

لا نهاية ، واذا أردت نهاية ، فعليك أن تتعمق ـ عن علم ـ فيما تنطوي عليه هذه الآية ٠٠ ففي حقيقتها يمكن القول الفصل ، وكما اشارت اليه كشوفات العلم ٠٠ « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان »

● فأين هي تلك الاقطار ، وما هي حدودها ؟

لا أحد يدري ٠٠ وما أكثر ما لا ندري !
« جفت الاقلام ، وطويت الصحف » !

من الفقه الاسلامي :

للشيخ
هلال مصيلحي هلال

سرنا معك أخي القارىء مسيرا هينا في الطهارات واضطررنا في بعض الاوقات الى أن ننتقل بك الى العبادات في موسمها كالصوم في رمضان وكالحج في أشهره ثم نعود مرة أخرى معك الى ما كنا فيه من الطهارات :

الرخص الشرعية :

وها نحن أولاء الآن نتحدث معك في رخصة من الرخص التي ترفق الله بها على ذوي الاعذار من عباده حتى يخفف عنهم وحتى تنقطع أعذارهم لكي يكونوا مطيعين لله دائما من غير مشقة مرهقة ولا آفة متلفة بل ان الخالق المشرع اعلم بعباده وبما يصلحهم وبما يصلحون له، وهو سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه، ولكي تكون عالما بالحكم لك ولغيرك حتى تخرج من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « قتلوه قتلهم الله » .

مشروعية التيمم :

روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات. فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال : قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذ لم يعلموا ؟ فانما شفاء العي السؤال ، انما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده".

آيات القرآن في التيمم :

ولقد جاء التيمم في القرآن في موضعين ويكاد يكون متطابق الالفاظ فيهما ، الآية الاولى في سورة النساء حيث يقول الله عز وجل « وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا » الآية : ٤٣ .

الآية الثانية في سورة المائدة حيث قال الله تعالى « وان كنتم مرضى أو على سفر او جاء أحد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » الآية : ٦ .

لمن تكون الرخصة :

ولما كان ايراد الآيتين بهذا النسق المتشابه فان بعض العلماء قال ان التيمم

لا يكون الا في مرض أو في سفر والصحيح ان خوف المرض ايضا يبيح التيمم،وليس لازما ان يكون المرض موجودا بالفعل فان عمرو بن العاص رضي الله عنه قال احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ،فاشفقت ان اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وأنت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت قول الله تعالى « ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما »فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً،وهو اقرار منه عليه الصلاة والسلام ٠

السفر المبيح للتيمم :

واما السفر فليس لازما ان يكون مما تقصر فيه الصلاة وهذا مذهب الجمهور واشترط قوم ان يكون في طاعة وان يكون طويلا بحيث تقصر فيه الصلاة وليس ذلك بشيء،لان القرآن يقول « أو على سفر » ولم يحدده او يصفه وليس معقولا ان المسافر لمعصية يحرص على الصلاة حتى يتطهر لها عزيمة او رخصة ٠

ويتبع المرض وخوفه والسفر ما كان في معناهما من العوائق التي تبيح التيمم وهي كثيرة،والاصل فيها عدم وجود الماء،لان القرآن يقول:«ولم تجدوا ماء»، سواء لم يجده اصلا أو وجد منه قليلا

التيمم يكون على

ويلزم كل مكلف إذا

لا يكفي الطهارة فهذا القليل كأنه غير موجود لان المقصود بالماء التطهر به ، فان لم يؤد غايته فكأنه غير موجود اصلا . ودليل اباحة التيمم عند عدم الماء القرآن كما ذكرنا ، وحديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فصلى بالناس فاذا هو برجل معتزل قال:"ما منعك أن تصلي ؟ قال أصابتني جنابة ولا ماء قال عليك بالصعيد فانه يكفيك".

المرض المانع من الماء :

ومن مبيحات التيمم أيضا اذا كان بالانسان مرض أو جرح ويخاف ان استعمل الماء في طهارته زاد مرضه أو تاخر برؤه وذلك الخوف اما من مجرباته هو أو باخبار طبيب ، وكذلك يباح التيمم أيضا اذا كان الماء باردا برودة تضر،وعجز عن تسخينه وكذلك يباح التيمم اذا كان الماء قريبا من طالب للتطهر ثم حال بينه وبينه خطر على جسمه أو عرضه أو ماله او خشي فوت الرفقاء ، أو حال بينه وبين الماء حائل كفقد دلو أو حبل فكل هذه الحوائل تجعل الماء كأنه معدوم اذ ان وجود الماء لا يكفي،ولكن القدرة على الاستعمال هي المعتبرة في هذا المقام ، وحتى على

التراب الطاهر غير المغصوب

عدم الماء ودخل وقت الصلاة

فرض وجود الماء والقدرة على استعماله الا أنه يحتاج اليه في الشرب أو طبخ أو غير ذلك ، فانه حينئذ يباح له التيمم ولا يلزم بغيره من الطهارات ٠

الصعيد الطيب الطاهر :

ثم نأتي بعد ذلك الى الصعيد الذي يتطهر به فنقول : اختلف العلمـــاء في الصعيد ما هو فقيل هو وجـــه الارض سواء وجد عليـــه تراب أم لم يوجد ، وقيد الصعيد بالطيب ، فقالت طائفة : يتيمم بوجه الارض ترابا كان أو رمـلا أو حجارة أو معدنا أو سبخة، وهـــذا مذهب مالك وأبي حنيفـــة والثوري والطبري، وطيبا هنا معناها: طاهرا، وقال الشافعي وأبو يوسف من الاحنـــاف : طيبا أي منبتا فلا يجوز التيمم عندهما الا به، وقال الشافعي: لا يقع الصعيد الا على تراب ذي غبار ، ولا شك ان لفـظ الصعيد ليس نصا في قول الشافعـــي ولكنه استدل بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « وجعلت تربتها لنـــــا طهورا » ولكن هذا معارض بنص القرآن صعيدا طيبا ، والصعيد اسم لوجـــه الارض وقول الرسول صلى الله عليـــه وسلم عليك بالصعيد فانه يكفيك ٠

تفصيل الآراء :

فالاجماع اذن منعقد على ان التيمم يكون على التراب الطاهر غير المغصوب ومكان الاجماع في المنع ان يتيمم الرجل على الذهب الصرف والفضة والياقوت والزبرجد والاطعمة أو على النجاسات، واختلف في غير هذا كالمعادن فاجيز عند مالك ، ومنع عند الشافعي ونقل بعض الائمة ان مالكا جوز التيمم على الحشيش اذا كان دون الارض، واختلف في التيمم على الثلج ففي المدونة والمبسوط جوازه وفي غيرهما منعه، وذكر الثعلبـــي ان مالكا قال لو ضرب بيده على شجرة ثم مسح بها اجزاه ، والاوزاعي والثوري يجوزان المسح بالارض وعلى ما عليها من شجر وحجر ومدر وغيرها، والتراب الذي نقل من طين يجوز التيمم به، واما ما طبخ كالجص والآجر ففيه قـــولان الاجازة والمنع، وفي التيمم على الجدار خلاف والصحيح الجواز لان صحابيا مـــر بالرسول صلى الله عليه وسلم فســـلم عليـــه فلم يـــرد السـلام ثم ذهب الرســـول الى جـدار وتيمم ثم رد السلام وهذا الحديث رد على الشافعي الذي قال: ترابا بذي غبار، واجاز الثوري وأحمد التيمم بغبار اللبد وأجاز ابو حنيفة التيمم بالكحل والزرنيـــخ

والنورة والجص والجوهر المسحوق ٠

صورة التيمم :

والمسح المقصود في التيمم هو جر اليد على الممسوح،وهو مقتضى قول الله تعالى « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه » واشترط الشافعي نقل التراب الى محل التيمم،وكيف نسلم له بذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على الجدار،وأيضا بعد أن وضع يديه على التراب نفضهما وفي رواية نفخ فيهما ٠

وحكم الوجه في التيمم كحكمه في الوضوء،الا أن بعضهم اجاز عدم التتبع كالغضون في الخفين ، وأما اليدين في التيمم فقال ابن شهاب: الى المناكب ، وقيل الى المرفقين قياسا على الوضوء وهو قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابهما والليث بن سعد،كل هؤلاء يرون البلوغ الى المرفقين فرضا واجبا وروي التيمم الى المرفقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جابر بن عبد الله وابن عمر،وابن حنبل رحمه الله استحسن ذلك ٠

وقالت طائفة يبلغ به الى الكوعين وهما الرسغان روى ذلكمالك والشافعي في القديم وأحمد بن حنبل في رواية وقال آخرون بالكفين:وهو قول الشعبي اعتمادا على حديث عمار ٠

التيمم بضربة أم باثنتين :

ولكن يرد هنا سؤال هل التيمم يكون بضربة أو بضربتين قال مالك انالتيمم يكون بضربتين احداهما للوجه والاخرى لليدين ووافقه ابوحنيفة والاوزاعي والشافعي والليث ٠ وقال ابن ابي الجهم التيمم بضربة واحدة لان مالكا قال في رواية عنه:ان تيمم بضربة واحدة اجزاه والمفهوم من الكتاب انهما ضربتان واحدة للوجه والثانية لليدين كالوضوء واتباعا لفعل ابن عمر ٠

من يلزمه التيمم ومتى :

ثم نقول ان التيمم يلزم كل مكلف لزمته الصلاة اذا عدم الماء ودخل وقت الصلاة ، وقال أبوحنيفة وبعض أصحاب الشافعي يجوز قبله،مستدلين بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو لم يجد الماء عشر حجج » وللمذهب الاول ان التيمم طهارة ضرورية ولا يكون ذلك الا بعد دخول الوقت ٠

النية قبل الفعل :

ولما كان الماء هو الاصل في الطهارة والتيمم بالصعيد عوضا عنه فيلزم له النية حتى يصير الملوث مطهرا بالنية وللمتيمم أن يزاول ما شاء من الصلوات والقربات التي تلزم لها الطهارة ٠ هذا وان التيمم مما خصت به هذه الامة دون غيرها من الامم وهو يقوم مقام الغسل والوضوء عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله فاذا وجد الماء وقدر على استعماله بطل التيمم وعلى ذوي الاعذار ان يعودوا اليه وليس عليهم قضاء ما مضى من عبادات ، فعلينا ان نشكر الله على رخصه ونباشرها غير متحرجين ولا ضيقي الصدور،لان القرآن يقول:فتيمموا،ولا يأمر الله بشيء ثم يتحرج منه العبد هذا وبالله التوفيق

فساد نظام الربا في الاقتصاد العالمي

بقلم : مسلم

يقول لورد كنيس في ختام بحثه المستفيض عن « الربا » بعد استعراض شامل للتاريخ الاقتصادي العالمي كاشفا عن فساد نظام الربا العالمي الذي صنعته واشرفت عليه اليهودية العالمية ما يلي :

« من الممكن أن تنسب جميع الآفات الاجتماعية الى الربا، وبقدر ما يزداد مجتمع ما تقدما في المدنية والثقافة فانه ينقص عنده نصاب الربا في عين المقدار والتناسب ، بحيث انه في مجتمع مثالي سيكون المبلغ صفرا في المائة »٠

وقد كشف البحث ان الاسلام ليس هو الدين الوحيد الذي انفرد بتحريم الربا، بل ان الشرائع السماوية كلها قد حرمت الربا، وان الدينين السابقين للاسلام : وهما الدين الذي انزل على موسى عليه السلام والدين الذي أنزل على عيسى عليه السلام قد حرما الربا وان ما تراه الآن من محاولات تبرير استعمال الربا في المجتمعات الغربية ليس في حقيقته الا خروجا على شرعة الدين الحق ٠

•■•

ولقد قطعت هذه المحاولات شوطا طويلا حتى استطاعت أن تفرض وجودها في الغرب، ثم كان للحملات الاستعمارية الى بلاد الاسلام اثرها البعيد في نكل نظام المصارف الربوية، وقيام المعاملات الاقتصادية الغربية التي أزاحت نظام الاسلام، الذي عرفه المجتمع الاسلامي خلال أربعة عشر قرنا ٠

لقد قطعت الاساليب الربوية في المعاملات الاقتصادية شوطا طويلا وكان

الزمن ليس سلعة تجارية تباع وتشترى

اليهود هم حملة لوائها عند الرومان وقدماء المصريين،ولم يخل عصر من الدعاة الذين يكشفون فساد النظام الربوي ويدعون الى حماية المجتمعات والفقراء من تحكم الدائنين ، ولما ظهرت الدعوة المسيحية في الغرب حرمت الكنيسة التعامل بالربا،ولم تفرق بين الاقراض بفائدة قليلة او كثيرة فكانت النتيجة ان انتقلت القوة الاقتصادية كلها وخاصة ما يتصل منها بالقروض الى أيدي اليهود،فأصبحوا هم وحدهم المختصين بهذه الحرفة،ولما كان اليهود منتشرين في مختلف انحاء البلاد فقد قاموا باقراض اموالهم بالربا الفاحش لا يبالون جهدا في الكسب بواسطته وقد عرفت الجزيرة العربية والبلاد العربية المختلفة التي كانت خاضعة للامبراطورية الرومانية نظام الربا حتى جاء الاسلام فحرم الربا تحريما باتا بكل صوره وألوانه ٠

وقد عرفت أوربا ذلك العداء الشديد والكراهية التي لا حد لها للمرابي اليهودي الذي كان يلقى القتل أحيانا من الامراء ورجال الاقطاع في سبيل استرداد قروضه ، وقد ظلت المسيحية تقف موقف العداء للربوية اليهودية الى عام ١٢٥٠ حين تقدم القديس توماس الاكويني بمبدأ كهنوتي يحلل استيفاء الفائدة مقابل تعريض رأس المال لخسارة محتملة ، ثم توسع بعد ذلك في هذا المبدأ الخطير الذي خرجت به الكنيسة عن أصول الدين المسيحي ـ توسع القديس بونا فنتورا والبابا انوسنت الرابع في هذا المبدأ حيث أضفيا الشرعية على أداء فائدة للدائن نظير ما يتعرض له من خسارة بسبب عدم الاستفادة من رأس المال ٠

ولم يلبث الامر ان انتقل خطوة أخرى أشد خطورة حين نافست الكنيسةالمرابي اليهودي في عملية الاقراض حيث لم تلبث الكنيسة أن أصبحت أكبر وأعظم مؤسسة مالية في تلك العصور « راجع ول ديورانت : قصة الحضارة » «الدين ونشوء الرأسمالية : ريتشارد هنري » « المفهوم المادي للمسألة اليهودية ابراهام ليون » ٠

ولقد اثر عن الحبر الاسباني الفيرو بيلانو قوله : كلما دخلت حجرات رجال الدين في البلاط البابوي رأيت السماسرة والقساوسة منهمكين في وزن المال وعده وهو مكدس أكداسا أمامهم (ول ديورانت) ، وهكذا نافس المرابون المسيحيون المرابين اليهود

وقد صور دانتي في الكوميديا الالهية هذه الظاهرة حين وضع البابا نيكولاس الثالث في الدائرة الثامنة من جحيمه. ويرد ديورانت اشتغال الكنيسة بالربا الى أن الكنيسة المسيحية قد تراكمت لديها والمشرفين عليها مقادير كبيرة من الاموال نتيجة الهدايا والهبات وكان هذا هو الدافع المادي الاساسي لقيام بعض السدنة والقساوسة بممارسة الربا وتعاطي التجارة خلال القرون الاولى بعد الميلاد ، وقد وافق البطريق سركيوس على اقراض الامبراطور اليوناني هرقل أموال الكنيسة .

حدث هذا التحول كله بينما يعتبر الربا في الدين المسيحي واحدا من الخطايا السبع المميتة . وقد أشارت هذه الابحاث الى أن البابوات يستخدمون بانتظام البيوت المصرفية الدولية في القرون الوسطى وانهم كانوا يضعونها في حمايتهم الخاصة وأحيانا يرغمون المدين على دفع الدين عن طريق التهديد بالحرمان من الكنيسة ثم انتهى عهد المرابي اليهودي من أوربا بعد قيام الكنيسة بممارسة الربا وبعد نشوء المنظمات والبيوت المالية ، ففي نهاية القرن الثالث عشر طرد اليهود نهائيا من انجلترا وفي أواخر القرن الرابع عشر طردوا من فرنسا وفي نهاية القرن الخامس عشر طردوا من اسبانيا وتخلصت أوربا من الكابوس المرابي الخانق الذي ظل جاثما على صدرها قرابة ستة عشر قرنا منذ أن هبط أول المهاجرين اليهود على السواحل الرومانية مائتي عام قبل الميلاد .

ولقد كانت البروتستانتية منقسمة ازاء الربا فعارضه لوثر وايده كالفن (١٥٠٥) وفقد الاسقف دافيد جونس منصبه في لندن بصورة مفاجئة لانه ألقى خطبة ضد الربا في كنيسة سانت ماري وودنورث ، وتؤكد مقولة عامة بأن اليهود وجدوا كراهية الشعوب بسبب ممارستهم الربا الذي حرمته الكنيسة في القرون الوسطى ، ويقول هاري بي، انه كان من الممكن أن يباد اليهود كلية خلال العصور الوسطى لولا الاهمية الاقتصادية الحيوية لاقراض النقود الذي كان اليهود وحدهم قادرين على القيام به . ويقول لويس جولدنج ان اليهودية هي اقدم نظام اجتماعي يقر رسالة الربا في مجتمع زراعي وان اليهود رغم معارفهم الحرة دفعوا الى حرفة اقراض النقود التي أصبحت في أوربا الشمالية الحرفة المميزة لهم ان لم تكن الوحيدة ، وتقول فنوري ايفانوف لقد حرمت الكنيسة المسيحية الربا في القرن السادس ، ثم حدث بعد ذلك أن الكنيسة نفسها والافراد المسيحيين أخذوا يمارسون الربا مما أدى الى حدوث عنصر صداقي جديد هو عنصر التنافس بين الكنيسة المسيحية والمرابين اليهود حول الاستئثار بممارسة هذا النشاط الاقتصادي .

وفي عام ١٢٠٨ أعلن البابا أنوسنت الثالث أنه (لو طرد جميع المرابين من الكنيسة كما يتطلب ذلك القانون الكنسي لوجب اغلاق الكنائس جميعا) ، ثم جاء البابا انوسنت الرابع فمنح المرابين عام ١٢٤٨ لقب أبناء الكنيسة الرومانية

المحترمين،يقول تاوني وهنري في كتاب الدين ونشوء الرأسمالية : ان البابا أنوسنت الرابع كان سيشعر براحة نفسية عميقة لو كان يعلم أنه بموقفه هذا سيخفف وبعد سبع قرون تقريبا من دهشتنا للمرة الثانية حين تواجهنا حقائق مماثلة تزيح النقاب عن تورط الكنيسة والبابوية نفسها في ممارسة وتشجيع الربا • كما أشارت الابحاث الى أن كنيسة نوتردام دي باريس تم بناؤها بأموال جمعها أحد المرابين عن طريق الربا،وان رهبان كنيسة نوتردام نفسها كانوا يقرضون الاموال بفائدة عالية لمواطني مدينة باريس ، وكانت الشكوى ترتفع أحيانا من وقت لآخر من ان القساوسة كانوا يتعاطون التجارة ويأخذون الربا •

كذلك اشارت هذه الابحاث الى ان الاديرة ابان القرن الثامن عشر كانت تعتبر مصارف عقارية تقرض المال للملاك المجاورين لها نظير حصة من ريع أملاكهم وقد أصبحت الاديرة لهذه القروض المضمونة برهون أولى هيئات الاقراض في القرون الوسطى •

في ضوء هذا كله كانت مفاهيم الاسلام « أحل الله البيع وحرم الربا » و « يمحق الله الربا » وقد جاء تحريم الربا قاعدة أساسية صلبة في الاسلام ليس لها اي منطلق بالتفسير أو التأويل يستطيع أن يقول بغير التحريم • ولا عبرة مطلقا بما يقال من أن تحريم الربا يحول دون التصنيع أو ازدهار الاقتصاد فان كل هذه الامور يمكن أن تتم دون المساس بهذا الركن الركين •

ولقد كان الربا بطبيعته الـ
العدوانية معارضا لسلام الـ
وخيرها وتقدمها وقد حملت
اليهودية التلمودية وسيطرت
المال العام والاقتصاد العالمي
العالم الاسلامي له تكشف
الاخطار التي تعرض لها
ولولاه ما سقطت مصر ولا
ولا غيرها من الدول في قبضة
الصهيونية وما زال الربا هـ
الخطير في استنزاف ثروات
الاسلامي باسم القروض
ولا ريب من أجل ذلك أن يكون
الربا منهجا أساسيا لتحرير
الاسلامي والمسلمين •

ان نتيجة الربا الحتمية هـ
الثروة في أيدي فئة قليلة من
وحرمان المجموع منها رويد
ووقوع الملايين تبعا لذلك في
وقد دعا الاسلام المسلمين
يكتنزوا المال بل عليهم أن
وان يجعلوه وسيلة للانتاج و
الها ومعبودا ، وانما يكون فـ
الانسان،وقد راعى الاسلام
العلاقات بين الناس على أسا
والتعاطف حتى لا يصبح الـ
وسيطرة،ولا يصبح صاحب
مستغلا،وبذلك يبرؤ المجتمع
من أسلوب الكراهية والحقد
كذلك فقد أراد الاسلام ا
من التجارة عملا اخلاقيـ
اقتصاديا للتقايض ، والتـ
العام للربا يقوم على تبادل
نوع واحد،وهو ما نهى عنـ

نهيا تاما ، كذلك لا يجيز ان يغرم المدين مبلغا من المال اذا تأخر في وفاء دينه ذلك لان الزمن ليس سلعة تجارية تباع وتشرى ، من أجل ذلك لا يرى الاسلام ان يزيد الدين على المدين اذا تأخر عن تسديد ما عليه من المال، ولما كان الذين يستدينون هم الذين يكونون في حاجة ماسة الى ما يستدينونه سواء أكان مالا عينا أم عرضا من عروض التجارة، شاء الاسلام ان تكون جميع الديون قروضا حسنة (بلا زيادة على مبلغ الدين الاساسي) ·

ومن أجل هذا يتعارض نظام المصارف والبنوك التجارية القائمة مع مفهوم الاسلام ، من حيث ان هذا النظام ينبني على التعامل في الديون ويقوم أساسا على فكرة الفوائد التي تحصلها المصارف من قروضها، ويهيمن هذا النظام على أوضاع النقد والاصدار والاقتصاد عموما ، ويوجد بين الاسلام ونظام البنوك والمصارف خلاف جوهري بعيد المدى ، يبدو واضحا في فكرة (الفوائد) التي تحصلها البنوك وتتعامل بها، وفكرة تحريم الربا التي تقول بها الشريعة الاسلامية « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون، وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » ·

وفي الحديث الشريف : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والقمح بالقمح والشعير بالشعير يدا بيد ، سواء بسواء فان اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم » · وقد حرم الاسلام الربا وحرم كل أنواع الفوائد قلت أم كثرت سواء أضيفت هذه الفوائد الى المبلغ الاصلي أم لم تضف بعد مدد معينة، كذلك قرر الاسلام ألا يطغى رأس المال على العمل·

وان المقترض القائم على عنصري العمل ورأس المال معرض للخسارة كما هو معرض للربح وتقرير التزام المقترض بالخسارة ان قرر حقه في الربح مبني على أساس أن الحق يقابله الواجب وان الخراج بالضمان كما في الحديث الشريف · اذا سلمنا بهذا يمتنع الربا ويصبح العقد الحاصل في هذه الحالة ليس عقد قرض وانما هو العقد التضامني الذي اطلقت عليه الشريعة الاسلامية اسم (المضاربة) وهو نوع من أنواع الشركة فيها اقرته وأباحته ووضعت له أحكامه الشرعية · والبيع في الاسلام مبادلة مالية لمتبايني القيمة يخضع تباينهما لقانون العرض والطلب واختلاف الرغبات ·

ولقد أشار الفقه الاسلامي الى محاذير الربا في المجتمعات فانه يخلق الكسل بين المرابين لانهم يربحون من كد سواهم من الناس ، كذلك فهو يطوح بالمشاعر العالية لدى الانسان كالشفقة والشعور بالواجب الاجتماعي نحو المحتاجين وهو ينطوي على الخداع

والعبودية ولا يحقق المساواة والتجانس بين أبناء الامة الواحدة ، كذلـــك فقد تقرر أن الفائدة المصرفية هي ربا محرم، وليس يحل لمسلم أن يأخذ فائدة عـــن أمواله المودعة في البنوك لانها ربا محرم ولا يحق للمسلم أن يلجأ الى الربا الا في حالة المضطر الذي تتعرض حياتـه لتلف محقق بسبب الجوع أو الظمـــأ الشديدين ، والفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم وكثير الربا وقليلـــــه حـــرام ٠

وموقف الاســـلام من المال صريـــح واضح ، فهو مال الله لا يحق لاي واحد أن يحتكره أو يتخذه وسيلة للاستغلال لهذا كان المسئول عن التصـــرف في الجماعة كلها ومنع من أن يكون دولة بين الاغنياء كما حرم الربا وفـــرض الزكـــاة ٠

يقول الدكتور عيســـى عبده : ان الشريعة الاسلامية وسعت كل معاملـة وان الاخذ بأصولها وبالفروع هـــي الاولى والاصلح لكل زمان ومكان وان الذين يزعمون ان قيام المصرف غيـــر الربوي متعذر عمليا همْ أنفسهـــم معذورون لان الحكم على الشيء فـرع من تصوره ٠ والامة الاسلاميـــة في الوقت الحاضر في أشـــد الحاجة الى الشخصية المتوازية التي تؤمن باللـه جل جلاله ، وبدينه الذي أنزل وتحرص على تصحيح العقيدة وتثبيتها ثم تأخذ من علوم الدنيا وعلوم الوسائل التـي يتعايش بها الناس ٠ والبنك الاسلامي لا يختلف عن انشاء أي شركة مساهمة وشرطه الوحيد انه يمتنع عن المضاربة

ويطبق عقد القراض الشرعي ، ويشتغل بالوساطة بين أصحاب المدخرات وبين المضاربين وليس في أعمال البنوك موضع شبهة غير الاقراض، والاقراض بالفوائد محرم مطلقا ٠ ومن أكبر الاكاذيب ما يذيعه خصوم الاسلام من القول بـــأن الفوائد هي السر في نجاح البلاد الغربية بوجه خاص في القرن التاسع عشر ، والواقع غير ذلك تماما ، وان عوامل اخرى اهمها الكشف عن الطاقات هـي التي عملت على تقدم أوربا وامريكـــا وهو ما دعانا اليه القرآن وغفلنا عنه أما دور الفوائد في الاقتصـــاد القومي فتنطق به الارقام ، اننا لنجد مثـــلا ان نسبة الفوائد الربوية التي يجنيهـا الشعب الامريكي في كل سنة لا تزيـــد على خمسة بالمئة من الدخـــل القومي ونسبة الاجور الى الدخل القومي ٧٠ بالمئة وما بقي وهو ٢٥ بالمئة يتحقق من المهن والاملاك ، وجملة الدخل كله في الولايات المتحدة يبلغ نحوا من الف الف مليون دولار ٠ وما يقال عن الولايـــات

لتحدة يقال عن كثير من البلاد الغربية في أوربا وأمريكا ٠ ثم ان هذه الفوائد التي تتراوح عادة بين ٤ بالمئة و ١٢ بالمئة لا تعتبر شيئا مذكورا بالقياس الى ارباح صناعة الاسلحة مثلا والتي تبلغ احيانا الى ٢٠٠٠ بالمئة أو ٣٠٠٠ بالمئة كما أن البترول كان يحقق لشركاته نحوا من ألف ومائة بالمئة الى أحد عشر مثل رأس المال قبل رمضان ٩٣ ثم زادت ارباح مشروعات البترول بعد ذلك أي ما يزيد على انضعف ٠ وغريب بعد ذلك أن يظن البعض بأن الغاء الفائدة يقضي على مصدر كبير الوزن من مصادر الدخل ٠

وبالجملة فان الربا بجميع صوره وأسمائه وأسباب كسبه معطل للنشاط الاقتصادي وظالم للآخذ والمعطي معا، ولذلك فانني اطمئن الى حكم تحريم الربا اطمئنانا تاما من الناحية الموضوعية بل استنادا الى الاخذ بالنصوص بل اقتناعا بأن الله جل شأنه ما حرم الا الخبائث وقد حصرها في نظامها ونص عليها ٠ ورد ذلك في الكتاب والسنة ٠ ثم ان حاكم العقل يطمئن الى هذه النصوص ، وقد ذهب البعض الى اجازة تحصيل الربا والتصرف فيه الى اخراجه في صورة الصدقة مثلا وليس لمخرج الربا في هذه الحالة أي ثواب ٠ وأرى أن هذا القول خطير لانه بفضل أمرين الاول ان واقعه الايداع في حد ذاتها لدى البنوك الربوية هي عمل آثم لانه يعين خصوم الاسلام على الثبات في مراكزهم وهم حرب على دين الله ولان الايداع أيضا يعين المعصية ، ولذلك أرى أن ايداع المال لدى البنوك الربوية بغير فوائد ، هو اثم قائم بذاته ٠

ويرى الدكتور عيسى عبده : ان الفساد استشرى في بلاد المسلمين عمد وبخطة مدبرة ، والموارد سحبت من بلادنا وأصبحنا ضعافاومعدقات الساعة تصب الملايين من اتاوات في بنوك اليهود ومع مشرق كل شمس عشرات من الملايين من المدخرات تصب في امبراطورية الربا التي هي بنوك اليهود ٠

قال الامام مالك : سئل أبقارض المسلم الكتابي قال لا : لا يقارض المسلم الكتابي ولا المجوسي ولا المشرك ولا النصراني ولا اليهودي والسبب حتى لا تكون لهم الغلبة في أرض المسلمين بأموالهم (مالك في المدونة

وفي الوقت الذي ندعو فيه الى اباحة الربا وندعي أنه وسيلة لتحقيق السيولة الدولية نجد ان امريكا تنشيء الآن صناديق الاستثمار تودع فيها الاموال ونقرض المديرين المقتدرين في تثمير هذه الاموال،وتنتج هذه الاموال ٢٠ فيها مضاربة ٠وأخذت أمريكا تهتم بهذ الـ ٢٠٪ و ٣٠ في المائة أو مئة في المئة وتنشرها في بلاد العالم ، لان الصناديق

تجمع المال من المولين وتقيم خبر يوظفونه في الصناعات الكبرى ذا العائد الكبير ، وأساس العقد في هذه الصناديق : القراض الشرعي المضاربة وكلاهما بمعنى واحد ٠ هـ

الصناديق تستمد أصولها من شريعتنا وقد انتشرت في أنحاء العالم • أن الفائدة هي ثمن احتكار السيولة المحلية أو السيولة الدولية وان البنك الذي يكفل لك ٣ في المائة أو اكثر أو أقل انما يفعل ذلك ليكون سيدا في سوق المال • اما الاستثمارات فتعود بأرباح وافرة ، فالبترول يحقق الف في المائة والنحاس ٥٠٠ في المائة والفوسفات كذلك •

البرميل ـ بخلاف الضرائب ـ يباع بـ ١٣ دولارا وحصص المسلمين ٧٠ و ٨٠ أو ٩٠ سنتا أي (٩ر٠ في المائة) ولقد أُعطِينَا المركز المميز في وسط القارات وأُعطِينَا البحار الوسيطة والبواغيز وكذلك أُعْطِينَا البترول •

ويشير عشرات الباحثين الى خطر استسلام الاقتصاد الاسلامي لنظام الربا بالرغم من فساده في مجال التعامل ، وهو فساد خطير دعا الدين الحق الى تحريمه • لقد سيطرت الدول الكبرى غير الاسلامية على هيكل الاقتصاد العالمي واقامته على الربا وعلى الاستغلال وعلى تكديس الثروات• واصبحت وسائل الانتاج ودواليب التجارة العالمية تتحكم في أسواق العالم اجمع واصبح المعسكران وحدهما في الميدان ، اما الخط الاسلامي في المعاملات فقد ديس بالاقدام ، وكان علينا البحث عن الحلول المستمرة من أصول الاسلام ، ولم يعد الاستنكار القلبي كافيا ، مع الخضوع للامر الواقع • وامامنا علماء المسلمين في ميدان الاقتصاد وقد قدموا لنا منذ اربعين سنة مناهج جديدة صالحة لتقويم الاقتصاد الاسلامي وتحريره من الربا

•

ان المسلم مطالب بأن يتحرى الكسب الحلال الذي لا ريبة فيه ولا استغلال والاسلام ضد الاحتكار ، يرفض كل طغيان مالي أو تعامل يقوم على الحقد والاستغلال لقد جاء الاسلام والربا قائم ومنتشر فقضى عليه وحطم قوائمه واقام نظام التعامل الرباني الرحيم، ثم كر الربا بأيدي القوى الاستعمارية والتلمودية كرة أخرى، فأصبح وله مؤسسات ونظم وفلسفة عريضة • ولا ريب أن تجربة التاريخ قد أثبتت خلال السنوات الثلاثمائة الاخيرة كيف عصف الربا المجتمع الاسلامي وأذله وأذاقه الويلات وترك البلاد مصدعة ومرهونة للقوى الكبرى والبنوك اليهودية ، وفي ذلك اثبات لصحة القانون الالهي وبطلان القانون الوضعي، وبسبب تحريم الربا استمر الاقتصاد الاسلامي لمدة ألف عام ويزيد دون أن تظهر طبقة فاحشة الغنى وأخرى فاحشة الفقر ثم جاء النظام الاقتصادي الربوي الدائم فأنشأ تلك المجتمعات القلقة حيث جرى توزيع الثروات بطرق غير عادلة ان عملية الربا هي الطريقة الوحيدة في التعامل الاقتصادي التي تجعل دورة الثروة يجري في اتجاه واحد ، وان هذه الخاصة في الربا هي التي جعلت النظام الصناعي نظاما استغلاليا وكان من نتائجه ظهور اثنين من اكبر مساوئ العصر ، وهي القهر الماركسي

الشيوعي الاشتراكي والحرب العالمية الثانية يقول الدكتور ابراهيم دسوقي أباظة : ان ماركس وآخرين من المفكرين الاقتصاديين في القرن التاسع عشر الذين ادعوا أن سير العدالة الاقتصادية يكمن في الغاء الملكية الفردية، لم يدركوا أن الشيء الذي جعل من النظام الصناعي نظاما استغلاليا هو ارتباط ذلك النظام بالربا وليس الملكية الفردية ولو توصلوا الى هذا السر لطالبوا بالغاء الربا لانهم بمطالبتهم بالغاء الملكية لم يحلوا المشكلة بينما تسببوا في وضع جزء كبير من الانسانية في عذاب اقتصادي لا يخرجون منه ولو أرادوا . ان هتلر قد شعر بمساوىء

الربا الشنيعة وكان الرأسماليون ا[...] قد سيطروا على اقتصاديات الم[...] والدول الاوروبية الاخرى قبل الـ[...] الثانية وحين درس هتلر هذه المش[...] توصل الى أن « الربا » هو اداة ا[...] الاقتصادية اليهودية ولو الغى الربـ[...] بالقانون لماتت الرأسمالية اليهودية [...] يموت الجسد الذي يستخرج منه دمه ، ولكن جنون هتلر الانتقامي [...] الى الحل العسكري بدلا من الحـ[...] الاقتصادي فشرع في أبشع حرب [...] التاريخ لاستئصال اليهود من أور[...] ووصل بقايا اليهود الى الولايات الم[...] الامريكية عقب الحرب الثانية وخـ[...] السنوات الثلاثين الماضية تمكنوا [...] السيطرة على الاقتصاد الامريكـ[...] بواسطة الاستيلاء على المؤسسـ[...] الربوية مثلما كانوا في أوربا ول[...] بدأ الاستياء الشعبي ضد اليهـو[...] أمريكا وتنبأ بعض المراقبين بأنـ[...] عجب لو ظهر هتلر جديد ضدهـ[...] أمريكا . وقد اضطر النظام الربـ[...] الدول النامية الى الاستدانة من ا[...] المتقدمة لاجل برامج التنمية وقـ[...] حصلت هذه الدول على الديون بش[...] ربوية طبقا للنظام الاقتصادي السا[...] وبلغت الديون بسبب السحر الر[...] مبلغـــا اضطرت الدول المدينـ[...] ازاءها للاستدانة مرة أخرى لاجل [...] الفوائد على الديون الاساسية . ([...]

وقد حاولت بعض القوى أن تنفذ [...] الفقه الاسلامي لتتخذ منه سنادا [...] التعامل الربوي غير أن قرارات [...] البحوث الاسلامية (١٩٦٥) قد حـ[...]

الامر حسما تاما حين قررت :

أولا : ان الفائدة على أنواع القروض كلها (ربا محرم) لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الانتاجي لان نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين ·

ثانيا : كثير الربا وقليله حرام كما يشير الى ذلك الفهم الصحيح لقوله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة » ·

ثالثا : الاقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع اثمه الا اذا دعت اليه الضرورة وكل امرىء متروك لدينه في تقدير ضرورته ·

رابعا : أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك في الداخل ، كل هذه من المعاملات المصرفية الجائزة وما يؤخذ في نظير هذه الاعمال ليس من الربا ·

خامسا : الحسابات ذات الاجل وفتح الاعتماد بفائدة وسائر انواع الاقتراض نظير فائدة كلها من المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية أجل النظر فيها الى أن يتم بحثها ·

الإسلام ومسيرة الحضارات

للدكتور
محمد عبد المنعم
خفاجي

جاء الاسلام والحضارات العالمية قـــد شاخت وهرمت، سواء منها الحضارة الفارسية أم الاغريقية أم الرومانيــــة أم المصرية أم الصينيــــة والهندية والبابلية والاشورية وغيرها، فورث جميع هـــذه الحضارات القديمة، بل اخذ يقلب صفحاتها وتراثها، وينقل تراثها الى الفكــر الاسلامي، ويأخذ منهـــا المعارف العملية، والاصول الثقافية التي لا تتنافى مع مبادىء الاســلام الشريفة الرفيعة

واقام حضارة اسلامية مزدهرة في جميع عواصم بلاد المسلمين من الصين شرقا الى بحر الظلمات أو المحيـــــط الاطلسي غربا، ومن اوربا شمالا الى أواسط قارة افريقية جنوبا · وحسـبك حضارة بغداد والبصرة والكوفةودمشق والفسطاط والقاهرة والقيروان وفـاس وقرطبة · وكذلك حضارة مدن أصفهـان وجرجان وبخارى وسمرقند وغيرهـــا من المدن والعواصم الاسلامية المشهورة، التي كانت تسبح في نور العلم والتقـدم والمدنية، وفي ظلال الرفاهية والحريـة والامن والسلام وتجمعت من كل ذلـك حضارة اسلامية شريفة، نجمت مـــن أصول شريفة، وقام عليها الملك والفكر والاقتصاد والاجتماع وجميع جوانـب الحياة الرفيعة التي عاشهـا المسلمون ابان نهضتهم الحضارية الكبرى · وشهد لها العلماء والمفكرون والمشـــرعون في كل عصر وكل جيل ·

حضارة هزت الدنيـــا، ودوى بذكر مفاخرها الزمان، وارتفعت راياتهـــا في الآفاق، وعاش فيها الناس أحرارا مكرمين . ينعمون بكل ألوان المدنيـــة والعلم والتقدم ·

وكانت أوربا تنظر اليها وهي مذهولة لهذا التفوق الحضاري الفريد، ويصيح مثل بتـــــرارك الشاعر الايطالي في العصور الوسطى قائلا : « يا للـــه، لقد تفوقنا على كل الامم الا العرب، الذين أذلونا بحضاراتهم الساحقة فيا للخزي ويا للألم » ·

وجاءت أوربا ظامئة جاهلة مجردة من كل شيء، فنهلت من حضارة العرب وعلومهم وثقافاتهم، حتى استطاعـــت أن تقوم على قدميها، ثم استطاعت أن تملك زمام المبادرة وتأخذ العنان بيديها من العرب، وأن تنشيء لها حضـــارة جديدة، تخالف الحضارات الاخـــرى

في كل شيء ، ولا تتفوق على حضارة الاسلام الا في الماديات وحدها ٠

ورأينا حضارة أوربا نسيجا من الطغيان والقوة والاثرة والانانية وحب النفس ٠ وقد قامت على أساس فلسفاتها الاستعمارية ذات التفرقة العنصرية وتقسيم البشر الى طبقات ومنازل ، ووضع العرب والمسلمين في آخر الدرجات ٠

حضارة لا أساس لها :

والآن تنتقل الحضارة الغربية بكثير من خصائصها إلى أمريكا لتتسلم قيادها وتمسك بزمامها ، وهذه الحضارة المعاصرة هي حضارة لا أساس لها ، مادة بلا روح ، وأهواء بلا عقيدة ، وليست تنطوي على أية نزعة انسانية أو اخلاقية ، وهي تقف في كل لحظة أمام أبواب الدمار الذي ليست له حدود ، انها حضارة اللذة والمتعة الجنسية ، وعبادة المرأة والمال شعارها ، وعلمها الذي تسير تحته ان الجنس الاوربي هو سيد العالم ومن عداه عبيد أو كالعبيد واذا كانت أوربا قد حررت الرقيق كلاما ، فانه ما زال موجودا فعلا ، الرقيق موجود في المرأة التي تبيح شرائع أوربا شراءها بالمال ، موجود في البلاد المستعمرة التي تعيش في منزلة العبيد في سالف الازمان ٠ وكل خيرات هذه الشعوب هي لاوربا ، ولشعوب البلاد المستعمرة الفقر والمرض والجهل والقتل والموت البطيء الذي لا يتصور نجاة منه ٠

حضارة أوربا لا مكان

ان حضارة أوربا هي حضارة الربـ القمار والمكيافيلية الشريرة والاباحيـ والعلمانيــة واستعباد المرأة باســـ تحريرها ، حضارة لا مكان لهــا فـ قاموس المثل والقيم الانسانية الشريفـ وكل ما هو شريف فيها أخذ من العرب ونقل عن المسلمين ٠ يقول غوســتافـ لوبون في كتابه « حضارة العــرب العرب كانوا ممدنين للغرب ، وأئمـــ له ، في ستة قرون ، وعن طريقهم اهتدـ أوربا الى تراث الاغريق وكشفت عــ ماضيها ٠

ويقول أيضا : الحق ان اتباع محمـ ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الاعدا ارهابا عدة قرون ، وعندمـــا كانوا يرهبوننـــا بأسلحتهم كانوا يذلوننـ بأفضلية حضارتهم العربية السامقـة ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالامـ ومع ما بلغته أوربا من قوة ماديـــ انهارت روحيا وأخلاقيا وانسانيـا الـ الدرك الاسفل ، وحسبك أنها تحرم عـ الرجل أن يتزوج الا بواحدة ومع ذلـ تبيح له أن يعيش مع ألف عشيقة وبائـ لجسدها،ولا تعد ذلك اثما ومنكرا ، اذ الاثم في نظرها الفاجر هو ما شرعـ الاسلام للرجل من حرية الزواج بأربـ بشرط أن يعدل بينهن « فان خفتـم ا تعدلوا فواحدة » ٠

لها في قاموس المثل والقيم الانسانية

أوربا في انهيار :

وأوربا في ظلال حضارتها الزائفة تعيش اليوم في انهيار دائم ، ورعب طويل ، وفزع مستمر ، وما اصدق ما يقول اقبال : « مثلت حضارة الغرب دورها ، وقد شاخت وهرمت ، اينعت كالفاكهة • وحان قطافها ، وسوف ينهار العالم الذي حوله حقا مرد الغرب الى حانة من الفساد»ولقد رات أوربا بعينيها النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والاخلاقية والعلمية،ولسوف تتمخض الانسانية عن عالم جديد ، وهذا العالملا يحسن تصميمه الا من بني للبشرية البيت الحرام ، وورث محمدا وابراهيم قيادة العالم » •

ان الرقي العلمي في بلاد الاسلام كان محاطا بتفوق روحي وأخلاقي وانساني ، وبشرف لا يعدله شرف ، في كل جانب من جوانب النفس الانسانية المؤمنة بالله ، المحافظة على سمو الحياة وكرامتها ، المتطلعة دائما الى الامام بروح الامل والعمل والقوة •

ولم تسد حضارة الغرب الا حين غاب المسلمون عن ادراك حقيقتهموذاتهم وشريعتهم وقرآنهم • بل انها لم تعش الا في ظل ضعف المسلمين وتركهم لمقومات مجتمعهم الاسلامي ، وذوبانهم في الغرب وأفكاره ومثله وثقافته •

لقد سادت من قبل حضارة الاسلام والمسلم الكامل ، لانها حضارة انسان الارض العظيم ، المتطلع دائما الى نور السماء ، والحامل لعبء المسئولية الكاملة ، والمشارك في نشر السعادة والرفاهية والسلام بين البشر ، وما أشد الفرق بينها وبين حضارة الغرب ، حضارة الاستعمار والحروب ،والصراع بين الطبقات والمجتمعات والناس والشعوب ، حضارة المصارعة وصراع البقر وغير ذلك مما لا يخطر على بال أحد • ولو ظل المسلمون متمسكين بشريعتهم لما فارقت الحضارة أرضهم•

يقول غوستاف لوبون : ان سبب انحطاط الشرق هو تركهم روح الدين ، وتشبثه بالعقائد الباطلة •

وأقول :اذا كان الشرق قد عاش بعيدا عن التقدم والقوة في العصر الحديث ، فلان أوربا قد عملت على تجريده من كل أسلحته الروحية والمادية والنفسية ، وتركته يتخبط في ظلالالفقر والحرمان والحيرة •

واذا كانت الحضارة تعني في جوهرها شمولها مختلف ألوان المعرفة التي يقوم بها العقل الانساني من علم وفن وثقافة وأدب وسياسة واقتصاد ــ كما يقول كاتب في بعض المجلات ــ

فان الحضارة المعاصرة قد بلغت مبلغا كبيرا من التقدم والازدهار ، وان كان المفكرون يضيقون ذرعا بهذه الحضارة ويرون أنها في طريقها الى الانهيار ، كما انهارت الحضارة الرومانية القديمة ، التي بلغت قمتها ، ثم استشرى فيها داء الترف والفساد والانحلال فانتهت ، ويقول بعض المفكرين : ان على الانسانية لكي تتجنب الهوة التي سوف تسقط فيها حضارة العصر الحديث أن ترنو ببصرها الى العصور الذهبية التي مرت بالبشرية ، ومن هنا نرى من يمجد العصر اليوناني القديم كالشاعر الانجليزي بايرون ، والشاعر الالماني هلدرن والفيلسوف الالماني نيتشه ،وقد هاجر البرت شفيتزر الى افريقيا هروبا من الحضارة المعاصرة وما جرته على الانسان من قلق وتوتر وعدم استقرار ، وذلك ليعيش حيث الفطرة والبساطة والحياة البعيدة عن عقد حضارة القرن العشرين ·

وكولين ويلسون صاحب أدب « اللامنتمي » يتوجس خيفة منحضارة العصر التي نحياها ، والتي هي سبب لكل ما يلاقيه الانسان المعاصر من شروره لما طبعت عليه الحياة من انحلال وترف ، ومن ثم استعرض أعمالالادباء والفنانين الكبار من أمثال دوستوفسكي وسارتر وهمنغواي والبير كامي وغيرهم ورأى أنه من الضروري عدم الانتماء الى حزب معين أو فكرة معينة حتى لا تنتهي حياة الانسان المنتمي بالجنون مثل نيتشه وفان جوخ ·

ويتنبأ توينبي المؤرخ الانجليزي الكبير بانهيار حضارة الغرب المعاصرة، كما انهارت حضارة روما ، ويرى كولن ويلسون ان عالمنا اليوم يمر بنفس الظروف التي مرت بها حضارة الرومان عندما انهارت أثناء انتشار الديانة المسيحية · ويعلن كولن ويلسون الرفض أي السخط على هذه الحضارة التي أرهقت الانسان بضغوطها الاقتصادية والمادية ، وبما اتصفت به من انحلال وفساد · وكتب جيبون في كتابه «انهيار الامبراطورية الرومانية وسقوطها » يؤكد أن روما تحولت الى حضارة لا تفكر الا في الجنس والحرب حتى أن نيرون تزوج صبيا بعد أن ألبسه ثوب فتاة في احتفال كبير ، بل وتزوج أمه ، ويقول كولن ويلسون : اننا نعيش في عصر الجاز والتلبفزيون وجيمس بوند ولوليتا والحشيش والمخدرات والعنف والجرائم الجنسية ·

ويقول بعض مفكري الغرب : انه ليس بالبعيد على الانسان أن يقف على أطلال عواصم الغرب الكبرى يبكيها كما وقف الانسان القديم على أطلال المدن الكبرى القديمة باكيا حزينا ·

ماهي منهجية للدعوة الاسلامية

بقلم الاستاذ :

عبد الجواد محمد الخضري

تأملت في كل شيء حولي في أمور تخص الاسلام فهاجني استعبار لم أك له ندا ، ولولا ان الحق تبارك وتعالى حفظ الدين بنفسه دون استحفاظ منا لما أمسكت القلم بادىء ذي بدء ولا أحد يعلم سواه كم أبديت أسفي على ما حدث لامة الاسلام اليوم على خريطة العالم الثقافية والعلمية ؟ وهل صحيح أن المسلمين أنفسهم تخلوا عن الاسلام ، فكيف لهم أن يدعوا الآخرين الى دينهم ؟

وكان لابد أن أضع منهاج الدعوة والدعاة أمام عيني حتى ينبثق فجر جديد من عالمنا العربي ولا أدري في أي ساعة نحن من هذا الليل البهيم ، لعلها تكون الاخيرة لانها أشد سوادا من غيرها ·· وما هي الا فترات حتى جال في الفكر آية من كتاب الله حركت الشعور وفتحت الوجدان انها قول الله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » آل عمران : ١٠٤ ، وهي بهذا المنطوق تعطي مفهوم الدعوة واتجاهه السليم ، ذلك لان الدعوة رغم ما عدد القرآن لها من مواطن كثيرة فان لها في هذه الآية منهجا

ولاول مرة في تاريخ التفسير القرآني تظهر حقيقة واضحة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولا أجد حرجا في صدري من شيء ان نقلت ما قاله صاحب الاعجاز العددي في القرآن الكريم يقول في ص ١٤٠ جـ ١ ، وهكذا يتكرر عدد

مرات ذكر اللسان بكل مشتقاته بعدد مرات ذكر الموعظة ولكل ٢٥ مرة رغم عدم اجتماعهما في آية واحدة بل ولا في سورة واحدة أقول : والدعوة باللسان لا بد وأن تكون وفق ملامح معينة حتى يفهم الناس الدين فما هي ملامح الداعي حتى يؤثر في الناس ؟

ان أول صفة تميزه أن تتوفر فيه علامات الفلاح وقد بينها الله في آيات كثيرة منها قوله « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » المؤمنون : ١ـ٥ · ومن عجيب كتاب الله أن تجد آياته مفسرة لبعضها ، انظر كيف قرن الفلاح بفعل الخير ؟ « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » الحج ، ٧٧ ، ولو قارنا بين الآية القائلة « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير » وبين هذه الآية لوجدنا أن الدعوة ترتبط بالخير دائما وأبدا ولا أجد دعوة تعود بالخير الا الدعوة الى الله ··

وليتنا نلحظ آية في كتاب الله لنستلهم منها أسباب الفلاح كذلك يقول الله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » آل عمران : ٢٠٠ ·

فمن هنا نعلم أن الدعوة لو حملها من هولها أهل ، لاستطاع أن يغزو العالم كله من شرقه الى غربه بادئا بروسيا منتهيا بأمريكا ، ولعل السر في تأخر الدعوة هو أنها وليت لمنعدم الاهلية لها في بعض الاماكن ·· ألست ترى أن هناك دعاة لا يحفظون القرآن الكريم ؟ ولا يدرون أي شيء عن الحديث النبوي ؟؟!!

ان الحوادث تشير الى هذا ، أي وربي انه لحق ·· وكم طالعنا كتبا كشفت عن هؤلاء القوم ، وكان آخر ذلك ما كتبه الدكتور « علي العماري تحت عنوان « فقهاء بغير فقه » وقد كشف الدكتور عن متناقضات وخزعبلات ضد الاسلام بأقلام مسلمة كأن الاسلام يهدم من ادعياء له !!

وحتى لا أكون مسئولا أمام الله أوجه فكرة الى وزراء الثقافة والاعلام بأن يشكلوا لجنة ثابتة لمراجعة الكتب الدينية التي تنزل الى الاسواق ألا فليعلموا أن سموم الفكر الغربي تجد المناخ في قلوب شبابنا ويؤسفني ان ارى كتاب « جان بول سارتر » المدعو « المومس الفاضلة » في بعض الاسواق ·

نعود الى شروط الداعي الى الله فنجدها تنحصر في أمور :

●● أولا : الامر بالمعروف وهذا لا يتأتى الا ممن توفرت فيه شروط الامر بالمعروف ورحم الله سادتنا الاول وعلى رأسهم الامام « الغزالي » لانهم ألفوا العديد من المصنفات في شروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودرجات يقول الغزالي : وللامر بالمعروف درجات ـ التعريف ، فالوعظ فالتخشين في القول ، فالمنع بالقهر ولا يجوز مع الحكام وأولي الامر الا التعريف والوعظ · أقول . وقد حدث ذلك من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين أخر الحجاج بن يوسف الثقفي صلاة الجمعة فقال له عبد الله

ان الشمس لا تنتظرك · فأجابه الحجاج لاضربن عنقك اليوم · فقال له ابـــن عمر : انك سفيه مسلط ·

ولعلك ترى كيف كان حزم ابن عمر وقوته أمام بطش الحجاج وبأسه ، لقد حقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل : أي الجهاد أفضل ؟ قـــال « كلمة حق عند سلطان جائر » رواه السيوطي ·

وجـاء العصر الحديث ليضيف الى الشروط شروطا تتلاءم مـع طبيعته ولن أدعي أني أنشيء معروفا جديدا ، بلى فالمعروف في الاصل ما عرفه الاسـلام وصدقه القرآن ولكن هناك آية في كتاب الله حددت اطار المنهج الحديـــــث للدعوة يقـــول الله « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ··· الخ » · وان حكمة الله اقتضت انيكون الرسول من بين قومه ليتحدث بمـــا يفهمون ، فاليوم يجب على كل داعيـة ان يدرس علم الطب ، والتشـــريح ، والنفس ، والفسيولوجيا ·· الخ ، حتى يواكب العصر ويتعقب أساطين المعرفة، وقد رأيت بشائر الدعاة من هذا الطراز حتى قال الشيخ محمد الغزالي في كتابه ركائز الايمان بين العقل «والقلب » ان سياحة مع علم الفلك ، أو قراءة في علم النفس تعطينا دلائل على قدرة الله خير من أساطير في تراثنا المدلس وكم كان ارتياحي لهذا النوع من الثقافة »· والحق ان الرجل درس ثقافة الغـــرب وأخذ منها ما يتلاءم مع قيمنا ، أرأيت أنه حشـــد كل كتبه بما تحدث بـــه المنصـفون من علماء أوربا وليس أدل على ذلك من اطراء الكسيس كارليل ··

يجبُ على مَنْ يتصدّى للدّعْوة أن يتحمّلَ النّقد

واذا كان الشيخ الغزالي يحاول أن يكون في الصورة فان هناك اقوى دلالة منه هناك الذين عايشوا العلم وربطـوا بينـــه وبين الاســلام حتى أصبحوا طاقـة لا تنتهي ، ومن هؤلاء الرواد في العصر الحاضر : وحيد الدين خان، والندوي ، والمودودي ، والمرحوم مالك ابن نبي والاستاذ خالد محمد خالد ، أما الاول فقـــدم أروع كتاب ظهـــــر في السبعينات « الاسلام يتحدى » ومنهجه يتلخص في ربط الحقائق العلمية بالدين الاسلامي ، ولا يخفى على لبيب ذلك · والثاني من القلائل الذين قدموا للمكتبة العربية الاسلامية ما تواجه به التيارات الالحادية ، واني لمستبشر بهذا النـــور الساطع من الهند الاسلامي في عصـر

تداعت فيه الحمم ومنهج الندوي يتفاعل مع الحياة العصرية ، انه يواجه النار بالنار والرياح بالاعصار في كل شيء يربط بين اصالة الماضي وروح الحاضر يتجلى ذلك في كتابه « نحو تربية اسلامية » ، أما الثالث فقد عده النقاد من رجال الفكر العلمي حتى لقب بحجة الاسلام ، أقول ولاول مرة في العصر الحديث نرى مؤلفا يبلور أعمالا في أقل من ربع قرن ، انها العظمة التي لا تحتكم الى قانون وليتنا نقف عنده لحظة حتى نتبين منه شروط الداعي تحت منهج الامر بالمعروف ٠

يقول في كتابه «تذكرة دعاة الاسلام» ص ٦٩ :

١ ــ يجب على من يتصدى للدعوة أن يتحمل النقد ٠

٢ ــ ويجب على الناقد قبل أن يتناول الموضوع بالانتقاد ان يحاسب نفسه مع الاعتقاد بأن الله شاهده ويرى هل ينتقد أحدا بالعاطفة المخلصة أم بعاطفة الحقد ٠

٣ ــ ويجب ان لا يكون الانتقاد بلهجة سوقية عنيفة ، وعليك أن تقنع نفسك بالانتقاد ٠

٤ ــ وعلى الداعي ان يسمع النقد بكل صبر وسكوت ويتأمل في ذلك بكل عدل ثم يعقب على ذلك فيقول :

ثانيا : القدوة : يقول سبحا[نه] لرسوله صلى الله عليه وسلم « قل هذ[ه] سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أ[نا] ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا [من] المشركين » يوسف : ١٠٨

ثالثا : سنة رسول الله صلى الل[ه] عليه وسلم وهي ما نقل عن الرسول قول أو فعل أو تقرير شهادة الثق[ـات]

رابعا : تاريخ الخلفاء الراشد[ين] ونعني بهم الصحابة رضوان الله عل[يهم]

تنقسم الدعوة الى قسمين باعتب[ار] المفهوم : دعوة باللسان وقد اسهبنـ[ـا] الحديث عنها فيما مضى ، ودعوة بال[...] وها نحن نبينها في وضوح وتفصـ[ـيل] حتى نصل الى نهاية المطاف وقد امتل[أنا] بالسكينة والطمانينة لمستقبل الاسـ[ـلام] والمسلمين ٠

ولو أردنا اصلاح الثقافة الاسلامي[ة] علينا بالآتي :

أ ــ مراجعة التراث القديم المد[...] وتنقية ما علق به من فلسفات ،الاسـ[ـلام] منها براء

ب ــ مواجهة الطوائف الدينيـ[ـة] والتصدى لها

جـ ــ استخدام سلاح النفط للدعـو[ة]

●●●

● لاحظت أن بعض الوعاظ والائمة، يطيلون في صلاتهم ويقرأون في الركعة الواحدة آيات طويلة ، فاذا كان وقتي لا يسمح لي بالمكوث كثيرا في المسجد للصلاة وراء هذا الامام ٠٠ فماذا أفعل وهل يصح لي أن أصلي منفردا بسبب ذلك ؟

صلاح عبد الباقي ـ أبوظبي

ـ يقول الرسول صلوات اللهوسلامه عليه « من أم بالناس فليخفف ٠ فان منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » وعندما علم صلى الله عليه وسلم أن معاذ بن جبل يصلي اماما بالناسويطيل في صلاته كثيرا قال له « أفتان انت يا معاذ ؟ » وكرر عليه هذا التعبير ٠

والشارع الحنيف لا يصل الى حد ارهاق واعنات الناس ٠ غير أن التطويل والتخفيف في الصلاة لا يقاس بحاجة كل شخص وتقديره لنفسه وانما يرجع في حده وصفته ومقداره الى الشارع ، ولانه لو رجع فيه الى عرف الناس لاختلفت الصلاة الشرعية في الطول والقصر ٠

والتخفيف الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم معاذا وغيره من الائمة، هو ما كان يفعله عليه الصلاة والسلام فانه كما قال انس بن مالك « كان اخف الناس صلاة في تمام » وقد قال صلى الله عليه وسلم « صلوا كما رايتموني أصلي » وفي صلاة النافلة وصلاة الليل كان صلى اللهعليه وسلم اذا صلى وحده طول لنفسه ما شاء حتى يروى انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ في الركعة الواحدة بالبقرة وآل عمران والنساء ٠

هذا ولا ينبغي لك اخي المسلم أن تجعل من تطويل امام في صلاته سببا في ترك الجماعة ، خاصة وأن المساجد ولله الحمد كثيرة والائمة كثيرون ٠ وان أطال امام يخفف غيره ٠

○

● والدي مذهبه مالكي ٠ وأنا لا أعرف لي مذهبا معينا ٠ فهل صلاتي صحيحة اذا صليت على مذهب غير

مذهب والدي ؟ أم لا بد أن أكون مثل والدي . ثم ما مذهبي ان لم افعل ذلك؟

محمود محمد عبد المقصود
بنها - ج . م . ع

- الشريعة الاسلامية سمحة والمطلوب في أداء العبادات أن تكون موافقة لما طلبه الله سبحانه وتعالى وسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء وافقت المذاهب كلها أم وافقت مذهبا واحدا منها . ويجوز لك ان تصلي على مذهب الامام مالك أو اي مذهب آخر وليس من شروط الصلاة أن تجاري مذهب والدك . والعلماء يقولون أن مذهب العامة هو مذهب من يفتيهم . فاذا أفتاك عالم حنفي ثقة فعليك أن تتبع مذهبه واذا أفتاك شافعي في نفس المسألة فانت بالخيار ، بين أن تأخذ بما أفتاك به الاول أو الثاني والدين يسر لا حرج ولا مشقة فيه .

● هرب أحد اللصوص في بلدنا ولجأ الى المسجد ، فاندفع الناس وراءه وتمكنوا من القبض عليه ، الا انهم خلال ذلك أصابوا المسجد ببعض الاضرار . فهل تجيز الشريعة لهم هذا العمل ؟

بشير مصطفى
ليبيا - بنغازي

- ليس من شك في أن للمسجد حرمته ومكانته . وقد أحاطه الله بسياج من التقديس والاجلال ولانه بيت الله وزواره هم ضيوفه سبحانه وتعالى وهو محل عبادته « في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » ومن ثم فلا يحل لانسان أن يعتدي على حرمة هذا المسجد أو يمنع الناس من دخوله «ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » فاذا لجأ لص أو مجرم الى مسجد واعتصم به ، فانه يخرج منه قهرا لان المسجد ليس مأوى للصوص واذا لم يمكن اخراجه منه الا ببعض الاضرار ،فليكن ذلك على كراهية من الفاعلين على أن يعاد بناء أو اصلاح ما تهدم من المسجد

● انتشرت في الايام الاخيرةظاهرة تربية اللحى وخاصة بين الشباب فما حكم حلق اللحية ؟

بابا عيسى عمر
غاروانية الجزائر
محمد ابو العلا الخالدي
تونس

- يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « جزوا الشوارب وارخوا اللحى وخالفوا المجوس » رواه أحمد ومسلم وعنه صلى الله عليه وسلم « خالفوا المشركين ووفروا اللحى واحفوا الشوارب » والامر في بعض المذاهب يقتضي الوجوب ما لم يأت مقتضى بعينه للسنية ويقول الله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ويقول صلى الله عليه وسلم « من تشبه بقوم فهو منهم وليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا

ـصارى » ويقول البغوي رحمه الله الرجال باللحى والنساء بالذوائب »

وفي موطا مالك الجزء ١٥ « قال زرقاني ان الامر ندبٌ وقيل وجوبا الجمهور على الاول والظاهرية على ثاني » ٠

وفي قص الشوارب واعفاء اللحى خالفة لفعل الاعاجم ، لانهم كانوا ـلقون لحاهم ويقصون شواربهم ٠ الحكم هنا معلل بعلة مخالفة اليهود المجوس والنصارى والحكم يدور مع ـعلة وجودا وعدما ، كما يقول علماء لاصول ٠

ونلاحظ الآن أن موجة تجتاح الشباب يطلقون عليها « الهيبية » وهؤلاء طلقون شعورهم ولحاهم مبالغة في لاسراف في الرفض دون التقيد بأيدين و تشبه بالصالحين فاذا أطلق شبابنا ـحاهم في اطار الدين فمرحبا بهم ٠ وان ـافقوا غيرنا فاننا نرفضهم ونحيلهم ليهم يحشرون معهم يوم القيامة ٠

● في عدد سابق للمجلة بين أحد لكتاب في وضوح واسهاب ، حقوق لزوجة على زوجها وتناسى أو نسي ـاجبات الزوج على زوجته فهل لكم ـن تبينو للازواج الحقوق التي فرضها لاسلام للزوجة ؟

زوجة ـ أبوظبي

ـ لكل من الزوجين حقوق ثابتة على الآخر وحقوق الزوجة على زوجها تشمل :

● الانفاق عليها من غير اسراف ولا تقتير ٠
● الكسوة والسكن الشرعي ٠
● العدل بينها وبين غيرها من الزوجات ان كانت له زوجة اخرى ٠
● ارشادها الى طريق الخير وتعليمها العلم النافع ٠
● معاشرتها بالمعروف ٠
● ان يحسن خلقه معها وان يحتمل اذاها ٠
● لا يفشي سرها قال صلى الله عليه وسلم « ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » ٠
● الغيرة عليها حماية لها وحفظا لكرامتها ٠

● رجل اغتسل غسلا كاملا ٠ ثم أدى الصلاة المكتوبة عليه بدون أن يتوضأ وضوء الصلاة هل تصح صلاته ؟

حسن راشد عبد الله السعودي
دولة الامارات العربية المتحدة
المنطقة الشرقية ـ وادي الغونة

ـ الغسل الشرعي يجزىء عن الوضوء ويشمله ما لم يحصل ناقض للوضوء والمغتسل اذا عم بدنه بالماء فقد أدى ما عليه ، لان الله فرض عليه الغسل ، الا ان العلماء اجمعوا على استحباب الوضوء قبل الغسل تأسيا بعمل الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

الاطباق الطائرة :

● ما معنى الاطباق الطائرة التي نسمع عنها الآن الكثير وهل هي من سكان كوكب غير الارض أو هي ظاهرة حديثة ؟

منصور احمد زكي
الاردن ـ الرصيفة ـ ص٠ ب : ٢٦٥

ـ الاطباق الطائرة لا يزال امرها غامضا ولم تنكشف حقيقتها بعد ٠ وقد تكون من الاجهزة العلمية الحديثة وبعد غزو الفضاء والنزول على سطح القمر ووجوده خاليا من كل انواع الحياة ، لا نعتقد أن الاطباق الطائرة قادمة من كوكب من الكواكب الاخرى والعلماء ما زالوا يتخبطون ازاء هذه الظاهرة ٠

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وحتى اليوم ، يتوارد من آن لآخر ، ذكر الاطباق الطائرة وما تتركه من آثار على الارض ولقد تواترت أخبار متضاربة وغريبة على مر هذه السنوات عن تحليق بعض هذه الاطباق وسرعتها الخارقة وأشكالها المختلفة ، ومظهرها المريب وآثارها التي تركتها على الارض

● ما معنى القراءات السبع في القرآن الكريم وهل هناك اختلاف فيها ، في المعنى ولماذا تعددت القراءات ؟

سامية سيد محمد علي
ج٠م٠ع ـ معهد الفتيات الازهري

ـ أولا اختلاف القراءات ، لا يعني ابدا أن فيها تناقضا أو تضادا ، ولم يثبت على الاطلاق أن قراءة ما اتخذت سبيلا ، لم تتخذه قراءة أخرى ، أو أن قراءة أمرت بما نهت عنه أخرى ٠ والقراءات السبع او العشر ، سميت بأسماء أهم من عرفوا بالقراءة بها ، وأصحاب القراءة السبع هم عبد الله ابن كثير المكي ونافع بن عبد الرحمن المدني وعبد الله بن عامر قاطن دمشق وأبو بكر بن علاء البصري وعاصم بن أبي النجود الكوفي وحمزة بن حبيب الكوفي وأبوعلي حمزة الكسائي الكوفي وسبب تعدد القراءات ، أن القرآن الكريم ، نزل بلسان عربي ، وهذا اللسان ككل الالسنة ، تتشعب منه ، لهجات متعددة ، يختلف بعضها عن بعض في أشياء ٠٠ مثل نبرات الصوت وطريقة الاداء ، ولان الدين يسر أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقرىء كل قبيلة بلغتها ولهجتها ٠

● في اول العام الميلادي الجديد ، يحتفل النصارى والاجانب بما يسمونه « رأس السنة » او ميلاد المسيح ، وللاسف نجد كثيرا من المسلمين يشاركون في هذه الاعياد ٠ فما الرأي والا يعتبر ذلك بدعة وهل يصح للمسلم ان يشترك في اعياد النصارى ؟

عبد الحليم السيد مصطفى
القاهرة ـ العباسية

ـ هذا بدعة لا شك فيها ، وليس على المسلم ان يشارك في أعياد الكفار سواء بالمشاركة الفعلية أو الوجدانية ، وجميع ما يحدث في احتفالات أعياد الميلاد منكرات وفسق وفجور ، يجب

البعد عنها بل والنهي عن اقترافها ولا يصح لاي مسلم أن يقبل اية هدية من غير المسلمين ، في هذه الاعياد وبخاصة اذا كانت الهدية مما تساعد على التشبه ، بهم في أعيادهم كالورد والشمع وغير ذلك ومن الواجب على المسلم ، أن يرفض أية دعوة توجه اليه لحضور مثل هذه الاعياد سواء كانت في الكنائس أو المنازل أو النوادي ٠

● ما معنى قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » وفيمن نزلت وما المقصود بالحرف ؟

ياسر محمد فوزي أحمد يوسف
المدرسة الثانوية ـ ملوى

ـ معنى الحرف في الآية ـ الشك أي الضعف في الدين ، وقيل على حرف أي على وجه واحد ، وهو أن يعبد الله على السراء دون الضراء وفي معنى آخر الحرف ، هو الشرط قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت الآية في شيبة بن ربيعة كان قد أسلم ثم ارتد ٠ وقال أبوسعيد الخدري ،أسلم رجل من اليهود فذهب ماله وبصره فتشاءم وارتد فنزلت فيه الآية وقال المفسرون انها نزلت في أعراب كانوا يقدمون ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسلمون فان نالوا خيرا اقاموا على اسلامهم ، وان نالتهم شدة ارتدوا ، وقيل انها نزلت في النضر بن الحارث ٠ وقال ابن زيدوغيره انها نزلت في المنافقين ٠ وقال ابنعباس في الآية ان الرجل كان يقدم الى المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله ، قال هذا دين صالح ، وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء والله أعلم ٠

مقترحات

● ١ ـ لعل من الافضل ـ في نظري ـ أن تكتب التعاليق الهامشية في أسفل نفس الصفحة ، التي أخرجمنها التعليق وذلك لكون بعض المقالات والابحاث لها صلة ، وكثيرا ما يترك التعليق الهامشي الى ما بعد انتهاء البحث ، وقد يفوت اقتناء العدد الوارد فيه الجزء الاخير من البحث ، لسبب من الاسباب ٠

ب ـ العدد التاسع من المجلة ، لم تصلنا معه الهدية الموعودة ، المجلة في بعض البلدان تباع بضعف سعرها الرسمي لماذا ؟

العباس بدر الدين
الناضور ـ المغرب

● هدية العدد التاسع مع امتيازها ، الا انه حدث خطأ في تواريخ اصدارها ٠٠ الغلاف مؤرخ رمضان ١٣٨٩ هـ ١٩٧٨ م والصفحة الاولى بعد الغلاف مؤرخةرمضان ١٣٧٩هـ فمن المسئول عن هذا الخطا ؟ وجل من لا يسهو ٠٠

كمال احمد شرف
مصر ـ كوبري القبة

● أمل أن تقدم لنا المجلة في كل عدد حديثا نبويا وتقوم بشرحه للقراء ٠ ٠

حسن محمد جاسم
قطر ـ الوكرة

رئيس الدولة يدعو لوحدة الصف الاسلامي والعربي

★ أعلن سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة ، ان الدين والعلم والحق هي أساس تقدم ونجاح الامم وأن العلماء هم ذخيرة هذه الامم · وقال اننا في أمس الحاجة الى دعاة العلم نسترشد بهم ونستمد من علمهم تعاليم ديننا وما أمرنا الله به · جاء ذلك في كلمة سمو رئيس الدولة عند زيارته لرئاسة القضاء الشرعي في « ابوظبي » ولقائه برجال القضاء ·

وأكد سموه أن ديننا الاسلامي الحنيف، هو القاعدة الوحيدة ، التي نرتكز عليها وننطلق منها ودعا رئيس الدولة الى توحيد صفوف الامة الاسلامية والعربية بصدق واخلاص لمواجهة أعدائها الذين يتربصون بها ·

★ استقبل معالي محمد عبدالرحمن البكر وزير العدل والشئون الاسلامية والاوقاف وفودا من الكويت والهند واستراليا والدانمرك تمثل الجمعيات والهيئات الاسلامية ودار البحث في خلال هذه المقابلات حول دعم العلاقات الدينية والثقافية ·

○

★ صرح الشيخ عبد الله المحمود رئيس المركز العام للدعوة الاسلامية في الشارقة ، بأن المركز سيستضيف كل « يوم اثنين » أسبوعيا احد العلماء المتخصصين في الدعوة الاسلامية لالقاء محاضرة بالمركز ·

○

★ تقرر انشاء ١١٨ مسجدا جديدا في ابوظبي والامارات الشمالية والمناطق النائية خلال العام القادم .

★ اجتمع الشيخ صقر المري مدير الشئون الاسلامية ، بالشيخ فريد الدين مولوي مدير الجامعة البورية في ولاية كيرالا بالهند وتم بحث عدد من القضايا الاسلامية وسبل دعم الجامعة الاسلامية المزمع انشاؤها في الولاية .

★ شاركت دولة الامارات العربية المتحدة في اجتماعات المؤتمر الديني للدول الاسلامية ، الذي عقد في استنابول ، لبحث موضوع توحيد مطالع الاهلة بين المسلمين في مختلف انحاء العالم وقد مثل الدولة في هذه الاجتماعات ، الشيخ علي الهاشمي القاضي الشرعي والمستشار أحمد القاسمي من وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف .

★ يقوم عدد من اعضاء هيئة التدريس بجامعة الامارات بالقاء محاضرات من خلال اذاعات الدولة ، تتناول قضايا الفكر الاسلامي وقضايا العصر .

★ قرر التليفزيون السعودي اهداء بعض حلقات تليفزيونية عن « تدوين السنة » الى الحكومة الليبية بناء على طلبها .

ثمانمائة منحة دراسية

★ خصصت جامعة الملك عبد العزيز اكثر من ٨٠٠ منحة دراسية ، لابناء ٥٠ دولة اسلامية وللاقليا تالمسلمة في مختلف بلاد العالم .

★ يبدا العمل قريبا ، بحلب في صناعة محراب ومنبر للمسجد الاقصى .

★ أصدرت لجنة الفتوى بالازهر الشريف فتوى تقضي بان الاستغناء عن السنة النبوية ضلال ودعوى باطلة وأن اغفالها اغفال للقرآن الكريم وسبيل الى هجره والتنكر له .

★ تقرر الاستعانة باساتذةالجامعات المصرية كائمة وخطباء في المساجد .

★ قررت جامعة الازهر انشاء فروع وكليات للجامعة في جميع محافظات جمهورية مصر .

★ افتتحت جامعة اسلامية في غزة تضم كليات الشريعة والقانون وأصول الدين .

★احتفلت دولة الامارات العربية المتحدة بالعام الهجري الجديد . واقيمت بهذه المناسبة احتفالات دينية في مساجد الدولة والقيت فيها المحاضرات والخطب حول هذا الحدث العظيم . وقد اقامت وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف الاحتفال الرسمي في الجامع الكبير بابوظبي

في .. هذا العدد

السنة
١٣٩٩هـ فبراير ١٩٧٩

اسلامية ثقافية

شهرية

تصدرها

وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف

دولة الامارات العربية المتحدة

في غرة كل شهر عربي

مدير التحرير

سعيد عبد الله حارب

ربيع الاول ١٣٩٩هـ

العدد الثالث ــ السنة الرابعة

صلوات وتسليمات يرفعها المسلمون في كل مكان على خاتم الانبياء والمرسلين ، في ذكرى مولده الشريف ، وتمنيات تبعث بها القلوب وراء أفق الغد مستبشرة بنور الهدى في فسحة الامل يؤنس الامة الاسلامية في غربتها ، ويقودها صوب النور الالهي .

واذا ما استوعبنا دروس الذكرى في نفوسنا اليوم ، فاننا نستطيع أن نقف أمام التحديات التي تقتحم علينا ديارنا وأفكارنا وعقولنا .

ولكن علينا أن نراجع أنفسنا جيدا ونحن نحتفل بذكراه صلى الله عليه وسلم :

كيف نعالج أوضاعنا ؟

وكيف نملك زمام الاقناع ؟

ومن أين نبدأ ؟

الجواب محدد والطريق واضح ، والبداية غالبا تحدد النهاية ، فلا صلاح لهذه الامة الا بما صلح به أولها ، وهو عودة صادقة لكتاب الله وسنة نبيه ، نستقي منهما الهداية والتوجيه وفيهما مقومات الحياة لمن أراد أن يحيا . « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

التحرير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله • وبعد :

كثر الحديث عن العظماء والرجال ، الذين يقودون أممهم الى العـــزة والنصر ، ويبنون صروح دولهم على أسس متينة قوية ، ولا شك أن كثيرا مــن هؤلاء الرجال قد أثروا في حياة أممهم وشعوبهم بما أرسوا من مبادىء وأنفقوا من أموال وأرواح ، وبمفهومنا الاسلامي الذي يقيس الرجال بأعمالهم وأدوارهم فاننا لا نعتقد أن هناك من يستحق مثل هذا الاهتمام ، كما نراه بين صفحـــات الكتب أو بين أسطر الصحف والمجلات ، مهما قدم هؤلاء الرجال من أعمـــال وتضحيات ، فان أعمالهم وتضحياتهم وبذلهـــم ليتضاءل قزما صغيرا أمام تضحية محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد بذل ما وسعه الجهد من الوقت والنفس في سبيل اعلاء كلمة الله ، ونحن حين نسطر كلمات في ذكرى رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ، فلا أعتقد أننا نفي هذه الذكرى حقها ، فقد حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانة هذه الرسالة في مجتمع تكالبت فيه قوى الشر ، واجتمعت رؤوس الكفر ، تريد أن تقضي على هذه الدعوة التي ظهرت فســلبت من صناديد قريش ما كانت تتمتع به من سلطة وسيطرة واغتصاب ، فأرجعــت الحقوق الى اهلها ونشرت الحرية بين البشر بالتساوي وجعلت ميزان التفاضل والمقارنة ميزانا دقيقا لا يمكن أن تمتد له ايدي العابثين أو تطغى عليه سيطرة الظالمين فقالت في دستورها الذي نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم «لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى » اننا نتحدث عن رسول اللـــه صلى الله عليه وســـلم ، في كل مناسبة وكل مقام ، ونستعـــرض صـــورا مختلفة من سيرته صلى الله عليه وسلم :فتارة نتحدث عن خلقه وسلوكه بين الناس ، وكيف كان صلى الله عليه وسلم يتمثل الاسلام حيا متحركا في سلوكه ، ولا أبلغ مما وصفته به أم المؤمنين رضي الله عنها حين قالت « كان خلقه القرآن » فلم يكن صلى الله عليه وسلم منحرفا في سلوكه ـ وحاشا ذلك ـ ولم يكن يتمثل أمام الناس بخلق ووراءهم بآخر كما نرى ذلك فيمن نسميهم بالعظماء والخالدين •

واننا نتمثل جانبا آخر من حياته صلى الله عليه وسلم وهو يقود الامة من نصر الى نصر ، في بدر وأحد والخندق والفتح وحنين ، وكيف أنه كان يتقد

الصفوف ويخوض الغمار ليعلي راية الحق ، وهو يقول : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » فلم يقاتل طغيانا ولا تجبرا أو تسلطا ، وانما كان صلى الله عليه وسلم يقاتل لكي يؤدي الامانة التي حمله الله اياها حتى يوصلها الى البشرية جميعا •• ليحيا من حي عن بينة ••ويهلك من هلك عن بينة •• فلم يتاخر عن أداء هذا الواجب ولم يلقها تبعة ثقيلة على غيره •• بل حملها بنفسه فكان خير من حملها •

نستعرض كل ذلك من حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم •• ثم نتوقف عند ذلك لنرى مكاننا من نظام الحياة التي خطها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فهلا سالنا انفسنا يوما ماذا اخذنا من نهجه وماذا تركنا ؟ ان الجواب سياتي بلا شك متلعثما •• مترددا •• ان مما يؤسف له اننا نتغنى بسيرة الرسول وكانها ملحمة شعبية •• او ذكرى بطولية نرددها للتسلية كذكرى من الماضي دون أن نكلف انفسنا التطبيق ••

ماذا يطبق المسلمون اليوم من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى النذر اليسير • فسنته مهجورة ومنهجه معطل •• وطريقه مغلق •• لا لشيء الا لاننا تنكبنا الطريق فضاعت بنا الاقدام في مفترق الحياة فلم نتنبه لذلك الضياع الا ونحن أبعد ما نكون عن تلك السيرة الشريفة ••

ان الذكريات التي تمر كثيرة •• والمعاني عظيمة •• وخير الناس هو من يتعظ بهذه الذكرى •• ويجعل منها نقطة على الطريق لانطلاقة جديدة نحو تطبيق منهج الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولنعلم جميعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لن نحتفل بذكراه•• كما يحتفل النصارى بذكرى المسيح عليه السلام •• بل ان الاحتفال الحقيقي هو التطبيق الفعلي لسنته صلى الله عليه وسلم •• اما اذا اقمنا المهرجانات واعددنا الاحتفالات ونحن أبعد ما نكون عن المنهج القويم الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانما ذلك ثلمة في سلوكنا •• وانحراف في تصورنا عن المعنى الحقيقي لتلك الذكرى •• ولا شك أنه سيكون يوم القيامة حجة علينا وليس لنا •

فلنجعل من ذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزما وعهدا على أن نسعى جاهدين ما وسعنا الجهد لنطبق شرع الله الذي جاء به رسوله وان نسلك طريقه المستقيم ، الذي لا حياة سعيدة للامة الاسلامية الا بسلوكه حتى نكون من الذين قال فيهم سبحانه : « كنتم خير امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » •

مدير التحرير
سعيد عبدالله حارب

**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطهـر
قلبا وأعظمهم خلقا وأكرمهم حسبا وأشرفهم نسب
وخيرهم أما وأبا ٠٠ ما قال كلمة نابية ولا لفظة
٠٠ كان صلى الله عليه وسلم عظيما ، ولم تكن ع
من عظمة الملوك الجبارين ولا من عظمة المسـ
الظالمين ولا من عظمة الاغنياء المترفين ولا من عظ
الفاسدين المفسدين الذين يفسدون في
ولا يصلحون ، انما كانت عظمته صلى الله عليه
عظمة حب ورحمة ، عظمة إخاء ومودة ، عظمة بر**

كان صلى الله عليه وسلم عظيما ، عظيما في خلقه (وانك لعلى خلق عظيم) ٤ : القلم ٠ عظيما في سياسته « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر » آل عمران :١٥٩ عظيما في قيادته « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » النساء : ١١٣ ٠

هذه نقاط ثلاث نسأل الله تعالى ان يوفقنا للحديث عنها ان شاء الله تعالى ٠٠

١ ـ عظيما في خلق

كان رسول الله صلى
وسلم اكمل الناس خلقا
ليتمم به مكارم الاخلاق، ق
عليه وسلم٠« انما بعثت
الاخلاق » ان الله تبارك
رسوله صلى الله عليه وس
الاخلاق منذ نعومة اظفار
كان صلى الله عليه و
الرسالة مثال العفة والطه
والوفاء ، والحكمة والا
الرأي ، لم ير منه الناس

للاستاذ : سيد ناجـــي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل قومه مروءة ..

وأحسنهم خلقا ... واكرمهم حسبا ... .

يعرفوا عنه الا كمالا ، ولم يعهدوا عليه الا نبلا ، ولم يتعودوا منه الا قسـطا ولم يعرفوا عنه الا رشدا وعقلا ٠

شب صلى الله عليه وسـلم يحوطه الله برعايته ويكلؤه بعنايته ويحفظـه بحوله وقوته ، حفظه من أقذار الجاهلية وحماه من أدران الوثنية ، قال الحافظ ابن كثير : كان أفضل قومه مــروءة وأحسنهم خلقا ،وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهـم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش ، والاخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما ، عرف صلى الله عليـه وسلـم بين قومـه بالصدق ، فلقب بالصادق وعرفوا عنه الطهر ، فنودي بالامين ٠ بلغ من تقدير أهل مكة لـه وثقتهـم فيه ان احتكمـوا اليـه في وضع الحجر الاسود ورضوا جميعا ان يكون الحكم بينهم ، وبحكمه اغمـدت سيوف وحفظت ارواح وعصمت دماء ٠

نشأ صلى الله عليه وسلم علمـا خفاقا ، سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه ، فقالت : « كـان خلقه القرآن » ، وعن عبد الله بن عمر قال : « لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا » وكـان يقول:« خياركم احاسنكم اخلاقا » وكان صلى الله عليه وسلم يدعو ان يحسن الله خلقه ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر ان يدعو:« اللهم اني أسألك الصحة والعفة والامانة وحسن الخلق والرضا بالقدر » وعن انس بن مالك قال.« كان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم « أحسن الناس خلقا » ٠

لما سطع نوره ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة في مكة سمع أبو ذر الغفاري رضي الله عنه بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل أخاه ليسمع من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبر به، فذهب الى مكة وسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجع الى أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الاخلاق .

كان صلى الله عليه وسلم جامعا لكل الاخلاق الفاضلة والشمائل الطيبة، جاءه رجل يطالبه فأغلظ له في القول وأساء في التعبير، فروعه المسلمون لفعله، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم وغفر له اساءته، وعوضه عما أصابه من ترويع المسلمين له .

وحاول رجل قتله فسقط السيف من يده، وأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم، فاستعطفه الرجل، فعفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي اشد المواقف هولا واكثرها فزعا وأعظمها شدة ـ الحرب ـ لم يتخل الرسول صلى الله عليه وسلم عن خلقه الذي فطره الله عليه .

مر صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة في احدى غزواته، فوقف عليها وقال « ما كانت هذه لتقاتل » ثم قال لاحد اصحابه « الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية ولا عسيفا ـ اجيرا ـ ولا امرأة » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما « وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهى عن قتل النساء والصبيان » .

وعلم صلى الله عليه وسلم ان صبية بين الصفوف قتلوا، فحزن حزنا شديدا فقال بعضهم: ما يحزنك يا رسول الله وهم صبية للمشركين، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما معناه « ان هؤلاء خير منكم، انهم على الفطرة أو لستم ابناء المشركين، فاياكم وقتل الاولاد! اياكم وقتل الاولاد! » .

٢ ـ اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجانب الخلقي :

اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجانب الاخلاقي اهتماما بالغا، واعتنى به عناية كبيرة واوصى به كثيرا، والمتتبع لاحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يجد فيها الزاد الكثير والوصايا العظيمة للامة الاسلامية، فالاخلاق الكريمة هي التي تحقق في الانسان معنى الانسانية الكاملة .

عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق »، وعن عمر

ابن شعيب عن أبيه عن جده، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « أخبركم بأحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة » فسكت القوم فأعادها مرتين أو ثلاثا، فقال القوم: نعم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: « أحسنكم اخلاقا » وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا يجتمعان في مسلم : البخل وسوء الخلق » .

وقال صلى الله عليه وسلم: « ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل » وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم اسلاما احاسنكم اخلاقا اذا فقهوا » وسئل صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال: « البر حسن الخلق والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس » وقال صلى الله عليه وسلم: « ان احبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا، الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون، وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة، المشاؤون بين الناس بالنميمة المفرقون بين الاحبة المتلمسون للبرآء العيب » .

وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، ان اكثر الناس دخولا الجنة احسنهم خلقا، فقال صلى الله عليه وسلم: « اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق، واكثر ما يدخل الناس النار، البخل وسوء الخلق » وجعل صاحب الخلق الحسن في اعلى درجات الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: « انا زعيم ببيت في ربض الجنة ، لمن ترك المراء وان كان محقا ، وبيت في وسط الجنة ، لمن ترك الكذب وان كان مازحا ، وبيت في أعلى الجنة، لمن كان حسن الخلق » وقال صلى الله عليه وسلم: « ثلاث من لم تكن فيه ، فليس مني ولا من الله ، حلم يرد به جهل الجاهل ، وحسن خلق تعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن معاصي الله » وقال صلى الله عليه وسلم للاشجع لما وفد عليه: « ان فيك يا اشجع خلقين يحبهما الله ورسوله ، قال ما هما ؟ بأبي انت وأمي يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم: « الحلم والاناة » .

وعن عبد الله بن عمر قال: أربع خلال اذا أعطيتهن فلا يضرك ما عزل عنك من الدنيا، حسن خليقة وعفاف طعمة وصدق حديث وحفظ امانة » .

وكان من دعاء اصحاب رسول الله وتضرعهم الى الله ان يحسن الله اخلاقهم ، عن أم الدرداء قالت : قام أبو الدرداء ليلة يصلي فجعل يبكي ويقول اللهم احسنت خلقي فحسن خلقي، حتى أصبح فقلت يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة الا في حسن الخلق فقال يا أم الدرداء « ان العبد المسلم يحسن خلقه حتى يدخله حسن

عظمة الرسول

خلقه الجنة، ويسيء خلقه حتى يدخله سوء خلقه النار ، والعبد المسلم يغفر له وهو نائم ، فقلت يا أبا الدرداء كيف يغفر له وهو نائم؟ قال يقوم أخوه من الليل فيتهجد، فيدعو الله عز وجل فيستجيب له، ويدعو لاخيه فيستجيب له فيه .

والخلق الحسن هو خير ما يذكر به المرء في حياته وبعد مماته، قال الشاعر:

لو خيروني بين كل فضيلة
ما اخترت غير مكارم الاخلاق
كل الامور تبيد منك وتنتهي
الا الثناء فانه بك باقي

وكما مدح الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم، مدح المؤمنين بالخلق الكريم « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً، واذا خاطبهم الجاهلون ، قالوا سلاما » الفرقان :٦٣

وقال تعالى : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهو يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» ١٣٣-١٣٦ : آل عمران . وقال جل شانه « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » ٣٤ ، ٣٥ : فصلت .

هذه اخلاق المسلمين، تمسكوا بها فعزوا وسادوا، وكانوا سادة العالم واساتذة الدنيا، ومهد الحضارة والرقي فتحوا الدول بأخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم !!

لقد ضرب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الامثلة في حسن الخلق مما خلد اثرهم ورفع ذكرهم .. يحدثنا التاريخ: انه ما انتصرت أمة الا بقوة اخلاقها وسمو آدابها . قيل ان جيش الاسلام بقيادة عمرو بن العاص لما دخل مصر فاتحا، كانت أرمانوسة تزف ليلة عرسها، فجاءت وصيفتها خائفة وكأنها ترى من المسلمين ما كان يحدث من المستعمرين، فقالت لها ارمانوسة يا وصيفة أنت لا تعرفين هؤلاء ، ان هؤلاء هم العقل الجديد الذي وضعه الله ليميز به بين الحق والباطل، وان نبيهم لاطهر من السحابة في سمائها ، ان المرأة لتخشى على عفافها من أهلها ولا تخشى على عفافها من أصحاب هذا النبي .

هذه لمحة يسيرة وحسبي اني كمن قدم غيضا من فيض أو زهرة من روض .

بقلم فضيلة الدكتور :
يوسف القرضاوي
الاستاذ بكلية التربية ـ جامعة قطر

كما تتميز الشريعة عن القوانين الوضعية بربانية مصدرها ، تتميز كذلك برعاية الاخلاق في كل مجالاتها وجوانبها ، وهذه ثمرة لصفتها الربانية الدينية ، فهي شريعة أخلاقية ، بكل ما تحمل كلمة « الاخلاق » من معنى • ولا عجب فقد قال صاحب هذه الشريعة « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » (١) •

•••

ويتضح الفرق جليا بين الشريعة والقانون بالمقارنة بين موضوع كل منهما وغايته ، فموضوع القانون هو « الحقوق » عينية أو شخصية في حين ان موضوع الشريعة وفقهها هو « التكاليف » والحكم الشرعي هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين •

وهدف القانون محدود

فالقانون ينظر للانسان في الدرجة الاولى من زاوية ماله من حقوق ، أما الشريعة فتنظر اليه من زاوية ما عليه من التزامات وواجبات بقدر ما يحافظ على حقوقه لدى الآخرين ، والانسان في نظر القانون مطالب سائل وفي نظر الشريعة مطالب مسئول ، لانه مخلوق مكلف ، يؤمر وينهى فهو لم يخلق عبثا ، ولم يترك سدى له حق وعليه واجب .

أما من حيث الغاية فان غاية القانون غاية نفعية محدودة هي استقرار المجتمع ، وانتظام معاملاته وأموره وعلاقاته – وبخاصة المادية منها – واقامة النظام فيه على نحو من الانحاء ، فهذا ما يحرص عليه واضع القانون حتى ولو « اقتضاه ذلك ان يحيد أحيانا عن مقتضى قواعد الاخلاق والدين . فالقانون مثلا : يقر لمن يضع يده على عقار بنية الملك خمس عشرة سنة ، بملكيته لهذا العقار ، حتى ولو كان غاصبا كما انه يقضي بسقوط الحق بالتقادم اذ يرى ان ذلك ادنى الى قيام النظام في المجتمع ، مجاوزا ما تقضي به قواعد الاخلاق في هذا الخصوص » (٢) .

فاذا ذهبنا الى الشريعة نجدها قد جعلت غايتها – الى جوار استقرار المجتمع وانتظام علاقاته – تحقيق المثل الاعلى في حياة الناس ، والسمو بهم الى افق الانسانية الرفيعة ، والمحافظة على القيم الروحية والخلقية العليا ، ومن هنا وجد فيها – كما ذكرنا من قبل – الاعتبار « الدياني » مع الاعتبار « القضائي » فالقضائي يحكم بالظواهر ضمانا لمعايش الناس وانتظام معاملاتهم اما الاعتبار الدياني فيعامل الشخص من داخله لا من خارجه ويقوده من باطنه لا من ظاهره .

ومن هذا الباب ما فرضته الشريعة على المكلف من عقوبات – ذات طابع خاص – على جرائم معينة ، ووكلتها الى ضمير المكلف وتقواه في الدرجة الاولى ، ولا دخل للمحاكم ولا للسلطة القضائية به ، وهي التي تسمى في الشريعة « الكفارات » مثل كفارة الحنث في اليمين (الحلف بالله) « فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم» المائدة : ٨٩ ومثل كفارة القتل الخطا لمؤمن أو معاهد ، وهي تحرير رقبة مؤمنة « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » النساء : ٩٢ وكذلك كفارة الاتصال الجنسي بين الرجل وزوجه في نهار رمضان ، وهي تحرير رقبة أو صيام شهرين متتابعين

[illegible]

وقد يخرج عن قواعد الدين والاخلاق..

أو اطعام ستين مسكينا على الترتيب ، كما هو رأي الجمهور أو التخيير كما هو رأي الامام مالك .

فهذه عقوبة فيها معنى العبادة أو عبادة فيها معنى العقوبة ، ومسئولية المكلف فيها مسئولية اخلاقية قبل كل شيء ، وهذا ما لا يدخل في حساب القوانين ولا تفكر فيه بحال .

لهذا لا يقر الاسلام ابدا انفصال التشريع عن الاخلاق ، كما لا يقر انفصال السياسة والاقتصاد عنها أيضا .

والفرق بين الشريعة والقانون هنا : أن مهمة القانون الوضعي صياغة ما تعارف الناس عليه من أوضاع ومعاملات وتقاليد ، في صورة مواد تشريعية ، مهما يكن في هذه الاوضاع والاعراف من فساد وانحراف ، ومهما يكن وراءها من اضرار بالجماعة وبالامة وبالانسانية .

فالقانون مرآة تعكس صورة الامة صلاحا وفسادا ، ورقيا وهبوطا ، واستقامة وانحرافا ، أما الشريعة فمهمتها أن ترقى بالامة ، وتأخذ بيدها، وتعينها على التحرر من ضغط الانانية والشهوات، وأسر التقاليد الفاسدة ، والاعراف الضارة . مهمة الشريعة أن تقوم عوج الامة ، وتصلح ما فسد منها لا أن تبرر ضعفها وانحرافها ، وتضفي عليه صبغة شرعية أو قانونية، انما تقر الصالح والنافع فقط مما تواضعت عليه الامة .

وفي هذا نجد بونا شاسعا بين الشريعة الاسلامية والقانون الروماني ، فالشريعة جاءت بـ « تقنين الاخلاق » أي جعل الاوامر والاحكام الاخلاقية قوانين ملزمة ، أما القانون الروماني فقام على أساس « تقنين العادات » أي صياغة ما تعارف عليه الناس من أوضاع وتقاليد في صورة قوانين وما أعظم الفرق بين الامرين .

من هنا جاءت شريعة الاسلام، والعرب يشربون الخمر ، بل يعشقونها عشقا حتى جعلوا لها اكثر من مائة اسم كما كانوا يلعبون الميسر، وقلما وجدت الخمر الا جرت الى الميسر والقمار . فلم تعبأ الشريعة بهذا العرف السائد المستقر الذي شب عليه الصغير وهرم عليه الكبير، وفتن به الخاصة والعامة ،

ولم تبال بما يعود على بعض الناس من منافع خاصة تجارية أو اقتصادية،من وراء اباحة الخمر والميسر ، فنزل قوله تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما » البقرة : ٢١٩ ٠

وبهذا أعلن القرآن أن المحافظة على الاخلاق والقيم مقدمة على رعاية المنافع المادية ، لان هذه المنافع التي يحرص عليها بعض الناس،ولا تقاس بجانب الاثم أو الضرر العظيم الذي يصيبكيان المجتمع كله،بأفراده وأسره من وراء اباحة الخمر والميسر ، ولهذا سماهما القرآن ـ بعد ذلك ـ رجسا،وجعلهما من عمل الشيطان،وقرنهما بالانصاب والازلام « يا أيها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » المائدة : ٩٠ ٠

وجاء الاسلام والمجتمع الجاهلي يقر الزنى السري باتخاذ الاخدان ، ويقر الزنى العلني في صورة البغاء،الذي اتخذه بعض النساء ـ وخاصة من الاماء ـ حرفة للكسب ، وفي صورة من النكاح الذي ارتضاه بعض العرب ولم يكن الا نوعا من الزنى،مثل نكاح الاستبضاع ٠

فما كان من الاسلام الا أن أعلن حرمة الزنى بكل صوره والوانه ما ظهر منه وما بطن ، كالمسافحة واتخاذ الاخدان فقال تعالى « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » الاسراء : ٣٢ « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » الانعام : ١٥١ ٠ كما أمر بالاحتشام وغض الابصار،ونهى عن التبرج والتكسر،والخضوع بالقول تثبيتا لاخلاق العفاف والاحصان والحياء،وحماية للمجتمع من التحلل والتفسخ والانهيار ٠ « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك ازكى لهم » النور : ٣٠ ٠

وهذا التعليل القرآني يكشف لنا اللثام عن الاتجاه الاخلاقي للشريعة الاسلامية ، فليست المنفعة المادية الحسية العاجلة،هي وحدها مدار التشريع ومحور الامر والنهي ، بل زكاة النفوس وطهرها أولى بالرعاية ٠

ولا عجب أن تقرأ في شأن الزكاة « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » التوبة : ١٠٣ وهو هدف اخلاقي لم يخطر ببال رجال الفكر الضريبي والتشريع المالي يوما من الايام ٠

وفي شئون الطلاق والرجعة ونحوهما يقول القرآن:« ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر،ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون» البقرة : ٢٣٢ ٠

كما أن مهمة التشريع الاسلامي ـ بعد تقنين الاخلاق ـ هو حمايتها وتثبيتها ، ومعاقبة الخارجين عليها،ومن هنا شرع الاسلام العقوبات المقدرة على

الجرائم الخلقية، كحد الزنى وحد السكر، وفوض السلطات الشرعية تقدير عقوبات مناسبة للعب الميسر والاستهتار بالآداب العامة وغير ذلك ٠

وهذا بخلاف القوانين الوضعية الاوربية ، فقد أغفلت ـ الى حد كبير ـ الجوانب الاخلاقية والمثالية، ولم تعرها بالا، حتى قال الفيلسوف المعروف « هربرت سبنسر » : « بعد الثورة الفرنسية أخذ المشرعون الاوربيون في تجريد القوانين من كل ماله مساس بالدين والاخلاق والفضائل الانسانية فاقتصرت رسالة القانون على تنظيم علاقات الافراد المادية وما يمس الامن ونظام الحكم ٠٠ » (٣) ٠

ويتعرض « اوزفلدكوليه » لذلك في كتابه « المدخل الى الفلسفة » (٤) ٠ فيقول : « كانت فلسفة القانون في مبدأ الامر جزءا من علم الاخلاق ٠٠ ولكن كلما انفصلت فكرة العدالة عن فكرة الاخلاقية ـ بحيث تظهر الاولى في صورة قوانين محدودة تنشرها الدولة وتلزم الناس بها الزاما ـ انفصل العالمان اللذان يدرسانها انفصالا تدريجيا، وتميز أحدهما عن الآخر ٠٠ وقد وضع « كانت » حدا فاصلا بين قانونية الفعل واخلاقيته وعرف العدالة بأنها : « العمل بمقتضى القانون في الظاهر » وهذا بخلاف عدالة الاسلام التي يشترط ان تكون مطابقة للحقيقة والواقع، كما بينا في مزية « الربانية » في الشريعة ٠

وبفقدان العنصر الاخلاقي في القوانين الوضعية، أبيح الزنى الا في حالات معينة كحالة الاكراه، وأبيح شرب المسكرات وأبيح صنعها واستيرادها والاتجار فيها، وأبيحت الخلاعة والتهتك والاستهتار، واطلق العنان للشهوات ففتحت المراقص والملاهي و « الكباريهات » أبوابها على مصاريعها، وأبيح القمار الا في نطاق محدود، وأبيح الربا الذي يمتص الاقوياء فيه الضعفاء ويعتصر فيه الفقراء لزيادة ثروة الاغنياء، وضيعت أمور كثيرة وفضائل جمة، لان ضياعها لا يرفع الى الحاكم ولا يزلزل أمن المجتمع ، يقول المستشرق كولسون: « أستاذ الشريعة الاسلامية بمعهد الدراسات الافريقية والآسيوية بجامعة لندن في كتابه « نقاط التجاذب والخلاف في الفقه الاسلامي ، وفقا لترجمة وتلخيص دكتور جمال الدين عطية :

« تختلف نظرة المجتمع الغربي الى العلاقة بين القانون والاخلاق عن نظرة الشريعة الاسلامية ، فاذا أخذنا جريمة

الزنى مثلا ، وجدنا الشريعة تطابـــق تقريبا بين القواعد الخلقية في الناحيـة الجنسية ، وبين العقاب القانوني عليها، فتجعل أي علاقة جنسية جريمة ما لم تكن بين زوجين ، بينما القانونالغربي لا يجعل من العلاقة الجنسية خـــارج نطاق الزوجين جريمة ، الا اذا كانـــت هنـاك ظروف مشددة كعدم الرضا أو صغر السن أو علاقة الدم أو التصرفات غير الطبيعيـــة كالخطف والشـــذوذ والقسوة ٠٠ الخ ٠ الى أن يقول :

« وهناك واجبات أخلاقية كثيرةتجعل لها الشريعة جزاء كالصيام أو الصدقة، مما يوضح ان هناك موقفا ايجابيـا في المجتمع المسلم تجاه مراعاة هـــذه الواجبات وأنها لا تمثل مجرد مستويات خلقية بالمعنى المعروف في المجتمعـات اللادينية حيث لا يتعدى رد فعل المخالفة استنكار المجتمع لها ، وربما تأنيـــب الضمير الفردي ٠

« ان مخالفة المسلم لواجب خلقي اذا كانت لا تعرضه للعقاب البدني فانهـــا تعكر سعادته الروحية لانها مخالفـــة لقانون الهي شأن أي مخالفة تفـــرض الحاكم عليها عقوبة دنيوية ٠

فالشريعة الاسلامية في مصطلحنـا مجموعة قانونية وأخلاقية معا ، انهـــا نظام شامل للسلوك الانساني نابـع من سلطة الارادة الالهية بحيـث أن الخط الفاصل بين القانون والاخلاق « فيـه » ليس من الوضوح بالصورة التي نجدها في المجتمعات الغربية على وجه العموم

ومع ذلك فان الشريعة العربيـــة تحتفظ بهذا الفارق في مجال العلاقـات الجنسية بين ما يخضع للعقوبة بواسطة المحكمة وما يقتصر جزاؤه على محكمة الآخرة » (٥) ٠

وربما يعكر على ما قررناه هنا مـن « اخلاقية الشريعة الاسلامية » أمر قال به بعض المذاهب الفقهيةولاحظه الاستاذ كولسون أيضا وهو : الشكليـــة في العقود والاكتفاء بظاهر الفعل وعـــدم النفاذ الى النية أو الباعث أو القصد أو الدافع الى الفعل،وهذا هو طابع الفقه الحنفي،وعلى هذا الاساس أجاز «زواج المحلل » والوقف على النفس والفرار من الزكاة وغير ذلك مما يدخل تحت بـاب « الحيل الفقهية أو الشرعية » ٠

وفقهاء الحنفية يقولون في هـــذه الاشياء وأمثالها : انها تجوز قضـاء ولا تجوز ديانة ، أي أن القاضـــي اذا رفعت اليه يحكم بنفاذها ما دامـــت مستكملة للصورة أو الشكل الشرعي ولكنها من الوجهة الدينية المحضه ، من حيث الحساب أمام الله ـ لا تجوز ٠

على ان الفقه الحنفي نفسه يعتـــد بالباعث والقصد ، اذا دلت عليه القرينة كما في « طلاق الفار » اي الطلاق في مرض الموت بقصد حرمان الزوجه مـن الميراث،حيث لا يوقع هذا الطلاق ٠

ومع هذا فليس الفقه الحنفي هنا اكثر من أجتهاد يوجر عليه من ذهب اليـــه ولكنه لا يعبر في الدقيقـــه عن روح الشريعة الاسلاميه التي أعطت للنيـات والبواعث أكبر عنايه وابلغ اهتمـــام حيث نفى رسولها اعتبـــار العمل الا بالنية « انما الاعمال بالنيات وانما لكل

امرىء ما نوى » .

ولهذا كــان أبلغ مذهب عبـر عن الشريعة هنا بحق هو المذهب الحنبلي الذي جعل العبرة في العقود والتصرفات للمقاصد والمعاني ، لا للالفاظ والمباني والذي حمل فقهاؤه على الحيل المسماة « شرعية » حملةشعواء مؤيدة بالبراهين الناصعة من الكتـــاب والسنة وهدى الصحابة ومن تبعهم باحسان .

واقوى من قاد هذه الحملة البصيرة النيرة هو شيخ الاسلام ابن تيميـــة وخاصة في كتابه « اقامة الدليل علـى بطلان التحليل » وتلميذه المحقق ابــن القيــم وخصوصا في كتابيه « اعــلام الموقعين » و « اغاثة اللهفان » .

• □ •

ومما يدل على الصفة « الاخلاقية » في الشـــريعة،انها راعت المثل العليـا لذاتها بغض النظر عن صلتها باستقرار المجتمع وانتظامه .

ومن هذا الباب جاءت « اخلاقيـات الحرب » في شريعة الاسلام ، فلم تبـح للمحاربين – ولو كانوا في قمة النصر على عدوهم – التخريب للعمـــران أو الافساد للزرع أو التمثيل بالجثـث أو قتل من لا يقاتل من النساء والصبيان والشيوخ،الى غير ذلك مما جــاء في وصايا النبي صلى الله عليه وسـلم وخلفائه الراشدين المهديين الى قوادهم العسكريين .

روى بريدة قال : كان النبي صــلى الله عليه وسلم اذا امر أميرا علـــى جيش أو سرية،أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا « ... الحديث (٦) .

وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم – كان اذا بعـــث جيشا قال :

انطلقوا باسم الله ، ولا تقتلوا شيخـا فانيا ولا طفلا صغيـــرا ولا امرأة ... وأصلحوا وأحسنوا ان الله يحـــب المحسنين (٧) .

وفي وصية أبي بكر الصديق لاحـد قواده : « انك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله – يعني الرهبان – فدعهم وما زعموا انهم حبسوا أنفسهم له .. واني موصيك بعشر لا تقتلـــن

امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطع شجرا مثمرا ، ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لمأكلة ولا تغرقن نخلا ولا تحرقنه ولا تغلوا ولا تجبنوا(٨) وكذلك جاءت وصايا عمر الى أمراء جيوشه ٠

وعلى هدي هذه الاخلاقيات العالية سارت الفتوحات الاسلامية في جملتها حتى قال المؤرخ الفيلسوف الفرنسي « جوستاف لوبون » كلمته المعروفة « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » ! !

ومن هذا الباب ـ مراعاة المثل الاخلاقية لذاتها ـ ما جاء في الشريعة خاصا بالرفق بالحيوان ورحمته ورعايته وتجنب ايذائه، واضاعته والقسوة عليه فايذاء الحيوان لا يترتب عليه اضطراب العلاقات في المجتمع، ولا يحدث فيه هزة ولا رجة، لان هذه العجم لن تتفق يوما على ثورة جماعية، ولن تضرب عن الحمل والركوب وجر العربات والمحاريث والسواقي ، فتعطل مصالح أربابها ، لن ترفع أمرها الى القضاء لينصفها من ملاكها ٠

ولهذا كان الرفق بها ومراعاة حاجاتها أمرا أخلاقيا بحتا يدخل في باب العدل والاحسان والرحمة ومراعاة تقوى الله عز وجل، وفي هذا جاءت أحاديث شتى منها :

١ ـ عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت لا هي أطعمتها وسقتها ان هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض (٩) والخشاش حشرات الارض والعصافير ونحوها ٠

ب ـ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعيز قد لصق بطنه فقال : « اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة »(١٠)

جـ ـ في كل كبد رطبة أجر (١١) ٠

د ـ ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » (١٢) ٠

هـ ـ ان رجلا اضجع شاة وهو يحد شفرته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أتريد أن تميتها موتتين ؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها » ؟ (١٣)

و ـ مر ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا ـ أو دجاجة ـ يترامونها وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ،فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » (١٤) ٠

ز ـ نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم (١٥) ٠

ح ـ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه وعن الوسم (الكي) في الوجه (١٦) ٠

وبهذا كان الخلفاء والامراء يزجرون كل من قسا على الحيوان ٠ جاء في العتبية « قال مالك ان عمر بن الخطاب مر بحمار عليه لبن ، فوضع عنه طوبتين فأتت سيدته (مالكته) لعمر فقالت :

يا عمر مالك ولحماري الك عليه سلطان ؟ قال:فما يقعدني في هذا الموضع ؟

وعقب ابن رشد على قول عمر فقال: المعنى في هذا بين،لان المصطفى عليه السلام قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته » .

وقد قال عمر في مثل هذا لو مات جمل بشاطيء الفرات ضياعا لخشيت أن يسالني الله عنه (١٧) أ٠ هـ ٠

وروى عبد الرزاق عن ابن سيرين : ان عمر رأى رجلا يسحب شاة من رجلها ليذبحها فقال : ويلك قدها الى الموت قودا جميلا ؟ كذا في الترغيب للمنذري.

وفي طبقات ابن سعد عن المسيب بن دارم قال : رأيت عمر بن الخطاب ضرب حمالا وقال : « لِمَ تحمل بعيرك ما لا يطيق » ؟ وعلى سنة عمر الاول سار عمر الثاني ابن عبد العزيز ٠

ففي فضائل عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم:ان عمر كتب الى صاحب السكك ان لا يحملوا احدا بلجام ثقيل ولا ينخس بمقرعة في اسفلها حديدة ٠

وكتب ايضا الى حيان بمصر : بلغني ان بمصر ابلا نقالات يحمل على البعير منها الف رطل فاذا اتاك كتابي هذا فلا اعرفن انه يحمل على البعير اكثر من ستمائة رطل (١٨) ٠

وجاء الفقهاء ففصلوا ما يجب على مالك الدابة من النفقة والرعاية فيكتاب النفقات من كتب الفقه،كما فصلوا ما يجب على الانسان نحو الكلاب والطير ونحوها ، تفصيلا لم يخطر ببال أحد من البشر في تلك الاعصار ، وهو تفصيل لم تدفع اليه المنفعة المادية أو المصلحة الاجتماعية فحسب،كما هو الشأن في القوانين الوضعية،بل الدافع اليه ـ فوق ذلك كله ـ دافع اخلاقي محض،هو رفع الظلم والاذى والضرر عن كائن حي ذي كبد رطبة،يحس ويشعر ويتألم وان لم يكن له لسان يتكلم به ويشكو ٠

ومن هذا التفصيل نراهم يحددون متى يجوز ضرب الدابة ؟ وأين تضرب؟ وبم تضرب ؟ وكيف تضرب ؟ فنراهم يقولون تضرب الدابة على النفار ولا تضرب على العثار ، لان العثار لا يد لها فيه بخلاف النفار والحرونة ٠

ويقولون : لا تضرب في الوجه ٠ ولا تضرب بحديدة أو بمقرعة فيأسفلها حديدة ، كما نقلنا ذلك عن عمر بن عبد العزيز ٠ وانقل هنا فقرات من كتاب فقهي معتبر عند الحنابلة وهو شرح « غاية المنتهى » قال : « وعلى مالك بهيمة اطعامها ولو عطبت (أي لم يرج منها نفع) وعليه سقيها حتى تنتهي الى أول شبع وأول ري دون غايتهما،لحديث ابن عمر قال : « عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا » الحديث ٠

« فان عجز عن نفقتها أجبر على بيع أو اجارة ، أو ذبح مأكول ازالة لضررها وظلمها ، ولانها تتلف اذا تركت بلا نفقة ، واضاعة المال منهي عنه ٠

فان أبى فعل شيء من ذلك فعل الحاكم الاصلح من الثلاثة او اقترض

عليه ، وتدق عنقه كما لو امتنع من اداء الدين . ويحرم لعنها – أي البهيمة – لما روى احمد ومسلم عن عمران : انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فلعنت امرأة ناقة فقال ؟ خذوا ما عليها ودعوها مكانها ملعونة فكأني اراها الآن تمشي في الناس ما تعرض لها أحد » .

ويحرم تحميلها – أي البهيمة – مشقا (ما يشق عليها) لانه تعذيب لها . ويحرم حلبها ما يضر ولدها لان لبنها مخلوق له اشبه ولد الامة ، ويسن للحلاب أن يقص اظفاره لئلا يجرح الضرع .

ويحرم ضرب وجه ووسم – أي كي فيه – أي في الوجه لانه عليه الصلاة والسلام لعن من ضرب أو وسم الوجه ونهى عنه، ذكره في الفروع .. ويكره جز معرفة وناصية وجز ذنب وتعليق جرس ، أو وتر للخبر .. ويكره له اطعامه فوق طاقته واكراهه على الاكل على ما اتخذه الناس عادة لاجل التسمين ، قاله في « الغنية » .

ويجب على مقتني الكلب المباح أن يطعمه ويسقيه أو يرسله، لان عدم ذلك تعذيب له .. ولا يحل حبس شيء من البهائم لتهلك جوعا أو عطشا لانه تعذيب ، ولو غير معصومة لحديث « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة » (١٩) .

وقد فهم بعض الناس من حديث « يا أبا عمير ما فعل النقير » جواز اللعب بالطير للصبيان أو حبسه للفرجة عليه والتمتع بمنظره على وجه الاطلاق بدون قيود .أو شروط .

وقد تصدى لذلك العلامة المغربي المالكي، الشيخ أبو علي بن رحال فقال : « وما ذكر من حبس الطير انما هو اذا لم يكن فيه تعذيب أو تجويع أو تعطيش ، ولو بمظنة الغفلة عنه، أو بحبسه مع طير آخر ينقب رأسه كما تفعله الديوك في الاقفاص ينقب بعضها رأس بعض ، حتى ان الديك يقتل آخر ، وهذا كله حرام باجماع، لان تعذيب الحيوان لا يختلف في تحريمه، والفائدة يتأتى وجودها بلا تعذيب، وهذا ان كان يحبسه وحده أو مع من لا ينقبه ، أو يعمل بينهما حائلا بحيث لا يصل بعضه الى بعض، ويتفقده بالاكل والشرب كما يتفقد أولاده ، ويضع للطير ما يركب عليه كخشبة، واما ان يضعه على الارض بلا شيء فذلك يضر به غاية الضرر في البرد ، وهذه الامور لا تحتاج الى جلب نص فيها لوضوحها ، وكم رأينا من يعذب الدجاج في الاقفاص على وجوه مختلفة من أنواع العذاب ، وكذا حبس الكبش بلا أكل ولا شرب أو بغل يربطه في موضع ، ويغلق عليه حتى يكاد يموت جوعا ، ومن لا رحمة فيه ، لا يعتبر في الدفع عن الدواب الا ما يقتلها أو يضعف بدنها ، وأما عذابها في نفسها اذا سلمت مما ذكر فلا يبالى به ، وذلك كله حرام وعقوبة في الدنيا والآخرة ان لم يعف الله .

ثم قال : وكثير من الناس يسمع مثلا ان الطير يجوز حبسه وان العصفور يجوز أن يلعب به، ويستدل بحديث « أبا عمير ما فعل النقير ؟ » ويعتمد على ذلك بلا شرط عدم تعذيبه وهذه مسألة عظيمة الاجر والعقاب وكذا تحميل الدواب أكثر مما تقدر عليه بحسب العادة وغير ذلك ، وذلك كله من نزع الرحمة من القلوب ولكن انما يرحم الله من عباده الرحماء (٢٠) .

وليست مراعاة هذه الاحكام الخاصة برعاية الحيوان والاحسان اليه ،موكولة الى ضمائر الافراد فقط ، فمن فرط فيها أو تهاون بها لم يكن للقضاء ولا للدولة عليه من سلطان .

كلا ، فقد رأينا العمريين : ابن الخطاب وابن عبد العزيز يلزمان الرعية بالرفق الزاما، وانما لم يفعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، لان الناس في عهده كانت تكفيهم الموعظة لتغيير سلوكهم دون حاجة الى الزام قضائي أو تدخل حكومي .

أما بعد ذلك فمن حق السلطان والقاضي والمحتسب ان يتدخلوا لازالة الظلم عن هذه المخلوقات المظلومة ،ومن واجب أي مسلم شاهد هذا الظلم أو القسوة أن ينهى عنه، ومن حقه أن يرفعه الى أولي الامر ليعملوا على رفعه .

قال العلامة الماوردي في « الاحكام السلطانية » : « اذا كان من أرباب المواشي من يستعملها فيما لا تطيق الدوام عليه أنكره المحتسب عليه ومنعه منه » ا ه .

ولما قال ابن رشد : « يقضي للعبد على سيده ان قصر عما يجب له عليه بالمعروف في مطعمه وملبسه خلاف ما يملكه من الدواب، فانه يؤمر بتقوى الله في اجاعتها ، ولا يقضي عليه بعلفها » رده مستعظما له، الشيخ أبو علي ابن رحال في باب النفقات من شرح المختصر - يعني متن خليل - بنص ابن عبد البر في « الكافي » والرفق بالدواب في ركوبها والحمل عليها واجب سنة فانها عجم لا تشكو وفي كل كبد رطبة أجر ، هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذا كان في الاحسان اليها أجر فكذلك في الاساءة اليها وزر ، ولا يحمل على الدواب أكثر من طاقتها ولا تضرب وجوهها ولا تتخذ ظهورها كراسي ولا تقلد الاجراس ولا تستعمل ليلا الا أن يروح عنها نهارا ، ولا يحل حبس بهيمة مربوطة عن السرح والانتشار بغير علف ولا طعام ، قال ابن رحال: فان قول ابن رشد : الدابة لا يقضي . . الخ يلزم ابن رشد ، ان الدابة اذا حملها مالكها ما لا تطيقه من الحمل او اشتغل يعذبها عذابا شديدا فلا فائدة انه لا يقضي على المالك بترك ذلك ، وانه يترك هو واياها ، ويؤمر بتقوى الله فيها فقط ، وذلك لا يحل اصلا مع مخالفة ذلك لكلام الناس وحديث في كل ذي كبد رطب أجر ، رأيت أبا عمر قال : يلزم عليه ان الاساءة فيها وزر، والوزر منكر والمنكر يجب تغييره كما أشار اليه ابن عرفه ولو كان الناس يزجرون بقول الامام لهم : اتقوا الله في كذا ما شرعت الزواجر والقتل والسجون والتعزيزات (٢١) .

وبهذه النقول النيرة ، يتبين لنـــا روعة هذه الاحكام الخاصة بالرفـــق بالحيوان ، وسبقها بقرون طويلة كل ما عرفه الناس عن ذلك في العصـــر الحديث وفاقته بمراحل ومراحل .

وهذا كله يدلنا على أن الشريعـــة الاسلامية شريعة اخلاقية ولا ريب ..

١ ـ اخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

٢ ـ اصول القانون للدكتورين السنهـــوري وحشمت أبو ستيت ص ١٦ نقلا عن « المدخـــل لدراسة الفقه الاسلامي » لاستاذنا المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى ص ٨٧ .

٣ ـ من كتاب « دولة القرآن » للاستاذ طـــه عبد الباقي سرور .

٤ ـ تعريب الدكتور أبو العلا عفيفي .

٥ ـ مجلة « المسلم المعاصر » العدد الثالـــث رجب ١٣٩٥ هـ . يوليو ١٩٧٥ ص ١٦١ـ١٦٢ .

٦ ـ رواه مسلم وابو داود والنسائي .

٧ ـ رواه أبو داود .

٨ ـ رواه مالك في الموطأ .

٩ ـ رواه البخاري وغيره عن ابن عمر .

١٠ ـ رواه ابو داود وابن خزيمة في صحيحه عن سهل بن الحنظلية .

١١ ـ رواه البخاري من حديث ابي هريـــرة في قصة الرجل الذي سقى كلبا فشكر الله لـــه فغفر له .

١٢ ـ رواه مســـلم .

١٣ ـ رواه الطبراني في الكبير والاوسط عن ابن عباس والحاكم وقال صحيح على شـــرط البخاري كما في المنذري .

١٤ ـ رواه الشيخان .

١٥ ـ رواه أبو داود والترمذي .

١٦ ـ رواه مسلم عن جابر .

١٧ ـ التراتيب الادارية ج ١ ص ٢٦٨ .

١٨ ـ التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٥٢ وسيرة ابن عبد الحكم .

١٩ ـ مطالب أولي النهي ج ٥ ص ٢٦٢ـ٢٩٤ .

٢٠ ـ التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٥١،١٥٢ .

٢١ ـ نفسه ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

بقلم الاستاذ :
محمد ابراهيم الخطيب

■■ الاسرة هي أهل الرجل وعشيرته ، وهي المجتمع في صورته الصغرى وحتى تسعد الاسرة وتهنأ،لا بد ان تقوى الروابط والعلاقات بين أفرادها ، ومن أهم العوامل التي تساعد على تقوية الروابط والعلاقات ان يعامل كل فرد في الاسرة غيره بما يحب أن يعامل به ، ولقد أشاد الحكماء والفلاسفة والاجتماعيون بهذا المبدأ كما أشاد به الاسلام وجعله مرتبطا بالايمان ، وفي هذا المجال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » وعلى كل فرد كذلك أن يتحلى بالحب والرحمة وأن يحترم مشاعر الآخرين ، وأن يتعاون في القيام بالواجبات الاسرية وصولا الى حياة تسودها السعادة والهناء ٠

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم هو القدوة الصالحة في مجال الاسرة السعيدة الهنيئة كما هو القدوة الصالحة في جميع المجالات ، لقد كان بشرا يسكن الى زوجه وينشغل بالاولاد والاحفاد ويعاني مثل ما يعانيه بنو آدم من مشاعر وأحاسيس في كل هذه المجالات ، ولقد أصرت الرسالة الالهية على تقرير بشرية محمد عليه الصلاة والسلام حيث يقول تعالى « قل انما انا بشر مثلكم » وكان عليه الصلاة والسلام يقول « انما انا ابن امرأة من قريش

كانت تأكل القديد » .

محمد ابنا :

لم ير محمد صلى الله عليه وسلم والده قط ، حيث توفى وهو حمل في بطن امه ، ولم يسعد أيضا بعطف أمه وحنانها فترة طويلة ، فقد لحقت هي الاخرى بأبيه بعد ولادته بسنوات قليلة، وتضاعف بذلك يتمه ، ومع ذلك كان يذكر أباه « عبد الله بن عبد المطلب » دائما من كثرة ما كانت تحدثه عنه أمه ، أما أمه التي ماتت بين يديه بالابواء بعد رحلتها لزيارة قبر أبيه فقد ظل يذكرها ما عاش وأينما ذهب فيستشعر بذكراها أعمق عواطف البر والرحمة،ويرتفعبالامومة عنده الى أعلى مقام .

وكان عليه الصلاة والسلام يذكرها في حاضنته الحبشية « أم ايمن » التي تولته بالرعاية بعد وفاة أمه ، ورافقته وأمه في رحلتها الى يثرب وشهدت معه وفاتها،فكان يكرمها ويبرها ويرق قلبه لذكرى أمه كلما رآها،فيقول عليه الصلاة والسلام « هي أمي بعد أمي » وكذلك كان الوضع بالنسبة لمرضعته « حليمة السعدية » فقد ظل يبرها ويكرمها طوال فترة حياتها وذات يوم وبعد أن بعث رسولا،جاءته حليمة مع وفد من قومها بني سعد لزيارته فخلع لها رداءه واجلسها عليه بجانبه ووضع يده من تحت ثوبها على صدرها كما يفعل الصبيان دائما مع أمهاتهم مستشعرا بذلك حنوها عليه وهو رسول الله وأكبر الناس نفسا ، وأشدهم عزما، وأقواهم ارادة .

ومن بعد وفاة أمه كفله جده « عبد المطلب » وكان يفرط في تدليله ويسبغ عليه من عطفه وحنانه ما لم يسبغ مثله على واحد من أولاده ،فكان يسمح له بالجلوس الى جواره في الفراش الذي كان يمهد له في ظل الكعبة ولا يجرؤ أحد من أبنائه أو أخوته ان يجلس عليه بجواره بوصفه سيد قريش، وكان اذا حاول أحد ان يبعد محمدا من جانبه اجلالا واحتراما له يقول «اتركوه فان له همة عظيمة » .

وبعد وفاة جده « عبد المطلب »تكفل به عمه « أبو طالب » وكان بدوره يغدق عليه من حنانه وحبه الكثير فكان لا يفارقه ولا يرضى أن يقرب أولاده الطعام الا اذا حضر محمد ، وقد حفظ محمد لعمه هذا الفضل حيث كان من طبعه عليه السلام أن يعترف لصاحب الفضل بفضله وكان أول ما فعله صلى الله عليه وسلم عندما استقل في معيشته ، وتزوج بالسيدة « خديجة » رضي الله عنها أن أخذ من عمه أبي طالب ابنه عليا ليكفله ويخفف بذلك عن عمه عبء الحياة بعد أن كثر عياله ، واجهده الفقر وظل علي بن أبي طالب مع محمد صلوات الله وسلامه عليه حتى بعثه الله رسولا ، وكان علي أول من أسلم من الصبيان .

محمد زوجا :

لقد كان عليه الصلاة والسلام أحلم الناس على كل الناس،وبخاصة مع أهله « أي زوجاته » وكان يقول « خيركم خيركم لاهله – أي لزوجاته – وأنا خيركم لاهلي » وقد ظل عمره كله لا ينسى زوجته الاولى « خديجة » يبرها في ذكراها ويبرها في بناتها ، ويبرها في صديقاتها وفاء لها واعتزازا بمودتها وكان يهدي الى صديقاتها برا لها وكان اذا سمع صوتا يشبه صوت زوجته « خديجة » مثل صوت أختها « هالة » يتذكرها فيتغير لونه ، وكان عليه الصلاة والسلام يتنازل الى مستوى تفكير كل من زوجاته،فكان مثلا كثيرا ما يداعب « عائشة » اصغر زوجاته ويتنازل الى مستواها فيقول لها « يا عائشة تعالي نتسابق في الجري» فيجري معها فتسبقه ، وكان ينظر من حجرتها على الذين يلعبون بالحراب في يوم العيد فيدعوها الى جانبه فتضع ذقنها على كتفه وتنظر الى اللاعبين وهي الى جانبه ، وكان يقول لها مداعبا مدللا « يا عائشة انني اعرفك حين تكونين عني راضية وحين تكونين علي غضبى » فتقول له : وكيف تعرف ذلك؟ فيقول لها « حين تكونين عني راضية وتريدين ان تحلفي تقولين ورب محمد فتذكرين اسمي وحين تكونين علي غضبى وتريدين أن تحلفي فانك لا تذكرين اسمي ولكنك تقولين ورب ابراهيم » فتجيبه عائشة : صدقت يا رسول الله ولكني ما هجرت الا اسمك فاما رسمك ففي قلبي ·

ويقول خادمه انس في هذا المجال : لقد خدمته صلى الله عليه وسلم النبي عشر سنين فما قال لي عن شيء فعلته لم فعلته ؟ وما قال لي عن شيء لم افعله لم لم أفعله ؟ ومن أجل ما عرف عنه صلى الله عليه وسلم رفقه حتى بالحيوان ، شرع ذات مرة يتوضأ من اناء فيه ماء وجاءت قطة تشرب فامسك عن الوضوء وأمال لها الاناء لكي تشرب ولا شك أن الرجل الذي يرفق بالحيوان لا بد ان يكون اشد رفقا بالانسان وأحق الخلق بالرفق هي الزوجة ·

لقد كان عليه الصلاة والسلام شديد الحب لاولاده فعندما مات صغيره

حياة الرسول مع أسرته

« ابراهيم » فاضت عيناه بالدموع وعندما سمع ان علي بن أبي طالب زوج ابنته « فاطمة » يفكر في الزواج عليها قال « فاطمة بضعة مني » ـ أي جزء مني ـ من أحبها أحببته ومن ابغضها أبغضته » ولهذا لم يتزوج علي عليها قط حتى ماتت ، وكان عليه الصلاة والسلام كلما رأى فاطمة ضمها الى صدره مدللا قائلا لها : « مرحبا بأم أبيها » وكذلك كان بالنسبة لاولاده الآخرين فقد كان مثلا يكرم ابنته «زينب» ويكرم من أجلها زوجها ، ويرسل له الهدايا بالرغم من أنه بقي على شركه فترة غير قصيرة بعد ظهور الاسلام ٠ وقد كان عليه السلام يكره التفرقة في المعاملة بين الابناء ويقول : « اذا كنت تحب أن يكون أولادك في برك سواء فكن أنت في برهم على السواء » ٠

وقد جاءه مرة أحد أصحابه وهو « النعمان بن بشير » فقال له : انني منحت أحد أولادي ما لم أمنحه للآخرين ، وأنا أريد أن أشهدك على هذه الوثيقة فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : « لا أشهد على جور أشهد على هذا غيري ، فانني لا أشهد على ظلم » ٠

من كان له ولد فليتقارب له

محمد صلى الله عليه وسلم جدا

لقد كان لمحمد عليه الصلاة والسلام حفيدة وحفيدان ، أما الحفيدة فكانت « امامة » بنت زينب ، أما حفيداه الآخرين فهما الحسن والحسين أبناء فاطمة الزهراء رضي الله عنهما وكان عليه الصلاة والسلام اذا سجد وجاء الحسن والحسين وقعدا على ظهره فكان يطيل السجود حتى يستمتعا بفترة أطول من المرح ، وكان يقول لهما عليه الصلاة والسلام : « انا جملكما » وروي أن « الحسن » كان يبكي مرة

وليكن معه كما يكون الصبى مع الصبى ملاطفة له ..

وكان ابواه لا يسمعانه فاسرع الرسول صلى الله عليه وسلم الى شـــاة في ساحة الدار فحلبها وسقى الحسن من لبنها،وكان مرة يخطب « والحســــن والحسين » ياتيان اليه فيمشيان مـرة ويتعثران مرة أخرى ، فنزل من فوق منبره فحملهما بين يديه ، ثم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويتعثـران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما، وكان مرة يمشي في الطريق فوجــد « الحسن » يلعب مع اترابــــه فحاول امساكه ، وكان يفر منه من هنـــا الى هناك ، وظل يسعى وراءه حتى ادركه وحمله الى صدره وقبله من وجنتيــه ، وعندما رأى أحد أصحابه هذا المشـهد قال : يا رسول الله : ان لي أولادا مــا قبلت أحدا منهم قط فقال له حينئذ « من لا يرحم لا يرحم » وكان من وصاياه :

« من كان له ولد فليتقارب له وليكــن معه كما يكون الصبي مع الصبـــي ملاطفة له ·· وهكذا كان محمد صـلى الله عليه وسلم صورة صادقة ناطقــة بالانسانية والقدوة الصالحة ، هكــذا كانت حياته في أسرته تقوم على الحب والحنان وهما جناحان يحلق بهما الفرد والمجتمع الصغير والكبير في ســماء الحياة السعيدة ·

رجاء الى السـادة الكتاب

- موضوعات المناسبات الدينيــة ترسل قبل موعدها بشهرين ·
- البحوث والمقالات المطولة ترســل مرة واحدة ·
- المقالات التي لا تنشر لا تـــرد لاصحابهــا ·
- الموضوعات التي ترسل للمجلــة تكون خاصة بها ·
- تكتب العناوين واضحة في ختـام كل مقالة أو بحث ·

بقلم فضيلة الشيخ :
عبد اللـــه صديق الغماري
المغـرب

والنسخ في الشريعة مأخـــوذ من الازالة بالمعنى الثاني • اذ تعريفه عند العلماء : رفع حكم شرعي بخطـــاب متأخر عنه ، ومعناه : ان الحكـــم المنسوخ يذهب ، ويحل بدله الحكـــم الناسخ •

وهذا المعنى واضح من قول اللـــه تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » البقرة : ١٠٦ أي ما ننسخ من حكم آية ، أو نتركها فـلا ننزل حكمها ، أو لفظها ، نأت بخير منها للمكلفين بأن يكون الناسخ تخفيفـــا بعد تشديد ، أو مثلها في التخفيف أو التشديد حسبما اقتضت حكمة اللـــ تعـــالى •

وعبر عن نسخ الحكم بنسخ ايتـه لانها أصله ودليله ، مع الايجاز • ولاننـ نجد في القرآن احكاما منسوخة ، وآيتهـ تتلى ، كما سيأتي •

وقد نقل علماء الاسلام عن اليهود انهم أنكروا النسخ من أصله ، وقالوا لا يجوز لانه يستلزم البداء ، وهو فـ حق الله محال •

واعترض عليهم الشوكاني بـــأن اليهود يخالفوننا في الدين كله ، فـــلا معنى لذكر خلافهم في هذه المسألة •

النسخ في اللغة يطلق على ثلاثة معان : أحدها : النقل ، يقال : نسخت الكتاب ، أي نقلت ما فيه · ومنه قول الله تعالى « انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » ٢ : الجاثية · أي نأمر الملائكة بكتب أعمالكم في صحف عندهم ، وهي المشار اليها في قوله تعالى : « واذا الصحف نشرت » التكوير : ١٠ ·

ثانيها : الازالة بعوض ، يقال : نسخت الشمس الظل أي أزالته وحلت مكانه عوضا منه ·

ثالثها : الازالة بدون عوض · يقال : نسخت الريح الآثار · أي ازالتها ، ولم تحل مكانها ، بل ذهبت هي أيضا فلم تبق آثار ولا رياح ·

وقد يبدو اعتراضه وجيها ، لكن اليهود قصدوا بانكار النسخ ، اثبات دعواهم : ان التوراة لم تنسخ ، ولا يجوز نسخها · فذكر علماؤنا خلافهم ، ليبطلوا دعواهم · ومن العجب أن يعلل اليهود استحالة النسخ باستلزامه البداء ! مع أنهم يقولون في تلمودهم : ان الله تعالى لما سلط بختنصر على اسرائيل فقتل منهم من قتل ، وشرد باقيهم الى بابل · ندم على ذلك ، وشد شعره من الندم !!

فهذا هو البداء في أبشع صوره ، قبحهم الله ، وتعالى الله عن قولهم علوا كبيرا · وأنكر أبو مسلم المعتزلي وقوع النسخ في القرآن ، وسمى ما وقع منه تخصيصا ، وهو محجوج ·

وأجمع العلماء على أن النسخ واقع في القرآن ، وعد بعض العلماء مواضعه فبلغت مائتي موضع واثني عشر موضعا ·

قال ابن جزى : الا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخا ، والاستثناء نسخا ، وبين هذه الاشياء وبين النسخ فروق معروفة ·

ولابي محمد مكي بن أبي طالب القيرواني كتاب الايضاح لناسخ القرآن

كلمة في النسخ

ومنسوخه ، عقد فيه بابا لكل من هذه الاشياء التي ادعى فيها النسخ ، وليست هي منه وعدد الامثلة ، وبسط الكلام عليها ، فأجاد غاية الاجادة •

وأنا أذكر الفرق بين هذه الاشياء مع بعض الامثلة •

فالنسخ: ازالة للحكم من أصله ، كنسخ القبلة من بيت المقدس الى الكعبة•

والتخصيص: اخراج بعض أفراد العام من حكمه ، لسبب أو عذر •

فصيام رمضان فريضة على المسلمين خص منهم المريض والمسافر ، لعذر المرض والسفر • والجهاد فريضة على المسلمين خص منهم المعذورون « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » الفتح:١٧

وقتال المشركين حتى يسلموا واجب، خص منه أهل الكتاب ، فيجوز أخذ الجزية منهم ، مع بقائهم على دينهم ، لان لهم دينا صحيحا في الاصل ، وان حرفوه الآن ، فجاز ابقاؤهم عليه بخلاف المشركين الذين ليس لهم دين يقرون عليه •

والاسلام لا يعترف الا بدين اهل الكتاب ، لانه دين منزل اصلا من عند الله •

ولا يعترف بالوثنية ولا بالشيوعية بجميع فرقها ، ولا يقر أحدا عليها •

وحرية الدين في الاسلام ، معناها حرية الدين المنزل في الاصل ، وهو دين الكتابيين •

ومن المؤسف كثيرا ان الغربيين المستعمرين ، ومنهم المبشرون • اتونا بمبدأ حرية العقيدة بمعنى أن الشخص يعتقد ما شاء ، وقلدناهم في ذلك تقليدا أعمى ، فكان فينا الشيوعي والوجودي والماسوني وغيرهم واعترف بهم رسميا في بعض البلاد الاسلامية • ولا حول ولا قوة الا بالله • والاستثناء من التخصيص •

والتقييد: معناه أن يرد اللفظ مطلقا في اية ، ومقيدا في آية أخرى ، مثلا قال الله تعالى في كفارة قتل الخطأ (فتحرير رقبة مؤمنة) وقال في كفارة اليمين (أو تحرير رقبة) وفي كفارة الظهار (فتحرير رقبة) وهذا ليس بنسخ •

ولذلك أخذ الائمة بهذه الآيات فمالك: قيد الرقبة في كفارة اليمين والظهار بالايمان ، حملا على الرقبة المؤمنة في كفارة القتل ، وأوجب ان تكون الرقبة فيهما مؤمنة •

وابو حنيفة : اخذ بكل آية في موضعها ، فاوجب في كفارة القتل ، أن تكون الرقبة مؤمنة ، وأجاز في كفارة اليمين والظهار ، أن تكون غير مؤمنة اخذا باطلاق الرقبة •

ثم قسم العلماء النسخ في القرآن ثلاثة انواع :

١ ـ ما نسخ لفظه ومعناه معا ، مثلا

لماذا نسخ اللهُ بعض الاحكام ؟

ما صح عن عائشة قالت : كان فيما انزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يحرمن) ٠

ومثل ما قيل : كان من القرآن « لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم » ٠

ومثل ما ورد عن ابي بن كعب انه قال:لزرّ بن حبيش : كانت سورة الاحزاب تعادل سورة البقرة ٠

٢ ـ ما نسخ لفظه وبقي معناه ٠

مثل قول عمر : كان فيما قرأنا من القرآن « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البته نكالا من الله والله عزيز حكيم » ولولا ان يقول الناس ، زاد عمر في القرآن ، لكتبتها بجانب المصحف ٠

ومثل « لو كان لابن آدم واديان من مال ، لتمنى لهما ثالثا ، ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » ٠

ومثل قنوت المالكية : اللهم انا نستعينك ونستغفرك٠٠٠ الخ،قيل كان سورة في القرآن تسمى سورة الحفد ٠

٣ ـ ما نسخ معناه دون لفظه ،وذلك كثير ، نذكر منه أمثلة :

١ ـ قول الله تعالى « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » نسخ بقوله تعالى بعده « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » الآيتان من سورة الانفال : ٦٥ ، ٦٦ ٠

٢ ـ قال الله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج » البقرة : ٢٤٠ نسخه قوله تعالى «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » البقرة : ٢٣٤ . قال الله تعالى « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف » البقرة : ١٨٠ ، نسخه قوله تعالى « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » النساء : ١١ ٠

كلمة في النسخ

لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا وصية لوارث ان الله أعطى لكل ذي حق حقا »وآيات موادعة الكفار والعفو عنهم وتحمل أذاهم ، نسخها قول الله تعالى « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » الحج : ٣٩ ، ثم أوجب تعقبهم في كل مكان بقوله تعالى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » التوبة : ٩ ·

ثم ان نسخ المعنى ، أي الحكم ، كما تقدم في الامثلة المذكورة ، ضروري لا بد منه · بسبب تطور الامم وتدليها أو ترقيها · ولكل جيل أو أمة ، أحكام تناسب حالها ومجتمعها ·

وفي التوراة والانجيل ، أحكام وتشريعات ، نسخها الله بالنسبة لنا ، لانها كانت تناسب مجتمع الاسرائيليين في ذلك العهد ، واستنفذت اغراضها ، فلم تعد تناسب عصرنا وأمتنا ·

وفي نسخ بعض الاحكام ، تدرج بالمكلفينمن حسن الى أحسن ، وانتقال بهم من حكم وقتي الى حكم دائم ملائم لجميع الازمان والاشخاص ·

فلهذه الاسباب وغيرها نسخ الله بعض الاحكام في أوقات متتابعة حتى نزلت في حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلا دينا » المائدة : ٣ ·

فكان الاسلام دين البشرية عامة ، لاشتماله على تشريعات لا يوجد ما يماثلها فضلا عن أن يكون أرقى منها ·

أما نسخ لفظ القرآن ، فانه لا يجوز وان قال الجمهور بجوازه ، لانهم لم يتفطنوا للاسباب التي توجب منعه · وهي :

١ ـ انه يستلزم البداء ، وهو في حق الله محال ·

٢ ـ ان تغيير اللفظ بغيره أو حذفه بالكلية ، انما يناسب البشر ، لنقصان علمه ، وعدم احاطته ، ولا يناسب الله الذي يعلم السر وأخفى · فانا نرى الكاتب البليغ ، أو الخطيب المفوه ، ينشيء موضوعا يتانق فيه ، ثم يعيد نظره عليه ، فيجد أن بعض جمله يجب أن يحذف ، وبعضها يجب ان يعدل بما هو أفصح منه أو أوفق أو أليق ·

٣ ـ انما قيل انه كا نقرآنا ونسخ لفظه ، لا نجد فيه أسلوب القرآن ، ولا طلاوته ولا جرس لفظه ·

٤ ـ ان منه ما يخالف أسلوب القرآن · قال الله تعالى « الزانية والزاني فاجلدوا » الآية قال العلماء :

قدمت الزانية في الذكر ، للاشارة الى ان الزنا من المرأة أشد فحشا · ولان الزنا في النساء كان فاشيا عند العرب فاذا قرأت « الشيخ والشيخة اذا زنيا »

وجدت الزاني مقدما في الذكر ، على خلاف الآية ، وهذا يقتضي أن تقديم احدهما كان مصادفة لا لحكمة ، وهذا لا يجوز لان من المقرر المعلوم ان الفاظ القرآن الكريم ، موضوعة وضعا حكيما ، بحيث لو قدم أحدها عن موضعه أو أخر ، اختل نظام الآية ٠

٥ ـ ان تلك الجمل التي كانت من القرآن فيما قيل ، جاءت مقتطعة لا رابط يربطها بآيات القرآن ، ولم يقولوا لنا : أين كان موضعها في المصحف الشريف ؟

٦ ـ اذا قرات خواتم سورة البقرة وخواتم سورة آل عمران وما فيها من دعاء وتوجه الى الله تعالى ، بأسلوب في منتهى البلاغة ، ووازنته بما قيل ، انها كانت سورة الحفد ، وجدت الفرق بينهما بعيدا جدا ، هو الفرق بين كلام الله ، وكلام البشر ٠

٧ ـ ان السنة النبوية وقع فيها نسخ المعنى كما وقع في القرآن الكريم ، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع عن لفظ من الفاظ حديثه ، أو بدله بغيره او قال للصحابة عن حديث له : لا تحفظوه ، ولا تبلغوه عني ، فقد نسخ لفظه ٠ لم يثبت هذا عنه أصلا ٠ بل صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « نضر الله امرأ سمع مقالتي ، فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » ٠

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتب كل ما سمعه منه صلى الله عليه وسلم فنهاه بعض الصحابة ، وقال له : ان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب ويرضى ويتكلم في حالة الغضب ٠ فامسك عن الكتابة ، ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قيل له انه يغضب ويرضى فقال صلى الله عليه وسلم « اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج منه الا حق » وأشار الى لسانه ، مع أن الشخص اذا غضب يخرج منه كلام غير متزن ولا منتظم ، حتى اذا هدأ غضبه ، عجب من نفسه كيف خرج منه ذلك الكلام ؟

لكن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم ، لا يتكلم الا بحق في غضبه ورضاه ٠

٨ ـ ان القرآن لا يثبت الا بالتواتر ، وما لم يتواتر ، لا يكون قرآنا ، كما هو مقرر في علم الاصول ٠

وتلك الجمل التي قيل بقرآنيتها ، ليست بمتواترة ، فهي شاذة ٠ والشاذ ليس بقرآن ، ولا تجوز الصلاة به ٠

دراســـة وعرض :
دكتور.عبد المجيد وافي
تصوير عبد الفتــاح سعيــد

المسجد النبوي الشريف

أول عمارة بنيت في الإسلام

« لمسجد أسس على التقوى مــن أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيــه رجال يحبــون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » التوبة : ١٠٨
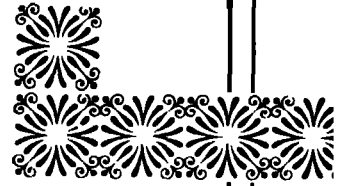
كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بدايــة لمرحلة جديدة من مراحل الدعوة الاسلامية ، فقــد هاجر بدعوته من مجاهــــدة المشركين ومصابرة أذاهم ، الى دار عز ومنعة ، منها انطلق بأصحابــه وبدعوة الاسلام الى آفاق جديدة من ارساء قواعــد المجتمع المسلم ، على أسس من وحي الله تعالى ٠

ومن هذا المنطلق ، غادر المسلمون حذرهم في مكة وصاروا أصحاب دار ، بعد أن آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الانصار والمهاجرين ، ونزع صمام انفجار الحروب القبلية بين الاوس والخزرج بأخوة الاسلام ، وأصبحت عيون الانصار والمهاجرين متفتحة على كل فعل ، وآذانهم مصيغة الى كل قول يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقوله في الله ولله وحي ، وفعله من هدى
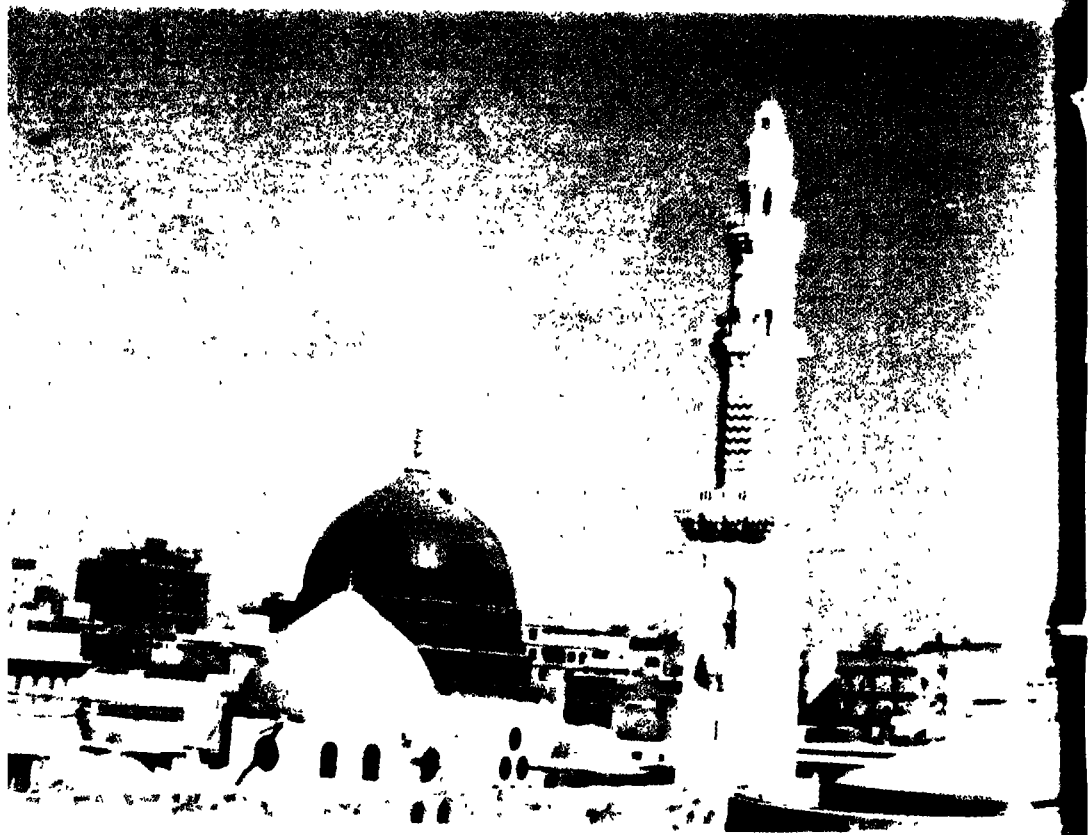
الوحي ، وهم بذلك يحافظون على ميراث الاجيال المسلمة الى يوم الدين وما أغفل القرآن الكريم ذلك اذ يقول « وما ينطق عن الهوى ، ان هو ، ان هو الا وحي يوحى » النجم : ٣ ، ٤ ، « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » الحشر : ٧ ٠

المجتمع الجديد :

لقد حاول الانصار عندما استقبلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين بسلامة وصوله الى دار هجرته ، أن يستأثر كل منهم بنزول الرسول صلى الله عليه وسلم عنده ، فتبادروا الى مقود ناقته كل يريد أن يأخذ بها وراكبها عليه الصلاة والسلام الى داره ، الا أنه عليه الصلاة والسلام قال لهم : خلوا سبيلها فانها مأمورة ، حتى بركت عند موضع باب مسجده الذي بني بعد ذلك ، ثم قامت والرسول صلى الله عليه وسلم ما زال راكبا ، ودارت ثم عادت وبركت في نفس موضعها الاول (١) ، وكان هذا اشارة لطيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وما جاء من أجله ، انما هما في رحاب توجيه الله ، ما يصدر في فعل من أفعاله الا عن وحي ، وأن مقامهم منه السمع والطاعة ٠

وكانت الدلالة الثانية هي أول مبدأ قيادي وجه به الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه والمسلمين من بعدهم عامة ٠

ذلك أن الناقة بركت في مربد « أرض فضاء » فيه نخيل وبعض قبور جاهلية وكان لغلامين من بني النجار ، اتخذه وليهم أسعد بن زرارة مسجدا يصلي فيه مع مسلمي الانصار قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد أحاطه بجدار دون سقف » (٢) ٠

المكان والاختيار :

واستقر رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختار المكان لاقامة المسجد ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحاب المربد وساومهما عنه ولكنهما قالا : « نهبها لك يا رسول الله » فأبى ، وكان هذا أول مبدأ سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتذى به كل أمير بعده ، فالمدن التي تخط يجب أن يكون المسجد أول ما يخط عمارته فيها ، وحوله تقوم المدينة أسواقها وخططها وبجواره دار الامارة ٠

أبلغ رد على دعاوى وافتراءات المستشرقين

أن رسول الله دخل المدينة ولم تكن له إلا زوجة واحدة

قاعدة عمرانية :

وكل مدينة تفتح أو يدخلها الاسلام طوعا لا حربا فاول ما يفعله الامير ، هو اتخاذ مكان للمسجد وسط المدينة أو قريبا من عمران ، وهكذا شان المدن التي اتخذت عواصم اسلامية بعد ، فالبصرة والكوفة مدينتان انشئتا على عهد عمر رضي الله عنه ، فكان أول ما خط في أرضهما المسجد ، ودمشق ما أن فتحت حتى اتخذ المسجد فيها على أرض خربة كانت معبدا رومانيا لم يبق منه الا أطلال ، وليست كنيسة كما يقول الباحث الاثري : كروموبل كريزول في كتابه العمارة الاسلامية المبكرة ، والفسطاط كان شانها شان الكوفة والبصرة ، اسس عمرو بن العاص مسجدها قبل أن يخطط للدور والاسواق ·

واصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على دفع الثمن ، وأمر أبا بكر أن يدفع ثمنه فدفع عشرة دنانير .

افتراء المستشرقين :

ولقد كان هناك من المستشرقين الذي يدعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبن مسجدا ، وانما بنى دورا لزوجاته ، واصبحت ساحتها فيما بعد أول مسجد للمسلمين ، وعلى رأس هؤلاء المتخرصين المفتريين ذلك الكاتب « كروموبل كريزويل » وتبعه في ذلك الرأي عدد من المستشرقين ، ثم صارت قاعدة لديهم ، فما من مرجع غربي الا وحمل لواء هذه الدعوة دون التفات لما ذكرته المراجع العربية ، وفي مقدمتها كتب السنة الصحيحة البخاري ومسلم (٣) ·

والدعوى تحمل دليل كذبها ، فالرسول صلى الله عليه وسلم دخل المدينة ولم تكن له زوجات ، وانما كانت له زوجة واحدة هي « سودة بنت زمعة » رضي الله عنها ، ولم يبن صلى الله عليه وسلم بعائشة الا بعد دخول المدينة بما يقرب من عام (٤) ·

جمال العقود وتوزيع العمد واختفاء بيـــوت الضوء في التشكيلات الزخرفية ، وروعة السجاد وصناعتــه ٠

القبة الخضراء فوق غرفة عائشة رضي الله عنها ، وفيها يرقد الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحباه ، وامامها القبة فوق محراب عمر وعثمان ، وهي القبة الخضراء من العمارة المملوكية ـ القرن ٩ هـ ـ من عصر السلطان قايتباي والمنارة المجاورة من نفس العصر

بداية العمل :

وبدأ العمل في بناء المسجد : يقول أنس بن مالك رضي الله عنه عن المربد: كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطع ، وبقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت (٥) ٠

ويقول ابن سعد مفصلا ذلك :

أما المسجد فكان مربدا لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الانصار ، وكانا في حجر أبي أمامة اسعد بن زرارة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا ، فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ٠

وفي صحيح مسلم يقول أنس بن ما لك « فارسل الى ملأ من بني النجار ، فجاؤا فقال : ثامنوني بحائطكم هذا ، قالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله »٠

بينما يستمر ابن سعد « فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير ، وقال معمر عن الزهري ، وأمر ابا بكر أن يعطيهما ذلك » ٠

« وكان جدارا مجدرا – أي مبنيا – ليس عليه سقف ، وقبلته الى بيت المقدس ، وكان أسعد بن زرارة بناه ، فكان يصلي بأصحابه فيه ، ويجتمع بهم في الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ويذكر مسلم عن أنس رضي الله عنه « فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالنخل الذي في الحديقة وبالغرقد (٥) الذي فيه فقطع ، وأمر باللبن أن يضرب ، وكان بالمربد قبور جاهلية فامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبشت ، وأمر بالعظام أن تغيب ، وكان بالمربد ماء مستنجل فسيره حتى ذهب (٦) ٠

حكم شرعي :

وهنا نحب أن نتأمل هذه النصوص ، اذ يتبين منها أن المكان قبل اختيار النبي صلى الله عليه وسلم كان يستخدم على حالته دون اعداد خاص ، فيما عدا الجدار الذي بناه أسعد بن زرارة ، وليس ذلك بغريب في أمر صلاة المسلمين ٠

اذ يروي مسلم بصحيح سنده عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فضلت على الانبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا ، وأرسلت الى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » ٠

ثار المسجد النبوي
الاول كما تخيلها عدد
من المستشرقين
ونحو اقيل المساكن
لتسع زوجات
شرق المسجد
ويوم هاجر الرسول
لم يكن له إلا زوجة
واحدة .
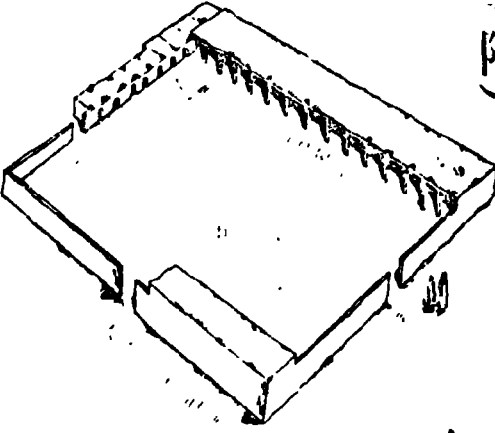
ويروى قريبا من ذلك عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ، كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود ، واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ، وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا فأيما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر واعطيت الشفاعة » .

فالارض كلها مسجد وتربتها طهور ، وقد كان الانصار فهموا ذلك فلم يبالوا بالارض فيها النخل والغرقد ، يأتون صلاتهم فيها دون تمهيد واعداد .

المسجد قلب المجتمع :

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغير ما دعا اصحابه اليه من عموم الارض مكانا للصلاة ، لولا انه قرر امرا آخر ، بل هو امر الله « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه »٣٦ : النور ؛ هو ان يجعل ذلك المكان مركزا للمجتمع المسلم .

وليس متعبدا فقط ، بل مكانا تصدر منه قرارات امة الاسلام ، ومكانا يتجمع فيه المسلمون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون منه ، ويتشاورون في شان الجماعة ، وفيه تبرم أمورهم .
فقد كانوا عندما يرغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقرير امر ،

▲ تنقيته المنارة المملوكية بعد ان رممت في العصر التركي تم الحديث وتغيرت قمتها الى السمت التركي ، وخلفها المنارة الحديثة في العمارة السعودية .
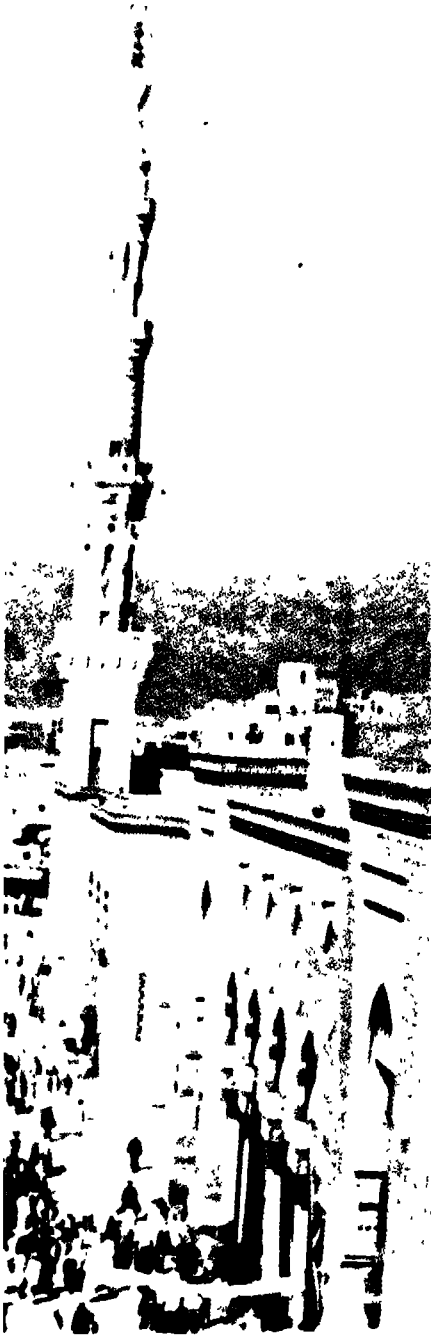
▲ احدى المنارات المعاصرة من العمارة الس تمثل العظمة والسموق والرشاقة التي تتمي طرز المآذن المصرية وهي من تصميم مهنـ ايطالي أسلم بعد ان خدم العمارة الاسلامية مصر عشرين عاما .
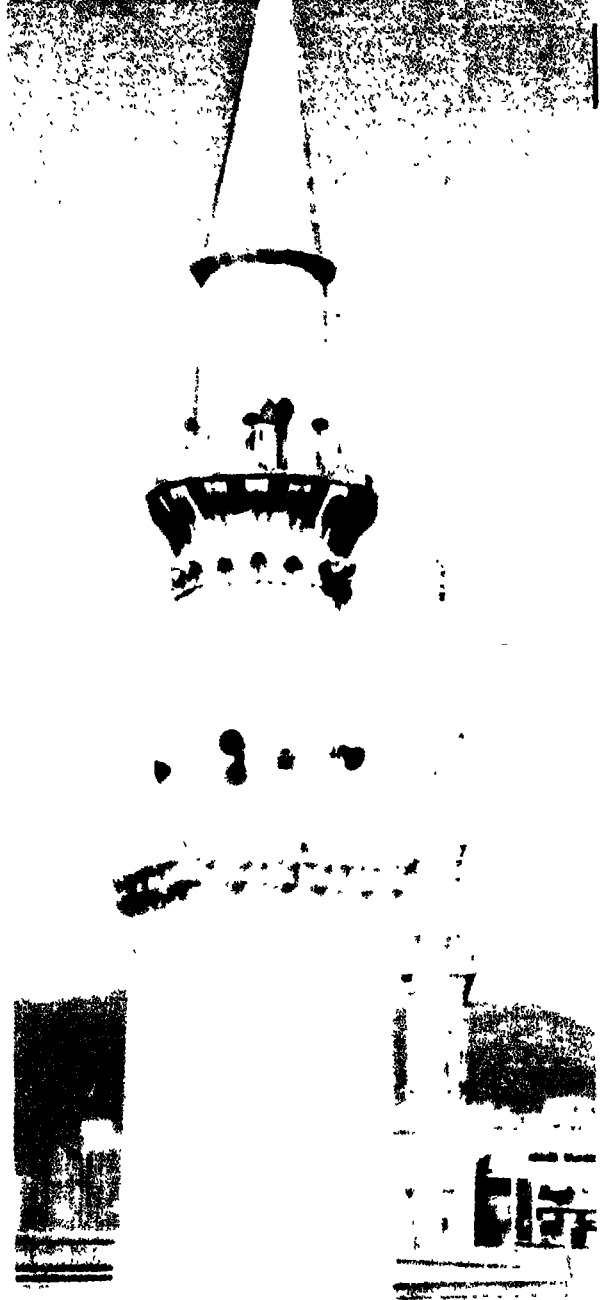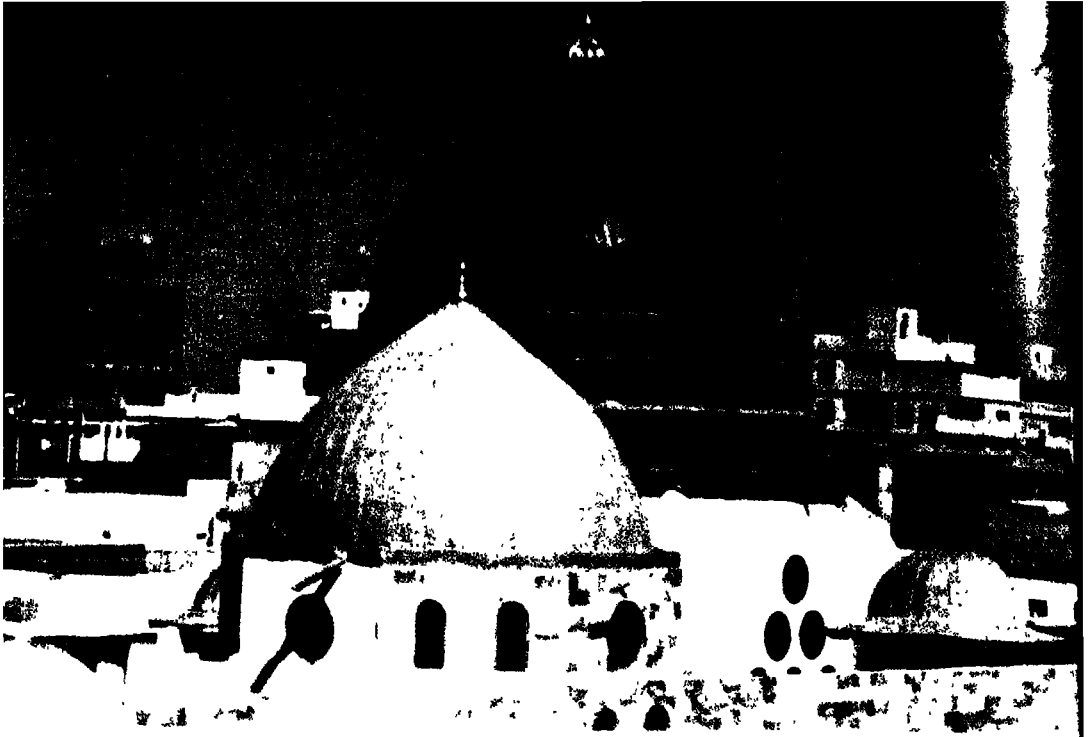
▲ القبة الخضراء وما حولها ▼

او بيان حكم أو تثور مشكلة ، حتى يؤذن المؤذن فيهم - لا اذان صلاة - ولكن نداء تجمع ، فيجتمعون حيث يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم مكانه بينهم ، ويقر ما يقرر أو يعرض ما يريد أو يستشيرهم فيما يبغي من قرار ٠

عناصر البناء :

وقطع النخيل والغرقد وسويت الارض ، ولقد افاد النخيل الذي قطع حين جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في جدار القبلة ، وجعله عرائش في السقف واساطين تحمل العرائش ، كما افسح المكان وقد كان موزعا في الارض على غير نظام ٠

وبدأ الصحابة في حفر أساس الجدران ، وان دل ذلك فانما يدل على فهم معماري - وأن البناء الذي بني لم يكن بناءا بدائي التخطيط والمواد ، فحفر الاساس قريبا من ثلاثة اذرع - كما يروي بن سعد - ولم يبن الاساس من اللبن لان اللبن يفسده الماء الباطني الذي يتخلل الاساس ٠

وعندما تم تسوية الارض وضرب اللبن ، بدأ العمل الذي اشترك فيه كل قادر على عمل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول العاملين بنفسه ، ولكي يأخذ العمل صفته الدينية احتسابا عند الله ، كان صلى الله عليه وسلم ، يردد مع أصحابه ، كعادة العرب عندما يعملو ن، جملا كالرجز قصيرة المقاطع وتنشيطا على العمل :

اللهم ان الخير خير الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة

وكان اللبن هو العنصر الغالب ، وقد سبق أن ضرب وأعد عندما كانوا يقطعون النخيل ويغيبون العظام ٠

واللبن عادة يضرب - كما نراه في الريف - من طين مخلوط بيابس النبات أو التبن ، ليكتسب خاصة التماسك عند الجفاف ، ويقطع قطعا متقاربة التساوي لتتحاذى أطرافها عند البناء ، ويترك اياما ليجف قبل البدء في البناء ٠ وكانت بقية العناصر هي الحجارة وجذوع النخل ٠

اما الحجارة فقد دخلت في مراحل مختلفة من البناء ، كانت أساسات وضعت في الارض لتقوم عليها الجدران ، واختلفت الروايات بعد ذلك في مكانها من البناء، فبينما يذكر أنس بن مالك أن جدار القبلة كان من جذوع نخل مصفوفة ، وأن الحجارة كانت عضادات « اكتافا » في أبواب المسجد ، ليحمل عليها عاتق الباب أو عقد المدخل ٠

عليه وسلم في مساحته ، وهو تصور ناشىء
نصوص السنة وكتب السيرة ·

وهو مخالف لتصور المستغربين من كتـ
العمارة الاسلامية كما ناقشه نص البحث ،

وتفاصيل عناصر المسجد النبوي الاول

١ ـ السقيفة الاولى التي صلى المسـ
تحتها في اتجاه بيت المقدس قبل تحويل ال
وقد زيدت اساطينها في السنة السابعة بحي
اصبحت سبعا وعشرين ، وعرفت بعد تحو
القبلة باسم سقيفة اهل الصفة ·

٢ ـ السقيفة الثانية التي انشئت بعد
القبلة ، ثم زيدت اعمدتها في السنة السا
للهجرة بعد اعادة تعمير المسجد ، وكانت
ذلك ثمانية عشر عمودا ·

٣ ـ بعض مساكن زوجات الرسول صل
عليه وسلم في الجانب الشرقي من المسجد
غرفة عائشة التي دفن فيها الرسول صلى
عليه وسلم ودخلت في عمارة المسجد سنة
على عهد ولاية عمر بن عبد العزيز للمدينة و
الآن القبة الخضراء ·

٤ ـ بعض مساكن اخرى لزوجات الرسول
الله عليه وسلم في غربي المسجد وقد ازيلـ
ودخلت في عمارة المسجد سنة ٨١ هـ ·

٥ ـ عرفتا عبد اللـــه بن عمر ، وحـ
ام المؤمنين خلف جدار القبلة ، وقد ازيلتا
عهد عمارة عثمان رضي الله عنهم اجمعين ·

٦ ـ مرتفع بني ليرقاه بلال رضي الله
عند الاذان في العمارة الثانية للمسجد ·

٧ ـ الساحة المكشوفة بين السقيفتين ،
تجمع الاحباش يوما يزفنون « يعرضـ
فنونهم الحربية » ، وشهدت اختبارات القـ
والقتال بين صغار الصحابة الذين كانوا يتقد
للجهـــاد ·
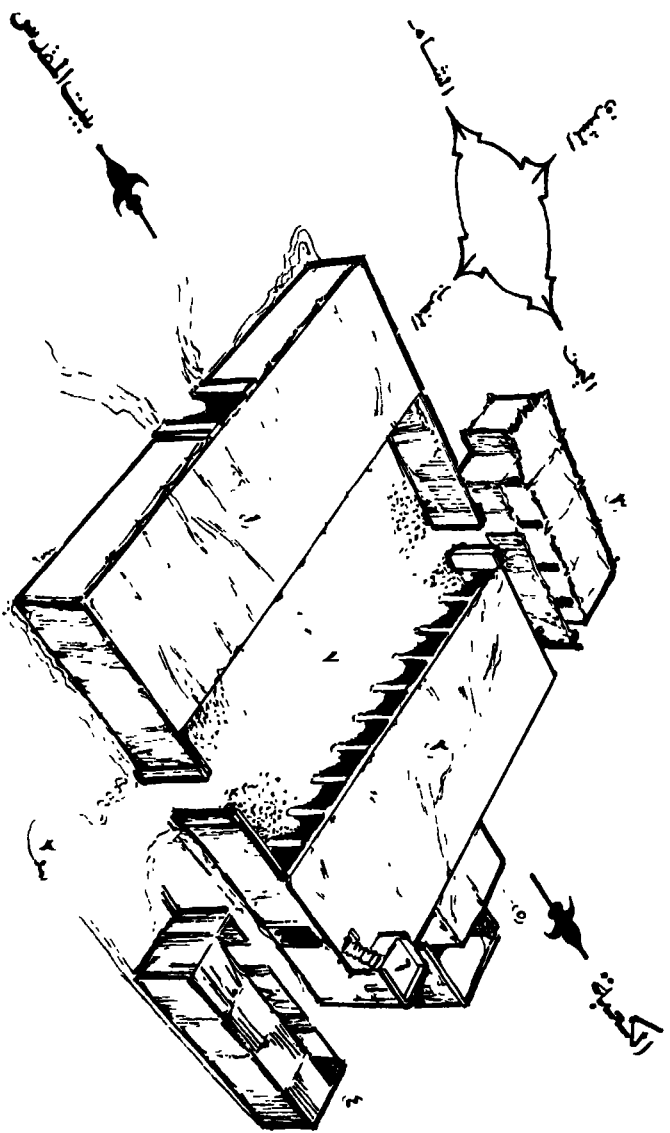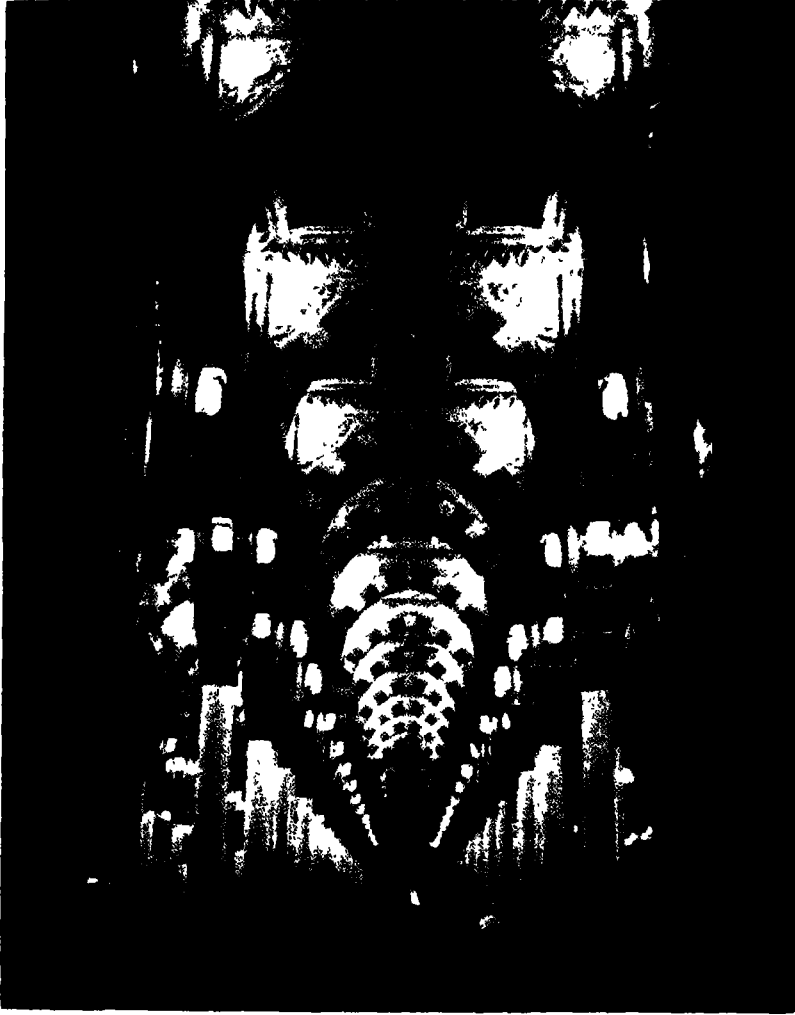
● احد اروقة المسجد النبوي الشريف في الليـــــل تظهر جمال توزيع الاضاءة في اكتاف العقـــود أو أرجلها فوق الاعمدة ٠

يذكر السهيلي أن جدار القبلة كان من حجارة منضودة بعضها علـــى بعض (٧) ولعل جدار القبلة الذي كانت الحجارة أساسه وبناءه ، انما كان بعد تحويل القبلة ، لاجماع كتب الحديث على أن جدار القبلة كان من جـــذوع نخيل مصـــفوف ٠

لكن النخيل لم يقتصر على جدار القبلة ، فقد اتخذ في مواضع أخرى من المسجد الشريف فقد جعلت في السقف عوارض ، وجعلت الجذوع كاملة سوارى « عمدا » تحمل عوارض السقف ٠

وخبر ذلك أن البناء في أول أمره على ما يبدو ، كان جدرانا أربعـــة بلا سقف (٨) ، فلما شكا المسلمون الحر وشدته أقام لهم ظلة من جذوع النخل على ما وصـــفنا ٠

وكانت هناك عناصر مضافة عند اقامة الظلة أو السقف ، هي الخصـف والاذخر ، والخصف سعف النخيل ، والاذخر يسمى في جنوب شرق الجزيرة وفيافي دولة الامارات ـ الاشخر ـ وهو شجر ورقه عريض ، يتماسك كـــورق النخيل اذا جف ، وقد طرح على هذا الخليط الطين المطرور ٠

واذا تأملنا روايات كتاب السير وكتـبالحديث ، نراها تفصل حينا وتوجز حينا ويفسر بعضها البعض ، ومهمة الباحث دراسة النصوص ليتبين منهـــا الاساليب المعمارية المعاصرة ٠

حضارة [illegible]

والدراسات المتحاملة التي أشرت الى بعضها في أول الحديث ، مـــن الباحثين الغربيين تجرد العرب عامة ، وعصر البعثة خاصة من كل صـــفة ابتكارية أو قدرة انشائية أو عمرانية ، فقد وصفوهم بالبداوة على وجه عام ، بينما عرفت الجزيرة العربية المدن والامصار قبل البعثة الشريفة صلى اللـــه وسلم على حامل رسالتها ومبلغ أمرها ، وكان ذلك قبل الاســــلام بقرون ، فحضارة سبأ في اليمن ، وعاد قوم هود في الاحقافـ ،وثمود قوم صالح بوادي القرى والحجر ، ما تزال آثار أكثرها ماثلة ، يراها المسافرون شمالا من المدينة الى وادي الاردن وجنوبا عند ورودهم الى اليمن ٠

وان عفت آثار عاد فخبر القرآن صادق ، ومراجع التاريخ تؤكد الحضارات في اليمن وعمان والحجر ومدين وتهامة (٩) ٠

اذا فلم يكن العرب أغفالا بلا حضارة ، وقد كانت سفنهم أول ســـفن جابت المحيط الهندي ، ثم ولجت شرقا الى جزر الشمس « اليابان » وجنوبا الى جزر القمر ، يوجهها علم كامل بالانواء ومواسمها مستعملين النجوم « وبالنجم هم يهتـــدون » النحل : ١٦ ٠

طريقة البناء :

فاذا رجعنا الى بناء المسجد ، قرأنا وصف كتاب السيرة لطريقة البنــاء ، في جمل فنية الدلالة ، قاطعة الحجة ، تميز خصائص العمل والاساليب التـــي استعملت بعد المسجد النبوي في مساجد كثيرة قامت بعده ، وان اختلفت الخامات
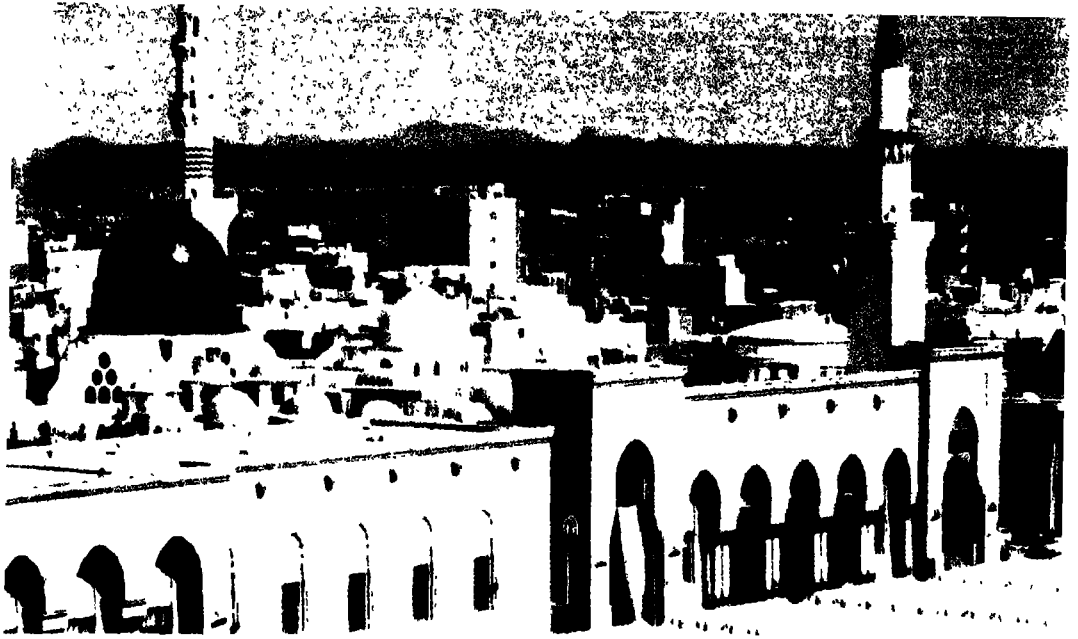
▲ المسجد النبوى الشريف المعاصر ▼
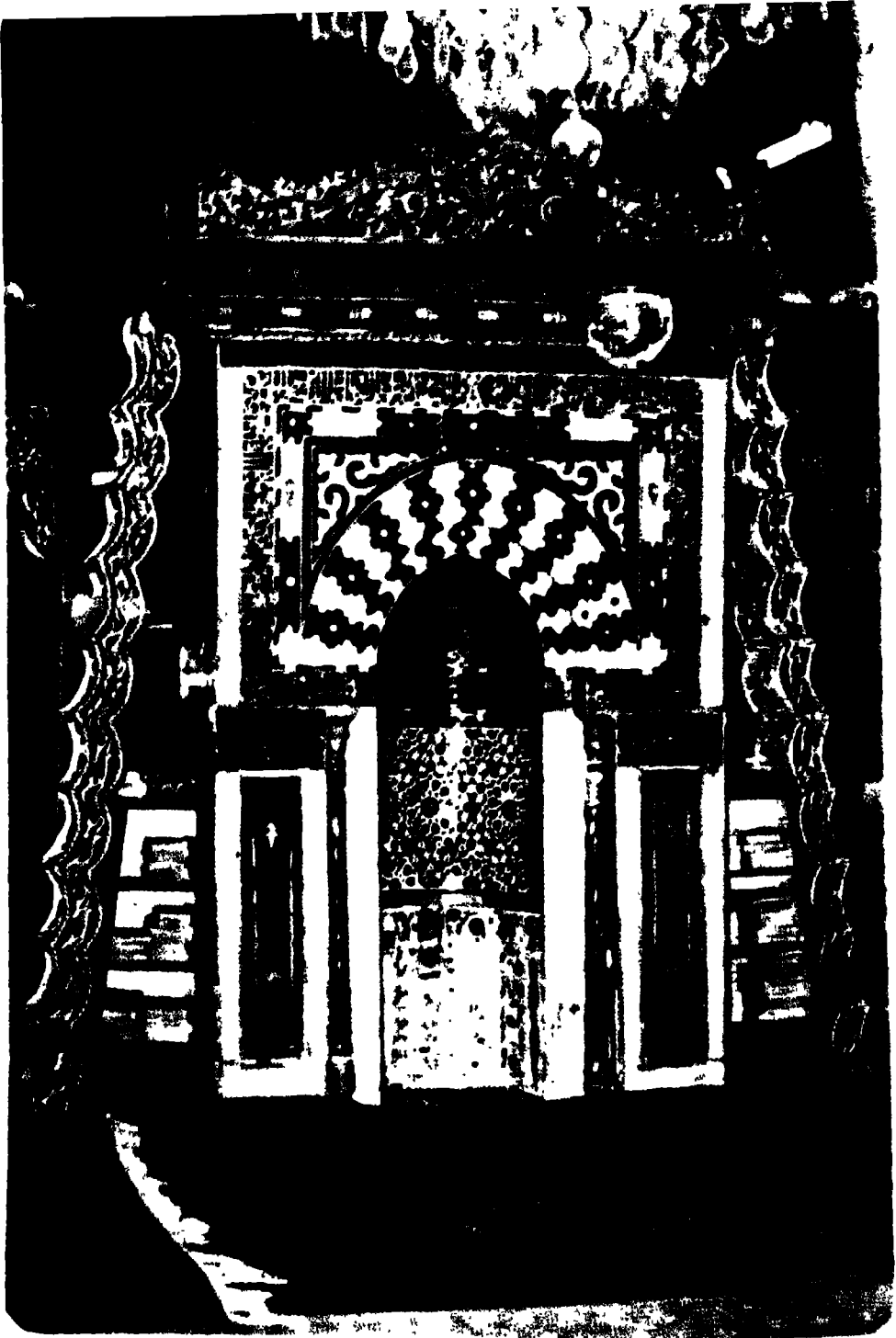
فی مکان ھذا المحراب کان الرسول صلی اللہ علیہ وسلم یؤم المسلمین

في مجمع البيان ، وغيره من كتب التفسير أن جبريل قد حول النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته بعدما انزلت عليه الآيات « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها » الى قوله تعالى « فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون » ١٤٢ـ١٥٠ : البقرة ٠

ولما تحولت القبلة أصبح جدار مؤخرة المسجد هو جدار القبلة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تبنى ظلة جديدة على الطرف الجنوبي للمسجد في اتجاه الكعبة ومكة ، فأصبح بالمسجد ظلتان ، احداهما الى الشمال متجهة الى بيت المقدس ، وقد صارت سكنا لاهل الصفة من فقراء المسلمين ، كما يروي صاحب الطبقات الكبرى ، وغيره من المراجع ، والظلة الثانية وهي التي بنيت مؤخرا واصبحت رواق الصلاة الامامي متجهة الى الكعبة ٠

وهكذا تكامل الشكل المعماري للمسجد وأول عمارة اسلامية بنيت لله وبايدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين ٠

القدوة الحسنة :

ولما فتح الله تعالى على المسلمين أفاق الممالك ، كان للصحابة والتابعين في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاسوة الحسنة « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » الاحزاب :٢١ فأسسوا المساجد في الامصار كما ذكرناه،ولكنهم التزموا بتخطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم،وببساطة الخامات وتوزيع السقائف في مقدم المسجد ومؤخره ، وربما وصلوا السقائف بأروقة على جانبي الساحة المكشوفة،وقيام العمد من جذوع النخل ، أو من أساطين الخشب ، اقتداء بما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جدد عمارة المسجد النبوي سنة ١٧ هـ ٦٣٧ م ٠

تطوير الخامات واستمرار القدوة :

وفي سنة تسع وعشرين ٦٤٩ م يروي السمهودي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه سمع شكاة الناس من ضيق المسجد يوم الجمعة ، فزاد فيه زيادة كبيرة وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة ـ الجص ـ وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج ٠ وكان الموكل بعمارة المسجد؛هو زيد بن ثابت رضي الله عنه ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم،وكاتب الوحي وجامع المصحف ، فقدر الاساطين ـ العمد ـ على قدر النخل ، أي أن مواضع العمد التي اقيمت من حجارة،كانت في مواضع العمد التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ السمهودي ج ١ ـ ٣٥٥ ـ ٣٥٧ ٠

الكذب والافتراء على الاسلام :

هذه الصورة التي اكدتها كتب السنة والسير،ودعا اليها كتاب اللـــه اذ يقول : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليـــوم الآخر وأقام الصلاة » التوبة : ١٨ « لمســـجد اسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقـــوم فيه » التوبة : ١٠٨ ، ودعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عـــن عثمان بن عفان رضي الله عنه : « من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة » متفق عليه ·

ينكرها مستشرقوا العمارة الاسلامية على مرحلتين ، الاولى : عندما ادعوا ما سبق ذكره من بناء الرسول صلى الله عليه وسلم دورا لزوجاته وفي ساحتها كان المسلمون يجتمعون ، وقد كذبت الاخبار والسنن والاوامر الالهية القرآنية هذه الفرية بما أسلفنا ·

والمرحلة الثانية عندما استكثروا على المسلمين أن يفوا بحاجات فرائض الله وبيوته التي « اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وايتـــاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار » ٣٦ ، ٣٧ : النور ·

فيوفوا هذه الحاجات ببناء مسقوف تحمـــل الاعمدة سقفه ، وتم على مراحل استغرقت من تطوره عاما ونصف عام ، منذ هاجر رسول الله صلوات الله عليه وسلامه الى أن حولت القبلة وتمثلت المراحل في :

١ ـ البناء جدرانا أربعة تحيط بالمسجد،فلما آذتهم الشمس في الحـــر وأرادوا الكن من المطر في الشتاء،أقيمت الظلة الاولى تحملها عمد ثمانية عشر ·

٢ ـ فلما حولت القبلة بنوا سقيفة ثانية مثيلـــة للاولى وبنفس النظام والخامـــات ·

٣ ـ صارت بين الظلتين بعد ذلك رحبة مكشوفة ·

ولكن افتراء المستشرقين لا بد أن ينسب هذا الشكل الى أصول غيـــر اسلامية،حتى يجردوا المسلمين من صفة الاصالة والوفاء بأمر الله وحاجات فرائضه ، فقالوا :

١ ـ ان المساجد الاسلامية أصلها فرعوني الشكل ، هذه دعوى ادعاهـــا ايطالي اسمه : هنري سلادان في كتاب له عن مسجد عقبة بالقيروان ١٨٩٩ م ، واين كان سلادان هذا يوم أسس المسجد بيدي عقبة سنة ٥٠ من الهجرة ؟

٢ ـ وادعى السيد الكاتب كرومويل كريزول (١٣) ان المسلمين كانـــوا

المسجد النبوي

يستولون على الكنائس في البلاد المفتوحة ويحولونها الى مساجد،ولم يعلم ان الاسلام نهى عن التعرض لِبِيَعِ أهل الكتاب أو صوامعهم أو صَلَوَاتِهِم وكنائسهم ٠

٣ـ ولكنه اكتشف أن من البلاد التي فتحت على المسلمين وبجهادهم ما ليس فيه كنائس ، فعاد ليقول ان المساجد الجامعة الاولى كانت على نوعين :

أ ـ مساجد على النظام المسيحي أو الشامي ٠

ب ـ مساجد على النظام الفارسي أو العراقي الاولى أخذت نظام الكنائس والثانية اقتبست نظام قاعات الاستقبال الفارسية ٠

٤ ـ وادعى السيد الكاتب سوفاجيه (١٤) ان القاعات الرومانية « البازيليكا » مكان الاسواق والمحاكمات في المدن الرومانية القديمة،اتخذها البيزنطيون انموذجا لكنائسهم ، ثم احتذى المسلمون حذوهم وجعلوها نمطا لمساجدهم الجامعة،عندما تحدث عن عمارة عمر بن عبد العزيز للمسجد النبوي سنة ٨١ هـ ٠

اروقة السطحة المكشوفة في العمارة السعودية الحديثة
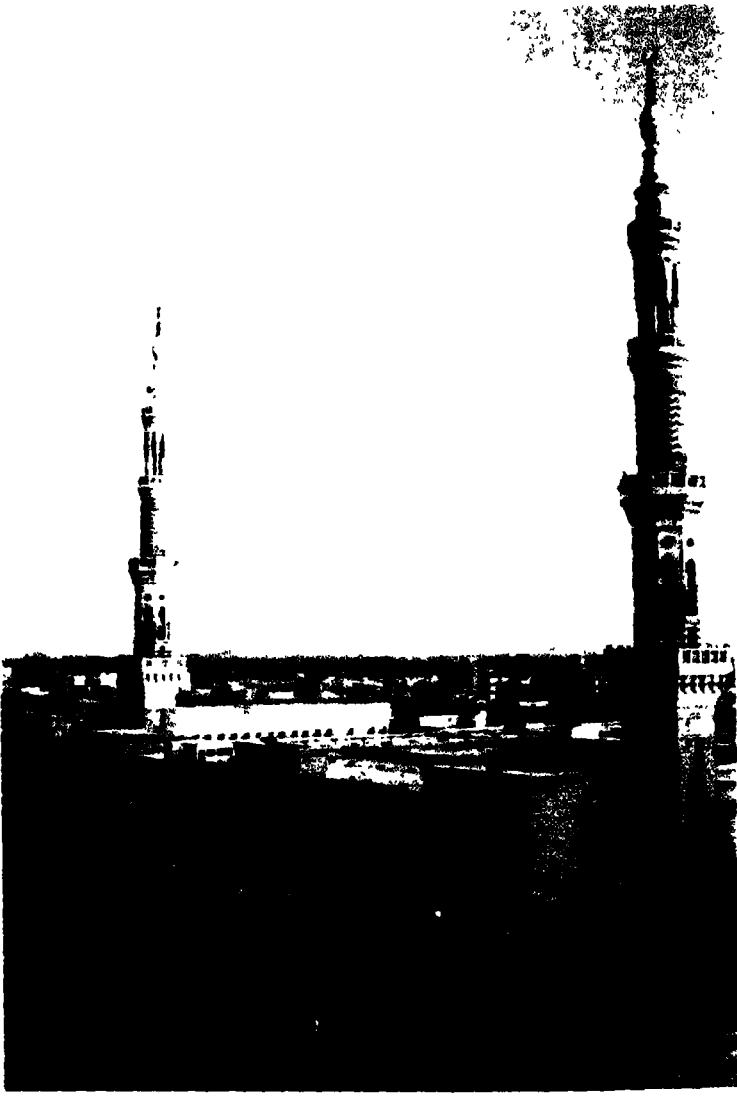
٥ ـ وادعى اوليج جرابار (١٥) لنفسه رأي سوفاجيه، دون أن يشير من قريب أو بعيد الى المصدر الذي نقل عنه مكتفيا بقوله : « الا ان في وسعنا اليوم بفضل ما وصلنا من مؤلفات الاقدمين ان نعرف تفاصيل المسار الذي أعـــاد المسلمون خلاله اكتشاف شكل البناء المعمد القديم وجعلوه ملائما للحاجـــات الجديــــدة » ٠

٦ ـ يعرض الكاتب أوليج جرابار ـ أو يتجاهل ـ عن أخبار المسجد النبوي الشريف كأول مسجد جامع بني في الاسلام،ثم دعت الحاجة الى توسعته في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم تجديد عمارته وتوسعته على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويدعي أن :

« المسجد المعمد بدأ أول ما بدأ بخصائصه الوظيفية في مستقرات العرب؟ في العراق كالبصرة والكوفة ، ثم لم يلبث هذا الرواق المعمد البسيط الذي نشأ في العراق أن تحول في مدن الشرق الادنى القديمة ـ وعلى الاخص دمشق ـ الى منشآت معمارية كبرى . الخ » .

٧ ـ سرت بين كتاب الفنون والعمارة الاسلامية الغربيين ، موجة ادعاء العلم الكامل بأصول انماط المساجد فيما تلا ذلك الى الآن ، لايبالون بنصوص التاريخ أو حقائق القرآن والسنة ، وينشرون ذلك في كل ما يكتبون بغير العربية ، والعجيب أن تترجم هذه الكتب كما هي بما في ثناياها من بهتان وتبث بين المسلمين .

الحقيقة التي انكروها :

وبالرجوع الى تفاصيل ما ذكرنا من نصوص دقيقة الوصف واضحة العبارة نجد أن المسجد الاسلامي الجامع :

١ ـ بدأ وجوده على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيدي صحابته،هم مهدوا الارض له ثم خطط رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بنوا وهو معهم .

٢ ـ كان المسجد بسيطا أول الامر بناء ـ أو كما تقول كتب السير ـ جدارا مجدرا بلا سقف ، حتى آذاهم الحر والبرد فاقيمت الظلة الاولى عند الجدار الشمالي المتجه الى بيت المقدس ، وكانت هذه الظلة مقامة على عمد من جذوع النخل ثمانية عشر سارية .

٣ ـ عندما حولت القبلة بأمر الله تعالى،أقيمت الظلة الثانية بنفس نظام الاولى وعدد سواريها،فصار بين الظلتين رحبة مكشوفة ، أليس هذا هو المسجد المعمد الذي يحاول المستغربون ان ينسبوه الى غير المسلمين ؟

٤ ـ وظائف القاعات الفارسية ومجلس الاكاسرة فيها ، ثم القاعات الرومانية ومجلس القياصرة أو القضاة فيها ، ثم الكنائس ومكان المذبح فيها ، كلها تختلف عن وظيفة المسجد،وما يؤدى فيه من عبادات،وما تعقد فيه من حلقات الدرس،أو مجالس القضاء أو قيادة الجيوش وعقد ألويتها .

٥ ـ المساحات التي استغلت لبناء المساجد،واتجاه جدار القبلة فيهـا لتحديد اتجاه الصلاة،ملتزمة الرواق المغطى فيمقدمالمسجد ثممؤخره،والساحة المكشوفة،لم تلتزم بطول معين لاي جدار من جدران المساجد،لان ذلك يحكمـه المكان والمساحة التي اختيرت لبناء المسجد،ولذلـك التزمت المساجد الاولى بالعناصر،وتحررت من قيد المساحة المربعة او المستطيلة في كل مدينة حسب ما يتاح لهـا ٠

٦ ـ وما قيل بعد ذلك من ادعاءات انما منشؤه الجهـل التام بوظائف المسجد وشعائر العبادات ممن قال بهذه الآراء حتى ومن تبعهم ٠

٧ ـ تطور العناصر المعمارية من البساطة الى المتانة والصلابة ، لم تغير من عناصر المساجد وتخطيطها ، وخاصة المسجد النبوي الاول على عهد عمارة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، عندما بناه بالحجارة المنقوشة والقصة جدرانا وعمدا لانه التزم بنظام التخطيط النبوي الشريف ، فلا مجال لدعوى اعـادة الاكتشاف المعمد التي كشفت تخبطهم في أقوالهم ٠

٨ ـ مذابح الكنائس البازيليكية وغير البازيليكية مكانها صدر البنـاء مشرقة الاتجاه ، وحجم جدار المذبح وما فيه من حنايا ، كل ذلك يختلف عن اتجاه جدار القبلة في بلاد الارض تبعا لزاوية الاتجاه الى الكعبة قبلة الاسلام وعجيب أن هذا أمر لم يلتفت اليه مستشرقوا العمارة ٠

أما مكان الامام من صفوف الصلاة ، فيخالف تماما مكان الكهنة والرهبان في مذبح الكنيسة من الواقفين أمامهم لسماع الزمزمة والتشميس وترديـد مكائهم وتصديتهم ، كما يختلف عمل المصلين المسلمين في شعائرهم عن مراسم التجمعات في قاعات الفرس أو بازيليكات الرومان ٠

وعاد الحق أبلج :

وبعد فهذه عمارة المسجد الاسلامي الاول في صورته الاصيلة ، التزم بهـا المسلمون قرونا عديدة تخطيطا ونظاما،وان اختلفت المواد المعمارية،واقتضت ظروف التطور العمراني لمدن الاسلام أن يصبح المسجد ذو الوظائف المتعددة مساجد متخصصة ، وكانت أبرز صور هذا التعدد هو قاهرة المعز لدين الله في بلاد مصر وذاك حديث آخر يطول ويمتد بطول وتعدد الابنية الدينية التي جمع وظائفها أول مسجد بني في الاسلام على صاحبه ومخطط عمارته أزكى صلاة وأتم سـلام ٠

المراجـــــع :

١ ـ تاريخ ابن خلدون ج ٢ بتحقيق الامير شكيب ارسلان ص ١٨٨ ، ١٨٩ ٠

٢ ـ طبقات ابن سعد ج أول قسم ثان ص ٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ٦ وما بعدهـــا ٠

٣ ـ تصدى لمناقشة هذا الادعاء الدكتور احمد فكري وفنده في كتابه المدخل الى مســاجد القاهرة ومدارسها وكتابه جامع القيروان ٠

٤ ـ يروي الزركشي في كتاب اعلام المساجد عن الحافظ شمس الدين الذهبي في بلبـــل الروض : لم يبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى تسعة ابيات حين بنى المسجد ، ولا احسبه فعل بعد ذلك ، انما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة بنت زمعة ام المؤمنين ، ثم لـــم يحتج الى بيت اخر حتى بنى بعائشة في شوال من السنة الثانية ـ اعلام الساجد ٢٢٤ ٠

٥ ـ الغرقد نبات شوكي مرتفع غليظ الاوراق له ثمر مخروطي الشكل يؤكل ـ بتصرف عــن المعاجــم ٠

٦ ـ استنجل الوادي اي نبت فيه النجيل ويفهم من هذا أن الماء كان نشعا فيه نجيل ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ٥ ٠

٧ ـ مسالك الابصار للعمري ج ١ ص ١٢٥ ٠

٨ ـ وفاء الوفي للسمهودي ج ١ ص ٢٣٩ ٠

٩ ـ يراجع في ذلك « العرب فى احقاب التاريخ » للاستاذ أمين المدني ط دار المعـــارف بمصر ـ انظر العدد الخامس من السنة الثلثة من مجلة منار الاسلام ٠

١٠ ـ كل ذلك اسم للطوب المحروق غاية الامر ان اختلاف التسمية يرجع لاختلاف البــلاد والطينة المستعملة في اللبنة المحروقة هل هي طينة طفلية أم رملية واللبن طين مجفف غير محروق ٠

١١ ـ الطبقات الكبرى ج ١ ق ثان ص ٢ ، ووفاء اوفى ج ١ ص ٢٤٨ وما بعدها ٠

١٢ ـ صحيح مسلم ج ٥ ص ٩ وما بعدها ٠

١٣ ـ العمارة الاسلامية المبكرة ج ١ ص ٥ بالانجليزية ٠

١٤ ـ في كتابه المسجد الاموي بالمدينة ١٩٤٧ بالفرنسية ٠

١٥ ـ في مقال عن العمارة والفنون من كتاب عبقرية الحضـــــارة العربية ص ٩٠ ـ ١٠٥ الطبعة العربية ٠
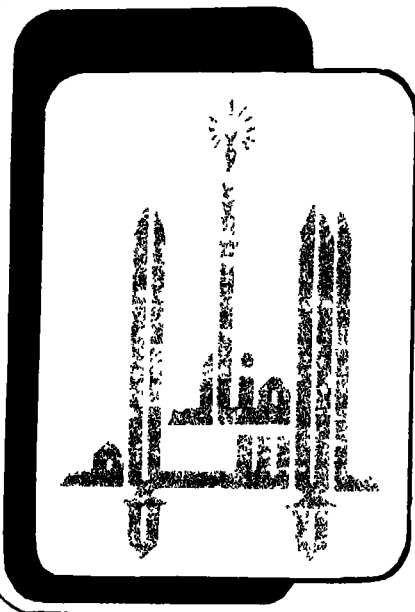
وزير الأوقاف الأردني يتحدث إلى...

تحدث معالي الاستاذ كامل الشريف وزير الاوقــاف وشئون المقدسات الاسلامية بالاردن الى مجلة « ... » ··· أعلن أن المشكلة الرئيسيه التي تواجـــه المجتمعات الاسلامية اليوم هي الانفصــــام بين انتمائنا للاسلام ، والواقع المغاير الذي نعيشه،والعلاج الرئيسي هو أن تتحقق القناعة لدى الحكام والشعوب اننا لا نملك خيارات كثيرة ، فاما أن نعيش كمسلمين ، واما ان تزداد التبعية وتتعمق آثارها السلبية ·

وقال الوزير : ان حركة التضامن الاسلامي الراهنة تشكل بداية ضرورية للوحدة الاسلامية ، وأكد أن قضية القدس تحتاج الى تكاتف الجهود الاسلامية في خطـــة شاملة بكل اركانها السياسية والاقتصادية والعســكرية لتحريرها،على أن تقف وراء هذه الخطةالعزيمة الاسلامية

وقد أدلى معالي الوزير الاردني بهــذا الحديث الى مجلة (منار الاسلام) في خلال زيارته لدولة الامــارات العربية المتحدة في الشهر الماضي ···

وفيما يلي نص الحديث الذي دار بين معالي الوزير ومندوب المجلة :

س : الدعوة الاسلامية في الوقت الحاضر تحتاج الى اعداد جديد للدعاة ، وتخطيط جديد للدعوة ، فما هو راي معاليكم في التخطيط لهذا العمل حتى تتحقق أهدافه ؟

ج ـ التخطيط الجديد للدعوة يجب أن يسبقه اعداد الدعاة اي ان يتحدد السبيل حتى تاتي الدعوة على بصيرة : « قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة » ، ولا شك في أن الرسالة واضحة مستقيمة ، ولكن الحاجة تبدو ماسة لخطة عملية تاخذ في الحساب جميع الظروف والاعتبارات الواقعية حتى يمكن ان تصل دعوة الحق للناس دون صعوبات .

والخطوات التي لا بد منها هي اولا ايجاد وعي عام لدى الشعوب والحكام ، بضرورة التمكين للدعوة الاسلامية والاجتماع عليها،وجعلها الاطار الوحيد للبناء الاجتماعي والسياسي ، ثم العمل على اقامة مؤسسات اسلامية تعكس الواقع الاسلامي على الحياة في جميع مجالاتها ، فأذا قامت فئة مؤمنة واعية على هذه الدعوة،ومارست كل الاساليب الصحيحة المشروعة ، فيتهيئة هذا المناخ واعية ـ كما أسلفنا ـ جميع الظروف والاعتبارات العملية،ياتي مع ذلك ومن خلال انشاء جيل من الدعاة المدركين الواعين لهذه الخطة،الذين

مشكلتنا الرئيسية الانفصام

● تكاتف الجهود

تنسجم انشطتهم وأساليبهم معها ، فلا يكون هناك تناقض لا بين الداعية والدعوة ، ولا بين الدعاة انفسهم ، الامر الذي يحدث احيانا ، فيقود الى اضعاف الحركة الاسلامية واضاعة الفرص من امامها .

مشكلات العالم الاسلامي :

س : تعاني المجتمعات الاسلامية اليوم مشكلات متعددة ، فما هي الحلول التي يطرحها معالي الوزير باسم الاسلام لعلاج هذه المشكلات ؟

ج ـ هناك مشكلات عديدة فعلا يصعب تحديدها في هذا الحيز المختصر والمشكلة الرئيسية ، أو المشكلة الام التي تتفرع منها بقية المشكلات هي الانفصام بين انتمائنا للاسلام ، والواقع المغاير الذي نعيشه ، وهذه الفجوة يمكن أن تزداد باستمرار اذا بقيت هذه الحالة دون علاج ، والعلاج الرئيسي ايضا ان تتحقق القناعة لدى الحكام والشعوب اننا لا نملك خيارات كثيرة ، فاما أن نعيش كمسلمين بما يتبع ذلك من رضوان الله ومن الآثار الحسنة في الدنيا من قوة واستقرار ومناعة ، واما

بين انتمائنـــا للاسلام والواقع المغاير الذي نعيشه اليوم ٠

الاسلامية كفيل بحل قضية القــدس ٠

ان تزداد التبعية وتتعمق آثارها السلبية، فاذا وقعت هذه القناعة ويجب ان تقع باسرع وقت ممكن سيصبح في الامكـان ايجاد حلول لكل المشكلات التي نواجهها من المنطلق الاسلامي،وتحديد هـــذا المنطلق ، والتحرك منه هو في نظـري اهم من الحلول نفسها،لانه يجمع الامة على أمر واحد ويقيم صفها على طريقة واحدة ، وهذا الاجماع يحركها نحـو تحقيق الاهداف الكبرى ، ومما لا شك فيه ان اي مشكلة يمكن أن نتصورها بعد ذلك ستجد حلها العملي من خـــلال المنطلق الاسلامي،سواء أكانت تلك المشكلة سياسية ام اجتماعيـــة أم اقتصادية ، ويجب الا ننسى أن الاسلام نظريـــة متكاملة لا تقبل الشرك أو المشاركة ، انها تستفيد من كل ايجـابي وتتجانس معه ، ولكنها لا تقبل الخضــوع أو أن يفرض عليها ما ليس منها،واذا وقـع هذا (الفرض) فان المجتمــع يتعرض للتناقضات والقلق والاضطراب كما هو الحال في اكثر البلدان الاسلامية ٠

نصيحتي للشباب :

س : مرحلة الشباب تشمل قطاعـا كبيرا مؤملا في غد الاســلام المشرق ، وهو يعاني معانـــاة قاسية في ثقافته العقائدية ، فما هي نصيحتكم للشباب ، حتى يعيش الاسلام فكرا وسلوكا ؟

جـ ـ نصيحتي المبدايـــة للشباب ا[illegible] يغتر بالظواهر وان يعمد للحقائـــ[illegible] فيستوعبها ٠ ونصيحتي له أن يتمس[illegible] بشخصيته المستقلة التي ترتبط بعقيد[illegible] وتراثه ، لكن القضية اخطر من مجـر[illegible] النصائح،فالشبـــاب المسلم يتعر[illegible] لتيارات عنيفة تريد أن تستولي عليـ[illegible] وهي تيارات مزودة بكل الوسائل ، و[illegible] تظهر احيانا في برامج التعليم المدخول[illegible] أو وسائل الاعلام ، أو العادات والتقال[illegible] الغربية ، أو غير ذلك من الاساليب الت[illegible] تطرق عليـــه كل باب ، مما يؤكد ا[illegible] المطلوب هو خطة عملية،تتناول هـ[illegible] المجالات كلها،هدفها حمايـــة الاجيا[illegible] المسلمة وابقاؤها رصيدا للاسلام،وليس[illegible] حربا عليه ، وهذه الخطة يجب أن تأخ[illegible] في اعتبارها مرحلة الشباب وما يتخلل[illegible] من تغيرات نفسية وتطلعات انسانيـ[illegible] وهي قضية كبيرة تحتاج فعلا الى تخطي[illegible] ومتابعة على كل المستويات ٠

قضية القدس :

س : قضية القدس هي القضية الاو[illegible] لكل مســـلم ، فما هي الحلـــول ا[illegible] تطرحونها لحل هذه القضية حلا يرض[illegible] عنه الاسلام ويرضى به المسلمون ؟

جـ ـ قضية القدس كانت وما تـ[illegible] ترتبط بالواقع الاسلامي وتتأثر به [illegible]

قص شريط الافتتاح لجمع المحاكم بالشارقة · بدعوة من سمو الشيخ سلطان القاسمي حاكم الشارقة وعضو المجلس الاعلى ·

سمو الشيخ سرور بن محمد رئيس ديوان سمو رئيس الدولة اثناء مقابلته لمعالي الضيف ··· وحضر المقابلة معالي وزير العدل والشئون الاسلامية والاوقاف ·

سمو الشيخ سلطان القاسمي حاكم الشارقة مع معالي الضيف بعد افتتاح مجمع المحاكم بالشارقة

خلال جلسة المباحثات التي عقدت في وزارة العدل بابوظبي ، وحضرها سعادة وكيل وزارة العدل عبد الله ابو خاطر ٠

مراحل كثيرة من تاريخنا كانت هي المقياس للواقع الاسلامي فاذا انكمشت العقيدة وضاعت في نفوس المسلمين ضاعت القدس معها ، واذا عادت العقيدة تحتل مكانها في القيادة والتاثير عادت القدس معها ، والحالة الراهنة تنسجم مع هذه القواعد .

أما الحل الذي لا أرى غيره ، فهو ان تتكاتف الجهود الاسلامية في خطة شاملة ، بكل أركانها السياسية والاقتصادية والعسكرية لتحريرها ، وبالرغم من كل الدلائل المعوقة، فان خطة من هذا النوع كفيلة بان تنجح، بل اقول ان خطة تقف من ورائها العزيمة الاسلامية يمكن ان تحقق الهدف ، ربما دون قتال ، وأعتقد ان اية مساعي دون وضع هذه الخطة وتسخير الموارد اللازمة لها ، لن تحقق شيئا خصوصا اذا ادركنا طبيعة الخصم الذي نحاربه ودرسنا فكرته وعقليته دراسة مجردة .

والواضح أن هذا الحل لا يمكن أن يتحقق الا ضمن تطور اسلامي شامل يضع العقيدة الاسلامية أولا في مكانها الصحيح ، من التوجيه والتاثير ، ويثير في الشعوب الاسلامية اخلاق الاسلام من التجرد والشجاعة وانكار الذات وهي الخصال التي حملت اجدادنا في مسيرتهم العظمى والتي تحمل – في الواقع – كل امة تتجه للاهداف الكبار

وما يقال عن القدس يقال عن المقدسات الاخرى .

الوحدة الاسلامية :

س : الوحدة الاسلامية الكبرى أمل حبيب يراود كل مسلم ، فما هي الخطوات التي يجب أن تتبع لتحقيق هذا الامل الغالي ، وما هو دور دولة الاردن الشقيقة بالنسبة للوحدة العربية والاسلامية ؟

ج – أعتقد أن حركة التضامن الاسلامي الراهنة تشكل بداية ضرورية للوحدة الاسلامية ، فهي حركة واقعية تعترف بوجود التجزئة في العالم الاسلامي ولكنها تتجاوزها لارساء تنسيق مرن بين الدول الاسلامية والتعاون في الحقول الممكنة بافتراض ان الممكنات تظهر باستمرار .

وأعتقد ان الوحدة الاسلامية كالوحدة العربية لا يمكن ان تاتي طفرة واحدة بسبب الواقع الذي خلقته ظروف تاريخية وبسبب الاوضاع الدولية الراهنة التي تعمل دائما ضد قيام تكتلات جديدة في العالم، ولذلك فلا مفر أن نبدأ بالبدايات، وان نقتنع بالممكن ثم نطوره دائما الى ممكنات جديدة، واعتقد ان ميثاق المؤتمر الاسلامي يكفل هذا القدر، اذا توفرت النيات الحسنة، والفطرة الحكيمة التي تتجاوز المصالح الضيقة والاعتبارات الآنية . نحن نقتنع الآن ان تتجه الطاقات الاسلامية نحو التكامل في المجالات الممكنة، لان قيام مؤسسات اسلامية مشتركة وتحقيق تعاون اسلامي في برامج التنمية والاعلام والاقتصاد

وغير ذلك سيكون بمثابة شرايين جديدة في الجسم الاسلامي وقواعد ثابتة للوحدة المنشودة يصعب الغاؤها ٠

الاردن ٠٠ والقضايا الاسلامية :

س : لوزارة الاوقاف وشئون المقدسات الاسلامية في الاردن نشاطاتها واهتماماتها بالقضايا الاسلامية ، فما هي الاهتمامات التي توليها رعايتها سواء بالنسبة لنشر الدعوة الاسلامية في الداخل والخارج ، ثم ما هو دور وزارات الاوقاف والشئون الاسلامية في العالم العربي لخدمة الاسلام والمسلمين وأية عقبات تواجهها في هذا الصدد ؟

جـ ـ الاردن بطبيعة تكوينه وانتمائه ووضعه الجغرافي ، لا يملك الا أن يكون مخلصا للوحدة الاسلامية حريصا عليها وقد كان من أوائل الدول التي دعت للفكرة،كما كان سباقا لتلبيتها حين اخذت شكلا عمليا محددا ولا يزال يفي بالتزاماته ازاءها ٠ والاردن يتعرض لما تتعرض له سائر الدول الاسلامية من تيارات وافكار ولذلك يحرص على أن يتبادل التجارب والآراء مع سائر الدول الاسلامية ٠

أما بالنسبة لوزارة الاوقاففي الاردن فهي تحاول كما تحاول سائر الوزارات في دعم الدعوة الاسلامية وصيانة مؤسساتها وتطوير أساليب الدعوة بما يتفق مع الآمال الكبيرة التي اشرنا اليها ، وللاردن مشاكل خاصة بها مثل المواجهة مع الحركة الصهيونية في المناطق المحتلة . وكذلك بالنسبة لاطماع التوسع الاسرائيلي التي يعتبر الاردن احد مجالاتها ، وذلك يفرض علينا مسئولية خاصة لا في الدفاع عن نفسنا فحسب،ولكن في الدفاع عن الوطن الاسلامي كله ، ودور وزارة الاوقاف الى جانب الادوار العادية في بناء المساجد وصيانتها وانشاء دور العلم ومتابعة تنشيط الفكر الاسلامي ، هو شحن الشباب بالقيم الاسلامية حتى يكونوا على استعداد للذود عن أرضهم ومقدساتهم ، اما العقبات فهي كثيرة ومتعددة من اهمها وجود تيارات تعارض هذا الاتجاه ، اما عن جهل أو سوء نية كما أن موارد الاردن وخصوصا وزارة الاوقاف موارد قليلة لا تتكافأ مع هذه المسئولية الكبيرة ، ولكننا نحاول وعلى الله قصد السبيل ٠

الصحافة الدينية :

س : الصحافة الدينية في العالم الاسلامي ـ برغم المصاعب التي تواجهها ـ اصبح لها دورها ومكانتها

وزير الأوقاف الاردني يتحدث

في التعريف بالاسلام وثقافته وحضارته وتاريخه وتأكيد معالمه الى جانب الكشف عن الانحرافات في العقائد والسلوك وعلاجها ترى اية آمال ترجوها معاليكم للصحافة الدينية حتى تسهم في توجيه الاجيال نحو وعي اسلامي يخدم ديننا الحنيف لما فيه مصلحة أمتنا الاسلامية وتربية شبابنا المسلم تربية دينية أصيلة؟

جـ ـ نحن نحتاج الى نوعين من الصحافة احداها الصحافة الدينية المتخصصة والنوع الثاني استغلال كل وسائل الاعلام الاخرى للوصول الى الجمهور ، لان الصحافة الدينية تتحرك في قطاع ضيق بالنسبة للمجتمع ككل ، وفي كل الاحوال لا بد من الاستفادة من الوسائل الحديثة في الطباعة والاتصال والتوزيع ، كما يجب مراعاة التنويع والتشويق حتى لا تكون الصحيفة جامدة أو قاصرة على طبقة معينة .

وفي بعض الصحف الدينية الاحظ الاتجاه الى عرض آراء الاسلام في قضايا معينة عرضا مجردا دون التركيز على القضايا المعاصرة واساليب التطبيق العملي في اطار الواقع الراهن، مما يجعل البحث مبتوت الصلة بواقع الناس وهذا الاسلوب وان كان فهما للنخبة المتخصصة ، الا أن الامر ليس كذلك بالنسبة للجمهور الذي ينبغي كسبه الى جوار الصحيفة والى جوار الحركة التي تعبر عنها .

اما بالنسبة لخبرة الاعلام الاخرى ذات التاثير الواسع على صياغة الفكر وتسديد الانتماء الشعبيين فلا بد من اعطائها عناية اكبر عن طريق توجيه الشباب الاسلامي للتخصص في فنونها وفروعها المختلفة وعن طريق اقامة مؤسسات اعلامية انتاجية برءوس أموال اسلامية وكفاءات اسلامية بمعنى آخر يجب استخدام جميع الاسلحة التي حوربت بها العقيدة حتى يمكن رد هذا التيار الجارف .

على موائد الفقهاء

للاستاذ : مصطفى الخالدي
رئيس النيابة الاتحادية - ابوظبي

يرى ابن أبي ليلى رحمه الله ، ان الحدود تسقط بمضي المدة سواء أكان طريق ثبوتها هو البينة أم كان طريق ثبوتها هو الاقرار ، وذلك لان هذه العقوبات للانزجار والردع، وترويع المجرمين ، وذلك يكون ابان وقوعها : وتأخيرها يذهب بمعنى الردع فيها ، ولان المجرم مظنة أن يكون قد تاب واقراره لتطهير نفسه مظنة توبته، ومظنة التوبة في ذاتها تجعل العقاب قد صادف نفسا تطهرت من الذنوب وتابت الى الله توبة نصوحا - انتهى - .

الاثبات هو الشهادة أو الاقــرار ، فلا يشترط الا تنقضي مدة معينة ، ذلك ان حد القذف فيه حق العبد لما فيه مــن دفع العار عنه ؛ ومضي المدة غير مانع من حقوق العباد ، ولان الدعوى فيــه شرط فيحمل تاخير الشــهود في أداء الشهادة على انعدام الدعوى ، وان كان الاثبات بالاقرار فعدم مضي مدة معينة فيه ليس بشرط ايضا لانه اذا لم يشترط الا تنقضي مدة معينة في الشهادة على القذف فاولى أن يكون كذلك في الاقرار ولكن اذا تاخر الشهود بعد الدعوى ، بأن دعوا لسماع شهادتهم فلم يستجيبوا من غير عذر مقبول ، ثم بعد ذلك حضروا ليؤدوا الشهادة ، فانه حينئذ تكــون مظنة التهمــة وان الذي حركهــم هو الضغن ، وتلك شبهة يسقط بها الحــد ، أو بالاحرى لا يثبت معها الحد ٠

المدة المعتبرة :

واختلف فقهاء الحنفية في تحديــد هذه المدة على الوجه التالي :

فالراجح عند أبي حنيفة انه لم يقدر مدة معينة وانه فوض ذلك الى تقديــر القاضي في كل عصر وقد احتــــج ابو حنيفة في عــــدم تقدير المدة بأن التاخير قد يكون لعذر ، والاعذار مختلفة والقاضي هو الذي يقدر الاعذار فهــو الذي يقدر المدة ، واحوال الشــــهود والناس والعرف تختلف في ذلك،فيوقف الامر على نظر كل واقعة فيها تأخير ، والوقائع تختلف والبلدان تختلفاعرافها واحوالها ، فكان التقدير متعذرا ، فيترك الامر للقاضي ٠

ويضيف الدكتــور محمد عــوض الاحول : وكون أبي حنيفة لم يقــدر المدة فقها لا يمنع ولي الامر ان يقدرها نظاما ولولي الامر أن يعين للقاضــي المدة التي يراها ملاحظا في تقديرهــا ملابسات الاحوال وشئون الزمــان واعراف الناس ٠٠

وذكر في الجامع الصغير ان المدة ستة شهور ونسب هذا الراي الى محمد وروي ايضا عن محمد تقديرها بشهر لان ما دونه عاجل وهو يروي عن ابي حنيفة وابي يوسف ٠

واضاف الدكتور ايضا ٠٠ وقال الشيخان ابو حنيفة وابو يوسف ان المدة في حد الشرب تقدر بذهاب الرائحة فاذا سكت الشهود عن الحادث حتى زالت الرائحة امتنع قبول الشهادة ٠

اتفاق الائمة في جرائم التعذير :

ويضيف ٠٠ ويذهب مالك والشافعي واحمد متفقا مع مذهب ابي حنيفة الى القول بتاثير مضي المدة في جرائم التعذير لان لولي الامر حق العفو عن الجريمة وحق العفو عن العقوبة في جرائم التعذير واذا كان لولي الامر ان يعفو عن العقوبة فيسقطها فورا فان له ان يعلق سقوطها على مضي مدة معينة ان راى في ذلك ما يحقق مصلحة عامة او يدفع مضرة ما دام ان الامر في نطاق التعذير الواجب لله تعالى دون مساس بالحقوق الشخصية للافراد « ص ٢٧-٣٣ الدكتور محمد عوض الاحول انقضاء سلطة العقاب بالتقادم » ٠

وينتهي الاستاذ عبد القادر عوده في كتابه التشريع الجنائي الاسلامي ص ٧٨١ الجزء الاول الى هذا القول :

وخلاصة راي الحنفيين في سقوط العقوبة بالتقادم ان عقوبات التعاذير تسقط بالتقادم ايا كان الدليل الذي بني عليه الحكم وان عقوبات الحدود فيما عدا القذف تسقط بالتقادم اذا كان دليل الجريمة فيها هو الشهادة فاذا كان دليل الجريمة الاقرار فلا تسقط الا حد شرب الخمر على راي أبي حنيفة وابي يوسف ٠

بين انبـلاج الصبح والاظـلام ... يمسي الوجود مروعا بقتـام
حتى يجيء الفجـر في ابهائـه ... يجلـي الظلام بوجهه البسـام
يحيا الوجود ، وتنتشـي أعطافه ... ويقوم حق في دجى الاوهـام

★ ★ ★

كان الوجود يعيش قبل محمـد ... وسط الضـلال ، ولجـة الابهام
لم ينصـف الناس الاله فيمموا ... شطر الحجارة ، أو دمى الاصنام
صنعوا من الحجر الاصـم الههم ... عبدوا الصنيع ، لغفلة الأحـلام
قد أخطأوا سبل النجاة فحومـوا ... حول الهلاك ، وحماة الاجـرام
غرقوا ببحر لجّـه متاسـن ... ضـلوا الطريق ضلالة الانعـام
ناموا على عطن الرذيلـة أمهم ... وأمامهم ، وتطلعـوا لفطـام
لا يفطـم الضـليل من نزواتـه ... الا بهـدي آخـذ بزمـام
لا ينمحـي الليل المحلك جنحه ... الا بفجـر هـازم لظـلام
فالفجر كان محمـدا برسـالة ... غـراء تحيي الكون بعد حمـام

★ ★ ★

بزغ الضياء .. ضياء يوم محمد ... فغزا الضياء مسـارب الافهـام
عم المشـارق والمغارب ضـوؤه ... يحدو الخلائق نحو دين سـلام
فتزلزلت صُـرح الرذيلة جمـة ... والشـرك اضحى لائذا بحطـام
ايوان كسرى راعه نور الهـدى ... فانهـار فوق مبـاءة الاصنـام
طلعت شموس الحـق فوق عوالم ... كيف البقـاء لحيرة الاقـوام
لا شرك بعد هدايـة أبديـة ... ولدت مع المختـار صنو سـلام

شعر :
عبد الغني أحمد ناجي
مدرس أول بالفيوم
جمهورية مصر العربية

★ ★ ★

عرف العفاف مؤصل من آدم — حتى قريش ، أو بطون هشام
فتحدر النور الندي لاحمد — ليكون خير هداية لانام
كالعطر يعبق فائحا من ورده — والزهر منبثقا من الاكمام
من مكة كان انبثاق هداية — سارت مسير الشمس بالاسلام
شع الضياء بأرض يعرب هاديا — انساح يوقظ غفلة النوام
قد أيقظ القوم الذين لديهم — فطر تعد الحق خير مرام

★ ★ ★

من بعد ليل لا محالة بازغ — فجر يجيء مبددا لظلام
كان الوجود يعيش قبل محمد — في لجة ·· في حيرة ورغام
فاتى النبي ضياء هدي ساطع — فغدا لهذا الكون خير امام
واستل من جوف القلوب ضغائنا — فغدا الاخاء مجمعا لانام
بالدين والتوحيد أضحى جمعنا — يشدو نشيد أخوة وسلام
كل لآدم في شريعة أحمد — أبناء حام اخوة للسام

★ ★ ★

يا صاحب الذكرى العظيمة اننا — نقفوا جهادك في الوغى بنظام
فلأنت أشجع من تصدى للطغاة — مكافحا بعزيمة وحسام
ان الجهاد فريضة مشروعة — كصلاتنا وزكاتنا وصيام

يعلم الكثير منا كثيرا كان أو قليلا عن بطولات بعض تلامذة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا يكاد يخفى عليه خالد بن الوليد الذي ما خاض معركة أو دخل معمعة الا وكان النصر حليفه والفوز أليفه حتى قيلت في أحوال انتصاراته الأقاويل وغدت في ألسنة البعض كأسطورة من الأساطير .

وندرك ـ ولا شك ـ عن بطولات الامام علي كرم الله وجهه ونعلم عن مدى قوته التي اذهلت الاعداء من الفرس ـ وهم لا يدينون بدين الحق ـ ففتنوا به وراحوا يسجلون على دروعهم وأسيافهم ورماحهم اسمه تفاؤلا بالنصر في حروبهم .

ويابى التاريخ الا ان يتحدث عن قوته بما لا يكاد يحتمله العقل الا بعسر أو يهضمه الا بصعوبة ، فهذا أبو رافع

يحكي في غزوة خيبر التي وقعت في سنة سبع من الهجرة ، فيقول : خرجنا مع علي رضي الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ، فخرج اليه اهل الحصن وقاتلهم علي رضي الله عنه • فضربه رجل من اليهود فطرح ترس علي من يده فتناول بابا كان عند الحصن فتترس به ولم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده ، فقد رايتني في سبعة نفر نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما قدرنا على قلبه •

هكذا توصف قوة علي وتوصف شجاعته ويبين جلده وبطولته ، ولا يخفى علينا أبو بكر وثباته وعمر وعزمه وحمزة

للاستاذ : علي يوسف علي
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالسودان

دائماً وما يكون أحد أقرب إلى العدو منه

واصراره وابوعبيدة وحكمته ٠ نعم اننا نعلم عن هؤلاء وأولئك كثيرا كان أو قليلاءغير اننا لا نكاد نعلم عن استاذهم ومربيهم لا سيما في هذا المجال - ان علمنا - الا النذر اليسير،وكان الاولى ان نعلم عنه صلى الله عليه وسلم في مقدمة أولئك محاولين التاسي به والاقتداء كما فعل أصحابه الكرام « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »٠

ولما كان المجال لا يتسع الا لبعض الشذرات نستجمعها من خضم بعض المعارك،ونلتقطها من خلال تلك المواقف المحمدية،انه لما كان الامر كذلك حق لنا أن نتناول ولو قطرات من تلك الجوانب وذلك لما في موضوع الشجاعة من أطراف عدة وفروع ممتدة،وعليه فلا يفوتنا عزمه صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يتيم وحيد،او عفوه وهو انذاك ذو قوة وركن شديد،كما لا ينبغي ان يفوتنا ما كان بين ذلك من صبر وتصميم وثبات واصرار،ولقد يتبادر الى الاذهان اول ما يتبادر في مجال البطولة الفذة والشجاعة النادرة التي حيرت الابطال واذهلت العقول ٠

شهادة ذلك البطل الهمام والشجاع المقدام علي بن ابي طالب وهو كما علمنا سلفا،حين سجل لنا وللتاريخ بأجمعه واصفا شجاعته صلى الله عليه وسلم ، ومن يصفها غيره وهو الصق الناس به

من بطولات وشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

واعرفهم عنه والزمهم له في حروبه وجهاده، يقول ذلكم الامام عن معجزة الشجاعة في الرسول عليه الصلاة والسلام : « كنا اذا احمرت الحدق وحمي الوطيس نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه » .

تلك شهادة بطل من اندر الابطال يبين على الملأ باسره، ويظهر علانية كيف أنه وامثاله من ابطال المسلمين يتضاءلون في المواقف المذهلة المحرجة، التي تشعل الرأس شيبا حتى يصيروا في حمايته صلى الله عليه وسلم، عالة أو كالعالة متجمعين خلف رسول الله محتمين به من العدو وهو اقربهم اليه ، مثلهم في ذلك مثل أطفال صغار يحتمون بآباء كبار عند رؤية شر محدق هم عن دفعه عاجزون وعلى صده لا يقدرون .

وهكذا يستمرون ابان ضراوتها وخلال فورانها وعنفوانها، حتى ينفرج الكرب ويزول الهول وتهدأ الحال بعد ان كادت تميز من الغيظ .

وعندئذ وفي مثل تلك المعارك الى رشدهم يثوبون وعن ذهولهم يثوبون، وهم من بعد أبطالنا ابطال الاسلام الذين ملأوا الارض كفاحا، وأقضوا مضاجع أهل الكفر والنفاق، حاملين دعوة الحق في الآفاق واكتظت ببطولاتهم وشجاعتهم الاسفار، حتى ضاق التاريخ عن حصر كل ما خلدوه واحصاء جميع ما تركوه من أمجاد ومآثر، فكيف بنا اذا نقف على شجاعته صلى الله عليه وسلم او نحاول تحديدها بحال من الاحوال ؟ واولئك هم تلاميذه انه ليكاد يكون ضربا من المحال .

فلننظر كيف كان صلى الله عليه وسلم وعلى سبيل المثال لا الحصر ، في الاقدام فعنه يقول عمران بن حصين (ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا وكان اول من يضرب) هكذا هو في الصدارة دائما، وفي مواطن الشدة والبلاء كيف لا؛ افيخشى على الحق من الباطل ؟

وعن أهل الطائف يقول ابن هشام : (ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق حدثني من اثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من رمى في الاسلام بالمنجنيق رمى اهل الطائف، ولقد كان يدرب اصحابه وكما اسلفنا، على احدث انواع القوى ويعلمهم اياها، ومن اجل ذلك (لم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن مسلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق) .

بلى لقد علمه القاصي والداني آنذاك وهو لا يزال في بداية الطريق كيف ضرب بمطالب قريش عرض الحائط رفضا ونبذا .

وليس له من يحميه سوى عمه ابي طالب، وهو يدرك انه لم يؤمن بعد فلربما تخلى عنه كما تخلى عنه من قبل عمه ابو لهب، بعد ايثار في البداية واعتدال، فهو قط لا يبالي بالظروف الحالكة حوله او يعبأ باغراء او تهديد ويطلق كلمته التي لا تزال تدوي في اذهان العالمين « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك دونه ما تركته » .

نعم انه الصمود والثبات صمود الحق وثبات اليقين ولو حاولوا المستحيل في صده عنها، ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره وهيهات هيهات انه رسوخ لا يعرف التردد واقدام لا يعرف الاحجام ومعنى لا يعرف القهقرة .

وتنقسم الآراء في « احد » فيشير البعض بالمكوث في المدينة، وآخرون بالخروج الى العدو ثم يراجع اهل الخروج انفسهم ويؤيدون المكوث، وهنا ياتيهم فصل الخطاب وملؤه الحزم الصارم والعزم والتصميم «ما ينبغي لنبي ان يضع لامته اذا لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » ثم ينطلق بهم صلوات الله وسلامه عليه لملاقاة عدو نسبتهم اليه نسبة الواحد على اربعة دونما ادنى توجس او تردد، وتقع المعركة ويحتدم اوارها بين صليل السيوف وقعقعة الرماح، وتتصاعد الى عنفوانها ويغلبون ثم يختل التوازن بالتنازع والعصيان، ثم تضع الحرب اوزارها وتتمخض النتيجة فشلا عن الانتصار « حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون » والرسول صلى الله عليه وسلم في جميع تلك المراحل والتطورات ثابت لا يتزحزح، راسخ كالطود العظيم يقاتل الاعداء ويتلقى سهامهم وجها لوجه وعن قرب وكثب، الى اخر لحظة من لحظات القتال، حتى أصيبت رباعيته وشج وجهه وكلمت شفتاه ثم اثقلته المتاعب بحفرة وقع فيها، وقد هرب الكثيرون بفعل أصحاب النفاق لا يسمعون له قولا وهو يناديهم « اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم » .

وبينما هو في تلك الحالة المشحونة بالآلام والاوجاع ، من كل ناحية من فشل في المعركة واصابة في النفس والاهل ، ومن نجاح لاهل النفاق في الخبث وعودة لملة الكفر من مكث ، اقول بينما الحال كذلك، اذا بجماعة من المؤمنين يماوزن عليه « يا رسول الله الا دعوت الله عليهم » وكأنهم يريدون ان يخسف الله بهم الارض او يسخطهم بعذاب من عنده كما فعل بامم من قبلهم وهنا تنبثق شجاعة من نوع آخر لم يكد يألفها ذو البشر الا لماما لدى الاخفاق، بل كان داعيا ورحمة

من بطولات وشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

« اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » ، هكذا تنساب منه كلمات السماحة والمثل وهو لا يزال تحت وطأة الآلام والاحزان.

نعم انه ضرب من الشجاعة قصرت دونه همم الابطال،فأي انسان كائناً من كان يتوقع منه اجابة كهذه وهو في مثل تلك الظروف ؟ وقد أوتي قدرة على الاهلاك « انه رحمة الله المهداة » « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

فتح مكة :

وتمر الايام ويمضي الزمان وتفتح (مكة) فتتجمع قبائل هوازن وثقيف وبنو سعد وبنو جشم لقتاله صلى الله عليه وسلم فتقع معركة (حنين) وكانت النفوس الخبيثة قد وجدت من يوم الفتح ثغرة ينفذ عليهم منها شيطان الضغينة والحقد،من تلك اللحظات الكريمة التي تفيض رحمة وانسانية عندما وقف صلى الله عليه وسلم في الجمع الذي لم يسبق له مثيل وقد خشعت القلوب واشرأبت الاعناق تتطلع على ما سيحدث ؟

هل تجز الرءوس ؟ أو ينفوا من الارض أو .. الخ ؟ وبينما يلتفت بعضهم الى بعض،ويتعالى صوت النجدة والاستجداء،اذا بصوت الحق يصدع – *اذهبوا فأنتم الطلقاء* » فيتفرق الناس *وهم لا يصدقون . أقول ربما أولت – حنين » هذا الموقف النبيل موقف العفو* عند المقدرة ضعفا واستكانة ولا عجب فلقد تعمي بعض المجاهر عن رؤية الحق ، فخرج صلى الله عليه وسلم لملاقاتهم لست خلون من شوال سنة ثمان من الهجرة وقد تربص العدو على رءوس الجبال وصب منها وابلا من السهام على المسلمين على حين غرة فولوا الادبار،وثبت صلى الله عليه وسلم ونفر من الاخيار،وهو ينادي نداء الحق « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » وهو يومئذ على بغلة تنقصها حركة الخيول في الوغى،واستمر الحال كذلك حتى ثابوا الى رشدهم،وأفاقوا من ذهولهم فرجعوا صوب قائدهم وهزموهم باذن الله ، يا له من موقف ضيق حرج . موقف تقشعر منه الابدان وتنقبض له الجلود والقائد لا يتزعزع قيد شعرة ، صلوات الله وسلامه عليك يا من وهبت الخير كله .

قال مالك بن عوف النصري بعد قتال أهل الطائف وهزيمتهم ، وهو قائدهم قال يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم على ما رأى منه وشهد :

ما ان رايت ولا سمعت بمثله
في الناس كلهم بمثل (محمد)
ارقى واعطى للجزيل اذا اجتدى
ومتى تشا يخبرك عما في غد
واذا الكتيبة جردت أنيابها
بالسمهري وضرب كل مه
فكانه ليث على أشبا
وسط الهباءة خادر في

تلك بعض كلمات مالك بن عوف وهو من عرف بالمجازفة وعدم المبالاة بالمخاطر ،ولقد رأينا كيف يقرن الشجاعة بالكرم،وتلك فطرة انسانية فالذي يعجز عن بذل ما لديه من مال فهو أعجز عن بذل نفسه بطبيعة الحال،فالشجاعةوالكرم توأمان لا يفترقان وصنوان لا ينفصلان فالفرد الكريم هو الشجاع في واقع الامر،والامة الكريمة هي الامة الشجاعة في حقيقة الامر،وان بدا لها ما بدا ،وتلك حالة تقودنا الى التحدث كخاتمة للمطاف ولو قليلا عن كرم الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

ففي توزيع غنائم « حنين » وبعد أن رد لهم النبي صلى الله عليه وسلم السبايا،اتبعه الناس في زحام يقولون اقسم علينا،حتى اختطف عنه رداؤه فنادى « ردوا علي ردائي أيها الناس فوالله ان لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا ٠ ثم قام الى جنب بعير فأخذ وبرة من سنامه بين أصبعيه ثم رفعها قائلا « أيها الناس والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس،والخمس مردود عليكم ،ربما ظنه البعض ممن دخل الاسلام حديثا انه مستأثر بالفيء لنفسه سيما والفيء كثير جذاب،فأراهم من نفسه ما يحبون٠

بل أغدق على هؤلاء أكثر مما أعطى غيرهم بكثير ٠٠ حتى وجد الانصار في انفسهم شيئا ٠٠ وقال قائلهم « فقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه » وأعلن آخرون « يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في انفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي اصبت ٠٠ » فنهض صلى الله عليه وسلم يريهم الحكمة فيما فعل،ويبين لهم حقيقة عرض الدنيا التي يتكالب عليها البعض،مؤثرين اياها على كل شيء،فقال « ٠٠ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم » قالوا بلى الله ورسوله أَمَنُّ وأَفْضَلُ ٠ قال « أما والله لو شئتم لقلتم فاصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ،وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الانصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ؟ أما ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى رحالكم ؟ » ٠

صلى الله عليك وسلم يا أشجع خلق الله واكرم خلق الله وأفضل خلق الله ٠

للدكتور غريب الجمال

ما هو البديل للفائدة ؟

أما باقي الاعمال المصرفية ،فتتمثل في خدمات مصرفية يباشرها المصرف الاسلامي بتوسع ، ويحصل في مقابلها على أجر أو ما يعبر عنه مصرفيا « بالعمولة » ٠

والمعالم الرئيسية لسياسة المصارف الاسلامية في مباشرتها لاعمالها تتمثل في :

١ ـ تركيزه ـ بالنسبة لمصادر دخله المتنوعة ـ على عنصر العمل ٠ ويتمثل هذا الاتجاه ، من ناحية ، في اعتماد المصرف الاسلامي على تحصيل أجر ما يؤديه من خدمات ، واهتمامه بتوسعة نطاقها خدمة لعملائه وللاقتصاد القومي في ذات الوقت ٠

كما يتمثل هذا الاتجاه ـ من ناحية أخرى ـ في عزوف المصرف الاسلامي عن تحصيل فائدة عن القروض والتسهيلات المصرفية ، اخذا في الاعتبار ان هذه الفائدة ما هي في حقيقة أمرها الا أجرة غير مشروعة للنقود،اذ ما كان للنقود أن تلد نقودا مثلها بغير

يقصد « بالمصرف الاسلامي » ، كل مؤسسة تباشر الاعمال المصرفية ، مع التزامها باجتناب التعامل بالفوائد الربوية ، بوصفه تعاملا محرما شرعا ٠

ومن هنا ، فان الوصف الاسلامي للمصرف ، انما يستهدف بيان هوية الالتزام المقرر في أسلوب التعامل ، الذي يسير عليه هذا المصرف ، في علاقته مع الناس ، سواء كانوا من المودعين أو من المولين المستثمرين ، وهو أسلوب ملتزم بمبادىء الشريعة الاسلامية ، أسلوب يطهر المعاملات التي تزاولها المصارف من أية محظورات شرعية ، ويوجد البدائل الاسلامية للمعاملات المحظورة ، وفي مقدمة هذه البدائل أيجاد أسلوب استثماري للودائع ، يتمثل في تأمين عائد لها في شكل نسبة من الارباح ـ أو في الخسائر اذا وجدت ـ بديلا عن الفائدة الثابتة المحددة مسبقا بنسبة من حجم هذه الودائع ، كما يجري عليه العمل في المصارف المعاصرة ٠

عمل وسعي ٠

ولذلك يسعى المصرف الاسلامي الى ايجاد بديل للفائدة فيما يباشره من أعمال استثمارية ، ويتمثل هذا البديل في ارباح المشاركات التي تنتج عن التعاون فيما بين رب المال والعامل عليه ، أي فيما بين المودعين أموالا لديه وبين المتمولين المستثمرين ٠ ويقوم المصرف الاسلامي بتنظيم هذه المشاركات ، اما بوصفه وسيطا ووكيلا عن المودعين ، أو يقرن هذه الوساطة بالاسهام جزئيا في المشاركات ٠

ب ـ تأكيد المصرف الاسلامي لقدرته على تحقيق وظيفة المؤسسة المالية بالكفاءة القادرة ، ذات الفعالية في مختلف اتجاهات النشاط الاقتصادي ، وعلى الاخص توليه :

ـ تجميع الاموال العاطلة ودفعها الى مجال الاستثمار والتوظيف ، بهدف تمويل المشروعات التجارية والصناعية والزراعية ، ومختلف القطاعات المتكافئة ، وسد احتياجاتها لتغطية

المصارف الإسلامية

نفقات الانشاء والتوسع المطرد ٠

– تكثير وسائل الدفع ، التي تعوض عن استخدام العملة وتنشط حركة التبادل التجاري المباشر فيما بين أنحاء العالم الاسلامي ، متعاونا في ذلك مع شبكة المصارف الاسلامية ، التي تقوم في كل مكان ، وتشكل خاصية استبعاد الفوائد من معاملات المصرف الاسلامي ، المعلم الرئيسي له ، وتجعل وجوده متسقا مع البنية السليمة للمجتمع الاسلامي ، وتصبغ أنشطته بروح رسالة الاسلام ودوافعه العقائدية ، حيث تجعل القائمين عليه يستشعرون دائما أن العمل الذي يمارسونه ليس مجرد عمل تجاري بهدف تحقيق الربح فحسب ، بل هو اضافة الى ذلك لا بدلا عنه ، كأسلوب من أساليب الجهاد في حمل عبء الرسالة الاسلامية، والاعداد لاستنقاذ الامة من مباشرة أعمال مالية ومصرفية مجافية للاصول الشرعية ٠

وفوق كل ذلك – وقبله – يستشعر هؤلاء العاملون ، أن العمل عبادة وتقوى مثاب عليه من الله سبحانه وتعالى ، بالاضافة الى الجزاء المادي الدنيوي ٠

وأساس خاصية المصرف الاسلامي ومعلمه الرئيسي في استبعاد الفوائد من معاملاته ، ان الاسلام حرم الربا ، وسوءات الربا معلومة للناس جميعا ، وفي مقدمتها انه يفتح باب الظلم والاستغلال الظالم في المعاملات ٠

فعقد القرض الربوي يضمن للدائن زيادة في رأس ماله دون تعرضه لتحمل اي خسارة ، أي حصوله على رأس ماله مضافا اليه الفوائد ٠

وكلما كان المدين ضعيفا على اي وجه من وجوه الضعف – كأن يكون مأزوما أو مضطرا – كلما استطاع الدائن المقرض أن يحصل على زيادة اكثر في الفوائد ٠

وتباشر المصارف المعاصرة عمليات القروض على ضربين :

أ – اقتراضها الاموال من عملائها أصحاب الودائع مقابل فائدة تعطى لهم٠ والوديعة في هذه الحالة هي في حقيقتها قرض ، ولذلك يطلق عليها الوديعة الناقصة ٠

ب – اقراضها الاموال المتجمعة تحت يدها – أو جزءا كبيرا منها – الى عملاء آخرين متمولين ومستثمرين ، مقابل فائدة بسعر أعلى تحصل عليها ،وتثري المصارف مما يتجمع تحت يدها من فروق بين سعر فائدة الاقتراض وسعر فائدة الاقراض ٠

ومثل هذا الاسلوب في التعامل يؤدي بالتأكيد الى مفاسد عديدة ، ذلك ان المصارف المعاصرة وان كانت في كلا وجهي المعاملة – كمقترضة من المودعين

او كمقرضة للمستثمرين ـ هي الجانب القوي وليس الجانب الضعيف ، الا أن فروقات الفوائد التي تحققها ـ بين سعر فائدة الاقتراض وسعر فائدة الاقراض ـ تاتي نتيجة وضعها الاستغلالي التحكمي المهيمن على سوق المال ، وكل ذلك يؤدي حتما الى تكوين قوى تملك وتسيطر على حجم ضخم من رؤوس الاموال ، فتتملك بالتبعية سلطة التحكم في فئات المجتمع، وتظل هذه القوى تعمل على اضعاف افراد المجتمع ، لانه كلما ازداد هؤلاء الافراد ضعفا ، كلما اتيح لتلك القوى المسيطرة تجميع المدخرات بشروط أفضل اي بفارق اكبر بين سعري الفائدة (اقتراضا واقراضا) ، فيزداد بذلك ثراؤها وبالتالي نفوذها ٠

غير أن الجانب الاسوأ في هذا الاسلوب ، هو تحويل قاعدة عريضة من المجتمع الى اصحاب ودائع يبغون استثمار مدخراتهم متخذين موقفا سلبيا تماما من عملية الاستثمار ٠ اذ يذهبون خانعين بهذه المدخرات الى المصارف المعاصرة ، التي تزداد قوة كلما كانت قادرة على تجميع اكبر قدر من الودائع الادخارية ٠

بل الاشد قسوة ومرارة من كل هذا ان المصارف المعاصرة التي تجمع هذه المدخرات الضخمة ، تتخذ هي بدورها موقفا سلبيا تجاه المتمولين والمستثمرين فتمنحهم القروض بضمانات تحقق لها الحصول على عائد ثابت محدد مسبقا ، دون مشاركة فعلية من قبلها في النشاط التجاري أو الصناعي أو الزراعي ، الذي يباشره المستثمرون ، بل دون أن يكون لها حتى مجرد النصح والارشاد او المشاورة مع اولئك ٠

وبذلك ينقطع حبل التعاون فيما بين رأس المال والعمل ، ويتخذ راس المال من العمل موقف المتفرج غير الآبه ، فلا يعنيه سوى تحصيل عائد ثابت يحدد مسبقا لما يقرضه دون ما نظر الى حقيقة ما حققه المتمولون المستثمرون من ربح ، بل ودون أي اعتبار لاية خسارة قد تلحقهم ٠

والفئة المضللة المتحملة لاكبر قدر من الخسارة في هذه السوق الربوية ، هي بلا شك فئة اصحاب الودائع الادخارية ، الذين لا يحصلون ـ في

المصارف الإسلامية

واقع الامـــر ـ على العائد العـادل لودائعهم ، بل يحصلون على نسبة من حجم هذه الودائع تحدد لهم ـ بصفـة تحكمية ـ من قبل مؤسسات وســيطة عاتية مسيطرة على سوق المال ٠

وبذلك تصبح تلك الودائع منبتــة الصلة بالارباح الفعلية والحقيقية التي تتحقق من الاستثمارات ، بل قد تكون في حالات اخرى منبتة الصلة ايضـــا بما لحق المستثمرين من خسائر ، وفي هذا ما يؤلم ، لان ما تجنيه وقتئـــذ يعد من قبيل الكسب الخبيث الحرام ٠

واذا كانت القسوة واضحة في هذه الحالة ـ التي هي حالة صغار اصحاب الودائع الادخارية ـ فهي اوضـح في حالة كبار المودعين ، الذين يصـــل بهم الامر الى تكديس ودائعهــــم في المصارف المعاصرة ، ويحصـــلون على عائدها في صورة فوائد ثابتة محددة مسبقا ، ويستهلكون هذا العائد الربوي في اغتراف متع وملذات دنيوية ، اغلبها آثم بلا شك ، وكل ذلك يجري في اطار من السلبية المطلقة ، سلبية الخامليـن غير المتفاعلين،ولا ذوى النفع لمجتمعهم٠

كل هذه المفاسد الكبرى ، محصـــلة للأسلوب الربوي في استثمـــار المال ، اخذا وعطاء ، والمصارف الاسلاميـــة تقضي على كل هذا كلية ، مطهـــرة المجتمع من آثامه ٠

قصيدة بانت سعاد من عيون الشعر العربي

يحظى الصحابي الشاعر المخضرم "كعب بن زهير بن ابي سلمى المزني" بمكانة تاريخية بين شعراء الدعوة المدافعين عنها ضد أعدائها بسلاح البيان المتسم بالحكمة والسحر، وذلك على الرغم من قلة القصائد التي خلفها كعب ، بالموازنة بينه وبين اقرانه، و على رأسهم حسان ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي وقف شعره كله بعد اسلامه على الدفاع عن دينه ونبيه وصحابته من المهاجرين والانصار ، والتنديد بالمشركين وتفنيد افتراءاتهم ودعاواهم الباطلة •

ومرد هذه المنزلة الرفيعة التي يحتلها كعب الى قوة شعره وما كان ينجم عن هذه القوة من شدة التأثير في سامعيه، وذيوع قصائده في الآفاق ، تسير بها الركبان في البادية والحضر انشادا وترديدا •

وقد انعقد اجماع الرواة على ان كعبا كان أحد الفحول المجودين في الشعر والمقدم في طبقته ، ويصفون شعره بقوة التماسك وجزالة اللفظ وسمو المعنى ، ومصدر هذه العبقرية الفنية توارث الموهبة ثم صقلها من طريق الاكتساب والخبرة ، اذ نشأ في أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة (١) فابوه زهير وجده أبو سلمى وعمتاه سلمى والخنساء (٢) وخال أبيه (بشامة ابن الغدير) وابنا عمته (تماضر) الخنساء وأخوها صخر وابنا بنته سلمى، العوثبان وقريض، وأخوه بجير ، وولده عقبة (المضرب) وحفيده العوام ابن عقبة، هؤلاء كلهم تعاطوا حرفة القريض ورويت عنهم القصائد •

وقد اينعت موهبة كعب وطاب

مدائح كعب

غراسها في مرحلة مبكرة من عمره ، اذ قال الشعر وهو صغير ، ونبغ فيه مع الزمن حتى سبق الى مذاهب في الشعر اخذها عنه الشعراء ، وعده ابن سلام في الطبقة الثانية،وقد ولد في الجاهلية وأسلم بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف وامتد به العمر حتى زمن معاوية،وكان علــوي الرأي (ويقال انه توفى سنة ٤٤ هـ) ٠

وتعد قصيدته المشهورة التي مدح بها رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم واستهلها بقوله على نهج شعراء العرب القدامى في البدء بذكر الديار وفــراق الاحبـــاب :

بانت ســـعاد فقلبي اليوم متبـــول
متيـــم اثرها لم يفـــد مكبول (٣)

تعد هذه القصيدة من عيون شعرنـــا العربي في الجاهلية وصدر الاسلام ، وهي معلـــم بارز على طريق تطـــور القصيدة الجاهلية فيأغراضها ومعانيها وصورها ، كما تُدْرَجُ في عداد المدائح الشعرية النبوية،التي تناقلهـــا الرواة والباحثـــون على تعاقـــب العصور والاجيال ، فما أن يذكر الشعراء الذيـــن تغنوا بالسيرة الخالدة وتذكر قصائدهم حتى يرد الى الخاطر ذكر كعب ولاميته٠

ولا ترجع شهرة هذه القصيدة الى رفعة قدر الممدوح وهو النبي صلى الله عليه وسلم صفوة الخلق والى سموهـــا في التعبير فحسب ، وانما ترجع أيضا الى الظروف التي أوحت بها فهي قصيدة ذات تاريخ متميز ، ومن ثم كان عبقهـــا ممتزجا بعبير التاريخ الاسلامي فينشأته الاولى ، وما اكتنفه من صراع بين الحق الذي جاء به رسول الله ، وبين الباطل الذي استعز به عبدة الاصنام والاوهام، واهل الطاغوت من مشركي قريـــــش واتباعهم ٠ ذلك أن بجيرا بن زهير أخا كعب أسلم فاشتد عليه أهله وكـــــان اشدهم كعبا ، فهاجر الى المدينة فأرسل اليه كعب يعيره باتباعه الاسلام :

الا ابلغا عني بجيـــرا رســـــالة
فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا ؟
شربت مع المأمون كأسا رويــــــة
فانهلك المأمون منهـــا وعلكا (٤)
وخالفت أسباب الهدى وتبعتـــــه
على أي شيء ويب غيرك دلكا (٥)

فلما بلغت هذه الابيات بجيرا انشدها النبي صلى الله عليه وســـلم ، فقال : صدق،انا المأمون وانه الكاذب ، اجل لم يلف اباه وأمه على الاسلام ، ولما قـدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كتب بجير الى اخيه ، تحفـــزه صـــلة الدم وما تمليه عليه من رغبة في نجاة أخيه وفي هدايته ٠

ان النبي صلى الله عليه وســـلم ، يهم بقتل كل من يؤذيه من شـــــعراء المشركين ، وان ابن الزبعري وهبيرة بن ابي وهب قد هربا ، فان كانـت لك في نفسك حاجة فاقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لا يقتل احدا جاء تائبا ، وان انت لم تفعل فانج الىنجائك في الارض ، وكان كتاب بجير الى أخيه كعب بداية تحول حاسم في تاريخه ،

اذ عبر به من دياجي الجاهليـــة الى أنوار الاسلام ، فما أن أتاه هذا الكتاب حتى أظلمت الدنيا في عينه وضاقت به الارض وأشفق على نفسه ، فقد أدرك في قرارته أنه ارتكب بهجوه رسول الله جرما لا يغتفر وندم على فعلته ، ومـن هذا الادراك وذلك الندم نبتت بـــذرة الايمان في نفسه ، فقد دخل بعدها في دين الله حين أتى النبي صلى الله عليه وسلم نادما معلنا اسلامه وكان عليـــه السلام لا يعرفه ، فجلس بين يديه ثـــم قال : يا رسول الله ان كعب بن زهير أتاك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به ؟ قال : نعم • قال : فأنـا كعب ، فوثب عليه عاصم-وهو رجل من الانصار-قائلا : دعني اضرب عنقـــه يريد أن يقتله بما ارتكب من بهتان في حق رسول الله،فكفه النبي صلى اللـــه عليه وسلم عنه •

وهكذا أسلم كعب ، ولا شك أن اليقين قد ملأ قلبه بعد أن صفح عنه رســـول الله صلى الله عليه وســـلم وأدرك أن الاسلام عقيدة سمحاء تفتح لمن اعتنقها صفحة جديدة،اذا تاب صاحبهـــا الى الله عما اقترف من ذنوب وارتكب مـــن مآثم ، وقد قال الله تعالى « ان اللـــه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون » وقال « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» وغدا كعب من شعراء الاسلام والرسالة وقد مدح النبي صلى الله عليه وسـلم بقصيدته العصماء التي طبق ذكرهـــا الآفاق لجزالتها ورصانتها في ألفاظهـــا وصورها ومعانيها ، وكأنه أودعهـــا خلاصة بلاغته وعصارة تجاربـــه الشعرية،وما زال صوت كعب فيهـــا جهير النبرة في سمع القارىء الحديث، جياش الوقع في نفسه ، بعد مضي أربعة عشر قرنا على انقطاع حياة صـــاحب هذا الصوت ، فهي قصيدة كتبت لهـــا الحياة منذ أن ظهرت حتى الآن،لمـــا تحمله من عناصر الاصالة ومقومـــات البقاء والخلود ، شأنها في ذلك شـأن قصائد العمالقة الكبار من شـــعراء التراث الذين احتلوا قمم الفن الشامخة وأعطوا حياتنا الادبية عطاء سخيا •

وقد بدأ كعب مدحته النبوية بالتعبير عما تنازعه من رهبة وتسليم لقضاء الله بعد ان بلغه تحذير اخيه ، وارجف القوم بما سوف يلقاه من الويل والثبور جزاء وفاقا على أبياته المنكرة ، وقالوا هـو مقتول ، وأبت قبيلته مزينة أن تؤويـــه وسدت في وجهه السبل ، وكان بارعـــا في التخلص من التغزل في سعاد الى ذلك المعنى،اذ قال:ان الوشاة قد سعوا اليها بوعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه ، وان اصحابه قد أشاحوا وجوههم عنه معرضين ، وقا لقائلهـم : امض عني فلن اكون معك في شيء ، ولن اشغلك عما انت فيه بأن أسهله عليك وأسليك ، فاعمل لنفسك فاني لا اغنـي عنك شيئا ، وكانت اجابة كعب ان خلوا سبيلي وليفعل الله ما يريد فان نفسي وديعة منه وكل وديعة سترد يوما :

يسعى الوشاة بجنبيها وقولهمو
انك يا بن ابي سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله
لا الهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا طريقي لا ابا لكمو
فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول (٦)

وتتجلى في هذا الحوار المتسق النامي الدرامي – وفقا للمصطلح الحديث – قدرة كعب بن زهير على تصوير المواقف الحرجة والصراع بين الرغبات والمشاعر المختلفة للجماعة والفرد ، وتقلب النفس البشرية بين الياس والرجاء مما يشهد بان شعره كان هبة من اسلافه النوابغ ، اضاف هو اليها جديدا من رصيد معارفه ومن ابداعه وابتكاره مثل انتهاجه الاسلوب القصصي الواقعي الذي اضفى على الشعر مسحة من الطلاوة والتشويق ،ثم يخلص كعب من تصويره النفسي هذا الى مديح النبي صلى الله عليه وسلم والتنصل مما نسب صدوره اليه من هجو فيقول :

انبئت ان رسول الله اوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة ال
قرآن فيها مواعيظ وتفصيل (٧)
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
اذنب ولو كثرت عني الاقاويل
لقد اقوم مقاما لو يقوم به
أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له
من الرسول باذن الله تنويل
حتى وضعت يميني لا انازعه
في كف ذي نقمات قيله القيل (٨)
لذاك اهيب عندي اذ اكلمه
وقيل انك مسبور ومسئول
من ضيغم من ضراء الاسد مخدره
ببطن عثر غيل دونه غيل

وتتسم هذه الابيات بحرارة العاطفة وقوة النسج وتسلسل المعاني واستقصائها ، وتبدو براعة الشاعر في رصد الوقائع رصدا شاعريا بالمزج بين الاسلوب التقريري القائم على السرد بين الاسلوب الانشائي وقوامه الاستعطاف والدعاء والنفي ، كما يتمثل اتقانه لفن التصوير الشعري في وصف مهابة الرسول في غيابه وحضوره،يقول ان نفسه قد روعت وكادت تطير شعاعا من هذا اللقاء المرتقب مع النبي صلى الله عليه وسلم وما قد يسفر عنه من توقيع العقاب عليه جزاء ما بلغه عنه ، وكيف لا يستبد به هذا الروع في موقف لو أن كائنا قويا كالفيل تعرض له لاخذته رعدة الخوف الا أن يناله الرسول بعفوه واحسانه بمشيئة الله ٠

اما مهابة رسول الله في محضره فان كعبا يصور وقعها من نفسه – بعد أن مثل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ضارعا تائبا ، وكان قد قيل له انه باحث عنك ومسائلك عما نقل عنك –

إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

بقوله ان رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم أهيب عندي من الاسد ،ويسترسل كعب في تصوير باس المشبه به وهـو الاسد،قاصدا من ذلك ان يؤكد ما اعتراه من شعور بهيبة المشبه وهو محمد عليه الصلاة والسلام ، حين وفد اليـه في مجلسه بين الصحابة ، فوصف الاسد بان الوحوش والرجال تهابه ، فالوحوش ساكنة لا يصدر منها صوت والرجـال ممتنعة عن المشي بواديه ، فاذا جـرؤ احدهم على اقتحام حماه فلا يلومن الا نفسه لانه ماكول لا محالة ، ويخلـص كعب من تصوير ما ألم به من رعـب وفزع،الى مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين هاجروا معه فيقول :

ان الرسول لسيف يستضـــاء بــه ●
مهند من ســيوف الله مســلول

في عصبة من قريش قال قائلهــم
ببطن مكـــة لما أسلمــوا زولوا

زالوا فما زال انكـــاس ولا كشف
عند اللقاء ولا ميـــل معازيل (٩)

شم العرانين ابطـــال لبوسهمـــو
من نسج داود فيالهيجا سرابيل(١٠)

بيض سوابغ قد شكت لها حلـــق
كانها حلق القفعـــات مجدول (١١)

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرد السود التنابيل (١٢)

ليسوا مفاريح ان نالـــت رماحهمو
قوما وليسو مجازيعا اذا نيلوا (١٣)

لا يقع الطعـــن الا في نحورهمـــو
ما ان لهم عن حياض الموت تهليـــل

ومثلما مدح كعب بن زهير المهاجرين فوصفهم بما هم اهله من صــــفات المجاهدين الاصلاء الاشـــــداء ، انشد قصيدة في مدح الانصار بعد ان شـق عليهم حيث لم يذكرهم مع اخوانهم من المهاجرين ، وقيل انه عرض لهم في بيت من قصيدته التي مدح بها رسول اللـــه فيما قال:الذي اراد قتله عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مطلع قصيدته :

من ســـره كرم الحياة فلا يـــزل
في مقنب من صالحي الانصار (١٤)

وقد اشاد فيها بموقفهم التاريخـــي الخالد من الرسول صلى الله عليـــه وسلم والرسالة ، ذلك الموقف الذي حسم الصراع بين التوحيـــد وبين الشرك لصالح الحق والحرية والعدالة ، وتمكن بعده الاسلام في أرض الجزيرة العربية ثم انطلق منها ليهدي بانواره العالـــم الغارق في الضلال والاستعباد ، فقـد خاض اهل المدينة من الاوس والخزرج الغزوات مع النبي صلى الله عليـــه باذلين ارواحهـــم رخيصة في ســـبيل الله وفي ذلك يقول كعب :

● وفي رواية : لنور يستضاء به.. وهو اقرب للسياق

الذائدين النـــاس عن اديانهـــم
بالمشـــرفي وبالقنـــا الخطـــار
والباذليـــن نفوســـهم لنبيهـــم
يـــوم الهيـــاج وقبـــة الجبـــار
رميت نطـــاة من الرسول بفيلـــق
شـــهباء ذات مناكـــب وفقـــار
بالمرهفات كـــأن لمـــع ظباتهـــا
لمـــع السواري في الصبير الساري
لا يشتكون الموت ان نزلت بهـــم
شـــهباء ذات معاقـــم وأوار (١٥)
صالوا علينـــا يوم بدر صـــولة
دانت لوقعتهـــا جميـــع نـــزار

ولا ريب في أن كعبا - وقد اشـتهر بسوء الخلق جاهلية - حسن اسـلامه وصلح شأنه بعد ان هداه اللـــه الى الدين القيم ورسخت شريعته وقيمه في نفسه ، فكان شعره امتدادا لاسلافـــه ومعاصريه من شعراء الجاهليـــة ، في ديباجته وصياغته وتقاليده وصوره ، ولكنه غدا شعرا اسلاميا في كثير مـن معانيه ، وقد احتفظ بكثير من اغـراض الشعر قبل الاسلام ، مثل الفخر بالقبيلة وتمجيد حروبها الثارية والهجـــاء وتصوير الصحراء وما عليها من وحش وحيوان ، ووصف الابل ولكنه اضـاف الى هذه الاغراض غرضا جديدا ، هو الافصاح عن المبادىء التي جاء بهـــا الاسلام والثناء على نبيه وصحابتـه ، وتمجيد القيم والمثل الاسلاميـــة ، والشواهد على ذلك عديدة:فهو يتخلص في احدى قصائده من وصف الناقة الى الحديث عن صفات الله تعالى كما نزل بها القرآن وعن اعتماده وتوكله عليـه وحده فيقول :

انخت قلوصي واكتـــلات بعينهـــا
وآمرت نفسي اي امري أفعَلُ (١٦)
اكلؤهـــا خوف الحوادث انهـــا
تريب على الانسان!أم اتوكـــل
فاقســـمت بالرحمن لا شيء غيـره
يميـــنَ امرىءٍ بـــر ولا اتحلـــل
لاستشعرن اعلى دربـــي مسلما
لوجه الذي يحيي الانـــام ويقتـــل
هو الحافظ الوســـنانَ بالليل ميتـا
على انه حيٌ من النـــوم مثقـــل

بل ان الرواة قد نسبوا اليه قصيدة يقول فيها انه دعا قومه الى الدخول في الاسلام وكان فيهم بعض الخلاف فأسلم ناس كثيرون ، مما ينهض دليلا على صحة إسلامه وعمق ايمانه واستخدامه شعره وسيلة للدعوة وسلاحـا للدفاع عنها،وهو يقول في هذه القصيدة :

رحلت الى قومـــي لادعو جلهـــم
الى أمر حـــزم أحمته الجوامـــع
ليوفوا بما كانـــوا عليه تعاقـــدوا
بخيف مني واللـــه راء وســـامع
وتوصل أرحام ويفـــرج مغـــرم
وترجع بالود القديـم الرواجـــع
فابلغْ بها أفنـــاء عثمان كلهـــا
وأوسا فبلغهـــا الذي انا صانـــع
سادعوهمو جَهْدي الى البر والتقـى
وأمر العلا شايعتني الاصـــابع
فكونوا جميعـــا ما استطعتم فانـــه
سيَلْبَسُـــكم ثوبٌ من اللـــه واســـع
وقوموا فأسوا قومكـــم فاجمعوهمو

وكونوا يدا تبني العـلا وتدافـع
فان انتمو لم تفعلوا مـا أمرتكـم
فاوفوا بهـا ان العهود ودائـع
لشتان من يدعو فيوف بعهـده
ومن هو للعهـد المؤكد خالـع

فـاذا صحت نسبة هذه الابيـات لكعب (١٧) فانها تدل على تاثره الفني بالقرآن الكريم فضلا عن تاثره بمعانيه كصلة الارحام والدعوة الى البـر والتقوى والوفاء بالعهد ، فان العهد كان مسئولا كلها من نبع القرآن معنـى ولفظا،كما أن قوله (وكونوا يدا) مثـل القول الاسلامي (يد الله على الجماعة) وقد كان كعب في الحقبة الاخيرة مـن حياته كما نوهنا آنفا عَلَوي الرأي ، وان لم يصل في ذلك الى حد المغالاة التـي نلمسها في بعض اهل التشيع ، فلا جرم ان يخص أمير المؤمنين عليا بقصـيدة مديح يمجد فيها شمائله ومآثره وفضله في الاسلام فيذكر انه كان اول السابقين الى الاسلام ، وانه صهر رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ويشيد ببطولته في الغزوات واقامته العدل بين الناس في خلافته ، وينعى على مخالفيه اتباعهـم الهوى فيقول :

ان عليـا لميمـون نقيبتـه
بالصالحـات من الافعال مشهور
صهر النبي وخير الناس مفتخـرا
فكل من رامـه بالفخر مفخـور
صلى الطهور مع الامـي أولهـم
قبل المعـاد ورب الناس مكفـور
مقاوم لطغـاة الشرك يضربهـم
حتى اسـتقاموا ودين الله منصور
بالعدل قمت أمينا حيـن خالفـه
أهل الهـوى وذوو الاهواء والزور
يا خير من حملـت نعلا له قـدم
بعد النبـي لديه البغي مهجـور
أعطاك ربـك فضلا لا زوال لـه
من أين ، انى له الايـام تغييـر

وفي رأينا : ان شعر كعب بن زهير في التغني بنعمة الاسلام والاشـادة بشريعته وفي مديح رسول الله صـلى الله عليه وسلم وأصحابه يمثل مزيجـا من الاغراض والمعاني التي طرقهـا شعراء الجاهلية،ومن الروح الاسلامية الصافية السمحة ، ومن ثم يعد معبـرا او مرحلة انتقال بين الشـعر الجاهلي والشعر الاسلامي،شانه في ذلك شـان الشعراء المخضرمين (١٨) ولا ريب في ان قصائده التي ذكرنا كانت تمهيـدا لازدهار المدائح النبوية في العصـور التالية ذلك الازدهار الذي بلـغ ذروة فنية وروحية سامقة في البردة للامـام البوصيري ، وفي نهج البردة والهمزية وغيرهما لاحمد شوقي رحمهم الله

١ ـ يتفق الرواة على أن الشعر لم يتصل في ولد احد من فحول الشعراء في الجاهلية اتصاله في ولد زهير وفي الاسلام في ولد جرير .

٢ ـ هي غير الخنساء المعروفة .

٣ ـ بانت : فارقت وسعاد اسم امراة يخترعها الشاعر ليجعلها موضوع نسيبه الافتتاحـي . متبول : اسقمه الحب . مكبول : مقيد .

٤ ـ كانت قريش تسمي النبي صلى الله عليـه وسلم المأمون والامين .

٥ ـ ويب : كلمة مثل ويل وويح ، غير ان لكل كلمة منها مقاما تستعمل فيه ٠

٦ ـ الآلة : النعش حدباء معوجة والمقصود هنا صعبة ٠

٧ ـ نافلة القرآن : عطية القرآن من اضافة المشبه به الى المشبه وفيه اشارة الى ان الله تعالى انعم على رسوله صلى الله عليه وسلم بعلوم كثيرة علمه اياها وجعل الكتاب زيادة على تلك العلوم ، اذ النافلة : العطية المتطوع بها زيادة على غيرها قال تعالى : « ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن » اي زيادة على العلم الذى أحسنه ٠ وتفصيل : تبيين ٠

٨ ـ روي في السيرة قبل هذا البيت :

ما زلت اقتطع البيداء مدرعا
جنح الظلام وثوب الليل مسبول

يقول وضعت يميني في يمينه وضع طاعة لا انازعه ، يعني انه اسلم نفسه له وبايعه ، وكان العرب اذا تحالفوا على شيء ضرب كل منهما على يمين صاحبه وما زال هذا صفة وعادة بين العرب ، ونقمات : جمع نقمة ككلمة وكلمات وقيله القيل : اي قوله الصادق المعتد به النافذ الماضي ٠

٩ ـ النكس : الضعف ، والكشف : الذين ينهزمون ولا يثبتون واصله من الاكشف وهو من لا ترس معه في الحرب ٠ الميل : جمع اميل ، وهو الذي لا يثبت على السرج او من لا سيف له ، أو من لا يحسن الركوب والمعازيل ، جمع معزال وهو الذي لا سلاح معه أو الضعيف ٠

١٠ ـ شم العرانين أي أعزة والعرانين : الانوف الواحد عرنين ، والشمم : حدة من طرف الانف مع تشمير اللبوس (بفتح اللام المشددة) اللباس : السرابيل : الدروع ان لباسهم دروع من نسج داود الذي الين له الحديد ٠

١١ ـ بيض صفه للسرابيل ٠ السوابغ :الطوال القفعاء : نبات ينبسط على الارض يشبه حلق الدروع يعني ان دروعهم سابغة ضافية فضفاضة ادخل بعض حلقها في بعض وسمرت ، فشبه حلقها بنور « زهر » القفعاء لان ورق هذه الشجرة وثمرها مثل حلق الدروع ٠ مجدول : مفتول ٠

١٢ ـ الزهر : البيض ، جمع ازهر ٠ يعصمهم: يمنعهم ٠ عرد : فر واعرض ٠ التنابيل : القصار جمع تنبل وتنبال ٠ يصفهم في هذا البيت بامتداد القامة وعظم الخلق وبياض البشرة والرفق في المشي وذلك دليل الوقار والسؤدد يعني انهم سادة

١٣ ـ ويروى : لا يفرحون اذا نالت رماحهم ·· الخ · والمفاريح جمع مفراح ، الشـــديد او الكثير الفرح الذي يفرح كلما سره الدهـــر · والمجازيع جمع مجزاع الشديد الحزن ، اي لا يفرحون لنصر ولا يحزنون لهزيمة لاعتيادهـــم القتال ولشجاعتهم ووثوقهم من الفوز اخيرا ·

١٤ ـ المقنب : الجماعة من الفوارس نحـــو الثلاثين ·

١٥ ـ لا يشتكون الموت : لا يألمونه · الشهباء : الكتيبة التي يبرق حديدها وسلاحها وذات معاقـم اي ذات هلاك ، من قولهم : حرب عقيم ، وذلـــك لكثرة قتلاها كان نساءها قد عقمت ، والاوار هنا الغبار الذي يثور من الحوافر لشدة وقعها ·

١٦ ـ اكتلات عيني اكتلاء اذا لم تنم وحذرت امرا فسهرت له · يقول : شاورت نفسي مـــاذا افعل : اانام متوكلا على الله محترسا باحتراس ناقتي ، ومكتلئا بعينها لانها اسمع مني وابصر ، فان فزعت استيقظت لفزعها ام ماذا وقوله : اي امري افعل ، يقول : ان رايتها تقلق وترتـــاع فزعت فرحلت والا نمت ·

١٧ ـ وردت في شرح ديوانه للامام ابي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري الذي رجعنا اليه في هذه الدراسة ، وقال الاصمعي ان هذه القصيدة لاوس بن حجر وهي مثبتة في ديوانـــه ·

١٨ ـ لعل قصيدة كعب (بانت سعاد) التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم بعـــد اسلامه خير مثال يوضح ذلك المزيج اذ يبدو تاثره بقصيدة النابغة الذبياني التي يتنصل فيهـــا ويعتذر الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وكان قد وشى به عنده فهم بقتله ، وقد اخذ كعب عن النابغة كثيرا من المعاني وانتهج اسلوبه حتـــى تشابهـــت ·

قال تعالى : « وانـك لعلى خلق عظيم » • وقال سبحانه « ولو كنت فظا غليظ القلـب لانفضوا من حولك » •

وروى البخاري في صحيحه عن عبد اللـه بن عمرو،أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « إن خياركـم أحسنكم أخلاقـا ». وروى البخـاري ومسـلم في صحيحهما عن أبي سعيـد الخـدري أنه قال : « كان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان اذا كـره شيئا عرفناه في وجهه » •

واخرج الامام أحمد في مسنده بسـند صحيح عن تميم الداري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله هذا الدين بعز عزيز او بذل ذليل ، عزا يعز الله به الاسلام وأهله ، وذلا يذل الله به الكفر » •

ان الاسلام هداية خالصة ، ومطلـع حياة زاهرة •• ما نزل بارض الا خرجت من جهالة الى علم ومن غواية الى رشد، ومن خمول الى نباهة ، ومـن ذل الى عزة جانب •• واذا شهد التاريخ على امة مسلمة بجهالة او غواية او احتمال مهانة ، فاعلم انها لم تكن من امر دينها على هدى ، ولا من تعاليـم ربها على بصـيرة •

لقد سطعت الدعوة الاسلاميةوتالقت في آفاق الدنيا ، فسارت معها فضائلها، وذاعت معها محامدها ، فاينما وضـع شعاع منها سطعت معه الفضيلـة ، وانبلجت معه الشمائل الكريمة •• ومن شاء أن يعرف كيف بسط الاسلام جناحيه على المعمور من الكون ، وكيف استطاع احد خلفائه ان يصور للناس بسـطة الملك الاسلامي وسعة اقطاره فلم يزد على قوله للسحابة التي تمر به « أمطري حيث شئت ، فان خراجك سيحمل الينا » من شاء أن يعرف كيف كان ذلك كله ، فليوقـن انها المبادىء والاخـلاق

بقلم الدكتـــور :
نزيـــه حمـــاد
الاستاذ المساعد بكليــة الشريعة
جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة

الاسلامية ولا شيء سواها ٠٠
فما الجيوش الكبيرة ، ولا العديـــد الاوفر ، ولا العـــــدة المذخورة ، ولا السيوف الهندية ، ولا الرماح الصارمة ما كل ذلك بكاف في بناء أمـــة ولا في انشاء دولة،اذا لم تسعده المبــــادىء الصالحة والفضائل الكريمة والشمائل الرفيعة ويشيع منه الخلق العظيم والادب الكريـــم ٠

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يغزون بفضائلهم نقائص أعدائهـــم ، وكانوا يفتتحون بأخلاقهم ما لا يفتحـه الحديد ذو البأس الشديد ، وأسوتهـــم في ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم بأخلاقه النبوية السامية ٠

وان في قصة اسلام عدي بن حاتم رضي الله عنه لأكبر الادلة وأوضـــح الشواهد على دور الاخلاق النبويـــة الفاضلة في نشر الدعوة الاسلاميـــة ، وتوجه القلوب للايمان بالدين الحنيف ٠

يقول عدي:وهو يحكي قصة اسلامـه ـ كما رواها الطبــــري في تاريخه ـ « ما من رجل من العرب كان اشـــد كراهية لرسول اللـــــه صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ٠ أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نصرانيا أسير في قومي بالمرباع (١) ، فكنت في نفســـي على دين ، وكنت ملكا في قومي ٠ فلما سمعت برسول الله كرهته ، فقلت لغلام كان لي عزبي ، وكـــان راعيا لابلي ، لا أبا لك ٠٠ أعدد لي من ابلي اجمالا ذللا (٢) سمانا مسان ، فاحبسها قريبا مني ، فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذنـــي ، ففعل ٠ ثم انه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدي ، ما كنت صانعـــا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فاني قد رأيـت رايات ، فسالت عنها ، فقالوا : هذه جيـــوش محمـــد ٠

قال عدي : فقلت : قرب لي جمالي ، فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثـــم قلت ألحق بأهل ديني من النصـــارى بالشام ، وخلفت ابنة حاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها ٠

وتخالفني خيل لرسول الله صـــلى الله عليه وسلم،فتصيب ابنة حاتم فيمن أصيب ، فقدم بها على رسول الله في سبايا طيء ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي الى الشام ٠ قال : فجعلت ابنة حاتم فيحظيرة بباب المسجد

كانت السبايا يحبسن بها • فمر بهـا رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فقامت اليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت: يا رسول الله •• هلك الوالد وغـاب الوافد ، فامنن علي من الله عليك •• قال : ومن وافدك ؟ قالت عدي بن حاتم؟ قال : الفار من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله وتركني ، حتى اذا كان الغد مر بي وقد أيست • فأشار الى رجل من خلفه ان قومي اليه فكلميه • قالت : فقمت اليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علي من الله عليك •• فقال : قد فعلت ، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك الى بلادك ثم آذنيني •• قالت : فسألت عن الرجل الذي أشار الي أن كلميه ، فقيل : علي ابن أبي طالب •

• ■ •

وقد جاء في رواية الاصبهاني انهـا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا محمد ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فان رأيت أن تخلي عني ، فلا تشمت بي أحياء العرب ، فاني بنت سيد قومي ، كان أبي يفك العاني ، ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم طيء • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جارية •• هذه صـفة المؤمن ، لو كان أبوك اسلاميا لترحمنا عليه • خلوا عنها ، فان اباها كـان يحب مكارم الاخلاق ، والله يحب مكارم الاخلاق •

• ■ •

ونعود للطبري لنتابع معه تتمـة الرواية عن أخت عدي ، قالت : وأقمت حتى قدمركب من بلى — أو من قضاعة — قالت : وانما أريد أن آتي أخي بالشام ، قالت : فجئت رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله قـد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبـلاغ قالت فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني وأعطانـي نفقـة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام •

• ■ •

قال عدي : فوالله اني لقاعـد في أهلي ، اذ نظرت الى ظعينة (٣) تصوب الي ، تؤمنا • قال : فقلت : ابنة حاتم•• قال : فاذا هي هي • فلما وقفت علـي انسحلت (٤) تقول : القاطع الظالم •• احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بنيـة والدك وعورته •• قال : فقلت : يا أخيه لا تقولي الا خيرا ، فوالله مالي عذر ، لقد صنعت ما ذكرت •

قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها — وكانت امرأة حازمة — ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم — قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا ، فان يكن الرجل نبيا فالسابق اليه له فضيلة ، وان يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت ••

• ■ •

قلت : والله ان هذا للراي • فخرجت

حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدي بن حاتم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بي الى بيته ، فوالله انه لعامد بي اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها . قال فقلت في نفسي والله ما هذا بملك . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بيته ، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفا ، فقدمها الي ، وقال : اجلس على هذه . فقلت : لا بل انت ، فاجلس عليها . قال : لا بل أنت .

فجلست وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض . قال : فقلت في نفسي:والله ما هذا بامر ملك . ثم قال عليه الصلاة والسلام : ايه يا عدي ابن حاتم .. ألم تك ركوسيا (٥) ؟ قلت: بلى : قال : فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك . قلت : أجل والله ، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل .

ثم قال عليه الصلاة والسلام : "لعله يا عدي بن حاتم انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم .. فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من ياخذه . ولعله انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم ، وقلة عددهم .. فوالله ليوشكن ان تسمع بالمراة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف الا الله . ولعله انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم .. وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت".

قال عدي : "فاسلمت ، وكان عدي يقول : مضت الثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن . قد رايت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورايت المراة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئا حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكونن الثالثة ، ليفيضن المال حتى لا يوجد من ياخذه"(انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١١ ـ ١١٥) .

وشاء الله ان تتحقق الثالثة فيايام الخليفة الصالح العادل عمر بن عبد العزيز ، فقد كان الغني يرسل من ينادي في الاسواق بحثا عن فقير يدفع اليه زكاة ماله ، فلا يكاد يجده .

من الفقه الاسلامي :

الحيض والاستحاضة والنفاس

اعداد الشيخ :

هـلال مصيلحي هلال

في اعداد سابقة تحدثنـا عن الطهارات ، ثم الغسل وموجباته ، واستكمالا لهذا الموضوع نواصل الكلام عن الحيض والنفاس وهما من موجبات الغسل الشائعة بين نصف المجتمع، فلا تكاد فتاة تبلغ الحلم الا وتمر بهذين السببين ويلازمانها في حياتها ٠

والحديث في هذه الامور تتحرج منه النساء بله الرجال، مما أشاع الجهالة الفقهية فالشاب في أول بلوغه يحتلم ولا يكاد يظفر بمن ينبهه، الى أن الغسل من الاحتلام فرض، فيخجل هو من السؤال ويغلب عليه الحياء فلا يسأل الاقربين ولا الابعدين، والفتاة تبلغ بالحيض فتجتهد في كتمان الدم، ولا ينبري لها أحد ببيان ان الغسل في هذه الحالة فرض عليها بعد انقطاع الدم، ولا يوضح لها ما يجب عليها تركه أثناء الحيض ومدة النفاس ، والمحرم فيه يجهلهما كثير من النساء مما يوجب علينا ان نقتحم هذا الموضوع غير متحرجين، حتى يكون الناس على بينة مما يأتون وما يذرو ن، وليس هذا خاصا بالنساء فقط ، بل هو أيضا يهم الرجال ، لانهم مخاطبون بقول الله تعالى في سورة البقرة « فاعتزلوا النساء في المحيض » الآية : ٢٢٢ ، ونهاية العدة أيضا لذوات الحيض

بانتهاء الحيضة الثالثة ، فلا يتزوج رجل امــرأة في عدتهــا الا بعد انتهائهــا بالحيضة الثالثة لها،فهذا الموضوع اذا يشمل المجتمـــع كله رجالا ونساء ، فالتوضيح فيه واجب ولا حرج على من يفعل ذلك ٠

أصل نصي ٠٠ :

والاصل في هذا الموضوع هو آية من القرآن الكريم،وحديث عن رسول اللــه صلى الله عليه وسلم،أما القرآن،فقــول الله سبحانه وتعالى:« ويسئلونك عــن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النســاء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهريــن » البقرة : ٢٢٢ ٠

وأما الحديث،فقد رواه مالك عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها،أنها قالت : قالت فاطمة بنــت أبي حبيش : يا رسول الله اني لا أطهر أفأدع الصلاة؟فقال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : انما ذلك عرق وليس بالحيضة ، اذا أقبلت الحيضة فدعــي الصلاة،فاذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم وصلي » ٠

ما هو الحيض ؟ :

والحيض في اللغــة هو السيلان ، ومن هذا الاشتقاق جاءت كلمة الحوض، لان الماء يسيل اليه ، والحيض شــرعا «هو الدم الظاهر السائل من فرج امرأة في صحتها من غير افتضاض بكارة ولا ولادة » ويكون الحيض دما أسود خاثرا تعلوه حمرة ، وهو خلقة في النســاء وطبع فيهن ، اذ روى البخــاري عن أبي سعيد الخدري قال : خرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم في أضحــى أو فطر الى المصلى ، فمر على النساء فقال : « يا معشر النساء تصدقن ،فاني أريتكن أكثر أهل النار فقلن : وبــم يا رسول الله ؟ قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقــل ودين أذهب للب الرجل الحازم مــن احداكن ، قلن وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن بلى قال. فذلك من نقصــان عقلها ، أليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن بلـى يا رسول الله ، قال فذلك من نقصــان دينهــا » ٠

دلالة الحيض :

والحيض امارة البلوغ عنـد المرأه ولذلك يرى كثير من الفقهاء انه لا يكون قبل تسع سنين قمرية ، فالدم المرئي قبل ذلك لا يكون حيضا ، وكذلك يرى بعض الفقهاء ألا حد لنهاية الحيض ، فــأي دم تراه العجوز في عادتها المألوفة فهو حيض ، وهذا القول مردود بقول اللــه تعالى « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر » الطلاق : ٤ ٠ اذ أن النساء يبلغن سنا معينة هو ســن اليأس ينقطع عنهن الحيض فيه ، واذا رؤي الدم بعد هــذه

السن فهو دم استحاضة لا حيض ، والخلاف هو في تحديد سن اليأس فهو بين الخمسين والستين والنساء أخبر وأعلم بذلك ·

مدة الحيض :

ومدة الحيض خمسة عشر يوما فما دونها ، فالخمسة عشر يوما هو الحد الاعلى،فما رؤي من دم بعدها فهو دم استحاضة ، وهذا مذهب مالك · وروي عنه رضي الله عنه ، ان الحيض لا حد لقليله ولا لكثيره انما يحكم ذلك عادة النساء ، اما عند الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما ،فاقل الطهر خمسة عشر يوما ، ودليل هؤلاء ان الله تعالى قد جعل عدة ذوات الاقراء ثلاث حيض ، وجعل عدة من لا تحيض من كبر أو صغر ثلاثة اشهر ، فكل قرء عوض عن شهر ، والشهر يجمع الطهر والحيض ، فاذا قل الحيض كثر الطهر ، واذا كثر الطهر قل الحيض فلما كان أكثر الحيض خمسة عشر يوما وجب أن يكون بازائه اقل الطهر خمسة عشر يوما ليكمل في الشهر الواحد حيض وطهر (١) ·

واقل الحيض عند الشافعي يوم وليلة ، وروي عنه ان ذلك متروك لعرف النساء وهو قول مالك ، اما ابو حنيفة واصحابه فعندهم اقل الحيض ثلاثة أيام واكثره عشرة ، فما نقص عن ثلاثة فهو استحاضة،يمنع من الصلاة عند أول ظهوره ، واذا انقطع لاقل من ثلاث فان

الطب الحديث أثبت

المراة تقضي ما فاتها من أوقات ،وكذلك ما زاد على عشرة ايام يكون دم استحاضة لا يمنع صوما ولا صلاة ·

اما أحمد بن حنبل فان اقل الحيض عنده يوم وليلة ، واقصاه خمسة عشر يوما ·

عندما تحيض البكر :

ولعل سائلا يسأل : اذا بلغت فتاة بالحيض ولا تعرف لها عادة فماذا تفعل ؟ يقول الشافعي : اذا حاضت البكر أول مرة فانها تجلس أول ما ترى الدم خمسة عشر يوما ثم تغتسل ،وتعيد صلاة أربعة عشر يوما وقال مالك لا تقضي الصلاة ، ويمسك عنها زوجها ان كانت متزوجة · وقال آخرون تمكث قدر لداتها ومن في مثل سنها ·

أما أحمد فقال:تجلس يوما وليلة ثم تغتسل وتصلي ولا يأتيها زوجها،وقال أبو حنيفة وأبو يوسف : تدع الصلاة عشرا ثم تغتسل وتصلي عشرين يوما ، ثم تترك الصلاة بعد العشرين عشرة أيام فيكون هذا حالها حتى ينقطع الدم عنها (٢) · والسبب في قضائها للصلاة انه لم تتحدد عادة البكر ·

دم النفاس :

أما النفاس شرعا:وهو الدم الخارج

إن الوطء في الحيض سبب للأمراض الجلدية والنفسية

مع الولادة وبعدها ، ولقد اختلف فيه العلماء،فقال مالك : أقصاه شهران وقال الشافعي اربعون يوما ، والغسل من الحيض ، والنفاس كالغسل من الجنابة تماما ، كما قلنا سابقا ، والحائض والنفساء لا تجب عليهما الصلاة ، ولا تصح منهما لو أدتا الصلاة ، ويحرم عليهما فعل الصوم وان كان واجبا عليهما بعد انقضاء المدة المقررة لذلك ، ويحرم عليهما الجماع في الفرج والعدة والطلاق والطواف ومس المصحف ودخول المسجد والاعتكاف فيه ، أما قراءة القرآن استظهارا،فمن العلماء من قال بتحريمه ومنهم من قال بجوازه .

دم الاستحاضة :

وأما الاستحاضة فانها مرض يأتي بدم أحمر سائل لا ينقطع الا بالشفاء من المرض الذي تسبب فيه وهذه الاستحاضة تكون المرأة فيها طاهرا لا تمتنع من صوم ولا صلاة باجماع الفقهاء ، وكما جاء في الحديث السابق الذي روته فاطمة بنت حبيش .

سؤال :

وياتي سؤال آخر شائع ويكثر الناس فيه ، وهو اذا اتى الرجل زوجته في الحيض فماذا عليه في ذلك ؟؟ ونقول لهؤلاء ان ذلك كبيرة وحرام شرعا ومع ذلك فان مالكا والشافعي وأبا حنيفة رضي الله عنهم يقولون : عليه أن يتوب ويستغفر الله مما فعل ، وقال آخرون ان وطيء في الدم فعليه صدقة دينار ، وان وطيء بعد الانقطاع وقبل الطهر ، فعليه نصف دينار وذلك اعتمادا على حديث رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « يتصدق بدينار أو بنصف دينار » وهذا مذهب احمد ، وروى الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار » والاحاديث الخاصة توضح الاحاديث العامة،وعلينا الاتباع والائمة الثلاثة لم يأخذوا بهذه الاحاديث لاضطراب طرقها واسنادها .

هذا مع أن الطب الحديث اثبت أن بعض الامراض الجلدية والعضوية والنفسية سببها الوطء في الحيض ، فالشارع الحكيم اراد السلامة للناس حين قال « فلا تقربوهن حتى يتطهرن ».

١ ـ ج ٣ من القرطبي ص ٨٣ .

٢ ـ الجزء الثالث من القرطبي ص ٨٤ .

لعلك أيها القارىء الكريم بعد متابعة هذا البحث المختصر ، يمكنك النظر الى الحضارة الاسلامية ـ والتراث جزء منها ـ نظرة متفتحة مضيئة ، لرؤيتها من خلال الموضوعية ، وستتبين لك في زيها الاصيل الذي تقرأ فيه أمورا ، منها :

١ ـ ان الحضارة الاسلامية ولدت ونشات في احضان الاسلام فازدهرت وآتت اكلها ، ولولا الاسلام ما كانت ولا وجدت ـ فلا صلة لها بما سبق، ولم تاخذ من غيرها فيما يخص تصورها ومثلها، وان الذي اخذته من علوم فرعية لا يجرح هذا الكلام لانه اقتباس في امور جزئية كان بعضها ضارا غشي احيانا بعض أجزائها ، وكان هذا المنقول ذا مقومات ومنبت مختلف لا يمثل اي جانب أو ميدان من الحضارة الاسلامية.

٢ ـ الحضارة الاسلامية اسلامية الصفة الهية الصبغة « صبغة الله ومن

احسن من الله صبغة ونحن له عابدون» البقرة : ١٣٨ ، ولقد قامت على عقيدة الاسلام،وهو الهي وحي أوحاه الله الى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، ولذا فهي تختلف عن غيرها ، وكان أهلها يدينون بهذا في تصرفهم وتصورهم وتفكيرهم ، في انظمتهم واحوالهم واحكامهم واعمالهم،فلا يصح الصاق صفة ما بقوة قهرية ومنهجية جبرية ٠

٣ ـ لا يصح تناول الحضارة الاسلامية ـ بحثا ودراسة ـ على أنها شيء انتهى،وغدا تراثا أو انتاجا غابرا تربطنا به صلة النسب،وتقاليد مرت بها حياة الاجداد وتاريخ لماضي أمة نعتز به آثارا متحفية وموروثات تذكيرية، انما صلتنا بها وباهلها صلة مستمرة، لانها صلة العقيدة الحية نعتز بها لهذا السبب ٠ فاننا واياهم بهذه العقيدة الاسلامية والصلة الالهية مرتبطون ، ولانها مسلمة نرتبط من خلالها بكل من ارتبط بهذه العقيدة،دون النظر الى أي نسب آخر ، فالكل فيها سواء « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » الحشر : ١٠ ٠

٤ ـ وان العقيدة الاسلامية هي التي انتجت هذه الحضارة وعمل فيها ولها مجتمع عاش بالاسلام وله ومنه أخذ كل تعاليم وابتنى حياته عليه جملة وتفصيلا٠ وليست الحضارة الاسلامية دفعة قوم هاجروا أو قاموا،نتيجة لظروف محلية أو تحسن حالة اقتصادية،أو داخلتهم أطوار صناعية،أو دفعوا بعوامل موجة ما،بل أناس من كل جنس ولون وقبيل اجتمعوا على عقيدة الله وعبادته آخذين بشرعه الاسلامي فنصروه وبه انتصروا، فاندفعت الحضارة الاسلاميه به،والتقت عليه فكانوا اخوة في الله ناصرين لدينه، فكونوا دار الاسلام وواجهوا كل من عادى العقيدة الاسلامية وأهلها ٠ وانضوت للاسلام جماعات من كل جنس فكانت الحضارة الاسلامية ملكا لكل مسلم التقى مع غيره بهذا الدين « انما المؤمنون اخوة » الحجرات : ١٠ ٠

٥ ـ وبذلك كانت الحضارة الاسلامية تحمل خصائص الاسلام ومقوماته فهي

عالمية الآفاق انسانية الوجهة شاملة الاحداث ربانية المقومات اسلامية الخصائص دائمية الدعوة ، وصلت الدنيا بالآخرة واقامت اعمال الانسان على الارتباط بالله تعالى · فلا يصح للمسلم الاخذ بالاسلام جزئيا لبناء حياته وحضارته وصياغة حاله وارتباطهم بها أو لوقت او مرحلة · فالاسلام مستمر ودائم شامل ولا تصح حياة المسلم اذا ما دعي لغير دعوته أو اقام على غير حضارته ·

٦ ـ فالاسلام دعوة مستمرة تقوم به حضارة حية متجددة والحضارة الاسلامية الحية المتجددة متحركة نشطة مستمرة ، ما وجد مجتمع ياخذ بالاسلام ، اذ هو لا يعمل في فراغ · فالاخذ به ينتج مجددا حضارة اسلامية وهي تلك التي تنمو في الجو الاسلامي، وعندها تكون متجددة باستمرار ودوام· والاسلام يحدد صلة المسلم على أساس الارتباط بالاسلام ، فارتباطه بالاسلام يدعوه الى الاعتزاز بهذه الحضارة والاعتزاز الحي بها يكون بالاسلام · فاذا كان هذا هو الارتباط فهو يعني ان المسلم يبقى مسلما حاملا للدعوة الاسلامية وصياغا لحياته على اساسها عاضا عليه بنواجذه، ودائرا في فلكه وسائرا في دربه ومتشبثا لموكبه ومقدما نفسه للآخرين على انه صيغة اسلامية حية ، وعندها ستتجدد الحضارة الاسلامية بنفسها وتعود لامداد الحياة بمائها وتظلل الدنيا بوارف ظلها ·وهذا مقتضى الاعتزاز بالحضارة الاسلامية وانتاجها وتراثها وهي الصلة الحقيقية·

وهذا يتم بنفس المسلك الذي سلكته للقيام بها ، وهو الدعوة لقيام الحياة الاسلامية ، جوا تقيم حضارتها ويكون المسلم داعيا لذلك ايمانا بالله وبحثا عن رضاه قبل ان يكون داعي حضارة مستمدة فضلا عنها مجردة ، أو كاتبا عنها ومعرفا بها تراثا واثارا ، لان الاخذ بالاسلام لا بد أن يورث الحياة حضارة اسلامية،يجد الانسان المعاصر فيها نفسه بعد ما يعرف ربه فياوي اليها بعد ضياع طويل وتشرد غريب ، فياخذ بتعاليمه · وهكذا يجب ان يتجه فهمنا للحضارة الاسلامية وانتاجها وتراثها·

٧ ـ وان هذه الحضارة الاسلامية متفردة متميزة وشاملة كاملة متوازنة متزنة موحدة لله وعابدة له ، وصلت الدنيا بالآخرة في طريق يؤدي الى رضا الله تعالى والفوز بجنته والنظر الى وجهه الكريم · وعندها تشرق الارض بنور الله المبين فتسعد في الدنيا وتفوز بنعيم الآخرة يوم الدين ·

« يوم لا ينفع مال و لابنون الا من اتى الله بقلب سليم » الشعراء : ٨٨ـ٨٩

كيف ندرّس التربية الاسلامية في معاهدنا ومدارسنا؟

بقلم الاستاذ :
عبد القادر الشيخ ادريس
كبير رؤساء شعب التربية الاسلامية بالسودان
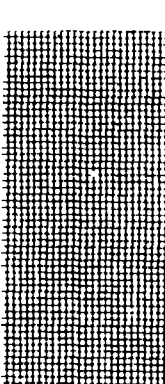
هذه وقفات تكشف طرق تدريس التربية الاسلاميه ، وتسهم في ترشيد عملية التعليم من الوجهة المهنية التطبيقية، وهي الناحية اللازمة التي يحتاج اليها من يقوم بعمليه التعليم في الصفوف المتنوعة ، بعد التأهيل الاكاديمي المطلوب لدى وزارة التربيه المعنية ·

وهي أيضا مجرد صور نرفعها فيدروب المعلمين بعامة ، والناشئين منهم بخاصة، تنير لهم الطريق ولا تعشى أبصارهم عن سواها من الابتكارات المتجددة · والتجارب المتطورة في عملية التربية، كيف لا وهي كائن حي يتجدد وينمو ويرتقي ، وهي في منظورنا اشارات مرور خضراء تخبر عن سلامة العبور ، وأمنه من الخطر ، والمسيرة العشوائية ، وتهدف الى عرض طرق التدريس التي أخضعت للتجربة ، وبرهنت على صلاحيتها ، والى تقديم العون المهني للزملاء ، ولا سيما أولئك الذين خطوا أول خطوة في سلم المعلمين ·

وأخيرا لعل هذه الوقفات تسوق قافلة المعلمين الى الجانب العلمي التطبيقي في مهنتنا التربوية، وتعين على اقتحام بعض العقبات التي تعترض الطريق في تدريس مادة التربية الاسلامية ، وتعوق ايصالها بأقرب

كيف ندرس التربية الاسلامية

على المعلم أن أن يتعلم طرق القيام بمهنته وكيفية معاملة تلاميذه

الطرق ، وايسر الوقت ، وهي ايضا حصيلة ما ينوف عن ربع قرن ممارسة في الحقل التربوي ، تدريسا ، وتوجيها وادارة ومناهج ، واني لآمل أن تعطي من أساليب تدريس مادة التربية الاسلامية ، نماذج راشدة تواكب تطوير وتجديد المناهج التعليمية والنظر في تكاملها بين الاقطار العربية والاسلامية .

والتعليم كمهنة من المهن ذات الفعالية العظمى في تكوين الاجيال الصاعدة، لا بد لمحترفها من انتهاج منهج معين ، واتباع تصميم خاص ، مراعيا في ذلك صلاحيات عديدة، ومما لا شك فيه أن لكل مهنة قواعد وتصميمات خاصة فاذا كان لزاما على الطبيب أن يتعلم تشخيص الداء ، ووصف الدواء، وكان لزاما على المحامي أن يتعلم طريقة الدفاع عن المتهم ، وكل صاحب مهنة يجب عليه أن يعرف ايجابياتها وسلبياتها ، فالاحرى بالمعلم وهو الذي يحترف أدق المهن وأشقها وأعقدها ، أن يتعلم طرق القيام بمهنته ، وكيفية معاملة من يعهد اليه تربيتهم وتدريسهم ، أولئك الذين يختلفون اختلافات متعددة ومتباينة في ميولهم وأذواقهم ، واتجاهاتهم ، وقابلياتهم ، وارجاعاتهم، وحتى في أديانهم احيانا ، كل ذلك يجعل المعلم في موقع دقيق ، وموقف حساس ، يحتاج فيه الى التفكير المتاني في اختيار التصميم الراجح الذي يستطيع عن طريقه أن يوفق بقدر الامكان بين تعدد الاختلافات، والمفارقات المتمثلة في حجرات الدروس ، ولا يغيب عن البال انه يتعامل مع بشر مختلفي المنشأ والمربى ، والميول والعادات والتقاليد .

ولا يغيب عن البال أيضا أن الغرض من التعليم يسر تلقين مادة معينة مرتبة على نسق خاص ، بل الغرض من التعليم التثقيف والتهذيب ، ولا يتم هذان الهدفان ، الا بأن يتعلم المدرس فن التدريس ، الذي يمكن أن نعبر عنه بطرق التدريس وأصوله، كما ويتعلم أيضا علم التدريس ، الذي يمكن أن نعبر عنه بمادة الدرس ، ومواضيعه فهما وجها العملة .

١ ـ التصميم أو الطريقة ؟ :

نقصد بالتصميم أو الطريقة النظام الذي يسير عليه المعلم فيما يلقيه على

تلاميـــذه من دروس وما يحثهم على تحصيله من مهارة ونشاط يكتسبـــون بهما الخبرة النافعة ، والمهارة اللازمة والمعارف المتنوعة من غير اسراف في الوقت واستهلاك للجهد ، بأســلوب يقربهم من الاغراض السامية التي تهدف اليها التربية ، وتسعى الى انجاحها ٠

ماذا يفيد التصميم أو الطريقة ؟

للتصميم أو الطريقة فوائد جمـــة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ٠

١ ـ توفير الوقت للمعلم والمتعلم ٠

٢ ـ توفير الجهود المبذولة للمعلـم والمتعلم ٠

٣ ـ حماية الطـــلاب من عوائق تعترضهم تنجم عن التدريـس المشوش المضطرب غير المخطط ، كسوء الفهم ، واضطراب الذهن ، وعدم ترتيـــب المعلومات وتشويش التفكير ٠

٤ ـ تعويد الطـــلاب على النظام ، والانتظام في العمل ، والاتقان ، وحسن البحث والتنقيب المنظم ، والاعتمـــاد على النفس ، والاستقلال في التفكير ٠

٥ ـ تنمية الثقة بالنفس لدى المدرس والطالب ٠

٦ ـ ترسيخ المعلومـــات في أذهان الطلاب من غير اجهاد جهيد ، أو كدح شديد ٠

٧ ـ ايجاد شغف بالتعليم ، وبالمدرس وبالمادة ، ويستثير شوقهم ، ويوقـــظ طاقاتهم ٠

٨ ـ تقليل الجهد العقلـــي والتعب الجسمي في الطالب ٠

٩ ـ تعويد التؤدة ، وعدم التسرع في الحكــم ٠

١٠ ـ يوصل الى الهدف التهذيبـي الذي نرمي اليه من التعليم ٠

ماذا نقصد بالتربية الاسلامية ؟ :

نقصد بالتربية الاسلامية مجمــوع الاوامر ،والنواهي ، والاحكام ،والآداب والفضائل التي حواها المنهج الاسلامي، وأوجب تطبيقها في الواقع المعاش ، بين الفرد ونفسه ، والفرد وأســرته ، والفرد ومجتمعه ، والامم والشعوب ، لتحقيق أهدافه التقدمية في المجتمـع الانساني عامته من غيـــر نظر الى مواصفات أخرى لا تمت الى الانسانية بصلة ولا تربطها بها وشيجة وهي بهذا المفهوم الشامل تتناول فيما تتناول :

١ ـ القدوة الحسنة من الآبـــاء والمعلمين والمسئولين « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » ٢١ الاحزاب

٢ ـ وجود جو اسلامي صـالح في البيت والمدرسة وجميع مؤسسات العم العامة والخاصة ٠

٣ ـ وجود جو اجتماعي تعلو فيه كلمة الله ، وتمارس شرائعـــه أمر ونهيا ، وترفع فيه شعارات العمـــل « وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسو والمؤمنون » التوبة : ١٠٥ ، وتوجه وسائل الاعلام المقروءة والمسموعـ

والمرئية الوجهة الصالحة لتعين على تركيز الاخلاق والفضائل في كافة المواقع،وبهذا المفهوم تكون التربية الاسلامية أعم وأشمل من ذلك التعليم الديني الذي يقوم بناؤه على أسس من الدراسات المنهجية المبرمجة المشتملة على مختارات من السور والآيات القرانية والاحاديث النبوية والتعرف على العقائد التوحيدية ، والتمرس بالعبادات اليومية والموسمية والالمام بالسير الاسلامية ،والشخصيات القيادية والاتجاهات السلوكية ، والممارسات التهذيبية وغيرها مما تشمله المناهج التقليدية ، التي درجت المؤسسات التعليمية على انتهاجها ٠

وما هذه الدراسات المباشرة الا أسلوب من أساليب التربية الاسلامية ، بمعناها الخاص ، الغرض منها الاعداد والتوجيه في دائرة المناهج التعليمية فهي جزء من التربية الاسلامية،ومندرجة تحتها بمعناها العام ٠

٢ ـ التربية الاسلامية لون من ألوان التثقيف :

التربية الاسلامية لون من ألوان التثقيف ، والمعرفة القائمة على القيم والفضائل ، وفعل الخير ، ونبذ الشر والتعامل مع عالم الروح ، تعاملا يحفظ لكل من الفرد والمجتمع توازنه وتكامله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » القصص : ٧٧ ، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تمو تـغدا ، فالتربية الاسلامية بذلك تتناول ثلاث نواح :

١ ـ ناحية العقيدة ، التي تربط العبد بربه ، عن طريق تحرير العقل من الخرافة والتقليد وتثقيفه ، وتوجيهه نحو التفكير الحر المستقيم ، فالتفكير فريضة اسلامية ٠

٢ ـ ناحية سلوك الفرد ، تجاه نفسه بضبطها ، وتهذيبها ، وتوجيهها الى الخير في الدارين « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها »٩،١٠-الشمس

٣ ـ ناحية علاقة الفرد بالمجتمع عن طريق تحقيق مجتمع البر والتقوى « وتعاونوا على البر والتقوى » ومما لا شك فيه ان التربية الاسلامية اذا ما رسخت في أذهان الطلبة والطالبات ، عقيدة وسلوكا،وجد التلاؤم المنشود بين الماديات والروحيات ، وتلك هي غاية التربية الاسلامية التي تميزها عن العقائد والمذاهب المتعارفة بين الشرق والغرب وعن النظم التربوية التي تهتم بالانسان من ناحية تكوينه المادي ٠

٣ ـ دواعي الاهتمام بالتربية الاسلامية :

مما لا شك فيه أن دواعي الاهتمام بالتربية الاسلامية كثيرة متعددة ، ولكن هناك بعض العوامل الهامة التي تدعونا الى الحرص على تعليمها ، والتفاعل

العملي معها ، وبثهـــا بين الطلبة والطالبات بجهود المدرسة « المؤسســة التربوية » والمعلمين المتخصصين ، من تلك الدواعي :

١ ـ اهمال المنزل لدوره الاساسـي في غرس التربيةالاسلامية مما زاد العبء الملقى على عاتق المدرسة في هــــذه الناحية • وجعــــل رقابتها لازمة ، ومتابعتها ضربة لازب •

٢ ـ عزوف الشباب وتحلله عن كثير من القيم الاخلاقية ، والقيود العرفية ، وتمسكه بقشور المدنيات المستـــوردة شكلا وموضوعا ، الامر الذي يشــكل خطرا على السلوك الفردي ،والاجتماعي

٣ ـ حاجة الامم في دور نشاتهـــا وتطورها الى دعائم قوية ، من الخلـق القويم ، والضمير السليم ، وقد ثبت أن التربية الاسلاميـــة من أقوى الوسائل الفعالة في غرس ما يلزم من الاخـلاق المعدة للشباب اعدادا اسلاميا مستنيرا لا عوج فيه ولا امتا • ومجتمعاتنـــا العربية والاسلامية في حاجة ماسـة الى القيم الاسلامية التي تجعل الدافعللعمل ذاتيا منبعثـــا من النفس والضـمير والخلق من غير حـــض أو رقابة ، أو وعد أو وعيد •

٤ ـ الغاية الاساسية في التربية الاسلامية :

الغاية الاساسية التي يجب ان تراعى في التربية الاسلامية ، ان نجعل الدين ذا قيمة في كيان الطلبة والطالباتالذين يتلقون عنها المعلومات بحيث يظهر ذلك في سلوكهم ، وانماط تعاملهم مـــع المجتمع ، ولقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم الهدف من التربية الاسلامية ولخصه في قوله : « الدين المعاملة » لذا ينبغي أن يبدو هذا الهدف علـــى مستوى الفرد في سلوكه وخلقه ، وعلى مستوى الجماعة في تساندها وتوافقها الاجتماعي ، وتكافلها الحيوي ، حتـى يصبح المجتمع مترابطا متكاملا «كالبنيان المرصوص يشد بعضـــه بعضا ، أو كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضـو تداعى له سائر الاعضاء في الســـهر والحمى » وهكذا من توجيهات الرسول صلى الله عليه وســـلم نحو الترابط والتكافل الاجتماعي •

وينبغي ايضا أن تقوم التربيـــــة الاسلامية على أساس من المقابلات مع حياة الطلبة والطالبات الواقعية وحياة ذويهم ومجتمعهـــم ، والا كنا نعمل في فراغ بعيد عن الواقع ـ والتربية لا تقوم على فراغ ـ ومن المعلوم ان التربيـــة الاسلامية تتصـــــدى لمعالجة أعوص المسائل ، واعمق المشكلات دقة ، واوثقها صلة بحياة الفرد ومبدئه ومعاده ، فهل تلقى الى الطالب او الطالبة مفاهيـــم التربية الاسلامية دون بيان ارتباطهـــا بالحياة ، ومدى تاثيرها في سلـــوك الفرد ، وتكوين اتجاهاته في مناشط الحياة المنوعة ، علما بان البيئة التي يكثر فيها التحدث عن المفاهيم الاسلامية

كيف تدرس التربية الاسلامية

من غير تطبيق عملي ، تساعد علىغرس بذور الصراعات المذهبيـــــة في نفوس الطلاب والطالبات ، وتفضي بهـــم الى انكاء روح الجدل العقيم الذي لا يعمر فكرا ولا يطمئن قلبا ، ولذلك يلـزم أن تلتزم المؤسسات التعليمية الاسلاميـة بربط الطلبة والطالبا تبالقرآن الكريم حفظا وتلاوة وتجويدا وفهما وسلوكا ، ووصلهم بالسنة النبوية الشريفـــــة بوصفها الاصل التشريعي الثاني ، وهي المبينة للقرآن والتطبيق العملي لاوامره ونواهيه والمذكرة التفسيرية لما يحويه ، وتعريفهم بنبي الاسلام وسيرته الطاهرة مع سيرة مجموعة من الانبياء والمرسلين وأعلام الاسلام من الصحابة والتابعين، والعلماء ، ورجال الفكر الاســـلامي ، تحريكهم بالتي هي أحسن الى ممارسة العبادات مع تهيئة الجو المناسب لادائها على الوجه الاكمل ·

وينبغي أن نلاحظ أن الطلبةوالطالبات في طور من أطوار حياتهم يتحرقـــون شوقا الى مناقشة أمور كثيرة يجدونها أكبر اهمية من كل ما تحويه المناهج ·

ان أسئلة كثيرة تتردد في ذهن الطلبة والطالبات ، ويرغبون أشـــد الرغبة في الوصول الى ما يطمئن نفوسهم بصددها ويروي تعطشهم الى ادراكها ، ويشبع نهمهم الى هضمها ، فمن الخطأ فيمثل هذا الموقف أن يلجأ المعلم الى وسائل الوعظ الكلامي ، والتلقين الحماســـي ، وفرض المبادىء الخلقية فرضا خارجيا·

والاولى أن يلجأ الى استثارة البواعث الدينية والنفسية بالترغيب والتشـويق عن طريق الاقناع والخبرة التـــي تتم عن طريق الاقناع والخبرة الت يتتـم عن رغبة قلبية وتبصر « لا اكـراه في الدين » والافضل أن نسمح لطلابنـــــا وطالباتنا بأن يفضوا الينا بما لديهـــم من أسئلة ، تربط بين ما تطلبه المناهج، وما يريد طلابنا وطالباتنا الوصول اليه، وننهج في السير الى ايجاد حلول لتلك المساءلة نهج التربية الاسلامية نفسها التي تسلك بالفرد مرحلتين ·

١ ــ مرحلـــــة العرض والمناقشـــة والاقناع ·

٢ ــ مرحلة التعرف لماهيـة السلوك النموذجي الذي أمر به الاسلام ثـــم محاولة ايجــــاد أكبر قدر ممكن من الانسجام بين حياة الفرد وهذا السلوك النموذجي المطلوب، ومن هنا لا تصـبح الثمرة المرجوة من التربية الاسلامية ، هي مجرد استقبال الطالب أو الطالبـة لمظاهر الدين بخشوع واجلال ناتجيـــن عن العاطفة فحسب، بل تصبح الثمـرة المرجوة رسالة فكرية يحملها الطلبـــة والطالبات في عقولهم ، ويؤمنون بهـا بتفكيرهم واحساسهم ، رسالة تحمل في طياتها حلولا ناجعة لمشاكل الحيـــاة بالنسبة للطلاب أو الطالبات ، وتفسيرا كاشفا للظاهرة الدنيوية القائمة حولهم ، وتغني تطلعاتهم نحو أنفسهم والكون ،

وأحكامه وآدابه في حماس ونشـــاط ، ومن أسباب الاثارة التي ينبغي أن تتوفر في الشكل ٠

١ ـ اخلاص المربي في تربيته للطلبة والطالبات وتعليمهم مع حبه لعمله ٠

٢ ـ القدوة الحسنة التي تجعل المربي في عين طلبته او طالباته أنموذجا حيـا لما يلقى عليهم كل يوم من صفات المسلم وواجباته نحو خالقه ومجتمعه ، فالقدوة الحسنة التي يجب أن تشمل جميعأسرة التربية تجسد المبادىء وتحيلها الى مثل حية ، والمثال الحي شاهد على صـحة الاسس التي يقم عليها ٠

٣ ـ تواضع المربي واقامته نفسه بين طلابه او طالباته مقام أخ ودود لهـم ، يتصدى لمعالجة مشكلاتهم الفكريـة ، والنفسية ، يسعى باخلاص الى حلهـا بعد دراستها ، وذلك يتطلب منه المعرفة الفردية للطلبة او الطالبات بقدر الامكان، وبهذا تتوفر الثقة بين المعلم وطلبته او طالباته ، فيكشفون قلوبهم ويقضون له بما يعتمل في نفوسهم وبهذا يصـبح المعلم اخا ووالدا ورائـدا ، والرائد لا يكذب أهلـه ٠

« للبحـث صـلة »

والقيم الخلقية والسلوكية من غير تشنج أعشى ، أو تعصب أعمى لمذهب نشـأ فيه ، او فكر سيق اليه ٠

هذا عن التربية الاسلامية من حيـث الموضوع ، أما من حيث الشكل فلا بـد ان تعتمد على أسباب تثير في الطلاب او الطالبات حواسهم ومشاعرهم تثيرها بمقدار يفتح للطلبة أو الطالبات ، وعيهم الفكري لاستقبال ما سيلقى عليهم مـن حقائق الاسلام وأباطيـل خصومه ،

القاديانية..
.. الأحمدية

عرض المستشـرق بولس براون في كتابه (طوالـــع الاسلام) الى حركات التجديد والاصلاح التي ظهرت منــذ القرن الماضـــي في أنحاء العالم الاسلامي من الهنــد الى ايران الى مصر، وقـــد اعتبر البهائية والقاديانيــة حركتين اصلاحيتيـــن في الاسلام وقد تابعه في هـــذا بعض المفكرين المسلمين ·
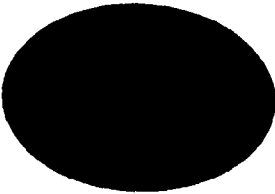
ولا ريب أن المستشرق ومن تابعـــه كانوا مخطئين في هذا التصور، وان كنا لا نخلي « الاستشراق » من تبعة العمل لدفع هذه الحركات الهدامة الى الامـــام واحتضانها، وتزييف مخططاتها المسمومة لخداع الشعوب الاسلامية، واشـــاعة روح « التزييـــــف في فكرها واثارة الشبهات حول منهجها الاصيـل· ومن يتابع هاتين الدعوتين المبطلتين يعرف انهما استهدفتا ضرب حركة اليقظـــة الاسلامية التي كانت قد قطعت مرحلـة كبيرة في طريق التماس المنابع الاصيلة وجوهر الاســـلام بمفهوم التوحيـــد الخالص ، وان الحركتين قد نشاتا في احضان النفوذ الاجنبي واستهدفتـــا

ضرب الاسلام في أعظم قيمه الاساسية وهي « فريضة الجهاد » وقد كشـــفت الابحاث التاريخية عن علاقة اكيدة بين هاتين الدعوتيـــن وبين الاستعمـــار والصهيونية والهندوكية ·

بقلم : مسلم

خروج على النبوة المحمدية

خدعة مضللة

وأنهما حاولتا بث الفتنة وزعزعة العقائد، واثارة الشبهات والشكوك واضعاف شوكة المسلمين وتثبيط عزائمهم في المكافحة ضد النفوذ الاجنبي والكيد للاسلام ، وتضليل المسلمين عن حقائق عقيدتهم ، وتفريق وحدتهم، ولم يعد هناك ريب في أن هذه الطوائف الدخيلة، تلقى المعونة والتوجيه من المستعمرين والمبشرين واليهود ، وهم يعدونها لما أسموه « حرب الاسلام من الداخل » .

وشنت الصحف الغربية في الفترة الاخيرة (أواخر عام ١٩٧٨ م) حملات جديدة مكثفة لاحياء دعوة القاديانية وذلك بنشرها لاعلانات تقول : « بأن السيد المسيح عليه السلام لم يصلب حتى الموت كما يقول المسيحيون، أو يرفع الى السماء دو نأن يصلبه اليهود كما يقول المسلمون ، ويمضي اعلان القاديانيين فيقول : أن السيد المسيح قد عوفي من جراحه بعد ذلك وغادر (جودية) وهو الاسم الذي يطلقه اليهود على الضفة الغربية من فلسطين ليبحث عن قبائل بني اسرائيل الضالة ، حتى وصل الى الهند وهناك عاش طويلا جدا ثم دفن في كشمير » .

■

ولا ريب أن هذه محاولة جديدة لاعادة توجيه الاذهان الى هذه الطائفة ، بعد أن أصيبت في السنوات الاخيرة بالهزيمة الساحقة، عندما أعلنت حكومة باكستان انها طائفة غير اسلامية ، وقد أشارت هذه الاخبار المحددة ان هناك مؤتمرا دعى اليه فئات مختلفة ، وهو

القاديانية خروج على السنة !

يستهدف بالذات الى اجتذاب المسيحيين الى صفوف هذه الطائفة المارقة التي بدأت تعاني من التدهور .

القاديانية :

ظهرت القاديانية بعد أن عجزت السلطات البريطانية في اخضاع المسلمين في الهند،عن طريق الحرب والسلطان العسكري والسجن والتشريد والنفي والقتل . فقد عمد الاستعمار البريطاني الى محاولة اخضاع المسلمين بالتغريب والغزو الثقافي ، وحاولت أن تقيم طائفة من المسلمين ، تدين لها بالولاء وتضرب وحدة المسلمين وجماعتهم وتمزقهم الى فرق ، فأعدت غلام أحمد القادياني لحمل لواء هذه الدعوة التي بدأت بادعاء الخروج عن مفاهيم التوحيد الخالص، وانتهت بادعاء النبوة، وقد مكنت بريطانيا لهم في الهند في امارة خاصة تسمى « الربوة » داخل باكستان ، وقدمت منهم من تسنم عليا المناصب السياسية، ومن ثم تولى كبارهم مناصب الدولة والجيش ، وأصبحوا عاملا خطيرا في مواجهة أهل السنة والجماعة ، وضرب مفهوم التوحيد الخالص .

وقد كان أبرز ما دعا اليه القادياني: مهاجمة فريضة الجهاد، والدفاع عن النفوذ الاجنبي باعتباره الطاعة لاولي الامر ، وقد رحبت الهندوسية بالقاديانية ، ودافعت عنها، وكان من أخطر دعاوي القاديانية رأيهم الزائف حين جاءوا بتفسير مبتدع لختم النبوة خالفوا به تفسير المسلمين المتفق عليه بينهم ، من أنه صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين فلا نبي بعده ، ففسروا خاتم النبيين: بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء أي "طابعهم"، فكل نبي يظهر بعده تكون نبوته مطبوعا عليها بخاتم تصديقه صلى الله عليه وسلم ، ويكفرون من يخالفهم ويكفرون جميع المسلمين الذين لا يؤمنون بكلام القادياني .

وقد ادعى القادياني أنه أوحي اليه بما يربو على عشرة آلاف آية ، وأنه مبعوث بالرسالة بعد محمد صلوات الله عليه ، وان ما ينزل عليه وحي كالقرآن والتوراة والانجيل ، وان روح المسيح حلت فيه ، وان الحج فريضة على المسلمين الى قاديان ، وانها بلدة مقدسة كمكة والمدينة ، وأنها المكنى عنها في القرآن بالمسجد الاقصى .

(عن كتاب براهين أحمدية ورسالة التبليغ) .

وكان غلام أحمد القادياني قد بدأ دعواه ١٨٨٨ م حيث أسس مدرسة في قاديان لتعليم أبناء شعبه وأصدر مجلة لنشر مذهبه سماها مجلة : « الاديان » وقد مرت دعوته بعدة مراحل ، كانت اخراها ادعاءه النبوة وانه المسيح المنتظر .

وقد قاوم رجال حركة اليقظة الاسلامية هذه الدعوى منذ اليوم الاول ، وكشف العالمان البارزان : المودودي والندوي فساد هذه النحلة ، وزيفا فكرتها

غلام القادياني .. عميل للحكومة البريطانية

ودافع عن النفوذ الأجنبي باعتباره طاعة لأولي الأمر

المسمومة وكشفا عن حقيقة موقف الاسلام حيث يعتقد المسلمون أن النبـي محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين، وانه لا نبي بعده ألى يوم القيامة ، وان القادياني قد فارق الأجماع وخالفـه ، حين فسر « خاتم النبيين » بأنه طابعهم وبأن كل نبوة لا يكون مطبوعا عليهـا بخاتمه وتصديقه صلى الله عليه وسلم تكون غير صحيحة ، وكشف علمـاء الاسلام ان هناك مخالفة تامـة بين المسلمين وبين هذه النحلة في كل شيء: في الله وفي الرسول وفي القرآن وفي الصوم وفي الحج والزكاة وهو خـلاف جوهر يفي كل شيء ، وقد كانت دعوى القادياني الخطرة ، التي جعل من ادعاء النبوة مقدمة لها ، هي ابطال شريعـة الجهاد، والدعـوة الى تقبل النفوذ البريطاني المسيطر على البلاد واعلان الولاء له ، وبذلك تكشف هدف هـذه النحلة المبطلة وهو خدمة الحكومـة البريطانية، وكل من يراجع كتابات غـلام أحمد في مؤلفاته ، يجد أسلوبا ساذجا في الاداء وضالا في المضمون ، مثـل قوله « انني صادق كموسى وعيسـى وداود ومحمد ، وقد أنزل الله لتصديقي آيات سماوية تربو على عشرة آلاف ، وقد شهد لي القرآن وشهد لي الرسول، وان من يخالفني فهو نصراني يهودي مشرك من أصحاب النار » .

فمثل هذا الكلام لا يقنع أقل النـاس ثقافة ، ولا يستطيع أن يرقى لان يكـون فكرا عاليا يمتلك النفوس ويهز الارواح بل انه يكشف عن زيف صاحبه وفسـاد هدفه ، بل ان غلام أحمد القادياني قـد شهد على نفسه في كتاباته بأنه تابـع وخادم وعميل للحكومـة البريطانية ، حيث يقول في ختام كتابه (شـهادة القـرآن) :

« قضيت معظم عمري في تأييـد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها ،وألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الامر من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه الى بعض لملأ خمسين خزانة ، لقـد ظللت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين، اجاهد بلساني وقلمي لاصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية ، ولما فيه من خيرها والعطف عليها وانادي بالغاء فكرة الجهاد التي يدين بها معظم جهالهم ، والتي تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة » .

وقد كشف العلامة المودودي في كتابه « ما هـي القاديانية » فساد دعوى

القادياني حين قال : « لقد أمدت حركة الميرزا غلام أحمد الحكومة الانجليزية بخير جواسيسها لخدمة مصالحها الاستعمارية ، وقد كانوا أصدقاء أوفياء وكانوا موضع ثقة الحكومة الانجليزية وقد خدموها في الهند وخارج الهند ، وبذلوا نفوسهم ودماءهم في سبيلها بسخاء » .

وعن الاستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه « القادياني والقديانية » يقول غلام أحمد في آخر كتابه شهادة القرآن:« ان عقيدتي التي اكررها ان الاسلام جزأين: الجزء الاول اطاعة الله ، والثاني اطاعة الحكومة التي بسطت الامن وأوتنا في ظلها من الظالمين ، وهي الحكومة البريطانية»وقد أمدت هذهالفئة الحكومة البريطانية بخير جواسيس لمصالحها وأصدقاء أوفياء ومتطوعين متحمسين كانوا موضع ثقة الحكومة».

الاحمدية : خدعة مضللة :

توفي غلام أحمد ١٩٠٨ ثم انقسمت الجماعة الضالة الى فرقتين ، انتخب اتباعه : حكم نور الدين ، ثم أنشأ محمد علي اللاهوري جماعةمنفصلة في لاهور بعد أن اتخذت جماعة قاديان ابن القادياني : محمود بشير الدين رئيسا لها .

وقد حاولت هذه الجماعة اللاهورية أن تدعي أنها ليست على ضلال القاديانية ، وحاولت أن تنكر دعوى نبوة غلام أحمد،أو ادعاءه النبوة ، ونشروا كتبه الاولى وحجبوا كتبه الاخيرة ،وهي محاولة خادعة لتحسين الظن به توطئة لاتباعه .

ويقرر باحث معاصر للاحداث هو (عبد الحميد السيد) ان دعاة القاديانية اجتمعوا على محاولة استنقاذ الدعوى ، وكان اختيار محمد علي اللاهوري لانه مقرب من رجال الاستعمار البريطاني في الهند ، وأريد له اصلاح الامر بعد أن كره المسلمون ما ادعاه غلام أحمد وأنكروه ، وذلك في محاولة جديدة لجمع القلوب حول باطلهم ، فادعى اللاهوري:ان غلام احمد لم يكن غير مصلح وانه لم يدع النبوة ،وأعادوا طبعكتبه التي كتبها في الدور الاول .

يقول أبو الحسنات محمد محي الدين الهندي : لما رأى القاديانيون التشدد في القضاء على فتنتهم ، بعد أن حاصرهم المسلمون في بلدتهم الصغيرة قاديان ، وقاوموهم مقاومة شديدة ، لجأوا الى ظل الحكومة البريطانية ، وتعهدوا بالدعاية لها والدفاع عنها ، فانتهزت بريطانيا الفرصة لتفريق كلمة المسلمين عن طريق تشجيعهم ، فمهدت الطرق للتبشير بالقاديانية على أساليب المبشرين ، وركزوا على الدعوة لالغاء الجهاد الاسلامي ، والادعاء بأن الاسلام لم يعد دين جهاد ، بل صار الآن دين السلام ، وسعوا الى ايجاد السلام بين الاسلام والمستعمرين،وفي هذه المرحلة اتسع نطاق الدعوة تحت اسم الاحمدية، ووصل الى بلاد كثيرة كالافغان وغيرها

في آسيا ، ووصل الى قلب افريقيا وقد لمس الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر نشاطها الخطير في نيجيريا والف كتابا في دحضها ·

يقول السيد ابو الحسنات : انهم خداعا للعامة قد اتخذوا سبيل التقية ، وعمل محمد علي اللاهوري الذي يلقبه المسلمون في الهند (عبد الله بن ابي ابن سلول) الثاني ، تشبيها برئيس المنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان من ابرز انصار دعوة القادياني الصريحة حتى مماته وكان من ابرزهم في الخطابة وابرعهم في الكتابة، فهو الذي ترجم القرآن الى اللغة الانجليزية وفسره وحرفه وغير معانيه في مواضع شتى ، وفق تفسير متبوعه (غلام احمد) وزعم ان نحلة القاديانية هي الحقة ، فكل من قال لا اله الا الله فهو مكلف شرعا باتباع القادياني وقد حوى تفسيره كثيرا من الشبهات والسموم ، منها تفسيره الباطل لسورة الفاتحة ، حين قال : ان الذين انعم عليهم هم القاديانية والمغضوب عليهم هم المسلمون ، وقال ان مريم تزوجت وزوجها يوسف النجار ، وان قول « لم يمسسني بشر » محمول على العرف الخاص ، وانكر ان سيدنا ابراهيم ألقي في النار ، وادعى في تفسيره بامكان نزول الوحي على غير الانبياء ، واعترف في مقدمة تفسيره بانه اغترفه من فيض القادياني ، وقال انه هو المسيح وكذلك انكر معجزة شق القمر ، ولا ريب أن

مراجعة ترجمة القرآن التي قدمها محمد علي اللاهوري ، تكشف عن سموم كثيرة معارضة لمفهوم اهل السنة والجماعة وانها حاولت تقديم فلسفة القاديانية كاملة،وللاهورين قولان : قول للمسلمين انه مصلح ، وقول لاخوانهم انه نبي وفي السنوات الاخيرة عمدوا الى اصدار ترجمة محرفة لمعاني القرآن ، ظهرتهذه الترجمة في هولندا محشوة بكثير من التبديل والتغيير والتحريف والتشويه لمعاني كتاب الله ، مع استغلال تفسير القرآن في خدمة اغراضها ونواياها وتنفيذ مؤامراتها الحاقدة على الاسلام لمحاولة تشكيك المسلمين في عقيدتهم السمحة وتستهدف اساسا :

١ ـ قطع صلة هذه الامة بماضيها وعن خير ايامها وافضل رجالها ·

٢ ـ فتح الباب أمام الادعياء ومدعي النبـوة ٠
٤ ـ خروج على النبوة المحمدية وعلى صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام ٠
٣ ـ ايئاس المسلمين في مستقبلهم ٠
وقد أشار اقبال الى خطر القاديانية حين قال : « ان القاديانية مؤامـرة مدروسة ترمي الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم » ٠

ولقد امتد خطر القاديانية بلونهـا اللاهوري،وخدع كثيرا من الناس واتسع نطاقها واستفحل خطرها ، وخاصـة في باكستان نفسها ، ففزعت الاحـزاب والهيئات تطالب الحكومة بجعلها اقليـة غير اسلامية ، وكان قد صدر عام ١٩٣٥ قرار محكمة مدنية بهاول ناجار ،برئاسة القاضي محمد أكبر خان باعتبـار أن القاديانيين غير مسلمين ، وبطلان التزوج بينهم وبين المسلمين ، ثم جاء قـرار (٧ سبتمبر ١٩٧٤ م) من البرلـمـان الباكستاني حاسما قاضيا باعتبـار جميع الفئات القاديانية أقليات غيـر اسلامية ، وقـد جاء قرار البرلـمـان الباكستانـي بعد دراسة للمسـألة القاديانية استمرت أكثر من ثلاثين يوما واقتضت تعديل دستور جمهوريـة باكستان الاسلامية على النحو التالي :
أولا : اعتبار اتباع القاديانية أقليـة غير اسلامية،واعتبار اتباع الميرزا غلام أحمد سواء أكانوا من فئة القاديانية أو من فئة اللاهورية أقلية غير مسـلمة بموجب الدستور ٠
ثانيا : أي رجل لا يؤمن بالنبـوة المطلقة لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى انه آخر الرسل أو أي شخص يدعـي النبوة في أي معنى أو شكل للنبوة وبأي تفسير لكلمة النبوة ليس بمسلم ، وان من يؤمن بادعاء أي مدع للنبوة أو يعتبره مجددا دينيا يكون غير مسلم بموجـب الدستور والقانون ٠

القاديانية واسرائيل :

وبعد فاذا كان هذا عن علاقـة القاديانية بالاستعمار والنفوذ الاجنبـي فان هناك علاقة القاديانية واسرائيل ، ولقد أسس القاديانيون مركزا لهـم في مدينة حيفا ابان الاحتلال البريطانـي حيث اتخذوها مقرا لهم ومركزا ، ومنها أخذوا يرسلون دعاتهم الى البلاد العربية ومنذ انسحبت الحكومة الانجليزية مـن حيفا وجد القاديانيـون تحت لواء اسرائيل امنا وسلاما،ولا يزال مركزهم قائما في مدينة حيفا،وقد طورت الجماعة القاديانية اتصالاتها الواسعة باسرائيل وكل أعداء الاسلام والمسلمين ، وقـد لعبوا وما يزالون يلعبون دورا خطيرا في هذا الصدد بالاشتراك مع النحلـة البهائية ، التي اتخذت من عكا ايضـا مقرا لها منذ الاحتلال البريطانـي لفلسطين ٠

من أدب النبوة :

● كسب الحلال فريضة بعد الفريضة ·

● أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور ·

● انما البيع عن تراض ·

● نعم العون على تقوى الله المال·

● نعم العون على الدين قوت سنة ·

● انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم،وانك مهما انفقت من نفقة فانها صدقة حتى اللقمة ترفعها الى في امراتك ، وعسى الله ان يرفعك فينتفع بك ناس ويضربك آخرون ·

● اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هي المنفقة ، والسفلى هي السائلة وابدا بمن تعول ·

● ان الله يحب العبد المؤمن المحترف ·

● نفقة الرجل على أهله صدقة ·

الظلم ثلاثة دواوين :

قال ابن القيم في « مدارج السالكين»: في الحديث الذي روي مرفوعا وموقوفا « الظلم ثلاث دواوين ، ديوان لا يغفر الله منه شيئا وهو الشرك وديوان لا يترك الله منه شيئا « أي يحاسب عليه كله » وهو ظلم العباد بعضهم بعضا وديوان لا يعبأ الله به شيئا وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه ·

فتوى في مصلحة الشعب :

قال البيهقي في«المحاسن والمساوىء»: دخل أحمد بن ابي دؤاد على الخليفة الواثق فقال له الواثق : بالله يا ابا عبد الله اني حنثت في يمين فما كفارتها؟ فقال : مائة الف دينار ، فقال ابن

قطـــوف

الزيات : واللـــــه ما سمعنا بهذا في الكفارات ، انما قال الله عز وجـــل « فكفارته اطعام عشرة مساكين مـــن أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهـــم أو تحرير رقبة » فقال ابن ابي دؤاد تلك كفارة مثله « مثل الواثق في بعد همته وجلالة قدره ، أو مثل آبائه » انما تكون كفارة اليمين على قدر جلال الله من قلب الحالف بها ، ولا يفلح احد الله جـــل وعز في قلبه أجل من امير المؤمنين فقال الواثق : تحمل الى أبي عبد الله يتصدق بهـــا ٠

الحديث كالنار :

كان ابو زكريا العنبري يقول : علم بلا ادب كنار بلا حطب ، وادب بلا علم كروح بلا جسم.وانما شبهت العلم بالنار لما روينا عن سفيان بن عيينة انه قال : ما وجدت للحديث شبها الا النـــــار نقتبس منها ، ولا ينتقص عنها ٠

نفحـــات :

■ هلك من ليس له حكيم يرشــــده وذل من ليس له سيف يعضده ٠

■ رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس ومن لم يرج الناس في شيء ورد امره الى الله تعالى في جميع اموره استجاب الله له في كل شيء ٠

■ حق الصدقة ان تعلم انها لك ذخرا عند ربك ووديعتك التي لا تحتــاج الى الاشهاد عليها وكنت بما تستودعه سرا اوثق فيك بما تستودعه علانية وتعلـــم انها تدفع البلاء والاسقام عنك في الدنيا والآخرة ٠

■ حق اخيك ان تعلم انه يدك التــــي تبسطها وظهرك الذي تلتجيء اليه وعزك الذي تعتمد عليه وقوتك التي تعول بها فلا تتخذه سلاحا على معصية الله ٠

من بدائع الحكم :

● لا خير في لـــذة تعقب ندما ٠ ● لن يفتقر من زهد ٠ ● اقبلوا عذر من اعتذر ٠ ● ما اقبح القطيعة بعـد الصلة ٠ ● انصف من نفسك قبل ان ينتصف منك ٠ ● لا تكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ٠ ● اعلـم ان لك من دنياك ما اصلحت به مثواك ٠ ● انفق في حق ولا تكونن خازنا لغيرك ● لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب ٠ ● عجبت لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين ٠

وقال بعض الحكماء : لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلوى ولا المروءة فتشمت بك الاعداء ، وقال الشاعر : من فارق الصبر والمروءة امكن من نفسه عدوه ٠

الأب لامانس ومؤامراته المزعومة
ولكن هيهات هيهات

للاستاذ : محمد فرج

في عدد ماض تناول الكاتب موضوع المؤامرة المزعومة التي روجها المستشرق اليسوعي لامانس • وشرح أهداف هذه المؤامرة الخبيثة ضد أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ، ورد الكاتب على مزاعم لامانس حتى وصل الى اجتماع سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بزعامة سعد بن عبادة للتشاور •

موقف عمر :

في ذات الوقت الذي اجتمع فيه الانصار في سقيفة بني ساعدة ، اجتمع نفر من المسلمين في مسجد المدينة يتحدثون في وفاة الرسول ويتناقشون في ولاية الامر من بعده ، وكان عمر وأبو عبيدة ضمن الحاضرين ، واتجه عمر الى أبي عبيدة ـ كما جاء في طبقات ابن سعد ـ وقال : « ابسط يدك أبايعك، فانت أمين هذه الامة على لسان رسول الله » وكانت مقالة عمر مفاجاة لابي عبيدة ، فوجم حين سمعها ، ثم قال لعمر في غضب « ما رايت لك فهة (أي سقطة) قبلها منذ أسلمت ، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين» •

هذا الموقف من جانب عمر يعني أنه لم يكن هناك اتفاق بين ابي بكر وعمر وأبي عبيدة قبل وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم . كما ذكر لامنس ، لانه ـ أي عمر ـ لم يرشح ابا بكر للخلافة، وانما اتجه بذهنه الى أبي عبيدة ، وفي هذا نقض صريح للمؤامرة المزعومة التي يدعيها الاب لامنس ، لانه لو كان هناك اتفاق كما يدعي!لاعلن عمر منذ الوهلة الاولى ، مبايعته لابي بكر دون أن يعلن أمام المجتمعين في المسجد مبايعته لابي عبيدة في صراحة ووضوح •

مبايعة أبي بكر :

في هذه اللحظات بلغ عمر نبأ الاجتماع في سقيفة بني ساعدة فخشي أن تضطرم في بلاد العرب ثورة ، وأن يقع بين المسلمين الشقاق ، فبعث الى أبي بكر ، وكان في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، يدعوه للحضور فلم يتعجل أبو بكر الحضور قائلا : « اني مشتغل » فبعث اليه عمر مرة أخرى ينبئه بما يتعرض له المسلمون من خطر، فلما حضر أبو بكر،قال له عمر « أما علمت أن الانصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولوا هذا الامر سعد بن عبادة ، وأحسنهم مقالة من يقول منا أمير ومن قريش أمير » .

وذهب أبو بكر وصاحباه عمر وأبو عبيدة الى السقيفة، واجتمعوا بالانصار وتحدث اليهم أبو بكر « عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه ، والايمان به والمؤاساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتعذيبهم اياهم ، وكل الناس مخالف لهم زار عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشغف الناس لهم (أي بغض الناس) واجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله في الارض وآمن بالله وبالرسول . وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم في ذلك الا ظالم ، وأنتم يا معشر الانصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الاسلام رضيكم الله انصارا لدينه ورسوله ، وجعل اليكم هجرته وفيكم جلة ازواجه واصحابه فليس بعد المهاجرين الاولين بمنزلتكم فنحن الامراء وانتم الوزراء لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الامور » .

وكاد الانصار أن يقبلوا رأي أبي بكر، لان ما عرضه عليهم أقرب الى رأي بعضهم ، الذين قالوا : « منا أمير ومن المهاجرين أمير » ، ولكن الحباب بن المنذر أخذ يحرض الانصار ليثوروا ان لم يكن منهم أمير ومن المهاجرين امير « يا معشر الانصار .. املكوا عليكم أمركم فان الناس في فيئكم ولن يجترىء أحد على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم .. انتم أهل العز والثروة وأولو العدد والمنعة والتجربة . وذوو البأس والنجدة وانما ينظر الناس الى ما تصفون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ، وينتقض عليكم أمركم أبى هؤلاء الا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير » .

فغضب عمر لما قاله الحباب وقال : « هيهات ! ! لا يجتمع اثنان في قرن ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد صلى الله عليه وسلم وامارته ونحن أولياؤه وعشيرته ، الا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة » .

ووقف الحباب يرد على عمر طالبا من الانصار اجلاء المهاجرين عن المدينة أو

يتولوا عليهم الامر . وقال « اما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة » فصاح به عمر « اذن يقتلك الله » فاجابه الحباب « بل اياك يقتل » .

وهاجت النفوس وثارت المشاعر . وكاد الانقسام ان يتم والفرقة أن تقع . لولا أن تدخل أبو عبيدة بن الجراح وخاطب الانصار « كنتم أول من نصر وآزر . فلا تكونوا أول من بدل وغير » ثم قطع أبو بكر المناقشات فأخذ بيد عمر وبيد أبي عبيدة وقال للناس « هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا » فسحب عمر يده من أبي بكر وقال « ابسط يدك يا أبا بكر .. ألم يأمر النبي أن تصلي أنت بالمسلمين » فانت خليفة رسول الله . ونحن نبايعك . لنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعا » ثم قال أبو عبيدة « انك افضل المهاجرين . وثاني اثنين اذ هما في الغار . وخليفة رسول الله على الصلاة ... فمن ذا ينبغي أن يتقدمك أو يتولى الامر عليك » وتتابع أهل السقيفة يبايعون أبا بكر . حتى أن الحباب بن المنذر قال مخاطبا قومه « ان الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسوله . فان اعتصمتم به هداكم الله كما هداه به ، وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين اذ هما في الغار فقوموا فبايعوا » وهكذا يكون المسلمون جميعا مهاجرين وأنصارا قد اتفقوا على مبايعة أبي بكر للخلافة . وهذا الاجماع من جانب المسلمين يهدم ادعاء الاب لامنس من أساسه . ويؤكد أن الاتفاق الذي تم كما يدعي . اتفاق خلقته عقليته التي ارادت أن تسيء الى الاسلام والمسلمين وان تمس ثلاثة من أعظم رجال الاسلام في نزاهتهم واخلاصهم وامانتهم وحبهم للرسول صلوات الله عليه وسلامه .

لماذا انتخب أبو بكر :

لعله قد فات أو غاب عن ذهن الاب لامنس أن هناك عوامل كثيرة . تدخلت في اختيار أبي بكر ليكون أول خليفة يتولى شئون المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وان هذه العوامل كان من الممكن لو توافرت في شخص آخر غير أبي بكر لرشحته لمركز الخليفة، ولدفعت بالمسلمين جميعا الى مبايعته . ولا شك في أن هذه العوامل لم تكن لتخطر على بال واحد من الثلاثة الذين اتهمهم لامانس بالمؤامرة . ونحن نعرض فيما يلي هذه العوامل لتكون ضوءا ينير السبيل . أمام من قد يطلعون يوما على كتاب الاب لامنس ويقفون على ما يزعمه من مؤامرة .

★ كان أبو بكر اول الناس اسلاما وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة
فاذكر أخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وان لها
بعد النبي واوفاها بما حملا
والثاني التالي لمحمود مشهده
واول الناس ممن صدق الرسلا

★ شهد أبو بكر بدرا والمشاهد كلها وهاجر مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة فكان رفيقه في هجرته .

★ كان ابو بكر يملك عند اسلامه اربعين الف درهم انفقها كلها في سبيل الله حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ما نفعني مال قط كما نفعني مال أبي بكر » .

★ أعتق أبو بكر سبعة من المسلمين كان قادة قريش يعذبونهم منذ اعلنوا اسلامهم بقصد ارغامهم على ترك الاسلام والعودة الى دين اسيادهم ومن هؤلاء بلال .

★ كان ابو بكر قريبا الى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتركه ابدا؛ حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعوه دائما بصاحبه ويقول « دعوا لي صاحبي فانكم قلتم لي كذبت وقال لي صدقت » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا أنه لو كان متخذا خليلا لاتخذ ابا بكر وقال « لا تبقين في المسجد الا خوخة ابي بكر » .

★ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يترك اليه تصريف بعض امور المسلمين ويسند اليه حل مشكلاتهم ، وتاريخ الاسلام حافل بالامثلة التي تدل على ذلك؛ ومنها ان امرأة جاءت الى الرسول صلى الله عليه وسلم وسألته عن شيء فأمرها أن ترجع اليه ، فقالت « يا رسول الله أرأيت ان جئت ولم أجدك ؟ » فأجابها « ان لم تجديني فاتي ابا بكر » ويؤكد الشافعي ان هذا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله هو أبو بكر .

★ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ابا بكر خلال مرضه ليصلي بالمسلمين وحدث مرة أن كان أبو بكر غائبا فصلى بهم عمر فلما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم صوته قال « فاين أبو بكر ؟؟ يأبى ذلك الله والمسلمون » .

●

دور عائشة وحفصة :

تتفق المصادر الاسلامية على أن السيدتين عائشة وحفصة كانتا تفضلان أن يصلي عمر بالناس بدلا من ابي بكر، فعندما ثقل المرض على النبي صلى الله عليه وسلم امر أن يصلي ابو بكر بالناس وروي عن عائشة انها قالت « لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذن بالصلاة فقال : مروا ابا بكر فليصل بالناس ، قلت يا رسول الله ان ابا بكر رجل أسيف وانه متى يقم

مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر . فقال : مروا أبا بكر ليصلي بالناس » فقلت لحفصة : قولي له أن أبا بكر رجل أسيف وانه متى يقم مقامه لا يسمع الناس فلو أمر عمر : فقالت له حفصة فقال انكن لانتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس » هذا الحديث عن عائشة يؤكد انها والسيدة حفصة كانتا تريان أن يقوم عمر بالصلاة بدلا من أبي بكر - ومعنى هذا انهما لم يشتركا في تدبير مؤامرة لتولي أبي بكر الخلافة والعرش بعد الرسول صلوات الله عليه وسلامه لانه لو كان هناك ثمة اتفاق لايدا صلاة أبي بكر بالمسلمين .

وأخيرا :

فان الاب لامنس وهو ينشر مؤامرته المزعومة ، قد خانه التوفيق ولم يستطع أن يصل الى هدفه في التشكيك في شخصية هؤلاء الرجال الثلاثة . فالمسلمون يعرفون جيدا الدور الذي يقوم به أعداء الاسلام للنيل منه . ويدركون أن هؤلاء يحاولون هدم الاسلام بشتى الطرق . ولكن هيهات .. ! فهم يعرفون ذلك ويدركونه ، ولهذا فهم لا يهتمون بما يقولونه أو يدعونه ايمانا منهم بدينهم وبرسولهم وبرجاله الاولين الذين كان لهم فضل عظيم على الاسلام وعلى البشرية وعلى العالم .. فضل كبير لا ينكر وانما يذكر فيشكر .

١ - لم يكن ميراث محمد صلى الله عليه وسلم في دينه وقومه .. عرشا .. فالاسلام برىء من العروش التي بناها في عقولهم اعداء الاسلام . ولكن ميراث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في قومه . هداية الله تعالى لهم بعواندهاعهم بايمانهم لنشر دينه حتى خفقت راية لا اله الا الله محمد رسول الله في الخافقين ولما تمض على التحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى سنوات قليلة .. ولكنه الحقد العصيب المتعصب لبقايا عقائد حرفوها واشتروا بها ثمنا قليلا . وارادوا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يقعوا فيما وقعوا فيه ، فان لم يقعوا .. نصبوا لهم المزالق .

« المجلة »

الصلاة بغير العربية :

● أ ـ على من يعود الضمير في قوله تعالى : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو .... ؟ »

ب ـ تعليقا على ما نشر في المجلة حول موضوع« المسلمون في اليابان » هل تجوز الصلاة بأية لغة غير العربية ؟

محمود محمد زكي

ج. م. ع ـ المنيا معهد مغاغة

ـ أ ـ الخطاب لآدم وحواء والحية والشيطان في قول ابن عباس ، وقال الحسن الخطاب لآدم وحواء . وقال مجاهد والحسن ـ ايضا ـ المقصود بنو آدم وبنو ابليس والهبوط النزول من فوق الى اسفل .

ب ـ ورد في تفسير القرطبي جـ ١ ص ١٢٦ « لا تجزىء صلاة من قرأ بالفارسية وهو يحسن العربية في قول الجمهور . وقال ابو حنيفة تجزئه القراءة بالفارسية وان احسن العربية لان المقصود اصابة المعنى . وقال ابن المنذر لا يجزئه ذلك لانه خلاف ما أمر الله به ، وخلاف ما علم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وخلاف جماعة المسلمين،ولا نعلم احدا وافقه على ما قال « يعني أبا حنيفة » .

الزواج ونوازع الشباب :

● عزمت على الزواج من فتاة وهناك عقبات تحول دون اتمام هذا الزواج فهل يجوز لي أن أخطف هذه الفتاة ونهرب الى أي مكان بعيدا عن أهلها ثم أعقد قراني عليها ؟

جبريل ـ دبي

ـ الزواج في الاسلام هو أساس لتكوين أسرة ، واسهام عظيم في انشاء مجتمع متماسك سليم قويم ، ولكل شيء هدف ودافع ، ولقد قرأنا دوافعك وتأملنا اهدافك ، فوجدنا فكر الشباب غير المتاني ودوافعه النزقة قد سيطرت عليك فما معنى أن تخطف فتاة بريئة من اهلها؟ وما معنى أن تعرضها وتعرضهم في مجتمعهم لكلام يأباه ويرفضه الدين ، مع انك لو سلكت الطريق السليم ، الى اهل الفتاة لوجدتها معبدة هينة ولا نفرض المستحيل حتى تلجأ الى وضع غير سليم ، ثم اذا انفردت بفتاتك في

اعداد : موسى شرف

بو او بحر ثم عقدت عليها على كتاب لله وسنة رسوله كما تقول ومعك الشهود والشيخ الموثق ، فاين الولي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا نكاح الا بولي » ويقول « ايما امراة انكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها باطل باطل » اذن فنكاحك الذي تعتزم القيام به باطل ، وعليك ان تلتزم شرع الله ، وعليك الا تخالف نظام مجتمعك وعادات قومك ، وضع العقل كاملا في تصرفك ، والتمس مثل ذلك عند فتاتك ، فلا خير في اسرة يحكمها الهوى ، وتستعدي عليها كل الناس ، والله يتولى صلاحك وفلاحك انه سميع بصير ·

ابليس ودخول الجنة :

● كيف دخل ابليس الى الجنة ووسوس الى آدم عليه السلام واغواه مع انه ممنوع من دخول الجنة ؟

فرفر موسى بن صالح

الجزائر ـ غرداسية

ـ لا خلاف بين اهل التاويل وغيرهم ، في ان ابليس كان يتولى اغواء آدم ، ولكنهم اختلفوا في كيفية ذلك فقال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلماء ان الاغواء تم مشافهة ، بدليل قوله تعالى « وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين » والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقال وهب ابن منبه ان ابليس دخل الجنة في فم حية ·

وقال آخرون ان ابليس لم يدخل الجنة مطلقا من لدن أخرج منها ، وانما اغوى آدم ، بشيطانه وسلطانه ووسواسه ودليل هؤلاء قول الله تعالى « فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم ··· » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » ·

عدة المرأة :

● ما هي عدة المتوفى عنها زوجها ؟ وهل يصح للزوجة المتوفى عنها زوجها أن تنتقل من بلد الزوج الى بلدتها ثم ما هي الملابس التي على الزوجة أن ترتديها في خلال فترة العدة ؟

سناء ـ ديرة ـ دبي

ـ المتوفى عنها زوجها ان كانت حاملا فعدتها ان تضع حملها ، وان كانت غير حامل فعدتها اربعة اشهر وعشرة ايام·

ويجب على المعتدة ان تمكث في بيت زوجها اذا كان يملك البيت،وذهب الى هذا مالك وابو حنيفة والشافعي واحمد ·

وان كان الزوج ساكنا ولا يملك البيت فلها السكن في بيت زوجها المؤجر في مدة العدة ، بشرط ان يكون الزوج قد ادى كراء البيت في حياته؛لان بعد موت الزوج ليس لها في ماله حق الا ميراثها،واذا لم يكن ادى الكراء فلها البقاء في البيت وكراؤه منميراث الزوج وأما الانتقال من بلد الزوج الى بلد الزوجة فانما يكون بعد العدة وقبلها لا يجوز الانتقال ولو الى الحج وأمالمؤمنين السيدة عائشة فعلت ذلك مع اختها ام كلثوم ولامها الناس في ذلك ٠

اما لون الملابس التي ترتديها المرأة خلال عدتها فلم يتعرض لها الاسلام بالتفصيل ولكنها ما يفيد عند الناس الحزن والتفجع وهذا يختلف باختلاف الناس ، ففي مصر يلبسون السواد وفي المغرب يلبسون البياض على الحزن ٠

ويجب على المعتدة ان تتطهر من العادة الشهرية متى انتهت عادتها وانقطع حيضها ، لان الصلاة مطلوبة بعد انقطاع الحيض والطهر منه ، ولما كانت فرضا فانها لا تنتظر حتى توافق عادات الناس ٠

والاحداد المطلوب من الزوجة بعد وفاة زوجها ـ وليس مطلوبا منها على وفاة أي شخص آخر مهما كانت قرابته ـ يكون بالامتناع عن الزينة ولبس المصبوغ الجميل والطيب ولا يحل لها ان تخطب في العدة ولا بأس بالتلويح دون التصريح ٠

الجمع بين الصلاتين :

● أنا طالب في الجامعة والمحاضرات تبدأ قبل آذان العصر بساعة وتنتهي بعد صلاة المغرب فهل يجوز لطالب العلم أن يجمع بين الصلاتين جمع تقديم ، اذا خاف أن تفوته المحاضرات ؟

محمد شعبان أحمد
كلية الحقوق ـ جامعة اسيوط
مصر

ـ يمكنكم أولا الاتصال بالجامعة لتعديل مواعيد المحاضرات بما يناسب مواعيد الصلاة ، واذا لم تتمكن من الصلاة أثناء المحاضرات فاجمع بين الصلاتين عملا بقول الامام احمد بن حنبل الذي يرى أن السفر والمرض والمطر الكثير والوحل الشديد مع الظلمة والريح العاصف والبرد القارس والاستحاضة وندرة الماء ومشاغل الحياة التي تلحق بالناس الضرر ، كل هذه أعذار يراها الامام أحمد بن حنبل للجمع بين الصلاتين تقديما وتأخيرا ، وهذا أوسع المذاهب يسرا وما جعل الله في الدين من حرج ٠٠ ونرى أن حالتك هذه تبيح لك الجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم ٠

حصاد الشهر

امام الحرم المكي في زيارة دولة الامارات

أبوظبي :

● زار دولة الامارات العربية المتحدة في الشهر الماضي سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله حسن آل الشيخ امام الحرم المكي الشريف على رأس وفد ديني من المملكة العربية السعودية ، وقد اجرى الوفد مباحثات مع معالي محمد عبد الرحمن البكر وزير العدل والشئون الاسلامية والاوقاف تناولت دعم العلاقات وتنسيق الجهود بين دولة الامارات والمملكة العربية السعودية ،في مجالات الدعوة الاسلامية وتربيةالشباب تربية اسلامية ، كما استعرض أهداف مشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم ودور وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف في نشر وترسيخ دعائم العقيدة الاسلامية ٠

● قام معالي الدكتور عون الشريف وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بالسودان بزيارة لدولة الاماراتالعربية المتحدة بدعوة من وزارة الاعلام والثقافة ، حيث القى محاضرة موضوعها « الاسلام في نطاق افريقيا » كما قام بجولة في انحاء الدولة وأجرى مباحثات مع معالي وزير العدلوالشئون الاسلامية والاوقاف ٠

● تقرر زيادة عدد حصص التربية الاسلامية ، في المرحلة الثانوية بدولة الامارات العربية ، ابتداء من العام الدراسي القادم ٠

● اعدت ادارة المساجد ، بوزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف ، خطة تدريبية متكاملة ، لرفع مستوى كفاءة العاملين في حقل الدعوة الاسلامية « من ائمة وخطباء » ٠

عمان :

● طالبمجلس المنظماتوالجمعيات الاسلامية بمنع التسميات الاجنبية للمحلات التجارية وضرورة احترام اللغة العربية في جميع الشركات والمؤسسات

● تصدر قريبا في مصر جريدة اسبوعية سياسية اسلامية باسم « الشورى » كما تصدر مجلة اسلامية خاصة باسم « المسلمون » ٠

في .. هذا العدد

عنوان المراسلات :

دولة الامارات العربية المتحدة

أبوظبي : ص . ب ٢٩٢٢

هاتف { ٨٢٣٧٤٣ ٨٢٥٤٣٦ }

● المراسلات : باسم مدير التحرير

ثمن العدد

● دولة الامارات العربية المتحدة	درهمان
● السعودية	ريالان
● دول الخليج	١٥٠ فلسا
● الكويت	١٠٠ فلس
● العراق	١٢٠ فلسا
● سوريا	١٠٠ قرش
● لبنان	١٠٠ قرش
● الاردن	٢٠ فلسا
● اليمن الشمالية	٢٥٠ فلسا
● اليمن الجنوبية	٧٥ فلسا
● مصر	١٠٠ مليم
● ليبيا	١٢٠ فلسا
● تونس	٢٥٠ مليما
● الجزائر	٥ر٢ دينار
● المغرب	٥ر٢ درهم
● السودان	١٠ مليم

وكلاء التوزيع

دولة الامارات العربية المتحدة :	ابوظبي ـ ادارة المجلة ص. ب : ٢٩٢٢
جمهورية مصر العربية :	مؤسسة الاهرام ـ القاهرة
السودان :	دار التوزيع الخرطوم ص. ب : ٣٥٨
تونس :	الشركة العامة للتوزيع والنشر ـ شارع قرطاج ص. ب: ٤٤٠
ليبيا :	الشركة العامة للتوزيع والنشر طرابلس ص.ب :٩٥٩ بنغازي
المغرب :	الشركة الشريفة للتوزيع ـ الدار البيضاء
الجزائر :	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالعاصمة ٤٧ شارع درويش مراد ص. ب : ٤٧٧
المملكة العربية السعودية جدة	مكتبة مكة ص. ب : ٤٧٧
الرياض	مكتبة مكة ص. ب . ٤٧٢
الخبر	مكتبة مكة ص. ب : ٦٠
اليمن الشمالية :	الاستاذ نديم حسن علي ـ تعز
سلطنة عمان :	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ص. ب : ١٠١١ مسقط
الكويت :	وكالة المطبوعات ص. ب : ١٠١٩ ـ تليفون : ٤٣٢٢٦٩
قطر :	مؤسسة العروبة ص. ب : ٦٣٣ ـ تليفون : ٢٦٢٨٦ الدوحة
البحرين :	الشركة العربية للوكالات والتوزيع ص. ب : ١٥٦ تليفون : ٥٥٧٠٦
العراق :	الدار الوطنية للنشر والتوزيع ـ ساحة الوثبة شارع الرشيد بغداد
الاردن :	وكالة التوزيع الاردنية ـ عمان
سوريا :	دمشق : الدار الوطنية للتوزيع ، ص. ب : ٧٤٥

Modern Printing Press U.A.E